

صحيحة	صحيحة
٦٠ ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم	٢ خطبة الكتاب
٦٣ ذكر سماعى بدمشق ومن أجازنى من أهلها	٧ ذكر سلطان تونس
٦٦ طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم	٨ ذكر أبواب سكندرية ومرساها
٦٦ ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفة	٩ ذكر المنار
٦٧ ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم	٩ ذكر عمود السوارى
٦٩ ذكر المنبر الكريم	١٠ ذكر بعض علماء الاسكندرية
٧٠ ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢١ ذكر نيل مصر
٧٠ ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به	٢١ ذكر الاهرام والبرابى
٧١ ذكر المجاورين بالمدينة الشريفة	٢٢ ذكر سلطان مصر
٧٢ ذكر أمير المدينة الشريفة	٢٣ ذكر بعض امراء مصر
٧٢ ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج المدينة الشريفة	٢٣ ذكر القضاة بمصر
٧٦ ذكر مدينة مكة المعظمة	٢٤ ذكر بعض علماء مصر وأعيانها
٧٧ ذكر المسجد الحرام	٢٥ ذكر يوم المحمل بمصر
٧٧ ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما	٣٢ ذكر المسجد المقدس
٧٩ ذكر الميزاب المبارك	٣٢ ذكر قبة الصخرة
٧٩ ذكر الخجر الاسود	٣٢ ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف
٧٩ ذكر المقام الكريم	٣٣ ذكر بعض فضلاء القدس
٨٠ ذكر الخجر والمطاف	٥٠ ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بنى امية
٨٠ ذكر زمزم المبارك	٥٣ ذكر الأئمة بهذا المسجد
٨١ ذكر أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة	٥٤ ذكر المدرسين والمعلمين به
٨٢ ذكر الصفا والمررة	٥٤ ذكر قضاة دمشق
	٥٥ ذكر مدارس دمشق
	٥٦ ذكر أبواب دمشق
	٥٦ ذكر بعض المشاهد والمزارات بها
	٥٨ ذكر ارياض دمشق
	٥٩ ذكر قاسيون ومشاهده المباركة
	٥٩ ذكر الزبوة والقرى التى تواليها

(ب)

صحيحة	صحيحة
١٣٤ ذ كر الجانب الغربي من بغداد	٨٣ ذ كر الجانب المبارك
١٣٥ ذ كر الجانب الشرقي منها	٨٤ ذ كر بعض المشاهد خارج مكة
١٣٥ ذ كر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها	٨٤ ذ كر الجبال المطيقة بمكة
١٣٦ ذ كر سلطان العراقين وخراسان	٨٧ ذ كر أمير مكة
١٣٨ ذ كر المتعلمين على الملك بعد موت السلطان أبي سعيد	٨٧ ذ كر أهل مكة وفضائلهم
١٤١ مدينة الموصل	٨٧ ذ كر قاضي مكة وخطيبها واماام الموسم وعلمائها وصلحاءها
١٤٣ ذ كر سلطان ماردن في عهد دخولي اليها	٨٩ ذ كر انجاء وبن بمكة
١٤٨ ذ كر سلطان جزيرة سواكن	٩٤ ذ كر عادة أهل مكة في صلواتهم ومواضع أئمتهم
١٤٨ ذ كر سلطان حلي	٩٤ ذ كر عاداتهم في الخطبة وصلاة الجمعة
١٥٠ ذ كر سلطان اليمن	٩٥ ذ كر عاداتهم في استهلال الشهور
١٥٣ ذ كر سلطان مقدشو	٩٦ ذ كر عاداتهم في شهر رجب
١٥٥ ذ كر سلطان كوا	٩٧ ذ كر عاداتهم في ليلة النصف من شعبان
١٥٨ ذ كر التنبول	٩٨ ذ كر عاداتهم في شهر رمضان المعظم
١٥٩ ذ كر النار جيل	٩٩ ذ كر عاداتهم في شوال
١٦٠ ذ كر سلطان ظفار	٩٩ ذ كر احرام الكعبة
١٦١ ذ كر ولي لقينا بهذا الجبل	٩٩ ذ كر شعائر الحج واعماله
١٦٤ ذ كر سلطان عمان	١٠١ ذ كر سوة الكعبة
١٦٥ ذ كر سلطان هرمز	١٠٣ ذ كر الانفصال عن مكة شرفها الله تعالى
١٦٧ ذ كر سلطان لار	١٠٤ ذ كر الروضة والقبور التي بها
١٦٨ ذ كر مغاص الجواهر	١٠٥ ذ كر تقيب الاشراف
١٧١ ذ كر سلطان العلایا	١٠٨ مدينة واسط
١٧٢ ذ كر الاخية الفتیان	١١٠ مدينة البصرة
١٧٣ ذ كر سلطان انطاكية	١١١ ذ كر المشاهد المباركة بالبصرة
١٧٤ ذ كر سلطان اكر يدور	١١٥ ذ كر ملك ايدج وتستر
١٧٤ ذ كر سلطان قل حصار	١٢٣ ذ كر سلطان شيراز
١٧٦ ذ كر سلطان لاذق	١٢٧ ذ كر بعض المشاهد بشيراز
١٧٧ ذ كر سلطان ميلاس	١٣١ مدينة الكوفة
	١٣٣ مدينة بغداد

(ج)

صحيفة		صحيفة	
٢٠٧	ذكر ترتيبهم في العيد	١٧٨	ذكر سلطان اللارندة
٢١٠	ذكر سفرى الى القسطنطينيه	١٨١	ذكر سلطان بركى
٢١٣	ذكر سلطان القسطنطينيه	١٨٥	ذكر سلطان مغنيسيه
٢١٤	ذكر المدينه	١٨٦	ذكر سلطان بلى كسرى
٢١٥	ذكر الكنيسة العظمى	١٨٧	ذكر سلطان برصى
٢١٦	ذكر المانستارات بقسطنطينيه	١٩١	ذكر سلطان كردى بولى
٢١٦	ذكر الملك المترهب جرجيس	١٩٢	ذكر سلطان قصطمونيه
٢١٧	ذكر قاضى القسطنطينيه	١٩٧	ذكر العجلات التى يسافر عليها حضره
٢١٧	ذكر الانصراف عن القسطنطينيه		السلطان محمد أوزبك بهذه البلاد
٢٢٣	ذكر بطيخ خوارزم	٢٠١	ذكر السلطان المعظم محمد أوزبك خان
٢٢٤	ذكر أولية التترو وتخريبهم بخارى وسواها	٢٠٣	ذكر الخواتين وترتيبهم
٢٢٦	ذكر سلطان ماوراء النهر	٢٠٥	ذكر بنت السلطان المعظم أوزبك
٢٣٥	ذكر سلطان هرات	٢٠٦	ذكر ولدى السلطان
٢٤٢	تتمه هذا الجزء	٢٠٦	ذكر سفرى الى مدينة بلخ
٢٤٢	تذييل	٢٠٦	ذكر أرض الظلمه

كتاب رحلة ابن بطوطة
المسماة

تحفة النظر في غرائب الامصار
وعجائب الاسفار

٢

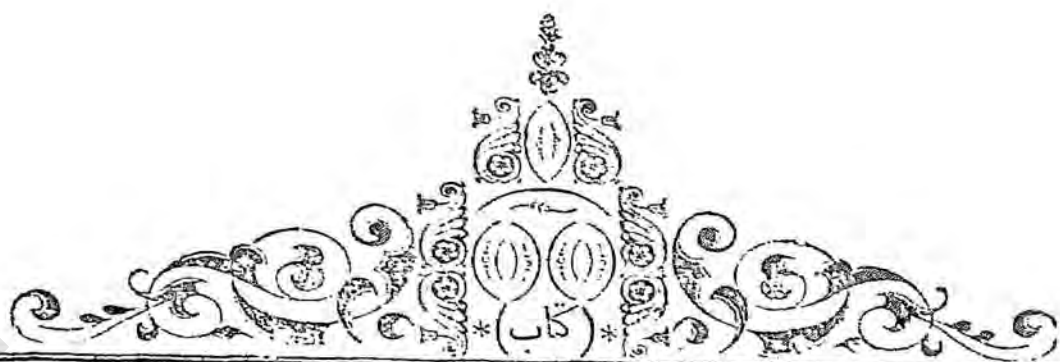


(الطبعة الاولى)

بقاعدة حروف مطبعة وادى النيل الجديدة

في مطبعة وادى النيل بمصر القاهرة بالموسكى

سنة ١٢٨٧



(رحلة ابن بطوطة) المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الابن وفدا لله المعتمر شرف الدين المعتمد في سياحته على رب العالمين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة رحمه الله ورضي عنه بمهنة وكرمه آمين الحمد لله الذي ذلل الارض لعباده ليسلكوا منها سبلا فجاجا وجعل منها واليه اناراتهم الثلاث نبانا واعادة واخراجا دحاها بقدرته فكانت مهادا للعباد وأرسلها بالاعلام الراسيات والاطواد ورفع فوقها سماء السماء بغير عمد واطلع الكواكب هداية في ظلمات البر والبحر وجعل القمر نورا والشمس سراجا ثم أنزل من السماء ماء فأحيى به الارض بعد الموت وأنبت فيها من كل الثمرات وفطر أقطارها بصنوف النبات وجفر البحرين عذبا فربانا وملحا أجاجا وأكل على خلقه الانعام بتدليل مطايا الانعام وتسخير المنشآت كالاعلام لتمتطوا من صهوة القفر ومن البحر اثباجا وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي أوضح للخلق منهاجا وطلوع نور هدايته وهاجا بعثه الله تعالى رجة للعالمين واختار مائة النبيين وأمكن صرارهم من رقاب المشركين حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وأيده بالمعجزات الباهرات وأنطق به صديقه الجمادات وأحيا بدعوته الرمم الباليات وجفر من بين أنامله ماء ثجاجا ورضى الله تعالى عن المتشرفين بالانتماء اليه أصحابا وآلا وأزواجا المقيمين قناة الدين فلا تخشى بعدهم اعوجاجا فهم الذين أزروه على جهاد الاعداء وظاهروه على اظهار الملة البيضاء وقاموا بحقوقها الكريمة من

الهجرة

الحجرة والنصرة والايواء واقحموا دونه نارالبأس حامية وخاضوا بحرالموت عجاجا
 ونستوهب الله تعالى مولانا الامام الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين المجاهد
 في سبيل الله المؤيد بنصر الله أبي عنان فارس ابن موالينا الأئمة المهتدين الخلفاء الراشدين
 نصرأيوسع الدنيا وأهلها ابتهاجا وسعدا يكون لزمانة الزمان علاجا كما وهبه الله بأسا وجودا
 لم يدع طاغيا ولا محتاجا وجعل بسيفه وسيبه لكل ضيقة انفراجا وبعد فقد قضت العقول
 وحكم المعقول والمنقول بأن هذه الخلافة العلية المجاهدة المتوكلية الفارسية هي ظل الله
 المدود على الانام وحبله الذي به الاعتصام وفي سلك طاعته يجب الانتظام فهي التي
 أبرأت الدين عندا اعتلاله وأغمدت سيف العدوان عندا نسلاله وأصلحت الايام بعد
 فسادها ونفقت سوق العلم بعد كسادها وأوضحت طرق البر عند انماجها وسكنت أقطار
 الارض عند ارتجاجها وأحيث سنن المكارم بعد ممانتها وأماتت رسوم المظالم بعد حياتها
 وأخذت نار الفتنة عند اشتعالها ونقضت أحكام البغي عند استغلالها وشادت مباني
 الحق على عمد التقوى واستمسكت من التوكل على الله بالسبب الاقوى فلها العز الذي
 عقد تاجه على مفرق الجوزاء والمجد الذي جرأ ياله على بحيرة السماء والسعد الذي رد
 على الزمان غض شبابيه والعدل الذي مد على أهل الايمان مديد أطنابه والجود الذي قطر
 سحابه اللجين والنضار والبأس الذي فيض غمامه الدم الموار والنصر الذي يفيض كتابه
 الاجل والتأييد الذي بعض غنائمه الدول والبطش الذي سبق سيفه العدل والاناة
 التي لا يمل عندها الامل والحزم الذي يسد على الاعداء وجوه المسارب والعزم الذي
 يفل جموعها قبل قراع الكائب والحلم الذي يجنى العفو من ثمر الذنوب والرفق الذي
 جمع على محبته بنات القلوب والعلم الذي يجلو نوره دياجي المشكلات والعمل المقيد
 بالاخلاص والاعمال بالنيات ولما كانت حضرة العلية مطمح الامال ومسرح همم
 الرجال ومخطر حال الفضائل ومثابة أمن الخائف ومنية السائل توخي الزمان خدمتها
 بيدائع تحفه وروائع طرفه فاثال عليها العلماء انشبال جودها على الصفات وتسابق
 اليها الادباء تسابق عزماتها الى العادات وحج العارفون حرمها الشريف وقصد السائحون
 استطلاع معناها المنيف ولجأ الخائفون الى الامتناع بعز جنابها واستجارت الملوك بخدمة
 أبوابها فهي القطب الذي عليه مدار العالم وفي القطع بتفضيلها تساوت بديهة عقل
 الجاهل والعالم وعن ما أثرها الفاتكة يسند صحاح الآثار كل مسلم وبالكامل محاسنها
 الرائقة يفصح كل معلم وكان من وفد على بابها السامعي وتعدى اوشال البلاد الى بحرها
 الطامح الشيخ الفقيه السائح الثقة الصدوق جواب الارض ومخترق الاقاليم بالطول

والعرض أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الموالي الطنجي المعروف بابن بطوطة المعروف في البلاد الشرقية بشمس الدين وهو الذي طاف الأرض معتبرا وطوى الأمصار مختبرا وباحث فرق الأمم وسبر سائر العرب والعجم ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا لما علم أن لها منزلة الفضل دون شرط ولا ثنيا وطوى المشارق إلى مطلع بدره بالغرب وآثرها على الاقطار إشارا لتبرع على التبر اختيارا بعد طول اختبار بالبلاد والخلق ورغبة في المحاق بالطائفة التي لا تزال على الحق فغمره من احسانه الجزيل وامتنانه الخفي الحفيل ما أنسا الماضى بالحال وأغناه عن طول الترحال وحقر عنده ما كان من سواه يستعظمه وحقق لديه ما كان من فضله يتوهمه فأنسى ما كان ألغاه من جولان البلاد وظفر بالمرعى الخصب بعد طول الارتداد ونفذت الإشارة الكريمة بأن يملأ ما شاهده في رحلته من الأمصار وما علق بحفظه من نوادر الاخبار ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار وعلمائها الاخيار وأوليائها الابرار فأملى من ذلك ما فيه منزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر من كل غريبة أفاد باجتلائها وعجوبة أطرف بانتحاءها وصدر الامر العالي لعبد مقامهم الكريم المنقطع إلى بابهم المتشرف بخدمة جنابهم محمد بن محمد بن جزي الكلبي أعانه الله على خدمتهم وأوزعه شكر نعمتهم ان يضم أطراف ما أملاه الشيخ أبو عبد الله من ذلك في تصنيف يكون على فوائده مشتملا ولنيل مقاصده مكتملا متوخيا تنقيح الكلام وتهذيبه معتمدا ايضاحه وتقريره ليقع الاستمتاع بتلك الطرف ويعظم الانتفاع بذكرها عند تجريده عن الصدف فامتثل ما أمر به مبادرا وشرع في منهله ليكون بمعونة الله عن توفية الغرض منه صادرا ونقلته معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدتها موضحة للمناحي التي اعتمدها وربما أوردت لفظه على وضعه فلم أخل بأصله ولا فرعاه وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والاخبار ولم أعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار على انه سلك في اسناد صاحبها أقوم المسالك وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الالفاظ بذلك وقيدت المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنمط ليكون أنفع في التصحيح والضبط وشرحت ما أمكنني شرحه من الاسماء العجيبة لأنها لم تلبس بعجمتها على الناس ويخطئ في فك معناها معهود القياس وأنا أراجو أن يقع ما قصدته من المقام العلى أيده الله بمحل القبول وأبلغ من الاغضاء عن تقصير المأمول فعوايدهم في السماح جيلة ومكارمهم بالصفتح عن الهفوات كفيلة والله تعالى يديم لهم عادة النصر والتكين ويعرفهم عوارف التأيد والفتح المبين

قال الشيخ أبو عبد الله كان خروجي من طنجة سنة سقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمداً بجيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام منفرداً عن رفيق أنس بصحبته وركباً أكون في جلته لباعث من النفس شديد العزائم وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كما من في الحيازم فجزمت أمري على هجر الاحباب من الاناث والذكور وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور وكان والدي بقاء الحياة فحملت بعدهما وصبا ولقيت كمال القيام من الفراق نصبا وسني يومئذ ثمان وعشرون سنة قال ابن جزي أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة ان مولاه بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة

(رجع) وكان ارتحال في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين الذي رويت أخبار جوده موصولة الاسناد بالاسناد وشهرت آثار كرمه شهرة واضحة الاشهاد وتحلت الايام بحلى فضله وترتع الانام في ظل رفقته وعدله الامام المقدس أبو سعيد ابن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذي قل حد الشر لصدق عزائمهم واطفأت نار الكفر جداول صوارمه وفتكت بعباد الصليب كآبهم وكرمت في اخلاص الجهاد مذهبهم الامام المقدس أبو يوسف بن عبد الحق جدد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم المقدسة من صوب الحياء طله وتهناته وجزاهم أفضل الجزاء عن الاسلام والمسلمين وابقى الملك في عقبهم الى يوم الدين فوصلت مدينة تلمسان وسلطانها يومئذ أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يخراسن بن زيان ووافقت بهار سولي ملك افريقية السلطان أبي يحيى رحمه الله وهما قاضي الانسكة بمدينة تونس أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن ابراهيم النفزاوي والشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله القرشي الزبيدي (بضم الزاي نسبة الى قرية بساحل المهدية) وهو أحد الفضلاء وفاته عام أربعين وفي يوم وصولي الى تلمسان خرج عنها الرسولان المذكوران فأشار علي بعض الاخوان بمرافقة تهما فاستخمرت الله عز وجل في ذلك وأتمت بتلمسان ثلاثاً في قضاء ما ربي وخرجت أجداً السير في آثارهما فوصلت مدينة مليانة وأدركتهم ما بها وذلك في ابان القيظ فلحق الفقيهين مرض ألقنا بسببه عشر اثم ارتحلنا وقد اشتد المرض بالقاضي منهما فألقنا ببعض المياه على مسافة أربعة أميال من مليانة ثلاثاً وتضى القاضي نخبه ضحى اليوم الرابع فعاد ابنه أبو الطيب ورفيقه أبو عبد الله الزبيدي الى مليانة فتعبروه بها وتركتم هنالك وارتحلنا مع رفقة من تجارتونس منهم الحاج مسعود بن المنتصر والحاج العدولي ومحمد بن الجحر فوصلنا مدينة الجزائر وألقنا بخارجها أيا ما الى أن قدم الشيخ أبو عبد الله وابن القاضي فتوجهنا جميعاً على متجعة الى

جبل الزان ثم وصلنا الى مدينة بجاية فنزل الشيخ أبو عبد الله بدار قاضيهم أبي عبد الله الزواوي ونزل أبو الطيب ابن القاضي بدار الفقيه أبي عبد الله المفسر وكان أمير بجاية اذذاك أبا عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب وكان قد توفي من تجار تونس الذين صحبتهم من مليانة محمد بن الجحر الذي تقدم ذكره وترك ثلاثة آلاف دينار من الذهب وأوصى بها لرجل من أهل الجزائر يعرف بابن حديدة ليوصلها الى ورثته بتونس فأنتهى خبره لابن سيد الناس المذكور فانتزعها من يده وهذا أول ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين وولاتهم ولما وصلنا الى بجاية كما ذكرته أصابني الحمى فأشار على أبي عبد الله الزبيدي بالاقامة فيها حتى يتكف البرء مني فأبيت وقلت ان قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي بالطريق وأنا قاصد أرض الجحاز فقال لي أما ان عزمك فبيع دابتك وثقل المتاع وأنا أعيرك دابة وخباء وتعبنا خفيفا فأننا نجد السير خوف غارة العرب في الطريق ففعلت هذا وأغارني ما وعد به جزاءه الله خيرا وكان ذلك أول ما ظهر لي من اللطاف الالهية في تلك الوجهة الجحازية وسرنا الى ان وصلنا الى مدينة قسنطينة فنزلنا خارجها واصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخبية ليلا الى دور هنالك فلما كان من الغداة لقانا حاكم المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء يسمى بأبي الحسن فنظر الى ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغيري غسلها في داره وكان الاحرام منها خلقا فبعث مكانه احراما بعلبكيا وصرفي أحد طرفيه دينارين من الذهب فكان ذلك أول ما فتح به علي في وجهتي ورحلنا الى أن وصلنا مدينة بونة ونزلنا بداخلها وأقنابها أياما ثم تركنا بها من كان في صحبتنا من التجار لاجل الخوف في الطريق وتجردنا للسير وواصلنا الجدد واصابني الحمى فكنت أشد نفسي بعامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف ولا يمكنني النزول من الخوف الى أن وصلنا مدينة تونس فبرز أهلها للقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب ابن القاضي أبي عبد الله النفاوي فأقبل بعضهم علي بعض بالسلام والسؤال ولم يسلم علي أحد لعدم معرفتي بهم فوجدت من ذلك في النفس ما لم املك معه سوا بق العبرة واشتد بكائي فشر بحالي بعض الحجاج فأقبل علي بالسلام والاياس وما زال يؤنسني بحديثه حتى دخلت المدينة ونزلت منها بمدرسة الكتبيين قال ابن جزي أخبرني شيخني قاضي الجماعة أخطب الخطباء أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمي هو ابن الحاج البلفيقي انه جرى له مثل هذه الحكاية قال تصدت مدينة بلش من بلاد الاندلس في ليلة عيد برسم رواية الحديث المسلسل بالعيد عن أبي عبد الله ابن الكجاد وحضرت المصلي مع الناس فلما فرغت الصلاة والخطبة أقبل الناس بعضهم علي بعض بالسلام وأنا في ناحية لا يسلم علي أحد فقصد الى شيخ من أهل المدينة المذكورة واقبل علي بالسلام

بالسلام والايّاس وقال نظرت اليك فرأيتك منتبذا عن الناس لا يسلم عليك أحد فعرفت
انك غريب فأحببت ايّاسك جزاء الله خيرا (رجع)

* (ذكر سلطان تونس) *

وكان سلطان تونس عند دخولي اليها السلطان أبو يحيى ابن السلطان أبي زكريا يحيى ابن
السلطان أبي اسحاق ابراهيم ابن السلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص
رحمه الله وكان بتونس جماعة من اعلام العلماء منهم قاضي الجماعة بها أبو عبد الله محمد بن
قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الانصاري الخزرجي البلمسي
الاصل ثم التونسي هو ابن النماز ومنهم الخطيب أبو اسحاق ابراهيم بن حسين بن علي بن
عبد الرّبيع الرّبيعي وولي أيضا قضاء الجماعة في خمس دول ومنهم الفقيه أبو علي عربي بن علي
ابن قداح الهواري وولي أيضا قضاءها وكان من اعلام العلماء ومن عوايده انه يستند كل
يوم جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الاعظم المعروف بجامع الزيتونة ويستفتيه
الناس في المسائل فلما أفتى في أربعين مسألة انصرف عن مجلسه ذلك واظلمني بتونس
عيد الفطر فحضر المصلي وقد احتفل الناس لشهود عيدهم ورزوا في أجمل هيئة
وأكل شارة ووافي السلطان أبو يحيى المذكور راكبا وجميع أقاربه وخواصه
وخدام مملكتهم مشاة على أقدامهم في ترتيب عجيب وصليت الصلاة وانقضت الخطبة
وانصرف الناس الى منازلهم وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف شيخه يعرف بأبي يعقوب
السوسي من أهل أقل من بلاد إفريقية وأكثره المصامدة فقدموني قاضيا بينهم وخرجنا من
تونس في أواخر شهر ذي القعدة سالين طريق الساحل فوصلنا الى بلدة سوسة وهي صغيرة
حسنة مبنية على شاطئ البحر بيننا وبين مدينة تونس أربعون ميلا ثم وصلنا الى مدينة
صفاقس وبخارج هذه البلدة قبر الامام أبي الحسن النخعي المالكي مؤلف كتاب التبصرة
في الفقه قال ابن جزي في بلدة صفاقس يقول علي ابن حبيب التنوخي (كامل)

سقي الارض صفاقس * ذات المصانع والمصلى

محيي القصير الى الخليج * فتمصرها السامي المعلى

بلديكادي تقول حين * تزوره أهلا وسهلا

وكأنه والبحر يحسرتارة عنه ويملا

صب يريد زيارة * فاذا رأى الرقباء ولى

وفي عكس ذلك يقول الاديّب البارع أبو عبد الله محمد ابن أبي تميم وكان من المجيدين
المكثرين (رجز)

(٨)

هـ فاقس لاصفا عيش لسا كنما * ولا سقى أرضها غيث اذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها * عانى بها العاديين الروم والعربا
كم ضل في البرمساوبا بضاعته * وبات في البحر يشكو الاسر والعطبا
قد عاين البحر من اوم لقاطنها * فكأما هم ان يدنو لها هربا
(رجع) ثم وصلنا الى مدينة قابس ونزلنا بداخلها وأقنابها عشر ا لتوالي نزول الامطار قال
ابن جزي في ذكر قابس يقول بعضهم (رجز)

لهني على طيب ليال خلت * بجانب البطحاء من قابس
كأن قلبي عند تذكارها * جذوة نار يدي قابس

(رجع) ثم خرجنا من مدينة قابس قاصدين طرابلس وصحبنا في بعض المراحل اليها نحو
مائة فارس أو يزيدون وكان بالركب قوم رماة قها بهم العرب وتحامت مكانهم وعصمتها
الله منهم وأظلمنا عيدا الاضحي في بعض تلك المراحل وفي الرابع بعده وصلنا الى مدينة
طرابلس فأقنابها مدة وكنت عقدت بصفاقس على بنت لبعض أمراء تونس فبنيت عليها
بطرابلس ثم خرجت من طرابلس وأخر شهر المحرم من عام ستة وعشرين ومعى أهلى وفي
صحبتى جماعة من المصامدة وقد رفعت العلم وتقدمت عليهم وأقام الركب في طرابلس خوفا
من البرد والمطر وتجاوزنا مسلاتة ومسرارة وصور سرت وهنالك أرادت طوائف العرب
الايقاع بنا ثم صرفتهم القدره وحالت دون ماراموء من اذابتنا ثم توسطنا الغابة وتجاوزناها
الى قصر برصيص العابد الى قبة سلام وأدركنا هنالك الركب الذين تخلفوا بطرابلس
ووقع بينى وبين صهرى مشاجرة أوجبت فراق بنته وتزوجت بنتا لبعض طلبة فاس وبنيت
بها بقصر الزعافيسة وأولت وليمة حبست لها الركب يوما وأطعمتهم ثم وصلنا فى أول جمادى
الاولى الى مدينة الاسكندرية حرسها الله وهى الثغر المحروس والقطر المأنوس المحيية
الشان الاصيله البنيان بها ماشئت من تحسين وتحصين وما تزدنيا ودين كرمت
مغانيها ولذقت مغانيها وجعت بين الضخامة والاحكام مبانيتها فهى الفريدة تجلى
سناها والخريدة تجلى فى حلالها الزاهية يجسمها لها المغرب الجامعة لمفترق المحاسن
لتوسطها بين المشرق والمغرب فكل بذية بها اجتلاؤها وكل طريقة فالها انتهاؤها وقد
وصفها الناس فاطنبوا وصنفوا فى عجائبها فأغربوا وحسب المشرف الى ذلك ماسطره
أبو عبيد فى كتاب المسالك

* (ذكر أبوابها ومرساها) *

ولمدينة الاسكندرية أربعة أبواب باب السدرة واليه يشرع طريق المغرب وباب رشيد
وباب

وباب البحر والباب الاخضر وليس يفتح الا يوم الجمعة فيخرج الناس منه الى زيارة القبور ولها المرسى العظيم الشأن ولم أرفى مراسى الدنيا مثله الا ما كان من مرسى كولم وقال يقوط ببلاد الهند ومرسى الكفار بسوداق ببلاد الاتراك ومرسى الزيتون ببلاد الصين وسيقع ذكرها
 (ذكر المنار)

تصدت المنار في هذا الوجهة فرأيت أحد جوانبه متهلما ووصفته انه بناء مربع ذاهب في الهواء وبابه مر تفتح على الارض وازاء بابه بناء بقدر ارتفاعه وضعت بينهما ألواح خشب يعبر عليها الى بابه فاذا أزيلت لم يكن له سبيل ودخل الباب موضع لجلس حارس المنار ودخل المنار بيوت كثيرة وعرض الممر بداخله تسعة أشبار وعرض الحائط عشرة أشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته الاربع مائة وأربعون شبرا وهر على تل مرتفع ومسافة ما بينه وبين المدينة فرسخ واحد في بر مستطيل يحيط به البحر من ثلاث جهات الى أن يتصل البحر بسور البلاد فلا يمكن التوصل الى المنار في البر الا من المدينة وفي هذا البر المتصل بالمنار مقبرة الاسكندرية وقصدت المنار عند عودي الى بلاد المغرب عام خمس مائة وسبعمائة فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود الى بابه وكان الملك الناصر رحمه الله قد شرع في بناء منار مثله بازائه فعاقه الموت عن اتمامه

(ذكر عمود السواري)

ومن غرائب هذه المدينة عمود الرخام المائل الذي بنى رجها المسمى عندهم بعمود السواري وهو متوسط في غابة نخيل وقد امتاز عن شجراتها سموا وارتفاعها وهو قطعة واحدة محكمة النحت قد أقيم على تواجد حجارة مربعة أمثال الدكاكين العظيمة ولا تعرف كيفية وضعه هنالك ولا يتحقق من وضعه قال ابن جزى أخبرني بعض أشياخي الرحالين ان أحد الرماة بالاسكندرية صعد الى أعلى ذلك العمود ومنعه قوسه وكثافته واستقر هنالك وشاع خبره فاجتمع الجمع الغفير لمشاهدته وطال العجب منه ونخفي على الناس وجه احتياله وأظنه كان خائفاً وطالب حاجة فأتى له فعله الوصول الى تصدده لغرابة ما أنى به وكيفية احتياله في صعوده انه رمى بشاشة قد عمق فوقها خيطا طويلا وعمد بطرف الخيط حبلا وثيقا فتجاوزت الشاشة أعلى العمود معترضة عليه ووثقت من الجهة الموازية للرامي فصار الخيط معترضا على أعلى العمود فجذبته حتى توسط الحبل أعلى العمود وكان الخيط فأوثقه من إحدى الجهتين في الارض وتعلق به صاعدا من الجهة الاخرى واستقر بأعلاه وجذب الحبل واستصحب من احتمله فلم يمتد الناس لحيلته وعجبوا من شأنه (رجع) وكان أمير الاسكندرية في عهد وصولي اليها يسمى بصلاح الدين وكان فيها أيضا في ذلك العهد سلطان افريقية المخاوع وهو زكرياء أبو يحيى بن

أحمد بن أبي حفص المعروف بالبحياني وأمر الملك الناصر بانزاله بدار السلطنة من اسكندرية وأجرى له مائة درهم في كل يوم وكان معه أولاد عبد الواحد ومصرى واسكندري وحاجبه أبو زكريا بن يعقوب ووزيره أبو عبد الله ابن ياسين وبالا سكندرية توفي بالبحياني المذكور وولده الاسكندري وبقي المصري به الى اليوم قال ابن جزي من الغريب ما اتفق من صدق الزجفي أسمى ولدى البحياني الاسكندري والمصري فبات الاسكندري بها وعاش المصري دهرًا طويلاً بها وهي من بلاد مصر (رجع) وتحول عبد الواحد لبلاد الاندلس والمغرب وافريقية وتوفي هنالك بجزيرة جربة

* (ذكر بعض علماء الاسكندرية) *

فمنهم قاضيهما عماد الدين الكندي امام من أئمة علم اللسان وكان يعتم بمعامته خرفت المعتاد للعلماء لم أر في مشارق الارض ومغاربها عمامة أعظم منها رأيت يومًا قاعدًا في صدر محراب وقد كادت عمامته ان تملاً المحراب ومنهم فخر الدين بن الريغي وهو أيضاً من القضاة بالاسكندرية فاضل من أهل العلم

(حكاية) يذكر ان جد القاضي فخر الدين الريغي كان من أهل ريغة واشتغل بطلب العلم ثم رحل الى الحجاز فوصل الاسكندرية بالعشي وعوقل ليل ذات اليل فاحب أن لا يدخلها حتى يسمع فالاحسن فقعده قريبا من بابها الى ان دخل جميع الناس وجاء وقت سد الباب ولم يبق هنالك سواهما فاحتاط الموكل بالباب من ابطائه وقال متحكما ادخل يا قاضي فقال قاض ان شاء الله ودخل الى بعض المدارس ولازم القراءة وسلك طريق الفضلاء فعظم صيته وشهر اسمه وعرف بالزهد والورع واتصلت أخباره بملك مصر واتفق ان توفي قاضي الاسكندرية وبها اذالك الجرم الغفير من الفقهاء والعلماء وكلهم متشوف للولاية وهو من بينهم لا يتشوف لذلك فبعث اليه السلطان بالتقليد وهو وظهير القضاء وأناه البريد بذلك فأمر خديمه أن ينادي في الناس من كانت له خصومة فلم يحضر لها وقعد للفصل بين الناس فاجتمع الفقهاء وسواهم الى رجل منهم كانوا يظنون ان القضاء لا يتعداه وتفاوضوا في مراجعته السلطان في أمره ومخاطبته بأن الناس لا يرتضونه وحضر لذلك أحد الخذاق من المنجمين فقال لهم لا تفعلوا ذلك فاني عدلت طالع ولايته وحقته فظهر لي انه يحكم أربعين سنة فأضربوا عما هو به من المراجعة في شأنه وكان أمره على ما ظهر للعجم وعرف في ولايته بالعدل والنزاهة ومنهم وجيه الدين الصنهاجي من قضاته اشتهر بالعلم والفضل ومنهم شمس الدين ابن بنت التنيسي فاضل شهير المذكور ومن الصالحين بها الشيخ أبو عبد الله الفاسي من كبار أولياء الله تعالى يذكر انه كان يسمع رد السلام عليه اذا سلم من صلاته ومنهم الامام العالم الزاهد الخاشع الورع خليفة صاحب المكاشفات

(كرامة له) أخبرني بعض الثقات من أصحابه قال رأى الشيخ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا خليفة زرنافر حل الى المدينة الشريفة وأتى المسجد الكريم فدخل من باب السلام وحيا المسجد وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مستندا الى بعض سوارى المسجد ووضع رأسه على ركبتيه وذلك يسمى عند المتصوفة الترفيق فلما رفع رأسه وجد أربعة أرغفة وآنية فيها لبن وطبقا فيه تمر فأكل كل هو وأصحابه وانصرف عاندا الى الاسكندرية ولم يحج تلك السنة ومنهم الامام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان الدين الاعرج من كبار الزهاد وافراد العباد لقيته أيام مقامي بالاسكندرية وأدت في ضيافته ثلاثا

(ذكر كرامة له) دخلت عليه يوما فقال لي أراي أحب السياحة والجولان في البلاد فقلت له نعم اني أحب ذلك ولم يكن حينئذ خطر بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين فقال لا بذلك ان شاء الله من زيارته أخي فريد الدين بالهند وأخي ركن الدين زكريا بالهند وأخي برهان الدين بالصين فاذا بلغتهم فابلغهم مني السلام فحجبت من قوله وألقي في روعي التوجه الى تلك البلاد ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه ولما وادعته زودني دراهم لم تزل عندي محوطة ولم أحتج بعد الى انفاقها الى ان سلها مني كفارا لهنود فيما سلبوا لي في البحر ومنهم الشيخ ياقوت الحبشي من افراد الرجال وهو تلميذ أبي العباس المرسى وأبو العباس المرسى تلميذ ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي الشهير ذي الكرامات الجلية والمقامات العالية

(كرامة لأبي الحسن الشاذلي) أخبرني الشيخ ياقوت عن شيخه أبي العباس المرسى ان أبا الحسن كان يحج في كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر رجب وما بعد الى انقضاء الحج ويزور القبر الشريف ويعود على الدرب الكبير الى بلده فلما كان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها قال لخدمته استحب فاسا وقفة وحنوطا وما يجزيه الميت فقال له الخديم ولم ذا ياسيدي فقال له في حيترا سوف ترى وحيترا في صعيد مصر في صحراء عذاب وبها عين ما عزاق وهي كثيرة الضباع فلما بلغا حيترا اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين وقبضه الله عز وجل في آخر سجدة من صلاته ودفن هناك وتذرت قبره وعليه تبرية مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلا ابن الحسن بن علي رضي الله عنه

(ذكر خرب البحر المنسوب اليه) كان يسافر في كل سنة كما ذكرناه على صعيد مصر وبحر جدة فكان اذا ركب السفينة يقرؤه في كل يوم وتلامذته الى الآن يقرؤنه في كل يوم وهو هذا

(حكاية)

ومما جرى بمدينة الاسكندرية سنة سبع وعشرين وبلغنا خبر ذلك بمكة شرفها الله انه وقع بين المسلمين وتجار النصارى مشاجرة وكان والى الاسكندرية رجل يعرف بالكركى فذهب الى حامية الروم وأمر بالمسلمين فحضروا بين فصيلي باب المدينة وأغلق دونهم الابواب نكالا لهم فأنكر الناس ذلك وأعظموه وكسروا الباب وثاروا الى منزل الوالى فتحصن منهم وقتلهم من أعلاه وطيرا لجسام بالخبر الى الملك الناصر فبعث أميرا يعرف بالجلالى ثم اتبعه أميرا يعرف بطوغان جبار قاسى القلب متهم فى دينه يقال انه كان يعبد الشمس فدخلا اسكندرية وقبضا على كبار أهلها وأعيان التجار بها كالوالد الكوبك وسواهم وأخذوا منهم الاموال الطائلة وجعلت فى عنق عماد الدين القاضى جامعة حديد ثم ان الاميرين قتلوا من أهل المدينة ستة وثلاثين رجلا وجعلوا كل رجل قطعتين وصلبوه هم صفين وذلك فى يوم جمعة وخرج الناس على عادتهم بعد الصلاة لزيارة القبور وشاهدوا مصارع القوم فعظمت حسرتهم وتضاعفت آحزانهم وكان فى جملة أولئك المصلوبين تاجر كبير القدر يعرف بابن راحة وكان له قاعة معدة للسلاح ففى كان خوف أو قتال جهز منها المائة والمائتين من الرجال بما يكفيهم من الاسلحة وبالمدينة قاعات على هذه الصورة لكثير من أهلها فزل لسانه وقال للاميرين أنا ضمن هذه المدينة وكل ما يحدث فيها أطلب به وأحوط على السلطان مرتبات العساكر والرجال فأنكر الاميران قوله وقالانما تريد الثورة على السلطان وقتلاه وانما كان قصده رجة الله اظهر النصح والخدمة للسلطان فكان فيه حتفه وكنت سمعت أيام كونى بالاسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المنفق من الكون أبى عبد الله المرشدى وهو من كبار الاولياء المكاشفين انه منقطع بنية بنى عرشه له هناك زاوية هو منفرد فيها لا خديم له ولا صاحب ويقصده الامراء والوزراء وتأتيه الوفود من طوائف الناس فى كل يوم فيطعمهم الطعام وكل واحد منهم ينوى أن يأكل عنده طعاما أو فاكهة أو حلوا فيأتى لكل واحد بانواه وربما كان ذلك فى غير ابانه ويأتيه الفقهاء لطلب الخطة فيولى ويعزل وذلك كله من أمره مستفيض متواتر وقد قصده الملك الناصر مرات بموضعه فخرجت من مدينة الاسكندرية قاصدا هذا الشيخ نفعنا الله به ووصلت قرية تروجة (وضبطها بفتح التاء المعلقة والراء وواو جيم مفتوحة) وهى على مسيرة نصف يوم من مدينة الاسكندرية قرية كبيرة بها قاض ووال وناظر ولاهلها مكارم اخلاق ومروءة صبحت قاضيا صفى الدين وخطيبها خفر الدين وفاضلا من أهلها يسمى عمارك وينعت بزين الدين ونزلت بها على رجل من العباد الفضلاء كبير القدر يسمى عبد الوهاب وأضافنى ناظرها زين الدين ابن

الواعظ وسألني عن بلدي وعن مجباه فأخبرته ان مجباه نحو اثني عشر ألفا من دينار الذهب ففجب وقال لي رأيت هذه القرية فان مجباهما اثنان وسبعون ألف دينار ذهبا وانما عظمت مجابتي ديار مصر لان جميع املاكها البيت المال ثم خرجت من هذه القرية فوصلت مدينة دمنهور وهي مدينة كبيرة جبايتها كثيرة ومحاسنها كثيرة أم مدن البحيرة بأسرها وقطرها الذي عليه مدار أمرها (وضبطها بادل مهمل وميم مفتوحين وان ساكنة وهاء مضمومة وواو وراء) وكان قاضيا في ذلك العهد فخر الدين بن مسكين من فقهاء الشافعية وتولى قضاء الاسكندرية لما عزل عنها عماد الدين الكندي بسبب الواقعة التي قصصناها وأخبرني الثقة ان ابن مسكين أعطى خمسة وعشرين ألف درهم وصرفها من دنائير الذهب ألف دينار على ولاية القضاء بالاسكندرية ثم رحلنا الى مدينة فوا وهذه المدينة بحجة المنظر حسنة المخبر بها البساتين الكثيرة والفوائد الخطيرة الاثيرة (وضبطها بالفاء والواو المفتوحين مع تشديد الواو) بها قبر الشيخ الولي أبي النجاة الشهير الاسم خبير تلك البلاد وراوية الشيخ أبي عبد الله المرشدي الذي قصصته بمقربة من المدينة بفصل بينهما خليج هنالك فلما وصلت المدينة تعديتها ووصلت الى زاوية الشيخ المذكور قبل صلاة العصر وسلمت عليه ووجدت عنده الامير سيف الدين يملك وهو من الخاصة كية (وأول اسمه ياء آخر الحروف ولا مه الاولي مسكنة والثانية مفتوحة مثل الميم) والعامية تقول فيه الملك فيخطئون ونزل هذا الامير بعسكره خارج الزاوية ولما دخلت على الشيخ رحمه الله قام الى وعانقني وأحضر طعاما فزنا كافي وكانت عليه جبة صوف سوداء فلما حضرت صلاة العصر قدمني للصلاة اماما وكذلك لكل ما حضرني عنده حين اقامتي معه من الصلاة ولما أردت النوم قال لي اصعد الى سطح الزاوية فتم هنالك وذلك وان القبط فقلت للامير بسم الله فقال لي وما منا الا له مقام معلوم فصعدت السطح فوجدت به حصيرا ونطعا وآنية للوضوء وجرة ماء وقد حلت الشرب فتمت هنالك

(كرامة لهذا الشيخ) رأيت ليلتي تلك وأنا نائم بسطح الزاوية كأني على جناح طائر عظيم يطير بي في سميت القبلة ثم يتيامن ثم يشرق ثم يذهب في ناحية الجنوب ثم يبعد الطيران في ناحية الشرق وينزل في أرض مظلمة خضراء ويتركني بها فنجبت من هذه الرؤيا وتلمت في نفسي ان كاشفني الشيخ بروياي فهو كما يحكي عنه فلما غدوت لصلاة الصبح قدمني اماما لهاشم أناه الامير يملك فوادعه وانصرف ووادعه من كان هنالك من الزوار وانصرفوا أجمعين من بعد ان زودهم كعيكات صغارا ثم سبحت سحرة الضحى ودعاني وكاشفني بروياي فقصصتها عليه فقال سوف تحج وترزور النبي صلى الله عليه وسلم وتجول في بلاد اليمن

والعراق وبلاد اترك وبلاد الهند وتبقى بهامدة طويلة وستلقى بها أخى دلشاد الهندى ويخلصك من شدة تتع فيهما ثم زودنى كعيكات ودراهم وواحدة وانصرفت ومنذ فارقت لم ألق فى اسقارى الا خيرا وظهرت على بركاته ثم لم ألق فيمن لقيته مثله الا الولى سيدى محمد الموله بأرض الهند ثم رحلنا الى مدينة النحرارية وهى رحبة الفناء حديثة البناء أسواقها حسنة الروياء (وضبطها بفتح النون وحاء من حل مسكن وراين) وأميرها كبير القدر يعرف بالسعدى وولده فى خدمة ملك الهند وسنذكره وقاضيه صدر الدين سليمان المالكي من كبار المالكية سافر عن الملك الناصر الى العراق وولى قضاء البلاد الغربية وله هيئة جميلة وصورة حسنة وخطيبها شرف الدين السخاوى من الصالحين ورحلت منها الى مدينة ابيار وهى قديمة البناء أرجة الارجا، كثيرة المساجد ذات حسن زائد (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وياء آخر الحروف وألف وراء) وهى بمقربة من النحرارية وينصل بينهما النيل وتصنع بأبيار ثياب حسان تغلوقيتها بالشأم والعراق ومصر وغيرها ومن الغريب قرب النحرارية منها والثياب التى تصنع بها غير معتبرة ولا مستحسنة عند أهلها ولقيت بابيار قاضيه عز الدين الملبى الشافعى وهو كرم السمايل كبير القدر حضرت عنده مرة يوم الركبة وهم يسمون بذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه ان يجتمع فقهاء المدينة وجوهرها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضى ويقف على الباب تنقيب المتعمين وهو ذوشارة وهيئة حسنة فاذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب ومشى بين يديه قائلا بسم الله سيدنا فلان الدين فيسمع القاضى ومن معه فيقومون له ويجلسه النقيب فى موضع يليق به فاذا تكاملوا هنالك ركب القاضى وركب من معه أجمعين وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان وينتهدون الى موضع من تقع خارج المدينة وهو من تقب الهلال عندهم وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش فينزل فيه القاضى ومن معه فيرتقبون الهلال ثم يعودون الى المدينة بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفرايزس ويوقد أهل الخوانيت بحوانيتهم الشمع ويصل الناس مع القاضى الى داره ثم ينصرفون هكذا فعلهم فى كل سنة ثم توجهت الى مدينة المحلة الكبيرة وهى جميلة المقدار حسنة الآثار كثير أهلها جامع بالمحاسن شملها واسمها بين وهذه المدينة قاضى القضاة ووالى الولاية وكان قاضى قضائهما أيام وصولى اليها فى فراش المرض ببستان له على مسافة فرسخين من البلد وهو عز الدين ابن الأشمرين فقصدت زيارته صبيحة نائبه الفقيه أبى القاسم بنون المالكي التونسى وشرف الدين الدميرى قاضى محلة منوف وأقنعا عنده يوما وسمعت منه وقد جرى ذكر الصالحين ان على مسيرة يوم من المحلة الكبيرة بلاد البراس ونسترو

وهي بلاد الصالحين وبها قبر الشيخ مرزوق صاحب المداكشفات فقصدت تلك البلاد ونزلت
بزواية الشيخ المذكور وذلك البلاد كثيرة النخل والثمار والطير البحرية والحيات المعروفة
بالبورى ومدى نهم تسمى ملطين وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر
المعروفة بحيرة تنيس ونسترو بمقربة منها نزلت هنالك بزواية الشيخ شمس الدين القساوى من
الصالحين وكانت تنيس بلدا عظيما شهيرا وهي الآن خراب قال ابن جزي (تنيس بكسر التاء
المتناة والنون المشددة ويا عوسين مهمل) واليه ينسب الشاعر المجيد أبو الفتح بن وكيع وهو
القائل في خليجها

قم فاسقنى والخليج مضطرب * والريح تثنى ذوائب القصب
كأنها والرياح تعطفها * صب قنا سندسية العذب
والجوف حلة ممسكة * قد طرزتها البروق بالذهب

(ونسترو بفتح النون واسكان السين وراع مفتوحة وواو مسكن) (والبراس بياء موحدة وراء
وآخره سين مهمل وقيد بعضهم بضم حروفه الاول الثلاث وتشديد اللام وقيد أبو بكر بن
نقطة بفتح الاولين) وهو على البحر ومن غريب ما اتفق به ما حكاه أبو عبد الله الرازى عن أبيه
ان قاضى البراس وكان رجلا صالحا خرج ليلة الى النيل فبينما أسبغ الوضوء صلى ماشاء
الله ان يصلى اذ سمع قائلا يقول

لولا رجال لهم سر يصومونا * وآخرون لهم ورد يقومونا
لزلت أرضكم من تحتكم سحرا * لانكم قوم سوء لا تبالونا

قال فتجوزت في صلاتى وأدرت طرفى فأريت أحدا ولا سمعت حسنا علمت ان ذلك زاجر من
الله تعالى (رجع) ثم سافرت فى أرض رملة الى مدينة دمياط وهي مدينة فسيحة الاقطار
متنوعة الثمار عجيبه الترتيب آخذة من كل حسن بنصيب (والناس يضبطون اسمها
بأعجام الدال وكذلك ضبطه الامام أبو محمد عبد الله بن على الرشايطى وكان شرف الدين الامام
العلامة أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى امام المحدثين يضبطها بأهال الدال ويتبع
ذلك بأن يقول خلاف الرشايطى وغيره وهو أعرف بضبط اسم بلده) ومدينة دمياط على شاطئ
النيل وأهل الدور الموالية له يستقون منه الماء بالدلاء وكثير من دورها يمدركات ينزل فيها
الى النيل وشجر الموز بها كثير يجعل ثمره الى مصر فى المراكب وغنمها سائمة هملا بالليل والنهار
ولهذا يقال فى دمياط سورها حلوا وكلابها غنم وإذا دخلها أحد لم يكن له سبيل الى الخروج
عنها الا بطابع الوالى فن كان من الناس معتبرا طبع له فى قطعة كاغد يستظهر به لحراس
بابها وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به والطير البحرية بهذه المدينة كثير متناهى السمن

وبها الالبان الجاموسية انتى لامثل لها فى عذوبة النظم وطيب المذاق وبها الحوت البورى
يحمل منها الى انشأهم وبلاد الروم ومصر وبخارجها جزرة بين البحر والنيل تسمى البرزخ
بها مسجد وزاوية تقيت بها شيخها المعروف بابن قنل وحضرت عنده ليلة جمعة ومعه جماعة
من الفقراء انفضلاء المتعبدين الاخيار قطعوا اليهم م صلاة وتراءة وذكر ودمياط هذه
حديثة البناء والمدينة القديمة عى انتى خربها الا فرنج على عهد الملك الصالح وبها زاوية
الشيخ جمال الدين الساوى قدوة الطائفة المعروفة بالقرندرية وهم الذين يحلقون لحاهم
وحرابهم ويسكن الزاوية فى هذا العهد الشيخ فتح التكرورى
(حكاية)

يذكر ان السبب الداعى للشيخ جمال الدين الساوى الى خلق لحيته وحاجبيه انه كان جميل
الصورة حسن الوجه فعلقته به امرأة من أهل ساوة وكانت ترأسه وتعارضه فى الطرق
وتدعو له لنفسها وهو يمتنع ويتهاون فلما أعياها أمره دست له بحوز تصدت له ازاء دار على
طريقه الى المسجد وبها كتاب مختوم فلما مر بها قالت له ياسيدى اتحسن القراءة قال نعم
قالت له هذا الكتاب وجهه الى ولدى وأحب أن تقرأه على فقال لها نعم فلما فتح الكتاب قالت
له ياسيدى ان لولدى زوجة وهى بأسطوان الدار فلو تفضلت بقراءته بين بابى الدار بحيث
تسمعها فأجابها بذلك فلما توسط بين البابين غلقت الباب وخرجت المرأة وجوارىها
فتعلقن به وأدخلنه الى داخل الدار وراودته المرأة عن نفسه فلما رأى ان لا خلاص له قال لها
انى حيث تريدن فأرينى بيت الخلاء فأرته اياه فأدخل معه الماء وكانت عنده موسى جديدة
فلحق لحيته وحاجبيه وخرج عليهم افاستقبحت هيئته واستنكرت فعله وأمرت باخراجه
وعصمه الله بذلك فبقى على هيئته فيما بعد وصار كل من يسلك طريقته يحلق رأسه ولحيته
وحاجبيه

(كرامة لهذا الشيخ) يذكر انه لما تصد مدينة دمياط لزم مقبرتها وكان بها فاض يعرف بابن العميد
فخرج يوما الى جنازة بعض الاعيان فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة فقال له أنت الشيخ المبتدع
فقال له وأنت القاضى الجاهل تمر بدارتلك بين القبور وتعلم ان حرمة الانسان ميتا كحرمة
حيا فقال له انت قاضى وأعظم من ذلك حلقك للحيتك فقال له اياى تعنى وزعق الشيخ ثم رفع
رأسه فاذا هو ذو لحية سوداء عظيمة ففجب القاضى ومن معه ونزل اليه عن بغلته ثم زعق ثانية
فاذا هو ذو لحية بيضاء حسنة ثم زعق ثالثة ورفع رأسه فاذا هو بلا لحية كهيئته الاولى فقبل
القاضى يده وتلمذ له وبني له زاوية حسنة وحجبه أيام حياته ثم مات الشيخ فدفن بزاويته ولما
حضرت القاضى وفاته أوصى أن يدفن بباب الزاوية حتى يكون كل داخل الى زيارة الشيخ يطأ

قبره وبخارج دمياط المزار المعروف بشطا (بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة) وهو ظاهر البركة
يتسده أهل انديار المصري وله أيام في السنة معلومة لذلك وبخارجها أيضا بين بسايتين موضوع
يعرف بالمنية فيه شيخ من الفضلاء يعرف بابن النعمان قصدت زاويته وبنت عنده وكان
بدمياط أيام اقامتي بها وال يعرف بالمحسن من ذوى الاحسان والفضل بنى مدرسة على
شاطئ النيل بها كان نزولي في تلك الايام وتأكدت بيني وبينه مودة ثم سافرت الى مدينة
فارس كوروهى مدينة على ساحل النيل (والكاف الذى فى اسمها مضموم) ونزلت بخارجها
ولحقنى هنالك فارس وجهته الى الامير المحسنى فقال لى ان الامير سأل عنك وعرف
بسيرتك فبعث اليك بهذه النفقة ودفع الى جملة دراغهم جزاء الله خير ثم سافرت الى مدينة
أشمون الرمان (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الشين المعجم) ونسبت الى الرمان لكثرة بها
ومنها يحمل الى مصر وهى مدينة عتيقة كبيرة على خليج من خليج النيل ولها قنطرة خشب
ترسو المراكب عندها فاذا كان العصر رنعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة
ومنحدرة وبهذه البلدة قاضى انقضائه والى الولاية ثم سافرت عنى الى مدينة سمندود وهى على
شاطئ النيل كثيرة المراكب حسنة الاسواق وبينها وبين المحلة الكبيرة ثلاثة فراسخ (وضبط
اسمها بفتح السين المهملة والميم وتشديد النون وضعا وواو ودال مهملة) ومن هذه المدينة
ركبت النيل مسعة عنى الى مصر ما بين مدائن وقرى منتظمة متصل بعضها ببعض ولا يفتقر
راكب النيل الى استئجار الزاد لانه معها اراد النزول بالشاطئ نزل للوضوء والصلاة وشراء
الزاد وغير ذلك والاسواق متصلة من مدينة الاسكندرية الى مصر ومن مصر الى مدينة اسوان
من الصعيد ثم وصلت الى مدينة مصر هى أم البلاد وقرارة فرعون ذى الاوتاد ذات
الافاليم العريضة والبلاد الارضية المتناهية فى كثرة العمارة المتباهية بالحسن
والنضارة جميع الوارد والصادر ومحط رحل الضعيف والقدار وبها ما شئت من عالم
وجاهل وجاد وهازل وحليم وسفيه ووضيع ونبیه وشريف ومشروف ومنكر
ومعروف تموج موج البحر بسكانها وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وامكانها شبابهها
يجد على طول العمد وكوكب تعديله الا يبرح عن منزل السعد قهرت قاهرته الامم
وتماكنت ما زكها نواصى العرب والعجم ولها خصوصية النيل انى جل خطرها وأغناها
عن أن يستمد القطر قطرها وأرضها مسيرة ثم لمجد السير كريمة التربة مؤنسة لذوى
العربة قال ابن جزي وفيها يقول الشاعر

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هى الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان والخورعيتها * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وفيهما

وفيهما يقول ناصر الدين بن ناهض (رجم)

شاطئ مصر جنة * ماملها من بلد
لا سيما من زخرقت * بنيلها المطرد
وللرياح فوقه * سوابغ من زرد
مسرودة مامسها * داودها بميرد
سائلة هوأوها * يرعد عارى الجسد
والفلك كالافلاك بين حادر ومصد

(رجم) ويقال ان بمصر من السقائين على الجمال اثني عشر ألف سقاء وان بها ثلاثين ألف مكار وان بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفا لاسلطان والريعية تمر صاعدة الى الصعيد ومنحدرة الى الاسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق وعلى ضفة النيل هما يواجه مصر الموضع المعروف بالروضة وهو مكان التفرقة والتفرج وبه البساتين الكثيرة الحسنة وأهل مصر ذو طرب وسرور ولهو شاهدت بها مرة فرجة بسبب براء الملك الناصر من كسر أصاب يده فزين كل أهل سوق سوقهم وعلقوا بحوانيتهم الحلل والحلى وثياب الحرير وبقوا على ذلك أياما

* (ذكر مسجد عمرو بن العاص والمدارس والمارستان والزوايا) *

ومسجد عمرو بن العاص مسجد شريف كبير القدر شهير الذكر تقام فيه الجمعة والطريق يعترضه من شرق الى غرب وبشرقه الزاوية حيث كان يدرس الامام أبو عبد الله الشافعي وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بمصرها لكثرتها وأما المارستان الذي بين القصرين عند ترعة الملك المنصور قلاوون فيحجز الواسف عن محاسنه وقد أعد فيه من المرافق والادوية ما لا يحصرويدكران مجبهاه ألف دينار كل يوم وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها لخوانتي واحدها خانقة والامراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الاعاجم وهم أهل أدب ومعرفة بطريفة التصوف ولكل زاوية شيخ وحارس وترتيب أمورهم عجيب ومن عوايدهم في الطعام انه يأتي خديم الزاوية الى انفقراء صبا حانعين له كل واحد ما يشتهي من الطعام فاذا اجتمعوا للاكل جعلوا لكل انسان خبزه ومرقه في أناء على حدة لا يشاركه فيه أحد وطعامهم مرتان في اليوم ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف ومرتب شهري من ثلاثين درهما للراحد في الشهر الى عشرين ولهم الخلاوة من السكر في كل ليلة جمعة والصابون لغسل أثوابهم والاجرة لدخول الحمام والزيت للاستصباح وهم اعزاب وللتزوجين زوايا على حدة ومن المشترط عليهم حضور الصلوات

الخمس والمبيت بالزاوية واجتماعهم بقبة داخل الزاوية ومن عوايدهم أن يجلس كل واحد منهم على سجادة مختصة به وإذا صلوا صلاة الصبح قرأوا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم ثم يؤتى بنسخ من القرآن العظيم بجزء فيأخذ كل فقير جزءاً ويختمون القرآن ويذكرون ثم يقرأ القراء على عادة أهل المشرق ومثل ذلك يفعلون بعد صلاة العصر ومن عوايدهم مع القادم أنه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدوداً الوسط وعلى كاهله سجادة ويمتد العكاز ويسراده البرق فيعلم البواب خديم الزاوية بمكانه فيخرج اليه ويسأله من أى البلاد أتى وبأى الزوايا نزل في طريقه ومن شيخه فإذا عرف صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادة في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضوء ويأتى الى سجادته فيحجل وسطه ويصلى ركعتين ويصانح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم ومن عوايدهم أنهم إذا كان يوم الجمعة أخذ الخادم جميع سجادهم فيذهب بها الى المسجد ويفرشها لهم هنالك ويخرجون مجتمعين ومعهم شيخهم فيأتون المسجد ويصلى كل واحد على سجادته فإذا فرغوا من الصلاة قرأوا القرآن على عادتهم ثم ينصرفون مجتمعين الى الزاوية ومعهم شيخهم

(ذكر قراة مصر وضراراتها)

ولمصر القراة العظيمة الشأن في التبرك بها وقد جاء في فضلها أثر أخرجه القرطبي وغيره لأنها من جملة الجبل المقطم الذى وعد الله أن يكون روضة من رياض الجنة وهم يبنون بالقراة القباب الحسنة ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور وينون بها البيوت ويرتبون القراء يقرأون ليلاً ونهاراً بالاصوات الحسان ومنهم من يبنى الزاوية والمدرسة الى جانب التربة ويخرجون في كل ليلة جمعة الى المبيت بها بأولادهم ونسائهم ويطوفون على المزارات الشهيرة ويخرجون أيضاً للمبيت باليلة النصف من شعبان ويخرج أهل الاسواق بصنوف المأكول ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام وعليه رباط ضخم عجيب البناء على أبوابه حلق الفضة وصفائحها أيضاً كذلك وهو موافق الحق من الاجلال والتعظيم ومنهاتر به السيدة نفيسة بنت زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام وكانت محابة الدعوة مجتهدة في العبادة وهذه التربة أنيقة البناء مشرقة الضياء عليها رباط مقصود ومنهاتر به الامام أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضى الله عنه وعليها رباط كبير ولها جارية ضخمة وبها القبة الشهيرة البديعة الاتقان العجيبة البنيان المتناهية الاحكام المفردة السمو وسعتها يزيد من ثلاثين ذراعاً وبقراة مصر من قبور العلماء والصالحين ما لا يضبطه الحصر وبها عدد جهم من الصحابة وصدور السلف والخلف رضى الله تعالى عنهم مثل عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز واصبغ

ابن الفرج وابن عبد الحكم وأبي القاسم بن شعبان وأبي محمد عبد الوهاب لكن ليس لهم بها
اشتهار ولا يعرفهم الا من له بهم عناية والشافعي رضى الله عنه ساعده الجدي في نفسه وأتباعه
وأصحابه في حياته ومماته فظهر من أمره مصداق قوله (كامل)

الجدي في كل أمر شاسع * والجدي يفتح كل باب مغلق
(ذكر نيل مصر)

ونيل مصر يفضل أنهار الارض عذوبة مذاق واتساع قطار وعظم منفعة والمدن والقري
بضفتيه منتظمة ليس في المعمور مثلها ولا يعلم نهر يزدرع عليه ما يزدرع على النيل وليس في
الارض نهر يسمى بجرا غير قال الله تعالى فاذا خفت عليه فالتقيه في اليم نسماها يما وهو
البحر وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل ليلة الاسراء الى سدرة
المنتهى فاذا في أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسأل عنها جبريل عليه
السلام فقال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي الحديث أيضا ان
النيل والفرات وسيحان وجيحان كل من أنهار الجنة ويجرى النيل من الجنوب الى الشمال
خلافا لجميع الانهار ومن عجائبه ان ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الانهار وجفوفها
وابتداء نقصه حين زيادة الانهر وفيضاها ونهر السند مثله في ذلك وسيأتى ذكره وأول ابتداء
زيادته في حزيران وهو يونيه فاذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعا تم خراج السلطان فان زاد
ذراعا كان الخصب في العام والصالح التام فان بلغ ثمانية عشر ذراعا أضرب بالضياح
وأعقب الوباء وان نقص ذراعا عن ستة عشر نقص خراج السلطان وان نقص ذراعين
استسقى الناس وكان الضرر الشديد والنيل أحد أنهار الدنيا الخمسة الكبار وهي النيل
والفرات والدجلة وسيمون وجيحون وتمثلها أنهار خمسة أيضا نهر السند ويسمى بنج اب ونهر
الهند ويسمى الكنك واليه تجح الهنود واذا حرقوا أموالهم رموا برماهم فيه ويقولون هو
من الجنة ونهر الجون بالهند أيضا ونهر أتل بصحراء قنحق وعلى ساحله مدينة السرا ونهر السرو
بأرض الخطا وعلى ضفته مدينة خان بالق ومنها ينحدر الى مدينة الخنسا ثم الى مدينة الزيتون
بأرض الصين وسيد كذلك كله في مواضعه ان شاء الله والنيل يفتقر بعد مسافة من مصر
على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها الا في السفن شتاء وصيفا وأهل كل بلد لهم خيلجان تخرج
من النيل فاذا مدأ ترعها ففاضت على المزارع

(ذكر الاهرام والبرابي)

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور والناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها
وأولية بنائها ويرسمون ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الاول

الساكن بصعيد مصر الاعلى ويسمى خنوخ وهو ادريس عليه السلام وانه اول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنا الهياكل ومجد الله تعالى فيها وانه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العاوم فيها التبقى مخلدة ويقال ان دار العلم والملك بمصر مدينة منوف وهى على بر يد من الفسطاط فلما بنيت الاسكندرية انتقل الناس اليها وصارت دار العلم والملك الى ان أتى الاسلام فاخطط عمرو بن العاص رضى الله عنه مدينة الفسطاط فهى قاعدة مصر الى هذا العهد والاهرام ببناء بالحجر الصلد المنحوت متناهى السمو مستدير متسع الاسفل ضيق الاعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها وما يذكرون في شأنها ان ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هائلة وأوجبت عنده انه بنى تلك الاهرام بالجانب الغربى من النيل لتسكون مستودع العلوم ولجثة الملوك وانه سأل المنجمين هل يفتح منها موضع فأخبروه انها تفتح من الجانب الشمالى وعينوا له الموضع الذى تفتح منه ومبلغ الاتفاق فى فتحه فأمر ان يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه انه ينطق فى فتحه واشتد فى البناء فأتمه فى ستين سنة وكتب عليها بنينا هذا الاهرام فى ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك فى ستائة سنة فان الهدم أيسر من البناء فلما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر ان لا يفعل فليج فى ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالى فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فحمت الثمة التى بها الى اليوم ووجدوا بازاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق فى النقب فوجدها سواء فطال عجبهم من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا

(ذكر سلطان مصر)

وكان سلطان مصر على عهد دخول اليها الملك الناصر أبو الفتح محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى وكان قلاوون يعرف بالالقي لان الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهبيا وأصله من قنقش وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة والفضائل العظيمة وكفاه شرفا انتما وخدمة الحرمين الشريفين وما يفعله فى كل سنة من افعال البر التى تعين الخجاج من الجبال التى تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء وتحمل من تأخر واضعف عن المشى فى الدارين المصرى والشامى وبنى زاوية عظيمة بسر ياقص خارج القاهرة لى كن الزاوية التى بناها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكهف الفقراء والمساكين خليفة الله فى أرضه القائم من الجهاد بقله وفرضه أبو عنان أيد الله أمره وأظهره وسنى له الفتح المبين ويصره بخارج حضرته العلمية المدينة البيضاء حرسها الله لانظير لها فى المعمور فى اتقان الوضع وحسن

البناء والنقش في الجص بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله وسيأتي ذكر ما عمره أيده الله من المدارس والمارستان والزوايا بلاده حرسها الله وحفظها بدوام ملكه

(ذکر ربع عن اعمام مصر)

منهم ساقى الملك الناصر وهو الامير بكتومور (وضبط اسمه بضم الباء الموحدة وكاف مسكن وتاء معلوة مضمومة وآخره راء) وهو انذى قتله الملك الناصر بالسم وسيد كذلك ومنهم نائب الملك الناصر ارغون اندودار وهو الذى رلى بكتومور فى المنزلة (وضبط اسمه بفتح الهمزة واسكان الراء وضم الغين المتحجرة) ومنهم طشط المعروف بجمص أخضر (واسمه بطاين ميم ملين مضمومين بينهم شين معجم) وكان من خيار الامراء وله الصدقات الكثيرة على الايتام من كسوة ونفقة واجرة لمن يعلمهم القرآن وله الاحسان العظيم للخرافيش وهم طائفة كبيرة أشغل صلابه وجاه ودعارة وسجنه الملك الناصر مرة فاجتمع من الخرافيش آلاف ووقفوا بأسفل القلعة ونادوا بلسان واحد يا أعرج النحس يعنون الملك الناصر أخرجه فاخرجه من محبسه وسجنه مرة أخرى ففعل الايتام مثل ذلك فأطلقه ومنهم وزير الملك الناصر يعرف بالجمالى بفتح الجيم ومنهم بدر الدين بن البابه ومنهم جمال الدين نائب الكرك ومنهم تتر دمور (واسمه بضم التاء المعلوة وضم القاف وزاء مسكن ثم دال مضمومة وميم مثله وآخره راء) ودمور بالتركية الحسيد ومنهم بهادور الحجازى (واسمه بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهملة وآخره راء) ومنهم قوصون (واسمه بفتح القاف وصاد مهملة مضمومة) ومنهم بشتك (واسمه بفتح الباء الموحدة واسكان الشين المعجم وتاء معلوة مفتوحة) وكل هؤلاء يتنافسون فى افعال الخيرات وبناء المساجد والزوايا ومنهم ناظر جيش الملك الناصر وكاتبه القاضى خفر الدين النقبطى وكان نصرانيا من القبط فأسلم وحسن اسلامه وله المسكارم العظيمة والفضائل الثمامة ودرجته من أعلى الدرجات عند الملك الناصر وله الصدقات الكثيرة والاحسان الجزيل ومن عادته ان يجلس عشى النهار فى محاسن له باسطوان داره على النيل ويليه المسجد فاذا حضر المغرب صلى فى المسجد وعاد الى مجلسه وأوفى بالطعام ولا يمنع حينئذ أحدا من الدخول كائنا من كان فىن كان ذا حاجة تكلم فيها فضاها له ومن كان طالب صدقة أمره ان يذهب اليه كالهدية بدر الدين واسمه لؤلؤ بان يصحبه الى خارج الدار وهناك خازنه معه صرراهم فاعطيه ما قدر له ويحضر عنده فى ذلك الوقت الفقهاء ويقرأين يديه كتاب البخارى فاذا صلى العشاء الاخيرة انصرف الناس عنه

(ذكر القضاة بمصر في عهد دخولها)

فمنهم قاضي القضاة الشافعية وهو راعاهاهم منزلة وأكبرهم قدرا واليه ولاية القضاة بمصر

وعزلهم وهو القاضي الامام العالم بدر الدين بن جماعة وابنه عز الدين هو الان متولى ذلك ومنهم قاضى القضاة المالكية الامام الصالح تقي الدين الاخنائي ومنهم قاضى القضاة الحنفية الامام العالم شمس الدين الحريرى وكان شديد السطوة لا تأخذه فى الله لومة لائم وكانت الامراء تتخافه ولقد ذكر لى ان الملك الناصر قال يوما لجلسائه انى لا أخاف من أحد الامن شمس الدين الحريرى ومنهم قاضى القضاة الحنبلية ولا أعرفه الا ان الله كان يدعى بعز الدين

(حكاية)

كان الملك الناصر رحمه الله يقعد للنظر فى المظالم ورفع قصص المتشككين كل يوم اثنين وخمس ويقعد القضاة الاربعة عن يساره وتقرأ القصص بين يديه ويعين من يسأل صاحب القصة عنها وقد سلك مولانا أمير المؤمنين ناصر الدين أيدى الله فى ذلك مسلكا لم يسبق اليه ولا هز يد فى العدل والتواضع عليه وهو سؤاله بذاته الكريمة لكل متظلم وعرضه بين يديه المستقيمة أبى الله ان يحضرها سواء أدام الله أيامه وكان رسم القضاة المذكورين أن يكون أعلاهم منزلة فى الجلوس قاضى الشافعية ثم قاضى الحنفية ثم قاضى المالكية ثم قاضى الحنبلية فلما توفى شمس الدين الحريرى وولى مكانه برهان الدين بن عبد الحق الحنفى أشار الامراء على الملك الناصر بأن يكون مجلس المالكية فوقه وذكر وان العادة جرت بذلك قديما اذ كان قاضى المالكية زين الدين بن مخلوف يلي قاضى الشافعية تقي الدين بن دقيق العيد فأمر الملك الناصر بذلك فلما علم به قاضى الحنفية غاب عن شهود المجلس أنفة من ذلك فأذكر الملك الناصر مغيبه وعلم ما قصده فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه أخذ الحاجب بيده وأتبعه حيث نفذ أمر السلطان مما يلي قاضى المالكية واستقر حاله على ذلك (ذكر بعض علماء مصر وأعيانها)

قنهم شمس الدين الاصمباني امام الدنيا فى المعقولات ومنهم شرف الدين الزاوى المالكي ومنهم برهان الدين بن بنت الشاذلي نائب قاضى القضاة بجامع الصالح ومنهم ركن الدين بن القوبع التونسي من الأئمة فى المعقولات ومنهم شمس الدين بن عدلان كبير الشافعية ومنهم بهاء الدين بن عقيل فقيه كبير ومنهم أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطى وهو أعلمهم بالنحو ومنهم الشيخ الصالح بدر الدين عبد الله المنوفى ومنهم برهان الدين الصفاقسى ومنهم قوام الدين الكرمانى وكان سكناه بأعلى سطح الجامع الازهر وله جماعة من الفقهاء والقراء يلزمونه ويدرس فنون العلم ويفتى فى المذاهب ولباسه عباءة صوف خشنه و٤٠٠ صوف سوداء ومن عادته أن يذهب بعد صلاة العصر الى مواضع الفرج

والتزامات منفردا عن أعجابه ومنهم السيد الشريف شمس الدين ابن بنت الصاحب تاج الدين بن حناء ومنهم شيخ شيوخ الفقراء بديار مصر محمد الدين الاقصراني نسبة الى اقصر امن بلاد الروم ومسكنه سر يا قص ومنهم الشيخ جمال الدين الحويراني والحويراني على مسيرة ثلاثة أيام من البصرة ومنهم نقيب الاشراف بديار مصر السيد الشريف المعظم بدر الدين الحسيني من كبار الصالحين ومنهم وكيل بيت المال المدرس بقبة الامام الشافعي محمد الدين بن حرمي ومنهم المحتسب بمصر نجم الدين السهرقي من كبار الفقهاء وله بصيرر ياسة عظيمة وجاه

(ذكر يوم المجل بمصر)

وهو يوم دوران الجبل يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه انه يركب قضاة القضاة الاربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وتقدم ذكرنا جميعهم ويركب معهم اعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة ويقصدون جميعا باب القلعة دار الملك الناصر فيخرج اليهم المجل على جمل وامامه الامير المعين لسفر الجواز في تلك السنة ومعه عسكره والسقاؤون على جماهم ويجمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ثم يطوفون بالمجل وجميع من ذكرنا معه بمدينتي القاهرة ومصر والحدائق يحشدون امامهم ويكون ذلك في رجب فعند ذلك تهيج العزمات وتنبعث الاشواق وتحرك البواعث ويلقي الله تعالى العزيمة على الحج في تلب من يشاء من عباده فيأخذون في التأهب لذلك والاستعداد ثم كان سفري من مصر على طريق الصعيد برسم الجواز الشريف فبت ليلة خروجي بالرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين بن حناء بدير الطين وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار كريمة أودعها فيه وهي قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذي كان يكتحل به والدرفش وهو الاشفا الذي كان يخصف به نعله ومحفف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بخط يده رضى الله عنه ويقال ان الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية بمائة ألف درهم وبني الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجارية لخدم تلك الآثار الشريفة نفقة الله تعالى بقصده المبارك ثم خرجت من الرباط المذكور ومررت بمنية القانده وهي بلدة صغيرة على ساحل النيل ثم سرت منها الى مدينة بوش (وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم) وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كثانا ومنه يجلب الى سائر الديار المصرية والى افريقية ثم سافرت منها فوصلت الى مدينة دلاص (وضبط اسمها بفتح الدال المهملة وآخره صاد مهملة) وهذه المدينة كثيرة السكان أيضا كمثل التي ذكرنا قبلها ويجعل أيضا منها الى ديار مصر وافريقية ثم سافرت منها الى مدينة بيا (وضبط اسمها بياءين موحدين أولاهما مكسورة) ثم سافرت منها الى مدينة البهنسة وهي مدينة كبيرة وبساتينها كثيرة (وضبط اسمها بفتح الموحدة واسكان

الهاء وفتح النون والسين) وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الجميدة ومن لقيته بها قاضيهما العالم شرف الدين وهو كريم النفس فاضل ولقيت بها الشيخ الصالح أبا بكر الجعفي ونزلت عنده وأضافني ثم سافرت منها إلى مدينة منية ابن خصيب وهي مدينة كبيرة الساحة متسعة المساحة مبنية على شاطئ النيل وحق حقيق لها على بلاد الصعيد التفضيل بها المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكانت في القديم منية لخصيب عامل مصر
 (حكاية خصيب)

يذكر أن أحد الخلفاء من بني العباس رضى الله عنهم غضب على أهل مصر فألى أن يولى عليهم أحقر عبده وأصغرهم شأنًا قصد الإرداهم والتكيل بهم وكان خصيب أحقرهم إذ كان يتولى تسخين الحمام فخلع عليه وأمره على مصر وظنه أنه يسير فيهم سيرة سوء ويقصدهم بالاذية حسبه هو المعهود من ولى عن غير عهد بالعز فلما استقر خصيب بمصر سار في أهلها أحسن سيرة وشهر بالكرم والايثار فكان أقارب الخلفاء وسواهم يقصدونه فيجزل العطاء لهم ويعودون إلى بغداد شاكرين لما أولاهم وإن الخليفة افتقد بعض العباسيين وغاب عنه مدة ثم أتاه فساءله عن مغيبه فأخبره أنه تصد خصبًا وذكرك له ما أعطاه خصيب وكان عطاء جزيلًا فغضب الخليفة وأمر بسمي عيني خصيب وإخراجه من مصر إلى بغداد وأن يطرح في أسواقها فلما ورد الأمر بالقبض عليه حيل بينه وبين دخول منزله وكانت بيده ياقوتة عظيمة الشأن فخبأها عنده وخطها في ثوب له ليلًا وسلمت عيناه وطرح في أسواق بغداد فربى بعض الشعراء فقال له يا خصب انى كنت قصدك من بغداد إلى مصر ما دالك بقصيدة فوافقت انضرافك عنها وأحب أن تسمعها فتمتال كيف بسماعها وأنا على ما تراه فتمتال انما قصدى سماعك لها وأما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزلت جزاك الله خيرًا قال فافعل فأنشده

(كامل) أنت الخصب وهذه مصر * فتدققا فكلًا كلبجر

فلما أتى على آخرها قال له افتق هذه الخياطة ففعل ذلك فقال له خذ الياقوتة فأبى فأقسم عليه أن يأخذها فأخذها وذهب بها إلى سوق الجوهرين فباع عرضها عليهم قالوا له ان هذه لا تصلى إلا للخليفة فرفعوا أمرها إلى الخليفة فأمر الخليفة باحضار الشاعر واستفهمه عن شأن الياقوتة فأخبره بخبرها فتأسف على ما فعله بخصيب وأمر بمثوله بين يديه وأجزل له العطاء وحكه فيما يريد فرغب أن يعطيه هذه المنية ففعل ذلك وسكنها خصب إلى أن توفى وأورثها عقبه إلى أن انقرضوا وكان قاضى هذه المنية أيام دخولى إليها فخر الدين النويرى المالكي واليهما شمس الدين أمير خير كريم دخلت يوما الحمام بهذه البلدة فرأيت الناس بها لا يسترون فعظم ذلك على وأتيت فاعلمته بذلك فأمرني أن لا أبرح وأمر باحضار أكثرين للحمامات

وكتبت

وكتبت عليهم العقود انه متى دخل أحد الحمام دون ميزرفانهم يراخذون على ذلك واشتد عليهم أعظم الاشتداد ثم انصرفت عنه وسافرت من منية ابن خصيب الى مدينة منلوى وهى صغيرة مبنية على مسافة ميلين من النيل (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح اللام وكسر الواو) وقاضيه الفقيه شرف الدين الدميرى (بفتح الدال المهملة وكسر الميم) الشافعى وكبارها قوم يعرفون ببني فضيل بنى أحدهم جامعاً أنفق فيه صميم ماله وبهذه المدينة احدى عشرة معصرة للسكر ومن عرايدهم انهم لا يمنعون فقيراً من دخول معصرة منها فيأتى الفقير بالخبرة الحارة فيطرحها فى القدر التى يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقد امتلأت سكرًا فينصرف بها وسافرت من منلوى المذكورة الى مدينة منفوط وهى مدينة حسن رواؤها مؤنق بناؤها على ضفة النيل شهيرة البركة (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان النون وفتح الفاء وضم اللام وآخرها طاء مهملة)

* (حكاية) *

أخبرنى أهل هذه المدينة ان الملك الناصر رحمه الله أمر بعمل منبر عظيم محكم الصنعة بديع الانشاء برسم المسجد الحرام زاده الله شرفاً وتعظيماً فلما تم عمله أمر أن يصعد به فى النيل ليجاز الى بمرجدة ثم الى مكة شرفها الله فلما وصل المركب الذى احتمله الى منفوط وحاذى مسجدها الجامع وقف وامتنع من الجزى مع مساعدة الريح فحجب الناس من شأنه أشد العجب وأقاموا أياماً لا ينهض بهم المركب فكتبوا بخبره الى الملك الناصر رحمه الله فأمر أن يجعل ذلك المنبر بجامع مدينة منفوط ففعل ذلك وقد عاينته بها ويصنع بهذه المدينة شبيه العسل يستخرجونه من القمح ويسمونه النيداي باع بأسواق مصر وسافرت من هذه المدينة الى مدينة أسىوط وهى مدينة رفيعة أسواقها بديعة (وضبط اسمها بفتح الهمزة والسين المهملة والياء آخر الحروف وواو وطاء مهملة) وقاضيه شرف الدين بن عبد الرحيم الملقب بحاصل ما ثم لقب شهر به وأصله ان القضاة بدار مصر والشام يأيدهم الاوقاف والصدقات لائناء السبيل فاذا أتى فقير لمدينة من المدن تصد القاضى بها فيعطيه ما قدر له فكان هذا القاضى اذا أناه الفقير يقول له حاصل ما ثم اى لم يبق من المال الحاصل شئ فلقب بذلك ولزمه وبها من المشايخ الفضلاء الصالح شهاب الدين ابن الصباغ أضافنى براويته وسافرت منها الى مدينة انخيم وهى مدينة عظيمة أصلية البنيان عجيبه الشأن بها البربى المعروف باسمها وهو مبنى بالحجارة فى داخله نقوش وكتابة لا وائل لاتفهم فى هذا العهد وصور الافلاك والكواكب ويزعمون انها بنيت والنسر الطائر يبرج العقرب وبها صور الحيوانات وسواها وعند الناس فى هذه الصور أكاذيب لا يعرج عليها وكان بانخيم رجل يعرف بالخطيب أمر على هدم

بعض هذه البرابي وابنتي بججارتها مدرسة وهو رجل موسر معروف باليسار ويرزعه حساده
انه استفاد ما بيده من المال من ملازمته لهذه البرابي ونزلت من هذه المدينة بزواية الشيخ أبي
العباس بن عبد الظاهر وبها تربة جده عبد الظاهر وله من الاخوة ناصر الدين ومحمد الدين
وواحد الدين ومن عادتهم ان يجتمعوا جيعا بعد صلاة الجمعة ومعهم الخطيب نور الدين
المذكور واولاده وقاضى المدينة الفقيه مخلص وسائر وجوه أهلها فيجتمعون للقرآن
ويذكرون الله الى صلاة العصر فاذا صلوها قرأوا سورة الكهف ثم انصرفوا وسافرت من
أنجيم الى مدينة هو مدينة كبيرة بساحل النيل (وضبطها بضم الهاء) نزلت منها بمدرسة تقي
الدين ابن السراج ورأيتهم يقرأون بها في كل يوم بعد صلاة الصبح خربا من القرآن ثم يقرؤون
أوراد الشيخ أبي الحسن الشاذلي وخرب البحر وبهذه المدينة السيد الشريف أبو محمد عبد
الله الحسنى من كبار الصالحين

(كرامة له) دخلت الى هذا الشريف متبركا برؤيته والسلام عليه فسألني عن قصدي
فاخبرته اني أريد حج البيت الحرام على طريق جده فقال لي لا يحصل لك هذا في هذا الوقت
فارجع وانما تحج أول حجة على الدرب الشامي فانصرفت عنه ولم اعمل على كلامه ومضيت
في طريق حتى وصلت الى عيذاب فلم يتمكن لي السفر فعدت راجعا الى مصر ثم الى الشام
وكان طريق في أول حجاتي على الدرب الشامي حسبا أخبرني الشريف نفع الله به ثم سافرت
الى مدينة قنا وهي صغيرة حسنة الاسواق (واسمها بضم القاف مكسورة ونون) وبها قبر الشريف
الصالح الولي صاحب البراهين العجيبة والكرامات الشهيرة عبد الرحيم التناوي رحمة
الله عليه ورأيت بالمدرسة السيفية منها حفيده شهاب الدين أحمد وسافرت من هذا البلد الى
مدينة قوص (وهي بضم القاف) مدينة عظيمة لها خيرات عيمة بساكنها موروقة واسواقها
موتقة ولها المساجد الكثيرة والمدارس الاثيرة وهي منزل ولادة الصعيعد وبخارجها
زاوية الشيخ شهاب الدين بن عبد الغفار وزاوية الافرم وبها اجتماع الفقرا المتجردين في شهر
رمضان من كل سنة ومن علمائها التماسي بها جمال الدين ابن السديد والخطيب بها فتح الدين
ابن دقيق العيد أحد الفصحاء البلغاء الذين حصن لهم السبق في ذلك لم أر من يماثله الا خطيب
المسجد الحرام بهاء الدين الطبري وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين المشاطي وسيقع
ذكرها ومنهم الفقيه بهاء الدين بن عبد العزيز المدرس بمدرسة المالكية ومنهم الفقيه برهان
الدين ابراهيم الاندلسي له زاوية عالية ثم سافرت الى مدينة الاقصر (وضبط اسمها بفتح
الهمزة وضم انصا والمهملة) وهي صغيرة حسنة وبها قبر الصالح العابد أبي الجناح الاقصري
وعليه زاوية وسافرت منها الى مدينة أرمنت (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الراء وميم

مفتوحة ونزل ساكنة وتاء معلولة) وهي صغيرة ذات بساتين مبنية على ساحل النيل أضافني قاضيه وأنسيت اسمه ثم سافرت منها إلى مدينة أسنا (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان السين المهمل ونزل) مدينة عظيمة متسعة الشوارع ضخمة المنافع كثيرة الزوايا والمدارس والجوامع لها أسواق حسان وبساتين ذات أفنان قاضيه فاضى التضاة شهاب الدين بن مسكين أضافني وأكرمني وكتب إلى نوابه بأكرامى وبهامن الفضلاء الشيخ الصالح نور الدين على والشيخ الصالح عبد الواحد الكاسى وهو على هذا العهد صاحب زاوية بمقوص ثم سافرت منها إلى مدينة أدفو (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان الدال المهمل وضم الفاء) وبينها وبين مدينة أسنا مسيرة يوم وليلة في صحرا ثم جئنا النيل من مدينة أدفو إلى مدينة العطوان ومنها كنزينا الجمال وسافرنا مع طائفة من العرب تعرف بدغيم (بالعين المجهمة) في صحراء لا عمارتها إلا أنها آمنة السبل وفي بعض منازلها نزلنا حيث أحيث قبر ولى الله أبى الحسن الشاذلى وقد ذكرنا كرامته في أخباره أنه يموت بها وأرضها كثيرة الضباع ولم نزل ليلة ميئتنا بها نحارب الضباع ولقد قصدت رحلى ضبع منها فزقت عدلا كان به واجترت منه جراب تمر وذهبت به فوجدناه لما أصبحنا نمر قاماً كولا معظم ما كان فيه ثم لما سرنا خمسة عشر يوماً وصلنا إلى مدينة عيذاب وهي مدينة كبيرة كثيرة الحوت والابن ويحمل إليها الزرع والتمر من صعيد مصر وأهلها البجاة وهم سودا لوان يلتمعون ملاحف صفراء ويشدون على رؤسهم عصائب يكون عرض العصاية منها أصبعا وهم لا يورثون البنات وطعامهم البنان الابل ويركبون المهارى ويسمونهم الصهب وثلاث المدينة للملك الناصر وثلاثها للملك البجاة وهو يعرف بالحدربى (بفتح الحاء المهمل واسكان الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء) ومدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطلانى شهير البركة رأيت به وبركت به وبها الشيخ الصالح موسى والشيخ المسن محمد المراكشى زعم انه ابن المرتضى ملك مراکش وان سنه خمس وتسعون سنة ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا الحدربى سلطان البجاة يحارب الأتراك وقد خرق المراكب وهرب الأتراك أمامه فتعذر سفرنا في البحر فبعنا ما كنا أعدناه من الزاد وعدنا مع العرب الذين أكثرينا الجمال منهم إلى صعيد مصر فوصلنا إلى مدينة مقوص التي تقدم ذكرها وانحدرنا منها في النيل وكان أوان مده فوصلنا بعد مسيرة ثمان من قوص إلى مقوص فبقيت عيذاب وقصدت بلاد الشام وذلك في منتصف شعبان سنة ست وثمانين

(وضبط اسمها بفتح الموحدة الاولى وفتحة الثانية)

مدينة كبيرة ذات

منزل منها فندق وهم يسمونه الحان ينزله المسافرون بدوابهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته ومن منازلها قطيا المشهورة وهي (بفتح التاء وسكون الخاء وياء آخر الحروف مفتوحة وألف) والناس يبدلون ألفها هاء تأنيث وبها تؤخذ الزكاة من التجار وتفتش أمتعتهم ويبحث عمالهم أشد البحث وفيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ومجباها في كل يوم ألف دينار من الذهب ولا يجوز عليها أحد من الشام الأبراءة من مصر ولا إلى مصر الأبراءة من الشام احتياطاً على أموال الناس وتوقيماً من الجواسيس العراقيين وطريقها في ضمان العرب قد وكوا بحفظه فإذا كان الليل مسحوا على الرمل لا يبقى به أثر ثم يأتي الأمير صباحاً فينظر إلى الرمل فإن وجد به أثراً طالب العرب باحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الأمير فيعاقبه بما شاء وكان بها في عهد وصولي إليها عز الدين استاذ الدار اقارى من خيار الامراء أضافني وأكرمني واباح الجواز لمن كان معي وبين يديه عبد الجليل المغربي الوقاف وهو يعرف المغاربة وبلادهم فيسأل من ورد منهم من أي البلاد هو لئلا يلبس عليهم فإن المغاربة لا يعترضون في جوازهم على قطيا ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة وهي اول بلاد الشام مما يلي مصر متسعة الاقطار كثيرة النجارة حسنة الاسواق بها المساجد العديدة ولا سور عليها وكان بها مسجد جامع حسن والمسجد الذي تقام الآن به الجمعة فيها بناء الأمير المعظم الجاوي وهو انيق البناء محكم الصنعة ومنبره من الرخام الأبيض وقاضي غزة بدر الدين السلخاني الحوراني ومدرسها علم الدين بن سالم وبنو سالم كبراء هذه المدينة ومنهم شمس الدين قاضي القدس ثم سافرت من غزة إلى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم تسليماً وهي مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار مشرقة الانوار حسنة المنظر عجيبة المخبر في بطن وادو مسجد لها انيق الصنعة محكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع مبني بالصخر المنحوت في احداث كانه ضفيرة أحد اقطارها سبعة وثلاثون شبراً ويقال ان سليمان عليه السلام امر الجن ببنائه وفي داخل المسجد الفار المكرم المقدس فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب صلوات الله على نبينا وعليهم ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور ازار واجهم وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل إلى مسلك ضيق يفضي إلى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ويقال انها محاذية لها وكان هنالك مسلك إلى الفار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات ومما ذكره اهل العلم دليلاً على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقلته من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه المسفر للقلوب عن صحة قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب أسنده في أبي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما أسرى بى الى بيت المقدس مر بى جبريل على قبر ابراهيم فقال انزل
فصل ركعتين فان هنا قبر ابيك ابراهيم ثم مر بى على بيت لحم وقال انزل فصل ركعتين فان
هنا ولد احوك عيسى عليه السلام ثم أتى بى الى الصخرة وذكر بقية الحديث ولما لقيت بهذه
المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين الجعفرى أحد الصالحاء المرضيين
والائمة المشتهرين سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك فقال لى كل من
لقيته من أهل العلم يحكون ان هذه القبور قبور ابراهيم واسحاق ويعقوب على نبينا وعليهم
السلام وقبور زوجاتهم ولا يطعن فى ذلك الا اهل البدع وهونغل الخلف عن السلف لا يشك
فيه ويذكر ان بعض الاثمة دخل الى هذا الغار ووقف عند قبر سارة فدخل شيخ فقال له أى
هذه القبور هو تبرا ابراهيم فإشار له الى قبره المعروف ثم دخل شاب فسأله كذلك فإشار له اليه ثم
دخل صبي فسأله أيضا فإشار له اليه فقال الفقيه اشهد ان هذا قبر ابراهيم عليه السلام لا شك
ثم دخل الى المسجد فصلى به وارتحل من الغد وبدا دخل هذا المسجد أيضا فغير يوسف عليه
السلام وبشرى حرم الخليل تربة لوط عليه السلام وهى على تل مرتفع يشرف منه غور الشام
وعلى قبره بنية حسنة وهوى بيت منها حسن البناء مبيض ولا ستور عليه وهنالك بحسيرة لوط
وهى اجاج يقال انها موضع ديار قوم لوط وبقربة من تربة لوط مسجد اليقين وهو على تل
مرتفع له نور اشراق ليس لسواء ولا يحاوره الادارة واحدة يسكنها ثييمه وفى المسجد مقربة من
بابه موضع منخفض فى حجر صلد تدهى فيه صورة محراب لا يسع الا مصليا واحدا ويقال ان
ابراهيم سجد فى ذلك الموضع شكر الله تعالى عنده لانه قوم لوط فتحرك موضع سجوده
وساخ فى الارض قليلا وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن على
عليهما السلام وباعلى القبر واسفله لوحان من الرخام فى احدهما كتب منقوش بخط بديع
بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبر اوعلى خلقه كتب الفناء وفى رسول الله
اسوة هذا قبر ام سلمة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنه وفى اللوح الاخر منقوش صنعته محمد
ابن أبى سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الايات (بسيط)

أسكنت من كان فى الاحشاء مسكنه * بالرغم منى بين التراب والجحر

يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة * بنت الائمة بنت الانجم الزهر

يا قبر ما فىك من دين ومن ورع * ومن عفاف ومن صون ومن خفر

ثم سافرت من هذه المدينة الى القدس فزرت فى طريقى اليه تربة يونس عليه السلام وعليها
بنية كبيرة ومجدوزرت أيضا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام وبها ثرجذع النخلة
وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيقون من نزل به ثم وصلنا الى بيت

المقدس شرفه الله ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومعرجه الى السماء والبلدة كبيرة منيفة مبنية بالصخر المنحوت وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب جزاء الله عن الاسلام خيرا لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفا ان يصددها الروم فيمتنعوا بها ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف الدين تكيز أمير دمشق

* (ذكر المسجد المقدس) *

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الرائقة الحسن يقال انه ليس على وجه الارض مسجداً كبير منه وان طوله من شرق الى غرب سبع مائة وثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف اربع مائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث وأما الجهة القبليّة منه فلا أعلم بها الا بابا واحدا وهو الذي يدخل منه الامام والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد الاقصى فهو مسقف في النهاية من احكام العمل واتقان الصنعة محو بالذهب والاصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواء مسقفة

* (ذكر قبة الصخرة) *

وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا قد توفّر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف وهي قائمة على نشرف وسط المسجد يصعد اليها في درج رخام ولها أربعة أبواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها وفي ضاهرها وباطنها من أنزاع الزاوية ورائق الصنعة ما يعجز الوصف وأكثر ذلك من شىء بالذهب فهي تتلألأ نورا وتلمع لمعان البرق يحار بصيرتها في محاسنها ويتمتع لسان رائيها عن تمثيلها وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها الى السماء وهي صخرة صماء ارتفعها فتحوقامة وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفعها فتحوقامة أيضا ينزل اليها على درج وهناك شكل محراب وعلى الصخرة شباك كان اثنان محكم العمل يغلقان عاليا احدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلّقة هناك والناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

* (ذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف) *

فمنها بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرق البلد على تل مرتفع هناك بنية يقال انها مصعد عيسى عليه السلام الى السماء ومنها أيضا قبر رابعة البدوية منسوبة الى البادية وهي خلاف رابعة العدوية الشهيرة وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى ويقولون ان تبرمريم عليها السلام بها وهناك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى وهي التي

يكذبون عليها ويعتقدون ان قبر عيسى عليه السلام بها وعلى كل من يحجها ضريبة معلومة
للمسلمين وضروب من الالهانة يتحملها على رغم انفه وهناك موضع مهد عيسى عليه السلام
يتبرك به

* (ذكر بعض فضلاء القدس) *

فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزي (بفتح الغين) وهو من أهل غزة وكبرائها ومنهم
خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي ومنهم المحدث المفتي شهاب الدين الطبري ومنهم
مدرس المالكية وشيخ الحنفية الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس
ومنهم الشيخ الزاهد أبو علي حسن المعروف بالمحبوب من كبار الصالحين ومنهم الشيخ الصالح
العابد كمال الدين المراغي ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى
من أهل أرز الروم وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعي صحبته ولبست منه خرقة التصوف
ثم سافرت من القدس الشر يف برسم زيارة ثغر عسقلان وهو خراب قد عادر سوما طامسة
واطلا لادارسة وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعه عسقلان اتقاننا وحسن وضع وأصالته
مكان وجهه بين مرافق البر والبحر وبها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي
عليه السلام قبل ان ينقل الى القاهرة وهو مسجد عظيم ساءى العلو فيه جب للماء أمر ببنائه
بعض العبيد بين وكتب ذلك على بابه وفي قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق
منه الا حيطانه وفيه أساطين رخام لا مثل لها في الحسن وهي ما بين قائم وحصيد ومن جملتها
اسطوانة حجارة عجبية يزعم الناس ان النصراني احتملوا الى بلادهم ثم فقدوها فوجدت في
موضعها بعسقلان وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر ابراهيم عليه السلام ينزل اليها في
درج متسعة ويدخل منها الى بيوت وفي كل جهة من جهاتها الاربع عين تخرج من أسراب
مطوية بالحجارة وماؤها عذب وليس بالغزير ويذكر الناس من فضائلها كثيرا وبظاهر
عسقلان وادي النمل ويقال انه المذكور في الكتاب العزيز ويجبانه عسقلان من قبور
الشهداء والاولياء ما لا يحصر لكثرة وقفنا عليهم قيم المزار المذكور وله جارية يجريها له ملك
مصر مع ما يصل اليه من صدقات الزوار ثم سافرت منها الى مدينة الرملة وهي فلسطين مدينة
كبيرة كثيرة الخيرات حسنة الاسواق وبها الجامع الابيض ويقال ان في قبلته ثلاثمائة
من الانبياء مدفونين عليهم السلام وفيها من كبار الفقهاء محمد الدين النابلسي ثم خرجت منها
الى مدينة نابلس وهي مدينة عظيمة كثيرة الاشجار مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام
زيتونا ومنها يجهل الزيت الى مصر ودمشق وبها تصنع حلواء الخروب وتجلب الى دمشق
وغيرها وكيفية عملها ان بطبخ الخروب ثم يصر ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه

الحاداء ويجلب ذلك الرب أيضا الى مصر والشام وبها البطيخ المنسوب اليها وهو طيب عجيب
والمسجد الجامع في نهاية من الاتقان والحسن وفي وسطه بركة ماء عذب ثم سافرت منها الى
مدينة عجلون (وهي بفتح العين المهملة) وهي مدينة حسنة لها أسواق كثيرة وقلعة
خطيرة ويشقها نهر ماؤد عذب ثم سافرت منها بقصد اللاذقية فررت بالغور وهو وادي بين تلأل
به تبرا أبي عبيد بن الجراح أمين هذه الامة رضى الله عنه زناه وعليه زاوية فيها الطعام
لابناء السبيل وبتنا هناك ليلة ثم وصلنا الى القصير وبه قبر معاذ بن جبل رضى الله عنه
تبركت أيضا بزيارته ثم سافرت على الساحل فوصلت الى مدينة عكة وهي خراب وكانت
عكة قاعدة بلاد الافرنج بالشام ومرسى سفنهم وتشبه قسطنطينية العظمى وبشرقيها عين
ماء تعرف بعين البقر يقال ان الله تعالى أخرج منها البقر لادم عليه السلام وينزل اليها
في درج وكان عليها مسجد بقي منه محرابه وبهذه المدينة قبر صالح عليه السلام ثم سافرت
منها الى مدينة صور وهي خراب وبجوارها قرية معمورة وأكثر أهلها ارفاض ولقد نزلت
بها مرة على بعض الميادار يد الوضوء فأتى بعض أهل تلك القرية ليتوضأ فبدأ يغسل رجله
ثم غسل وجهه ولم يتضمض ولا استنشق ثم مسح بعض رأسه فاخذت عليه في فعله فقال لي
ان البناء انما يكون ابتداء من الاساس ومدينة صور هي التي يضرب بها المثل في الحصانة
والمنعة لان البحر محيط بها من ثلاث جهاتها ولها بابان أحدهما للبر والثاني للبحر ولبابها
الذي يشرع للبر أربعة فصالات كلها في ستائر محيطه بالباب وأما الباب الذي للبحر فهو بين
برجين عظيمين وبنائها ليس في بلاد الدنيا العجب ولا غريب شأنها لان البحر محيط بها من
ثلاث جهاتها وعلى الجهة الرابعة سور تدخل السفن تحت السور وترسو هناك وكان فيما
تقدم بين البرجين سلسلة حديد معترضة لا سبيل الى الداخل هناك ولا الى الخارج الا بعد
حطها وكان عليهم الحراس والامناء فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج الا على علم منهم وكان
لعكة أيضا اميناء مثلها ولكنها لم تكن تحمل الا السفن الصغار ثم سافرت منها الى مدينة صيدا
وهي على ساحل البحر حسنة كثير تالفوا كديجمل منها التين والزيتون والزيب والبيت الى بلاد مصر
نزلت عند قاضيها كمال الدين الاشعري وهو حسن الاخلاق كريم النفس ثم
سافرت منها الى مدينة طبرية وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة ولم يبق منها الا رسوم
تنبي على ضخامتها وعظم شأنها وبها الحمامات العجيبة لها بيتان أحدهما للرجال والثاني
للنساء وماؤها شديد الحرارة ولها البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها أزيد من
ثلاثة فراسخ وبطبرية مسجد يعرف بمسجد الانبياء فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج
موسى الكليم عليه السلام وقبر سليمان عليه السلام وقبر يهودا وقبر روبيل صلوات الله

وسلامه على نبينا وعليهم وقد صدنا منها زياردة الجب الذي ألقى فيه يوسف عليه السلام وهو في صحن مسجد صغير وعليه زاوية والجب كبير عميق شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر وأخبرنا قيمه ان الماء ينبع منه أيضا ثم سرنا الى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الاسواق وجامعها بديع الحسن وتجلب منها الى ديار مصر الفواكه والحديد وقد صدنا منها زياردة أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون انه من ملوك المغرب وهو بموضع يعرف بكرنك نوح من بقماع العزيز وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر ويقال ان السلطان صلاح الدين وقف عليها الاوقاف وقيل السلطان نور الدين وكان من الصالحين ويذكر انه كان ينسج الحصر ويقتات بثمنها

(حكاية أبي يعقوب يوسف المذكور) *

يحكى انه دخل مدينة دمشق فرض بها امرضا شديدا واقام مطر وحبا بالاسواق فلما برئ من مرضه خرج الى ظاهر دمشق ليلتمس بستانا يكون حارسا له فاستؤجر لحراسة بستان للملك نور الدين واقام في حراسته ستة أشهر فلما كان في أو ان الفسكهة أتى السلطان الى ذلك البستان وأمر وكيل البستان أبا يعقوب ان يأتي برمان يأكل منه السلطان فأتاه برمان فوجده حامضا فأمره ان يأتي بغيره ففعل ذلك فوجده أيضا حامضا فقال له الوكيل أتكون في حراسة هذا البستان منذ ستة أشهر ولا تعرف الحلو من الحامض فقال انما استأجرتني على الحراسة لا على الاكل فأتى الوكيل الى الملك فاعلمه بذلك فبعث اليه الملك وكان قد رأى في المنام انه يجتمع مع أبي يعقوب وتحصل له منه فائدة فتفرس انه هو فقال له أنت أبو يعقوب قال نعم فقام اليه وعانقه واجلسه الى جانبه ثم احتمله الى مجلسه فاضافه بضيافة من الحلال المكتسب بكديمينه واقام عندها يوما ثم خرج من دمشق فارا بنفسه في أو ان البرد الشديد فأتى قرية من تراها وكان بهارجل من الضعفاء فعرض عليه ان نزول عنده ففعل وصنع له مرقعة وذبح دجاجة فأتاه بها ونخبز شعير فأكل من ذلك ودعا للرجل وكان عنده جملة أولاد منهم بنت قد أن بناء زوجها عليها ومن عرايهم في تلك البلاد ان البنت تجهزها أبوها ويكون معظم الجهاز أو اني النحاس وبه يتفاخرون وبه يتبايعون فقال أبو يعقوب للرجل هل عندك شيء من النحاس قال نعم قد اشتريت منه لتجهيز هذه البنت قال ائتني به فأتاه به فقال له استعمر من جيرانك ما أمكنك منه ففعل وأحضر ذلك بين يديه فأوقد عليه النيران وأخرج صرة كانت عنده فيها الاكسیر فطرح منه على النحاس فعاد كله ذهابا وتركه في بيت مقفل وكتب كتابا الى نور الدين ملك دمشق يعلمه بذلك وينبهه على بناء مارستان للرضى من الغرباء ويوقف عليه الاوقاف ويبنى الزوايا بالطرق ويرضى

أصحاب النحاس ويعطى صاحب البيت كفايته وقال له في آخر الكتاب وان كان ابراهيم
ابن أدهم قد خرج عن ملك خراسان فانا قد خرجت من ملك المغرب وعن هذه الصنعة
والسلام وفر من حينه وذهب صاحب البيت بالكتاب الى الملك نور الدين فوصل الملك الى
تلك القرية واحتمل الذهب بعد ان أَرْضَى أصحاب النحاس وصاحب البيت وطلب أبا يعقوب
فلم يجد له أثراً ولا وقع له على خبره عاد الى دمشق وبني المارستان المعروف باسمه الذي ليس
في المعمور مثله ثم وصلت الى مدينة طرابلس وهي إحدى قواعد الشام وبلدانها الضخام
تخترقها الانهار وتحفها البساتين والاشجار ويكثفها البحر بمرافقه العجيم والبر
بخيراته المقيم ولها الاسواق العجيبة والمسارح الخصبية والبحر على ميلين منها وهي
حديثة البناء واما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتلكها الروم زمانا فلما
استرجعها الملك الظاهر خربت واتخذت هذه الحديثة وبهذه المدينة نحو أربعين من أمراء
الأتراك وأميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الأمراء ومسكنه منها بالدار المعروفة بدار
السعادة ومن عوايده ان يركب في كل يوم اثنين وخميس ويركب معه الأمراء والعساكر
ويخرج الى ظاهر المدينة فاذا عاد اليها وقارب الوصول الى منزله ترجل الأمراء ونزلوا عن
دوابهم ومشوا بين يديه حتى يدخل منزله وينصرفون وتضرب الطبليخانة عند دار كل أمير
منهم بعد صلاة المغرب من كل يوم وتوقد المشاعل وعن كان بها من الاعلام كاتب السرباء
الدين بن غانم أحد الفضلاء الحسباء معروف بالسخاء والكرم وأخوه حسام الدين هو شيخ
القدس الشريف وقد ذكرناه وأخوه علاء الدين كاتب السر بدمشق ومنهم وكيل بيت
المال قوام الدين ابن مكي من أكابر الرجال ومنهم قاضي قضاتها شمس الدين ابن النقيب
من أعلام علماء الشام وبهذه المدينة حمامات حسان منها حمام القاضي القرمي وحمام سندمور
وكان سندمور أمير هذه المدينة ويذكر عنه أخبار كثيرة في الشدة على أهل الجنايات
منها ان امرأة شكت اليه بأن أحدهما ليكه الخواص تعدى عليها في لبن كانت تبغفه
فشر به ولم تكن لهاينة فامر به فوسط فخرج اللبن من مصرانه وقد اتفق مثل هذه الحكاية
للعريس أحد أمراء الملك الناصر أيام امارته على عيذاب واتفق مثلها الملك كبك سلطان
تركستان ثم سافرت من طرابلس الى حصن الاكراد وهو بلد صغير كثير الاشجار والانهار
با على تل وبه زاوية تعرف بزاوية ابراهيمي نسبة الى بعض كبراء الأمراء ونزلت عند
قاضيها ولا أحقق الآن اسمه ثم سافرت الى مدينة حص وهي مدينة مليحة ارجاؤها مؤنقة
واشجارها مورقة وانهارها متدفقة واسواقها فسحة الشوارع وجامعها متميز بالحسن
الجامع وفي وسطه بركة ماء وأهل حص عرب لهم فضل وكرم وبخارج هذه المدينة قبر خالد

ابن الوليد سيف الله ورسوله وعليه زاوية ومسجد وعلى التبركة سورة سوداء وقاضى هذه المدينة جمال الدين الشريشى من أجل الناس صورة واحسنهم سيرة ثم سافرت منها الى مدينة حماة احدى أمهات الشام الرفيعة ومدائن البديعة ذات الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنات عليها النواعير كالأفلاك الدائرات يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصى ولها ربض سمي بالمنصورة أعظم من المدينة فيه الأسواق الحافلة والحمامات الحسان وبجماة الفواكه الكثيرة ومنها الشمس الالوزى اذا كسرت نواته وجدت في داخلها لوزة حلوة قال ابن جزي وفي هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها يقول الاديب الرحال نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسى التمارى الغرناطى نسبة لعمار بن يامر رضى الله عنه (طويل)

حجى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خائل * وترهى مباني تمنع الوصف الوصفا
ياوموتنى ان أعصى الصون والنهى * وأطيع السكاس والمهوى والتصفا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاط به عصيانا وأشربها صرفا
وأشد ولدى تلك النواعر شدوها * وأغلبها رتصا وأشبهها غرقا
تثنت وتذرى دمعها فكأنها * تهيم بمسراها وتسلها العطفا

ولبعضهم في نواعيرها ذاهبا مذهب انتورية (طويل)

وناعورة رقت لعظم خطيئتي * وقد عانيت قصدى من المنزل القاصى
بكى رجلة لى ثم باحت بشجوها * وحسبك ان الخشب تبكى على العاصى

ولبعض المتأخرين فيها أيضا من التورية (كامل)

باسادة سكنوا حماة وحققكم * ما خلت عن تقوى وعن اخلاص
والطرفى بعدكم اذا ذكر اللقاء * يجرى المدامع طائعا كالعاصى

(رجع) ثم سافر الى مدينة المعرة التي ينسب اليها الشاعر أبو العلاء المعرى وكثير سواه من الشعراء قال ابن جزي وانما سميت بمعرة النعمان لان النعمان بن بشير الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي له ولداً يوم امارته على حمص فدفن به بالمعرة فعرفت به وكانت قبل ذلك تسمى ذات القصور وقيل ان النعمان جيل مطلق عليها سميت به

(رجع) والمعرة مدينة صغيرة حسنة أكثر شجرها التين والفسق وقومها يحل الى مصر والشام ويخارجها على فرسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولا زاوية عليه ولا خديم له وسبب ذلك انه وقع في بلاد صنف من الرافضة ارجاس يعضون العشرة من الحساب رضى

الله عنهم ولعن مبغضهم ويغضون كل من اسمه عرو وخصوصاً عرو بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في تعظيم علي رضي الله عنه ثم سارنا منها الى مدينة سمرين وهي حمنة كثيرة البساتين وأكثر شجرها الزيتون وبها يصنع الصابون الاجري ويجلب الى مصر والشام ويصنع بها أيضاً الصابون المطيب لغسل الايدي ويصبغونه بالحمرة والصفرة ويصنع بها ثياب قطن حسان تنسب اليها وأهلها صابون يغضون العشرة ومن العجب انهم لا يذكرون لفظ العشرة وينادي سمارتهم بالاسراق على السلع فاذا بلغوا الى العشرة قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الاثراليوما فسمع سمارا ينادي تسعة وواحد فضربه بالدبوس على رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع فيه تسع قباب ولم يجعلوها عشرة قياما بمذهبهم القبيح ثم سارنا الى مدينة حلب المدينة الكبرى والقاعدة العظمى قال أبو الحسين بن جبير في وصفها قدرها خطير وذكرها في كل زمان يطير خطابها من الملوكة كثير ومحلها من النفوس أثير فكما هاجت من كفاح وسل عليها من بيض الصفاح لها قلعة شهيرة الامتناع بآنية الارتفاع فنزهت حصانة ان ترام أو تستطاع منخوة الاجزاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء قد طاولت الايام والاعوام ووسعت الخراس والعوام أين أمراؤها الحمدانيون وشعراؤها فني جميعهم ولم يبق الابناءؤها فيا عجباً للبلاد تبق ويذهب املاكها ويهلكون ولا يقضى هلاكها وتخطب بعدهم فلا يتعذرا ملاكها وترام فيتيسر بأهون شئ ادراكها هذه حلب كم ادخلت ملوكها في خبر كان ونسخت صرف الزمان بالمكان أنث اسمها فتحلت بحلية الغوان واتت بالعدرفين دان وانجلت عروسا بعد سيف دولتها ابن جردان هيات سيهرم شبابها ويعدم خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وقلعة حلب تسمى الشهباء وبداخلها جبان ينبع منها الماء فلا تخاف الظماء ويظيف بها سوران وعليها خندق عظيم ينبع منه الماء وسورها متداني الابراج وقد انتظمت بها العلالي العجيبة المفتحة الطيقان وكل برج منها مسكون والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول العهد وبها مشهد يقصده بعض الناس يقال ان الخليل عليه السلام كان يتعبد به وهذه القلعة تشبه قلعة رحيمة مالك بن طوق التي على الفرات بين الشام والعراق ولما قصدها كان طاغية التتر مدينة حلب حاصرها هذه القلعة أياما ونكص عنها خائباً قال ابن جزي وفي هذه القلعة يقول الخالدي شاعر سيف الدولة

(طويل)

وخرقاء قد قامت على من يرومها * بمرقبها العالي وجانبها الصعب
يجر عليها الجواجيب غمامة * ويلبسها عقدا بانجبه الشهب

إذا ما سرى برق بدت من خلاله * كما لاحت العذراء من خمل السحب
فكم من جنود قد ماتت بغصة * وذى سطوات قد أبات على عقب

وفيه يقول أيضا وهو من بديع النظم

(بسيط)

وقلعة عائق العنقاء سافلها * وجاز منقطعة الجوزاء عاليها
لا تعرف القطر إذ كان النمام لها * أرضا توطأ قطريه مواشيها
إذا النمامة راحت غاض ساكنها * حياضها قبل أن تهمل عواليها
يعد من أنجم الافلاك مرقيها * لو أنه كان يجري في مجاريها
ردت مكائد أقوام مكائدها * ونصرت لدواهيهم دواهيها

وفيه يقول جمال الدين على بن أبي المنصور

(كامل)

كادت لبون سموها وعلوها * تستوقف الفلك المحيط الدائر
وردت قواطنها المجرة منهلها * ورعت سوابقها النجوم زواهرها
ويظل صرف الدهر منها خائفا * وجللا فاعسى لديها ماضرا

(رجع) ويقال في مدينة حلب حلب إبراهيم لان الخليل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه
كان يسكنها وكانت له الغنم الكثيرة فكان يسقى الفقراء والمساكين والوارد والبصادر من
البانها فكانوا يجتمعون ويسألون حلب إبراهيم فسميت بذلك وهي من أعز البلاد التي لا نظير
لها في حسن الوضع واتقان الترتيب واتساع الاسواق وانتظام بعضها ببعض واسواقها
مسقفة بالخشب فأهلها دائمون في ظل محدود وقيد ساريتها لا تماثل حسننا وكبرا وهي تحيط
بمسجدها وكل سمط منها محاذي لباب من أبواب المسجد ومسجدها الجامع من أجل
المساجد في صحته بركة ماء ويطيف به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل مرصع بالعاج
والابنوس وبقرج جامعها مدرسة مناسبة له في حسن الوضع واتقان الصنعة تنسب لامراء
بني حمدان وبالبلد سواها ثلاث مدارس وبها مدارس وأما خارج المدينة فهو بسيط أفيع
عريض به المزارع العظيمة وشجرات الاغراب منة نظمة به والبساتين على شاطئ نهرها وهو
النهر الذي يمر بحمامة ويسمى العاصي وقيل انه سمي بذلك لانه يخيل لناظره ان جريانه من
أسفل الى علو والنفس تجدد في خارج مدينة حلب انشراحا وسرورا ونشاطا لا يكون في سواها
وهي من المدن التي تصلح للخلافة قال ابن جزي أطنبت الشعراء في وصف محاسن حلب وذكر
داخلها وخارجها وفيه يقول أبو عبادة البحرى

(كامل)

يا برق أسفر عن فويق مطالي * حلب فاعلى القصر من بطياس
عن منبت الورد المعصر صبغه * في كل ضاحية ومجنى الآس

وقال فيها الشاعر المجيد أبو بكر الصنوبري * حشدت على فاكثرت ايناسي
(متقارب)

سقى حلب المزن مغنى حلب * فكم وصلت طربا بالطرب
وكم مستطاب من العيش لذ * بها اذ بها العيش لم يستط
اذ انشر الزهر اعلامه * بها ومطارفه والعذب
غدا وحواشيه من فضة * تروق واوساطه من ذهب

وقال فيها أبو العلاء المعري (خفيف)

حلب للوراد جنة عدن * وهي للغادرين نار صغير
والعظيم العظيم يكبر في عيد * نيه منها قدر الصغير الصغير
فقويق في أنفاس القوم بحر * وحصاة دمه مكان ثبير

وقال فيها أبو الفتيان ابن جبرس (بسيط)

يا صاحبي اذا أعيا كما سقمي * فلقيني في نسيم الريح من حلب
من البلاد التي كان الصبا سكا * فيها وكان الهوا العذري من أربي

وقال فيها أبو الفتح كشاجم (متقارب)

وما أمتعت جارها بلدة * كما أمتعت حلب جارها
بها قد نجمع ما تشتهي * فزرها فطوبى لمن زارها

وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي العنسي (خفيف)

حادي العيس كم تنج المطايا * سقى بروحي من بعدهم في سياق
حلب انها مقر غرامى * ومراى وقبلة الاشواق
لك خلا جوشن وبطياس وال * تعبى دوماً كل وابل غيصاد
كم بهامرتع لطرف وقلب * فيه سقى المنى بكأس دهاق
وتغنى طيورها لارتياح * وتثنى غصونها للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * انجم الافق حولها كالنطاق

رجع ويحلب ملك الامراء أرغون الدوادار أكبر امراء الملك الناصر وهو من الفقهاء
موصوف بالعدل لكنه بخيل والقضاء بحلب أربعة للمذاهب الاربعة ففهم القاضي كمال الدين
ابن الزماكانى شافعى المذهب على الهمة كبير انقدر كريم النفس حسن الاخلاق متفنن
بالعلوم وكان الملك الناصر قد بعث اليه ليولى قضاء القضاة بحضرة ملكه فليقض له ذلك
وتوفى ببليس وعوم توجه اليها ولما رلى قضاء حلب قصده الشعراء من دمشق وسواها

وكان فيمن قصده شاعر الشام شهاب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ المحدث شمس الدين أبي عبد الله محمد بن نباتة القرشي الأموي الفارقي فامتدحه بقصيدة طويلة حافلة أولها (كامل)

أسفت لفقدك جلق الفيحاء * وتباشرت لقدمك الشهباء
وعلا دمشق وقدر حلت كآبة * وعلا ربا حلب سنا وسناء
قد أشرفت دار سكنت فناءها * حتى غدت ولنورها لآلاء
ياساثر اسقى المكارم والعلى * فمن يبخل عنده الكرماء
هذا كمال الدين لذنبجنا به * تنعم فثم الفضل والنعماء
قاضي القضاة اجل من أيامه * تغنى بها الايتام والفقراء
قاس زكي اصلا وفر عافا عتلى * شرفت به الآباء والابناء
من الاله على بنى حلب به * لله وضع الفضل حيث يشاء
ككشف المعنى فهمه وبيانته * فكأنما ذاك الذكاء ذكاء
يا حاكم الحكم قدرك سابق * عن ان تسرك رتبة شماء
ان المناصب دون همتك التي * في الفضل دون محلها الجوزاء
لك في العلوم فضائل مشهورة * كالصبح شق له الظلام ضياء
ومناقب شهد العدو بفضله * والفضل ما شهدت به الاعداء

وهي أزيد من خمسين بيتا وأجازه عليها بكسوة ودراهم وانتقد عليه الشعراء ابتداء بلفظ أسفت قال ابن جزي وليس كلامه في هذه القصيدة بذك وهو في المقطعات أجود منه في القصائد واليه انتهت الرئاسة في الشعر على هذا العهد في جميع بلاد المشرق وهو من ذرية الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نباتة منشى الخطب الشهيرة ومن بديع مقطعاته في التورية قوله

علقتها غيداء حالية العلى * تجنى على عقل الحب وتلبه
بخلت بلؤلؤ نغرها عن الاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

(رجع) ومن قضاة حلب قاضي قضاة الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم حسن الصورة والسيرة اصيل مدينة حلب (كامل)

نراه اذا ما جثته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومنهم قاضي قضاة المالكية لا اذكره كان من الموثقين بمصر وأخذ الخطة عن غير استحقاق ومنهم قاضي قضاة الحنابلة لا اذكر اسمه وهو من أهل صالحة دمشق وتقيب الاشراف بحلب بدر الدين ابن الزهراء ومن فقهاء شرف الدين ابن العجي واقاربهم كبراء مدينة حلب

ثم سافرت منها الى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين (وضبط اسمها ابتداء معلومة مكسورة ويا مدوزاي مكسورة ويا مدثانية ونون) وهي حديثة اتخذها التركمان وأسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الاتقان وقاضيا بدر الدين العسقلاني وكانت مدينة قنسرين قديمة كبيرة ثم خربت ولم يبق الا رسومها ثم سافرت الى مدينة انطاكية وهي مدينة عظيمة اصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الأشجار والمياه وبخارجها نهر العاصي وبها قبر حبيب النجار رضى الله عنه وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سنيه ينف على المائة وهو متع بتوته دخلت عليه مرة في بستان له وقد جمع خطبا ورفع على كاهله لياقي بمنزله بالمدينة ورأيت ابنة قد أناف على الثمانين الا انه محدود ب الظهر لا يستطيع النهوض ومن يراها يظن الوالد منهم ما ولدا والولد والداهم سافرت الى حصن بغراس (وضبط اسمه بيا موحدة مضمومة وغين معجمة مسكنة وراء وآخر مسين مهمل) وهو حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سديس وهي بلاد كفار الارمن ووهم رعية للملك الناصر يؤدون اليه مالا ودراهمهم فضة خالصة تعرف بالبلغية وبها تصنع الثياب الديزية وأمير هذا الحصن صارم الدين ابن الشيباني وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وابن اخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصاص (بضم الراء والصاد المنحل الاول) ويحفظ الطريق الى بلاد الارمن

* (حكاية) *

شكى الارمن مرة الى الملك الناصر بالامير حسام الدين وزوروا عليه امورا لا تليق فنفذ أمره لامير الامراء بحلب ان يخنقه فلما توجه الامير بلغ ذلك صديقه من كبار الامراء فدخل على الملك الناصر وقال يا خوزدان الامير حسام الدين هو من خيار الامراء فيصح للمسلمين ويحفظ الطريق وهو من الشجعان والارمن يريدون الفساد في بلاد المسلمين فيمنعهم ويقهرهم وانما أرادوا اضعاف شوكة المسلمين بقتله ولم يزل به حتى انفذ امر اثناسيا بسراجه والخلع عليه ورد له موضعه ودعا الملك الناصر يريد ان يعرف بالاقوش وكان لا يبعث الا في مهم وامره بالاسراع والجدي السير فسار من مصر الى حلب في خمس وهي مسيرة شهر فوجد امير حلب قد احضر حسام الدين وأخرجه الى الموضع الذي يخنق به الناس فخلصه الله تعالى وعاد الى موضعه ولقيت هذا الامير معه قاضي بغراس شرف الدين الجوى بموضع يقال له العحق متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس ينزله التركمان بمواشيهم لخصبه وسعته ثم سافرت الى حصن التصير تصغير قصر وهو حصن حسن امير علاء الدين الكردي وقاضيه شهاب الدين

الأرمنى من أهل الديار المصرية ثم سافرت إلى حصن الشجر بكأس (وضبط اسمه بضم الشين المعجم واسكان الغين المعجم وضم الراء والباء الموحدة وآخره سين مهملة) وهو منيع في رأس شاهق أمير سيف الدين الطنطاش فاضل وقاضيه جمال الدين ابن شجرة من أصحاب ابن التيمية ثم سافرت إلى مدينة صهيون وهي جنة بها الأنهار المطردة والأشجار الموردة ولها قلعة جيدة وأميرها يعرف بالبراهيمي وقاضيه محي الدين الحمصي وبخارجها زاوية في وسط بستان فيها الطعام للوارد والصادر وهي على قبر الصالح العابد عيسى البدوي رحمه الله وقد زرت قبره ثم سافرت منها فمرت بحصن القدموس (وضبط اسمه بفتح القاف واسكان اندال المهمل وضم الميم وآخره سين مهمل) ثم بحصن المينقة (وضبط اسمه بفتح الميم واسكان الياء وفتح النون والقاف) ثم بحصن العليقة راسمه على لفظ واحدة العليق ثم بحصن مصياف (وصاده مهملة) ثم بحصن الكهف وهذه الحصون لطائفة يقال لهم الاسماعيلية ويقال لهم الغداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعد وعنه من أعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات وإذا أراد السلطان أن يبعث أحدهم إلى اغتيال عدوله أعطاه دية فإن سلم بعد تأتى ما يراد منه فهي له وإن أصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا إلى قتله وربما تصح حيلهم فقتلوا كما جراهم مع الأمير قراسنقور فانه لما هرب إلى العراق بعث إليه الملك الناصر جملة منهم فقتلوا ولم يقدر وأعليه لآخذه بالخرم

* (حكاية) *

كان قراسنقور من كبار الأمراء وعن حضرته قتل الملك الأشرف أخى الملك الناصر وشارك فيه ولما تهدد الملك الناصر وقربه القرار واشتدت أواخى سلطانه جعل يتبع قتله أخيه فيقتلهم واحدا واحدا وظاهر الملا خذ بثار أخيه وخوف أن يتجاسروا عليه بما تجاسروا على أخيه وكان قراسنقور أمير الأمراء بطلب فكتب الملك الناصر إلى جميع الأمراء أن ينفروا يعسا كرههم وجعل لهم ميغادا يكون فيه اجتماعهم بطلب ونزولهم عليها حتى يقبضوا عليه فلما فعلوا ذلك خاف قراسنقور على نفسه وكان له ثمانمائة مملوك فركب فيهم وخرج على العساكر صباحا فاخترقهم وأعجزهم سبقا وكانوا في عشرين الفا وقصد منزل أمير العرب مهنابن عيسى وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنابن قنص له فقصد بيته ونزل عن فرسه والقي العمامة في عنق نفسه ونادى الجواريا أمير العرب وكانت هنالك أم الفضل زوج مهنابن بنت ٤٠ فقالت له قد أجرتك وأجرنا من معك فقال إنما أطلب أولادى ومالى فقالت له لك ما تحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك واتى مهنابن فاحسن نزله وحكمه في ماله فقال إنما احب أهلى ومالى الذى

تركته بجلب فدعى منة باخوته وبنى عمه فشاورهم في أمره ففهم من اجابه الى ما اراد ومنهم من قال له كيف نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم مهنا أما أنا فافعل لهذا الرجل ما يريد وأذهب معه الى سلطان العراق وفي اثناء ذلك ورد عليهم الخبر بأن أولاد قراسنقور سيروا على البريد الى مصر فقال مهنا لقراسنقور أما أولادك فلا حيلة فيهم وأما مالك فنجته في خلاصه فركب فيمن أطاعه من أهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين ألفا وقصدوا حلب فأحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها واستخلصوا منها مال قراسنقور ومن بقي من أهله ولم يتعدوا الى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم أمير حصن الأفرم ووصلوا الى الملك محمد خدابنده سلطان العراق وهو بموضع مصيفه المسمى قراياغ (بفتح القاف والراء والباء الموحدة والغين المعجمة) وهو ما بين السلطانية وقبر زفأ كرم نزلهم وأعطى مهنا عراق العرب وأعطى قراسنقور مدينة مراغة من عراق العجم وتسمى دمشق الصغيرة وأعطى الأفرم همدان وأقاموا عنده مدة مات فيها الأفرم وعاد مهنا الى الملك الناصر بعد موافق وعهود أخذها منه وبقي قراسنقور على حاله وكان الملك الناصر يبعث له الفداوية مرة بعد مرة ففهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ومنهم من يرمى بنفسه عليه وهو راكب فيضربه ويقتل بسببه من الفداوية جماعة وكان لا يفارق الدرع أبدا ولا ينام الا في بيت العود والحديد فلما مات السلطان محمد وولى ابنه أبوسعيد وقع ما سئد كره من أمر الجوبان كبير أمرائه وفرار ولده الدم طاش الى الملك الناصر ووقعت المراسلة بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واتفقا على أن يبعث أبوسعيد الى الملك الناصر برأس قراسنقور ويبعث اليه الملك الناصر برأس الدم طاش فبعث الملك الناصر برأس الدم طاش الى أبي سعيد فلما وصله أمر بحمل قراسنقور اليه فلما عرف قراسنقور بذلك أخذ خاتما كان له مخوفا في داخله سم نافع فترع ففصه وامتنص ذلك السم فمات حينه فعرف أبوسعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث له برأسه ثم سافرت من حصون الفداوية الى مدينة جبلة وهي ذات أنهار مطردة وأشجار والبحر على نحو ميل منها وبها قبر الولي الصالح الشهير ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه وهو الذي نبذ الملك وانقطع الى الله تعالى حسبا شهر ذلك ولم يكن ابراهيم من بيت ملك كما يظنه الناس انما ورث الملك عن جده أبي أمه وأما أبوه أدهم فكان من الفقراء الصالحين السائحين المتعبدين الورعين المنقطعين

(حكاية أدهم)

يذكر انه من ذات يوم بساتين مدينة بخارى وتوضأ من بعض الانهار التي تتخللها فاذا بتفاحة يجلبها ماء النهر فقال هذه لا خطر لها فأكلها ثم وقع في خاطره من ذلك وسواس فعزم على أن

يستحل

يستحل من صاحب البستان فقرر باب البستان فخرجت اليه جارية فقال لها ادعى لى صاحب المنزل فقالت انه لا مرأة فقال استأذنى لى عليها ففعلت فأخبر المرأة بخبر التفاحة فقالت له ان هذا البستان نصه لى ونصفه للسلطان والسلطان يومئذ يبلغ وهى مسيرة عشر من بخارى وأحلتها المرأة من نصفها وذهب الى بلخ فاعترضه السلطان فى موكبه فأخبره الخبر واستحله فأمره أن يعود اليه من الغد وكان للسلطان بنت بارعة الجمال قد خطبها أبناء الملوكة فتمنعت وحببت اليها العبادة وحبب الصالحين وهى تحب أن تتزوج من ورع زاهد فى الدنيا فلما عاد السلطان الى منزله أخبر بنته بخبر أدهم وقال ما رأيت أروع من هذا يأتى من بخارى الى بلخ لاجل نصف تفاحة فرغبت فى تزوجه فلما أتاه من الغد قال لأهلك إلا أن تتزوج بينتى فانقاد لذلك بعد استعصاء وتمنع فتزوج منها فلما دخل عليها وجدها متزينة والبيت مزين بالفرش وسواها فحمد الى ناحية من البيت وأقبل على صلاته حتى أصبح ولم يزل كذلك سبع ليال وكان السلطان ما أحله قبل فبعث اليه أن يحله فقال لأهلك حتى يقع اجتماعك بزوجتك فلما كان الليل واقعها ثم اغتسل وقام الى الصلاة فصاح صيحة ومسجد فى مصلاه فوجد ميتا رحمه الله وجلت منه فولدت ابراهيم ولم يكن لجدته ولد فأسند الملك اليه وكان من تخليه عن الملك ما اشتهر وعلى قبر ابراهيم بن أدهم زاوية حسنة فيها بركة ماء وبها الطعام للصادر والوارد وخادمها ابراهيم الجمعى من كبار الصالحين والناس يقصدون هذه الزاوية ليلة النصف من شعبان من سائر أقطار الشام ويقيمون بها ثلاثاويقوم بها خارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شئ ويقدم الفقراء المتجردون من الافاق بحضور هذا الموسم وكل من يأتى من الزوار لهذه التربة يعطى لخادمها شئعة فيجتمع مع من ذلك فمناظير كثيرة وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية الذين يعتقدون ان على بن أبى طالب اله وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون وكان الملك الظاهر ألزمهم بناء المساجد بقرائهم فبنوا بكل قرية مسجد ابعدا عن العماردة ولا يدخلونه ولا يعمرونه وربما آوت اليه مواشيهم ودوابهم وربما وصل الغريب اليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له لا تنهق علفك يأتيك وعددهم كثير

(حكاية)

ذكر لى ان رجلا مجهولا وقع ببلاد هذه الطائفة فادعى الهداية وتكاثر واعليه فوعدهم بملك البلاد وقسم بينهم بلاد الشام وكان يعين لهم البلاد ويأمرهم بالخروج اليها ويعطيهم من ورق الزيتون ويقول لهم استظهروا بها فانها كالا وامر لىكم فاذا خرج أحدكم الى بلد أحضره أميره فيقول له ان الامام المهدي أعطاني هذا البلد فيقول له أين الامر فيخرج ورق الزيتون

فيضرب ويحبس ثم انه أمرهم بالتجهيز لقتال المسلمين وان يبدأوا بمدينة جبلة وأمرهم ان يأخذوا عوض السيوف قضبان الآس و وعدهم انها تصير في أيديهم سيوفا عند القتال فعدروا مدينة جبلة وأهلها في صلاة الجمعة فدخلوا الدور و هتكوا الحرم وثار المسلمون من مسجدهم فأخذوا السلاح وقتلواهم كيف شاءوا واتصل الخبر باللاذقية فاقبل أميرها بهادر عبدالله بعسكره و طيرت الحمام الى طرابلس فأتى أمير الامراء بعساكره و اتبعوهم حتى قتلوا منهم نحو عشرين الفا و تحصن الباقون بالجبال وراسلوا ملك الامراء و التزموا ان يعطوه دينارا عن كل رأس ان هو حاول ابقاءهم وكان الخبر قد طير به الحمام الى الملك الناصر و صدر جوابه ان يحمل عليهم السيف فراجع ملك الامراء و اتى له انهم عمال المسلمين في حراسة الارض و انهم ان قتلوا ضعف المسلمون لذلك فامر بالابقاء عليهم ثم سافرت الى مدينة اللاذقية وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون انها مدينة الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا و كنت اغما قصدتها لزيارة الولي الصالح عبد المحسن الاسكندري فلما وصلتها وجدت غائبا بالحجاز الشريف فلقيت من أصحابه الشيخين الصالحين سعيد الجبائي ويحيى السلاوي وهما بمسجد علاء الدين بن البهاء احد فضلاء الشام وكبرائها صاحب الصدقات والمكارم وكان قد عزلهما زوايه بقرب المسجد وجعل بها الطعام للوارد والصادر وقاضيهما الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصري المالكي فاضل كريم تعلق بطييلان ملك الامراء فولاه قضاءها

* (حكاية) *

كان باللاذقية رجل يعرف بابن المؤيد هجاء لا يسلم أحد من لسانه متهم في دينه مستخف يتكلم بالقبايح من الاحاد فعرضت له حاجة عند طييلان ملك الامراء فلم يقضها له فقصده مصر وتقول عليه امورا شنيعة وعاد الى اللاذقية فكتب طييلان الى القاضي جلال الدين ان يتحيل في قتله بوجه شرعي فدعا القاضي الى منزله وباحثه واستخرج كامن الحادة فتكلم بعظايم أسرها يوجب القتل وقد اعد القاضي الشهود خلف الحجاب فكتبوا عقدا بمقاله وثبت عند القاضي وسجن واعلم ملك الامراء بقضيته ثم أخرج من السجن وخنق على بابه ثم لم يلبث ملك الامراء طييلان ان عزل عن طرابلس ووليها الحاج قرطبة من كبار الامراء ومن تقدمت له فيها الولاية وبينه وبين طييلان عداوة فجعل يتبع سقطاته وقام لديه اخوة ابن المؤيد شاكين من القاضي جلال الدين فامر به وبالشهود الذين شهدوا على ابن المؤيد فأحضره وأمر بحنقههم وأخرجوا الى ظاهر المدينة حيث يخنق الناس واجلس كل واحد منهم تحت مخنقه ونزعت عمائهم ومن عادة امراء تلك البلاد انه متى أمر أحدهم بقتل أحد من الناس يمر الحاكم

من مجلس الأمير سبقا على فرسه الى حيث المأمور بقتله ثم يعود الى الأمير فيكرر استئذانه يفعل ذلك ثلاثا فاذا كان بعد الثلاث انفذ الامر فلما فعل الحاك ذلك قامت الامراء في المرة الثالثة وكشفوا رؤسهم وقالوا أيها الأمير هذه سببة في الاسلام يقتل القماضي والشهود فقبل الأمير شفاعتهم وخلي سبيلهم وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص وهو أعظم دير بالشام ومصر يسكنه الرهبان ويقصده النصراني من الآفاق وكل من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه وطعامهم الخبز والخبز والزيتون والخل والكبروميناء هذه المدينة عليها سلسلة بين برجين لا يدخلها أحد ولا يخرج منها حتى تحط له السلسلة وهي من أحسن المراسي بالشام ثم سافرت الى حصن المرقب وهو من الحصون العظيمة مماثل حصن الكرك ومبناه على جبل شاهق وخارجة ربض ينزل الغرباء ولا يدخلون قلعته واقتحمته من أيدي الروم الملك المنصور قلاوون وعليه ولد ابنه الملك الناصر وكان قاضيه برهان الدين المصري من أفاضل القضاة وكرماهم ثم سافرت الى الجبل الاقرع وهو أعلى جبل بالشام وأول ما يظهر منها من البحر وسكانه الزركان وفيه العيون والانهار وسافرت منه الى جبل لبنان وهو من أخصب جبال الدنيا فيه أصناف الفواكه وعيون الماء والظلال الوافرة ولا يخلو من المنقطعين الى الله تعالى والزهاد والصالحين وهو شهر بذلك ورأيت به جماعة من الصالحين قد انقطعوا الى الله تعالى فمن لم يشتهر اسمه

(حكاية)*

اخبرني بعض الصالحين الذين لقيتهم به قال كتب هذا الجبل مع جماعة من الفقراء أيام البرد الشديد فاوقدنا نارا عظيمة واحد قنابها فقال بعض الحاضرين يصلح لهذه النار ما يشوى فيها فقال احد الفقراء من تزدريه الاعين ولا يعبأ به اني كنت عند صلاة العصر بمتعب ابراهيم ابن ادهم فرأيت بمقربة منه حمار وحش قد احدثق الثلج به من كل جانب واظنه لا يقدر على الحراك فلوذبهتم اليه لقد رتم عليه وشويتم لحمه في هذه النار قال فقمنا اليه في خمسة رجال فالتقيناه كما وصف الينا فقبضناه واتينا به احبا بنا وذبحناه واشويناه لحمه في تلك النار وطلبنا الفقير الذي نبه عليه فلم نجده ولا وبعنا له على أثر فطال عجبنا منه ثم وصلنا من جبل لبنان الى مدينة بعلبك وهي حسنة قديمة من أطيب مدن الشام تحديقها البساتين الشريفة والجنات المنبقة وتخترق ارضها الانهار الجارية وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية وبها من حب الملوك ما ليس في سواها وبها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونه من العنب ولهمم تربة يضعونها فيه فيجبد وتكسر القلة التي يكون بها فيبقى قطعة واحدة وتصنع منه الخلاء ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمون حلواءه بالملبن ويسمون بها أيضا بجلد الفرس

وهي كثيرة الالبان وتجلب منها الى دمشق وبينهما مسيرة يوم للمجد وأما الرفاق فيخرجون من بعلبك فيبيتون ببلدة صغيرة تعرف بالزبداني كثيرة القواكه ويغدون منها الى دمشق ويصنع بعلبك الثياب المنسوبة اليها من الاحرام وغيره ويصنع بها اواني الخشب وملاعقه التي لانظير لها في البلاد وهم يسمون الحكاف بالدسوت وربما صنعوا الصحف وصنعوا صحيفة أخرى تسع في جوفها وأخرى في جوفها الى ان يبلغوا العشرة فيخيل لرائيها انها صحيفة واحدة وكذلك الملاعق يصنعون منها عشرة واحدة في جوف واحدة ويصنعون لها غشاء من جلد ويمسكها الرجل في خزامه واذا حضر طعاما مع أصحابه أخرج ذلك فيظن رائيه انها معلقة واحدة ثم يخرج من جوفها تسعا وكان دخولي لبعلبك عشية النهار وخرجت منها بالغد ولقرط اشتياقي الى دمشق ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين الى مدينة دمشق الشام فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابية ودمشق هي التي تفصل جميع البلاد حسنا وتتقدمها اجالا وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها ولا أبدع مما قاله أبو الحسين ابن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها قال وأما دمشق فهي جنة المشرق ومطلع نورها المشرق وخاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها وعروس المدن التي اجتليناها قد تحلت بازاهير الرياحين وتجلت في حلل سندسية من البساتين وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين وتزينت في منصتها أجمل تزيين وتشرفت بان آوى المسبح عليه السلام وامه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسيل تنساب مذابه انسياب الارقم بكل سيل ورياض يحكي النفوس نسيها العليل تتبرج لناظريها بمجئى صقيل وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل وقد سئمت ارضها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الظاء فتكاد تتادى بها الصم الصلاب أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وقد احدثت البساتين بها احداق الهالة بالقمر والاكمام بالثمر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر وكل موضع لحظت بجهاتها الاربع نضرت اليه اليانة قيد البصر ولله صدق القائلين عنها ان كانت الجنة في الارض فدمشق لا شك فيها وان كانت في السماء فهي تساميا وتحاذيها قال ابن جزي وقد نظم بعض شعرائها في هذا المعنى فقال

ان تكن جنة الخلود بارض * فدمشق ولا تكون سواها
او تكن في السماء فهي عليها * فدأبدن هواها وهواها
بلد طيب ورب غفور * فاغتنمها عشية وضحاها

وذكرها شيخنا المحدث الرجال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن حسان القيسي الوادي شيء نزيل تونس ونص كلام ابن جبير ثم قال ولقد أحسن فيما وصف منها واجاد وتوق

الانفس لتطلع على صورتها بما اغاد هذا وان لم تكن له بها القامة فيعرب عنها بحقيقة علامة
ولا وصف ذهبيات أصيملها وقدحان من الشمس غروبها ولا ازمان جفوها المنوعات
ولا أوقات سرورها المنبئات وقد اختص من قال الفيتها كما تصف اللسان وفيها ما تشتهيه
الانفس وتلذذ الاعين قال ابن جزي والذي قالته الشعراء في وصف محاسن دمشق لا يحصر
كثرة وكان والذي رحمه الله كثير اما ينشد في وصفها هذه الايات وهي لشرف الدين بن محسن
رحمه الله تعالى (طويل)

دمشق بنا شوق اليها مبرح * وان لج واشرا وألح عـذول
بلادها الخصباء وتربها * عبيرو أنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل
وهذا من النمط العالي من الشعر وقال فيها عرقلة الدمشقي الكلابي (كامل)
الشام شامة وجنة الدنيا كما * انسان مقلتها الفضيضة جلق
من آسها لا الجنة لا تنقضى * ومن الشقيق جهنم لا تحرق
وقال أيضا فيها (بسيط)

اما دمشق بجنات معجزة * للطالبيين بالولدان والخور
ما صاح فيها على أوتار هـ قمر * الا يغنيـه قري وشحرور
يا حبذا ودروع الماء تنسجها * أنامل الريح الا انها زور
وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك وقال فيها أبو الوحش سبع بن خلف الاسدي (رجز)
سقى دمشق الله غيثا محسنا * من مستهل ديمة دهاقها
مدينة ليس يضاهي حسنها * في سائر الدنيا ولا آفاقها
تود زورا العـراق انها * منها ولا تعزى الى عراقها
فأرضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر في اشراقها
نسيم روضها متى ما قدسرى * فكأخا الهموم من وثاقها
قدر تع الربيع في رابعها * وسيفت الدنيا الى أسواقها
لا تسام العيون والانوف من * رؤيتها يوما ولا استنشاقها
وهما يناسب هذا القاضى الفاضل عبد الرحيم البيساني فيها من قصيدة وقد نسبت أيضا لابن
المنير (كامل)

يا برق هـل لك في احتمال تحية * عذبت فصارت مثل ما تلك سلسلا
يا كرم دمشق عيشق اقلام الحيا * زهر الرياض مرصعا ومكللا

واجري جيون ذيلك واختصم * مغنى تآزر بالعلمى وتسربلا
 حيث الحيا الربيعي محارل الحبا * والوايل الربيعي مغرى الكلا
 وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغنسى الغرناطى المدعو نور الدين (بسيط)
 دمشق منزلنا حيث النعيم بدا * مكلا وهوفي الآفاق مختصر
 القصب راتمة والطير صادحة * والزهر مر تفع والماء منجدر
 وقد تجملت من اللذات أوجها * لكنها بظلال الدوح تستتر
 وكل واد به موسى يفجـره * وكل روض على حافته الخضر
 وقال أيضا فيها (بسيط)

خيم يخلق بين الكأس والوتر * فى جنة هي ملء السمع والبصر
 ومتع الطرف فى مرأى محاسنه * وروض الفكر بين الروض والنهر
 وانظر الى ذهبيات الاصيل بها * واسمع الى نغمات الطير فى الشجر
 وقل لمن لام فى لذاته بشرا * دعنى فانك عندى من سوى البشر
 وقال فيها أيضا (كامل)

أنا دمشق جنة * ينسى بها الوطن الغرب
 لله أيام السبوت * بها ومنظرها العجيب
 انظر بعينك هل ترى * الاحسب أوحبيب
 فى موطن غنى الجمام * به على رقص القضيبي
 وغدت ازهار روضه * تختال فى فرح وطيب

واهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملا انما يخرجون الى المنتزهات وشطوط الانهار ودوحات
 الاشجار بين البساتين النضيرة والمياه الجارية فيكونون بها يومهم الى الليل وقد طال بنا
 الكلام فى محاسن دمشق فلنرجع الى كلام الشيخ ابى عبد الله
 * (ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بنى أمية) *

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالا وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكالا ولا يعلم له
 نظير ولا يوجد له شبيه وكان الذى تولى بناءه واتقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن
 مروان ووجه الى ملك الروم بمسطنطينية يأمره ان يبعث اليه الصناع فيبعث اليه اثني عشر
 الف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد
 رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فانتهى الى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن
 الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحا فانتهى الى نصف الكنيسة فصنع المسلمون

من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجد اوبقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم ان يبيعوا منه كنيسة لهم تلك بما شاؤوا من عوض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم وكانوا يزعمون ان الذي يهدمها يجن فذكر واذلك للوليد فقال انا اول من يجن في سبيل الله وأخذ الناس وجعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تابعوا على الهدم وأكذب الله زعم الروم وزين هذا المسجد بنصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء تخالطها أنواع الاصبغة الغريبة الحسن وذرع المسجد في الطول من الشرق الى الغرب مائة تسنخوة وهي ثلاثمائة ذراع وعرضه من القبلة الى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائة ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق الى غرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أرجل جصية تتخللها وست أرجل من رخمة من صخرة الرخام الملون قد صور فيها اشكال محاريب وسواها وهي ثقيل قبة الرصاص التي امام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد بنسرا طيرا والقبعة رأسه وهي من أعجب مباني الدنيا ومن أى جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاعبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهات الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطا وبها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حسنا وبها يجتمع أهل المدينة بالعشا يا فخر قارئ ومحدث وذاهب ويكون انصرفهم بعد العشاء الاخيرة واذلقي أحد كبرائهم من الفقهاء وسواهم صاحب الله اسرع كل منهم ما نحو صاحبه وحط رأسه وفي هذا الصحن ثلاث من القباب احداها في غربيه وهي اكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهي قائمة على ثمان سواري من الرخام من خرفة بالفصوص والاصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال ان مال الجامع كان يحتزن بها وذكرك لي ان فوائد مستغلات الجامع ومجاياه نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهبيا في كل سنة والقبعة الثانية من شرقي الصحن على هيئة الاخرى الا انها اصغر منها قائمة على ثمان من سواري الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبعة الثالثة في وسط الصحن وهي صغيرة مئمنة من رخام عجيب محكم الالتصاق قائمة على أربع سواري من الرخام الناصع وتحتها شباك حديد في وسطه أبواب نحاس يفتح الماء الى علو فيرتفع ثم ينثني كأنه قضيب لجين وهم يسمونهم قفص الماء ويستحسن الناس وضع افواههم فيه للشرب وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي الى مسجد يدعى الوضع يسمى مشهد على بن أبي طالب رضى الله عنه ويقابله من الجهة الغربية حيث ياتقى البلاطان الغربي والجوفي موضع يقال ان عائشة رضى الله عنها سمعت الحديث هناك وفي قبلة المسجد

المقصودة العظمى التي يؤم فيها امام الشافعية وفي الركن الشرقي منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم وهناك يحلف الناس غرماء هم ومن ادعوا عليه شيئاً وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر اهل التاريخ انه اول محراب وضع في الاسلام وفيه يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة محراب الحنفية وفيه يؤم امامهم ويليّه محراب الحنابلة وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشارقية وهي من بناء الروم وبابها داخل المسجد وباسفلها مطهرة وبيوت للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والمتزيمون للمسجد ويتوضؤون والصومعة الثانية بغربية وهي أيضاً من بناء الروم والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين وعدداً المؤذنين به سبعون مؤذناً وفي شرقي المسجد مقصورة كبيرة فيها صهر يج ماء وهي لطائفة الز يالعة السودان وفي وسط المسجد قبر ذكر يا عليه السلام وعليه تابوت معترض بين اسطوأتين مكسوب بشوب حرير اسود معلم فيه مكتوب بالابيض يا ذكر يا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وهذا المسجد شهر الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري ان الصلاة في مسجد دمشق ثلاثين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد الله فيه بعد خراب الدنيا اربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هود عليه السلام وان قبره به وقد رأيت على مقربة من مدينة ظفار اليمن بموضع يقال له الاحقاف بنية فيها قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد انه لا يخالو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان كما سندا كره والناس يجتمعون به كل يوم اثنى عشر صلاة الصبح فيقرأون سبعاً من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرأون فيها من سورة الكوثر الى آخر القرآن وللمجتمعين على هذه القراءة مراتب تجرى لهم وهم نحو ستمائة انسان ويدور عليهم كاتب النعيبة فن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته وفي هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين لا يخرجون منه مقبلون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون عن ذلك ويتوضؤون من المظاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلديعينونهم بالمطاعم والملابس من غير ان يسألوهم شيئاً من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب باب قبلي يعرف باب الزيادة وباعلاه قطعة من الرمح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنه يذهب الى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهي سوق عظيمة ممتدة مع جدار المسجد القبلي من احسن اسواق دمشق وموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهم من بني العباس رضى الله عنهم وصار مكانها سوقا وباب شرقى وهو أعظم ابواب المسجد ويسمى بباب جبرون وله دهليز عظيم يخرج منه الى بلاط عظيم طويل امام خمسة ابواب لها ستة اعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وبه ماء جار وقد انتظمت امام البلاط درج ينحدر فيها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته اعمدة كالخدوع طوال وبجانبى هذا الدهليز اعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البرازين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهرين والكتبيين وصناع اوائل الزجاج العجيبة وفي الرحبة المتصلة بالباب الاول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية وسائر اصحاب المذاهب يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول والعساقل لا نكحة من قبل القاضى وسائر الشهود ومترقون في المدينة وبمقربة من هذا الدكاكين سوق الوراقين الذين يبيعون الكاغذ والاقلام والمداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لاسقف لها ثقلها اعمدة رخام وفي وسط الحوض أنبوب نحاس يزعم الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من قامة الانسان يسمونه الفوارة منظره عجيب وعن يمين الخارج من باب جبرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتحة لها ابواب على عدد ساعات النهار والابواب مصبوغ باطنها بالخنزرة وظاهرها بالصقرة فاذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال ان بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات والباب الغربى يعرف بباب البريد وعن يمين الخارج منه مدرسة للشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه وباعلام باب يصعد اليه في درج له اعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سقايتان عن يمين وشمال مستديرتان والباب الجوفى يعرف بباب النطفانيين وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه خانقة تعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء ولها مطاهر يجري فيها الماء ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى كل باب من ابواب المسجد اربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة

* (ذكر الائمة بهذا المسجد) *

وامتته ثلاثة عشر اماما اولهم امام الشافعية وكان في عهد دخولى اليها امامهم قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القروينى من كبار الفقهاء وهو الخطيب بالمسجد وسكنه بدار الخطابة ويخرج من باب الحديد ازاء المة صورة وهو الباب الذى كان يخرج منه معاوية

رضي الله عنه وقد تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد ان ادى عنه الملك الناصر نحو مائة الف درهم كانت عليه ديناً بدمشق واذا سلم امام الشافعية من صلاته اقام الصلاة امام مشهد على ثم امام مشهد الحسين ثم امام الكلاسة ثم امام مشهد أبي بكر ثم امام مشهد عمر ثم امام مشهد عثمان رضي الله عنهم اجمعين ثم امام المالكية وكان امامهم في عهد دخول اليها الفقيه أبو عمر بن أبي الوليد بن الحاج التجيبي القرطبي الاصل الغرناطي المولد نزىل دمشق وهو يتناوب الامامة مع اخيه رحمه ما الله ثم امام الحنفية وكان امامهم في عهد دخول اليها الفقيه عماد الدين الحنفي المعروف بابن الرومي وهو من كبار الصوفية وله شياخة الخانقاة الخاتونية وله أيضاً خانقاة بالشرف الاعلى ثم امام الحنابلة وكان في ذلك العهد الشيخ عبد الله الكفيف احد شيوخ القراءة بدمشق ثم بعد هؤلاء تسعة ائمة لقضاء الفوائت فلا تزال الصلاة في هذا المسجد من اول النهار الى ثلث الليل كذلك قراءة القرآن وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك

* (ذكر المدرسين والمعلمين به) *

ولهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم والمحدثون يقرأون كتب الحديث على كراسي مرتفعة وقراء القرآن يقرأون بالا صوات الحسنة صبا ومساء وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سوارى المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الاواح تنزيها لكتاب الله تعالى وانما يقرأون القرآن تلقيناً ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الاشعار وسواها فينصرف الصبي من التعليم الى التكتيب وبذلك جاد خطه لان المعلم للخط لا يعلم غيره ومن المدرسين بالمسجد المذكور العالم الصالح برهان الدين ابن الفرخ الشافعي ومنهم العالم الصالح نور الدين أبو اليسر بن الصايغ من المشتهرين بالفضل والصلاح ولما ولي القضاء بمصر جلال الدين القزويني وجه الى أبي اليسر الخلعة والامر بقضاء دمشق فامتنع من ذلك ومنهم الامام العالم شهاب الدين بن جهيل من كبار العلماء هرب من دمشق لما امتنع أبو اليسر من قضائهم خوفاً من ان يقلد القضاء فتصل ذلك بالملك الناصر فولى قضاء دمشق شيخ الشيوخ بالديار المصرية قطب العارفين لسان المتكلمين علاء الدين القونوي وهو من كبار الفقهاء ومنهم الامام الفاضل بدر الدين علي النسخاوي المالكي رحة الله عليهم اجمعين

* (ذكر قضاء دمشق) *

قد ذكرنا قاضي القضاة الشافعية بها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني واما قاضي المالكية فهو شرف الدين ابن خطيب الفيوم حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ

شيخ

شيوخ الصوفية والنائب عنه في القضاء شمس الدين بن القفصى ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصامية واما قاضى قضاة الحنفية فهو عماد الدين الحوراني وكان شديد السطوة واليه يتحاكم النساء وازواجهن وكان الرجل اذا سمع اسم القاضى الحنفى أنصت من نفسه قبل الوصول اليه واما قاضى الحنابلة فهو الامام الصالح عز الدين ابن مسلم من خيار القضاة ينصرف على حمار له ومات بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً لما توجه للحجاز الشريف
 (حكايه)

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتهكم في الفنون الا ان في عقله شيئاً وكان أهل دمشق يعظمونه اشد التعظيم ويعظمهم على المنبر وتكلم مرة بامر انكره الفقهاء ورفعوه الى الملك الناصر فامر بانثخاصه الى اقامته وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر وتكلم شرف الدين الزاوى المالكى وقال ان هذا الرجل قال كذا وكذا وعددا ما انكر على ابن تيمية واحضر العتود بذلك ووضعها بين يدي قاضى القضاة وقال قاضى القضاة لابن تيمية ما تقول قال لا اله الا الله فاعاد عليه فاجاب بمثل قوله فامر الملك الناصر بسجنه فسجن اعواما وصنف في السجن كتابا في تفسير القرآن سماه بالبحر المحيط في نحو أربعين مجلدا ثم ان امه تعرضت للملك الناصر وشكت اليه فامر باطلاقه الى ان وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت اذ ذاك بدمشق فحضرت يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه ان قال ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فتميه مالهكى يعرف بابن الزمراء وان كرما تكلم به فتأمت العامة الى هذا الغفقه وضربوه بالايدي والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فانكروا عليه لباسها واحتملوه الى دار عز الدين بن مسلم قاضى الحنابلة فامر بسجنه وعززه بعد ذلك فانه كرفقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الامر الى ملك الامر اسيف الدين تذكيز وكان من خيار الامراء وصلحائهم فكتب الى الملك الناصر بذلك وكتب عمدا شرعيا على ابن تيمية بامور مكرمة منها ان المطلق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه الا طمعة واحدة ومنها ان المسافر الذى ينوى بسفره زيارة القبر الشريف يزداد الله طيبا لا يقصر الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه وبعث العتد الى الملك الناصر فامر بسجن ابن تيمية بالقلعة فسجن بها حتى مات في السجن

(ذكر مدارس دمشق)

اعلم ان للشافعية بدمشق جملة من المدارس اعظمها العادلية وبها يحكم قاضى القضاة وتتقابلها المدرسة الظاهرية وبها قبر الملك الظاهر وبها جلاس نواب القاضى ومن نوابه فخر الدين

القبطي كان والده من كتاب القبط واسمهم جمال الدين بن جملة وقد تولى قضاء قضاء الشافعية بعد ذلك وعزل لأمس أوجب عزله

* (حكاية) *

كان بدمشق الشيخ الصالح ظهير الدين العجمي وكان سيف الدين تنكيز ملك الأمراء يتخلله ويعظمه فحضر يوماً دار العدل عند ملك الأمراء وحضر القضاة الأربعة فحكي قاضي القضاة جمال الدين بن جملة حكاية فقال له ظهير الدين كذبت فأنف القاضي من ذلك وامتنع له فقال للمير كيف يكذبني بحضرتك فقال له الأمير احكم عليه وسلمه إليه وطنسه أنه يرضى بذلك فلا يناله بسوء فأحضره القاضي بالمدرسة العادلة وضر به مائتي سوط وطيف به على جارف في مدينة دمشق ومنادين ينادي عليه فتفرغ من ندائه ضر به على ظهره ضربة وهكذا العادة عندهم فبلغ ذلك ملك الأمراء فأمره أشد الانكار وأحضر القضاة والفقهاء فأجمعوا على خطأ القاضي وحكمه بغير مذهبه فان التعزير عند الشافعي لا يبلغ به الحد وقال قاضي القضاة المالكية شرف الدين قد حكمت بتفسيقه فكتب إلى الملك الناصر بذلك فعزله وللحنفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضي قضاة الحنفية والمالكية بدمشق ثلاث مدارس أحداها الصمصامية وبها سكن قاضي القضاة المالكية وتعوده الأحكام والمدرسة النورية عمرها السلطان نور الدين محمود بن زنكي والمدرسة الشراشبية عمرها شهاب الدين الشراشبي التاجر وللحنابلة مدارس كثيرة أعظمها المدرسة النجمية

* (ذكر أبواب دمشق) *

ومدينة دمشق ثمانية أبواب منها باب الفرديس ومنها باب الجابية ومنها الباب الصغير وفيما بين هذين البابين مقبرة فيها العدد الجهم من الصحابة والشهداء فن بعدهم قال محمد بن جزي لقد أحسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوله

دمشق في أوصافها * جنة خلد راضيه

أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانية

* (ذكر بعض المشاهد والمزارات بها) *

فمنها بالمقبرة التي بين البابين باب الجابية والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين وقبر أخيه أم أيمن المؤمنين معاوية وقبر بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين وقبر أويس القرني وقبر كعب الأحمير رضي الله عنهم ما وجدت في كتاب المعلم في شرح صحيح مسلم للقرطبي أن جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرني من المدينة

المدينة الى الشام فتوفي في اثناء الطريق في برية لا عمارة فيها ولا ماء فقيحوا في امره فمضوا فوجدوا حنوطا واكفنا وماء فحججوا من ذلك وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ثم ركبوا فمات بعضهم كيف نترك قبره بغير علامة فعادوا للموضع فلم يجدوا القبر من أثر قال ابن جزي ويقال ان أوسا قتل بصفيين مع علي عليه السلام وهو الاصح ان شاء الله ويلى باب الحايصة باب شرف عنده جبانة فيها قبر أبي بن كعب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها قبر العابد الصالح رسلان المعروف بالباز الاشهب

(حكاية في سبب تسميته بذلك)

يحكى ان الشيخ الولي احمد الرفاعي رضى الله عنه كان مسكنه بام عبيدة بمقربة من مدينة واسط وكانت بين ولى الله تعالى ابي مدين شعيب بن الحسين وبينه مؤاخاة ومراسلة ويقال ان كل واحد منهما كان يسلم على صاحبه صباحا ومساء فیرد عليه الآخر وكانت للشيخ أحمد تخيلات عند زاويته فلما كان في احدى السنين جذها على عادته وترك عذقا منها وقال هذا برسم أخي شعيب فحج الشيخ أبرمدين تلك السنة واجتمع بالوقف الكريم بعرفة ومع الشيخ أحمد خديمه رسلان فتفصا وضاع الكلام وحكى الشيخ حكاية العذق فقال له رسلان عن امرئ ياسيدى اتيه به فأذن له فذهب من حينه وأناه به ووضع بين ايديهما فأخبرا أهل الزاوية انهم رأوا عشية يوم عرنة باز الاشهب قد انقض على النخلة فقطع ذلك العذق وذهب به في الهواء وبغربي دمشق جبانة تعرف بتقبور الشهداء فيها قبر ابي الدرداء وزوجه ام الدرداء وقبر فضالة ابن عبيد وقبر وائلة بن الاسقع وقبر سهل بن حنظلة من الذين بايعوا تحت الشجرة رضى الله عنهم أجمعين وبقرية تعرف بالمنجحة شرقي دمشق وعلى أربعة أميال منها قبر سعد بن عبادة رضى الله عنه وعليه مسجد صغير حسن البناء وعلى رأسه بحرفيه مكتوب هذا قبر سعد بن عبادة رأس الخزرج صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبقرية قبلى البلد وعلى فرسخ منها مشهد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة عليهم السلام ويقال ان اسمها زينب وكنىها النبي صلى الله عليه وسلم أم كلثوم لشبهها بنحالتها أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مسجد كريم وحوله مساكن وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم وقبر آخر يقال انه قبر سكينه بنت الحسين بن علي عليه السلام وبجامع النيرب من قرى دمشق في بيت بشرقيه قبر يقال انه قبر أم مریم عليها السلام وبقرية تعرف بداريا غربى البلد وعلى أربعة أميال منها قبر أبي مسلم الخولاني وقبر أبي سليمان الداراني رضى الله عنهما ومن مشاهد دمشق الشهيرة البركة مسجد الاقدام وهو في قبلى دمشق على ميلين منها على قارعة الطريق الاعظم الاخذ الى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر وهو

مسجد عظيم كثير البركة وله اوقاف كثيرة ويعظمه أهل دمشق تعظيماً شديداً والاقدام التي ينسب اليها هي اقدم مصورة في حجر هنالك يقال انها اثر قدم موسى عليه السلام وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه كان بعض الصالحين يرى المعصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم فيقول له ها نحن اقرباخي موسى عليه السلام ومقربة من هذا المسجد على الطريق موضع يعرف بالكثيب الاحمر ومقربة من بيت المقدس وأريحا موضع يعرف أيضا بالكثيب الاحمر تعظمه اليهود

(حكاية)

شاهدت ايام الطاعون الاعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين من تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يعجب منه وهو ان ملك الامراء نائب السلطان ارغون شاه أمر مناد ينادي بدمشق ان يصوم الناس ثلاثة ايام ولا يطبخ احد بالسوق ما يؤكل نهارا وأكثر الناس بها انما يأكلون الطعام الذي يصنع بالسوق فصام الناس ثلاثة ايام متواليه كان آخرها يوم الخميس ثم اجتمع الامراء والشرفاء والقضاة والفقهاء وسائر الطبقات على اختلافها في الجامع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة به ما بين مصلي وذاكر وداع ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعا على اقدامهم وبايديهم المصاحف والامراء حفاة وخرج جميع أهل البلد ذكورا واناثا صغارا وكبارا وخرج اليهود بثورتهم والنصارى بانجيلهم ومعهم النساء والولدان وجميعهم باكون متضرعون متوسلون الى الله بكتبته وانبيائه وقصدوا مسجداً الاقدام واقاموا به في تضرعهم ودعائهم الى قرب الزوال وعادوا الى البلد فصلاوا الجمعة وخفف الله تعالى عنهم ما انتهى عدد الموتى الى الفين في اليوم الواحد وقد انتهى عددهم بالقاهرة ومصر الى أربعة وعشرين الفا في يوم واحد وبالباب الشرقي من دمشق منارة يضاء يقال انها التي ينزل عيسى عليه السلام عندها حسبما ورد في صحيح مسلم

(ذكر ارباض دمشق)

وتدور بدمشق من جهاتها ما عدا الشرقية ارباض فسيحة الساعات دواخلها الملح من داخل دمشق لاجل الضيق الذي في سككها وبالجهة الشمالية منها ربض الصالحية وهي مدينة عظيمة لها سوق لانظير لحسنه وفيها مسجد جامع ومارستان وبها مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر موقوفة على من اراد ان يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول وتجري لهم ولبن يعلمهم كفائتهم من المأكول والملابس وبداخل البلد أيضاً مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجيا وأهل الصالحية كلهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه

*)

* (ذكر قاسيون ومشاهدة المباركة) *

وقاسيون جبل في شمال دمشق والصالحية في سفحه وهو شهير البركة لانه مصعد الانبياء عليهم السلام ومن مشاهد الكريمة الغار الذي ولد فيه ابراهيم الخليل عليه السلام وهو غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير وله صومعة عالية ومن ذلك الغار رأى الكوكب والقمر والشمس جميعا ورد في الكتاب العزيز وفي ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج اليه وقد رأيت ببلد العراق قرية تعرف ببرص (بضم الباء الموحدة وآ خرها صادمهمل) ما بين الحلة وبغداد يقال ان مولد ابراهيم عليه السلام كان بها وهي بمقربة من بلد ذي الكفل عليه السلام وبها قبره ومن مشاهد بالغرب منه مغارة الدم وفوقها بالجبل دم هابيل بن آدم عليه السلام وقد أبقي الله منه في الحجارة أثر أحمر وهو الموضع الذي قتله أخوه به واجترأ الى المغارة ويذكر ان تلك المغارة صلى فيها ابراهيم وموسى وعيسى وأيوب ولوط صلى الله عليهم أجمعين وعليها مسجد متقن البناء يصعد اليه على درج وفيه بيوت ومرافق للسكنى ويفتح في كل يوم اثنين وخميس والشمع والسرج توضع في المغارة ومنها كهف بأعلى الجبل ينسب لآدم عليه السلام وعليه بناء واسفل منه مغارة تعرف بمغارة الجوع يذكر انه آوى اليها سبعون من الانبياء عليهم السلام وكان عندهم رغيف فلم يزل يذور عليهم وكل منهم يؤثر صاحبه به حتى ماتوا جميعا صلى الله عليهم وعلى هذه المغارة مسجد مبني والسرج تقديه ليلا ونهارا وكل مسجد من هذه المساجد أوقاف كثيرة معينة ويذكر ان فيما بين باب الفراديس وجامع قاسيون مدفن سبع مائة نبي وبعضهم يقول سبعين الفا خارج المدينة المقبرة العتيقة وهي مدفن الانبياء والصالحين وفي طرفها ما يلي البساتين ارض منخفضة غلب عليها الماء يقال انها مدفن سبعين نبيا وقد عادت قرار الماء ونزعت من ان يدفن فيها أحد

* (ذكر الربوة والقرى التي تواليها) *

وفي آخر جبل قاسيون الربوة المباركة المذكورة في كتاب الله ذات القرار والمعين ومأوى المسيح عيسى واهله عليهم السلام وهي من اجل مناظر الدنيا ومتنزهاتها والتصور المشيدة والمباني الشريفة والبساتين البديعة والمأوى المبارك لمغارة صغيرة في وسطها كالييت الصغير وازاءها بيت يقال انه مصلى الخضر عليه السلام يبادر الناس الى الصلاة فيها والمأوى باب حديد صغير والمسجد يدور به وله شوارع دائرة وسقاية حسنة ينزل لها الماء من علو وينصب في شاذروان في الجدار يتصل بحوض من رخام ويقع فيه الماء ولا تظير له في الحسن وغرابة الشكل وبقرب ذلك مطاهر للوضوء يجري فيها الماء وهذه الربوة المباركة هي رأس بساتين دمشق وبها منابع مياهها وينقسم الماء الخارج منها على سبعة أنهار كل نهر أخذ في جهة

ويعرف ذلك الموضع بالمقاسم وأكبر هذه الأنهار النهر المسمى بتورة وهو يشق تحت الربوة وقد نحت له مجرى في الحجر الصلد كالغار الكبير وربما انغمس ذو الجسارة من العوامين في النهر من أعلى الربوة واندفع في الماء حتى يشق مجراه ويخرج من أسفل الربوة وهي مخاطرة عظيمة وهذه الربوة تشرف على البساتين الدائرة بالبلد ولها من الحسن واتساع مسرح الابصار ما ليس لسواها وذلك الأنهار السبعة تذهب في طرق شتى فتجار العين في حسن اجتماعها واقتراءها واندفاعها وانصبابها وجمال الربوة وحسنها التام اعظم من ان يحيط به الوصف ولها الاوقاف الكثيرة من المزارع والبساتين والرباع تقام منها وظائفها للامام والمؤذن والصادر والوارد وبأسفل الربوة قرية النيرب وقد تكاثرت بساتينها ونكاثفت ظلالها وتذات أشجارها فلا يظهر من بنائها الا ماسما ارتفاعه ولها جام مليح ولها جامع بديع مفروش صحنه بفصوص الرخام وفيه سقاية ماء رائقة الحسن ومطهرة فيها بيوت عدة يجري فيها الماء وفي القبل من هذه القرية قرية المزرة وتعرف بجزء كلب نسبة الى قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكانت اقطاء عالم واليهما ينسب الامام جافظ الدنيا جمال الدين يوسف بن الزكي الكلبى المزرى وكثير سواه من العلماء وهي من أعظم قرى دمشق بها جامع كبير عجيب وسقاية معينة وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة والاسواق وسكانها كاهن الحاضرة في مناحيمهم وفي شرق البلد قرية تعرف ببيت الالهية وكانت فيها كنيسة يقال ان آزر كان ينحت فيها الاصنام فيكسرها الخليل عليه السلام وهي الآن مسجد جامع بديع فزين بفصوص الرخام المائنة المنظمة بالعجب نظام وازين التمام

* (ذكر الاوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوايدهم) *

والاوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها فنفها أوقاف على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته ومنها أوقاف على تجهيز البنات الى أزواجهن وهي اللواتى لا قدرة لاهلهن على تجهيزهن ومنها أوقاف لانكالك الاسارى ومنها أوقاف لايتاء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم ومنها أوقاف على تعديل الطرق ورصفها لان أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبه يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان بين ذلك ومنها أوقاف لسوى ذلك من افعال الخير

* (حكاية) *

مررت يوما ببعض أزقة دمشق فرأيت به مملوكا صغيرا قد سقطت من يده حبة من الفخار الصينى وهم يسمونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجع شقفها واجملها معك لصاحب أوقاف الا واني لجمعها وذهب الرجل معه اليه فأراه ياها فدفع له ما اشترى به

مثل ذلك الصحن وهذا من أحسن الأعمال فان سيد الغلام لا بد له ان يضربه على كسر الصحن أو ينهره وهو أيضا يكسر قلبه ويتغير لاجل ذلك فكان هذا الوقت جبه القلوب جزى الله خيرا من تسامت همته في الخير الى مثل هذا وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد وهم يحسنون الظن بالعمارة ويطامنون اليهم بالاموال والاهلين والاولاد وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد ان يتأقلى له وجه من المعاش من امامة مسجد أو قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد ينجي اليه فيه رزقه أو قراءة القرآن أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة أو يكون كحمله الصوفية بالخوانق تجري له النفقة والكسوة فن كان بها غريبا على خير لم يزل مصونا عن بذل وجهه محفوظا عما يزرى بالمرءة ومن كان من أهل المهنة والخدمة فله أسباب أخر من حراسة بستان أو أمانة طاحونة أو كفالة صبيان يغدو معهم الى التعليم ويروح ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الاغاثة التامة على ذلك ومن فضائل أهل دمشق انه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة فمن كان من الاغراء والقضاة والكبراء فانه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده ومن كان من التجار وكبار السوق صنع مثل ذلك ومن كان من الضعفاء والبيادية فانهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم أو في مسجد أو يأتي كل أحد بما عنده فيفطرون جميعا ولما وردت دمشق وقعت بيني وبين نور الدين السخاوي مدرس المالكية صحبة فرغب مني ان أفطر عنده في ليالي رمضان فحضرت عنده أربع ليالي ثم اصابتنى الحمى فغبت عنه فبعث في طلبى فاعتذرت بالمرض فلم يسعنى عذرا فرجعت اليه وبت عنده فلما اردت الانصراف بالغد منعنى من ذلك وقال لى أحسب دارى كأنها دارك أو دار ابيك أو اخيك وأمر باحضار طبيب ران يصنع لى بداره كل ما يشتميه الطبيب من دواء أو غذاء وأقت كذلك عنده الى يوم العيد وحضرت المصلى وشفانى الله تعالى مما اصابنى وقد كان ما عندى من النفقة نفد فعلم بذلك فاكترى لى جمالا واعطانى الزاد وسواه وزادنى دراهم وقال لى تكون لما عسى ان يعتريك من أمر مهم جزاه الله خيرا وكان بدمشق فاضل من كتاب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيصرانى من عادته انه متى سمع ان مغربيا وصل الى دمشق بحث عنه واضافه وأحسن اليه فان عرف منه الدين والفضل أمره بملازمته وكان يلزمه منهم جماعة وعلى هذه الطريقة أيضا كاتب السر الفاضل علاء الدين ابن غانم وجماعة غيره وكان بها فاضل من كبرائها وهو صاحب عز الدين القلانسي له ما أثر ومكارم وفضائل واثنار وهو ذو مال عريض وذكر وان الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه وجميع أهل دولته وماليكة وخواصه ثلاثة ايام فسماه اذ ذاك بالصاحب وما يؤثر من فضائلهم ن أحد ملوكهم السالفين لما نزل به الموت أوصى ان يدفن بقبيلة الجامع المسكرم ويخفى قبره

وعين أوقافاً عظيمة لقرأء يقرأون سبعاً من القرآن الكريم في كل يوم أثر صلاة الصبح بالجهة الشرقية من مقصورة الصحابة رضى الله عنهم حيث قبره فصارت قراءة القرآن على قبره لا تنقطع أبداً وبقي ذلك الرسم الجميل بعدة مغلداً ومن عادة أهل دمشق وسائر تلك البلاد أنهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة فيقفون يحكون المساجد كبيت المقدس وجامع بني أمية وسواها ويقف بهم أممهم كاشفي رؤسهم داعين خاضعين خاشعين ملتزمين البركة ويتوخون الساعة التي يقف فيها وفد الله تعالى وحجاج بيته بعرفات ولا يزالون في خضوع ودعاء وابتهاال وتوسل إلى الله تعالى بحجاج بيته إلى أن تغييب الشمس فينفرون كما ينفر الحاج باكين على ما حرموه من ذلك الموقوف الشريف بعرفات داعين إلى الله تعالى أن يوصلهم إليها ولا يخليهم من بركة القبول فيما فعلوه ولهم أيضاً في اتباع الجنائز رتبة عجيبة وذلك أنهم يمشون أمام الجنائز والقرآء يقرأون القرآن بالأصوات الحسنة والتلاحين المبكية التي تكاد النفوس تطير لها رقة وهم يصرون على الجنائز بالمسجد الجامع قبالة المقصورة فإن كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه أدخلوه بالقراءة إلى موضع الصلاة عليه وإن كان من سواهم قطعوا القراءة عند باب المسجد ودخلوا بالجنائز وبعضهم يجتمع له بالبلاط الغربي من الصحن بمقربة من باب البريد فيجلسون وأمامهم ربعات القرآن يقرأون فيها ويرفعون أصواتهم بالنداء لكل من يصل للعزاء من كبار البلدة وأعيانها ويقولون بسم الله فلان الدين من كمال وجمال وشمس وبدر وغير ذلك فإذا أنمو القراء قام المؤذنون فيقولون افتكروا واعتبروا صلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم ويصفونه بصفات من الخير ثم يصلون عليه ويذهبون به إلى مدفته ولاهل المندرتبة عجيبة في الجنائز أيضاً زائدة على ذلك وهي أنهم يجتمعون بروضة الميت صبيحة الثلاث من دفنه وتفرش الروضة بالثياب الرفيعة ويكسى القبر بالأكسى الفاخرة وتوضع حوله الرياحين من الورد والنسرين والياسمين وذلك النوار لا ينقطع عندهم ويأتون بأشجار النليمون والأترج ويجعلون فيها حبوباً أن لم تكن فيها ويجعل صيوان يظلل الناس فحومو يأتى القضاء والامراة ومن يماثلهم في معدون ويقابلهم القراء ويؤتى بالربعات الكرام فيأخذ كل واحد منهم جزءاً فإذا تمت القراءة من القراء بالأصوات الحسان يدعو القاضى ويقوم قائماً ويخطب خطبة معدة لذلك ويذكر فيها الميت ويرثيه بأبيات شعر ويذكر أقاربه ويعزى بهم عنه ويذكر السلطان داعياله وعند ذكر السلطان يقوم الناس ويحيطون رؤسهم إلى سمت الجهة التي بها السلطان ثم يقعد القاضى ويأتون يماء الورد فيصب على الناس صباً يبدأ بالقاضى ثم يليه كذلك إلى أن يعم الناس اجمعين ثم يؤتى بأواني السكر وهو الجلاب محلولاً بالما فيسقون الناس منه ويبدأون بالقاضى ومن يليه ثم يؤتى بالتنبول وهم يعظمونه

ويكرمون من يأتي لهم به فاذا أعطى السلطان أحد امنه فهو أعظم من اعطاء الذهب والخلع
واذا مات الميت لم يأكل أهل التنبول الا في ذلك اليوم فيأخذ القاذى او من يقوم مقامه
اوراقا منه فيعطيهما الولى الميت فيأكلها او ينصرفون حينئذ وسياً في ذكر التنبول ان شاء الله
تعالى

* (ذكر سماعى بدمشق ومن أجازنى من أهلها) *

سمعت بجامع بنى امية عمره الله بذكره جميع صحيح الامام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي
النجارى رضى الله عنه على الشيخ المهر رحمة الا آفاق ملحق الا صاغر بالا كابر شهاب الدين
احمد بن أبى طالب بن أبى النعمان حسن بن على بن بيان الدين مقرئ الصالحى المعروف بابن
الشحنة النجازى فى أربعة عشر مجلسا والى يوم الثلاثاء منة نصف شهر رمضان المعظم سنة ست
وعشرين وسبعمائة وآخرها يوم الاثنين الثامن والعشرين منه بقراءة الامام الحافظ مؤرخ
الشام عماد الدين ابى محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الاشديلى الاصل الدمشقى فى
جماعة كبيرة كتب اسماءهم محمد بن طغريل بن عبد الله بن الغزال الصيرفى بسماع الشيخ ابى
العباس النجازى بجميع الكتاب من الشيخ الامام سراج الدين أبى عبد الله الحسين بن أبى بكر
المبارك بن محمد بن يحيى بن على بن المسبح بن عمران الربيعى البغدادى الزيدى الحنبلى فى
أواخر شوال وأوائل ذى القعدة من سنة ثلاثين وستمائة بالجامع المظفرى بسفح جبل
قاسيون ظاهر دمشق وبأجازته فى جميع الكتاب من الشيخين ابى الحسن محمد بن أحمد بن عمر
ابن الحسين بن الخلف التبطيعى المؤرخ وعلى بن ابى بصكر بن عبد الله بن روبة القلانسى
الطار البغدادى ومن باب غيرة النساء ووجدته فى آخر الكتاب من أبى المنجم عبد الله بن
عمر بن على بن زيد بن النقي الخنراعى البغدادى بسماع أربعين من الشيخ سديد الدين ابى الوقت
عبد الاول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم المسجزي الطروى الصوفى فى سنة ثلاث وخمسين
وخمسمائة ببغداد قال اخبرنا الامام جمال الاسلام ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن
محمد بن داود بن أحمد بن معاد بن سهل بن الحكم الداودى قراءة عليه وأنا اسمع به وشيخ سنة
خمس وستين وأربعمائة قال اخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حوية ابن يوسف بن أيمن
الدرخسى قراءة عليه وأنا اسمع فى صفر سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قال اخبرنا عبد الله
محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفريرى قراءة عليه وأنا اسمع سنة ست
عشرة وثلاثمائة بفر بر قال اخبرنا الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل النجارى رضى الله عنه
سنة ثمان وأربعين ومائتين بفر بروم مرة ثانية بعد هامة ثلاث وخمسين ومن أجازنى من أهل
دمشق اجازة عامة الشيخ أبو العباس النجازى المذكور سبق الى ذلك وتلفظ لى به ومنهم الشيخ

الامام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي ومولده في ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وستمائة ومنهم الشيخ الامام الصالح عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن النجدي ومنهم امام الائمة جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المنزلي الكاكي حافظ الحفاظ ومنهم الشيخ الامام علاء الدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي والشيخ الامام الشريف محيي الدين يحيى بن محمد بن علي العلوي ومنهم الشيخ الامام المحدث محمد الدين القاسم بن عبد الله بن أبي عبد الله بن المعلى الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وستمائة ومنهم الشيخ الامام العالم شهاب الدين أحمد بن ابراهيم ابن فلاح بن محمد الاسكندري ومنهم الشيخ الامام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله بن تمام والشيخان الاخوان شمس الدين محمد وكمال الدين عبد الله ابنا ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي والشيخ العابد شمس الدين محمد بن أبي الزعراء بن سالم الهكاري والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة الحراني والشيخة الصالحة رحمة الدنيا زينب بنت كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي كل هؤلاء أجازني اجازة عامة في سنة ست وعشرين بدمشق وبما استهل شوال من السنة المذكورة خرج الراكب الخجازي الى خارج دمشق ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فأخذت في الحركة معهم وكان امير الراكب سيف الدين الجوبان من كبار الامراء وقاضيه شرف الدين الاذري الحوراني وحج في تلك السنة مدرس المالكية صدر الدين الغماري وكان سفري مع طائفة من العرب تدعى النجارية اميرهم محمد بن رافع كبير القدر في الامراء وارتحلنا من الكسوة الى قرية تعرف بالصنمين عظيمة ثم ارتحلنا منها الى بلدة زرعة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها ثم ارتحلنا الى مدينة بصرى وهي صغيرة ومن عادة الراكب ان يقيم بها اربع ليال حتى يبعث في قافلة خديجة وبها مبرك مأربه والى بصرى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث في قافلة خديجة وبها مبرك ناقة قد بنى عليه مسجد عظيم ويجمع اهل حوران لهذه المدينة ويتزود الحاج منها ثم يرحلون الى بركة زيرة (زيرا) ويقيمون عليها يوما ثم يرحلون الى اللجون وبها الماء الجاري ثم يرحلون الى حصن الكرك وهو من أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل اليه في الحجر الصلد ومدخل دهليزه كذلك وبهذا الحصن يتحصن الملوكة واليه يلجأون في النوائب وله لجأ الملك الناصر لانه ولي الملك وهو صغير السن فاستولى على التدبير مملوكه سلار النائب عنه فظاهر الملك الناصر انه يريد الحج ورافقه الامراء على ذلك فتوجه الى الحج فلما وصل عقبه ايلة لجأ الى الحصن وأقام به اعواما الى ان قصده امراء الشام واجتمعت عليه المماليك وكان قد ولي الملك في تلك المدة

بيبرس الششنكير وهو أمير الطعام وتسمى بالملك المطفر وهو الذي بنا الخانقاة البيبرسية بمقربة من خانقاة سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين ابن أيوب فقصده الملك الناصر بالعساكر فغريبيبرس إلى الصحراء فتبعته العساكر وقبض عليه وأوتى به إلى الملك الناصر فأمر بقتله فقتل وقبض على سلار وحبس في جب حتى مات جوعاً ويقال أنه أكل جيفة من الجوع نعوذ بالله من ذلك وأقام الركب بخارج الكرك أربعة أيام بموضع يقال له الثانية وتجهزوا لدخول البرية ثم ارتحلنا إلى معان وهو آخر بلاد الشام ونزلنا من عقبة الصوان إلى الصحراء التي يقال فيها دخلها مفقود وخارجها مولود وبعد مسيرة يومين نزلنا ذات حج وهي حسيان لأعماراً بها ثم إلى وادي بلدح ولما به ثم إلى تبوك وهو الموضع الذي غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها عين ماء كانت تبض بشئ من الماء فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ منها جادت بالماء المعين ولم تزل إلى هذا العهد بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عادة جحاج الشام إذا وصلوا منزل تبوك أخذوا أسلحتهم وجردها وسيوفهم وحملوا على المنزل وضربوا النخيل بسيوفهم ويقولون هكذا دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل الركب العظيم على هذه العين فيروى منها جميعهم ويقيمون أربعة أيام للراحة واء الجمال واستعداد الماء للبرية المخوفة التي بين العلا وتبوك ومن عادة السقائين أنهم ينزلون على جوانب هذه العين ولهم أحواض مصنوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمال ويملاءون الروايا والقرب ولكل أمير أو كبير حوض يسقى منه جماله وجمال أصحابه ويملاءون رايهم وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقى جملة وملاءة قربته بشئ معلوم من الدراهم ثم يرحل الركب من تبوك ويجدون السير ليلاً ونهاراً خوفاً من هذه البرية وفي وسطها الوادي الأخضر كأنه وادي جهنم أعادنا الله منها وأصاب الجحاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت المياه وانتهت شربة الماء إلى ألف دينار ومات مشربها وبائعها وكتب ذلك في بعض صخر الوادي ومن هنالك ينزلون بركة المعظم وهي ضخمة نسبتها إلى الملك المعظم من أولاد أيوب ويجمع بها ماء المطر في بعض السنين وربما جف في بعضها وفي الخامس من أيام رحيلهم عن تبوك يصلون إلى بئر الحجر حجر ثمود وهي كثيرة الماء ولكن لا يردّها أحد من الناس مع شدة عطشهم اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بها في غزوة تبوك فأسرع براجلته وأمر أن لا يسقى منها أحد ومن عجن به أطعمه الجمال وهنالك ديار ثمود في جبال من الصخر الأحمر منحوتة لها عتب منقوشة يظن رائيها أنها حديثة الصنعة وعظامهم نخرة في داخل تلك البيوت أن في ذلك لعبرة ومبركة ناقة صالح عليه السلام بين جبلين هنالك وبينهما أثر مسجد يصلى الناس فيه وبين الحجر والعلا نصف يوم

أودونه والعلا قرية كبيرة حسنة لها بسايتن النخل والمياه المغينة يقيم بها الحجاج أربعاً
يتزودون ويغسلون ثيابهم ويدعون بها ما يكون عندهم من فضل زاد ويستحبون قدر
الكفاية وأهل هذه القرية أصحاب أمانة واليه ينتهي تجار نصارى الشام لا يتعدونها ويباعون
الحجاج بها الزاد وسواه ثم يرسل الركب من العلا فيزلون في غدر حيلهم الوادى المعروف
بالعطاس وهو شديد الحر تهب فيه السموم المهلكة هبت بعض السنين على الركب فلم يخلص
منهم الا اليسير وتعرف تلك السنة سنة الامير الجالقي ومنه ينزلون هدية وهى حسيان ماء بواد
يحفرون به فيخرج الماء وهو زعاق وفي اليوم الثالث ينزلون بظاهر البلد المقدس الكريم
الشريف

* (طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم) *

وفي عشي ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف وانتهينا الى المسجد الكريم فوق فناء باب السلام
مسلمين وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم واستلنا القطعة الباقية من الجذع
الذى حن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ملصقة بعمود قائم بين القبر والمنبر عن يمين
مستقبل القبلة وأدبنا حق السلام على سيد الاولين والآخرين وشفيح العصاة والمذنبين
الرسول النبي الهاشمي الابطيحي محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً وشرف وكرم وحق السلام
على ضجيعيه وصاحبيه أبى بكر الصديق وأبى حفص عمر الفاروق رضى الله عنهما وانصرفنا
الى رحلتنا مسرورين بهذه النعمة العظمى مستبشرين بنيل هذه المنة الكبرى حامدين لله
تعالى على البلوغ الى معاهد رسوله الشريفة ومشاهدة العظيمة المنيفة داعين ان لا يجعل
ذلك آخر عهدنا بها وان يجعلنا ممن قبلت زيارته وكتبت في سبيل الله سفرته

* (ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروضته الشريفة) *

المسجد المعظم مسة طيل تحفه من جهاته الاربع بلاطات دائرية ووسطه صحن مفروش
بالحصى والرمل ويدور بالمسجد الشريف شارع مبسط بالجمر المنحوت والروضة المقدسة صلوات
الله وسلامه على ساكنها في الجهة القبليّة مما يلي الشرق من المسجد الكريم وشكلها
عجيب لا يتأتى تمثيله وهى مدورة بالرغام البديع النحت الرائق النعت قد علاها تضييخ
المسك والطيب مع طول الازمان وفي الصنعة القبليّة منها مسمار فضة هو قبالة الوجه الكريم
وهناك يقف الناس للاسلام مستقبليين الوجه الكريم مستديرين القبلة فيسلمون وينصرفون
يمينا الى وجه أبى بكر الصديق ورأس أبى بكر رضى الله عنه عند قدمي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ينصرفون الى عمر بن الخطاب ورأس عمر عند كتفى أبى بكر رضى الله عنهما وفي
الجوف من الروضة المقدسة زاده الله طيباً حوض صغير من خم في قبلته شكل محراب يقال

انه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ويقال أيضا هو تبرها والله أعلم
وفي وسط المسجد الكريم دفنة مطبقة على وجه الارض مقلدة على سرداب له درج يفضى الى
دار أبي بكر رضى الله عنه خارج المسجد وعلى ذلك السرداب كان طريق بنته عائشة أم
المؤمنين رضى الله عنها الى داره ولا شك انه هو الخوخة التي ورد ذكرها في الحديث وأمر
النبي صلى الله عليه وسلم تسليما بإبقائهم اوسدما سواها وباراء دار أبي بكر رضى الله عنه دار عمر
ودار ابنه عبد الله بن عمر رضى الله عنه ما وبشرقي المسجد الكريم دار امام المدينة أبي عبد
الله مالك بن أنس رضى الله عنه وبمقربة من باب السلام سقاية ينزل اليها على درج ماؤها
معين وتعرف بالعين الزرقاء

* (ذكر ابتداء بناء المسجد الكريم) *

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الشريفة دار الهجرة يوم الاثنين الثالث عشر
من شهر ربيع الاول فنزل على بني عمرو بن عوف واقام عندهم ثنتين وعشرين ليلة وقيل
أربع عشرة ليلة وقيل أربع ليال ثم توجه الى المدينة فنزل على بني النجار بدار أبي أيوب
الانصاري رضى الله عنه واقام عنده سبعة أشهر حتى بنى مساجد ومسجده وكان موضع
المسجد مدر بد السهل وسهيل ابني رابع بن أبي عمر بن عاندين ثعلبة بن غانم بن مالك بن النجار
وهما يتييمان في حجر أسعد بن زرارة رضى الله عنهم أجمعين وقيل كانا في حجر أبي أيوب رضى الله
عنه فابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ذلك المربد وقيل بل أرضا لها أبو أيوب عنه
وقيل انها وهبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسليما المسجد وعمل فيه مع أصحابه وجعل عليه حائطا ولم يجعل له سقفا ولا اساطين وجعله
مربع اطوله مائة ذراع وعرضه مثل ذلك وقيل ان عرضه كان دون ذلك وجعل ارتفاع حائطه
قدرا لقامة ثلثا اشتد الحر تكلم أصحابه في تسقيفه فاقام له أساطين من جذوع النخل وجعل
سقفه من جريد هائل أمطرت السماء وكف المسجد فكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسليما رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمله بالطين فقال كلا عريش كعريش موسى
او ظلة كظلة موسى والامر اقرب من ذلك قيل وما ظلة موسى قال صلى الله عليه وسلم كان
لذا قام أصاب السقف رأسه وجعل للمسجد ثلاثة أبواب ثم سد الجنوبي منها حين حولت القبلة
ويبقى المسجد على ذلك حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وحياة أبي بكر رضى الله
عنه فلما كانت ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه زاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسليما وقال لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما يقول ينبغي ان تزيد في
المسجد ما زدت فيه فانزل اساطين الخشب وجعل مكانها اساطين اللبن وجعل الاساس حجارة

الى القامة وجعل الابواب ستة منها في كل جهة ما عدا القبلة بابان وقال في باب منها ينبغي ان
ايترك هذا للنساء فخارى فيه حتى لقي الله عز وجل وقال لو زدنا في هذا المسجد حتى يبلغ
الجبانة لم يزل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد عمران يدخل في المسجد موضعا
للعباس عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورضي عنهما فخنعه منه وكان فيه ميزاب
يصب في المسجد فترعه عمر وقال انه يؤذى الناس فنارعه العباس وحكما بينهما أبي بن كعب
رضي الله عنهما فأتيا داره فلم يأذن لهما الا بعد ساعة ثم دخلا اليه فقال كانت جاريتي تغسل
رأسى فذهب عمر ليتها فقل له أبي دع أبا الفضل يتكلم مكانه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسليما فقال العباس خطة خطها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وبنيتها
معه وما وضعت الميزاب الا ورجلاى على عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عمر فطرحه
وأراد ادخالها في المسجد فقال أبي ان عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسليما يقول أراد داود عليه السلام أن يبني بيت الله المقدس وكان فيه بيت ليتين
فراودهما على البيع فأبيا ثم رادهما فباعاه ثم قاما بالغين فرد البيع واشتراه منه ما ثم رداه
كذلك فاستعظم داود الثمن فأوحى الله اليه ان كنت تعطى من شئ هولاك فأنت أعلم وان
كنت تعطيهما من رزقنا فأعطهما حتى يرضيا وان أغنى البيوت عن مظلمة بيت هولى وقد
حرمت عليك بناءه قال يا رب فأعطه سليمان فأعطاه سليمان عليه السلام فقال عمر من
لى بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قاله فخرج أبي الى قوم من الانصار فاثبتوا له
ذلك فقال عمر رضى الله عنه أما انى لولم أجد غيرك أخذت قولك ولكنى أحبيت أن أثبت
ثم قال للعباس رضى الله عنه والله لا ترد الميزاب الا وقد مال على عاتقى ففعل العباس ذلك
ثم قال أسا اذا ثبتت لى فهى صدقة لله فهدهما عمر وأدخلها في المسجد ثم زاد فيه عثمان رضى
الله عنه وبناه بقوة وبأشرفه بنفسه فكان يظل فيه نهارة ويبيضه وأتقن محله بالحجارة المنقوشة
ووسعه من جهاته الا جهة الشرق منها وجعل له سوارى حجارة مثبتة بأعمدة الحديد
والرصاص وسقفه بالساج وصنع له محرابا وقيل ان مروان هو أول من بنى المحراب وقيل عمر
ابن عبد العزيز فى خلافة الوليد ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك تولى ذلك عمر بن عبد العزيز
فوسعه وحسنه وبالغ فى اتقانه وعمله بالرخام والساج المذهب وكان الوليد بعث الى ملك الروم
انى أريد أن أبني مسجدا نبينا صلى الله عليه وسلم تسليما فأعنى فيه فبعث اليه الفعلة وثمانين
ألف مثقال من الذهب وأمر الوليد بادخال حجر أزواج النبی صلى الله عليه وسلم تسليما فيه
فاشترى عمر من الدور ما زاده فى ثلاث جهات من المسجد فلما صار الى القبلة امتنع عبید الله
ابن عبد الله بن عمر من بيع دار حفصة وظال بينهما الكلام حتى ابتاعها عمر على أن لهم ما بقى
منها

منها وعلى ان يخرجوا من باقيا طريقا الى المسجد وهي الخوخة التي في المسجد وجعل عمر
 للمسجد أربع صوامع في أربعة أركانه وكانت أحداها مطة على دار مروان فلما حج سليمان
 ابن عبد الملك نزل بها فاطل عليه المؤذن حين الاذان فامر بهدمها وجعل عمر للمسجد محرابا
 ويقال هو اول من احدث المحراب ثم زاد فيه المهدي بن أبي جعفر المنصور وكان أبوه هم بذلك
 ولم يقض له وكتب اليه الحسن ابن زيد يرغبه في الزيادة فيه من جهة الشرق ويقول انه ان زيد
 في شريقه توسطت الروضة الكريمة المسجد الكريم فاتهمه أبو جعفر بانه انما اراد هدم دار
 عثمان رضي الله عنه فكتب اليه اني قد عرفت الذي اردت فاكفف عن دار الشيخ عثمان
 وأمر أبو جعفر ان يظلل الصحن أيام القيظ بستور تنشر على جبال ممدودة على خشب تكون
 في الصحن لتكن المصلين من الحر وكان طول المسجد في بناء الوليد مائتي ذراع فبلغه المهدي
 الى ثلاثمائة ذراع وسوى المقصورة بالارض وكانت مرتفعة عنها بمقدار ذراعين وكتب اسمه
 على مواضع من المسجد ثم أمر الملك المنصور قلاوون ببناء دار للوضوء عند باب السلام فتولى
 بناءها الامير الصالح علاء الدين المعروف بالاقروا قاهما متسعة الفناء تستدير بها البيوت
 واجرى اليها الماء واراد ان يبنى بمكة شرفها الله تعالى مثل ذلك فلم يتم له فبنا ابنه الملك الناصر
 بين الصفا والمروة وسيدكر ان شاء الله وقبله مشجدر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قبله
 قطع لانه صلى الله عليه وسلم تسليما اقامها وقيل اقامها جبريل عليه السلام وقيل كان جبريل
 يشير له الى سمتها وهو يقيمها وروى ان جبريل عليه السلام أشار الى الجبال فتواضعت فتحت
 حتى بدت الكعبة فكان صلى الله عليه وسلم تسليما يبنى وهو ينظر اليها عيانا وبكل اعتبار فهي
 قبله قطع وكانت القبلة أول ورود النبي صلى الله عليه وسلم تسليما المدينة الى بيت المقدس ثم
 حوت الى الكعبة بعد ستة عشر شهرا وقيل بعد سبعة عشر شهرا

* (ذكر المنبر الكريم) *

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كان يخطب الى جذع نخلة بالمسجد فلما صنع
 له المنبر وتحول اليه حن الجذع حنين الناقة الى حوارها وروى ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم تسليما نزل اليه فالتزمه فسكن وقال لو لم ألتزمه لحن الى يوم القيامة واختلفت الروايات فيمن
 صنع المنبر الكريم فروى ان تميم الداري رضي الله عنه هو الذي صنعه وقيل ان غلاما للعباس
 رضي الله عنه صنعه وقيل غلام لامرأة من الانصار وورد ذلك في الحديث الصحيح وضع من
 طرفاء الغاية وقيل من الاثل وكان له ثلاث درجات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد
 على علياهن ويضع رجله الكريمة في وسطاهن فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه
 قعد على وسطاهن وجعل رجله على أولاهن فلما ولي عمر رضي الله عنه جلس على أولاهن

وجعل رجليه على الارض وفعل ذلك عثمان رضى الله عنه صدرا من خلافته ثم ترقى الى الثالثة ولما ان صار الامر الى معاوية رضى الله عنه اراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون وعصفت ريح شديدة وخسفت الشمس وبدأت النجوم نهارا وأظلمت الارض فكان الرجل يصادم الرجل ولا يتبين مسلك فلما رأى ذلك معاوية تركه وزاد فيه ست درجات من أسفله فبلغ تسع درجات

(ذكر الخطيب والامام بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وكان الامام بالمسجد الشريف في عهد دخولي الى المدينة بهاء الدين ابن سلامة من كبار أهل مصر وينوب عنه العالم الصالح الزاهد بغية المشايخ عز الدين الواسطي نفع الله به وكان يخطب قبله ويقضى بالمدينة الشريفة سراج الدين عمر المصري

(حكاية)

يذكر ان سراج الدين هذا اقام في خطة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة ثم انه اراد الخروج بعد ذلك الى مصر فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ثلاث مرات في كل مرة ينهأ عن الخروج منها وأخبره باقتراب أجله فلم ينته عن ذلك وخرج فأتى بموضع يقال له سويس على مسيرة ثلاث من مصر قبل ان يصل اليها فعوذ بالله من سوء الخاتمة وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون رحمه الله وإبناؤه الآن بالمدينة الشريفة أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحاكم وأبو عبد الله محمد وأصلهم من مدينة تونس ولهم بها حسب واصالة وتولى الخطابة والقضاء بالمدينة الشريفة بعد ذلك جمال الدين الاسيوطي من أهل مصر وكان قبل ذلك قاضيا بحصن الكرك

(ذكر خدام المسجد الشريف والمؤذنين به)

وخدام هذا المسجد الشريف وسدنته فتيان من الاحابيش وسواهم وهم على هيات حسان وصورتظاف وملابس ظراف وكبيرهم يعرف بشيخ الخدام وهو في هيئة الامراء الكبار ولهم المرتبات بدار مصر والشام ويؤتى اليهم بها في كل سنة ورئيس المؤذنين بالحرم الشريف الامام المحدث الفاضل جمال الدين المطري من مطرية قرية بمصر وولده الفاضل عفيف الدين عبد الله والشيخ المجاور الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد الغزنائي المعروف بالتراس قديم المجاورة وهو الذي جب نفسه خوفا من الفتنة

(حكاية)

يذكر ان أبا عبد الله الغزنائي كان خديما لشيخ يسمى عبد الحميد البعجي وكان الشيخ حسن الظن به ولم يمتن اليه بأهله وماله وبتركه متى سافر بداره فسا فر مرة وتركه على عادته بمنزله

فعلقت

فعلقت به روضة الشيخ عبد الحميد وراوده عن نفسه فقال اني اخاف الله ولا اخون من ائتمنتني على اهله وماله فلم تزل تراوده وتعارضه حتى خاف على نفسه الفتنة وجب نفسه وغشى عليه ووجده الناس على تلك الحالة فعالجوه حتى برئ وصار من خدام المسجد الكريم ومؤذنيه ورأس الطائفتين وهو باق بقيد الحياة الى هذا العهد

* (ذكر المجاورين بالمدينة النثر يفه) *

منهم الشيخ الصالح الفاضل أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق كثير العبادة والصوم والصلاة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً صابر محتسب وكان رباً جاور بمكة المعظمة رأيته بها في سنة ثمان وعشرين وهو أكثر الناس طواغاة وكنت أعجب من ملازمته الطواف مع شدة الحر بالمطاف والمطاف مفروش بالحجارة السود وتصير بحر الشمس كأنها الصفائح الملمعات ولقد رأيت السقايتين يصبون الماء عليها فاجازوا الوضع الذي يصب فيه الا ويلتهب الموضع من حينه وأكثر الطائفتين في ذلك الوقت يلبسون الجوارب وكان أبو العباس بن مرزوق يطوف حافي التقدمين ورأيته يوماً يطوف فاحسبت ان أطوف معه فوصلت المطاف وأردت استلام الحجر الاسود فلحقني لهب تلك الحجارة وارتدت الرجوع بعد تقبيل الحجر فاصلته الا بعد جهد عظيم ورجعت فلم أطف وكنت أجعل يجادى على الارض وأمشى عليه حتى بلغت الرواق وكان في ذلك العهد بمكة وزير غرناطة وكبيرها أبو القاسم محمد بن محمد ابن الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك الأزدي وكان يطوف كل يوم سبعين أسبوعاً ولم يكن يطوف في وقت القائلة أشدة الحر وكان ابن مرزوق يطوف في شدة القائلة زيادة عليه ومن المجاورين بالمدينة كرمها الله الشيخ الصالح العابد سعيد المرآشي الكفيف ومنهم الشيخ أبو مهدي عيسى بن خزون المكاشي

* (حكاية) *

جاء الشيخ أبو مهدي بمكة سنة ثمان وعشرين وخرج الى جبل حراء مع جماعة من المجاورين فلما صعدوا الجبل ووصلوا لمتعبد النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً ونزلوا عنه تأخر أبو مهدي عن الجماعة ورأى طريقاً في الجبل فظنه قاصراً فسلك عليه ووصل الصحابة الى اسفل الجبل فانتظروه فلم يأت فتطلعوا فيما حولهم فلم يرأله أثر فظنوا انه سبقهم فوضوا الى مكة شرفها الله تعالى ومر عيسى على طريقه فافضى به الى جبل آخر وتاه عن الطريق واجهده العطش والحر وتمزقت نعله فكان يقطع من ثيابه ويلف على رجليه الى ان ضعف عن المشي واستظل بشجرة أم غيلان فبعث الله اعرابياً على جل حتى وقف عليه فاعلم بحاله فاركبه واوصله الى مكة وكان على وسطه هيمان فيه ذهب نسلمه اليه واقام نحو شهر لا يستطيع القيام على قدميه

وزُهبت جلدتهما ونبتت لهما جلدة أخرى وقد جرى مثل ذلك لصاحب لي اذ كره ان شاء الله
ومن المجاورين بالمدينة الشريفة أبو محمد الشروي من القراء المحسنين وجاور بمكة في السنة
المذكورة وكان يقرأ بها كتاب الشفاء للقاضي عياض بعد صلاة الظهر وأم في التراويح بها
ومن المجاورين الفقيه أبو العباس الفأسي مدرس المالكية بها وتزوج بنت الشيخ الصالح
شهاب الدين الزرندي

(حكاية)

يذكر أن أبا العباس الفأسي تكلم يوماً مع بعض الناس فانتهى به الكلام إلى أن تكلم بعظيمة
ارتكب فيها بسبب جهله بعلم النسب وعدم حفظه للسانه مرتكباً صعباً عفا الله عنه فقال إن
الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام لم يعقب فبلغ كلامه إلى أمير المدينة طفيل بن
منصور بن جاز الحسني فأنكر كلامه ويحق إنكاره وأراد قتله فكلّم فيه فنفاه عن المدينة
ويذكر أنه بعث من اغتاله وإلى الآن لم يظهر له أثر نعوذ بالله من عثرات اللسان وزله

(ذكر أمير المدينة الشريفة)

كان أمير المدينة كبش بن منصور بن جاز وكان قد قتل عمه مقبلاً ويقال أنه توضأ بدمه ثم إن
كبش أخرج سنة سبع وعشرين إلى الفلاة في شدة الحر ومعه أصحابه فادركتهم القائلة في
بعض الأيام فتفرقوا تحت ظلال الأشجار فإراهم الأبناء مقبلين في جماعة من عبيدهم
ينادون يا لثارات مقبل فقتلوا كبش بن منصور صبراً ولعقوا دمه وتولى بعده أخوه طفيل بن
منصور الذي ذكرنا أنه نفي أبا العباس الفأسي

(ذكر بعض المشاهد الكريمة بخارج المدينة الشريفة)

فمنها بقيع الغرق وهو بشرق المدينة المكرمة ويخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع فأول
ما يلقي الخارج إليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفية بنت عبد المطلب رضي الله
عنهما وهي عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وأما الزبير بن العوام رضي الله عنه
وأما ما قبر أمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه وعليه قبة صغيرة مختصرة
البناء وأمامه قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريمة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسليماً وعليه قبة بيضاء وعن يمينها ربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما وهو المعروف بابي شجمة وبازائه قبر عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه وقبر عبد الله بن
ذى الجناحين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما وبازائهم روضة يذكّر أن قبور أمهات
المؤمنين بها رضي الله عنهن ويليه روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهي قبة ذاهبة في الهواء بديعة

الأحكام عن عيين الخارج من باب البقيع ورأس الحسن إلى رجل العباس عليهما السلام
 وقبراهما رفعا عن الأرض متسعان مغشيان بالواح بديعة اللصاق مرصعة بصفايح
 الصفر البديعة العمل وبالبقيع قبور المهاجرين والانصار وسائر الصحابة رضي الله عنهم
 الا انها لا يعرف أكثرها وفي آخر البقيع قبر أمير المؤمنين أبي عمر عثمان بن عفان رضي الله
 عنه وعليه قبة كبيرة وعلى مقربة منه قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب
 رضي الله عنهما وعن ابنهما من المشاهد الكريمة قباء وهو قبلى المدينة على نحو ميلين منها
 والطريق بينهما في حدائق النخل وبه المسجد الذى اسس على التقوى والرضوان وهو
 مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تظهر على البعد وفى وسطه مبرك الناقة بالنبي صلى
 الله عليه وسلم تسليما يترك الناس بالصلاة فيه وفى الجهة القبلىة من صحنه محراب على
 مسطبة هو أول موضع ركع فيه النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وفى قبلى المسجد دار كانت لآبى
 أيوب الانصارى رضى الله عنه ويلىها دور تنسب لآبى بكر وعمر وفاطمة وعائشة رضى الله
 عنهم وبازائه بئر اريس وهى التى عادماؤها عبد الماتفل فيه النبي صلى الله عليه وسلم تسليما
 بعد ان كان أجاجا وفيها وقع الخاتم الكريم من عثمان رضى الله عنه ومن المشاهد قبة حجر الزيت
 بخارج المدينة الشريفة يقال ان الزيت رشع من حجر هنالك للنبي صلى الله عليه وسلم تسليما
 وإلى جهة الشمال منه بئر بضاعة وبازائها جبل الشيطان حيث صرخ يوم أحد وقال قتل نبيكم
 وعلى شفير الخندق الذى حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما عند تحزب الأحزاب
 حصن تحرب يعرف بحصن العزاب يقال ان عمر بنه لعزاب المدينة وامامه إلى جهة الغرب بئر
 رومة التى اشترى أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه نصفها بعشرين الفا ومن المشاهد الكريمة
 أحد وهو الجبل المبارك الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ان أحد أجبل يحبنا
 ونحبه وهو بجوفى المدينة الشريفة على نحو فرسخ منها وبازائه الشهداء المكرمون رضى الله
 عنهم وهنالك قبر جزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورضى الله عنه وحوله الشهداء
 المستشهدون فى أحد رضى الله عنهم وقبورهم لقبلى أحد وفى طريق أحد مسجد ينسب لعلى
 ابن أبى طالب رضى الله عنه ومسجد ينسب إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه ومسجد الفتح
 حيث أنزلت سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وكانت اقامتنا بالمدينة
 الشريفة فى هذه الوجهة أربعة أيام وفى كل ليلة تبيت بالمسجد الكريم والناس قد حلقوا فى
 صحنه حلقا واوقدوا الشمع الكثير وبينهم ربعات القرآن الكريم يتلونونه وبعضهم يذكرون الله
 وبعضهم فى مشاهدة التربة الطاهرة زادها الله طيبا والحدادة بكل جانب يترغنون بمدح رسول
 الله صلى الله عليه وسلم تسليما وهكذا أدب الناس فى تلك الليالى المباركة ويجودون بالصدقات

الكثيرة على المجاورين والمحتاجين وكان في صحبتي في هذه الوجهة من الشام الى المدينة الشريفة رجل من أهلها فاضل يعرف بنصور بن شكل و اضافني بها واجتمعنا بعد ذلك بحلب وبخاري وكان في صحبتي أيضا قاضي الزيدية شرف الدين قاسم بن سنان وصحبتني أيضا أحد الصالحاء الفقراء من أهل غرناطة يسمى بعلي بن حجر الاموي
* (حكاية) *

لما وصلنا الى المدينة كرمها الله على ساكنها أفضل الصلاة ذكرني علي بن حجر المذكور انه رأى تلك الليلة في النوم قائلا يقول له اسمع مني واحفظ عني

هنيأ لكم يا زائرين ضريحه * أمتم به يوم المعاد من الرجز
وصلتم الى قبر الحبيب بطيبة * فطوبى لمن يضحى بطيبة أو يمسي
وجاور هذا الرجل بعد صحبه بالمدينة ثم رحل الى مدينة دهلي قاعدة بلاد الهند في سنة ثلاث وأربعين قنزل في جوارى و ذكرت حكاية زواياه بين يدي ملك الهند فأمر باحضاره فحضر بين يديه وحكى له ذلك فاعجبه واستحسنه وقال له كلا ما جيل بالفارسية وأمر بانزاله واعطاه ثلاثمائة تنكة من ذهب ووزن التنكة من دنانير المغرب ديناران ونصف دينار واعطاه فرسا محلي السرج واللجام وخلعة وعين له من ثيابه في كل يوم وكان هنالك فقيه طيب من أهل غرناطة ومولده بجاية يعرف هنالك بجمال الدين المغربي فصحبه علي بن حجر المذكور وواعدده علي ان يزوجه بنته وأنزله بدويرة خارج داره واشترى جارية وغلاما وكان يترك الدنانير في مفروش ثيابه ولا يطعم ثمنها الا حداف تنقى الغلام والجارية علي أخذ ذلك الذهب واخذاه وهر با فلما اتى الدار لم يجد لهما أثرا ولا للذهب فامتنع من الطعام والشراب واشتد به المرض أسفا على ما جرى عليه فعرضت قضيته بين يدي الملك فأمر ان يخلف له ذلك فبعث اليه من يعلم بذلك فوجدته قد مات رحمه الله تعالى وكان رحيلنا من المدينة نريد مكة شرفها الله تعالى فقلنا بقرب مسجد ذي الحليفة الذي أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما والمدينة منه على خمسة أميال وهو منتهى حرم المدينة والقرب منه وادى العقيق وهنالك تجردت من مخيط الثياب واغتسلت ولبست ثوب احرامى وصليت ركعتين واحرمت بالتحج مفردا ولم أزل ملييا في كل سهل وجبل وصعود وخذور الى ان اتيت شعب علي عليه السلام وبه نزلت تلك الليلة ثم رحلنا منه ونزلنا بالروحاء وبها بئر تعرف ببثر ذات العلم ويقال ان عليا عليه السلام قاتل بها الجن ثم رحلنا ونزلنا بالصفراء وهو واد معجور فيه ماء ونخل وبنيان وقصر يسكنه الشرفاء الحسنيون وسواهم وفيها حصن كبير وتواليه حصون كثيرة وقرى متصلة ثم رحلنا منه ونزلنا بدير حيث نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وانجز وعده الكريم واستأصل

واستأصل صنديد المشركين وهي قرية فيها حدائق نخل متصلة وبها حصن منيع يدخل
 اليه من بطن واديين جبال ويبدر عين فوارة يجرى ماؤها وموضع القلب الذي سحب به
 اعداء الله المشركون هو اليوم بستان وموضع الشهداء رضى الله عنهم خلفه وجبل الرحمة
 الذي نزلت به الملائكة على يسار الداحل منه الى الصفراء وبازائه جبل الطبول وهو شبه
 كتيب الرمل ممتد ويرعاه اهل تلك البلاد انهم يسمعون هنالك مثل اصوات الطبول في كل ليلة
 جمعة وموضع عريش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان به يوم بدر ينشدر به جل وتعالى
 متصل بسفح جبل الطبول وموضع الوقعة امامه وعند نخل القلب مسجد يقال له مبركة ناقة
 النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وبين بدر والصفراء نخور يد في واديين جبال تطرد فيه
 العيون وتتصل حدائق النخل ورحلنا من بدر الى الصحراء المعروفة بقاع البرواء وهي برية
 يضل بها الدليل ويذهل عن خليله الخليل مسيرة ثلاث وفي منتهى وادى رابغ يتكون
 فيه بالمطر غدران يبق بها الماء زمانا طويلا ومنه يحرم حجاج مصر والمغرب وهودون الخفة
 وسرنا من رابغ ثلاثا الى خليص ومر رابعة بقية السويق وهي على مسافة نصف يوم من خليص
 كثيرة الرمل والحجاج يقصدون شرب السويق بها ويستحبونه من مصر والشام برسم ذلك
 ويسقونه الناس مخلط بالسكر والامراء يملأون منه الاحواض ويسقونها الناس ويذكر ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بها ولم يكن مع أصحابه طعام فأخذ من رملها فاعطاهم اياه
 فشر به وسويقا ثم نزلنا بركة خليص وهي في بساط من الارض كثيرة حدائق النخل لها حصن
 مشيد في قمة جبل وفي البسيط حصن خرب وبها عين فوارة قد صنعت لها اخاديد في الارض
 وسربت الى الضياع وصاحب خليص شريف حسنى النسب وعرب تلك الناحية يقيمون
 هنالك سوقا عظيمة يجلبون اليها الغنم والتمر والادام ثم رحلنا الى عسفان وهي في بساط
 من الارض بين جبال وبها ابار ماء معين تنسب احداها الى عثمان بن عفان رضى الله عنه
 والمدرج المنسوب الى عثمان ايضا على مسافة نصف يوم من خليص وهو مضيق بين
 جبلين وفي موضع منه بلاط على صورة درج وأثر عارة قديمة وهنالك بئر تنسب الى على عليه
 السلام ويقال انه احدها وعسفان حصن عتيق وبرج مشيد قدا وهنه الخراب وبه من
 شجر المقل كثير ثم رحلنا من عسفان ونزلنا بطن مرو يسمى أيضا مر الظهران وهو واد
 مخصب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة تسقى تلك الناحية ومن هذا الوادى تجلب الفواكه
 والحضر الى مكة شرفها الله تعالى ثم أدلجنا من هذا الوادى المبارك والنفوس مستبشرة ببلوغ
 آمالها مسرورة بحالها وما آلتها فوصلنا عند الصباح الى البلد الامين مكة شرفها الله
 تعالى فوردنا منها على حرم الله تعالى ومبوا خليله ابراهيم ومبعث صفيه محمد صلى الله عليه

وسلم ودخلنا البيت الحرام الشريف الذي من دخله كان آمناً من باب بنى شيبة وشاهدنا الكعبة الشريفة زادها الله تعظيماً وهي كالعروس تجلى على منصة الجلال وترفل في برود الجبال محفوفة بوفود الرحمان موصلة الى جنة الرضوان وطفنابها طواف القدوم واستلمنا الحجر الكريم وصلينا ركعتين بمقام ابراهيم وتعلقنا باستار الكعبة عند الملتزم بين الباب والحجر الاسود حيث يستجاب الدعاء وشربنا من ماء زمزم وهو لما شرب له حسماً ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً ثم سعيينا بين الصفا والمروة ونزلنا هاتلك بدار بمقبرة من باب ابراهيم والحمد لله الذي شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم وجعلنا من بلغته دعوة الخليل عليه الصلاة والتسليم ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر الكريم وزمزم والخطيم ومن عجائب صنع الله تعالى انه طبع القلوب على النزوع الى هذه المشاهد المنيفة والشوق الى المشول بمعاهدها الشريفة وجعل حبها ممتكناً في القلوب فلا يحلمها أحد الا أخذت بمجامع قلبه ولا يفارقها الا اسفل فراقها متولها بالعبادة عنها شديد الحنين اليها ناوياً لتركها الوفاة عليها فارضاها المباركة نصب الاعين ومحبتها حشو القلوب حكمة من الله بالغة وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام والشوق يحضرها وهي نائية ويمثلها وهي غائبة ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء وكم من ضعيف يرى الموت عياناً دونها ويشاهد التلف في طريقةها فاذا جمع الله بها شمله تلقاها مسروراً مستبشراً كأنه لم يذق لها مرارة ولا كابد محنة ولا نصباً انه لامر الالهى وصنع رباني ودلالة لا يشوبها البس ولا تغشاها شبهة ولا يطررها تمويه وتعزفي بصيرة المستبصرين وتبدو في فكرة المتفكرين ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الارحاء والمشول بذلك الفناء فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى وخوله خير الدارين الدنيا والاخرى فحق عليه ان يكثر الشكر على ما خوله ويدم الجمد على ما أولاه جعلنا الله تعالى من تلبت زيارته وربحت في قصدها تجارتته وكتبت في سبيل الله آثاره ومحيت بالقبول أوزاره بمنه وكرمه

(ذكر مدينة مكة المعظمة)

وهي مدينة كبيرة متصلة بالنيان مستطيلة في بطن واد تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل اليها وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرطة الشموخ والاختشبان من جبالهاها جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب منها وجبل قعيقعان وهو في جهة منها وفي الشمال منها الجبل الاحمر ومن جهة أبي قبيس أجياد الاكبر واجياد الاصغر وهما شعبان والخندمة وهي جبل وستدكر والمناسك كلها منى وعرفة والمزدلفة بشرقي مكة شرفها الله ولمكة من الابواب ثلاثة باب المعلى باعلاها وباب الشبيكة من أسفلها ويعرف أيضاً باب الزاهر

وباب

وباب العمرة وهو الى جهة المغرب وعليه طريق المدينة المنورة ومصر والشام وجدة ومنه يتوجه الى التنعيم وسيد كرك ذلك وباب المسفل وهو من جهة الجنوب ومنه دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الفتح ومكة شرفها الله كما اخبر الله في كتاب العزيز كما عن نبيه الخليل بوادغ يرزى زرع ولكن سبقت لها الدعوة المباركة فكل طرفة تجلب اليها ثمرات كل شئ تجبي لها ولقد أكلت بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب ما لا نظيره في الدنيا وكذلك البطيخ المجلوب اليها الايما لله سواء طيبا وحلاوة واللحوم بهاسمان لذا اذا الطعوم وكل ما يفترق في البلاد من السلع فيها اجتماعه وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن من لطفان من الله بسكان حرمة الامين ومجاوري بيته العتيق

* (ذكر المسجد الحرام شرفه الله وكرمه) *

والمسجد الحرام في وسط البلد وهو متسع الساحة طوله من شرق الى غرب ازيد من اربع مائة ذراع حكي ذلك الازرق وعرضه يقرب من ذلك والكعبة العظمى في وسطه ومنظره بديع ومراء جميل لا يتعاطى اللسان وصف بدائع ولا يحيط الوصف بحسن كاله وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا وسقفه على اعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف بأقن صناعة وأجلها وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية اربع مائة واحد وتسعون سارية ماعدا الجصية التي في دار الندوة المزينة في الحرم وهي داخله في البلاط الاخذ في الشمال ويقابلها المقام مع الركن العراقي وفضاؤها متصل يدخل من هذا البلاط اليه ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسي حنا يا يجلس بها المقرئون والنساخون والخياطون وفي جدار البلاط الذي يتقابلها مساطب تماثلها وسائر البلاطات تحت جداراتها مساطب بدون حنا يا وعند باب ابراهيم مدخل من البلاط الغربي فيه سوارى جصية وللخليفة المهدي محمد بن الخليفة أبي جعفر المنصور رضي الله عنهما آثار كريمة في توسيع المسجد الحرام واحكام بنائه وفي أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين صلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارة في سنة سبع وستين ومائة

* (ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما) *

والكعبة ماثلة في وسط المسجد وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الاسود والركن اليماني تسع وعشرون ذراعا وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الحجر الاسود أربعة وخمسون شبرا وكذلك

عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليماني الى الركن الشامي وعرض صفحتها التي من الركن العراقي الى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبرا وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي الى الركن العراقي وأما خارج الحجر فانه مائة وعشرون شبرا والطواف انما هو خارج الحجر وبنائها بالحجارة الصم السمرة قد ألصقت بابدع الا لصاق واحكه واشده فلا تغيرها الايام ولا تؤثر فيها الا زمان وباب الكعبة المعظمة في الصفيح الذي بين الحجر الاسود والركن العراقي وبينه وبين الحجر الاسود عشرة أشبار وذلك الموضع هو المسمى بالملتزم حيث يستجاب الدعاء وارتفاع الباب عن الارض احد عشر شبرا ونصف شبرا وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وعرض الحائط الذي ينطوى عليه خمسة أشبار وهو صفيح بصفيح الفضة بديع الصنعة وعضاداته وعتبته العليا مصفحات بالفضة وله تقاربان كبيرتان من فضة عليهما قفل ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة ويفتح في يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورسمهم في فتحه ان يضعوا كرسي شبه المنبر له درج وقوائم خشب لها أربع بكرات يجري الكرسي عليها ويلصقونه الى جدار الكعبة الشريفة فيكون درجه الاعلى متصلا بالعتبة الكريمة ثم يصعد كبير الشيبين ويده المفتاح الكريم ومعه السدنة فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع بخلال ما يفتح رئيسهم الباب فاذا فتحه قبل العتبة الشريفة ودخل البيت وحده وسد الباب واقام قدر ما يركع ركعتين ثم يدخل سائر الشيبين ويسدون الباب أيضا ويركعون ثم يفتح الباب ويبادر الناس بالدخول وفي اثناء ذلك يقفون مستقبليين الباب الكريم بابصار خاشعة وقلوب ضارعة وأيد مبسوطة الى الله تعالى فاذا فتح كبيروا ونادوا اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا ارحم الراحمين وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجزع وحيطانه كذلك وله اعمدة ثلاثة طوال مفرطة الطول من خشب الساج بين كل عمود منها وبين الآخر أربع خطا وهي متوسطة في الفضاء داخل الكعبة الشريفة يقابل الاوسط منها نصف عرض الصفيح الذي بين الركنين العراقي والشامي وستور الكعبة الشريفة من الحرير الاسود مكتوب فيها بالايض وهي تتلأأ عليها نورا واشرقا وتكسو جميعها من الاعلى الى الارض ومن عجائب الآيات في الكعبة الكريمة ان بابها يفتح والحرم غاص بأمر لا يحصيها الا الله الذي خلقهم ورزقهم قيد خلونها أجمعين ولا تضيق عنهم ومن عجائبها انها لا تخلو عن طائف ابد اليل ولا نهارا ولم يذكر أحد انه رأى طائفت دون طائف ومن عجائبها ان حمام مكة على كثرتة وسواه من الطير لا ينزل عليها ولا يعلوها في الطيران وتجد الحمام يطير على اعلى الحرم كله فاذا حاذى الكعبة الشريفة عرج عنها الى احدى الجهات ولم يعلمها ويقال انه لا ينزل عليها طائر الا اذا كان

به مرض فأتا ان يموت لحينه أو يبرأ من مرضه فسبحان الذي خصها بالتشريف والتكريم
وجعل لها المهابة والشعظيم

* (ذكر الميزاب المبارك) *

والميزاب في أعلى الصفيح الذي على الحجر وهو من الذهب وسعته شبر واحد وهو بارز بمقدار
ذراعين والموضع الذي تحت الميزاب مظنة استجابة الدعاء وتحت الميزاب في الحجر هو قبر
اسماعيل عليه السلام وعليه رخامة خضراء مستطيلة على شكل محراب متصلة برخامة
خضراء مستديرة وكلاهما سعتها مقدار شبر ونصف شبر وكلاهما غريبة الشكل راققة المنظر
والى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر عليها السلام وعلامته رخامة خضراء مستدير
سعتها مقدار شبر ونصف وبين القبرين سبعة أشبار

* (ذكر الحجر الاسود) *

وأما الحجر فارتفاعة عن الارض ستة أشبار فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله والصغير
يتناول اليه وهو ملصق في الركن الذي الى جهة المشرق وسعته ثلثا شبر وطوله شبر وعقد
ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن وفيه أربع قطع ملصقة ويقال ان القمر مطى لعنه الله كسره
وقيل ان الذي كسره سواء ضربه بدبوس فكسره وتبادر الناس الى قتله وقتل بسببه جماعة من
المغاربة وجوانب الحجر مشدودة بصفحة من فضة يلوح بياضها على سواد الحجر الكريم فتحبلى
منه العيون حسنا باهرا ولتقبيله لذة يتنعم بها الفم ويودلائمه ان لا يفارق لثمة خاصية مودعة فيه
وعناية ربانية به وكفى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يمين الله في أرضه نفعا الله
باستلامه ومصافحته واودعاية كل شيق اليه وفي النخلة الصحيحة من الحجر الاسود مما يلي
جانبه الموالى ليمين مستتب نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كمنها خال في تلك الصفحة البهية وترى
الناس اذا طافوا بها يتساقط بعضهم على بعض ازدحاما على تقبيله فقلما يتمكن أحد من ذلك
الا بعد المزاوجة الشديدة وكذلك يصنعون عند دخول البيت الكريم ومن عند الحجر الاسود
مبتدا الطواف وهو أول الاركان التي يلقاها الطائف فاذا استلمه تقهقر عنه تليلا وجعل
الكعبة الشريفة عن يساره ومضى في طوافه ثم ياتي بعدد الركن العراقي وهو الى جهة الشمال
ثم يلقى الركن الشامي وهو الى جهة الغرب ثم يلقى الركن اليماني وهو الى جهة الجنوب ثم
يعود الى الحجر الاسود وهو الى جهة الشرق

* (ذكر المقام الكريم) *

اعلم ان بين باب الكعبة شرفها الله وبين الركن العراقي موضعا طوله اثنا عشر شبرا وعرضه
نحو النصف من ذلك وارتفاعه نحو شبرين وهو موضع المقام في مدة ابراهيم عليه السلام

ثم صرفه النبي صلى الله عليه وسلم الى الموضع الذي هو الآن مصلى وبقي ذلك الموضع شبه الحوض واليه ينصب ماء البيت الكريم اذا غسل وهو موضع مبارك يزدهم الناس للصلاة فيه وموضع المقام الكريم يقابل ما بين الركن العراقي والباب الكريم وهو الى الباب أميل وعليه قبة تحتها شبك حديد متجاف عن المقام الكريم قدر ما تصل أصابع الانسان اذا ادخل يده من ذلك الشباك الى الصندوق والشباك مقفل ومن ورائه موضع محو قد جعل مصلى لركعتي الطواف وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ما دخل المسجد اتي البيت فطاف به سبعة اتي المقام فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وركع خلفه ركعتين وخلف المقام مصلى امام الشافعية في الحطيم الذي هنالك

(ذكر الجرو والمطاف)

ودور جدار الجبر تسع وعشرون خطوة وهي أربعة وتسعون شبراً من داخل الدائرة وهو بالرخام البديع المجزع المحكم الا لصاق وارتفاعه خمسة أشبار ونصف شبر وسعته أربعة أشبار ونصف شبر وداخل الجبر بلاط واسع مفروش بالرخام المجزع المنظم المجزأ الصنعة البديع الاثمان وبين جدار الكعبة الشريفة الذي تحت الميزاب وبين ما يقابله من جدار الجبر على خط استواء أربعون شبراً وللجبر مدخلان أحدهما بينه وبين الركن العراقي وسعته ستة أذرع وهذا الموضع هو الذي تركته قریش من البيت حين بنته كما جاءت الآثار الصحاح والمدخل الآخر عند الركن الشامي وسعته أيضاً ستة أذرع وبين المدخلين ثمانية وأربعون شبراً وموضع الطواف مفروش بالججارة السود محكمة الا لصاق وقد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطاً الا في الجهة التي تقابل المقام الكريم فانها امتدت اليه حتى احاطت به وسائر الحرم مع البلاطات مفروش برمل أبيض وطواف النساء في آخر الججارة المفروشة

* (ذكر زمزم المباركة) *

وفية بئر زمزم تتقابل الجبر الاسود وبينهما أربع وعشرون خطوة والمقام الكريم عن يمين القبة ومن ركنها اليه عشر خطاً وداخل القبة مفروش بالرخام الابيض وتنور البئر المباركة في وسط القبة مائلاً الى الجدار المقابل للكعبة الشريفة وهو من الرخام البديع الا لصاق مفروش بالرخام ودوره أربعون شبراً وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبر وعمق البئر احد عشر رقعة وهم يذكرون ان ماءها يتزايد في كل ليلة جمعة وباب القبة الى جهة الشرق وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر وعمقها مثل ذلك وارتفاعها عن الارض نحو خمسة أشبار مائلاً ماء للوضوء وحولها مسطبة دائرة يقعد الناس عليها للوضوء ويلى قبة زمزم قبة الشراب المنسوبة الى العباس رضى الله عنه وبابها الى جهة الشمال وهي الآن يجعل بها ماء زمزم في قلال

يسمونها الدوارق وكل دورق له مقبض واحد وتترك بها اليد فيها الماء فيشربه الناس وبها
اختزان المصاحف الكريمة والكتب التي للحرم الشريف وبها خزانة تحتوى على تابوت
مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه من نسخ سنة ثمان عشرة من
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وأهل مكة إذا أصابهم قحط أو شدة أخرجوا هذا
المصحف الكريم وفتحوا باب الكعبة الشريفة ووضعوه على العتبة الشريفة ووضعوا معه مقام
إبراهيم عليه السلام واجتمع الناس كاشفين رؤسهم داعين متضرعين متوسلين بالمصحف
العزیز والمقام الكريم فلا ينفصلون إلا وقد تداركهم الله برحمته وتعمدهم بلطفه ويلى قبة
العباس رضي الله عنه على انحراف منها القبة المعروفة بقبة اليهودية

* (ذكر أبواب المسجد الحرام وما دار به من المشاهد الشريفة) *

وابواب المسجد الحرام شرفه الله تعالى تسعة عشر باباً وأكثرها مفتحة على أبواب كثيرة قنبا
باب الصفا وهو مفتح على خمسة أبواب وكان قديماً يعرف بباب بني مخزوم وهو أكبر أبواب
المسجد ومنه يخرج إلى المصلى ويستحب للوافد على مكة أن يدخل المسجد الحرام شرفه الله
من باب بنى شيبة ويخرج بعد طوافه من باب الصفا جاعلاً طريقه بين الاسطواناتين اللتين
أقامهما أمير المؤمنين المهدي رحمه الله علماً على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً
إلى الصفا ومنها باب أجساد الأصغر مفتح على بايين ومنها باب الخياطين مفتح على بايين ومنها باب
العباس رضي الله عنه مفتح على ثلاثة أبواب ومنها باب النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً مفتح
على بايين ومنها باب بنى شيبة وهو في ركن الجدار الشرقي من جهة الشمال أمام باب الكعبة
الشريفة متياسراً وهو مفتح على ثلاثة أبواب وهو باب بنى عبد شمس ومنه كان دخول الخلفاء
ومنها باب صغير ازاء باب بنى شيبة لا اسم له وقيل يسمى باب الرباط لأنه يدخل منه لرباط السدرة
ومنها باب الندوة ويسمى بذلك ثلاثة أبواب اثنان منتظمان والثالث في الركن الغربي من دار
الندوة ودار الندوة قد جعلت مسجداً شارعاً في الحرم مضافاً إليه وهي تقابل الميزاب ومنها باب
صغير لدار الجملية محدث ومنها باب السدرة واحد ومنها باب العمرة واحد وهو من أجمل أبواب
الحرم ومنها باب إبراهيم واحد والناس مختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه إلى إبراهيم الخليل
عليه السلام والصحيح أنه منسوب إلى إبراهيم الخوزي من الأعاجم ومنها باب الخزوة مفتح
على بايين ومنها باب أجساد الأكبر مفتح على بايين ومنها باب ينسب إلى أجساد أيضاً مفتح على
بايين وباب ثالث ينسب إليه مفتح على بايين ويتصل لباب الصفا ومن الناس من ينسب
البابين من هذه الأربعة المنسوبة لأجساد إلى الدقاين وصوامع المسجد الحرام خمس
أحداً هن على ركن أبي قبيس عند باب الصفا والأخرى على ركن باب بنى شيبة والثالثة على

باب دار الندوة والرابعة على ركن باب السدرة والخامسة على ركن اجياد وبمقربة من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر الذي تنسب اليه الدراهم المظفرية باليمن وهو كان يكسوا الكعبة الى أن غلبه على ذلك الملك المنصور قلاوون وبخارج باب ابراهيم زاوية كبيرة فيها دار امام المالكية الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل وعلى باب ابراهيم قبة عظيمة مفرطة السموق قد صنع في داخلها من غرائب صنع الجص ما يعجز عنه الوصف وبازاء هذا الباب عن يمن الداخل اليه كان يقعد الشيخ العابد جلال الدين محمد بن احمد الافشهرى وخارج باب ابراهيم بئر تنسب كذنبته وعنده أيضا دار الشيخ الصالح دانيال العجمي الذي كانت صدقات العراق في أيام السلطان أبي سعيد تأتي على يديه وبمقربة منه رباط الموفق وهو من أحسن الرباطات سكنته أيام مجاورتي بمكة العظيمة وكان به في ذلك العهد الشيخ الصالح أبو عبد الله الزاوي المغربي وسكن به أيضا الشيخ الصالح الطيار سعادة الجواني ودخل يوما الى بيته بعد صلاة العصر فوجد ساجدا مستقبلا الكعبة الشريفة ميتا من غير مرض كان به رضى الله عنه وسكن به الشيخ الصالح شمس الدين محمد الشامي نحو من أربعين سنة وسكن به الشيخ الصالح شعيب المغربي من كبار الصالحين دخلت عليه يوما فلم يقع بصرى في بيته على شئ سوى حصير فقلت له في ذلك فقال لي أستر على ما رأيت وحول الحرم الشريف دور كثيرة لها مناظر وسطوح يخرج منها الى سطح الحرم واهلها في مشاهدة البيت الشريف على الدوام ودورها أبواب تفضى الى الحرم منها دار زبيدة زوج الرشيد أمير المؤمنين ومنها دار العجلة ودار الشرايين وسواها ومن المشاهد الكريمة بمقربة من المسجد الحرام قبة الوحي وهي في دار خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بمقربة من باب النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت قبة صغيرة حيث ولدت فاطمة عليها السلام وبمقربة منها دار أبي بكر الصديق رضى الله عنه ويقابلها جدار مبارك فيه حجر مبارك بارز طرفه من الحائط يستلمه الناس ويقال أنه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم تسليما جاء يوما الى دار أبي بكر الصديق ولم يكن حاضرا فنادى به النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فنطق ذلك الحجر وقال يا رسول الله أنه ليس بحاضر

(ذكر الصفوا والمروة)*

ومن باب الصفوا الذي هو أحد أبواب المسجد الحرام الى الصفاست وسبعون خطوة وسعة الصفاس سبع عشرة خطوة وله أربع عشرة درجة عليها هت كانها مسطبة وبين الصفوا والمروة اربعمائة وثلاث وتسعون خطوة منها من الصفوا الى الميل الا خضر ثلاث وتسعون خطوة ومن الميل الا خضر الى الميلين الا خضرين

المروة

المروءة ثلاث مائة وخمسة وعشرون خطوة وللمروءة خمس درجات وهي ذات قوس واحد كبير وسعة المروءة سبع عشرة خطوة والميل الاخضر هو سارية خضراء مثبتة مع ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم عن يسار الساعى الى المروءة والميلان الاخضر انهما ساريتان خضراوان ازايا باب على من أبواب الحرم احدهما في جدار الحرم عن يسار الخارج من الباب والاخرى تقابلها وبين الميل الاخضر والميلين الاخضرين يكون الرمل ذاهبا وعائدا وبين الصفا والمروءة مسيل فيه سوق عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه والساعون بين الصفا والمروءة لا يكادون يخلصون لزدحام الناس على حوانيت الباعة وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه الالبزازون والطارون عند باب بنى شيبة وبين الصفا والمروءة دار العباس رضى الله عنه وهي الآن رباط يسكنه المجاورون وعمره الملك الناصر رحمه الله وبني أيضا دار وضوء فيما بين الصفا والمروءة سنة ثمان وعشرين وجعل لها بابين أحدهما في السوق المذكورة والاخر في سوق العطارين وعليها ربع يسكنه خدامها وتولى بناء ذلك الأمير علاء الدين بن هلال وعن يمين المروءة دار أمير مكة سيف الدين عطيفة ابن أبي غني وسنذكره

* (ذكر الجبانة المباركة) *

وجبانة مكة خارج باب المعلى ويعرف ذلك الموضع أيضا بالجحون وياها عنى الحارث بن مضاض الجرهمي بقوله

كان لم يكن بين الجحون الى الصفا * أنيس ولم يسم بمكة سامر

بلى نحن ككنا أهلها فأبادنا * صروف الليالى والحدود العواثر

وبهذه الجبانة مدفن الجسم الغفير من الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاولياء الا أن مشاهدهم دثرت وذهب عن أهل مكة علمها فلا يعرف منها الا القليل فن المعروف منها قبر أم المؤمنين ووزيرة سيد المرسلين خديجة بنت خويلد أم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم تسليمًا كلهم ما عدا ابراهيم وجدة السبطين الكريمين صلوات الله وسلامه على النبي صلى الله عليه وسلم تسليمًا وعليهم أجمعين وبقرية منه قبر الخليفة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم أجمعين وفيها الموضع الذى صلب فيه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم ما وكان به بنية هدمها أهل الطائف غير أنهم لما كان يلحق بجajahم المير من اللعن وعن يمين مستقبل الجبانة مسجد خرب يقال انه المسجد الذى بايعت الجن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليمًا وعلى هذه الجبانة طريق الصاعده الى عرفات وطريق الذاهب الى الطائف وإلى العراق

* (ذكر بعض المشاهد خارج مكة) *

فمنها الجحون وقد ذكرناه ويقال أيضا أن الجحون هو الجبل المطل على الجبانة ومنها المحصب وهو أيضا الابطح وهو بلي الجبانة المذكورة وفيه خيف بنى كنانة الذي نزل به رسو الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومنها ذوطوى وهو وادي يهبط على قبور المهاجرين التي بالحصص دون ثنية كداء ويخرج منه إلى الأعلام الموضوعة حجاز بين الحل والحرم وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه إذا قدم مكة شرفها الله تعالى سبى طوى ثم يغتسل منه ويغدو إلى مكة ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فعل ذلك ومنها ثنية كدى (بضم الكاف) وهى بأعلى مكة ومنها دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فى حجة الوداع إلى مكة ومنها ثنية كداء (بفتح الكاف) ويقال لها الثنية البيضاء وهى بأسفل مكة ومنها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما عام الوداع وهى بين جلبين وفى مضيقها كوم حجارة موضوع على الطريق وكل من يمر به يرجعه بحجر ويقال أنه قبر أبى لطب وزوجه جالة الخطب وبين هذه الثنية وبين مكة بسيط سهل ينزله الركب إذا صدر وأعن منى وبمقربة من هذا الموضع على نحو ميل من مكة شرفها الله مسجد بازائه حجر موضوع على الطريق كأنه مسطبة يعلاؤه حجر آخر كان فيه نقش قد ثر رسمه يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما قعد بذلك الموضع مستريحاً عند مجيئه من عمرته في تبرك الناس بتقبيله ويستندون إليه ومنها التنعيم وهو على فرسخ من مكة ومنها يعتمر أهل مكة وهو أدنى الحل إلى الحرم ومنها اعترت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فى حجة الوداع مع أخيها عبد الرحمن رضى الله عنه وأمره أن يعمرها من التنعيم وبنيت هنالك مساجد ثلاثة على الطريق تنسب كلها إلى عائشة رضى الله عنها وطريق التنعيم طريق فسيح والناس يتحرون كنسه فى كل يوم رغبة فى الاجر والثواب لأن من المعتمرين من يمشى فيه حافيا وفى هذا الطريق الآبار العذبة التى تسمى الشبيكة ومنها الزاهر وهو على نحو ميلين من مكة على طريق التنعيم وهو موضع على جانب الطريق فيه أثر دور وبساتين واسواق وعلى جانب الطريق دكان مستطيل تصف عليه كثيران الشرب وإوانى الوضوء يملأها خديم ذلك الموضع من آبار الزاهر وهى بعيدة القعر جدا والخديم من الفقراء المجاورين وأهل الخير يعنونهم على ذلك لما فيه من المرافقة للمعتمرين من الغسل والشرب والوضوء وذوطوى يتصل بالزاهر

* (ذكر الجبال المطيفة بمكة) *

فمنها جبل أبى قبيس وهو فى جهة الجنوب والشرق من مكة حرسها الله وهو أحد الأخشبين وأدنى الجبال من مكة شرفها الله ويقابل ركن الحجر الأسود وباعلاه مسجد واثرباط وعمارة

وكان الملك الظاهر رحمه الله أراد ان يعمره وهو مطـل على الحرم الشريف وعلى جميع البلد ومنه يظهر حسن مكة شرفها الله وجمال الحرم واتساعه والكعبة المعظمة ويذكر ان جبل أبي قبيس هو اول جبل خلقه الله تعالى وفيه استودع الحجر زمان الطوفان وكانت قریش تسميه الامين لانه ادى الحجر الذى استودع فيه الى الخليل ابراهيم عليه السلام ويقال ان قبر آدم عليه السلام به وفي جبل أبي قبيس موضع موقف النبي صلى الله عليه وسلم حين انشق له القمر ومنها قعيقعان وهو أحد الاخشابين ومنها الجبل الاحمر وهو فى جهة الشمال من مكة شرفها الله ومنها الخندمة وهو جبل عند الشعبين المعروفين باجياد الاكبر واجياد الاصغر ومنها جبل الطير وهو على أربعة عن جهتي طريق التنعيم يقال انها الجبال التى وضع عليها الخليل عليه السلام اجزاء الطير ثم دعاها حسبما نص الله فى كتابه العزيز وعليها اعلام من حجارة ومنها جبل حراء وهو فى الشمال من مكة شرفها الله تعالى على نحو فرسخ منها وهو مشرف على منى ذاهب فى الهواء على القنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كثيرا قبل المبعث وفيه أتاه الحق من ربه وبدأ الوحي وهو الذى اهتزت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أثبت فاعليك الانبي وصديق وشهيد واختلف فيمن كان معه يومئذ وروى ان العشرة كانوا معه وقدر وى أيضا ان جبل ثبير اهتزت تحتها ايضا ومنها جبل ثور وهو على مقدار فرسخ من مكة شرفها الله تعالى على طريق اليمن وفيه الغار الذى آوى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما حين خروجه مهاجرا من مكة شرفها الله ومعه الصديق رضى الله عنه حسبما ورد فى الكتاب العزيز وذكر الازرقى فى كتابه ان الجبل المذكور نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وقال الى يا محمد الى الى فقد آويت قبلك سبعين نبيا فلما دخل رسول الله الغار واطمأن به وصاحبه الصديق معه نسجت العنكبوت من حينها على باب الغار وصنعت الحمامة عشًا وفرخت فيه باذن الله تعالى فاتمى المشركون ومعهم تصاص الاثر الى الغار فقالوا ها هنا نقطع الاثر ورأوا العنكبوت قد نسج على فم الغار والحمام مفرخة فقالوا ما دخل احد هنا وانصرفوا فقال الصديق يا رسول الله لو لجأوا علينا منه قال كأنخرج من هنا وأشار بيده المباركة الى الجانب الآخر ولم يكن فيه باب فانفتح فيه باب للحين بقدره الملك الوهاب والناس يقصدون زياره هذا الغار المبارك فيرومون دخوله من الباب الذى دخله منه النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذلك فمنهم من يتأنى له ومنهم من لا يتأنى له وينسب فيه حتى يتناول بالجذب العنيف ومن الناس من يصلى امامه ولا يدخله واهل تلك البلاد يقولون انه من كان لرشدة دخله ومن كان لزنينة لم يقدر على دخوله ولهذا يتحاماها كثير من الناس لانه منجلى فاضح قال ابن جزى اخبرنى بعض أشياخنا الحاج الاكاس ان سبب صعوبة الدخول اليه هو

ان بداخله مما يلي هذا الشق الذى يدخل منه حجرا كبيرا معترضا فن دخل من ذلك الشق منبطحا على وجهه وصل رأسه الى ذلك الحجر فلم يمكنه التولج ولا يمكنه ان ينطوى الى العلو ووجهه وصدره يليان الارض فذلك هو الذى ينشب ولا يخلص الا بعد الجهد والجهد الى خارج ومن دخل منه مستلقيا على ظهره امكنه لانه اذا وصل رأسه الى الحجر المعترض رفع رأسه واستوى قاعدا فكان ظهره مستندا الى الحجر المعترض وأوسطه فى الشق ورجلاه من خارج الغار ثم يقوم قائما بداخل الغار رجع

(حكاية)

ومما اتفق بهذا الجبل لصاحبين من أصحابي احدهما الفقيه المكرم أبو محمد عبد الله بن فرحان الافريقى التوزرى والآخر أبو العباس احمد الاندلسى الوادى آشى انهما قصدا (الغار) فى حين مجاورتهما بمكة شرفها الله تعالى فى ستة ثمان وعشرين وسبع مائة وذهبهما منفردين لم يستجيبا لدليلا عارفا بطريقه فتأهبا وضلا طريق الغار وسلكا طريقا سواهما منقطعة وذلك فى اوان اشتداد الحر وحى القيظ فلما نفدما كان عندهما من الماء وهما لم يصلا الى الغار اخذا فى الرجوع الى مكة شرفها الله تعالى فوجدا طريقا فاتبعاه وكان يفضى الى جبل آخر واشتد بهما الحر واجهدهما العطش وعائيا الهلاك وعجز الفقيه أبو محمد بن فرحان عن المشى جملة والقي بنفسه الى الارض ونجا الاندلسى بنفسه وكان فيه فضل قوة ولم يزل يسلك تلك الجبال حتى افضى به الطريق الى اجياد فدخل الى مكة شرفها الله تعالى وقصد فى واعلمنى بهذه الحادثة ومما كان من امر عبد الله التوزرى وانقطاعه بالجبل وكان ذلك فى آخر النهار ولعبد الله المذكور ابن عم اسمه حسن وهو من سكان وادى نخلة وكان اذذاك بمكة فاعلمته بما جرى على ابن عمه وقصدت الشيخ الصالح الامام ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بخليل امام المالكية نفع الله به فاعلمته بخبره فبعث جماعة من أهل مكة عارفين بتلك الجبال والشعاب فى طلبه وكان من أمر عبد الله التوزرى انه لما فارقه رفيقه لجأ الى حجر كبير فاستظل بظله واقام على هذه الحالة من الجهد والعطش والغربان تطير فوق رأسه وتنتظر موته فلما انصرم النهار وأتى الليل وجد فى نفسه قوة ونعشه برد الليل فقام عند الصباح على قدميه ونزل من الجبل الى بطن واد حجت الجبال عنه الشمس فلم يزل ماشيا الى ان بدت له دابة فقصد قصدها فوجد خيمة للعرب فلما رآها وقع الى الارض ولم يستطع النهوض فرأته صاحبة الخيمة وكان زوجها قد ذهب الى ورد الماء فسقته ما كان عندها من الماء فلم يرو وجاء زوجها فسقاء قربة ماء فلم يرو واركبته حمارا له وقدم به مكة فوصلها عند صلاة العصر من اليوم الثانى متغيرا كأنه قام من قبر

* (ذكر أميري مكة) *

وكانت إمارة مكة في عهد دخول اليها للشريفين الاجلين الاخوين أسد الدين رميشة وسيف الدين عطيفة ابني الامير أبي غني بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسينيين ورميشة أكبرهما سنا ولكنه كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة لعدله ولرميشة من الاولاد أجد وعجلان وهو أمير مكة في هذا العهد وتقية وسند وأم قاسم ولعطيفة من الاولاد محمد ومبارك ومسعود ودار عطيفة عن يمين المروة ودار أخيه رميشة برباط الشرابي عند باب بنى شيبه وتضرب الطبول على باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب من كل يوم

* (ذكر أهل مكة وفضائلهم) *

ولا أهل مكة الا فعال الجسلة والمكارم التامة والاخلاق الحسنة والايثار الى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجواز للغرباء ومن مكارمهم انهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها باطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ويستدعيهم بلطف ورفق وحسن خلق ثم يطعمهم وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالافران حيث يطبخ الناس أخبازهم فاذا طبخ أحدهم خبزه واحتمله الى منزله فيتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له ولا يردهم خائبين ولو كانت له خبزة واحدة فانه يعطى ثلثها أو نصفها طيب النفس بذلك من غير فخر ومن افعالهم الحسنة ان الايتام الصغار يقعدون بالسوق ومع كل واحد منهم قفتان كبيرى وصغرى وهم يسمون القفة مكتلا فيأتى الرجل من أهل مكة الى السوق فيشتري الحبوب واللحم والخضر ويعطى ذلك للصبي فيجعل الحبوب في إحدى قفتيه واللحم والخضر في الاخرى ويوصل ذلك الى دار الرجل ليهيأ له طعامه منها ويذهب الرجل الى طوافه وحاجته فلا يذكر ان احدا من الصبيان خان الامانة في ذلك قط بل يؤدى ما حمل على اتم الوجوه ولهم على ذلك أجرة معلومة من فلوس وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس وأكثر لباسهم البياض فترى ثيابهم ابدانا صعة ساطعة ويستعملون الطيب كثيرا ويكثرون السواك بعيدان الاراك الاخضر ونساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف وهن يكثرن التطيب حتى ان احدا هن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيبا وهن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة فيأتين في أحسن زى وتغلب على الحرم رائحة طيبهن وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقا ولاهل مكة عوائد حسنة في الموسم وغيره سندكرها ان شاء الله تعالى اذا فرغنا من ذكر فضائلها ومجاوريها

* (ذكر قاضى مكة وخطيبها واماام الموسم وعلمائها وصلحائها) *

قاضى مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الامام العالم محي الدين الطبرى وهو فاضل

كثير الصدقات والمواساة للمجاورين حسن الاخلاق كثير الطواف والمشاهدة للكعبة الشريفة يطعم الطعام الكثير في المواسم المعظمة وخصوصاً في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً فإنه يطعم فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين وكان سلطان مصر الملك الناصر رجه الله يعظمه كثيراً وجميع صدقاته وصدقات امرائه تجري على يديه ولده شهاب الدين فاضل وهو الآن قاضي مكة شرفها الله وخطيب مكة الامام بمقام ابراهيم عليه السلام الفصيح المصقع وحيد عصره بهاء الدين الطبري وهو أحد الخطباء الذين ليس بالمعجور مثلهم بلاغة وحسن بيان وذكرى انه ينشئ لكل جمعة خطبة ثم لا يكررها فيما بعد وامام الموسم وامام المالكية بالحرم الشريف هو الشيخ الفقيه العالم الصالح الخاشع الشهير أبو عبد الله محمد بن الفقيه الامام الصالح الورع أبي زيد عبد الرحمن وهو المشتهر بخليل نفع الله به وأمتع بقاته وأهله من بلاد الجريد من افريقية ويعرفون بها ببني حيون وهم من كبارها ومولده ومولده أبيه بمكة شرفها الله وهو أحد الكبار من أهل مكة بل وأحد أقطبها باجماع الطوائف على ذلك مستغرق العبادة في جميع أوقاته مستحي كريم النفس حسن الاخلاق كثير الشفقة لا يرد من سأله خائباً

(حكاية مباركة)

رأيت أيام مجاورتي بمكة شرفها الله وأنا اذ ذلك ساكن منها بالمدرسة المظفرية رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً في النوم وهو قاعد بمجلس التدريس من المدرسة المذكورة بجانب الشباب الذي تشاهد منه الكعبة الشريفة والناس يبايعونه فكنت أرى الشيخ أبا عبد الله المدعو بخليل قد دخل وقعد القرفصاء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً وجعل يده في يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبا يعك على كذا وكذا وعد أشياء منها وأن لا أرد من بيتي مسكيناً خائباً وكان ذلك آخر كلامه فكنت أعجب من قوله وأقول في نفسي كيف يقول هذا ويقدر عليه مع كثرة فقرائه مكة واليمن والزيالة والعراق والحج ومصر والشام وكنت أراه حين ذلك لا بساجبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالقفطان كان يلبسها في بعض الاوقات فلما صليت الصبح غدوت عليه واعلمته برؤيائى فسر بها وبكى وقال لي تلك الجبة اهداها لبعض الصالحين لجدى فانا البسماتبركا وما رأيت بعد ذلك يردها ثلاثاً خائباً وكان يأمر خدامه بنخبزون الخبز ويطبخون الطعام ويأتون به الى بعد صلاة العصر من كل يوم وأهل مكة لا يأكلون في اليوم الا مرة واحدة بعد العصر ويقتصر من عليها الى مثل ذلك الوقت ومن أراد الاكل في سائر النهار أكل التمر ولذلك صحت ابدانهم وقلت فيهم الامر اض والعاهات وكان الشيخ خليل متزوجاً بنت القاضي نجم الدين الطبري فشك في طلاقها وفارقتها

وتزوجها

وتزوجها بعده الفقيه شهاب الدين النويري من كبار المجاورين وهو من صعيد مصر واقامت عنده أعواما وسافر بها إلى المدينة الشريفة ومعها أخوها شهاب الدين فحنث في عيّن بالطلاق ففارقها على ضمانته بها وزاجعها الفقيه خليل بعد سنين عدّة ومن اعلام مكة امام الشافعية شهاب الدين بن البرهان ومنهم امام الحنفية شهاب الدين اجدبن علي من كبار أئمة مكة وفضلائهم يطعم المجاورين وأبناء السبيل وهو أكرم فقهاء مكة ويدان في كل سنة أربعين ألف درهم وخمسين ألفا فيودّيها الله عنه وامرأه الأتركة يعظمونه ويحسنون الظن به لانه امامهم ومنهم امام الحنابلة المحدث الفاضل محمد بن عثمان البغدادي الاصل المكي المولد وهو نائب القاضى نجم الدين والمحاسب بعد قتل تقي الدين المصري والناس يهابونه لسطوته

(حكاية)

كان تقي الدين المصري محتسبا بمكة وكان له دخول فيما يعنيه وفيما لا يعنيه فاتفق في بعض السنين أن أتى أمير الحاج بصبي من ذوى الدغارة بمكة قد سرق بعض الحاج فامر بقطع يده فقال له تقي الدين ان لم تقطعها بحضرتك والاغلب أهل مكة خدامك عليه فاستنقذوه منهم وخلصوه فامر بقطع يده في حضرته فقطعت وحقدما لتقي الدين ولم يزل يترص به الدوائر ولا قدرة له عليه لان له حسابا من الاميرين رمية وعطيفة والحسب عندهم ان يعطى أحدهم هدية من عمامة وشاشية بمحضرة الناس تكون جوارا لمن اعطيته ولا تزال حرقتهام معه حتى يريد الرحلة والتحول عن مكة فاقام تقي الدين بمكة أعواما ثم عزم على الرحلة وودّع الاميرين وطاف طواف الوداع وخرج من باب الصفا فلقية صاحبه الاقطع وتشكى له ضعف طاله وطلب منه ما يستعين به على حاجته فاتهره تقي الدين وزجرفا ستل خنجره له يعرف عندهم بالجنينة وضربه ضربة واحدة كان فيها حتفه ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق نجم الدين المذكور من أهمل الفضل والاحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد القرشي من فضلاء مكة وكان ينوب عن القاضى نجم الدين بعد وفاة الفقيه محمد بن عثمان الحنبلي ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان زاهد ورع مبتلى بالوسواس رأته يوما يتوضأ من بركة المدرسة المظفرية فيغسل ويكرر ولما مسح رأسه اعاد مسحه مرات ثم لم يقنعه ذلك فغطس رأسه في البركة وكان اذا أراد الصلاة بما صلى الامام الشافعي وهو يقول نويت نويت فيصلي مع غيره وكان كثير الطواف والاعتماد والذكر

(ذكر المجاورين بمكة)

فمنهم الامام العالم الصالح الصوفي المحقق العابد غفيف الدين عبد الله بن أسعد الحنفي الشافعي الشهير بالشافعي كثير الدور لغيره آناء الليل وأطراف النهار وكان اذا طاف من الليل يصعد إلى

سطح المدرسة المظفرية فيقعد مشاهد الكعبة الشريفة الى أن يغلبه النوم فيجعل تحت رأسه حجرا وينام يسيرا ثم يجدد الوضوء ويعود لحاله من الطواف حتى يصلي الصبح وكان متروجا بينت الفقيه العابد شهاب الدين بن البرهان وكانت صغيرة السن فلا تزال تشكو الى ايها حالها فإمرها بالصبر فقامت معه على ذلك سنين ثم فارقتهم الصالح العابد نجم الدين الاصفوني كان قاضيا ببلاد الصعيد فانقطع الى الله تعالى وجاور بالحرم الشريف وكان يعتمر في كل يوم من التعميم ويعتمر في رمضان مرتين في اليوم اعتمادا على ما في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما انه قال عمرة في رمضان تعدل حجة معي ومنهم الشيخ الصالح العابد شمس الدين محمد الحلبي كثير الطواف والتلاوة من قدماء انجاء ورين مات بمكة شرفها الله ومنهم الصالح أبو بكر الشيرازي المعروف بالصامت كثير الطواف اقام بمكة أعواما لا يتكلم فيها ومنهم الصالح خضر العجمي كثير الصوم والتلاوة والطواف ومنهم الشيخ الصالح برهان الدين العجمي الواعظ كان ينصب له كرسي تجاه الكعبة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم بلسان فصيح وقلب خاشع يأخذ بجامع القلوب ومنهم الصالح المجود برهان الدين ابراهيم المصري مقرئ مجيد ساكن رباط السدرة ويقصده أهل مصر والشام بصدقاتهم ويعلم الايتام كتاب الله تعالى ويقوم بمؤنتهم ويكسوهم ومنهم الصالح العابد عز الدين الواسطي من اصحاب الاموال الطائلة يحمل اليه من بلد المال الكثير في كل سنة فيبتاع الحبوب والتمر ويفرقها على الضعفاء والمساكين ويتولى حملها الى بيوتهم بنفسه ولم يزل ذلك دأبه الى ان توفي ومنهم الفقيه الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن رزق الله الانجري من أهل نظر طنجة من كبار الصالحين جاور بمكة أعواما وبها وفاته كانت بينه وبين والدي صيحة قديمة ومتى أتى بلدا ناطجة نزل عندها وكان له بيت بالمدرسة المظفرية يعلم العلم فيها نهارا ويأوي بالليل الى مسكنه برباط ربيع وهو من أحسن الرباطات بمكة بداخله بئر عذبة لا تماثلها بئر بمكة وسكانه الصالحون وأهل ديار الجاز يعظمون هذا الرباط تعظيما شديدا وينذرون له النذور وأهل الطائف يأتونه بالقواكة ومن عادتهم ان كل من له بستان من النخيل والعنب والفرسك وهو الخوخ والتين وهم يسمونه الخط يخرج منه العشر لهذا الرباط ويوصلون ذلك اليه على جالهم ومسيرة ما بين مكة والطائف يومان ومن لم يف بذلك نقصت فواكهه في السنة الآتية واصابتها الجوائم

(حكاية في فضله)*

اتي يوما غلمان الامير أبي غني صاحب مكة الى هذا الرباط ودخلوا بخيل الامير وسقوها من تلك البئر فلما عادوا بالخيول الى مرابطها اصابتها الارجاع وضربت بانفسها الارض

وبرؤسها وارجلها واتصل الخبر بالامير أبي نعي غانق باب الرباط بنفسه واعتذر الى المساكين
الساكين به واستصحب واحدا منهم فمسخ على بطون الدواب بيده فأراقت ما كان في أجوافها
من ذلك الماء وبرئت مما أصابها ولم يتعرضوا بعد للرباط الا بالخير ومنهم الصالح المبارك أبو
العباس النخاري من أصحاب أبي الحسن بن رزق الله وسكن رباط ربيع ووفاته بمكة شرفها الله
ومنهم الصالح أبو يعقوب يوسف من بادية سبتة كان خديما للشيخين المذكورين فلما توفيا صار
شيخ الرباط بعدهما ومنهم الصالح السائح السالك أبو الحسن علي بن فرغوس التمساني ومنهم
الشيخ سعيد الهندي شيخ رباط كلالة

(حكايه)

كان الشيخ سعيد قد قصد ملك الهند محمد شاه فاعطاه ما لا عظميا قدم به مكة فسيجنه الامير
عظيمة رطله باداء المال فامتنع فعذب بعصر رجله فاعطى خمسة وعشرين ألف درهم نقرة
وعاد الى بلاد الهند ورأيت به او نزل بدار الامير سيف الدين غدا بن هبة الله بن عيسى بن مهني
أمير عرب الشام وكان غدا ساكنا ببلاد الهند مترجما بأخت ملكها وسيد كرامه فاعطى
ملك الهند للشيخ سعيد جلة مال وتوجه بحبته حاج يعرف بوشل من ناس الامير غدا وجهه الامير
المذكور ليايته ببعض ناسه ووجهه معه أموالا وتحفها منها الخلعة التي خلعها عليه ملك الهند ليلة
زفافه بأخته وهي من الحرير الازرق من ركشة بالذهب ومرصعة بالجواهر بحيث لا يظهر لونها
لغلبة الجواهر عليها وبعث معه خمسين ألف درهم ليشتري له الخيل العتاق فساخر الشيخ سعيد
صحة وشل واشترى اسلحا عجماء عندهما من الاموال فلما وصل لجزيرة سقطرة المنسوب اليها الصبر
القطري خرج عليه بالصيود الهند في مراكب كثيرة فقاتلوهم قتلا شديدا مات فيه من
الغريقين جلة وكان وشل راميا فقتل منهم جماعة ثم تغلب السراق عليهم وطعنوا وشلا طعنة
مات منها بعد ذلك وأخذوا ما كان عندهم وتركوها لهم من كبرهم بالأسف وزاد فذهبوا الى
عدن ومات بها وشل وعادة هؤلاء السراق انهم لا يقتلون أحدا الا في حين القتال ولا يغرقونه
وانما يأخذون ماله ويتركونه يذهب بمركبته حيث شاء ولا يأخذون المالك لانهم من جنسهم
وكان الحاج سعيد قد سمع من ملك الهند انه يريد اظهار الدعوة العباسية ببلده كثل ما فعله
ملوك الهند من تقدمه مثل السلطان شمس الدين للمش واسمه (بفتح اللام الاولى واسكان
الثانية وكسر الميم وشين مجم) وولده ناصر الدين ومثل السلطان جلال الدين فيروز شاه
والسلطان غياث الدين بلبن وكانت الخلعة تأتي اليهم من بغداد فلما توفى وشل قصد الشيخ
سعيد الى الخلافة أبي العباس بن الخليفة أبي الربيع سليمان العباسي بمصر واعلمه بالامر
فكتب له كتابا بخطه بالنيابة عنه يباد الهند فاستصحب الشيخ سعيد الكتاب وذهب الى اليمن

واشتري بها ثلاث خلع سودا وركب البحر الى الهند فلما وصل كنبأيت وهى على مسيرة أربعين يوما من دهلى حضرته ملك الهند كتب صاحب الخبر الى الملك يعلمه بقدم الشيخ سعيد وان معه أمر الخليفة وكتابه فورد الامر ببعثه الى الحضرة مكرما فلما قرب من الحضرة بعث الامراء والقضاة والفقهاء لتلقيه ثم خرج هو بنفسه لتلقيه فتلقاه وعانقه ودفع له الامر فقبله ووضع على رأسه ودفع له الصندوق الذى فيه الخلع فاحتمله الملك على كاهله خطوات ولبس الخلع وكسى الأخرى الأمير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المنتصر العباسى وكان مقيما عنده وسيد كر خبره وكسى الخلعة الثالثة الأمير قبولة الملقب بالملك الكبير وهو الذى يقوم على رأسه ويشرد عنه الذباب وأمر السلطان فخلع على الشيخ سعيد ومن معه وأر كبه على الفيل ودخل المدينة كذلك والسلطان امامه على فرسه وعن يمينه وشماله الاميران اللذان كساهما الخلعتين العباسيتين والمدينة قد زينت بأنواع الزينة وصنع بها إحدى عشرة قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات فى كل طبقة طائفة من المغنيين رجالا ونساء والراقصات وكلهم محاليل السلطان والقبة مزينة بثياب الحرير المذهب أعلاها وأسفلها وداخلها وخارجها وفى وسطها ثلاثة أحواض من جلود الجواميس مملوءة ماء قد حل فيه الجلاب يشربه كل وارد وصادر لا يمنع منه احد وكل من يشرب منه يعطى بعد ذلك خمس عشرة ورقة من أوراق التنبول والفوفل والنورة فمأكلها فتطيب نكهته وتزيد فى حمرة وجهه ولثاته وتقمع عنه الصفراء وتمضم مأكل من الطعام ولما ركب الشيخ سعيد على الفيل فرشت له ثياب الحرير بين يدي الفيل يطأ عليها الفيل من باب المدينة الى دار السلطان وأنزل بدار تقرب من دار الملك وبعث له أموالا طائلة وجيع الاثواب المعلقة والمفروشة بالقمباب والموضوعة بين يدي الفيل لانهود الى السلطان بل يأخذها أهل الطرب وأهل المدنات الذين يصنعون القباب وخدام الاحواض وغيرهم وهكذا فعلهم متى قدم السلطان من سفر وأمر الملك بكتاب الخليفة ان يقرأ على المنبرين الخطبتين فى كل يوم جمعة وأقام الشيخ سعيد شهرا ثم بعث معه الملك هدايا الى الخليفة فوصل كنبأيت وأقام بها حتى تيسرت أسباب حركته فى البحر وكان ملك الهند قد بعث أيضا من عنده رسولا الى الخليفة وهو الشيخ رجب البرقي أحد شيوخ الصوفية وأصله من مدينة القرم من صحراء قجيق وبعث معه هدايا للخليفة منها حجر يا قوت قيمته خمسون ألف دينار وكتب له يطلب منه ان يعقد له النسيابة عنه ببلاد الهند والسند ويبيع لها سوا من يظهر له هكذا نص عليه كتابه اعتقادا منه فى الخلافة وحسن نية وكان للشيخ رجب أخ يدعى يار مصر يدعى بالأمير سيف الدين الكاشف فلما وصل رجب الى الخليفة أبى ان يقرأ الكتاب ويقبل الهدية الا بحضور الملك

الصالح الماعيل بن الملك الناصر فأشار سيف الدين على أخيه رجب ببيع الحجر فباعه واشترى بثمنه وهو ثلاثمائة ألف درهم أربعة أحمار وحضر بين يدي الملك الصالح ودفع له الكتاب وأحد الأحمار ودفع سائرها لأميرائه واتفقوا على أن يكتب الملك الهند بما طلبه فوجهوا الشهود إلى الخليفة وأشهد على نفسه أنه قدمه نائباً عنه ببلاد الهند وما يليها وبعث الملك الصالح رسولا من قبله وهو شيخ الشيوخ بمصر ركن الدين العجني ومعه الشيخ رجب وجماعة من الصوفية وركبوا بحر فارس من الابل إلى هرمز وسلطانها يومئذ قطب الدين تمهن بن طوران شاه فأكرم منواهم وجهز لهم مركبا إلى بلاد الهند فوصلوا مدينة كنبسايت والشيخ سعيد بها وأميرها يومئذ مقبول التلتي أحد خواص ملك الهند فاجتمع الشيخ رجب بهذا الأمير وقال له إن الشيخ سعيد انما جاءكم بالتزوير والخلع التي ساقها انما اشتراها بعدن فينبغي أن تتفقوه وتبعثوه لخوند عالم وهو السلطان فقال له الأمير الشيخ سعيد معظم عبيد السلطان فبما يفعل به هذا الأمير؟ ولا كنى أبعته معكم ليرى فيه السلطان رأيه وكتب الأمير بذلك كله إلى السلطان وكتب به أيضا صاحب الأخبار فوقع في نفس السلطان تغير وانقبض عن الشيخ رجب لكونه تكلم بذلك على رؤس الأشهاد بعد ما صدر من السلطان للشيخ سعيد من الأكرام ما صدر ففتح رجا من الدخول عليه وزاد في أكرام الشيخ سعيد ولما دخل شيخ الشيوخ على السلطان قام إليه وعانقه وأكرمه وكان متى دخل إليه يقوم له وبقي الشيخ سعيد المدة كوربارض الهند معظم أكرما وبها تركة سنة ثمان وأربعين وكان بمكة أيام مجاورتي بها حسن المغربي المجنون وأمره غريب وشأنه عجيب وكان قبل ذلك صحيح العقل خديما لولي الله تعالى نجم الدين الأصبهاني أيام حياته

(حكايته)*

كان حسن المجنون كثير الطواف بالليل وكان يرى في طوافه بالليل فقيرا كثيرا الطواف ولا يراه بالنهار فلقبه بذلك الفقير ليلة وسأله عن حاله وقال له يا حسن إن أمك تبكي عليك وهي مشتاقة إلى رؤيتك وكانت من أماء الله الصالحات أفتحب أن تراها قال له نعم ولكني لا قدرة لي على ذلك فقال له نجمعها عناني الليلة المقبلة إن شاء الله تعالى فلما كانت الليلة المقبلة وهي ليلة الجمعة وجدته حيث واعدته فطافا بالبيت ماشاء الله ثم خرج وعوفي أثره إلى باب المعلى فأمره أن يسد عينيه ويمسك بشو به ففعل ذلك ثم قال بعد ساعة أتعرف بلدك قال نعم قال ها هو هذا ففتح عينيه فآذنه على دار أمه فدخل عليها ولم يعلمها بشيء مما جرى وأقام عندها نصف شهر وأظن إن بلده مدينة أسفى ثم خرج إلى الجبانة فوجد الفقير صاحبه فقال له كيف أثيت فقال يا سيدي إنني اشتقت إلى رؤية الشيخ نجم الدين وكنت خرجت على عادتي وغبت عنه هذه الأيام

واحب ان تزدني اليه فقال له نعم وواعددا لجبانة ليلا فلما وافا بها امره ان يفعل كفعله في مكة شرفها الله من تغميض عينيه والامساك بذيله ففعل ذلك فاذا به في مكة شرفها الله وأوصاه ان لا يحدث نجم الدين بشئ مما جرى ولا يحدث به غيره فلما دخل على نجم الدين قال له أين كنت يا حسن في غيبتك فإني أن يخبره فعزم عليه فأخبره بالحكاية فقال أرني الرجل فأتى معه ليلا وأتى الرجل على عادته فلما مر بهما قال له ياسيدي هو هذا فسمعه الرجل فضرب بيده على فخذه وقال أسكت أسكتك الله فخرس لسانه وذهب عقله وبقي بالحرم مولها يطوف بالليل والنهار من غير وضوء ولا صلاة والناس يتبركون به ويكسونه واذا جاع خرج الى السوق التي بين الصفا والمروة فيقصدها ثوباً من الخوانيت فيأكل منه ما احب لا يصدده أحد ولا يمنعه بل يسر كل من أكل له شيئاً وتظهر له البركة والنعاء في بيعه ورجحه ومتى أتى السوق تطاول أهلها باعنا قههم اليه كل منهم يحرس على ان يأكل من عنده لما جربوه من بركته وكذلك فعله مع السقائين متى احب ان يشرب ولم يزل دأبه كذلك الى سنة ثمان وعشرين فحين فيها الامير سيف الدين يملك فاستصحبه معه الى ديار مصر فاقطع خبره نفع الله تعالى به

* (ذكر عادة أهل مكة في صلواتهم ومواضع أئمتهم) *

فن عادتهم أن يصلي اول الأئمة امام الشافعية وهو المقدم من قبل أولى الامر وصلاته خلف المقام الكريم مقام ابراهيم الخليل عليه السلام في حطيم له هنالك بديع وجهور الناس بمكة على مذهبه والحطيم خشبتان موصول ما بينهما باذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على صفتهم وما وقد عمدت على أرجل محصنة وعرض على أعلى الخشب خشبة أخرى فيها خطاطيف حديد يعلق منها قناديل زجاج فاذا صلى الامام الشافعي صلى بعده امام المالكية في محراب قبالة الركن اليماني ويصلي امام الحنبلية معه في وقت واحد مقابلاً ما بين الحجر الاسود والركن اليماني ثم يصلي امام الحنفية قبالة الميزاب المكرم تحت حطيم له هنالك ويوضع بين ايدي الأئمة في محاريبهم الشمع وترتيبهم هكذا في الصلوات الاربع وأما صلاة المغرب فانهم يصلونها في وقت واحد كل امام يصلي بطائفته ويدخل على الناس من ذلك سهو وتخليط فرمركع المالكي ركوع الشافعي وسجود الحنفي وسجود الحنبلي وتراهم مصيحين كل احد الى صوت المؤذن الذي يسمع طائفته ليلا يدخل عليه السهو

* (ذكر عادتهم في الخطبة وصلاة الجمعة) *

وعادتهم في يوم الجمعة ان يلصق المنبر المبارك الى صفح الكعبة الشريفة فيما بين الحجر الاسود والركن العراقي ويكون الخطيب مستقبلاً المقام الكريم فاذا خرج الخطيب اقبل لا يسأ ثوب سواد ستمتاعهم سوداء وعليه طيلسان اسود كل ذلك من كسوة الملك الناصر وعليه

الوقار والسكينة وهو يتهادى بين رايتهين سوداوين يتمسكهما رجلان من المؤذنين وبين يديه أحد القومة في يده الفرقة وهي عود في طرفه جلد رقيق مقتول ينفضه في الهواء فيسمع له صوت عال يسمعه من بداخل الحرم وخارجه فيكون اعلما بخروج الخطيب ولا يزال كذلك الى ان يقرب من المنبر فيقبل الحجر الاسود ويدعو عنده ثم يقصد المنبر والمؤذن الزمزمي وهو رئيس المؤذنين بين يديه لابسا السواد وعلى عاتقه السيف ممسكاً به يده وتركر الرايتان عن جانبي المنبر فاذا صعد أول درج من درج المنبر قلده المؤذن السيف فيضرب بنصل السيف ضربة في الدرج يسمع بها الحاضرين ثم يضرب في الدرج الثاني ضربة ثم في الثالث أخرى فاذا استوى في عليا الدرجات ضرب ضربة رابعة ووقف داعياً بدءاً عن خفي مستقبلاً الكعبة ثم يقبل على الناس فيسلم عن يمينه وشماله ويرد عليه الناس ثم يقعد ويؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد فاذا فرغ الأذان خطب الخطيب خطبة يكثر بها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في اثنائها اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بأصبعه الى البيت الكريم اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ما وقف بعرفة واقف ويرضى عن الخلفاء الاربعة وعن سائر الصحابة وعن عمى النبي صلى الله عليه وسلم وسبطينيه وأمهما وخديجة جدتهما على جميعهم السلام ثم يدعوا الملك الناصر ثم للسلطان المجاهد نور الدين على بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف بن على بن رسول ثم يدعوا للسيد الشريفين الحسينيين أميرى مكة سيف الدين عطيفة وهو اصغر الاخوين ويقدم اسمه لعدله وأسداً لدين رميثة ابني ابني نعي بن أبي سعد بن على بن قتادة وقد دعى السلطان العراق مرة ثم قطع ذلك فاذا فرغ من خطبته صلى وانصرف والرايتان عن يمينه وشماله والفرقة امامه اشعاراً بانقضاء الصلاة ثم يعاد المنبر الى مكانه ازاء المقام الكريم

(ذكر عاداتهم في استهلال الشهور)*

وعاداتهم في ذلك ان يأتي أمير مكة في اول يوم من الشهر وقواده يحفون به وهو لا بس البياض معتم متقلد سيفاً وعليه السكينة والوقار فيصل الى عند المقام الكريم ركعتين ثم يقبل الحجر ويشرع في طواف أسبوع ورئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم فعند ما يكل الأمير شوطاً واحداً ويقصد الحجر لتهنئته يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء والتهنئة بدخول الشهر رافعاً بذلك صوته ثم يذكر شعراً في مدحه ومدح سلفه الكريم ويفعل به هكذا في السبعة أشواط فاذا فرغ منها ركع عند المتزمتين ركعتين ثم ركع خلف المقام أيضاً ركعتين ثم انصرف ومثل هذا سواء يفعل اذا اراد سفراً او اذا قدم من سفر أيضاً

* (ذكر عاداتهم في شهر رجب) *

وإذا هلك رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات اشعاراً بدخول الشهر ثم يخرج في أول يوم منه راكبا ومعه أهل مكة فرسانا ورجالا على ترتيب عجيب وكلهم بالأسلحة يلعبون بين يديه والفرسان يجولون ويجرون والرجال يتواثبون ويرمون بحراهم إلى الهواء ويلتفونها والامير رميثة والامير عطيفة معهما أولادها وقوادها مثل محمد بن ابراهيم وعلي واجد ابني صبيح وعلي بن يوسف وشدا بن عمرو وهاشم الشرق ومنصور بن عمر وموسى المزرق وغيرهم من كبار أولاد الحسن ووجوه القواد وبين أيديهم الرايات والطبول والداداب وعليهم السكينة والوقار ويسيرون حتى ينتهون إلى الميقات ثم يأخذون في الرجوع على معهود ترتيبهم إلى المسجد الحرام فيطوف الامير بالبيت والمؤذن الزمزمي بأعلى قبسة زمزم يدعوه عند كل شوط على ما ذكرناه من عاداته فإذا طاف صلى ركعتين عند الملتزم وصلى عند المقام وتمسح به وخرج إلى المسجد فسمي راكبا والقواد يحفرن به والحراية بين يديه ثم يسير إلى منزله وهذا اليوم عندهم عيد من الأعياد ويلبسون فيه أحسن الثياب ويتنافسون في ذلك

* (ذكر عمرة رجب) *

وأهل مكة يحتفلون لعمرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله وهي متصلة ليلا ونهارا وأوقات الشهر كله معمورة بالعبادة وخصوصا أول يوم منه ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين فانهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام شاهدتهم في ليلة السابع والعشرين منه وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها أكساء الحرير والكتان الرفيع كل أحد يفعل بقدر استطاعته والجمال مزينة مقلدة بقلائد الحرير واستأثار الهوادج ضافية تكاد تمس الأرض فهي كالقباب المضروبة ويخرجون إلى ميقات التنعيم فتسيل أباطح مكة بتلك الهوادج والنيران مشعلة بجنبتي الطريق والشمع والمشاغل امام الهوادج والجبال تجيب بصداها هلال المهلين فترق النفوس وتنبه مل الدهوع فإذا قضاوا العمرة وظفروا بالبيت خرجوا إلى السعي بين الصفا والمروة بعد مضى شيء من الليل والمسعى مثقلا السرج غاضر بآئته اسن والساعات في هوادجهن والمسجد الحرام يتلأل أنوارهم يسمون هذه العمرة بالعمرة الأكيدة لانهم يحرمون بها من الكعبة امام مسجد عائشة رضي الله عنهما مقدار غلوة على مقربة من المسجد المنسوب إلى علي رضي الله عنه والأصل في هذه العمرة أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما فرغ من صلاة الكعبة المقدسة خرج ماشيا حافيا مع عمرا ومعه أهل مكة وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب وانتهى إلى الكعبة فاحرم منها وجعل طريقه على ثنية الحجون إلى الأعلى من حيث دخل المسلمون يوم الفتح فبقيت تلك العمرة سنة عند أهل مكة إلى هذا العهد وكان يوم عبد الله مذكورا هدى فيه بدنا كثيرة وأهدى

واهدى اشراف مكة واهل الاستطاعة منهم واقاموا اياما يظعمون ويطعمون شكر الله تعالى على ما وهبهم من التيسير والمعونة في بناء بيته الكريم على الصفة التي كان عليها في أيام الخليل صلوات الله عليه ثم لما قتل ابن الزبير نقض الحجاج الكعبة وردّها الى بنائها في عهد قريش وكانوا قد اقتصروا في بنائها وأبقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك لحدوثان عهدهم بالكفر ثم أراد الخليفة ابو جعفر المنصور ان يعيدها الى بناء ابن الزبير فنهاء مالك رحمه الله عن ذلك وقال يا امير المؤمنين لا تجعل البيت ملعبا للولوك متى أراد أحدهم ان يغيره فعل فتركه على حاله سد المذريعة وأهل الجهات المرافقة لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب ويحلبون الى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز فترخص الاسعار بمكة ويرغد عيش أهلها وتعمهم المرافق ولولا أهل هذه البلاد لكان أشل مكة في شظف من العيش ويذكر انهم متى أعانهم ابلادهم ولم يأتمنوا بهذه الميرة اجذبت بلادهم ووقع الموت في مواشيهم ومتى اوصلوا الميرة اخضبت بلادهم وظهرت فيها البركة ونمت اموالهم فهم اذا حان وقت ميرتهم وادركهم كسل عنها اجتمعت نساؤهم فاخرجتهم وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الامين وبلاد السروات التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة كثيرة الاعناب وافرة الغلات واهلها فصحاء الالسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد واهلها اذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها الأبدان بجوارها متعلقين باستارها داعين بادعية تتصعد لرقتها القلوب وتدمع العيون الجمامدة فتري الناس حولهم باسطي ايديهم مؤمنين على ادعيتهم ولا يتمكن لغيرهم الطواف معهم ولا استلام الحجر لتراجهم على ذلك وهم شجعان انجناد ولباسهم الجلود واذا وردوا مكة عمايت اعراب الطريق مقدمهم وتجنبوا اعتراضهم ومن صحبهم من الزوار حمدتهم وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكرهم واثنى عليهم خيرا وقال علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء وكفاهم شرفا دخولهم في عوم قوله صلى الله عليه وسلم الايمان يمان والحكمة يمانية وذكر ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يتحرى وقت طوافهم ويدخل في جملتهم تبركا بدعائهم وشأنهم عجيب كله وقد جاء في أثر زاحوهم في الطواف فان الرحمة تنصب عليهم صبا

(ذكر عاداتهم في ليلة النصف من شعبان) *

وهذه الليلة من الليالي المعظمة عند أهل مكة يسادرون فيها الى أعمال البر من الطواف والصلاة جماعات وأفراد والاعتمار ويجمعون في المسجد الحرام جماعات لكل جماعة امام ويؤدون السرج والمصابيح والمشاعل ويقابل ذلك ضوء القمر يتلأأ الارض والسماء نوراً ويصلون مائة ركعة يقرأون في كل ركعة بأم القرآن وسورة الاخلاص يكررونها عشرة

وبعض الناس يصابون في الحجر من غريدين وبعضهم يطوفون بالبيت الشريف وبعضهم قد خرجوا للاعتقاد

* (ذكر عاداتهم في شهر رمضان المعظم) *

وإذا أهل هلال رمضان تضرب الطبول والنداباد عند أمير مكة ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعل حتى يتلأأ الحرم نوراً ويسطع بهجة واشراقاً وتتفرق الأئمة فرقا وهم المشافعية والحنفية والحنبلية والزيدية وأما المالكية فاجتمعون على أربعة من القراء يتناوبون القراءة ويوقدون الشمع ولا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية الا وفيها قارئ يصلي بجماعة فيرتج المسجد لاسوات القراء وترق النفوس وتحضر القلوب وتهمل الاعين ومن الناس من يقتصر على الطواف والصلاة في الحجر منفردا والشافعية اكثر الأئمة اجتهادا وعاداتهم انهم اذا اكملوا التراويح المعتادة وهي عشرون ركعة يطوف امامهم وجماعته فاذا فرغ من الاسبوع ضربت الفرقة التي ذكرنا انها تكون بين يدي الخطيب يوم الجمعة كأن ذلك اعلاما بالعودة الى الصلاة ثم يصلي ركعتين ثم يطوف أسبوعا هكذا الى ان يتم عشرين ركعة اخرى ثم يصابون الشمع والوتر وينصرفون وسائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئا وإذا كان وقت السجود يتولى المؤذن الزمري التسميع في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم فيقوم داعيا ومذكرا ومحرضا على السجود والمؤذنون في سائر الصوامع فاذا تكلم احد منهم اجابه صاحبه وقد نصبت في أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عود معترض قد علق فيه قنديلان من الزجاج كبيران يقدان فاذا قرب النجور ووقع الايدان بالقطع مرة بعد مرة حط القنديلان وابتدأ المؤذنون بالاذان واجاب بعضهم بعضا ولد يار مكة شرفها الله سطوح فن بعدت داره بحيث لا يسمع الاذان يبصر القنديلين المذكورين فيتمسحون حتى اذا لم يبصرها أقبلع عن الاكل وفي كل ليلة وتر من ليالى العشر الاواخر من رمضان يختمون القرآن ويحضرون الختم الفاضل والفقهاء والكبراء ويكون الذي يختم بهم أحد أبناء كبراء أهل مكة فاذا ختم نصب له منبر منبرين بالحريز وأوقد الشمع وخطب فاذا فرغ من خطبته استدعى أبوه الناس الى منزله فاطعمهم الاطعمة الكثيرة والحلاوات وكذلك يصنعون في جميع ليالى الوتر واعظم تلك الليالى عندهم ليلة سبع وعشرين واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالى ويختم بها القرآن العظيم خلف المقام الكريم وتقام ازاء حطيم الشافعية خشب عظام توصل بالحطيم وتعرض بينها ألواح طوال وتجعل ثلاث طبقات وعامها الشمع وقناديل الزجاج فيكاد يغشى الابصار شعاع الانوار ويتقدم الاسام فيصلي فريضة العشاء الآخرة ثم يبتدئ قراءة سورة القدر واليه يكون انتهاء قراءة الأئمة في الليلة التي قبلها وفي تلك الساعة

يسلك جميع الأئمة عن التراخي تعظيماً لخدمة المقام ويحضرونها متبركين فيختم الإمام في تسليتين ثم يقوم خطيباً مستقبلاً المقام فاذا فرغ من ذلك عاد الأئمة إلى صلاتهم وانقض الجمع ثم يكون الختم ليلة تسع وعشرين في المقام المالكي في منظر مختصر وعن المباهاة نزهة موقر فيختم ويخطب

* (ذكر عاداتهم في شوال) *

وعاداتهم في شوال وهو مفتتح أشهر الحج المعلومات أن يؤدوا المشاعر ليلة استهلاله ويسرجون المصابيح والشمع على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان وتوقع السرج في الصوامع من جميع جهاتها ويوقد سطح الحرم كله وسطح المسجد الذي بأعلى أبي قبيس ويقيم المؤذنون ليالتهم تلك في تهليل وتكبير وتسييح والناس ما بين طواف وصلاة وذكر ودعاء فاذا صلاوا صلاة الصبح أخذوا في أهبة العيد ولبسوا الحسن ثيابهم وبادروا لاخذ محاسنهم بالحرم الشريف وبه يصلون صلاة العيد لأنه لا موضع أفضل منه ويكون أول من يكر إلى المسجد الشيبون فيفتحون باب الكعبة المقدسة ويقعد كبيرهم في عتبة أو سائرهم بين يديه إلى أن يأتي أمير مكة فيتلقونه ويطوف بالبيت أسبوعاً والمؤذن الزمزمي فوق سطح قبة زمزم على العادة رافعا صوته بالثناء عليه والدعاء له ولاخيه كما ذكر ثم يأتي الخطيب بين الرايتين السوداوين والفرقة امامه وهو لا لبس السود فيصلي خلف المقام الكريم ثم يصعد المنبر ويخطب خطبة بليغة ثم اذا فرغ منها أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام والمصافحة والاستغفار ويقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجا ثم يخرجون إلى مقبرة باب المعلى تبركاً بمن فيها من الصحابة وصدور السلف ثم ينصرفون

* (ذكر أحرام الكعبة) *

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تشمر استار الكعبة الشريفة زاهياً الله تعظيماً إلى نحو ارتفاع قمة ونصف من جهاتها الأربع صونا لها من الأيدي أن تنتهبها ويسمون ذلك أحرام الكعبة وهو يوم مشهود بالحرم الشريف ولا تقم الكعبة المقدسة من ذلك اليوم حتى تنقضي الوقفة بعرفة

* (ذكر شعائر الحج وأعماله) *

وإذا كان في أول يوم من شهر ذي الحجة تضرب الطبول والدياب في أوقات الصلوات وبكرة وعشية أشعاراً بالموسم المبارك ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات فاذا كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب أثر صلاة الظهر خطبة بليغة يعلم الناس فيها مناسكهم ويعلمهم يوم الوقفة فاذا كان اليوم الثامن بكر الناس بالصعود إلى منى وأمرهم عصر والشام

والعراق وأهل العالم يبيتون تلك الليلة بمنى وتقع المباحاة والمفاخرة بين أهل مصر والشام والعراق في إيقاد الشمع ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائماً إذا كان اليوم التاسع رحلوا من منى بعد صلاة الصبح إلى عرفة فيمرون في طريقهم بوادي محسرويه وولون فيه وذلك سنة ووادي محسر هو الحادى من دلفة ومنى ومن دلفة بسيط من الأرض فسيح بين جبلين وحولهما مصانع وصهاريج للماء مما بنته زينة جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد وبين منى وعرفة خمسة أميال وكذلك بين منى ومكة أيضاً خمسة أميال ولعرفة ثلاثة أسماء وهى عرفة وجمع والمشرع الحرام وعرفات بسيط من الأرض فسيح انج تحدقه به جبال كثيرة وفى آخر بسيط عرفات جبل الرحمة وفيه الموقف وفيما حوله والعلمان قبله بنحو ميل وهما الحد ما بين الحل والحرم ومقربة منهما ما إلى عرفة بطن عرنة الذى أمر الله صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه ويجب التحفظ منه ويجب أيضاً الامساك عن النفور حتى يتمكن سقوط الشمس فان الجبالين ربما استحثوا كثير من الناس وحذر وهم الزحام فى النفور واستدروهم الى ان يصلوا بهم بطن عرنة فيبطل حجهم وجبل الرحمة التى ذكرناه قائم فى وسط بسيط جمع منقطع عن الجبال وهو من حجارة منقطع بعضها عن بعض وفى أعلاه قبة تنسب الى أم سلمة رضى الله عنها وفى وسطها مسجد يتراحم الناس للصلاة فيه وحوله سطح فسيح يشرف على بسيط عرفات وفى قبله جدار فيه محاريب منصوبة يصلى فيه الناس وفى أسفل هذا الجبل عن يسار المستقبل للكعبة دار عتيقة البناء تنسب الى آدم عليه السلام وعن يسارها الصخرات التى كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندها وحول ذلك صهاريج وجباب للماء بمقربة منه الموضع الذى يقف فيه الامام ويخطب ويجمع بين الظهر والعصر وعن يسار العليين للمستقبل أيضاً وادى الاراك وبه اراك أخضر يمتد فى الارض امتداداً طويلاً وإذا حان وقت النفرا اشار الامام المالكى بيده ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعة ترجيح لها الارض وترجع الجبال فيأله موقفاً كريماً ومشهداً عظيماً ترجوا النفوس حسن عقباؤه وتطمع الآمال ان تفحات رجاء جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه وكانت وقفتى الاولى يوم الخميس سنة ست وعشرين وأمير الركب المصرى يومئذ أرغون الدوادار نائب الملك الناصر وحجت فى تلك السنة ابنة الملك الناصر وهى زوجة أبى بكر بن أرغون المذكور وحجت فيها زوجة الملك الناصر المسماة بالخوندة وهى بنت السلطان المعظم محمد اوزبك ملك السراوخوار زم وأمير الركب الشامى سيف الدين الجوبان ولما وقع النفر بعد غروب الشمس وصلنا من دلفة عند العشاء الآخرة فصلينا بها المغرب والعشاء جمعاً بينهما حسبما جرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما صلينا الصبح بمنى دلفاً غدونا منها الى منى

بعد الوقوف والدعاء بالمسح الحرام ومن دلفه كلها موقف الا وادى محسرف فيه تقع الهروله حتى يخرج عنه ومن من دلفه يستحب أ كثر الناس حصيات الجمار وذلك مستحب ومنهم من يلقطها حول مسجد الخيف والامر في ذلك واسع ولما انتهى الناس الى منى بادر الرمي بجمرة العقبة ثم نحر واودجوا ثم حلقوا وحلوا من كل شئ الا النساء والطيب حتى يطوفوا طواف الافاضة ورمي هذا الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر ولما رموها توجهه أكثر الناس بعد ان ذبحوا وحلقوا الى طواف الافاضة ومنهم من أقام الى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني رمى الناس عند ذوال الشمس بالجمرة الاولى سبع حصيات وبالوسطى كذلك ووقفوا للدعاء بهاتين الجمرتين اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان اليوم الثالث تجل الناس الانحدار الى مكة شرفها الله بعد ان كمل لهم رمي تسع وأربعين حصاة وكثير منهم أقام اليوم الثالث بعد يوم النحر حتى رمي سبعين حصاة

* (ذكر كسوة الكعبة) *

وفي يوم النحر بعثت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصرى الى البيت الكريم فوضعت في سطحه فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيبانيون في اسبائها على الكعبة الشريفة وهى كسوة سوداء حالكه من الحرير مبطنه بالكنان وفي أعلاها طراز مكتوب فيه بالبياض جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما الآية وفي سائر جهاتها طراز مكتوب بالبياض فيها آيات من القرآن وعليها نور لائح مشرق من سوادها ولما كسيت شمعت اذ يالهأ صوانع أيدى الناس والملك الناصر هو الذى يتولى كسوة الكعبة الكريمة ويبعث مرتبات القاضى والخطيب والائمة والمؤذنين والفراشين والقومة وما يحتاج له الحرم الشريف من الشمع والزيت فى كل سنة وفي هذه الايام تفتح الكعبة الشريفة فى كل يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم ممن يصل مع الركب العراقى وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبىن الشامى والمصرى اربعة أيام فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلا فى لقوه فى الحرم من المجاورين او المكيين اعطوه الفضة والثياب وكذلك يعطون للمشاهدين الكعبة الشريفة وربما وجدوا انسانا نائما فجعلوا فيه الذهب والفضة حتى يفيق ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فعلاوا من ذلك كثير او أكثر والصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة وانتهى صرف المئقال الى ثمانية عشر درهما نقرة لكثرة ما تصدقوا به من الذهب وفي هذه السنة ذكر اسم السلطان ابى سعيد ملك العراق على المنبر وتهيئ زمزم

* (ذكر الانفصال عن مكة شرفها الله تعالى) *

وفي الموفى عشرين لذي الحجة خرجت عن مكة صحبة أمير ركب العراق البهلوان محمد الحويج
بجائين مهملين) وهو من أهل الموصل وكان يلي إمارة الحاج بعد موت الشيخ شهاب الدين قلندر
وكان شهاب الدين سخيافاضلا عظيم الحرمة عند سلطانه يحلق لحيته وحاجبيه على طريقة
القلندرية ولما خرجت من مكة شرفها الله تعالى في صحبة الأمير البهلوان المذكور أكثرى
لى شقة محارة الى بغداد ودفع اجازتهم من ماله وأزلى في جواره وخرجنا بعد طواف الوداع
الى بطن مر في جمع من العراقيين والخراسانيين والفارسيين والاعاجم لا يحصى عديدهم
تموج بهم الارض موجا ويسرون سير السحاب المتراكم فنخرج عن الركب الحاجة ولم تكن
له علامة يستدل بها على موضعه ضل عنه لكثرة الناس وفي هذا الركب فواضح كثيرة لانباء
السبيل يستقون منها الماء وجمال رفع الزاد للصدقة ورفع الادوية والاشربة والسككران
يصيبه مرض واذا نزل الركب طبخ الطعام في قدور نحاس عظيمة تسقى الدسوت واطعم منها
ابناء السبيل ومن لازاد معاه وفي الركب جملة من الجمال يحمل عليها من لا قدرة له على المشي كل
ذلك من صدقات السلطان أبي سعيد ومكارمه قال ابن جزى كرم الله هذه الكنية الشريفة فا
أعجب أمرها في الكرم وحسبك بمولانا ببحر المكارم ورافع رايات الجود الذي هو آية في النداء
والفضل أمير المسلمين أبي سعيد ابن مولانا قانع الكفار والآخذ للسلام بالنار أمير
المسلمين أبي يوسف قدس الله أرواحهم الكريمة وابقى الملك في عقبهم الطاهر الى يوم الدين
(رجع) وفي هذا الركب الاسواق الحافلة والمرافق العظيمة وانواع الاطعمة والفواكه وهم
يسرون بالليل ويوقدون المشاعل امام القطار والمحارات فتري الارض تتلأأ نورا والليل
قد عادنهارا ساطعا ثم رحلنا من بطن مر الى عسفان ثم الى خليص ثم رحلنا أربع مراحل
ونزلنا وادي السمك ثم رحلنا نجسا ونزلنا في بدر وهذه المراحل ثنتان في اليوم احداهما بعد
الصبح والاخرى بالعشي ثم رحلنا من بدر فنزلنا الصفراء وأقنابها يوما مستريحين ومنها الى
المدينة الشريفة مسيرة ثلاث ثم رحلنا فوصلنا الى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحصلت لنا زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية واقنابا لمدينة كرمها الله تعالى ستة
أيام واستصبحنا من الماء لمسيرة ثلاث ورحلنا عنما فنزلنا في الثالثة وادي العروس فتزودنا
منه الماء من خسيان يحفرون عليها في الارض فيذبطون ماء عذبا معيننا ثم رحلنا من وادي
العروس ودخلنا أرض نجد وهو بسيط من الارض مد البصر تنسجنا نسجة الطيب
الارج ونزلنا بعد أربع مراحل على ماء يعرف بالعسيلة ثم رحلنا عنه
ونزلنا ماء يعرف بالنقرة فيه آثاره صانع كالصهاريج العظيمة ثم رحلنا الى ماء يعرف بالقارورة

وهي مصانع مملوءة بماء المطر مما صنعتها زبيدة ابنة جعفر رزقها الله ونفعها وهذا الموضع هو وسط أرض نجد فسبح طيب النسيم صحیح الهواء نقي التربة معتدل في كل فصل ثم رحلنا من القارورة وازلنا بالحاجر وفيه مصانع للماء وربما جفت فحفر عن الماء في الجفار ثم رحلنا وازلنا سميرة وهي أرض غائرة في بسيط فيه شبه حصن مسكون وماؤها كثير في أبار إلا أنه زعاق ويأتي عرب تلك الأرض بالغنم والسمن واللبن فيبيعون ذلك من الجحاج بالثياب الختام ولا يبيعون بسوى ذلك ثم رحلنا وازلنا بالجبل المخروق وهو في يبداء من الأرض وفي أعلاه ثقب نافذ تخرقه الريح ثم رحلنا منه إلى وادي الكر وش ولا ماء به ثم أسرىنا ليلا وصبحنا حصن فيد وهو حصن كبير في بسيط من الأرض يدور به سور وعليه ربض وساء كنهوه عرب يتعيشون مع الحجاج في البيع والتجارة وهناك يترك الحجاج بعض أزداهم حين وصولهم من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد ومنه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر يوم في طريق سهل به المياه في المصانع ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضع على تعبئة وأهبة للحرب ارهابا للعرب المجتمعين هنالك وقطعا لا طماعهم عن الركب وهنالك لقينا أميري العرب وهما فياض وحيار واسمه (بكسر الحاء) واهماله ويا آخر الحروف وهما أبناء الأمير مهني بن عيسى ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة فظهر منهما المحافظة على الحجاج والرحال والحوطة لهم وأتى العرب بالجمال والغنم فاشترى منهم الناس ما قدروا عليه ثم رحلنا وازلنا الموضع المعروف بالاجفر ويشتهر باسم العاشقين جميل وبثينة ثم رحلنا وازلنا بالبيداء ثم أسرىنا وازلنا زردوهي بسيط من الأرض فيه رمال منهالة وبه دور صغار قد اداروها شبه الحصن وهنالك ابار ماء ليست بالعذبة ثم رحلنا وازلنا الثعلبية ولها حصن خرب بازائه مصنع هائل ينزل اليه في درج وبه من ماء المطر ما يعم الركب ويجمع من العرب بهذا الموضع جمع عظيم فيبيعون الجمال والغنم والسمن واللبن ومن هذا الموضع إلى الكوفة ثلاث مراحل ثم رحلنا فازلنا ببركة المرجوم وهو مشهد على الطريق عليه كوم عظيم من حجارة وكل من مر به رجحه ويذكر أن هذا المرجوم كان رافضيا فسا فرمى الركب يريد الحج فوقعت بينه وبين أهل السنة من الانراك مشاجرة فسب بعض الصحابة فقتلوه بالحجارة وبهذا الموضع بيوت كثيرة للعرب ويقصدون الركب بالسمن واللبن وسوى ذلك وبه مصنع كبير يعم جميع الركب مما بنته زبيدة رجة الله عليها وكل مصنع أو بركة أو بئر بهذه الطريق التي بين مكة وبغداد فهي من كريم آثارها جزاها الله خيرا وفي لها أجرها ولولا عنايتها بهذه الطريق ما سلكها أحد ثم رحلنا وازلنا موضعا يعرف بالمشقوق فيه مصنعان بهما الماء العذب الصافي وأراق الناس ما كان عندهم من الماء وتزودوا منها ثم رحلنا وازلنا موضعا

يعرف بالتنانير وفيه مصنع ممتلئ بالماء ثم أسرينا منه واجترينا ضحوة بزماله وهي قرية معمورة بها قصر للعرب ومصنعان للماء وأبار كثيرة وهي من مناهل هذا الطريق ثم رحلنا فزلنا الهيثمين وفيه مصنعان للماء ثم رحلنا فزلنا دون العتبة المعروفة بعتبة الشيطان وصعدنا العتبة في اليوم الثاني وليس بهذا الطريق وعرسواها على أنها ليست بصعبة ولا طائلة ثم زلنا موضعاً يسمى واقصة فيه قصر كبير ومصانع للماء معمور بالعرب وهو آخر مناهل هذا الطريق وليس فيما بعده إلى الكوفة منهل مشهور إلا مشارع ماء الفرات وبه يتلقى كثير من أهل الكوفة الحاج ويأتون بالدقيق والخبز والتمر والفواكه ويهني الناس بعضهم بعضاً بالسلامة ثم زلنا موضعاً يعرف بالورة فيه مصنع كبير للماء ثم زلنا موضعاً يعرف بالمساجد فيه ثلاث مصانع ثم زلنا موضعاً يعرف بمنارة القرون وهي منارة في بيداء من الأرض بأربعة الأرتفاع مجلدة بقرون الغزلان ولا عمارة حولها ثم زلنا موضعاً يعرف بالعذيب وهو واد مخصب عليه عمارة وحولها فلاة خصبة فيها مسرح للبصر ثم زلنا القادسية حيث كانت الوجة الشهيرة على الفرس التي أظهر الله فيها دين الإسلام وأذل المجوس عبدة النار فلم تقم لهم بعدها قائمة واستأصل الله شأقهم وكان أمير المسلمين يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكانت القادسية مدينة عظيمة افتتحها سعد رضي الله عنه وخربت فلم يبق منها الآن إلا مقدار قرية كبيرة وفيها حدائق النخل وبها مشارع من ماء الفرات ثم رحلنا منها فزلنا مدينة مشهد على بن أبي طالب رضي الله عنه بالنجف وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها تاسوا وتقها بناء ولها أسواق حسنة نظيفة دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والخبازين ثم سوق الفسكهة ثم سوق الخياطين والقسارية ثم سوق العطارين ثم باب الحضرة حيث التمر الذي يزعمون أنه قبر على عليه السلام وبازائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن

* (ذكر الروضة والقبور التي بها) *

ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ولكل وارد عليهم ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية فعندما يصل الزائر يقوم إليه أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له ويقولون عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية فإن أذنتم له والارجع وإن لم يكن أهلاً لذلك فأنتم أهل المكارم والستر ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الفضة وكذلك

العضادتان

العضادتان ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار وفي وسط القبة مسطبة من بعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكة العمل مسطرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام والثالث قبر علي رضي الله عنه وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب ينحس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا وللقبة باب آخر عتبه أيضا من الفضة وعليه ستور من الحرير المورن يقضى إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتبا فضة وعليها ستور الحرير وأهل هذه المدينة كلهم رافضة وهذه الروضة ظهرت لهاكرامات ثبت بها عندهم أن بها قبر علي رضي الله عنه فنهان في ليلة السابع والعشرين من رجب وتسمى عندهم ليلة المحيا يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم فيجتمع معهم الثلاثون والاربعون ونحو ذلك فاذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا فوق الضريح المقدس والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذاكروا تال ومشاهد للروضة فاذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه ونحو ذلك قام الجميع اصحاء من غير سوء وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقة ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم والثاني من اصبهان والثالث من خراسان وهم مقعدون فاستخبرتهم عن شأنهم فاخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا وأنهم منتظرون أو أنها من عام آخر وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقا عظيمة مدة عشرة أيام وليس بهذه المدينة مغرم ولا مكاس ولا وال وإنما يحكم عليهم نقيب الاشراف وأهلها تجار يسافرون في الاقطار وهم أهل شجاعة وكرم ولا يضام جارهم صحبتهم في الاسفار فخدمت صحبتهم لكنهم غلوا في علي رضي الله عنه ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذرا اذابري ومنهم من يمرض رأسه فيصنع رأسا من ذهب أو فضة ويأتي به إلى الروضة فيجعل النقيب في الخزانة وكذلك اليد والرجل وغيرهما من الاعضاء وخزانة الروضة عظيمة فيها من الاموال مالا يضبط لكثرة

* (ذكر نقيب الاشراف) *

ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عنده مكين ومنزلته رفيعة وله ترتيب الامراء الكبار في سفره وله الاعلام والاطبال وتضرب الطبل الحانة عند بابيه مساء وصباحا واليه

حكم هذه المدينة ولا والى بها سواه ولا مغرم فيها للسلطان ولا لغيره وكان النقيب في عهد دخولي اليها نظام الدين حسين بن تاج الدين الآوى نسبة الى بلدة آوة من عراق العجم أهلها رافضة وكان قبله جماعة يلى كل واحد منهم بعد صاحبه منهم جلال الدين بن الفقيه ومنهم قوام الدين بن طاووس ومنهم ناصر الدين مطهر بن الشريف الصالح شمس الدين محمد الاوهرى من عراق العجم وهو الآن بأرض الهند من ندماء ملكها ومنهم أبو غرة بن سالم بن مهني بن جاز بن شحنة الحسيني المدني

* (حكاية) *

كان الشريف أبو غرة قد غلب عليه في أول أمره العبادة وتعلم العلم واشتهر بذلك وكان ساكناً بالمدينة الشريفة كرمها الله في جوار ابن عمه منصور بن جاز أمير المدينة ثم انه خرج عن المدينة واستوطن العراق وسكن منها بالحللة فأتى النقيب قوام الدين بن طاووس فاتفق أهل العراق على تولية أبي غرة نقابة الاشراف وكتبوا بذلك الى السلطان أبي سعيد فأمضاه ونفذه اليرليغ وهو الظهير بذلك وبعث له الخلعة والاعلام والطبول على عادة النقباء ببلاد العراق فغلبت عليه الدنيا وترك العبادة والزهد وتصرف في الاموال تصرفاً قبيحاً فرفع أمره الى السلطان فلما علم بذلك أعمل السفر مظهر النهر يدخر اسان قاصداً زيارته قبر على بن موسى الرضى بطوس وكان قصده الفرار فلما زار قبر على بن موسى قدم هراً وهى آخر بلاد خراسان وأعلم أصحابه انه يريد بلاد الهند فرجع أكثرهم عنه وتجاوز هو أرض خراسان الى السند فلما جاز وادى السند المعروف ببنج آب ضرب طبوله وانفاره فراع ذلك أهل القرى وظنوا ان التترأتوا لا غارة عليهم واجفلوا الى المدينة المسماة بأوجا وأعلموا أميرها بما سمعوه فركب في عساكره واستعد للحرب وبعث الطلائع فرأوا نحو عشرة من الفرسان وجماعة من الرجال والتجار من صحب الشريف في طريقه معهم الاطبال والاعلام فسألوهم عن شأنهم فأخبروهم ان الشريف نقيب العراق أتى وافداً على ملك الهند فرجع الطلائع الى الامير وأخبروه بكيفية الحال فاستضعف عقل الشريف لرفعه العلامات وضربه الطبول في غير بلاده ودخل الشريف مدينة أوجا وأقام بها مدة تضرب الاطبال على باب داره غدوة وعشيا وكان مولعاً بذلك ويذكر انه كان في أيام نقابته بالعراق تضرب الاطبال على رأسه فاذا أمسك النصار عن الضرب يقول له زد نقرة يا نقار حتى لقب بذلك وكتب صاحب مدينة أوجا الى ملك الهند يخبر الشريف وضربه الاطبال بالطريق وعلى باب داره غدوة وعشيا ورفعه الاعلام وعادة أهل الهند أن لا يرفع علماً ولا يضرب طبل الا من أعطاه الملك ذلك ولا يفعله الا في السفر وأما في حال الإقامة فلا يضرب الطبل الا على باب الملك خاصة بخلاف مصر والشام والعراق

فان الطبول تضرب على أبواب الامراء فلما بلغ خبره الى ملك الهند كره فعله وأذكره وفعل في نفسه ثم خرج الامير الى حضرة الملك وكان الامير كشلي خان والخان عندهم أعظم الامراء وهو الساكن بلمتان كرسى بلاد السند وهو عظيم القدر عند ملك الهند يدعوه بالعم لانه كان ممن أعان أباه السلطان غياث الدين تغلق شاه على قتال السلطان ناصر الدين خسرو شاه قد قدم على حضرة ملك الهند فخرج الملك الى لقائه فاتفق ان كان وصول الشريف في ذلك اليوم وكان الشريف قد سبق الامير باميال وهو على حاله من ضرب الاطبال فلم يرعه الا السلطان في موكبته فتقدم الشريف الى السلطان فسلم عليه وسأله السلطان عن حاله وما الذي جاء به فأخبره ومضى السلطان حتى لقي الامير كشلي خان وعاد الى حضرته ولم يلتفت الى الشريف ولا أمر له بانزال ولا غيره وكان الملك عازما على السفر الى مدينة دولة آباد وتسمى أيضا بالكتكة (بفتح الكافين والتاء المعلو التي بينهما) وتسمى أيضا بالدويجر (ديوكير) وهي على مسيرة أربعين يوما من مدينة دهلي حضرة الملك فلما شرع في السفر بعث الى الشريف بخمسمائة دينار دراهم وصر فهامن ذهب المغرب مائة وخمسة وعشرون ديناراً وقال لرسوله اليه قل له ان أراد الرجوع الى بلاده فهذا زاده وان أراد السفر معنا فهى نفقته بالطريق وان أراد الإقامة بالحضرة فهى نفقته حتى ترجع فاغتم الشريف لذلك وكان قصده ان يجزل له العطاء كماهى عادته مع أمثاله واختار السفر صحبة السلطان وتعلق بالوزير أحمد بن اياس المدعو بخواجه جهان وبذلك سماه الملك وبه يدعوه هو وبه يدعوه سائر الناس فان من عادتهم انه متى سمي الملك أحدا باسم مضاف الى الملك من عماد أو ثقة أو قطب أو باسم مضاف الى الجهان من صدر وغيره فبذلك يخاطبه الملك وجميع الناس ومن خاطبه بسوى ذلك لزمته العقوبة فتأكدت المودة بين الوزير والشريف فأحسن اليه ورفع قدره ولاطف الملك حتى حسن فيه رأييه وأمر له بقريتين من قرى دولة آباد وأمره أن تكون إقامته بها وكان هذا الوزير من أهل الفضل والبروة ومكارم الاخلاق والمحبة في الغرباء والاحسان اليهم وفعل الخير واطعام الطعام وعمارة الزوايا فاقام الشريف يستغل القريتين ثمانية أعوام وحصل من ذلك مالا عظيما ثم اراد الخروج فلم يملكه فانه من خدم السلطان لا يمكنه الخروج الا باذنه وهو مخب في الغرباء قليلا ما يأذن لاحدهم في السراخ فأراد الفرار من طريق الساحل فرد منه وقدم الحضرة ورغب من الوزير ان يحاول قضية انصرافه فتلطف الوزير في ذلك حتى أذن له السلطان في الخروج عن بلاد الهند واعطاه عشرة آلاف دينار من دراهمهم وصر فهامن ذهب المغرب الفان وخمسمائة دينار فأتي بها في بدرة فجعلها تحت فراشه ونام عليها المحبته في الدناير وفرح بها وخوفه ان يتصل لاحد من اصحابه شئ منها فانه كان بخيلا فأصابه وجع

في جنبه بسبب رقاده عليها ولم يزل يتزايد به وهو آخذ في حركة سفره الى ان توفي بعد عشرين يوما من وصول البصرة اليه واوصى بذلك المال للشرىف حسن الجرائى فتصدق بجملته على جماعة من الشيعة المقيمين بدھلى من اهل الخجاز والعراق واهل الهند لا يورثون بيت المال ولا يتعرضون لمال الغرباء ولا يسألون عنه ولو بلغ ما عسى ان يبلغ وكذلك السودان لا يتعرضون لمال الابيض ولا يأخذونه انما يكون عند الكبار من اصحابه حتى يأتى مستحقه وهذا الشرىف أبو غرة له أخ اسمه قائم سكن غرناطة مدة وبها تزوج بنت الشرىف أبى عبد الله بن ابراهيم الشهير بالملكى ثم انتقل الى جبل طارق فسكنه الى ان استشهد بوادى كرهة من نظر الجزيرة الخضراء وكان بهمة من الهم لا يصطلى بناره خرق المعتاد فى الشجاعة وله فيها أخبار شهيرة عند الناس وترك ولدين هما فى كفالته ربيهم الشرىف الفاضل أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم بن نفيس الحسينى الكربولائى الشهير ببلاد المغرب بالعراقى وكان تزوج أمهما بعد موت أبيها وهو محسن لهما اجزا الله خيرا

ولما تحصلت لشارية أمير المؤمنين على عليه السلام سافر الركب الى بغداد وسافرت الى بصرة صحبة رفيقة كبيرة من عرب خفاجة وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد ولا سبيل للسفر فى تلك الاقطار الا فى صحبتهم فاكثرت جلال على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجى وخرجنا من مشهد على عليه السلام فزلنا الخورنق موضع سكى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بنى ماء السماء وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة فى فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات ثم رحلنا عنه فزلنا موضع يعرف بقائم الوثاق وبه أثر قرية خربة ومسجد خرب لم يبق منه الا صومعته ثم رحلنا عنه آخذين مع جانب الفرات بالموضع المعروف بالعدار وهو غابة قصب فى وسط الماء يسكنها اعراب يعرفون بالمعادى وهم قطاع الطريق رافضة المذهب خرجوا على جماعة من الفقراء تأخروا عن رفقتنا فسلموهم حتى النعال والكشا كل وهم تحصنوا بتلك الغابة ويمتنعون بها من يريدهم والسباع بها كثيرة ورحلنا مع هذا العذار ثلاث مراحل ثم وصلنا مدينة واسط

(مدينة واسط)

وهى حبة الاقطار كثيرة البساتين والاشجار بها اعلام يهدى الخير شاھدھم وتهدى الاعتبار مشاھدھم وأهلها من خيار أهل العراق بل هم خيرهم على الاطلاق أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويحيدون تجويد القرآن بالصحة واليهم يأتى أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك وكان فى القافلة التى وصلنا فيها جماعة من الناس أتوا برسم تجويد القرآن على من بها من الشيوخ وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاث مائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون

لتعلم

لتعلم القرآن عندها الشيخ تقي الدين بن عبد المحسن الواسطي وهو من كبار أهلها وفقهائها
 ويعطى لكل متعلم بها كسوة في السنة ويجري له نفقته في كل يوم ويقعد هو وأخوانه وأصحابه
 لتعليم القرآن بالمدرسة وقد لقيته وأضافني وزودني تمرأودراهم ولما نزلنا مدينة واسط أقامت
 القافلة ثلاثاً بخارجها للتجارة فسنخ لي زيارة قبر الولي أبي العباس أحمد الرفاعي وهو بقرية
 تعرف بأبي عبيدة على مسيرة يوم من واسط فطلبت من الشيخ تقي الدين أن يبعث معي من
 يوصلني إليها فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد وهم قطان تلك الجهة وأرسلني فرسالة
 وخرجت ظهرافبت تلك الليلة بحوش بني أسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق وهو
 رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء وصدنا به قدوم الشيخ أحمد كوجك حفيد ولي الله أبي
 العباس الرفاعي الذي قصدنا زيارته وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم زيارة
 قبر جده واليه انتهت الشياخة بالرواق ولما انتقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدقوف
 وأخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدّموا السماط وهو خبز الأرز والسمك واللبن والتمر
 فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة وأخذوا في الذكر والشيخ أحمد قاعد على سجادة جده
 المذكور ثم أخذوا في السماع وقد أعدوا أجالا من الحطب فأججوها ناراً ودخلوا في وسطها
 يرقصون ومنهم من يتمرغ فيها ومنهم من يأكلها بقمه حتى أطفأوها جميعاً وهذا دأبهم وهذه
 الطائفة الاجدية مخصوصون بهذا وفيهم من يأخذ الحية العظيمة فيعش بأسنانه على رأسها
 حتى يقطعها

(حكاية)

كنت مررت بموضع يقال له أفغانبور من عمالة هزارأمر وهاويناها وبين دهلي حضرة الهند
 مسيرة خمس وقد نزلنا بها على نهر يعرف بنهر السرور وذلك في أوان الشكال والشكال عندهم
 هو المطر وينزل في ابان القيظ وكان السيل ينحدر في هذا النهر من جبال قراجيل فكل من
 يشرب منه من انسان أو بهيمة يموت لنزول المطر على الحشائش المسومة فأقننا على النهر أربعة
 أيام لا يقربه أحد ووصل إلى هناك جماعة من الفقراء في أعناقهم أطواق الحديد وفي أيديهم
 وكبيرهم زجل أسود حالك اللون وهم من الطائفة المعروفة بالحيدرية فباتوا عندنا ليلة وطلب
 مني كبيرهم أن آتية بالحطب ليوقدوه عند رقصهم فكلفت وإلى تلك الجهة وهو عزيز المعروف
 بالجار وسأني ذكره أن يأتي بالحطب فوجه منه نحو عشرة أجمال فأضر موافيه النار بعد
 صلاة العشاء الآخرة حتى صارت جراً وأخذوا في السماع ثم دخلوا في تلك النار فبالوا
 يرقصون ويتمرغون فيها وطلب مني كبيرهم قيصاً فأعطيته قيصاً في النهاية من الرقة فلبسه
 وجعل يتمرغ به في النار ويضربها بأكمامه حتى طفت تلك النار ونجحت وجاء إلى بالقيص

والنار لم تؤثر فيه شيئاً البتة فطال عجبى منه ولما حصلت لى زيارة الشيخ أبى العباس الرفاعى نفع الله به عدت الى مدينة واسط فوجدت الرفقة التى كنت فيها قد رحلت فلحقتهافى الطريق ونزلنا ماء يعرف بالهضيب ثم رحلنا ونزلنا بوادى الكراع وليس به ماء ثم رحلنا ونزلنا موضعاً يعرف بالمشيرب ثم رحلنا منه ونزلنا بالقرب من البصرة ثم رحلنا فدخلنا ضحوة النهار الى مدينة البصرة

* (مدينة البصرة) *

فزلنا بهار باط مالك بن دينار وكنت رأيت عند قدومى عليها على نحو ميلين منها بناء عالياً مثل الحصن فسألت عنه فقل لى هو مسجد على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت البصرة من اتساع الخطة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد فى وسطها وبينه الآن وبينها ميلان وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك فهو متوسط بينهما ومدينة البصرة احدى أمهات العراق الشهيرة الذكرفى الآفاق الفسيحة الارحاء المؤنقة الافناء ذات اللساتين الكثيرة والفواكه الاثيرة توفر قسمها من النضارة والخصب لما كانت مجمع البحرين الاجاج والعذب وليس فى الدنيا أكثر نخلا منها فى باع التمر فى سوقها بحساب أربعة عشرة رطلا عراقية بدرهم ودرهمهم ثلث النقرة ولقد بعث الى قاضيا حجة الدين بقوصرة تمر يجمعها الرجل على تكلف فأردت بيعها فبيعت بتسعة دراهم أخذها لجمال منها ثلثها عن أجرة حملها من المنزل الى السوق ويصنع بها من التمر غسل يسمى السيلان وهو طيب كأنه الجلاب والبصرة ثلاث محلات احدها محلة هذيل وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الاثير من الكرماء الفضلاء أضافنى وبعث الى بثياب ودرهم والمحلة الثانية محلة بنى حرام كبيرها السيد الشريف محمد الدين موسى الحسنى ذو مكارم وفواضل أضافنى وبعث الى التمر والسيلان والدرهم والمحلة الثالثة محلة العجم كبيرها جمال الدين ابن اللوكى واهل البصرة لهم مكارم اخلاق وايناس الغريب وقيام بحقه فلا يستوحش فيما بينهم غريب وهم يصلون الجمعة فى مسجد أمير المؤمنين على رضى الله عنه الذى ذكرته ثم يسد فلأياً تونه الا فى الجمعة وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحنه متناهى الانفساح مفروش بالحصباء الجراء التى يؤتى بها من وادى السباع وفيه المصحف الكريم الذى كان عثمان رضى الله عنه يقرأ فيه لما قتل وأثر تغيير الدم فى الورقة التى فيها قوله تعالى (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم)

* (حكاية اعتبار) *

شهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها لحن فيها لحننا كثير اجالياً فعجبت من أمره وذكرت ذلك للقاضى حجة الدين فقال لى ان هذا البلد لم يبق به

من يعرف شيئاً من علم النحو وهذه عبرة لمن تفكر فيها سبحانه مغير الأشياء ومقلب الأمور هذه البصرة التي إلى أهلها انتهت رياسة النحو وفيها أصله وفرعه ومن أهلها الماسه الذي لا ينكر سبقه لا يقيم خطيباً خطبة الجمعة على دونه عليها ولهذا المسجد سبع صوامع أحداها الصومعة التي تحرك بزعمهم عند ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعدت إليها من أعلى سطح المسجد ومعنى بعض أهل البصرة فوجدت في ركن من أركانها مقبض خشب مسمر فيها كأنه مقبض مماسة البناء فجعل الرجل الذي كان معي يده في ذلك المقبض وقال بحق رأس أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تحركي وهز المقبض فتحركت الصومعة فجعلت أنا يدي في المقبض وقلت له وأنا أقول بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحركي وهزرت المقبض فتحركت الصومعة فجمعوا من ذلك وأهل البصرة على مذهب السنة والجماعة ولا يخاف من يفعل مثل فعلهم ولو جرى مثل هذا مشهد على أو مشهد الحسين أو بالحلة أو بالبحرين أو قم أو قاشان أو ساوة أو آوة أو طوس لملك فاعله لأنهم رافضة غالية قال ابن جزى قد عاينت بمدينة برشانة من وادي المنصورة من بلاد الأندلس حاطها الله صومعة تهتر من غير أن يذكر لها أحد من الخلفاء أو سواهم وهي صومعة المسجد الأعظم بها وبنائها ليس بالقديم وهي كآحسن ما أنت رآء من الصوامع حسن منظر واعتدالاً وارتفاعاً لا ميل فيها ولا زيبغ صعدت إليها مرة ومعى جماعة من الناس فأخذ بعض من كان معى بجوانب جاورها وهزوها فاهتزت حتى أشربت إليهم أن يكفوا فكفوا عن هزها (رجع)

* (ذكر المشاهد المباركة بالبصرة) *

فمنها مشهد طلحة ابن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم وهو بداخل المدينة وعليه قبعة ومسجد وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً وحق له ومنها مشهد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته رضي الله عنهما وهو بخارج البصرة ولا قبعة عليه وله مسجد وزاوية فيها الطعام لبناء السبيل ومنها قبر حليلة السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة رضي الله عنها وإلى جانبها قبر ابنها رضي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها قبر أبي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قبعة وعلى ستة أميال منها بقرب وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لزيارته إلا في جمع كثير لا كثرة السباع وعدم العمران ومنها قبر الحسن ابن أبي الحسن البصري سيد التابعين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن سيرين رضي الله عنه ومنها قبر محمد بن واسع رضي الله عنه ومنها قبر عتبة الغلام رضي الله عنه ومنها قبر مالك بن دينار رضي الله عنه ومنها قبر حبيب العجمي رضي الله عنه ومنها قبر سهل بن عبد الله التستري

رضي الله عنه وعلى كل قبر منها قبرة مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاته وذلك كله داخل
 السور القديم وهي اليوم بينها وبين البلد نحو ثلاثة أميال وبها سوى ذلك قبور الجمل الغفير
 من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل وكان أمير البصرة حين ورودى عليها يسمى
 بركن الدين العجى التوريرى أضافنى فأحسن الى والبصرة على ساحل الفرات والدجلة وبها
 المد والجزر كمثل ما هو بوادى سلامن بلاد المغرب وسواها والخليج المالح الخارج من بحر فارس
 على عشرة أميال منها فاذا كان المد غلب الماء المالح على العذب واذا كان الجزر غلب
 الماء الحلو على المالح فيستسقى أهل البصرة الماء لدورهم ولذلك يقال ان ماءهم زعاق قال
 ابن جزى وبسبب ذلك كان هواء البصرة غير جيد وألوان أهلها مصفرة كاسفة حتى ضرب
 بهم المثل وقال بعض الشعراء وقد أحضرت بين يدي الصاحب اترجة (سريع)

لله اترج غدا بيننا * معبرا عن حال ذى عبه
 لما كسى الله ثياب الضنا * أهل الهوى وساكنى البصرة

(رجع) ثم ركبت من ساحل البصرة فى صنبوق وهو القارب الصغير الى الابله وبينها وبين
 البصرة عشرة أميال فى بساتين متصله ونخيل مظلة عن اليمين واليسار والباعة فى
 ظلال الاشجار يبيعون الخبز والسمك والتمر واللبن والفواكه وفيما بين البصرة والابله
 متعب سهل بن عبد الله التستري فاذا حازاه الناس بالسفن تراهم يشربون الماء مما يحاذيه
 من الوادى ويدعون عند ذلك تبركاً بهذا الولي رضى الله عنه والنواقيع يحرقون فى هذا البلاد
 وهم قيام وكانت الابله مدينة عظيمة يقصد هاتجار الهند وفارس فخربت وهى الآن قرية
 بها آثار قصور وغيرها دالة على عظمها ثم ركبنا فى الخليج الخارج من بحر فارس فى
 مركب صغير لرجل من أهل الابله يسمى بنعاس وذلك فيما بعد المغرب فصبحنا بعبادان
 وهى قرية كبيرة فى سبخة لا عمارة بها وفيها مساجد كثيرة ومتعبدات ورياطات للصالحين
 وبينها وبين الساحل ثلاثة أميال قال ابن جزى عبادان كانت بلداً فيما تقدم وهى مجذبة
 لا زرع بها وانما يجلب اليها والماء أيضاً قليل وقد قال فيها بعض الشعراء (سريع)

من مبلغا اندلسا اننى * حلت عبادان أقصى الثرا
 اوحش ما أبصرت لكننى * قصدت فيها ذكراً فى الورى
 الخـبـز فيها تهادونه * وشربة الماء بها تشترى

(رجع) وعلى ساحل البحر منها رابطة تعرف بالنسبة الى الخضر والياس عليهما السلام
 وبازائها زاوية يسكنها أربعة من الفقراء بأولادهم يخدمون الرابطة والزاوية ويتعيشون من
 قنوجات الناس وكل من يمر بهم يتصدق عليهم وذكر لى أهل هذه الزاوية ان بعبادان

عابدا

عابدا كبيرا القدر ولا أنيس له يأتي هذا البحر مرة في الشهر فريضه لما دافيه ما يقوته شهر ثم لا يرى الا بعد تمام شهر وهو على ذلك منذ أعوام فلما وصلنا عبادان لم يكن لي شأن الا طلبه فاشتغل من كان معي بالصلاة في المساجد والمعابدات وانطلقت طالبه اليه فجئت مسجدا خربا فوجدته يصلي فيه فجلست الى جانبه فأوجزني صلاته ولما سلم أخذ بيدي وقال لي بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة فقد بلغت بحمد الله مرادك في الدنيا وهو السعي في الارض وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما اعلمه وبقية الاخرى والرجاء قوى في رحمة الله وتجاوزه وبلوغ المراد من دخول الجنة ولما أنيت أصحابي أخبرتهم خبر الرجل وأعلمتهم بموضعه فذهبوا اليه فلم يجدوه ولا وقعوا له على خبر ففجع بهم وأمن شأنه وعدنا بالعشي الى الزاوية فبتنا بها ودخل علينا أحد الفقراء الاربعة بعد صلاة العشاء الآخرة ومن عادة ذلك الغنى أن يأتي عبادان كل ليلة فيسرج السرج بمساجدها ثم يعود الى زاويته فلما وصل الى عبادان وجد الرجل العابد فأعطاه سمكة طرية وقال له اوصل هذه الى الضيف الذي قدم اليوم فقال لنا الفقير عند دخوله علينا من رأى منكم الشيخ اليوم فقلت له أنا رأيتك فقال يقول لك هذه ضيافتك فشكرت الله على ذلك وطبخ لنا الفقير تلك السمكة فأكلنا منها أجمعين وما أكلت قط سمكا أطيب منها وهجس في خاطري الاقامة ببقية العمر في خدمة ذلك الشيخ ثم صرفتني النفس للرجوع عن ذلك ثم ركبنا البحر عند الصبح بقصد بلدة ماجول ومن عادتي في سفرى أن لا أعود على طريق سلكتها ما أمكنني ذلك وكنت أحب قصد بغداد العراق فأشار على بعض أهل البصرة بالسفر الى أرض اللور ثم الى عراق العجم ثم الى عراق العرب فعملت بمقتضى اشارته ووصلنا بعد أربعة أيام الى بلدة ماجول على وزن فاعول وجميعها معقودة وهي صغيرة على ساحل هذا الخليج الذي ذكرنا انه يخرج من بحر فارس وأرضها سبخة لا شجر فيها ولا نبات ولها سوق عظيمة من أكرال اسواق وأقت بها يوما واحدا ثم اكثريت ذابقر كوبي من الذين يجلبون الحبوب من رامن الى ماجول وسرنا ثلاثا في صحراء يسكنها الاكراد في بيوت الشعر ويقال ان أصلهم من العرب ثم وصلنا الى مدينة رامن وأول حروفها (راء و آخرها زاي) وميمها مكسورة) وهي مدينة حسنة ذات فواكه وأنهار ووزناتها عند التماضي حسام الدين محمود ولقيت عنده رجلا من أهل العلم والدين والورع هندی الاصل يدعى بهاء الدين ويسمى اسماعيل وهو من أولاد الشيخ بهاء الدين أبي زكرياء الملتاني وقرأ على مشايخ نوربز وغيرها وأقت بمدينة رامن ليلة واحدة ثم رحلنا منها ثلاثا في بسيط فيه قرى يسكنها الاكراد وفي كل مرحلة منها زاوية فيها للوارد الخبز واللحم والحلواء وحلوا وهم من رب العنب مخلوط بالدقيق والسمن وفي كل زاوية الشيخ والامام والمؤذن والخادم للفقراء والعبيد والخدم يطبخون الطعام ثم وصلت الى مدينة

تستروهي آخر البسيط من بلاد تاباتك وأول الجبال مدينة كبيرة راقعة نقيرة وبها البساتين الشريفة والرياض المنيفة ولها المحاسن البارعة والاسواق الجامعة وهي قديمة البناء افتتحها خالد بن الوليد ووالى هذه المدينة ينسب سهل بن عبد الله ويحيط بها النهر المعروف بالازرق وهو عجيب في نهاية من الصفا شديد البرودة في أيام الحر ولم أركز رفته الا نهر بلخشان ولها باب واحد للمسافرين يسمى دروازة سبول والدروازة عندهم الباب ولها أبواب غيره شارعة الى النهر وعلى جانبي النهر البساتين والدواليب والنهر عميق وعلى باب المسافرين منه جسر على القوارب جسر بغداد والحلة قال ابن جزي وفي هذا النهر يقول بعضهم (كامل)

انظرا شاذروان تستروا عجب * من جمعه ماء لرى بلاده

كليك قوم جمعت أمواله * فغدا يفرقها على أجناده

والفراكة تستر كثيرة والخيرات متيسرة غزيرة ولا مثل لاسواقها في الحسن وبخارجها تربة معظمة يقصدها أهل تلك الاقطار للزيارة وينذرون لها النذور ولها زاوية بها جماعة من الفقراء وهم يزعمون انها تربة زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان نزول من مدينة تستر في مدرسة الشيخ الامام الصالح المتفنن شرف الدين موسى بن الشيخ الصالح الامام العالم صدر الدين سليمان وهو من ذرية سهل بن عبد الله وهذا الشيخ ذو مكارم وفضائل جامع بين العلم والدين والصلاح والايثار وله مدرسة وزاوية وخدامها قتيان له أربعة سبيل وكافور وجوهر وسرور أحدهم موكل بأوقاف الزاوية والثاني متصرف فيما يحتاج اليه من النفقات في كل يوم والثالث خديم السباط بين أيدي الواردين ومرتب بالطعام لهم والرابع موكل بالطباخين والسمائين والفراشين فأقت عنده ستة عشر يوما فلم أر أعجب من ترتيبه ولا أرغد من طعامه يقدم بين يدي الرجل ما يكفي الاربعة من طعام الارز المفلغل المطبوخ في السمن والدجاج المقلى والخبز واللحم والحساء وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة وأقومهم سيرة وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدى كل واعظ رأيت قبله بالجواز الشام ومصر ولم ألق فيمن لقيتهم مثله حضرت يوما عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبرائها وأتى الفقراء من كل ناحية فأطعم الجميع ثم صلى بهم صلاة الظهر وقام خطيبا وواعظا بعد أن قرأ القراء امامه بالآيتين المبكية والنعمات المحركة للمهيجة وخطب خطبة بسكون ووقار وتصرف في فنون العلم من تفسير كتاب الله وإيراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية ومن عادة الاعاجم أن يكتبوا المسائل في رقاع ويرمونها الى الواعظ فيجب عنها فلما رمى اليه بتلك الرقاع جمعها في يده وأخذ يجيب عنها واحدة بعد

واحدة بأبدع جواب وأحسنه وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا وكان مجلسه مجلس علم ووعظ وبركة وتبادر التائبون فأخذ عليهم العهد وجزوا صيهم وكانوا خمسة عشر رجلا من الطلبة قدموا من البصرة برسم ذلك وعشرة رجال من عوام تستر
 (حكايه)

لما دخلت هذه المدينة أصابني مرض الحصى وهذه البلاد يحمد داخلها في زمان الحر كما يعرض في دمشق وسواها من البلاد الكثيرة المياه والفواكه وأصابني الحصى أصحابي أيضا فأت منهم شيخ اسمه يحيى الخراساني وقام الشيخ بتجهيزه من كل ما يحتاج اليه الميت وصلى عليه وتركته بها صاحباني يدغي بها الدين الختني فأت بعد سفرى وكنت حين مرضى لأشتهي الاطعمة التي تصنع لي بمدرسته فذكر لي الفقيه شمس الدين السندي من طلبتها طعاما فاشتريته ودفعت له دراهم وطبخ لي ذلك الطعام بالسوق وأتى به الى فاكنت منه وبلغ ذلك الشيخ فشق عليه وأتى الى وقال لي كيف تفعل هذا وتطبخ الطعام في السوق وهل لأمرت الخدام أن يصنعوا لك ما تشتهي ثم أحضر جميعهم وقال لهم جميع ما يطلبه منكم من أنواع الطعام والسكر وغير ذلك فأتوا اليه به واطبخوا له ما يشاءوه وأكده عليهم في ذلك أشد التأكد جزاه الله خيرا ثم سافرنا من مدينة تستر ثلاثا في جبال شامخة وبكل منزل زاوية كما تقدم ذكر ذلك ووصلنا الى مدينة ايدج (وضبط اسمها بكسر الهمزة وياء مدو ذال معجم مفتوح وجيم) وتسمى أيضا مال الامير وهي حضرة السلطان أتابك وعند وصولي اليها اجتمعت بشيخ شيخوخها العالم الوارع نور الدين الكرمانى وله النظار في جميع الزوايا وهم يسمونها المدرسة والسلطان يعظمه ويقصد زيارته وكذلك أرباب الدولة وكبراء الحضرة يزورونه غدوا وعشيا فأكرمني وأضافني وأنزاني براويدة تعرف باسم الدينورى وأقمت بها أياما وكان وصولي في أيام القفيظ وكنا نصلى صلاة الليل ثم ننام بأعلى سطحها ثم تنزل الى الزاوية ضخوة وكان في ضجتي اثنا عشر فقيرا منهم امام وقارئان مجيدان وخادم ونحن على أحسن ترتيب
 (ذكر ملك ايدج وتستر)

وملك ايدج في عهد دخولي اليها السلطان أتابك افراسياب ابن السلطان أتابك أجدو أتابك عندهم سمة لكل من يلى هذه البلاد من ملك وتسمى هذه البلاد بلاد اللور وولى هذا السلطان بعد أخيه أتابك يوسف وولى يوسف بعد أبيه أتابك أجدو وكان أجدو ملكا صالحا سمعت من الثقات ببلادانه عرار بعجائة وستين زاوية ببلاده منها حضرة ايدج أربع وأربعون وقسم خراج بلاد اثلثا فالثلث منه لنفقة الزوايا والمدارس والثالث منه لرتب العساكر والثالث لنفقته ونفقة عياله وعبيده وخدماه ويبحث منه هدية للملك العراقى في كل سنة ووربما وفد

عليه بنفسه وشاهدت من آثاره الصالحة ببلاده أن أكثرها في جبال شامخة وقد نحتت الطرق في الصخور والخجارة وسويت ووسعت بحيث تصعد هذا الدواب بأحمالها وطول هذه الجبال مسيرة سبعة عشر في عرض عشرة وهي شاهقة متصل بعضها ببعض تشققها الأنهار وشجرها البلوط وهم يصنعون من دقيقه الخبز وفي كل منزل من منازلها زاوية يسمونها المدرسة فاذا وصل المسافر إلى مدرسة منها أوتي بما يكفيه من الطعام والعلف لدابته سواء طلب ذلك أو لم يطلبه فان عادتهم أن يأتي خادم المدرسة فيعدهم من نزلهم من الناس ويعطي كل واحد منهم قرصين من الخبز ولحماء حلواء وكل ذلك من أوقاف السلطان عليهم أو كان السلطان أتابك أحمد زاهدا صالحا كما ذكرناه يلبس تحت ثيابه مما يلي جسده ثوب شعر

* (حكاية) *

قدم السلطان أتابك أحمد مدرسة على ملك العراق أبي سعيد فقال له بعض خواصه إن أتابك يدخل عليك وعليه الدرع وخنجر ثوب الشعر الذي تحت ثيابه درعاً فامرهم باختبار ذلك على جهة من الانبساط ليعرف حقيقته فدخل عليه يوماً فقام إليه الأمير الجوبان عظيم امرأه العراق والأمير سويته أمير ديار بكر والشيخ حسن الذي هو الآن سلطان العراق وامسكوا بثيابه كأنهم يمازحونه ويضاكونه فوجدوا تحت ثيابه ثوب الشعر وراه السلطان أبو سعيد وقام إليه وعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال له سن أطا ومعناه بالتركية أنت أبي وعوضه عن هديته بأضعافها وكتب له اليرليغ وهو الظهير الأيمن بهدية بعددها هو ولا أولاده وفي تلك السنة توفي وولي ابنه أتابك يوسف عشرة أعوام ثم ولي أخوه أفراسياب ولما دخلت مدينة أيدج أردت رؤية السلطان أفراسياب المذكور فلم يتأت لي ذلك بسبب أنه لا يخرج اليوم الجمعة لادمانه على الخمر وكان له ابن هو ولي عهده وليس له سواه فرض في تلك الأيام ولما كان في إحدى الليالي أنا في أحد خدامه وسألني عن حاله فعرفته وذهب عني ثم جاء بعد صلاة المغرب ومعه طيفوران كبيران أحدهما بالطعام والآخر بالفاكهة وخريطة فيهما دراهم ومعه أهل السماع بالآتم فقال اعملوا السماع حتى يرحل الفقراء ويدعون لابن السلطان فقلت له إن أصحابي لا يدرون بالسماع ولا بالرقص ودعونا للسلطان ولولده وقسمت الدراهم على الفقراء ولما كان نصف الليل سمعنا الصراخ والنواح وقد مات المريض المذكور ولما كان من الغد دخل على شيخ الزاوية وأهل البلد وقالوا إن كبراء المدينة من القضاة والفقهاء والاشراف والأمراء قد ذهبوا إلى دار السلطان للعزاء فينبغي لك أن تذهب في جملتهم فأبيت عن ذلك فعزوه وأعلى فلم يكن لي بد من المسير فسمرت معهم فوجدت مشوردار السلطان ممثلاً رجلاً وصيباً زامناً المال بك وأبناء المملوك والوزراء والجناد وقد لبسوا التلايس وجلال

الدواب وجعلوا فوق رؤسهم التراب والتبن وبعضهم قد جزأصيته وانقسموا فرقتين فرقة بأعلى المشور وفرقة بأسفله وترحف كل فرقة الى جهة الاخرى وهم ضاربون بأيديهم على صدورهم قائلون خوند كارما ومعناه مولاي أنا (مولانا) فرأيت من ذلك أمرا هائلا ومنظرا فظيعا لم أعهد مثله

(حكاية)

ومن غريب ما اتفق لي يومئذ اني دخلت فرأيت القضاة والخطباء والشرفاء قد استبدوا الى حيطان المشور وهو غاص بهم من جميع جهاته وهم بين بالك ومتباك ومطرق وقد لبسوا فوق ثيابهم ثيابا خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها الى أعلى ووجوهها محمايلي أجسادهم وعلى رأس كل واحد منهم قطعة خرقه أو منترأ سودوه كما يكون فعلهم الى تمام أربعين يوما وهي نهاية الخزن عندهم وبعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة فلما رأيت جهات المشور غاصه بالناس نظرت يمينا وشمالا أرتاد موضع الجاسوسي فرأيت هنالك سقيفة مرفوعة عن الارض بمقدار شبر وفي احدى زواياها رجل منفرد عن الناس قاعد عليه ثوب صوف شبه اللبديلبسه بتلك البلاد ضعفاء الناس أيام المطر والثلج وفي الاسفار فتقدمت الى حيث الرجل وانقطع عني أصحابي لما رأوا أقدامي نحوه وعجبوا مني وأنا لا أعلم عندي بشئ من حاله فصعدت السقيفة وسلمت على الرجل فرد علي السلام وارتفع عن الارض كأنه يريد القيام وهم يسمعون ذلك نصف القيام وقعدت في الركن المقابل له ثم نظرت الى الناس وقد رموني بأبصارهم جميعا فنجبت منهم ورأيت الفقهاء والمشايخ والاشراف مستندين الى الحائط تحت السقيفة وأشار الى أحد القضاة ان أنخط الى جانبه فلم أفعل وحينئذ استشعرت انه السلطان فلما كان بعد ساعة أتى شيخ المشايخ نور الدين الكرمانى الذى ذكرناه قبل فصعد الى السقيفة وسلم على الرجل فقام اليه وجلس فيمابيني وبينه حينئذ علمت ان الرجل هو السلطان ثم جىء بالجنابة وهي بين أشجار الاترج والليمون والنارج وقدملثوا أغصانها بثمارها والأشجار بأيدي الرجال فكان الجنابة تمشى في بستان والمشاغل في رماح طوال بين يديها والسمع كذلك فصلى عليها وذهب الناس معها الى مدفن المولود وهو بموضع يقال له هلافيحان على أربعة أميال من المدينة وهنالك مدرسة عظيمة يشقها النهر وبدخلها مسجد تقام فيه الجمعة وبخارجها حمام ويحف بها بستان عظيم وبها الطعام للوارد وللصادر ولم أستطع ان أذهب معهم الى مدفن الجنابة لبعثت الى المدرسة فلما كان بعد أيام بعث الى السلطان رسوله الذى أنا في بالاضيقاة أولا يدعوني اليه فذهبت معه الى باب يعرف بباب السر ووصعدني في درج كثيرة الى ان انتهيت الى موضع لا فرش به لاجل ما هم فيه

من الحزن والسلطان جالس فوق مخدة وبين يديه آيتان قد غطيتا احدهما من الذهب والآخرى من الفضة وكنت بالجلس سجادة خضراء ففرشت لي بالقرب منه وقعدت عليها وليس بالجلس الاحاجبه الفقيه محمود ونديمه لا أعرف اسمه فسألني عن حالي وبلادي وسألني عن الملك الناصر وبلاد الخجاز فأجبته عن ذلك ثم جاء فقيه كبير هور رئيس فقهاء تلك البلاد فقال لي السلطان هذا مولانا فضيل والفقيه ببلاد الا عا جم كلها انما يخاطب بمولانا وبذلك يدعوا السلطان وسواء ثم أخذني الثناء على الفقيه المذكور وظهر لي ان السكر غالب عليه وكنت قد عرفت ادمانه على الخمر ثم قال لي باللسان العربي وكان يحسنه تكلم فقلت له ان كنت تسمع مني أقول لك أنت من أولاد السلطان أتأبئك أجد المشهور بالصالح والزهد وليس فيك ما يقدح في سلطنتك غير هذا وأشارت الى الآيتين فجل من كلامي وسكت وأردت الانصراف فأمرني بالجلوس وقال لي الاجتماع مع امثالك رجة ثم رأيته يتمايل ويريد النوم فأنصرفت وكنت تركت نعلي بالباب فلم أجده فتنزل الفقيه محمود في طلبه وسعد الفقيه فضيل يطلبه في داخل المجلس فوجده في طاق هنالك فأتى اليه فأخجلني بره واعتذرت اليه فقبل نعلي حينئذ ووضع نعلي على رأسه وقال لي بارك الله فيك هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر أحد أن يقول له غيرك والله اني لارجو أن يؤثر ذلك فيه ثم كان رحيلي من حضرة ايدج بعد أيام فنزلت بمدرسة السلاطين التي بها قبورهم وأقيمت بها أياما وبعث الى السلطان بجملة دنائير وبعث بمثل الاصحاب وسافرنا في بلاد هذا السلطان عشرة أيام في جبال شاهجه وفي كل ليلة نزل بمدرسة فيها الطعام فنهاما هو في العمارة ومنها مالا عمارة حوله ولكن يجلب اليها جميع ما تحتاج اليه وفي اليوم العاشر نزلنا بمدرسة تعرف بمدرسة كرىو الرخ وهي آخر بلاد هذا الملك وسافرنا منها في بسيط من الارض كثير المياه من عمالة مدينة اصفهان ثم وصلنا الى بلدة أشرت كان (وضبط اسمها بضم الهمزة واسكان الشين المعجم وضم التاء المعلو) واسكان الراء وآخره نون) وهي بلدة حسنة كثيرة المياه والبساتين ولها مسجد بديع يشقه النهر ثم رحلنا منها الى مدينة فيروزان واسمها كانه تسمية فيروز وهي مدينة صغيرة ذات أنهار وأشجار وبساتين وصلنا بها بعد صلاة العصر فرأينا أهلها قد خرجوا للتشيع جنازة وقدوا خلفها وامامها المشاعل واتبعوها بالمرامير والمغنين بأنواع الاغانى المطربة فنجبتنا من شأنهم وبتنا بهاليلة ومررنا بالغد بقرية يقال لها نبلان وهي كبيرة على نهر عظيم والى جانبه مسجد في النهاية من الحسن يصعد اليه في رجب وتحفه البساتين وسرنا يومنا فيما بين البساتين والمياه والقرى الحسان والكثيرة ابراج الحمام وصلنا بعد العصر الى مدينة اصفهان من عراق الجعم (واسمها يقال بالغاء الخالصة ويقال بالغاء المعقودة المنحمة) ومدينة اصفهان من كبار

المدن وحسانها إلا أن قد خرب أكثرها بسبب الفتنة التي بها بين أهل السنة والروافض وهي متصلة بينهم حتى الآن فلا يزالون في قتال وبها الفواكه الكثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير له يسمونه بقر الدين وهم يبيعونه ويدخرونه ونوايه تكسر عن لوز حلو ومنها السفرجل الذي لا مثل له في طيب المَطعم وعظم الجرم والاعناب الطيبة والبطيخ العجيب الشأن الذي ليس في الدنيا مثله إلا ما كان من بطيخ بخاري وخوارزم وقشره أخضر وداخله أحمر ويدخر كما تدخر الشريجة بالمغرب وله حلاوة شديدة ومن لم يكن ألف أكله فانه في أول أمره يسهله وكذلك اتفق لي لما أكلته باصفهان وأهل اصفهان حسان الصور وألوانهم بيض زاهرة مشوبة بالحررة والغالب عليهم الشجاعة والنجدة وفيهم كرم وتنافس عظيم فيما بينهم في الاطعمة تؤثر عندهم فيه أخبار غريبة وربما دعى أحدهم صاحبه فيقول له اذهب معي لتأكل نان وماس والنان بلسانهم الخبز والماس اللبن فاذا ذهب معه أطعمه أنواع الطعام العجيب مباهاياه بذلك وأهل كل صناعته يقدمون على أنفسهم كسيرامنهم يسمونه الكلو وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات وتكون الجماعة من الشبان الاعراب وتفاخر تلك الجماعات ويضيف بعضهم بعضا مظهرين لما قدروا عليه من الامكان مختلفين في الاطعمة وسواها الاحتفال العظيم ولقد ذكر لي ان طائفة منهم أضافت طائفة أخرى فطبخوا طعامهم بنار الشع ثم أضافتها الأخرى فطبخوا طعامهم بالحرير وكان نزول باصفهان في زاوية تنسب للشيخ علي بن سهل تلميذ الجنيد وهي معظمة يقصدها أهل تلك الآفاق ويتبركون بزيارتها وفيها الطعام للوارد والصادر وبها جام عجيب مفروش بالرخام وحيطانه بالتماشاني وهو موقوف في السبيل لا يلزم أحد في دخوله شيء وشيخ هذه الزاوية الصالح العابد الورع قطب الدين حسين بن الشيخ الصالح ولي الله شمس الدين محمد بن محمود بن علي المعروف بالرجاء وأخوه العالم المفتي شهاب الدين أحمد أقت عند الشيخ قطب الدين بهذه الزاوية أربعة عشر يوما فرأيت من اجتهاده في العبادة وحبسه في الفقراء والمساكين رتواضه لهم ما قضيت منه العجب وبالغ في اكرامهم وأحسن ضيافتي وكساني كسوة حسنة وساعة وصولي الزاوية بعث الى بالطعام وبثلاث يطبخات من البطيخ الذي وصفناه آنفا ولم أكن رأيت قبل ولا أكلته

(كرامة لهذا الشيخ)*

دخل على يوما بموضع نزولي من الزاوية وكان ذلك الموضع يشرف على بستان للشيخ وكانت ثباته قد غمست في ذلك اليوم ونشرت في البستان ورأيت في جلته ساجبة بيضاء مبطنة تدعى عندهم هزرميخي فأعجبته وقلت في نفسي مثل هذه كنت أريد فلما دخل على الشيخ نظر في ناحية البستان وقال لبعض خدامه ائتني بذلك الثوب الهزرميخي فأتوا به فكساني اياه

فأهويت الى قدميه أقبلها وطلبت منه أن يلبسني طاقية من رأسه ويجيزني في ذلك بما أجاز والدده عن شيوخه فألبسني أياها في الرابع عشر لجمادى الاخرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة براويته المذكورة كالمبس من والده شمس الدين ولبس والده من أبيه تاج الدين محمود ولبس محمود من أبيه شهاب الدين على الرجا ولبس على من الامام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ولبس عمر من الشيخ الكبير ضياء الدين أبي النجيب السهروردي ولبس أبو النجيب من عمه الامام وحيد الدين عمر ولبس عمر من والده محمد بن عبد الله المعروف بعمويه ولبس محمد من الشيخ أخى فرج الزنجاني ولبس أخو فرج من الشيخ أحمد الدينوري ولبس أحمد من الامام ممشاد الدينوري ولبس ممشاد من الشيخ المحقق على بن سهل الصوفي ولبس على من أبي القاسم الجنيد ولبس الجنيد من سري السقطي ولبس سري السقطي من داود الطائي ولبس داود من الحسن بن أبي الحسن البصري ولبس الحسن بن أبي الحسن البصري من أمير المؤمنين على بن أبي طالب قال ابن جزى هكذا أورد الشيخ أبو عبد الله هذا السند والمعروف فيه ان سري السقطي صحب معروفا الكرخي وصحب معروفا داود الطائي وكذلك داود الطائي بينه وبين الحسن بن حبيب العجمي وأخو فرج الزنجاني انما المعروف انه صحب أبا العباس النهاوندي وصحب النهاوندي أبا عبد الله بن خفيف وصحب ابن خفيف أبا محمد رويما وصحب رويما أبا القاسم الجنيد وأما محمد بن عبد الله عمويه فهو الذي صحب الشيخ أحمد الدينوري الاسود وليس بينهما أحد والله أعلم والذي صحب أخو فرج الزنجاني هو عبد الله بن محمد بن عبد الله والد أبي النجيب (رجع) ثم سافرنا من اصفهان بقصد زيارة الشيخ محمد الدين بشيراز وبينهما مسيرة عشرة ايام فوصلنا الى بلدة كليل (وضبطها بفتح الكاف وكسر الملام وياء مت) وبينها وبين اصفهان مسيرة ثلاث وهي بلدة صغيرة ذات أنهار وبساتين وقوا كه رأيت التفاح يباع في سوقها خمسة عشر رطلا عراقية بدرهم ودرهم ثلث النقرة ونزلنا منها براوية عمرها كبير هذه البلدة المعروف بخواجه كافي وله مال عريض قد أعانه الله على انفاقه في سبيل الخيرات من الصدقة وعمارة الزوايا واطعام الطعام لابناء السبيل ثم سرننا من كليل يومين ووصلنا الى قرية كبيرة تعرف بصوماء وبها زاوية فيها الطعام للوارد والبصائر عمرها خواجه كافي المذكور ثم سرننا منها الى يزد خاص (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان الزاي وضم البدال المهمل وخاء معجم وألف وصادم هل) بلدة صغيرة متقنة العمارة حسنة السوق والمسجد الجامع بها عجيب مبنى بالججارة مسقف بها والبلدة على ضفة خندق فيه بساتينها ومياها وبخار جهار باط ينزل به المسافرين عليه باب حديد وهو في النهاية من الحصانة والمنعة وبداخله حوانيت يباع فيها

كل ما يحتاجه المسافرون وهذا الرباط عمره الامير محمد شاه ينجو والذالسلطان أبى اسحاق ملك شيراز وفي يزد خاص يصنع الجبن اليزدخاصى ولا نظير له فى طبيبه ووزن الجبنه منه من أوقيتين الى أربع ثم سرنامنها على طريق دشت الروم وهى صحراء يسكنها الاترك ثم سافرنالى ماين (واسمها يائين دس فولتين أو لاهام كسورة) وهى بلدة صغيرة كثيرة الانهار والبساتين حسنة الاسواق وأكثر أشجارها الجوز ثم سافرنامنها الى مدينة شيراز وهى مدينة أصلية البناء فسيحة الارعاء شهيرة الذكر منيفة القدر لها البساتين المؤنقة والانهار المتدفقة والاسواق البديعة والشوارع الرفيعة وهى كثيرة العمارة متقنة المباني بحبيبة الترتيب وأهل كل صناعة فى سوقها لا يخالطهم غيرهم وأهلها احسان الصورة نظاف الملابس وليس فى المشرق بلدة تدانى مدينة دمشق فى حسن أسواقها وبساتينها وأنهارها وحسن صور ساكنيها الاشيراز وهى فى بسيط من الارض تحف بها البساتين من جميع الجهات وتشققها خمسة انهار احدها النهر المعروف بركن آباد وهو عذب الماء شديد البرودة فى الصيف سخن فى الشتاء فينبعث من عين فى سفح جبل هنالك يسمى القليعة ومسجدها الاعظم يسمى بالمسجد العتيق وهو من أكبر المساجد ساحة وأحسنها بناء وصحنه متسع مفروش بالمرمر ويغسل فى أوان الحرك ليلة ويجمع فيه كبار أهل المدينة كل عشية ويصلون به المغرب والعشاء وبشماله باب يعرف بباب حسن يفضى الى سوق الفاكه وهى من أبدع الاسواق وأنا أقول بتفضيلها على سوق باب البريد من دمشق وأهل شيراز أهل صلاح ودين وعفاف وخصوصا نساؤها وهن يلبسن الخفاف ويخرجن متلحفات متبرقات فلا يظهر منهن شئ ولهن الصدقات والايشار ومن غريب طمن انهن يجتمعن لسماع الواعظ فى كل يوم اثنين وخميس وجعة بالجامع الاعظم فرمما اجتمع منهن الالف والالفان بأيديهن المراوح يروحن بها على أنفسهن من شدة الحر ولم أرا اجتماع النساء فى مثل عدد من فى بلدة من البلاد وعند دخولى الى مدينة شيراز لم يكن لى هم الا قصد الشيخ القاضى الامام قطب الاولياء فريد الدهردى الكرامات الظاهرة محمد الدين اسماعيل بن محمد بن خداداد ومعنى خداداد عطية الله فوصلت الى المدرسة المجدية المنسوبة اليه وبها سكناء وهى من عمارته فدخلت اليه رابع أربعة من أصحابى ووجدت الفقهاء وكبار أهل المدينة فى انتظاره فخرج الى صلاة العصر ومعه محب الدين وعلاء الدين أبناء أخيه شقيقه روح الدين أحدهما عن يمينه والاخر عن شماله وهما نائباه فى القضاء لضعف بصره وكبر سنه فسلمت عليه وعانقنى وأخذني يدى الى أن وصل الى مصلاه فأرسل يدي وأومأ الى أن أصلى الى جانبه ففعلت وصلى صلاة العصر ثم قرئ بين يديه من كتاب المصابيح وشوارق الانوار للصاغانى وطالعا نائبا بما جرى لديهم

من القضايا وتقدم كبار المدينة للسلام عليه وكذلك عادتهم معه صباحا ومساء ثم سألتني عن حالى وكيفية قدومي وسألتني عن المغرب ومصر والشام والحجاز فأخبرته بذلك وأمر خدامه فأنزلوني بدورة صغيرة بالمدرسة وفي غد ذلك اليوم وصل اليه رسول ملك العراق السلطان أبي سعيد وهو ناصر الدين الدرقي من كبار الامراء خراساني الاصل فعند وصوله اليه نزع شاشيته عن رأسه وهم يسمونها الكلا وقبل رجل القاضي وقعد بين يديه ممسكا اذن نفسه بيده وهكذا فعل امراء التتر عند ملوكهم وكان هذا الامر قد قدم في نحو خمسة مائة فارس من مماليكه وخدامه وأصحابه ونزل خارج المدينة ودخل الى القاضي في خمسة نفر ودخل مجلسه وحده منفردا تأدبا

(حكاية هي السبب في تعظيم هذا الشيخ وهي من الكرامات الباهرة)

كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الامامية يسمى جمال الدين بن مطهر فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت باسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرر لديه ان أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله وان عليا ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة ومثل له ذلك بما هو مألوف عنده من ان الملك الذي بيده انما هو ارث عن اجداده وأقاربه مع حدثان عهد السلطان بالكفر وعدم معرفته بقواعد الدين فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض وكتب بذلك الى العراقيين وفارس واذربيجان واصفهان وكرمان وخراسان وبعث الرسل الى البلاد فكان أول بلاد وصل اليها ذلك بغداد وشيراز واصفهان فأما أهل بغداد فامتنع أهل باب الأزج منهم وهم أهل السنة وأكثرهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل وقالوا لا سمع ولا طاعة وأنوا المسجد الجامع يوم الجمعة في السلاح وبه رسول السلطان فلما صعد الخطيب المنبر قاموا اليه وهم نحو ثمانين ألفا في سلاحهم وهم جماعة بغداد والمشار اليهم فيها لحافوا له انه ان غير الخطبة المعتادة أو زاد فيها أو نقص منها فاتهم قاتلوه وقتلوا رسول الملك ومستسلمون بعد ذلك لما شاء الله وكان السلطان أمر بأن تسقط أسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر الاسم على ومن تبعه كعمار رضي الله عنهم فخاف الخطيب من القتل وخطب الخطبة المعتادة وفعل أهل شيراز واصفهان كفعل أهل بغداد فرجعت الرسل الى الملك فأخبروه بما جرى في ذلك فأمر أن يؤتى بقضاة المدن الثلاث فكان أول من أوتي به منهم القاضي محمد الدين قاضي شيراز والسلطان اذنا في موضع يعرف بقراباغ وهو موضع مصيفه فلما وصل القاضي أمر أن يرمى به الى الكلاب التي عنده وهي كلاب ضخام في أعناقها السلاسل معدة لا كل بني آدم فاذا أوتي بمن يسلط عليه الكلاب جعل في رحبة كبيرة مطلقا

غير مقيد ثم بعثت تلك الكلاب عليه فيفرامها ولا مفزله فتدركه فتمزقه وتأكل لحمه فلما أرسلت الكلاب على القاضي مجد الدين ووصلت اليه بصبست اليه وحركت اذناها بين يديه ولم تهجم عليه بشئ فبلغ ذلك السلطان فخرج من داره حافى القدمين فأكب على رجله القاضي يقبلهما واخذ بيده وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب وهي أعظم كرامات السلطان عندهم واذا خلعت ثيابه كذلك على أحد كانت شرفاله ولبيته واعقابه يتوارثونه مادامت تلك الثياب أو شئ منها وأعظم مهافي ذلك السر أو يل ولما خلع السلطان ثيابه على القاضي مجد الدين أخذ بيده وادخله الى داره وأمر نساءه بتعظيمه والتبرك به ورجع السلطان عن مذهب الرافض وكتب الى بلاده ان يقر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة وأجزل العطاء للقاضي وصرفه الى بلاده مكرما معظما وأعطاه في جملة عطاياه مائة قرية من قرى جكان وهو خندق بين جبلين طوله أربعة وعشرون فرسخا يشقه نهر عظيم والقرى منتظمة بجانبه وهو أحسن موضع بشيراز ومن قرأه العظيمة التي تضاهي المدن قرية ميم وهي للقاضي المذكور ومن عجائب هذا الموضع المعروف بجكان ان نصفه مميا يلي شيراز وذلك مسافة اثني عشر فرسخا شديد البرد وينزل فيه الثلج وأكثر شجره الجوز والنصف الآخر مميا يلي بلاد هنج وبال وبلاد الار في طريق هرمن شديد الحر وفيه شجر النخيل وقد تكررت لقاء القاضي مجد الدين ثانية حين خروجه من الهند قصدته من هرمن متبركا بلقائه وذلك سنة ثمان وأربعين وبين هرمن وشيراز مسيرة خمسة وثلاثين يوما فدخلت عليه وهو قد ضعف عن الحركة فسلمت عليه فعرفني وقام الى فعانقني ووقعت يدي على مرققه وجلده لاصق بالعظم لا لحم بينهما وأنزاني بالمدرسة حيث أنزلني أول مرة وزرته يوما فوجدت ملك شيراز السلطان أباسحاق وسبق ذكره قاعدا بين يديه ممسكا باذن نفسه وذلك هو غاية الادب عندهم ويفعله الناس اذا قعدوا بين يدي الملك وأتتته مرة أخرى الى المدرسة فوجدت بابها سدودا فسألت عن سبب ذلك فأخبرت ان أم السلطان واخته نشأت بينهما خصومة في ميراث فصرفهما الى القاضي مجد الدين فوصلتا اليه الى المدرسة وتحاكتا عنده وفصل بينهما بواجب الشرع وأهل شيراز لا يدعونه بالقاضي وانما يقولون له مولانا أعظم وكذلك يكتبون في التمجيدات والعقود التي تفتقر الى ذكر اسمه فيها وكان آخر عهدي به في شهر ربيع الثاني من عام ثمانية وأربعين ولاحت علي أنواره وظهرت لي بركاته نفع الله به وبأمثاله

* (ذكر سلطان شيراز) *

وسلطان شيراز في عهد قدومي عليها الملك الفاضل أبو اسحاق ابن محمد شاه متوج سعاد أبوه

باسم الشيخ أبي اسحاق الكازروني نفع الله به وهو من خيار السلاطين حسن الصورة
والسيرة والهيئة كريم النفس جميل الاخلاق متواضع صاحب قوة وملاك كبير وعسكر مزيّف
على خمسين ألفا من الترك والا عاجم وبطائنه الاذنون اليه أهل اصفهان وهو لا يأمن أهل
شيراز على نفسه ولا يستخدمهم ولا يقربهم ولا يبيع لا حدم منهم حمل السلاح لانهم أهل نجدة
وبأس شديد وجراءة على الماوك ومن وجد يده السلاح منهم عوقب ولقد شاهدت مرة رجلا
تجرده الجنادرية وهم الشرط الى الحاكم وقدر بطوه في عنقه فسألت عن شأنه فأخبرت انه
وجدت في يده قوس بالليل فذهب السلطان المذكور الى قهر أهل شيراز وتفضيل
الاصفهانين عليهم لانه يخافهم على نفسه وكان أبوه محمد شاه ينجو واليا على شيراز من قبل
ملك العراق وكان حسن السيرة محببا الى أهلها فلما توفي ولي السلطان أبوسعيد مكانه الشيخ
حسينا وهو ابن الجوابان أمير الامر اوسيا في ذكره وبعث معه العساكر الكثيرة فوصل
الى شيراز وملكها وضبط مجايها وهي من أعظم بلاد الله مجبازا كرى الحاج قوام الدين
الطنجي وهو والى المجايها انه ضمن ابعشرة آلاف دينار دراهم في كل يوم وصرفها من ذهب
المغرب الفان وخمسائة دينار ذهباً واقام بها الامير حسين مدة ثم أراد التقدم على ملك
العراق فقبض على أبي اسحاق بن محمد شاه ينجو وعلى أخويه ركن الدين ومسعود بك وعلى
والدته طاش خاتون وأراد حملهم الى العراق ليطلبوا أموال أبيهم فلما توسطوا السوق بشيراز
كشفت طاش خاتون وجهها وكانت متبرقة حياء ان ترى في تلك الحال فان عادة نساء
الترك ألا يغطين وجوههن واستغاثت بأهل شيراز وقالت أهكذا يا أهل شيراز أخرج من
بينكم وأنا فلانة زوجة فلان فقام رجل من التجارين يسمى بهلوان محمود قد رأيته بالسوق حين
قدومي على شيراز فقال لا تتركها تخرج من بلدنا ولا نرضى بذلك فتابعه الناس على قوله
وثارت عامة تم ودخلوا في السلاح وقتلوا كثير من العسكر واخذوا الاموال وخلصوا المرأة
واولادها وفر الامير حسين ومن معه وقدم على السلطان أبي سعيد مهزوما فاعطاه العساكر
الكثيفة وأمره بالعود الى شيراز والتحكم في أهلها بما شاء فلما بلغ أهلها ذلك علموا انهم لا طاقة
لهم به فقصدها القاضي محمد الدين وطلبوا منه ان يحتم دماء الثريتين ويوقع الصلح فخرج الى
الامير حسين فترجل له الامير عن فرسه وسلم عليه ووقع الصلح ونزل الامير حسين ذلك
اليوم خارج المدينة فلما كان من الغد برز أهلها للقاءه في أجمل ترتيب وزينوا البلد وأوقدوا
الشمع الكثير ودخل الامير حسين في ابهة وحفل عظيم وسار فيهم باحسن سيرة فلما مات
السلطان أبوسعيد وانقرض عقبه وتغلب كل أمير على ما يده خافهم الامير حسين على نفسه
ونخرج عنهم وتغلب السلطان أبو اسحاق عليها وعلى اصفهان وبلاد فارس وذلك مسيرة شهر

ونصف شهر واشتدت شوكته وطاحت هبته الى تملك ما يليه من البلاد فبدا بالاقرب منها
وهي مدينة يزد مدينة حسنة نظيفة بحبيبة الاسواق ذات أنهار مطردة وأنجار نضيرة وأهلها
تجار شافعية المذهب فحاصرها وتغلب عليها وتحصن الأمير مظفر شاد ابن الأمير محمد شاه
ابن مظفر بقلعة على ستة أميال منها منيعة تحديقها الرمال فحاصرها فظهر من الأمير
مظفر من الشجاعة ما خرق المعتاد ولم يسمع بمثله فكان يضرب على عسكر السلطان أبي
اسحاق ليلا ويقتل ما شاء ويحرق المضارب والفساطيط ويعود الى قلعته فلا يقدر على النيل
منه وضرب ليلة على دوار السلطان وقتل هنالك جماعة وأخذ من عتاق خيله عشرة وعاد الى
قلعته فاحصر السلطان ان تركب في كل ليلة خمسة آلاف فارس ويصنعون له الكمان ففعلوا
ذلك وخرج على عادته في مائة من أصحابه فضرب على العسكر واحاطت به الكمان وتلاحقت
العساكر فقاتلهم وخلص الى قلعته ولم يصب من أصحابه الا واحد اوقى به الى السلطان أبي
اسحاق فخلع عليه واطلقه وبعث معه امانا لمظفر لينزل اليه فابي ذلك ثم وقعت بينهما المراسلة
ووقعت له محبة في قلب السلطان أبي اسحاق لما رأى من شجاعته فقال أريد أن أراه فاذا
رأيت انصرفته عنه فوقفت السلطان في خارج القلعة ووقف هو ببابها وسلم عليه فقال له
السلطان انزل على الامان فقال له مظفر انى عاهدت الله ألا أنزل اليك حتى تدخل أنت قلعتي
وحينئذ أنزل اليك فقال له افعل ذلك فدخل اليه السلطان في عشرة من أصحابه الخواص
فلما وصل باب القاعة ترجل مظفر وقبل ركابه ومشى بين يديه مترجلا فأدخله داره وأكل
من طعامه ونزل معه الى المحلة راكبا فأجلسه السلطان الى جانبه وخلع عليه ثيابه
وأعطاه ما لا عظميا ووقع الاتفاق بينهما أن تكون الخطبة باسم السلطان أبي اسحاق وتكون
البلاد لمظفر وأبيه وعاد السلطان الى بلاده وكان السلطان أبو اسحاق طمع ذات مرة الى بناء
ايوان كايوان كسرى وأمر أهل شيراز ان يتولوا حفر أساسه فأخذوا في ذلك وكان أهل كل
صناعة يباهون كل من عداهم فانتهوا في المباهاة الى ان صنعوا القفاف لنقل التراب من
الجلاد وكسوها ثياب الحرير المزركش وفعلاوا نحو ذلك في برادع الدواب وأخرجها وصنع
بعضهم الفؤس من الفضة وأوقدوا الشمع الكثير وكانوا حين الحفر يلبسون أجمل ثيابهم
ويربطون قوطة الحرير على أوساطهم والسلطان يشاهد أفعالهم في منظرته وقد شاهدت
هذا المبنى وقد ارتفع عن الارض نحو ثلاثة أذرع ولما بنى أساسه رفع عن أهل المدينة التخديم
فيه وعسارت الفعلية تخدم فيه بالاجرة ويحشر لذلك آلاف منهم وسمعت والى المدينة يقول ان
معظم مجباها ينفق في ذلك البناء وقد كان الموكل به الامير جلال الدين بن الفلكي التوريرى
وهو من الكبار كان أبوه نائباً عن وزير السلطان أبي سعيد المسمى على شاه جيلان ولهذا

الامير جلال الدين الفلكي أخ فاضل اسمه هبة الله ويلقب بهاء الملك وقد على ملك الهند حين وفودى عليه ووفد معنا شرف الملك أمير بخت نخلع ملك الهند علينا جميعا وقدّم كل واحد في شغل يليق به وعين لنا المرتب والا حسان وسند كذا ذلك وهذا السلطان أبو اسحاق يريد التشبه بملك الهند المذكور في الايثار واجزال العطايا ولكن أين الثريا من الثرا وأعظم ما تعرفناه من عطيات أبي اسحاق انه أعطى الشيخ زاده الخراساني الذي أتاه رسولا عن ملك هراة سبعين ألف دينار وأما ملك الهند فلم يزل يعطى اضعاف ذلك لمن لا يحصى كثرة من أهل خراسان وغيرهم

(حكاية)

ومن عجيب فعل ملك الهند مع الخراسانيين انه قدم عليه رجل من فقهاء خراسان هروى الدار من سكان خوارزم يسمى بالامير عبد الله بعثته الخاتون ترابك زوج الامير قطلود مور صاحب خوارزم بهدية الى ملك الهند المذكور فقبلها وكافى عن اباحها فها وبعت ذلك اليها واختار رسولها المذكور الاقامة عنده فصيره في ندمائه فلما كان ذات يوم قال له ادخل الى الخزانة فارفع منها قدر ما تستطيع أن تجمله من الذهب فذهب الى داره فأتى بثلاث عشرة خريطة وجعل في كل خريطة قدر ما وسعته وربط كل خريطة بعضو من أعضائه وكان صاحب قوة وقام بها فلما خرج عن الخزانة وقع ولم يستطع النهوض فأمر السلطان بوزن ما خرج به فكان جلته ثلاثة عشر مناجين دهلي والمان الواحد منها خمسة وعشرون رطلا مصرية فأمره أن يأخذ جميع ذلك فأخذه وذهب به

(حكاية تناسبها)

اشتكى مرة أمير بخت الملقب بشرف الملك الخراساني وهو الذي تقدّم ذكره آنفا بحضرة ملك الهند فأناه الملك عائد اولما دخل عليه أراد القيام خلف له الملك أن لا ينزل عن كتفه والكت هو السرير ووضع للسلطان متكأة يسمونها المورة فتعد عليها ثم دعا بالذهب والميزان فجنى بذلك وأمر المريض ان يقعد في احدى كفتي الميزان فقال ياخوند عالم لو علمت انك تفعل هذا للبست على ثيابا كثيرة فقال له البس الآن جميع ما عندك من الثياب فلبس ثيابه المعدة للبرد المحشوة بالقطن وقعد في كفة الميزان ووضع الذهب في الكفة الاخرى حتى رجحه الذهب وقال له خذ هذا اقتصد به على رأسك وخرج عنه

(حكاية تناسبها)

وفد عليه الفقيه عبد العزيز الاردوبلي وكان قد قرأ علم الحديث بدمشق وتفقّه فيه فجعل مرتبه مائة دينار دراهم في اليوم وصرف ذلك خمسة وعشرون دينارا ذهبيا وحضر مجلسه

يوما فسأله السلطان عن حديث فسر له أحاديث كثيرة في ذلك المعنى فأعجبه حفظه وحلف له برأسه انه لا يزول من مجلسه حتى يفعل معه ما يراه ثم نزل الملك عن مجلسه فقبل قدميه وأمر باحضار صينية ذهب وهي مثل الطيفور الصغير وأمر أن يلقى فيها ألف دينار من الذهب وأخذها السلطان بيده فصمها عليه وقال هي لك مع الصينية ووفد عليه مرة رجل خراساني يعرف بابن الشيخ عبد الرحمن الاسفرايني وكان أبوه نزل بغداد فأعطاه خمسين ألف دينار دراهم وخيلا وعبيدا وخلعا وسند كر كثيرا من أخبار هذا الملك عند ذكر بلاد الهند وانما ذكرنا هذا لما قدمناه من ان السلطان أبا اسحاق يريد التشبيه به في العطايا وهو وان كان كريما فاضلا فلا يلحق ببطيخة ملك الهند في الكرم والسخاء

* (ذكر بعض المشاهد بشيراز) *

فمنهم مشهد احمد بن موسى اخي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم وهو مشهد معظم عند أهل شیراز يتبركون به ويتوسلون الى الله بفضلله وبنت غليسه طاش خاتون أم السلطان أبي اسحاق مدرسة كبيرة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر والقراء يقرؤون القرآن على التربة دائما ومن عادة الخاتون ان تأتي الى هذا المشهد في كل ليلة اثنين ويجمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء والشرفاء وشيراز من أكثر بلاد الله شرفاء سمعت من الثقة ان الذين لهم بها المراتب من الشرفاء ألف وأربعمائة ونيف بين صغير وكبير وتقيمهم عضد الدين الحسيني فاذا حضر القوم بالمشهد المبارك المذكور ختموا القرآن قراءة في المصاحف وقرأ القراء بالاصوات الحسنة وأوتى بالطعام والفواكه والحلواء فاذا أكل القوم وعظ الواعظ ويكون ذلك كله من بعد صلاة الظهر الى العشي والخاتون في غرفة مطلية على المسجد لها شباك ثم تضرب الطبول والانفاز والبوقات على باب التربة كما يفعل عند ابواب الملوك ومن المشاهد بها مشهد الامام القطب الولي أبي عبد الله بن خفيف المعروف عندهم بالشيخ وهو قدوة بلاد فارس كلها ومشهد معظم عندهم يأتون اليه بكرة وعشيا فيتمسحون به وقد رأيت القاضي محمد الدين آناه زائرا واستلمه وتأتى الخاتون الى هذا المسجد في كل ليلة جمعة وعليه زاوية ومدرسة ويجمع به القضاة والفقهاء ويفعلون به كفعالهم في مشهد احمد بن موسى وقد حضرت الموضعين جميعا وترتبة الامير محمد شاه ينجو والد السلطان أبي اسحاق متصلة بهذه التربة والشيخ أبو عبد الله بن خفيف كبير القدر في الاولياء شهير الذكر وهو اندي أظهر طريق جبل سرنديب بجزيرة سيلان من أرض الهند

* (كرامة لهذا الشيخ) *

بحكي انه قصد مرة جبل سرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء فأصابتهم مجاعة في طريق

الجبل حيث لا عمارة وتناهوا عن الطريق وطلبوا من الشيخ أن يأذن لهم في القبض على بعض
القبيلة الصغار وهي في ذلك المحل كثيرة جدا ومنه تحمل الى حضرة ملك الهند فنهاهم الشيخ
عن ذلك فغلب عليهم الجوع فتعدوا طول الشيخ وقبضوا على فيل صغير منها وذكوه وأكلوا
لحمه وامتنع الشيخ من أكله فلما ناموا تلك الليلة اجتمعت القبيلة من كل ناحية وأتت اليهم فكانت
تشتم الرجل منهم وتقتله حتى أتت على جميعهم وشتمت الشيخ ولم تتعرض له واخذة فيل منها
ولف عليه خرطومهم ورمى به على ظهره واتي به الموضع الذي فيه العمارة فلما رآه أهل تلك
الناحية عجبوا منه واستقبلوا وليتعارفوا أمره فلما قرب منهم أمسكه الفيل بخرطومهم ووضع
عن ظهره الى الارض بحيث يروى به فجاءوا اليه وتمسحوا به وذهبوا به الى ملكهم فعرفوه خبره
وهم كفار واقام عندهم اياما وذلك الموضع على خور يسمى خورا الخيزران والخور هو النهر
ويذلك الموضع مغاص الجوهر ويذكر ان الشيخ غاص في بعض تلك الايام بمحضر ملكهم
وخرج وقد ضم يديه معا وقال للملك اختر ما في احداهما فاختر ما في النبي فرمى اليه بما فيها
وكانت ثلاثة احجار من الياقوت لا مثل لها وهي عند ملوكهم في التاج يتوارثونها وقد
دخلت جزيرة سيلان هذه وهم مقيمون على الكفر الا انهم يعظمون فقراء المسلمين ويأوونهم
الى دورهم ويطعمونهم الطعام ويكفونهم في بيوتهم بين اهلهم واولادهم خالفا لسائر كفار
الهند فانهم لا يقربون المسلمين ولا يطعمونهم في آيتهم ولا يسبقونهم فيها مع انهم لا يؤذونهم ولا
يحبسونهم واقد كونا نضطر الى ان يطبخ لنا بعضهم اللحم فيأتون به في قدورهم ويقعدون
على بعد منا ويأتون بأوراق الموز فيجعلون عليها الارز وطعامهم ويضربون عليه الكوشان
وهو الادم ويذهبون فنأكل منه وما فضل علينا تأكله الكلاب والطيور وان اكل منه
الولد الصغير الذي لا يعقل ضربوه واطعموه ووث البقر وهو الذي يطهر ذلك في زعمهم ومن
المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح القطب روزجهان القبلي من كبار الاولياء وقبره في مسجد
جامع يخطب فيه وبذلك المسجد يصلي القاضي محمد الدين الذي تقدم ذكره رضى الله عنه
وبهذا المسجد سمعت عليه كتاب مسند الامام ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعي قال
اخبرتني ابى وزير بنت عمر بن المنجا قالت اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن ابى بكر بن المبارك
الزيدي قال اخبرنا ابو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي قال اخبرنا ابو الحسن المكي
ابن محمد بن منصور بن علان العرضي قال اخبرنا القاضي ابو بكر احمد بن الحسن الحرشي عن
ابى العباس بن يعقوب الاصم عن الربيع بن سليمان المرادي عن الامام ابى عبد الله الشافعي
وسمعت ايضا عن القاضي محمد الدين بهذا المسجد المذكور كتابه شارق الانوار للامام
رضي الدين ابى الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصاغانى بحق سماعه له من الشيخ

جلال الدين أبي هاشم محمد بن محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي بروايته عن الامام نظام الدين محمود بن محمد بن عمر الهروي عن المصنف ومن المشاهد بها مشهد الشيخ الصالح زركوب وعليه زاوية لا طعام والطعام وهذه المشاهد كلها بداخل المدينة وكذلك معظم قبور أهلها فان الرجل منهم يموت ولده أو وزوجه فيتحذله تربة من بعض بيوت داره ويدفنه هناك ويفرش البيت بالحصير والبسط ويجعل الشمع الكثير عند رأس الميت ورجليه ويصنع للبيت بابا الى ناحية الزقاق وشباك حديد فيدخل منه القراء يقرؤن بالا اصوات الحسان وليس في معجور الارض أحسن أصواتا بالقرآن من أهل شيراز ويقوم أهل الدار بالتربة ويفرشونها ويوقدون السرج بها فكان الميت لم يبرح وذكري انهم يطبخون في كل يوم نصيبا لميت من الطعام ويتصدقون به عنه
(حكاية)

مررت يوما ببعض أسواق مدينة شيراز فرأيت بها مسجدا متقنا البناء جميل الفرش وفيه مصاحف موضوعة في خرائط حرير موضوعة فوق كرسي وفي الجهة الشمالية من المسجد زاوية فيها شباك مفتوح الى جهة السوق وهذه الك شيخ جميل الهيئة واللباس وبين يديه مصحف يقرأ فيه فسلمت عليه وجلست اليه فسألني عن مقدمي فأخبرته وسألته عن شأن هذا المسجد فأخبرني انه هو الذي عمره ووقف عليه أوقافا كثيرة للقراء وسواهم وان تلك الزاوية التي جلست اليه فيها هي موضع قبره ان قضى الله موته بتلك المدينة ثم رفع بساطا كان تحته والقبر مغطى عليه ألواح خشب وأراني صندوقا كان بازائه فقال في هذا الصندوق كفي وحنوطي ودراهم كنت استأجرت بها نفسي في حفر بئر لرجل صالح فدفع لي هذه الدراهم فتركتها لتكون نفقة مواردتي وما فضل منها يتصدق بها فحجبت من شأنه وأردت الانصراف خلف علي وأضافني بذلك الموضع ومن المشاهد بخارج شيراز قبر الشيخ الصالح المعروف بالسعدى وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي ورنما ألمع في كلامه بالعربي وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع حسنة بداخلها بستان مليح وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف بركن آباد وقد صنع الشيخ هناك احواسا صغارا من المرمر لغسل الثياب فيخرج الناس من المدينة لزيارته ويأكلون من سباطه ويغسلون ثيابهم بذلك النهر وينصرفون وكذلك فعلت عنده رحمه الله ومقربة من هذه الزاوية زاوية أخرى تتصل بها مدرسة مبنيتان على قبر شمس الدين السمناني وكان من الامراء الفقهاء ودفن هنالك بوضعية منه بذلك وبمدينة شيراز من كبار الفقهاء الشريف مجيد الدين وأمره في الكرم عجيب وربما جاد بكل ما عنده وبالثياب التي كانت عليه ويلبس سرقة له فيدخل عليه كبراء المدينة فيجدونه على تلك الحال فيكسونه ومربته في كل يوم من السلطان خمسون دينارا دراهم ثم كان خروجي

من شيراز برسم زياره قبر الشيخ الصالح أبي اسحاق الكازروني بكازرون وهي على مسيرة يومين من شيراز فنزلنا اول يوم ببلاد الشول وهم طائفة من الاعاجم يسكنون البرية وفيهم الصالحون
 * (كرامة لبعضهم) *

كنت يوما ببعض المساجد بشيراز وقد قعدت أتلو كتاب الله عز وجل اثر صلاة الظهر فخطر ب خاطري انه لو كان لي مصحف كريم لتلوت فيه فدخل علي في اثناء ذلك شاب وقال لي بكلام قوي خذ فرغت رأسي اليه فالتقي في حجرى مصحفا كريما وذهب عني فحتمته ذلك اليوم قراءة وانتظرت له لا رد له فلم يعد الى فسألت عنه فقبل لي ذلك به اول الشولي ولم أر بعد ووصلنا في عشي اليوم الثاني الى كازرون فقصصنا زاوية الشيخ أبي اسحاق نفع الله به وبتنا بها تلك الليلة ومن عادتهم أن يطعموا الوارد كائنا من كان الهريسة المصنوعة من اللحم والقمح والسمن وتؤكل بالرفاق ولا يتركون الوارد عليهم السفر حتى يقيم في الضيافة ثلاثة أيام ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجه ويذكرها الشيخ للفقراء الملازمين للزاوية وهم يزيدون على مائة منهم المتزوجون ومنهم الاعراب المتجردون فيختمون القرآن ويذكرون الذكر ويدعون له عند ضريح الشيخ أبي اسحاق فتتقضى حاجته باذن الله وهذا الشيخ أبو اسحاق معظم عند أهل الهند والصين ومن عادة ركاب بحر الصين انهم اذا تغير عليهم الهواء وخافوا النصوص نذروا لابي اسحاق نذورا وكتب كل منهم على نفسه ما نذره فاذا وصلوا بر السلامة صعدوا خدام الزاوية الى المركب وأخذوا الزمام وقبضوا من كل ناذر نذره وما من مركب يأتي من الصين أو الهند الا وفيه آلاف من الدنانير فيأتي الوكلاء من جهة خدام الزاوية فيقبضون ذلك ومن الفقراء من يأتي طالبا صدقة الشيخ فيكتب له أمر بها وفيه علامة الشيخ منقوشة في قالب من الانضة فيضعون القالب في صبغ أحمر ويلصقونه بالامر فيبقى أثر الطابع فيه ويكون مضمنا انه من عنده نذر للشيخ أبي اسحاق فليعط منه لفلان كذا فيكون الامر بالالف والمائة وما بين ذلك ودونه على قدر التقدير فاذا وجد من عند شيء من النذر قبض منه وكتب له رسما في ظهر الامر بما قبضه ولقد نذر ملك الهند مرة للشيخ أبي اسحاق بعشرة آلاف دينار فبلغ خبرها الى فقراء الزاوية فأتى أحدهم الى الهند وقبضها وانصرف بها الى الزاوية ثم سافرنا من كازرون الى مدينة الزيد بن زبيد فسميت بذلك لان فيها قبر زيد بن ثابت وقبر زيد بن أرقم الانصاريين صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ورضي الله عنهما وهي مدينة حسنة كثيرة البساتين والمياه مليحة الاسواق عجيبه المساجد ولاهلها صلاح وأمانة وديانة ومن أهلها القاضي نور الدين الزيداني وكان ورد على أهل الهند فولى القضاء منها بديسة المهمل وهي جزائر كثيرة ملكها جلال الدين بن صلاح الدين صالح وتزوج بأخت هذا الملك وسأني ذكره

وذكر بنته خديجة التي تولت الملك بعده هذه الجزائر وبها توفي القاضي نور الدين المذكور
ثم سافرنا منها الى الحويزاء بالزاي وهي مدينة صغيرة يسكنها العجم بينها وبين البصرة مسيرة
أربع وبينها وبين الكوفة مسيرة خمس ومن أهلها الشيخ الصالح العابد جمال الدين الحويزاني
شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة ثم سافرنا منها قاصدين الكوفة في برية لا ماء بها الا في
موضع واحد يسمى الطرفاوى وردناه في اليوم الثالث من سفرنا ثم وصلنا بعد اليوم الثاني
من ورودنا عليه الى مدينة الكوفة

* (مدينة الكوفة) *

وهي احدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مشوى المحابة والتابعين
ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين الا ان الخراب قد
استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت اليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين
لها فانهم يقطعون طريقها ولا سور عليها وبنائها بالاجر وأسواقها احسان وأكثر ما يباع فيها
التمر والسمنك وجامعها الاعظم جامع كبير شريف بلاطاته سبعة قائمة على سواري حجارة
ضخمة منحوتة قد صنعت قطعها ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهي مفرطة
الطول وبهذا المسجد آثار كريمة فمنها بيت ازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال ان
الخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع وعلى مقربة منه محراب محلق عليه
بأعواد الساج مرتفع وهو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهناك ضربه الشقي ابن
ملجم والناس يقصدون الصلاة به وفي الراوية من آخر هذا البلاط مسجد صغير محلق عليه
أيضا بأعواد الساج يذكر انه الموضع الذي فار منه التنور حين طوفان نوح عليه السلام وفي
ظهره خارج المسجد بيت يزعمون انه بيت نوح عليه السلام وازاءه بيت يزعمون انه متعبد
ادريس عليه السلام ويتصل بذلك فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد يقال انه موضع
انشاء سفينة نوح عليه السلام وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه
والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال أيضا انه بيت نوح عليه السلام والله أعلم بصحة
ذلك كله وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد اليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي
طالب رضي الله عنه وبمقربة منه خارج المسجد قبر عائكة وسكينة بنتي الحسين عليه السلام
وأما قصر الامارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فلم يبق منه الا أساسه
والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي منها وهو منتظم بمحذاق
النخل الملتفة المتصل بعضها ببعض ورأيت بغيري جبانة الكوفة موضعا مسودا شديدا السواد
في بساط أبيض فأخبرت انه قبر الشقي ابن ملجم وان أهل الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب

الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام وعلى قرب منه قبة أخبرت أنها على قبر المختار بن أبي عبيد ثم رحلنا ونزلنا بئر ملاحه وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل ونزلت بخارجها وكرهت دخولها لأن أهلها روافض ورحلنا منها الصبح فنزلنا مدينة الحلة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات وهو شرقيها ولها أسواق حسنة جامعة للرافض والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة بها داخلها و خارجها ودورها بين الحدائق ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل وأهل هذه المدينة كلها امامية اثنا عشرية وهم طائفتان احدهما تعرف بالاكراد والاخرى تعرف بأهل الجامعين والفننة بينهم متصلة والقتال قائم أبدا وبقرية من السوق اعظم هذه المدينة مسجد على بابه ستر حرير مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عادتهم انه يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم السيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرسا مسلحاً مسلحاً أو بغلة كذلك ويضربون الطبول والانفار والبوقات امام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ريتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أو ان خروجه فيعرف الله بك بين الحق والباطل ولا يرالون كذلك وهم يضربون الابواق والاطبال والانفار الى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وهو الامام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الامير أحمد بن رميثة بن أبي غي أمير مكة وحكمها أعواما وكان حسن السيرة يحمده أهل العراق الى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعذبه وقتله وأخذ الأموال والذخائر التي كانت عنده ثم سافرنا منها الى مدينة كربلاء مشهد الحسين بن علي عليهما السلام وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد الا عن اذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة وعلى الابواب أستار الحرير وأهل هذه المدينة طائفتان اولاد خيمك واولاد فائز وبينهما القتال أبدا وهم جميعا امامية يرجعون الى أب واحد ولاجل قتلهم تخربت هذه المدينة ثم سافرنا منها الى بغداد

* (مدينة بغداد) *

مدينة دار السلام وحضرة الاسلام ذات القدر الشريف والفضل المنيف مشوى
الخلفاء ومقر العلماء قال أبو الحسين بن جبير رضى الله عنه وهذه المدينة العتيقة وان لم تزل
حضرة الخلافة العباسية ومشابة الدعوة الامامية القرشبية فقد ذهب رسمها ولم يبق
الاسمها وهى بالاضافة الى ما كانت عليه قبل انحناء الحوادث عليها والتفات أعين
النواب اليها كالطلل الدارس أو تمثال الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف
البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والنظر الادجلتها التى هى بين شرقها وغربها
كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبنتين فهى تردها ولا تنظماً وتتطالع منها
فى مرآة صقيلة لا تصدأ والحسن الحرى بين هوائها ومائها ينشأ قال ابن جزى وكأن أبا تمام
حبیب بن أوس اطلع على ما آل اليه أمرها حين قال فيها (بسيط)

لقد أقام على بغداد ناعيتها * فليبكها الخراب الدهر باكيها
كانت على مائها والحرب موقدة * والنار تطفأ حسناً فى نواحيها
ترجى لها عودة فى الدهر صالحة * فالان أضمر منها اليأس راجيها
مثل العجوز التى ولت شببتها * وبان عنها جبال كان يحظيها

وقد نظم الناس فى مدحها وذكروا محاسنها فاطنبوا ووجدوا مكان القول ذاسعة فأطالوا
وأطابروا وفيها قال الامام القاضى أبو محمد عبد الوهاب بن على بن نصر المالكي البغدادي
وأشديده والذى رحمه الله مرات

طيب الهواء ببغداد يشوقنى * قربا اليها وان عاقت مقادير
وكيف أرحل غنما اليوم اذ جعت * طيب الهوائين ممدود ومقصود
وفيها يقول أيضاً رحمه الله تعالى ورضى عنه (طويل)

سلام على بغداد فى كل موطن * وحق لها منى السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلبى لها * وانى بشطى جانبها لعارف
ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الاقدار فيها تساعف
وكانت نكل كنت أهوى دنوه * واخلاقه تنأى به وتخالف

وفيها يقول أيضاً مضاعفاً لها وأشديده والذى رحمه الله غير ما جرة (بسيط)

بغداد دار لاهل المال واسعة * وللصعاليك ارا الضنك والضيق
ظلمت أمشى مضاعفاً فى أزقتها * كأننى مصحف فى بيت زنديق

وفيها يقول القاضى أبو الحسن على بن النبيه من قصيدة (خفيف)

آنت بالعراق بدرا منيرا * فطوت غيبها وخاضت هجيرا
واستطابت ريان سائم بغدا * دفكادت لولا البرى ان تطيرا
ذكرت من مسارح الكرخ روضا * لم يزل ناضرا وماء غميرا
واجتنت من ربا المحول نورا * واجتلت من مطالع التاج نورا

ولبعض نساء بغداد في ذكرها (كامل)

آها على بغدادها وعراقها * وظبائها والسحر في احداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه * تبدو أهلتها على أطواقها
متجترات في النعيم كأنما * خلق الهوى العذرى من اخلاقها
نفسى الفداء لها فأى محاسن * فى الدهر تشرق من سنا اشراقها

(رجع) ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها في جسر مدينة الحلة
والناس يعبرونهم ليلا ونهارا رجالا ونساء فهم في ذلك في نزهة متصلة وبيغداد من المساجد
التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجدا منها بالجانب الغربى ثمانية وبالجانب
الشرقى ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدا وكذلك المدارس الا انها خربت وحمامات بغداد
كثيرة وهى من أبدع الحمامات وأكثرها مطيلة بالقمار مسطحة به فيخيل لرائيه انه رخام أسود
وهذا القمار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تنبع أبدا به ويصير في جوانبها كالصلصال
فيحرف منها ويحلب الى بغداد وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة
بالقمار مطلى نصف حائطها بمائل الى الارض به والنصف الاعلى مطلى بالجنس الابيض الناصع
قالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبويان
أحدهما يجرى بالماء الحار والاخر بالماء البارد فيدخل الانسان الخلوة منهما مفردا لا يشتركه
أحد الا ان أراد ذلك وفي زاوية كل خلوة أيضا حوض آخر لا غتسال فيه أيضا انبويان يجريان
بالحار والبارد وكل داخل يعطى ثلاثا من الفوط احداها يتربها عند دخوله والاخرى يترر
بها عند خروجه والاخرى ينشف بها الماء عن جسده ولم أر هذا الا تقنان كله في مدينة سوى
بغداد وبعض البلاد تقاربها في ذلك

(ذكر الجانب الغربى من بغداد)

الجانب الغربى منها هو الذى عمر أولا وهو الآن خراب أكثره وعلى ذلك فقد بقي منه ثلاث
عشرة محلة كل محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة وفي ثمان منها المساجد الجامعة
ومن هذه المحلات محلة باب البصرة وبيها جامع الخليفة أبى جعفر المنصور رحمه الله والمارستان
فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارح على الدجلة وهى قصر كبير خرب بقيت منه إلا آثار

وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبر معروف الكرخي رضي الله عنه وهو في محلة باب البصرة وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء في داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر غون من أولاد علي بن أبي طالب وفي هذا الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا والى جانبه قبر الجواد والتبران داخل الروضة عليه ما دكانه ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة

(ذكر الجانب الشرقي منها)*

وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عظيمة الترتيب وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تضرب بحسنها وفي آخره المدرسة المستنصرية ونسبتها الى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المؤمنين الظاهر بن أمير المؤمنين الناصر وبها المذاهب الاربعة لكل مذهب ايوان فيه المسجد وموضع التدريس وجالس المدرس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار لا يساوي باب السواد معتما وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما عليه وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة وفي داخل هذا المدرسة الحمام للطلبة ودار الوضوء وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحدها جامع الخليفة وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة للوضوء والغسل لقيت بهذا المسجد الشيخ الامام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أباحفص عمر بن علي بن عمر القزويني وسمعت عليه فيه جميع مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبع مائة قال أخبرتنا به الشيخة الصالحة المسند بنت المولود فاطمة بنت العدل تاج الدين أبي الحسن علي بن علي بن أبي البدر قالت أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطيب المارستاني قال أخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن شعيب السنجري الصوفي قال أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جوية السرخسي عن ابن عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي عن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي والجامع الثاني جامع السلطان وهو خارج البلد وتصل به قصور تنسب للسلطان والجامع الثالث جامع الرصافة وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل

(ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها)*

وقبور الخلفاء العباسيين رضي الله عنهم بالرصافة وعلى كل قبر منها اسم صاحبه ففهم قبر

المهدي وقبر الهادي وقبر الامين وقبر المعتمد وقبر الواثق وقبر المتوكل وقبر المنصور وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهدي وقبر المعتمد وقبر المعتضد وقبر المكتفي وقبر المقتدر وقبر القاهر وقبر الراضي وقبر المتقي وقبر المستكفي وقبر المطيع وقبر الطايغ وقبر المقاتم وقبر الفادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المكتفي وقبر المستنجد وقبر المستضي وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستنصر وقبر المستعصم وهو آخرهم وعليه دخل التتر ببغداد بالسيف وذبحوه بعد أيام من دخولهم وانقطع من بغداد اسم الخلافة العباسية وذلك في سنة أربع وخمسين وستمائة وبقر الرصافة قبر الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وعليه قبعة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية فسبحان مبيد الاشياء ومغيرها وبالقرب منها قبر الامام أبي عبد الله احمد بن حنبل رضي الله عنه ولا قبعة عليه ويذكر انها بنيت على قبره من ارا فتهدمت بقدر الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظم وأكثرهم على مذهبه وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبلي من أئمة المتصوفة رحمه الله وقبر سري السطري وقبر بشر الحافي وقبر داود الطائي وقبر أبي القاسم الجنيد رضي الله عنهم اجمعين وأهل بغداد لهم يوم في كل جمعة زيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هم هكذا الى آخر الاسبوع ويوجد كثير من قبور الصالحين والعلماء رضي الله تعالى عنهم وهذه الجهة الشرقية من بغداد ليس بها فواكه وانما تجلب اليها من الجهة الغربية لان فيها البساتين والحدائق ووافق وصولي الى بغداد كون ملك العراق بها فلنذكرها هنا

* (ذكر سلطان العراقين وخراسان) *

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بهادر خان وخان عندهم الملك (وبهادر بفتح الباء الموحدة وضم الدال المهملة وآخره راء) ابن السلطان الجليل محمد خدابنده وهو الذي أسلم من ملوك التتر وضبط اسمه مختلف فيه فمنهم من قال ان اسمه خدابنده (بخاء معجمة مضمومة وذال معجم مفتوح) وبنده لم يختلف فيه (وهو بياء موحدة مفتوحة ونون مسكنة وذال مهمل مفتوح وهاء استراحة) وتفسيره على هذا القول عبد الله لان خذا بالفارسية اسم الله عز وجل وبنده غلام أو عبيد أو مافي معناها وقيل انما هو خربنده (بفتح الخاء المعجمة وضم الراء المهملة) وتفسيره بالفارسية الجارية فعناه على هذا غلام الجارية فشد ما بين القولين من الخلاف على ان هذا الاخير هو المشهور وكان الاول غيره اليه من تعصب وقيل ان سبب تسميته بهذا الاخير هو ان التتر يسمون المولود باسم أول داخل على البيت عند ولادته فلما ولد هذا السلطان كان أول داخل الزمال وهم يسمونه خربنده فسمي به وأخوه خربنده هو قازغان الذي يقول فيه الناس قازان وقازغان هو القدر وقيل سمي بذلك لانه لما ولد دخلت الجارية ومعها القدر وخدابنده هو الذي أسلم وقد منا

قصته وكيف أراد ان يحل الناس لما أسلم على الرض وقصة القاضي مجد الدين معه ولما مات
ولى الملك ولده أبو سعيد بهادر خان وكان ملكا فاضلا كريما ملكا وهو صغير السن ورأيت به بغداد
وهو شاب أجمل خلق الله صورة لآيات بعارضيه ووزير ما ذاك الامير غياث الدين محمد بن
خواجه رشيد وكان أبوه من مهاجرة اليهود واستوزره السلطان محمد خدابنده والد أبي سعيد
رأيتهم ما يومما بحراقة في الدجله وتسمى عندهم الشبارة وهى شبه سلورة وبين يديه دمشق
خواجه ابن الامير جوبان المتغلب على أبي سعيد وعن يمينه وشماله شبارتان فيهما أهل
الطرب والغناء ورأيت من مكارمه في ذلك اليوم انه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف
حالهم فأمر لكل واحد منهم بكسوة و غلام يقوده ونفقة تجرى عليه ولما ولى السلطان أبو
سعيد وهو صغير كما ذكرناه استولى على أمره أمير الامراء الجوبان وحجر عليه التصرفات
حتى لم يكن بيده من الملك الا الاسم ويذكر انه احتاج في بعض الاعياد الى نفقة ينفقها فلم يكن
له سبيل اليها فبعث الى أحد التجار فاعطاه من المال ما أحب ولم يزل كذلك الى ان دخلت
عليه يوما زوجة أبيه دنيا خاتون فقالت له لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان ولده على ما هما
عليه فاستفهمها عن مرادها بهذا الكلام فتمالت له لقد انتهت أمر دمشق خواجه بن
الجوبان ان يفتك بحرم أبيك وانه بات البارحة عند طغي خاتون وقد بعث الى وقال لي الليلة
أبيت عندك وما الرأي الا أن تجمع الامراء والعساكر فاذا اضعدنا الى القلعة محتفيا برسم البيت
أمكنك القبض عليه وأبوه يكفى الله أمره وكان الجوبان اذ ذاك غائبا بخراسان فغلبته الغيرة
وبات يدبر أمره فلما علم ان دمشق خواجه بالقلعة أمر الامراء والعساكر أن يطيقوا بها من كل
ناحية فلما كان بالغد وخرج دمشق ومعه جندي يعرف بالحاج المصرى فوجد سلسلة معرضة
على باب القلعة وعليها قفل فلم يتمكن من الخروج راكبا فضرب الحاج المصرى السلسلة بسيفه
فقطعها وخرج جامعافا حاطت به ما العساكر ولحق أمير من الامراء الخاص بكية يعرف بمصر
خواجه وقتى يعرف بلؤلؤ دمشق خواجه فقتلاه وأتيا الملك أباسعيد برأسه فرموا به بين يدي
فرسه وتلك عادتهم ان يفعلوا برأس كبار اعدائهم وأمر السلطان بنهب داره وقتل من قاتل من
خدامه ومما ليكه واتصل الخبر بأبيه الجوبان وهو بخراسان ومعه أولاده أمير حسن وهو
الاكبر وطالش وجاوخان وهو أصغرهم وهو ابن أخت السلطان أبي سعيد أمه ساطى بك بنت
السلطان خدابنده ومعه عساكر التروحات متوافقة على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا
اليه فلما التقى الجمعان هرب التتر الى سلطانهم وافردوا الجوبان فلما رأى ذلك نهكص على
عقبه وفر الى صحراء سجستان وأوغل فيها واجمع على اللحاق بملك هراة غياث الدين مستجيرا
به ومتحصنا بدينته وكانت له عليه ايد سابقة فلم يوافقوه ولده حسن وطالش على ذلك وقال له

انه لا يني بالعهد وقد غدر فيروز شاه بعد ان لجأ اليه وقتله فأبى الجوبان الا أن يلحق به ففارقه ولده وتوجه ومعه ابنه الاصغر جلولو خان فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وأدخله المدينة على الامان ثم غدره بعد أيام وقتله وقتل ولده وبعث برأسيهما الى السلطان أبي سعيد وأما حسن وطالاش فانهما قصد اخوارزم وتوجها الى السلطان محمد أوزبك فأكرم مشاويهما وأنزلهما الى أن صدر منهما ما اوجب قتلهما فقتلهما وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدمري طاش فهرب الى ديار مصر فأكرمه الملك الناصر واعطاه الاسكندرية فأبى من قبولها وقال انما اريد العساكر لا قاتل اباس سعيد وكان متى بعث اليه الملك الناصر بكسوة اعطى هو للذي يوصلها اليه احسن منها ازراء على الملك الناصر وأظهر أمورا أوجبت قتله فقتله وبعث برأسه الى أبي سعيد وقد ذكرنا قصته وقصة قراسنة قور فيما تقدم ولما قتل الجوبان جى به وبولده ميتين فوقف بهما على عرفات وحجلا الى المدينة فليد فنانا في التربة التي اتخذها الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنع من ذلك ودفن بالبقيع والجوبان هو الذي جلب الماء الى مكة شرفها الله تعالى ولما استقل السلطان أبو سعيد بالملك أراد أن يتزوج بنت الجوبان وكانت تسمى بغداد خاتون وهي من أجل النساء وكانت تحت الشيخ حسن الذي تغلب بعد موت أبي سعيد على الملك وهو ابن عمته فأمره فقتل عنها وتزوجها أبو سعيد وكانت أحظى النساء لديه والنساء لدى الأتراك والتركهن حظ عظيم وهن اذا كتبوا أمرا يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين ولكل خاتون من البلاد والولايات والمجاوي العظيمة واذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة وغلبت هذه الخاتون على أبي سعيد وفضلها على سواها وأقامت على ذلك مدة أيامه ثم انه تزوج امرأة تسمى بدلشاد فأحبها حباً شديداً وهجر بغداد خاتون فغارت لذلك وسمته في منديل مسحته به بعد الجماع فأتوا بقرض عقبه وغلبت امرأته على الجهات كما سذكروا ولما عرف الامراء ان بغداد خاتون هي التي سمته اجعوا على قتلها وبذل ذلك الفتي الرومي خواجه لؤلؤ وهو من كبار الامراء وقدمائهم فأتاها وهي في الحمام فضر بها بدبوسه وقتلها وطرحها هنالك أياما مستورة العورة بقطعة تليس واستقل الشيخ حسن بملك عراق العرب وتزوج دلشاد امرأة السلطان أبي سعيد كمثل ما كان أبو سعيد فعله من تزوج امرأته

(ذكر المتغلبين على الملك بعد موت السلطان أبي سعيد)*

فمنهم الشيخ حسن ابن عمته الذي ذكرناه آنفاً تغلب على عراق العرب جميعاً ومنهم ابراهيم شاه ابن الامير سنينته تغلب على الموصل وديار بكر ومنهم الامير ارتمش تغلب على بلاد التركمان المعروفة أيضاً ببلاد الروم ومنهم حسن خواجه بن الدمري طاش بن الجوبان تغلب على تبريز والسلطانية

والسلطانية وهمدان وقم وقاشان والرى وورامين وفرغان والكرج ومنهم الامير طغيتور
تغلب على بعض بلاد خراسان ومنهم الامير حسين ابن الامير غياث الدين تغلب على هراة
ومعظم بلاد خراسان ومنهم ملك دينار تغلب على بلاد مكران وبلاد كيج ومنهم محمد شاه بن
مظفر تغلب على يزد وكرمان وورقو ومنهم الملك قطب الدين تهن تغلب على هرمز وكيش
والقطيف والبحرين وقلعات ومنهم السلطان ابواسحاق الذى تقدم ذكره تغلب على شيراز
واصفهان وملك فارس وذلك مسيرة خمس وأربعين ومنهم السلطان افراسياب اتابك تغلب
على ايدج وغيرهما من البلاد وقد تقدم ذكره ولنعد الى ما كتابه بيله ثم خرجت من بغداد
في محلة السلطان ابى سعيد وخرى أن أشاهد ترتيب ملك العراق فى رحيله ونزوله وكيفية
تنقله وسفره وعادتهم انهم يرحلون عند طلوع الفجر وينزلون عند الضحى وترتيبهم انه يأتى كل
أمير من الامراء بعسكره وطبوله واعلامه فيقف فى موضع لا يتعداه قد عين له اما فى المينة
اوالمسرة فاذا اتوا جميعا وتكاملت صفوفهم ركب الملك وضربت طبول الرحيل وبوقاته
وانفاره وأتى كل أمير منهم فسلم على الملك وعاد الى موقفه ثم يتقدم امام الملك الخجاب والنقباء ثم
يليهم أهل الطرب وهم نحو مائة رجل عليهم الثياب الحسنة وتحتهم مراكب السلطان وامام
أهل الطرب عشرة من الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول وخمسة من الفرسان لديهم خمس
صرنايات وهى تسمى عندنا بالغيطات فيضربون تلك الاطبال والصرنايات ثم يسكون
ويغنى عشرة من أهل الطرب نوبتهم فاذا قضاها وضربت تلك الاطبال والصرنايات ثم أمسكوا
وغنى عشرة آخرون نوبتهم هكذا الى أن تتم عشر نوبات فعند ذلك يكون النزول ويكون عن
يمين السلطان وشماله حين سيره كبار الامراء وهم نحو خمسين ومن ورائه أصحاب الاعلام
والاطبال والانفار والبوقات ثم محاليلك السلطان ثم الامراء على مراتبهم وكل أمير له اعلام
وطبول وبوقات ويتولى ترتيب ذلك كله أمير جند وله جماعة كبيرة وعقوبة من تخلف عن
فوجه وجماعته ان يؤخذ تماقه فيملا رملا ويلقى من عنقه ويمشى على قدميه حتى يبلغ المنزل
فيؤتى به الى الامير فيبسط على الارض ويضرب خمس وعشرين مقرعة على ظهره سواء كان
رفيعا أو وضيعا لا يحاشون من ذلك احدا واذا نزلوا ينزل السلطان ومعاليكه فى محلة على حدة
وتنزل كل خاتون من خواتينه فى محلة على حدة ولكل واحدة منهن الامام والمؤذنون والقراء
والسوق وينزل الوزراء والكتاب وأهل الاشغال على حدة وينزل كل أمير على حدة ويأتون
جميعا الى الخدمة بعد العصر ويكون انصرافهم بعد العشاء الاخيرة والمشاعل بين أيديهم فاذا
سكان الرحيل ضرب الطبل الكبير ثم يضرب طبل الخاتون الكبرى التى هى الملكة
ثم اطبال سائر الخواتين ثم طبل الوزير ثم اطبال الامراء دفعة واحدة ثم يركب أمير المقدمة

في عسكره ثم يتبعه الخواتين ثم انقال السلطان وزاملته واثقال الخواتين ثم أمير ثان في عسكره يمنع الناس من الدخول فيما بين الاثقال والخواتين ثم سائر الناس وسافرت في هذه المحلة عشرة أيام ثم صحبت الامير علاء الدين محمد الى بلدة تبريز وكان من الامراء الكبار الفضلاء فوصلنا بعد عشرة أيام الى مدينة تبريز ونزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام وهناك قبر قازان ملك العراق وعليه مدرسة حسنة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر من الخبز واللحم والارز المطبوخ بالسمن والحلواء وانزلني الامير بتلك الزاوية وهي ما بين أنهار متدفقة واشجار مورقة وفي غد ذلك اليوم دخلت المدينة على باب يعرف بساب بغداد ووصلنا الى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان من أحسن سوق رأيتها في بلاد الدنيا كل صناعة فيها على حدة لا تخالطها أخرى واجتازت بسوق الجواهر بين خاربصري مما رأيت من أنواع الجواهر وهي بأيدي محاليك حسان الصور عليهم الثياب الفاخرة وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير وهم بين أيدي التجار يعرضون الجواهر على نساء الاتر التوهن يشترينه كثيرا ويتنافسن فيه فرأيت من ذلك كله فتنة يستعاذ بالله منها ودخلنا سوق العنبر والمسك فرأينا مثل ذلك أو أعظم ثم وصلنا الى المسجد الجامع الذي عمره الوزير على شاه المعروف بجيلاان وبخارجة عن يمين مستقبل القبلة مدرسة وعن يساره زاوية وصحنه مفروش بالمرمر وحيطانه بالقاشاني وهو شبه الزليج ويشقه نهر ماء وبه أنواع الاشجار ودوالي العنبر وشجر الياسمين ومن عاداتهم انهم يقرأون به كل يوم سورة يس وسورة الفتح وسورة عم بعد صلاة العصر في صحن المسجد ويجمع لذلك أهل المدينة وبنات اليلة بتبريز ثم وصل بالغد أمر السلطان أبي سعيد الى الامير علاء الدين بأن يصل اليه فعدت معه ولم اتق بتبريز احدا من العلماء ثم سافرنا الى أن وصلنا لمحلة السلطان فاعلمه الامير المذكور بمكاني وادخلني عليه فسألني عن بلادى وكسالى واركبني واعلمه الامير اني اريد السفر الى الحجاز الشريف فأمر لي بالزاد والركوب في السبيل مع المحمل وكتب لي بذلك الى أمير بغداد اخواجه معروف فعدت الى مدينة بغداد واستوفيت ما أمر لي به السلطان وكان قد بقي لا وان سفر الركب أزيد من شهرين فظهر لي ان اسافر الى الموصل وديار بكر لا شاهدت تلك البلاد واعدت الى بغداد في حين سفر الركب فأ توجه الى الحجاز الشريف فخرجت من بغداد الى منزل على نهر دجيل وهو يتفرع عن دجلة فيسقى قرى كثيرة ثم نزلنا بعد يومين بقريه كبيرة تعرف بحربة مخصبة فسيحة ثم رحلنا فزلنا موضعا على شط دجلة بالقرب من حصن يسمى المعشوق وهو مبني على الدجلة وفي العدو الشرقية من هذا الحصن مدينة سر من رأى وتسمى أيضا سامرا او يقال لها سام راه ومعناه بالفارسية طريق سام وراه هو الطريق وقد استولى الخراب على هذه المدينة فلم يبق منها الا القليل وهي معتدلة الهواء

رائقة الحسن على بلائها ودروس معالمها وفيها أيضا مشهد صاحب الزمان كما بالحلة
ثم سرنا منها من حلة ووصلنا الى مدينة تكريت وهي مدينة كبيرة فسيحة الأرجاء مليحة
الاسواق كثيرة المساجد وأهلها موصوفون بحسن الاخلاق والدجلة في الجهة الشمالية
منها ولها قلعة حصينة على شط الدجلة والمدينة عتيقة البناء عليها سور يطيف بها ثم رحلنا
منها من حلتين ووصلنا الى قرية تعرف بالعقر على شط الدجلة وباعلاها ربوة كان بها حصن
وباسفلها الخان المعروف بخان الحديد له أبراج وبنائوه حافل والقرى والعمارة متصلة من هنالك
الى الموصل ثم رحلنا ونزلنا موضع يعرف بالقيارة بمقبرة من دجلة وهنالك أرض سوداء فيها
عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض ويجمع فيها قتره شبه الصلصال على وجه الأرض
حالك اللون صقيلا رطبا وله رائحة طيبة وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبيه
الطحلب الرقيق فتقذفه الى جوانبها فيصير أيضا قارا ومقبرة من هذا الموضع عين كبيرة
فاذا أرادوا نقل القار منها أوقدوا عليها النار فتشف النار ما هنالك من رطوبة مائية ثم يقطعونه
قطعاً وينقلونه وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو ثم سافرنا
من هذه العيون من حلتين ووصلنا بعدها الى الموصل

* (مدينة الموصل) *

وهي مدينة عتيقة كثيرة الخصب وقلعتها المعروفة بالحداية عظيمة الشأن شهيرة الامتناع
عليها سور محكم البناء مشيد البروج وتتصل بهادور السلطان وقد فصل بينهما وبين البلد
شارع متسع مستطيل من أعلى البلد الى اسفله وعلى البلد سوران اثنتان وثيقتان أبراجهما
كثيرة متقاربة وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره قد تمكن فتحها فيه
لسعته ولم أرى أسوار البلاد مثله الا السور الذي على مدينة دهلي حضرة ملك الهند والموصل
ربض كبير فيه المساجد والحمامات والفنادق والاسواق وبه مسجد جامع على شط الدجلة
تدور به شبابيك حديد وتتصل به مصاطب تشرف على دجلة في النهاية من الحسن
والاتقان وامامه مارستان وبداخل المدينة جامعان أحدهما قديم والآخر حديث وفي محض
الحديث منها مقبرة في داخلها خصة رخام مئنة مرتفعة على سارية رخام يخرج منها الماء بقوة
وانزعاج فيرتفع مقدار انقامة ثم ينعكس فيكون له من أي حسن وقديسارية الموصل مليحة لها
ابواب حديد ويدور بهادكا كين وبيوت بعضها فوق بعض متقنة البناء وبهذه المدينة مشهد
جرجيس النبي عليه السلام وعليه مسجد والقبر في زاوية منه عن يمين الداخل اليه وهو فيما
بين الجامع الحديد وباب الجسر وقد حصلت لنا زيارته والصلاة بمسجده والحمد لله تعالى
وهناك تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسوبة اليه يقال انه أمر قومه

بالتطهر فيها ثم صعدوا التل ودعا ودعوا فكشف الله عنهم العذاب وبمقربة منه قرية كبيرة يقرب منها خراب يقال انه موضع المدينة المعروفة بنينوى مدينة يونس عليه السلام واثرا للسور المحيط بها ظاهر ومواقع الابواب التي هي متبينة وفي التل بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة ومقاصر ومظاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد وفي وسط الرباط بيت عليه ستر حرير وله باب مرصع يقال انه الموضع الذي به موقف يونس عليه السلام ومحراب المسجد الذي بهذا الرباط يقال انه كان بيت متعبده عليه السلام وأهل الموصل يخرجون في كل ليلة جمعة الى هذا الرباط يتعبدون فيه وأهل الموصل لهم مكارم اخلاق ولين كلام وفضيلة ومحبة في الغريب واقبال عليه وكان أميرها حين قدومي عليها السيد الشريف الفاضل علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر وهو من الكرماء الفضلاء أنزلني بداره وأجرى علي الاتفاق مدة مقامي عنده وله الصدقات والايثار المعروف وكان السلطان أبوسعيد يعظمه وفوض اليه في هذه المدينة وما يليها ويركب في موكب عظيم من مماليكه وأجناده ووجوه أهل المدينة وكبرائها يأتون للسلام عليه غدوا وعشيا وله شجاعة ومهابة وولده في حين كتب هذا في حضرة فأس مستقر الغرباء ومأوى الفرق ومحط رجال الوفود زاده الله بسعادة أيام مولانا أمير المؤمنين بهجة واشراقا وحرس ارجاءها ونواحيها ثم رحلنا من الموصل ونزلنا قرية تعرف بعين الرصد وهي على نهر عليه جسر مبنى وبها خان كبير ثم رحلنا ونزلنا قرية تعرف بالمويلكة ثم رحلنا منها ونزلنا جزيرة ابن عمرو هي مدينة كبيرة حسنة محيطة بها الوادي ولذلك سميت جزيرة وأكثرها خراب ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبنى بالحجارة محكم العمل وسورها مبنى بالحجارة ايضا واهلها فضلاء لهم محبة في الغرباء ويوم نزلنا بها رأينا جبل الجودي المذكور في كتاب الله عز وجل الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام وهو جبل عال مستطيل ثم رحلنا منها من رحلتين ووصلنا الى مدينة نصيبين وهي مدينة عتيقة متوسطة قد خرب أكثرها وهي في بسيط أفج فسيح فيه المياه الجارية والبساتين الملتفة والأشجار المنتظمة والفواكه الكثيرة وبها يصنع ماء الورد الذي لا نظير له في العطاراة والطيب ويدور بها نهر يعطف عليها انعطاف السوار منبعا من عيون في جبل قريب منها وينقسم انقساما فيتخلل بساتينها ويدخل منه نهر الى المدينة فيجزي في شوارعها ودورها ويخترق صحن مسجدها الاعظم وينصب في صهر يجين أحدهما في وسط الصحن والاخر عند الباب الشرقي وبهذه المدينة مارستان ومدرستان وأهلها أهل صلاح ودين وصدق وأمانة ولقد صدق أبو نواس في قوله (بسيط)

طابت نصيبين لي يوما وطبت لها * باليت حظي من الدنيا نصيبين

قال ابن جزي والناس يصفون مدينة نصيبين بفساد الماء والوخامة وفيها يقول بعض الشعراء
(خفيف)

لنصيبين قد عجبت وما في * دارها الى داع الى العلات
يعدم الورد أجزا في ذراها * لسقام حتى من الوجنات

ثم رحلنا الى مدينة سنجار وهي مدينة كبيرة كثيرة الفواكه والاشجار والعيون المطردة
والانهار مبنية في سفح جبل تشبه بدمشق في كثرة أنهارها وبساتينها ومسجدها الجامع
مشهور البركة يذكرون الدعاء به مستجاب ويدور به نهر ماء ويشقه وأهل سنجار اكراد ولهم
شجاعة وكرم ممن لقينته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ الكبار
صاحب كرامات يذكر عنه انه لا يفطر الا بعد أربعين يوما ويكون افطاره على نصف قرص من
الشعير لقيته برابطة بأعلى جبل سنجار ودعاني وزودني بدراهم لم تزل عندي الى أن سلبني
كفار الهنود ثم سافروا الى مدينة دارا وهي عتيقة كبيرة بيضاء المنظر لها قلعة مشرفة وهي
الآن خراب لا عمارة بها وفي خارجها قرية معمورة بها كان نزولنا ثم رحلنا منها فوصلنا الى
مدينة ماردين وهي مدينة عظيمة في سفح جبل من أحسن مدن الاسلام وأبدعها وأتقنها
واحسنها أسواقا وبها تصنع الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز ولها قلعة
شما من مشاهير القلاع في قنة جبلها قال ابن جزي قلعة ماردين هذه تسمى الشهباء وياها
عنى شاعر العراق صفي الدين عبدالعزيز بن سراي الخلي بقوله في سمطه (سريع)

فدع ربوع الحلة الفيحاء * وازور بالعيس عن الزوراء
ولا تقف بالموصل الحدباء * ان شهاب القلعة الشهباء

(محرق شيطان صروف الدهر)

وقلعة حلب تسمى الشهباء ايضا وهذه المسمطة بديعة مدحها الملك المنصور سلطان ماردين
وكان كريم شهير الصيت ولي الملك بها نحو خمسين سنة وادرك أيام قازان ملك التتر وصاهر
السلطان خذابنده بانيته دنيا خاتون

(ذكر سلطان ماردين في عهد دخولي اليها) *

وهو الملك الصالح ابن الملك المنصور الذي ذكرناه آنفا ورث الملك عن أبيه وله المكارم الشهيرة
وليس بأرض العراق والشام ومصر اكرم منه يقصده الشعراء والفقراء فيجزل لهم العطايا جريا
على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي المروى الكفيف ما دحا فاعطاه عشرين
الف درهم وله الصدقات والمدارس والزوايا لا طعام الطعام وله وزير كبير القدر وهو الامام
العالم وحيد الدهر وفريد العصر جمال الدين السنجاري قرأ بمدينة تبريز وادرك العلماء الكبار

وقاضى قضائته الامام الكامل برهان الدين الموصلى وهو ينتسب الى الشيخ الولي فتح الموصلى وهذا القاضى من أهل الدين والورع والفضل يلبس الخشن من ثياب الصوف الذى لا تبلغ قيمته عشرة دراهم ويعتم بنحو ذلك وكثيرا ما يجلس للاحكام يصحن مسجد خارج المدرسة كان يتعبد فيه فاذا رآه من لا يعرفه ظنه بعض خدام القاضى وأعوانه
(حكاية)

ذكر لى ان امرأته أتت هذا القاضى وهو خارج من المسجد ولم تكن تعرفه فقالت له يا شيخ أين يجلس القاضى فقال لها وما تريد منى فقالت له ان زوجى ضربنى وله زوجة ثانية وهو لا يعدل بيننا فى القسم وقد دعوت الى القاضى فأبى وأنا فقيرة ليس عندى ما أعطيه لرجال القاضى حتى يحضروه بمجلسه فقال لها وأين منزل زوجك فقالت بقرية الملاحين خارج المدينة فقال لها أنا أذهب معك اليه فقالت والله ما عندى شئ أعطيك اياه فقال لها وأنا لا آخذ منك شيئا ثم قال لها اذهبي الى القرية وانتظرينى خارجها فاني على أثرك فذهبت كما أمرها وانتظرت فوصل اليها وليس معها أحد وكانت عادته ان لا يدع أحدا يتبعه فجاءت به الى منزل زوجها فلما رآه قال لها ما هذا الشيخ النحس الذى معك فقال له نعم والله أنا كذلك ولكن أرض زوجتك فلما طال الكلام جاء الناس فعرفوا القاضى وسلموا عليه وخاف ذلك الرجل ونجل فقال له القاضى لا عليك أصليح ما بينك وبين زوجتك فأرضها الرجل من نفسه وأعطاهما القاضى نفقة ذلك اليوم وانصرف لقيت هذا القاضى وأضافنى بداره ثم رحلت عائدا الى بغداد فوصلت الى مدينة الموصل التى ذكرناها فوجدت ركبها بخارجها متوجهين الى بغداد وفيهم امرأة صالحة عابدة تسمى بالست زاهدة وهى من ذرية الخلفاء حجت مرارا وهى ملازمة الصوم سلمت عليها وكنيت فى جوارها ومعها جملة من الفقراء يخدمونها وفى هذه الوجهة نوفيت رجسة الله عليها وكانت وفاتها برزود ودفنت هنالك ثم وصلنا الى مدينة بغداد فوجدت الحاج فى أهبة الرحيل فقصدت أميرها معروف خواجه فطلبت منه ما أمر لى به السلطان فعين لى شقة محارة وزاد أربعة من الرجال وماءهم وكتب لى بذلك ووجه عن أمير الركب وهو البهلوان محمد الخويج فأوصاه بى وكانت المعرفة بيتى وبينه متقدمة فزادها تأكيدا ولم أزل فى جواره وهو يحسن الى ويزيدنى على ما أمر لى به وأصابنى عند خروجه من الكوفة اسهال فسكانوا ينزلوننى من أعلى المحل مرات كثيرة فى اليوم والامير يتفقدهالى ويوصى لى ولم أزل مر بضاحى وصلت مكة تحرم الله تعالى زادها الله شرفا وتعظيما وطف بالبيت الحرام كرمه الله تعالى طواف القدوم وكنت ضغيفا بحيث أودى المكتوبة قاعد اقطفت وسعيت بين الصفا والمروة راكبا على فرس الامير الخويج المذكور

ووقفنا تلك السنة يوم الاثنين فلما نزلنا منى أخذت في الراحة والاستقلال من مرضى ولما
انقضى الحج أقمت مجاورا بمكة تلك السنة وكان بها الأمير علاء الدين بن هلال مشيد (مشد)
الدواوين مقيما لجماعة دارالوضوء بظاهر العطارين من باب بنى شيبية وجاور في تلك السنة من
المصريين جماعة من كبرائهم منهم تاج الدين بن الكويك ونور الدين القاضي وزين الدين بن
الاصيل وابن الخليلي وناصر الدين الاسيوطي وسكنت تلك السنة بالمدرسة المظفرية وعافاني
الله من مرضى فكنت في انعم عيش وتفرغت للطواف والعبادة والاعتمار وأتى في أثناء تلك
السنة حجاج الصعيد وقدم معهم الشيخ الصالح نجم الدين الاصفهاني وهي أول حجة حجها
والاخوان علاء الدين على وسراج الدين عمر ابنا القاضي الصالح نجم الدين البالسي قاضي مصر
وجاعة غيرهم وفي منتصف ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين بالاك وهو من الفضلاء ووصل
في صحبته جماعة من أهل طحجة بلدي حرسها الله منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي
العباس ابن القاضي الخطيب أبي القاسم الجراوي والفقيه أبو عبد الله بن عطاء الله والفقيه أبو
محمد عبد الله الحضري والفقيه أبو عبد الله المرسى وأبو العباس ابن الفقيه أبي علي البلنسي
وأبو محمد بن القابلة وأبو الحسن البياري وأبو العباس ابن تافوت وأبو الصبر أيوب الفخار وأحمد
ابن حكامه ومن أهل قصر المجاز الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي أبي العباس ابن
خلوف ومن أهل القصر الكبير الفقيه أبو محمد بن مسلم وأبو اسحاق إبراهيم بن يحيى وولده
ووصل في تلك السنة الأمير سيف الدين تغرتمور من الخاصكية والأمير موسى بن قرمان
والقاضي نحر الدين ناظر الجيش كاتب الماليك والتاج أبو اسحاق والست حدق مزينة
الملك الناصر وكانت لهم صدقات عقيمة بالحرم الشريف وأكثرهم صدقة القاضي نحر الدين
وكانت وقفنا في تلك السنة في يوم الجمعة من عام ثمان وعشرين ولما انقضى الحج أقمت مجاورا
بمكة حرسها الله سنة تسع وعشرين وفي هذه السنة وصل أحمد بن الأمير رميشة ومبارك ابن
الأمير عطيفة من العراق صحبة الأمير محمد الخويج والشيخ زاده الحر باوي والشيخ دانيال وأترا
بصدقات عظيمة للمجاورين وأهل مكة من قبل السلطان أبي سعيد ملك العراق وفي تلك
السنة ذكر اسمه في الخطبة بعد ذكر الملك الناصر ودعواه بأعلى قبة زمزم وذكره وأبعده
سلطان اليمن الملك المجاهد نور الدين ولم يوافق الأمير عطيفة على ذلك وبعث شقيقه
منصور يعلم الملك الناصر بذلك فأمر رميشة بردّه فردّ فبعثه ثانية على طريق جدّة حتى
اعلم الملك الناصر بذلك ووقفنا تلك السنة وهي سنة تسع وعشرين يوم الثلاثاء ولما انقضى
الحج أقمت مجاورا بمكة حرسها الله سنة ثلاثين وفي موسمها وقعت الفتنة بين أمير مكة عطيفة
وبين أيدهمور أمير جندار الناصري وسبب ذلك أن تجارا من أهل اليمن سرّ قوافل تشكوا إلى

أيدمور بذلك فقال أيدمور لبارك بن الأمير عطيفة إئت بهؤلاء السراق فقال لا أعرفهم فكيف نأتى بهم وبعد فأهل اليمن تحت حكمنا ولا حكم عليهم لك أن سرق لأهل مصر والشام شئ فاطلبني به فشمته أيدمور وقال له يا قواد تقول لي هكذا وضربه على صدره فسقط ووقعت عمامته عن رأسه وغضب وغضب له عبيده وركب أيدمور ويريد عسكره فلحقه مبارك وعبيده فقتلوه وقتلوا ولده ووقعت الفتنة بالحرم وكان به أمير أحمد ابن عم الملك الناصر ورعى الترك بالنشاب فقتلوا امرأته قيل أنها كانت تحرض أهل مكة على القتال وركب من بالركب من الأتراك وأميرهم خاص ترك فخرج إليهم القاضي والأئمة والمجاورون وفوق رؤسهم المصاحف وحاولوا الصلح ودخل الحجاج مكة فأخذوا ما لهم بها وانصرفوا إلى مصر وبلغ الخبر إلى الملك الناصر فشق عليه وبعث العساكر إلى مكة ففر الأمير عطيفة وابنه مبارك وخرج أخوه رميشة وأولاده إلى وادي نخلة فلما وصل العسكر إلى مكة بعث الأمير رميشة أحد أولاده يطلب له الأمان ولولده فأمنوا وأتى رميشة وكفنه في يده إلى الأمير فخلع عليه وسلمت إليه مكة وعاد العسكر إلى مصر وكان الملك الناصر رحمه الله حليماً فاضلاً فخرجت في تلك الأيام من مكة شرفها الله تعالى قاصداً بلاد اليمن فوصلت إلى حدة (بالحاء المهملة المفتوح) وهي نصف الطريق ما بين مكة وجدة (بالجيم المضموم) ثم وصلت إلى جدة وهي بلدة قديمة على ساحل البحر يقال إنها من عمارة الفرس وبخارجها مصانع قديمة وبها جباب للماء منقورة في الحجر الصلديتصل بعضها ببعض تفوت الأحصاء كثرة وكانت هذه السنة قليلة المطر وكان الماء يجلب إلى جدة على مسيرة يوم وكان الحجاج يسألون الماء من أصحاب البيوت

(حكاية)*

ومن غريب ما اتفق لي بجدة أنه وقف على بابي سائل أعنى يطلب الماء يقوده غلام فسأل على وسماني باسمي واخذ يدي ولم أكن عرفته قط ولا عرفني فجمبت من شأنه ثم أمسك أصبعي بيده وقال اين الفتحة وهي الخاتم وكنت حين خروجي من مكة قد لقيتني بعض النقرأ وسألني ولم يكن عندي في ذلك الحين شئ فدفعت له خاتمي فلما سألتني عن هذا الا عني قلت له اعضيت له لفقر فقال ارجع في طلبه فان فيه أسماء مكتوبة فيها سر من الاسرار فطال تعجبي منه ومن معرفته بذلك كله والله أعلم بحاله وبجدة جامع يعرف بجامع الانوس معروف البركة يستجاب فيه الدعاء وكان الأمير بها ابا يعقوب بن عبد الرزاق وقاضيا وخطيبها الفقيه عبد الله من أهل مكة شافعي المذهب واذا كان يوم الجمعة واجتمع الناس للصلاة أتى المؤذن وعبد أهل جدة المقيم بها فان كلوا أربعين خطب وصلوا بهم الجمعة وان لم يبلغ عدد هم أربعين صلى ظهرا اربعاً ولا يعتبر من ليس من أهلها وان كانوا عدداً كثيراً ثم ركبنا البحر من جدة في مركب

يسمونه الجلبة وكان لرشيد الدين الالفى اليمنى الحبشى الاصل وركب الشريف منصور بن أبي غنى فى جلبة أخرى ورغب منى أن أكون معه فلم أفعل لكونه كان معه فى جلبته الجمال تخفت من ذلك ولم أكن ركبت البحر قبلها وكان هنالك جملة من أهل اليمن قد جعلوا أزوادهم وأمتعتهم فى الجلب وهم متأهبون للسفر

(حكاية)

ولما ركبنا البحر أمر الشريف منصور أحد غلمانه أن يأتيه بعديلة دقيق وهى نصف جبل وبطة سمى يأخذهما من جلب أهل اليمن فأخذهما وأتى بهما إليه فأثنى التجار باكين وذكروا لى ان فى جوف تلك العديلة عشرة آلاف درهم نقره ورغبوا منى أن أكله فى ردها وان يأخذسواها فأتيته وكلمته فى ذلك وقلت له ان للتجار فى جوف هذه العديلة شيء أقال ان كان سكرافلا أردته اليهم وان كان سوى ذلك فهو لهم نفتحوها فوجدوا الدراهم فردها عليهم وقال لى لو كان عجلا نماردها وعجلا نهورا بن أخيه رميثة وكان قد دخل فى تلك الايام دار تاجر من أهل دمشق قاصدا لليمن فذهب بمعظم ما كان فيها وعجلا نهورا أمير مكة على هذا العهد وقد صلح حاله وأظهر العدل والفضل ثم سافرنا فى هذا البحر بالريح الطيبة يومين وتغيرت الريح بعد ذلك وصدتنا عن السبيل التى قصدناها ودخلت أمواج البحر معنا فى المركب واشتد الميـد بالناس ولم نزل فى أهوال حتى خرجنا فى مرسى يعرف برأس دوائر فيما بين عيذاب وسواكن فنزلنا به ووجدنا بساحله عريش قصب على هيئة مسجد وفيه كثير من قشور بيض النعام مملوءة ماء فشرينا منه وطبخنا ورأيت بذلك المرسى عجبا وهو خور مثل الوادى يخرج من البحر فكان الناس يأخذون الثوب ويعسكون بأطرافه ويخرجون به وقد امتلاء سمكا كل سمكة منها قدر الذراع ويعرفونه بالبورى فطبخ منه الناس كثيرا واشترى واوقصدت الينا طائفة من البجاة وهم سكان تلك الارض سودا اللون لباسهم الملاحف الصفرة ويشدون على رؤسهم عصائب حمر فى عرض الاصبع وهم أهل نجدة وشجاعة وسلاحهم الرماح والسيوف ولهم جمال يسمونها الصهب يركبونها بالسروج فاكثر بنا منهم الجمال وسافرنا معهم فى برية كثيرة الغزلان والبجاة لا يأكلونها فهى نأنس بالآدمى ولا تنفر منه وبعد يومين من مسيرنا وصلنا الى حى من العرب يعرفون بأولاد كاهل مختلفين بالبجاة عارفين بلسانهم وفى ذلك اليوم وصلنا الى جزيرة سواكن وهى على نحو ستة أميال من البر ولا ماء بها ولا زرع ولا شجر والماء يجلب اليها فى القوارب وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر وهى جزيرة كبيرة وبها لحوم النعام والغزلان وجر الوحش والمعزى عندهم كثير والالبان والسمن ومنها يجلب الى مكة وجيوبهم الجرجور وهو نوع من الذرة كبير الحب يجلب منها أيضا الى مكة

(ذكر سلطانها)

وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي اليها الشريف زيد بن ابى نفي وابوه امير مكة وأخواه أميراها بعدد وهما عطيفة ورميثة الذين تقدم ذكرهما وصارت اليه من قبل البجاة فانهم اخواله ومعه عسكر من البجاة وأولاد كاهل وعرب جهينة وركبنا البحر من جزيرة سواكن نريد أرض اليمن وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره وانما يسافرون فيه من طلوع الشمس الى غروبها ويرسون وينزلون الى البر فاذا كان الصبح صعدوا الى المركب وهم يسمون رئيس المركب الريان ولا يزال أبدا في مقدم المركب ينبيه صاحب السكان على الاحجار وهم يسمونها النيات وبعد ستة أيام من خروجنا عن جزيرة سواكن وضاينا الى مدينة حلى (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة وكسر اللام وتخفيفها) وتعرف باسم ابن يعقوب وكان من سلاطين اليمن ساكنها قديما وهي كبيرة حسنة الحمار يسكنها طائفتان من العرب وهم بنو حرام وبنو كنانة وحامع هذه المدينة من أحسن الجوامع وفيه جماعة من الفقراء المنقطعين الى العبادة منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد قبوله الهندي من كبار الصالحين لباسه مرقعة وقلنسوة لبد وله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصير بها لا يساط ولم أربها حين لقائي له شيئا إلا أبرىق الوضوء وسفرة من خوص النخيل فيها كسر شعير يابسة وصحيفة فيها ملح وصعتر فاذا جاءه أحد قدم بين يديه ذلك ويسمعه أصحابه فيأتى كل واحد منهم بما حضره من غير تكلف شيء واذا صلوا العصر اجتمعوا للذكر بين يدي الشيخ الى صلاة المغرب واذا صلوا المغرب أخذ كل واحد منهم موقفة للتنفل فلا يزالون كذلك الى صلاة العشاء الاخرة فاذا صلوا العشاء الاخرة أقاموا على الذكر الى ثلث الليل ثم انصرفوا ويعودون في أول الثلث الثالث الى المسجد فيتمتعون الى الصبح ثم يذكرون الى أن تحين صلاة الاشراف فينصرفون بعد صلاتهم ومنهم من يقيم الى أن يصلي صلاة الضحى بالمسجد وهذا أحبهم أبدا ولقد كنت أردت الإقامة معهم باقى عمرى فلم أوفق لذلك والله تعالى يتداركنا بلطفه وتوفيقه

(ذكر سلطان حلى)

وسلطانها عامر بن ذويب من بنى كنانة وهو من الفضلاء الادباء الشعراء صحبته من مكة الى جدة وكان قد حج في سنة ثلاثين ولما قدمت مدينته أنزلنى وأكرمى وأقت في ضيافته أياما وركبت البحر في مركب له فوصلت الى بلدة السرجة (وضبط اسمها بفتح السين المهملة واسكان الراء وفتح الجيم) بلدة صغيرة يسكنها جماعة من أولاد الهبي وهم طائفة من تجار اليمن أكثرهم ساكنون بصعداء ولهم فضل وكرم واطعام لآبناء السبيل ويعينون الخجاج ويركبونهم في مراكبهم ويرودونهم من أموالهم وقد عرفوا بذلك واشتهر وابوه وكثر الله أموالهم وزادهم

من فضله واعانهم على فعل الخير وليس بالارض من يعاثلهم في ذلك الا الشيخ بدر الدين
 النقاس الساكن ببلدة القحمة فله مثل ذلك من الماء ثروا لا يشاروا ثنيا بالسرجة ليلة واحدة
 في ضيافة المذكورين ثم رحلنا الى مرسى الحادث ولم ننزل به ثم الى مرسى الابواب ثم الى
 مدينة زبيد مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا وليس باليمن بعد صنعاء أكبر
 منها ولا أغنى من أهلها واسعة البساتين كثيرة المياه والقواصم من الموز وغيره وهي برية
 لاشطية إحدى قواعد بلاد اليمن (وهي بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة) مدينة كبيرة كثيرة
 العمارة بها النخل والبساتين والمياه ملح بلاد اليمن وأجلها وأهلها لطافة السمائل وحسن
 الاخلاق وجمال الصور ونسائها الحسن الفائق الفائق وهي وادى الخصيب الذى يذكر
 في بعض الآثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عاذني وصيته يامعاذا اذ اجثت
 وادى الخصيب فهرول ولاهل هذه المدينة سموت النخل المشهورة وذلك انه يخرجون في
 أيام البسر والطرب في كل سبت الى حدائق النخل ولا يبقى بالمدينة أحد من أهلها ولا من
 الغرباء ويخرج أهل الطرب وأهل الاسواق لبيع الفواكه والحلاوات وتخرج النساء
 محتطيات الجمال في المحامل ولهن مع ما ذكرناه من الجمال الفائق الاخلاق الحسنة والمكارم
 والغريب عندهن مزية ولا يمتنعن من تزوجه كما يفعله نساء بلادنا فاذا أراد السفر خرجت
 معه وودعته وان كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له الى أن يرجع ابوه ولا تطالبه
 في أيام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها واذا كان مقيما فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة
 لكنهن لا يخرجن عن بلدهن أبدا ولواعطيت احداهن ما عسى ان تعطاها على ان تخرج
 عن بلدها لم تفعل وعلماء تلك البلاد وفقهاؤها أهل صلاح ودين وأمانة ومكارم وحسن خلق
 لقيت بمدينة زيد الشيخ العالم الصالح أبا محمد الصنعاني والفقيه الصوفي المحقق أبا العباس
 الابيانى والفقيه المحدث أبا على الزبيدي ونزلت في جوارهم فأكرموني وأضافوني ودخلت
 حدائقهم واجتمعت عند بعضهم بالفقيه القاضي العالم أبي زيد عبد الرحمن الصوفي أحد
 فضلاء اليمن ووقع عنده ذكر العابد الزاهد الخاشع أحمد بن العجيل النيني وكان من كبار الرجال
 وأهل الكرامات

* (كرامة) *

ذكرنا ان فقهاء الزيدية وكبرائهم أتوا مرة الى زيارة الشيخ أحمد بن العجيل فجلس لهم خارج
 الزاوية واستقبلهم أصحابه ولم يبرح الشيخ عن موضعه فسألو عليه وصافهم ورحب بهم ووقع
 بينهم الكلام في مسألة القدر وكانوا يقولون ان لا قدر وان المكلف يخلق افعاله فقال لهم
 الشيخ فان كان الامر على ما تقولون تقوموا عن مكانكم هذا فأرادوا القيام فلم يستطيعوا

وتركهم الشيخ على حالهم ودخل الزاوية وأقاموا كذلك واشتد بهم الحر ولحقهم وهج الشمس وضجوا بمنازلهم فدخل أصحاب الشيخ اليه وقالوا له ان هؤلاء القوم قد تابوا الى الله ورجعوا عن مذهبهم الفاسد فخرج عليهم الشيخ فأخذ بأيديهم وعاهدتهم على الرجوع الى الحق وترك مذهبهم السيئ وأدخلهم زاويته فأقاموا في ضيافته ثلاثا وانصرفوا الى بلادهم وخرجت لزيارة تبر هذا الرجل الصالح وهو بقرية يقال لها غسانة خارج زبيد ولقيت ولده الصالح أبا الوليد اسماعيل فأضافني وبت عنده وزرت ضريح الشيخ وأقمت معه ثلاثا وسافرت في صحبته الى زيارة الفقيه أبي الحسن الزيلعي وهو من كبار الصالحين ويقدم حجاج اليمن اذا توجهوا للبحر وأهل تلك البلاد وأعرابها يعظمونه ويحترمون فوصلنا الى جبلة وهي بلدة صغيرة حسنة ذات نخل وفواكه وأنهار فلما سمع الفقيه أبو الحسن الزيلعي بقدم الشيخ أبي الوليد استقبله وانزله براويته وسلمت عليه معه واقفا عنده ثلاثة أيام في خير مقام ثم انصرفنا وبعث معنا احدا الفقراء فتوجهنا الى مدينة تعز حضره ملك اليمن (وضبط اسمها بفتح التاء المعلو وكسر العين المهملة وزاء) وهي من أحسن مدن اليمن وأعظمها وأهلها ذوو قنبر وتكبر وفضاظة وكذلك الغالب على البلاد التي يسكنها الملوك وهي ثلاث محلات احداها يسكنها السلطان ومماليكه وحاشيته وأرباب دولته وتسمى باسم لأذكره والثانية يسكنها الامراء والاجناد وتسمى عدينة والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحالب *

(ذكر سلطان اليمن)

وهو السلطان المجاهد نور الدين علي ابن السلطان المؤيد هزير الدين داود بن السلطان المنظر يوسف بن علي بن رسول شهر جده يسمى برسول لان أحد خلفاء بني العباس أرسله الى اليمن ليكون بها أميرا ثم استقل اولاده بالملك وله ترتيب عجيب في قعوده وركوبه وكنت لما وصلت هذه المدينة مع الفقير الذي بعثه الشيخ الفقيه أبو الحسن الزيلعي في صحبتي قصدني الى قاضي القضاة الامام المحدث صفى الدين الطبري المكي فسلمنا عليه ورحب بنا وأقنابداره في ضيافته ثلاثا فلما كان في اليوم الرابع وهو يوم الخميس وفيه يجلس السلطان لعامة الناس دخل بي عليه وسلمت عليه وكيفية السلام عليه ان يمس الانسان الارض بسبابتيه ثم يرفعها الى رأسه ويقول أدام الله عزك ففعلت كمثل ما فعله القاضي وقعد القاضي عن عين الملك وأمرني فقعدت بين يديه فسألني عن بلادي وعن مولانا أمير المسلمين جواد الاجواد أبي سعيد رضي الله عنه وعن ملك مصر وملك العراق وملك اللور فأجبته عما سألت من أحوالهم وكان وزيره بين يديه فأمره باكرامى وانزالي وترتيب قعوده هذا الملك انه يجلس فوق دكانة مفر وشة من نيتة بتياب الحر وعن يمينه ويساره أهل السلاح ويليهم منهم أصحاب السيوف والدرق

ويليهم أصحاب القسي وبين يديهم في المينة والميسرة الحاجب وازباب الدولة وكاتب السر وأمير
جندار على رأسه والشاوشية وهم من الجنادرية وقوف على بعد فاذا تعد السلطان صاحوا
صيحة واحدة بسم الله فاذا قام فعلاوا مثل ذلك فيعلم جميع من بالمشور وقت قيامه ووقت
قعوده فاذا استوى قاعد ادخل كل من عادته أن يسلم عليه فسلم ووقف حيث رسم له في
المينة او الميسرة لا يتعدى أحد موضعه ولا يقعد الا من أمر بالتعود يقول السلطان للامير
جندار مر فلانا يقعد فيتقدم ذلك المأمور بالقعود عن موقفه قليلا ويقعد على بساط هنالكين
أيدي القائمين في المينة والميسرة ثم يؤتى بالطعام وهو طعامان طعام العامة وطعام الخاصة فأما
الطعام الخاص فيأكل منه السلطان وقاضي القضاة والكبار من الشرفاء ومن الفقهاء
والضيوف وأما الطعام العام فيأكل منه سائر الشرفاء والفقهاء والقضاة والمشايخ والامراء
وجوهر الجنادرية ومجلس كل انسان للطعام معين لا يتعداء ولا يراحم أحد منهم احد او على
مثل هذا الترتيب سواء هو ترتيب ملك الهند في طعامه فلا علم ان سلاطين الهند اخذوا ذلك
عن سلاطين اليمن أم سلاطين اليمن أخذوه عن سلاطين الهند وأقت في ضيافة سلطان اليمن
أياما وأحسن الى وأركبني وانصرفت مسافرا الى مدينة صنعاء وهي قاعدة بلاد اليمن الاولى
مدينة كبيرة حسنة العمارة بناؤها بالاجر والجص كثيرة الاشجار والفواكه والزروع معتدلة
الهواء طيبة الماء ومن الغريب ان المطر يبلد الهند واليمن والحبشة انما ينزل في أيام القبط
وأكثر ما يكون نزوله بعد الظهر من كل يوم في ذلك الاوان فالسافرون يستعجلون عند الزوال
لثلا يصيبهم المطر وأهل المدينة ينصرفون الى منازلهم لان أمطارها وابللة متدفقة ومدينة
صنعاء مفروشة كلها فاذا نزل المطر غسل جميع أزقتها وأتقاها وجامع صنعاء من أحسن
الجوامع وفيه قبر نبي من الانبياء عليهم السلام ثم سافرت منها الى مدينة عدن مرسى بلاد
اليمن على ساحل البحر الأعظم والجبال تحف بها ولا مدخل اليها الا من جانب واحد وهي
مدينة كبيرة ولا زرع بها ولا شجر ولا ماء وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر والماء على
عدمها فربما منعه العرب والواليين أهل المدينة وبينه حتى يصانعوهم بالمال والنياب
وهي شديدة الحر وهي مرسى أهل الهند تأتي اليها المراكب العظيمة من كنبات وتانة وكولم
وقالقوط وفندراينة والشاليات ومنجرو وروفا كنور وهنور وسندابور وغيرها وتجار الهند
ساكنون بها وتجار مصر أيضا وأهل عدن مابين تجار وما بين جمالين وصيادين السمك وللتجار
منهم أموال عريضة وربما يكون لاحد منهم المركب العظيم بجميع ما فيه لا يشاركه فيه غيره
لسعة ما بين يديه من الاموال ولهم في ذلك تفاخر ومباهاة

* (حكاية) *

ذكر لي ان بعضهم بعث غلاما له يشتري له كبشا وبعث آخر منهم غلاما له برسم ذلك أيضا فاتفق انه لم يكن بالسوق في ذلك اليوم الا كبش واحد فوقعت المزايدة فيه بين الغلامين فانتهى ثمنه الى أربع مائة دينار فأخذه أحدهما وقال ان رأس مالي أربع مائة دينار فان أعطاني مولاي ثمنه فحسن والا دفعت فيه رأس مالي ونصرت نفسي وغلبت صاحبي وذهب بالكبش الى سيده فلما عرف سيده بالقضية أعتقه وأعطاه ألف دينار وعاد الآخر الى سيده خائبا فضر به وأخذ ماله ونفاد عنه ونزلت في عدن عند تاجر يعرف بناصر الدين الفأري فكان يحضر طعامه في كل ليلة نحو عشرين من التجار وله غلمان وخدام أكثر من ذلك ومع هذا كله فهم أهل دين وتواضع وصلاح ومكارم اخلاق يحسنون الى الغريب ويؤثرون على الفقير ويعطون حق الله من الزكاة على ما يجب ولقيت بهذه المدينة قاضيها الصالح سالم بن عبد الله الهندي وكان والده من العبيد الجمالين واشتغل ابنه بالعلم فأرسله وساد وهو من خيار القضاة وفضلائهم أفت في ضيافته اياما وسافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام ووصلت الى مدينة زيلع وهي مدينة البربرة وهم طائفة من السودان شافعية المذهب وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أولها زيلع وآخرها مقدشو ومواسيهم الجمال ولهم اغنام مشهورة السمن وأهل زيلع سودا لوان وأكثرهم رافضة وهي مدينة كبيرة لها سوق عظيمة الا أنها أقدم مدينة في المعمور وأوحشها وأكثرها تننا وسبب تنناها كثرة سمكها ودماء الابل التي ينحرونها في الازقة ولما وصلنا اليها اخترنا المبيت بالبحر على شدة هوله ولم نبت بها القدرها ثم سافرنا منها في البحر خمس عشرة ليلة ووصلنا مقدشو (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان القاف وفتح الدال المهمل والشين المعجم واسكان الواو) وهي مدينة متناحية في الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المئين في كل يوم ولهم أغنام كثيرة وأهلها تجار اقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة اليها التي لا نظير لها ومنها تجمل الى ديار مصر وغيرها ومن عادة أهل هذه المدينة انه متى وصل مركب الى المرسى تصعد الصنابق وهي القوارب الصغار اليه ويكون في كل صنبق جماعة من شبان أهلها فيأتي كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام فيقدمه لتاجر من تجار المركب ويقول هذا نزيلى وكذلك يفعل كل واحد منهم ولا ينزل التاجر من المركب الا الى دار نزيله من هؤلاء الشبان الامن كان كثير التردد الى البلد وحصلت له معرفة أهلها فانه ينزل حيث شاء فاذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له ومن اشترى منه بخس أو باع منه بغير حضور نزيله فذلك البيع مردود عندهم ولهم منفعة في ذلك ولما صعد الشبان الى المركب الذي كنت فيه جاء الى بعضهم فقال له أصحابي ليس هذا بتاجر

وانما هو فقيه فصاح باصحابه وقال لهم هذا نزيل القاضى وكان فيهم أحد أصحاب القاضى فعرفه بذلك فأتى الى ساحل البحر فى جملة من الطلبة وبعث الى أحدهم فنزلت انا وأصحابى وسلمت على القاضى وأصحابه وقال لى بسم الله تتوجه للسلام على الشيخ فقلت ومن الشيخ فقال السلطان وعادتهم ان يقولوا للسلطان الشيخ فقلت له اذ انزلت توجهت اليه فقال لى ان العادة اذا جاء الفقيه او الشريف او الرجل الصالح لا ينزل حتى يرى السلطان فذهبت معهم اليه كما طلبوا

* (ذكر سلطان مقدشو) *

وسلطان مقدشو كما ذكرناه انما يقولون له الشيخ وانتم أبو بكر بن الشيخ عمر وهو فى الاصل من البربرة وكلامه بالمقدشى ويعرف اللسان العربى ومن عوايده انه متى وصل مركب يصعد اليه صنبوق السلطان فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن ربانه وهو الرئيس وما وسقه ومن قدم فيه من التجار وغيرهم فيعرف بذلك كله ويعرض على السلطان فن استحق ان ينزله عنده أنزله ولما وصلت مع القاضى المذكور وهو يعرف ابن البرهان المصرى الاصل الى دار السلطان خرج بعض القتيان فسلم على القاضى فقال له بلغ الامانة وعرف مولانا الشيخ ان هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز فبلغ ثم عاد وأتى بطبق فيه أوراق التنبول والفوفل فأعطانى عشرة أوراق مع قليل من الفوفل وأعطى للقاضى كذلك وأعطى لأصحابى وطلبة القاضى ما بقى فى الطبق وجاء بهم من ماء الورد الدمشقى فسكب على وعلى القاضى وقال ان مولانا أمر أن ينزل بدار الطلبة وهى دار معدة لضيافة الطلبة فأخذ القاضى ييسدى وجئنا الى تلك الدار وهى بمقربة من دار الشيخ مفروشة مرتبة بما تحتاج اليه ثم أتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو الموكل بالضيوف فقال مولانا يسلم عليكم ويقول لكم قدمتم خير مقدم ثم وضع الطعام فأكلنا وطعامهم الارز المطبوخ بالسمن يجعلونه فى صحفة خشب كبيرة ويجعلون فوقه صحاف الكوشان وهو الادم من الدجاج واللحم والحوت والبقول ويطبخون الموز قبل نخبه فى اللبن الحليب ويجعلونه فى صحفة ويجعلون اللبن المريب فى صحفة ويجعلون عليه الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر المخلل والمملوح والزنجبيل الاخضر والعنبا وهى مثل التفاح ولكن لها نواة وهى اذا نضجت شديدة الحلاوة وتؤكل كالفاكهة وقبل نخبها حامضة كالليمون يصبرونها فى الخل وهم اذا أكلوا القصة من الارز أكلوا بعدها من هذه الموالح والمخللات والواحد من أهل مقدشوا كل قدر ما تأكله الجماعة منا عادة لهم وهم فى نهاية من ضخامة الجسوم وسمناهم لما طعمنا انصرف عنا القاضى وأقننا ثلاثة أيام يؤتى اليها بالطعام ثلاث مرات فى اليوم وتلك عادتهم فلما كان فى اليوم الرابع

وهو يوم الجمعة جاء في القاضى والطلبة واحد وزراء الشيخ وأنوفى بكسوة وكسوتهم فوطه
 خريشدها الانسان في وسطه عوض السراريل فانهم لا يعرفون اودر اعة من المقطع المصرى
 معلمة وفرجية من القدسي مبطنة وعمامة مصرية معلمة واتوا الاصحاب بكسى تناسبهم واتينا
 الجامع فصلينا خلف المقصورة فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضى فرحب
 وتكلم بلسانهم مع القاضى ثم قال باللسان العربى قدمت خير مقدم وشرفت بلادنا وانستنا
 وخرج الى صحن المسجد فوقف على قبر والده وهو مدفون هناك فقرأ أو دعاء ثم جاء الوزراء
 والامراء ووجوه الاجناد فسلموا وعادتهم في السلام كعادة اهل اليمن يضع سبابتهم في الارض
 ثم يجعلها على رأسه ويقول ادام الله عزك ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبس ثيابه وأمر
 القاضى أن ينتعل وأمرني أن أنتعل وتوجه الى منزله ماشيا وهو بالقرب من المسجد ومشى
 الناس كلهم حفاة ورفعت فوق رأسه اربع قباب من الحرير الملمون وعلى أعلى كل قبة صورة
 طائر من ذهب وكان لباسه في ذلك اليوم قرجية قدسي اخضر وتحتها من ثياب مصر
 وظروحاتها الحسان وهو متقلد بفوطه حرير معتم بعمامة كبيرة وضربت بين يديه الطبول
 والابواق والانفار وأمراء الاجناد امامه وخلفه والقاضى والفقهاء والشرفاء معه ودخل الى
 مشورده على تلك الهيئة وقعد الوزراء والامراء ووجوه الاجناد في سقفة هنالك وفرش
 للقاضى بساط لا يجلس معه غيره عليه والفقهاء والشرفاء معه ولم يرالوا كذلك الى صلاة العصر
 فلما صلاوا العصر مع الشيخ أتى جميع الاجناد ووقفوا صفوفاً على قدر مراتبهم ثم ضربت
 الاطبال والانفار والابواق والصرنايات وعند ضربها لا يتحرك احد ولا يترشح عن مقامه
 ومن كان ماشيا وقف فلم يتحرك الى خلف ولا الى امام فاذا فرغ من ضرب الطبل لحنانة سلوا
 باصابعهم كما ذكرناه وانصرفوا وتلك عادة لهم في كل يوم جمعة واذا كان يوم السبت يأتي
 الناس الى باب الشيخ فيقعدون في سقائف خارج الدار ويدخل القاضى والفقهاء والشرفاء
 والصالحون والمشايخ والحجاج الى المشور الثاني فيقعدون على دكاكين خشب معدة لذلك
 ويكون القاضى على دكانة وحده وكل صنف على دكانة تخصهم لا يشاركون فيها سواهم ثم
 يجلس الشيخ بجلسته ويبعث الى القاضى فيجلس عن يساره ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبارهم
 بين يديه وسائرهم يسلمون وينصرفون ثم يدخل الشرفاء فيقعد كبارهم بين يديه ويسلم سائرهم
 وينصرفون وان كانوا ضيوفا جلسوا عن يمينه ثم يدخل المشايخ والحجاج فيجلس كبارهم
 ويسلم سائرهم وينصرفون ثم يدخل الوزراء ثم الامراء ثم وجوه الاجناد طائفة بعد طائفة
 اخرى فيسلمون وينصرفون ويؤتى بالطعام فيأكل بين يدي الشيخ القاضى والشرفاء ومن
 كان قاعداً بالجلوس ويأكل كل الشيخ معهم وان أراد تشريف أحد من كبار امرائه بعث اليه

فأكل معهم وبأكل سائر الناس بدار الطعام وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم في الدخول على الشيخ ثم يدخل الشيخ إلى داره ويقعد القاضي والوزراء وكتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات فما كان متعلقاً بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي وما كان من سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء وما كان مقتراً إلى مشاورة السلطان كتبوا إليه فيه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظره وتلك عادتهم دائماً ركبت البحر من مدينة مقدشومت وجهاً إلى بلاد السواحل قاصداً مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصلنا إلى جزيرة منبسى (وضبط اسمها ميم مفتوح ونون مسكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهمل مفتوح وياء) وهي جزيرة كبيرة بينها وبين أرض السواحل مسيرة يومين في البحر ولا بر لها وأشجارها الموز والليمون والاترج ولهم فاكهة يسمونها الجون وهي شبه الزيتون ولها نوى كنواء إلا أنها شديدة الحلاوة ولا زرع عند أهل هذه الجزيرة وإنما يجلب إليهم من السواحل وأكث طعامهم الموز والسمك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الانتقان وعلى كل باب من أبواب المساجد البئر والثقتان وعمق آبارهم ذراع أو ذراعان فيستقون منها الماء بقدر خشب قد غرز فيه عود رقيق في طول الذراع والأرض حول البئر والمسجد مسطحة فمن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ويكون على بابه قطعة حصير غليظ يسمح بهارجليه ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذه وصعب على يديه وتوضأ جميع الناس يمشون حفاة الاقدام ويتنابها هذه الجزيرة قليلة وركبنا البحر إلى مدينة كلوا (وضبط اسمها بضمة الكاف واسكان اللام وفتح الواو) وهي مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزنوج المستحكي والسواد ولهم شرطات في وجوههم كما هي في وجوه الليميين من جنادة وذكري بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوا وأن بين سفالة ويوفي من بلاد الليميين مسيرة شهر ومن يوفي يوفي بالتبر إلى سفالة ومدينة كلوا من أحسن المدن وأتقن عمارتها وكلها بالخشب وسقف بيوتها الديس والامطار بها كثيرة وهم أهل جهاد لأنهم في بر واحد متصل مع كفار الزنوج والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب

* (ذكر سلطان كلوا) *

وكان سلطانها في عهد دخولي إليها أبو المظفر حسن ويكنى أيضاً أبو المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه وكان كثير الغزى وإلى أرض الزنوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الله تعالى ويجعل نصيب ذوى القربى في خزائنه على حدة فإذا جاءه الشرفاء دفعه إليهم وكان الشرفاء يمتدونه من العراق والجزاز وسواها ورأيت عنده

من شرفاء الحجاز جماعة منهم محمد بن جاز ومنصور بن لبيدة بن أبي نجيّ ومحمد بن شميل بن أبي نجيّ ولقيت به قد شوا تيل بن كبش بن جاز وهو يريد القدوم عليه وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ويعظم أهل الدين والشرف
 (حكاية من مكارمه)

حضرته يوم جمعة وقد خرج من الصلاة قاصدا إلى داره فتعرض له أحد الفقراء اليمنيين فقال له يا أبا المواهب فقال لبيك يا فقير حاجتك قال اعطني هذه الثياب التي عليك فقال له نعم اعطيكها قال الساعة قال نعم الساعة فرجع إلى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابا سواها وخلع تلك الثياب وقال للفقير ادخل فخذها فدخل الفقير وأخذها وربطها في منديل وجعلها فوق راسه وانصرف فعظم شكر الناس للسلطان على ما ظهر من تواضعه وكرمه وأخذ ابنه ولي عهده تلك الكسوة من الفقير وعوضه عنها بعشرة من العبيد وبلغ السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فامر الفقير أيضا بعشرة رؤس من الرقيق وحمّلين من العاج ومعظم عطاياهم العاج وقلما يعطون الذهب ولما توفي هذا السلطان الفاضل الكريم رحمة الله عليه ولي أخوه داود فكان على الضد من ذلك إذا أتاه سائل يقول له مات الذي كان يعطى ولم يترك من بعده ما يعطى ويقبى الوفود عنده الشهور الكثيرة وحينئذ يعطيهم القليل حتى انقطع الوافدون عن بابه وركبنا البحر من كلوا إلى مدينة ظفار الجوز (وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره أمينية على الكسر) وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ومنها تجل الخيل العتاق إلى الهند ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل وقد قطعت مرة من قالقوط من بلاد الهند إلى ظفار في ثمانية وعشرين يوما بالريح الطيبة لم ينقطع لنا جرى بالليل ولا بالنهار وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء وبينها وبين حضرموت ستة عشر يوما وبينها وبين عمان عشرون يوما ومدينة ظفار في صحراء منقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها والسوق خارج المدينة بر بض يعرف بالخرجا وهي من أقدر الاسواق وأشد هانتنا وأكثرها ذبا بالكثر ما يباع بها من الثمرات والسمك وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين وهو به في النهاية من السمك ومن العجائب ان دوابهم انما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ولم أر ذلك في سواها وأكثر باعها الخدم وهنّ يلبسن السواد وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء وكيفية سقيهم انهم يصنعون دلويا كبيرة ويجعلون لها حبالا كثيرة ويتخزم بكل حبل عبد أو خادم ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر ويصبونها في صهر يج يسقون منه ولهم قمح يسمى منه العلس وهو في الحقيقة نوع من السلت والارز يجلب اليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم ودراهم

هذه المدينة من النحاس والقصدير ولا تنفق في سواها وهم أهل تجارة لا عيش لهم الا منها ومن عاداتهم انه اذا وصل مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان الى الساحل وصعدوا في صنبوق الى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللريان وهو الرئيس ولا كراى وهو كاتب المركب ويؤتى اليهم بثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب امامهم الاطبال والابواق من ساحل البحر الى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير جنود وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثا وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان وهم يفعلون ذلك استجلابا لاصحاب المراكب وهم أهل تواضع وحسن اخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء ولباسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند ويشدون القوط في أوساطهم عوض السر وال أكثرهم يشد فوطه في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر ويغتسلون مرات في اليوم وهي كثيرة المساجد ولهم في كل مسجد مطاهر كثيرة معدة للاغتسال ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جدا والغالب على أهلها رجال ونساء المرض المعروف بداء الفيل وهو انتفاخ القدمين وأكثر رجالهم مبتلون بالادر والعياذ بالله ومن عوابعهم الحسنة التصانح في المسجد أثر صلاة الصبح والعصر يستند أهل الصف الاول الى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون اجمعون ومن خواص هذه المدينة وبجائتها انه لا يقصدها احد بسوء الا عاد عليه مكره وحيل بينه وبينها وذكروا ان السلطان قطب الدين تمتهن بن طوران شاه صاحب هرمز نازلها مرة في البر والبحر فأرسل الله سبحانه عليه ريحا عاصفا كسرت مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها وكذلك ذكر لي ان الملك المجاهد سلطان اليمن عين ابن عم له بعسكر كبير يرسم انتزاعها من يدملكها وهو أيضا ابن عمه فلما خرج ذلك الأمير عن داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعا ورجع الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها ومن الغرائب ان أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في شؤ ونهم نزلت بدار الخطيب بمسجدها الاعظم وهو عيسى بن على كبير القدر كريم النفس فكان له جوار مسميات بأسماء خدم المغرب احداهن اسمها بجيئة والآخرى زاد المال ولم اسمع هذه الاسماء في بلاد سواها وأكثر أهلها رؤسهم مكشوفة لا يجمعون عليها العمامة وفي كل دار من دورهم سجادة الخوص معلقة في البيت يصلى عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب واكثهم الذرة وهذا التشابه كله ما يقوى القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب اصلهم من جيو ويقرب من هذه المدينة بين بسا تينها زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمد بن ابى بكر بن عيسى من أهل ظفار وهذه الزاوية معظمة عندهم يأتون اليها غدوا وعشيا ويستجيرون بها فاذا دخلها المستجير لم يقدر السلطان عليه رأيت بها شخصا

ذكر لي ان له بهامدة سنين مستجير الم يتعرض له السلطان وفي الايام التي كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حتى وقع بينهما الصلح أتيت هذه الزاوية فبت بها في ضيافة الشيخين أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ أبي بكر المذكور وشاهدت لهما فضلا عظيما ولما غسلنا أيدينا من الطعام أخذ أبو العباس من ماء ذلك الماء الذي غسلنا به فشرب منه وبعث الخادم يساقيه الى أهله وأولاده فشربوهم وكذلك يفعلون بمن يتوسمون فيه الخير من الواردين عليهم وكذلك أضافني قاضيها الصالح أبو هاشم عبد الملك الزبيدي وكان يتولى خدمتي وغسل يدي بنفسه ولا يكل ذلك الى غيره ومقبرة من هذه الزاوية تربة سلف السلطان الملك المغيث وهي معظمة عندهم ويستجير بها من طلب حاجة فتعضى له ومن عادة الجند انه اذا تم الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم استجاروا بهذه التربة وأقاموا في جوارها الى ان يعطوا أرزاقهم وعلى مسيرة نصف يوم من هذه المدينة الاحقاف وهي منازل عادوهنالك زاوية ومسجد على ساحل البحر وحوله قرية لصيادي السمك وفي الزاوية قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر عليه أفضل الصلاة والسلام وقد ذكرت ان بمسجد دمشق موضعا عليه مكتوب هذا قبر هود ابن عابر والاشبه أن يكون قبره بالاحقاف لانها بلادهم والله أعلم ولهذه المدينة بساتين فيها موز كثير كبير الجرم وزنت بمحضرى حبة منه فكان وزنها اثنتي عشرة أوقية وهو طيب المطعم شديد الحلاوة وبها أيضا التنبول والنارجيل المعروف بجوز الهند ولا يكونان الا ببلاد الهند ومدينة ظفار هذه لشبه بها بالهند وقربها منها اللهم الا أن في مدينة زبيد في بستان السلطان شجيرات من النارجيل واذ قد وقع ذكر التنبول والنارجيل فلنذكرهما ولنذكر خصائصهما

* (ذكر التنبول) *

والتنبول شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب أو يغرس في مجاورة شجر النارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالي وكما يصعد الغلغل ولا ثمر للتنبول وانما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العليق وأطيبه الا صفر وتجتني أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيما شديدا واذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها الا سيما ان كان أميرا أو كبيرا أو أعطاه عندهم اعظم شأنا وأدل على الكرامة من اعطاء الفضة والذهب وكيفية استعماله ان يؤخذ قبله الغوغل وهو شبه جوز الطيب فيكسر حتى يصير أطرافا صغارا ويجعله الانسان في فيه ويعلم به شمياً يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئا من النورة ويمضغها مع الغوغل وخاصيته انه يطيب النكهة ويذهب برائح الفم ويمضغ الطعام ويقطع ضرر شرب الماء على الريق ويفرح

أكله

أكله ويعين على الجماع ويجعله الانسان عند رأسه ليلا فاذا استيقظ من نومه أو أيقظته زوجته أو جاريته أخذ منه فيذهب بما في فيه من رائحة كريهة ولقد ذكر لي ان جوارى السلطان والامراء ببلاد الهند لا يأكلن غير هوسند كره عند ذكر بلاد الهند

(ذكر النارجيل)

وهو جوز الهند وهذا الشجر من أغرب الاشجار شأواً وأعجبها أمر او شجرة شبه شجر النخل لا فرق بينهما الا ان هذه تثمر جوزا وتلك تثمر تمر او جوزها يشبه رأس ابن آدم لان فيها شبهة العينين والفم ودخلها شبه الدماغ اذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر وهم يصنعون منه حباً لا يخيطون بها المراكب عوضاً من مسامير الحديد ويصنعون منه الحبال للمراكب والجوزة منها وخصوصاً التي بجزائر ذيبة المهل تكون بمقدار رأس الآدمي ويرعون ان حكيماً من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك ومعظمالديه وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معاداة قتال الحكيم للملك ان رأس هذا الوزير اذا قطع ودفن تخرج منه نخلة تثمر بشمر عظيم يعود نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا فقتل له الملك فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته قال ان لم يظهر فاصنع برأسى كما صنعت برأسه فأمر الملك برأس الوزير فقطع وأخذها الحكيم وغرس نواة تمر في دماغه وعالجها حتى صارت شجرة وأثمرت بهذا الجوز وهذه الحكاية من الاكاذيب ولا يمكن ذكرناها لشهرتها عندهم ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن واسراع السمن والزياة في حرة الوجه وأما الاعانة على البساء ففعله فيها عجيب ومن عجائبه انه يكون في ابتداء أمره أخضر فنقطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الخلاوة والبرودة ومن اجه حار معين على البساء فاذا شرب ذلك الماء أخذ قطعة القشرة وجعلها شبه الملعقة وجردها ما في داخل الجوزة من الطعم فيكون طعمه كطعم البيضة اذا شويت ولم يتم نخبها كل التمام ويتغذى به ومنه كان غذائي أيام اقامتي بجزائر ذيبة المهل مدة من عام ونصف عام وعجائبه انه يصنع منه الزيت والحليب والعسل فأما كيفية صناعة العسل منه فان خدام النخل منه ويسمون الفازانية يصعدون الى النخلة غدواً وعشيا اذا أرادوا أخذ ما فيها الذي يصنعون منه العسل وهم يسمونه الاطواق فيقطعون العنق الذي يخرج منه الثمر ويتركون منه مقداراً صبعين ويربطون عليه قدراً صغيرة فيقطر فيها الماء الذي يسيل من العنق فاذا ربطها غدوة صعد اليها عشا ومعه قدحان من قشر الجوز المذكور أحدهما مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العنق في أحد القدحين ويغسله بالماء الذي في القدح الآخر وينجر من العنق قليلاً ويربط عليه القدر ثانية ثم يفعل غدوة كفعلة عشا فاذا اجتمع له الكثير من ذلك الماء طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا صنع منه

الرب قيصر عسلا عظيم النفع طيبا في شتره تجارا الهند واليمن والصين ويحملونه الى بلادهم
ويصنعون منه الخلاء وأما كيفية صنع الحليب منه فان بكل دار شبه الكرسي تجلس فوقه
المرأة ويكون بيدها عصي في أحد طرفيها حديدة مشرفة فيفتحون في الجوزة مقدار ما تدخل
تلك الحديدة ويجرشون ما في باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع في صفة حتى لا يبقى في
داخل الجوزة شيء ثم يمرس ذلك الجرش بالماء فيصير كلون الحليب بياضا ويكون طعمه كطعم
الحليب ويأتم به الناس وأما كيفية صنع الزيت فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه
عن شجره فيزيلون قشره ويقطعون قطعا ويجعل في الشمس فاذا ذبل طحنوه في القدير
واستخرجوا زيته وبه يستصحبون ويأتمون به ويجعله النساء في شعورهن وهو عظيم النفع
(ذكر سلطان ظفار)

وهو السلطان الملك المغيث ابن الملك الفخائر ابن عم ملك اليمن وكان أبوه أمير اعلى ظفار من
قبل صاحب اليمن وله عليه هدية يبعثها له في كل سنة ثم استبد الملك المغيث بملكها وامتنع
من ارسال الهدية وكان من عزم ملك اليمن على محاربتة وتعيين ابن عمه لذلك ووقع الحائط
عليه ما ذكرناه آنفا وللسلطان قصر بداخل المدينة يسمى الحصن عظيم فسيح والجامع بازائه
ومن عادته ان تضرب الطبول والبوقات والانفارات والصرنايات على بابه كل يوم بعد صلاة
العصر وفي كل يوم اثنين وخميس تأتي العساكر الى بابه فيقفون خارج المشور ساعة
وينصرفون والسلطان لا يخرج ولا يراه أحد الا في يوم الجمعة فيخرج للصلاة ثم يعود الى داره
ولا يمنع أحد من دخول المشور وأمير جندار قاعد على بابه واليه ينتهي كل صاحب حاجة أو
شكاية وهو يطالع السلطان ويأتيه الجواب للحسين واذا أراد السلطان الركوب خرجت
مراكبه من القصر وسلاحه ومالكيه الى خارج المدينة وأتى بحمل عليه حمل مستور بستر أبيض
منقوش بالذهب فيركب السلطان ونديمه في الحمل بحيث لا يرى واذا خرج الى بستانه وأحب
ركوب الفرس ركبه ونزل عن الحمل وعادته ان لا يعارضه أحد في طريقه ولا يقف لرؤيته
والشكاية ولا غيرها ومن تعرض لذلك ضرب أشد الضرب فتجد الناس اذا سمعوا بخروج
السلطان فرأوا عن الطريق وتحاموها ووزير هذا السلطان الفقيه محمد العبدني وكان معلم
صبيان فعلم هذا السلطان القراءة والكتابة وعاهده على أن يستوزره ان ملك فلما ملك
استوزره فلم يكن يحسنه فكان الاسم له والحكم لغيره ومن هذه المدينة زكينا البحر يزيد عمان
في مركب صغير لرجل يعرف بعلي بن ادريس المصيري من أهل جزيرة مصيرة وفي الثاني
لركوبنا زكينا بمرسى حاسك وبه ناس من العرب صيادون للسمك ساكنون هنالك وعندهم
شجر الكندر وهو رقيق الورق واذا شرطت الورقة منه قطرها ماء شبه اللبن ثم عاد صمغا

وذلك الصمغ هو اللبان وهو كثير جداً هنالك ولا معيشة لاهل ذلك المرسى الا من صيد السمك
وسمكهم يعرف باللحم (بخاء معجم مفتوح) وهو شبيه كلب البحر يشرح ويتدد ويقتات به
ويبيتهم من عظام السمك وسقفها من جلود الجمال وسرنا من مرسى حاسك أربعة أيام ووصلنا
الى جبل لمعان (بضم اللام) وهو في وسط البحر وبأعلام رابطة مبنية بالحجارة وسقفها من
عظام السمك وبخارجها غدير ماء يجتمع من المطر

*** (ذكر ولى لقيناه بهذا الجبل) ***

ولما أرسينا تحت هذا الجبل صعدناه الى هذه الرابطة فوجدنا بها شيخاناً ثمنا فسلمنا عليه
فاستيقظ وأشار برّد السلام فكلمناه فلم يكلمنا وكان يحرك رأسه فأناه أهل المركب بطعام
فأبى أن يقبله فطلبنا منه الدعاء فكان يحرك شفتيه ولا نعلم ما يقول وعليه مرقعة وقلنسوة لبد
وليس معه ركوة ولا ابريق ولا عكاز ولا نعل وقال أهل المركب انهم مارأوه قط بهذا الجبل
وأقنا تلك الليلة بساحل هذا الجبل وصلينا معه العصر والمغرب وجئناه بطعام فردّه وأقام
يصلى الى العشاء الاخرة ثم أذن وصليناها معه وكان حسن الصوت بالقراءة مجيد الهاولما
فرغ من صلاة العشاء الاخرة أو ما ألبينا بالانصراف فودّعناه وانصرفنا ونحن نحب من
أمره ثم انى أردت الرجوع اليه لما انصرفنا فلما دنوت منه هبته وغلب على الخوف ورجعت
الى أصحابي فانصرفت معهم وركبنا البحر ووصانا بعد يومين الى جزيرة الطير وليست بها
عمارة فأرسلنا وصعدنا اليها فوجدناها ملاحظة بطيور تشبه الشقاشق الا أنها أعظم منها وجاءت
الناس ببويض تلك الطيور فطبخوها وأكلوها واصطادوا جملة من تلك الطيور فطبخوها دون
ذكاة وأكلوها وكان يجالسني تاجر من أهل جزيرة مصيرة ساكن بظفار اسمه مسلم قرأيت
يأكل معهم تلك الطيور فأنكرت ذلك عليه فاشتدّ نجه وقال لي ظننت انهم ذبحوها وانقطع
عنى بعد ذلك من الجبل فكان لا يقربني حتى أدعوه وكان طعامي في تلك الايام بذلك المركب
التمر والسمك وكانوا يصطادون بالغدو والعشى سمكا يسمى بالفارسية شير ماهى ومعناه أسد
السمك لان شير هو الاسد وماهى السمك وهو يشبه الحوت المسمى عندنا بتازرت وهم
يقطعونه قطعاً ويشوونه ويعطون كل من فى المركب قطعة لا يفضاون أحد أعلى أحد
ولا صاحب المركب ولا سواه ويأكلونه بالتمر وكان عندي خبز وكعك استحبتهما من ظفار
فلما نفدنا كنت أقنات من تلك السمك فى جلتهم وعيدنا عيد الاضحي على ظهر البحر وهبت
علينا فى يومه ريح عاصف بعد طلوع الفجر ودامت الى طلوع الشمس وكادت تعرقنا

*** (كرامة) ***

وكان معنا فى المركب حاج من أهل الهند يسمى بنحضر ويدعى بمولانا لانه يحفظ القرآن ويحسن

الكتابة فلما رأى هول البحر لف رأسه بعبادة كانت له وتناوم فلما فرج الله ما نزل بنا قلت له
يا مولانا خضر كيف رأيت قال قد كنت عند الهول أفتح عيني أنظر هل أرى الملائكة الذين
يقبضون الارواح جاؤا فلا أراهم فأقول الحمد لله لو كان الغرق لا توالقبض الارواح ثم أغلق
عيني ثم أفتحها فانظر كذلك الى أن فرج الله عنا وكان قد تقدم منا مركب لبعض التجار فغرق
ولم ينج منه الا رجل واحد خرج عوما بعد جهد شديد وأكثت في ذلك المركب نوعا من الطعام
لم أكله قبله ولا بعده صنعه بعض تجار عمان وهو من الذرة طبخها من غير طحين وصبت عليها
السيلان وهو عسل التمر وأكلناه ثم وصلنا الى جزيرة مصيرة التي منها صاحب المركب الذي كنا
فيه وهي على لفظ مصير وزيادة ثاء التأنيث جزيرة كبيرة لا عيش لاهلها الا من السماء
ولم تنزل اليها بعد مر ساهاء عن الساحل وكنت قد كرهتهم لما رأيتهم سميأ كلون الطير من غير
ذكاة وأقنابها يوما وتوجه صاحب المركب فيه الى داره وعاد اليها ثم سرنا يوما وليلة فوصلنا
الى مرسى قرية كبيرة على ساحل البحر تعرف بصور ورأينا منها مدينة قلعات في سفح جبل
نخيل لنا انها قرية وكان وصولنا الى المرسى وقت الزوال أو قبله فلما ظهرت لنا المدينة أجببت
المشى اليها والمبيت بها وكنت قد كرهت صحبة أهل المركب فسألت عن طريقها فأخبرت اني
أصل اليها عند العصر فاكثرت أحد البحر بين يدي عن طريقها وصحبني خضر الهندي
الذي تقدم ذكره وتركت أصحابي مع ما كان لي بالمركب ليالحقوا بي في غد ذلك اليوم وأخذت
أثوابا كانت لي فدفعتم ذلك الدليل لي كفيئي مؤنة طها وحملت في يدي رحما فاذا ذلك الدليل
يجب أن يستولى على أثوابي فأتى بنا الى خليج يخرج من البحر فيه المد والجزر فأراد عبوره
بالثياب فقلت له انما تعبر وحدك وتترك الثياب عندنا فان قدرنا على الجواز جزنا والا صعدنا
نطلب المجاز فرجع ثم رأينا رجلا جازوه عوما فحققنا انه كان قصده ان يغرقنا ويذهب
بالثياب فينشدا ظهرت النشاط وأخذت بالحزم وشددت وسطى وكنت أهزل رمح فها باني ذلك
الدليل وصعدنا حتى وجدنا مجازا ثم خرجنا الى صحراء لا ماء بها وعطشنا واشتد بنا الامر فبعث
الله لنا فارسا في جماعة من أصحابه ويبدأ أحدهم ركوة ماء فسقاني وسقى صاحبي وذهبتنا
نحسب المدينة قريبة منا وبيننا وبينها خنادق غشى فيها الاميال الكثيرة فلما كان العشي
أراد الدليل أن يميل بنا الى ناحية البحر وهو لا طريق له لان ساحله حجارة فأراد أن تنشب
فيها ويذهب بالثياب فقلت له انما غشى على هذه الطريق التي نحن عليها وبينها وبين البحر
نحو ميل فلما أظلم الليل قال لنا ان المدينة قريبة منا فتعالوا غشى حتى نبيت بخارجها الى
الصباح فخفت أن يتعرض لنا أحد في طريقنا ولم أحقق مقدار ما بقي اليها فقلت له انما الحق
أن تخرج عن الطريق فننام فاذا أصبحنا أتينا المدينة ان شاء الله وكنت قد رايت جملة من

الرجال في سفتح جبل هنالك فحغت أن يكونوا الصوصا وقلت التسترأولى وغلب العطش على صاحبي فلم يوافق على ذلك فخرجت عن الطريق وقصدت شجرة من شجر أم غيلان وقد أعيت وأدركني الجهد لكني أظهرت قوة وتجلدا خوفاً للدليل وأما صاحبي فريض لا قوة له فجعلت الدليل بيني وبين صاحبي وجعلت الثياب بين ثوبي وجسدي وأمسكت الرمح بيدي وورقد صاحبي وورقد الدليل وبقيت ساهرا فكأما تحرك الدليل كلمته وأريته أني مستيقظ ولم نزل كذلك حتى أصبح نخرجنا إلى الطريق فوجدنا الناس ذاهبين بالرافق إلى المدينة فبعثت الدليل ليأتينا بماء وأخذ صاحبي الثياب وكان بيننا وبين المدينة مهاو وخنادق فأنا بالأماء فشرينا وذلك أو أن الحرثم وصلنا إلى مدينة قلها (وضبط اسمها) بفتح القاف واسكان اللام وآخره ناء مثناة) فأتيناها ونحن في جهد عظيم وكنت قد ضاقت نعلي على رجلي حتى كاد الدم أن يخرج من تحت أظفارها فلما وصلنا باب المدينة كان ختام المشقة أن قال لنا الموكل بالباب لا بد لك أن تذهب معي إلى أمير المدينة ليعرف قضيتك ومن أين قدمت فذهبت معه إليه فرأيت أنه فاضل أحسن الأخلاق وسألني عن حالي وأنزلني وأقمت عنده ستة أيام لا قدرة لي فيها على النهوض على قدمي لما لحقها من الآلام ومدينة قلها على الساحل وهي حسنة الأسواق ولها مسجد من أحسن المساجد حيطانه بالقاشاني وهو شبه الزليج وهو مرتفع ينظر منه إلى البحر والمرسى وهو من عمارة الصالحة بيبي مريم ومعنى بيبي عندهم الحرية وأكلت بهذه المدينة سمكاً أكل مثله في إقليم من الأقاليم وكنت أفضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الأرض وياً كلونه والأرز يجلب إليهم من أرض الهند وهم أهل تجارة ومعيشتهم مما يأتى إليهم في البحر الهندي وإذا وصل إليهم مركب فرحوا به أشد الفرح وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب وكل كلمة يتكلمون بها يصلونها بلا فيقولون مثلاً كل لا تمشي لا تفعل كذا لا وأكثرتهم حوارج لكنهم لا يقدر أن على اظهار مذهبهم لأنهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تمتهن ملك هرمز وهو من أهل السنة وبقرية من قلها قرية طيبي واسمها على نحو اسم الطيب إذا أضافه المتكلم لنفسه وهي من أجل القرى وأبدعها حسناً ذات أنهار جارية وأشجار ناضرة وبساتين كثيرة ومنها تجلب الفواكه إلى قلها وبها الموز المعروف بالمرورى والمرورى بالفارسية هو الجوهرى (المرور الجوهري) وهو كثير بهار ويجلب منها إلى هرمز وسواها وبها أيضاً التنبول لكن ورقته صغيرة والتمر يجلب إلى هذه الجهات من عمان ثم قصدنا بلاد عمان فسرنا ستة أيام في صحراء ثم وصلنا بلاد عمان في اليوم السابع وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق نخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة

نزوا (وضبط اسمها بنون مفتوح وزاي مسكن وواو مفتوح) مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والانهار ولها أسواق حسنة ومساجد معظمه نقية وعادة اهلها انهم ياكلون في صحن المسجد يأتي كل انسان بما عنده ويجمعون للكل في صحن المسجد ويأكل معهم الوارد والصادر ولهم نجدة وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم أبدا وهم إباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهرا أربعاء اذا فرغوا منها قرأ الامام آيات من القرآن ونثر كلا ما شبه الخطبة برضى فيه عن أبي بكر وعمر ويسكت عن عثمان وعلى وهم اذا أرادوا ذكر علي رضي الله عنه كانوا عنه بالرجل فقالوا ذكر عن الرجل أو قال الرجل ويرضون عن الشقي الملعين ابن ملجم ويقولون فيه العبد الصالح قام مع الفتنة ونساؤهم يكثرن الفساد ولا غيره عندهم ولا أنكار لذلك وسند كحكاية أثر هذا مما يشهد بذلك

(ذكر سلطان عمان)

وسلطانها عربي من قبيلة الازد بن العوث ويعرف بأبي محمد بن نبهان وأبو محمد عندهم سنة لكل سلطان يلي عمان كما هي أتابكك عند ملوك اللور وعادته ان يجلس خارج باب داره في مجلس هنالك ولا حاجب له ولا وزير ولا يمنع أحد من الدخول اليه من غريب أو غيره ويكرم الضيف على عادة العرب ويعين له الضيافة ويعطيه على قدره وله اخلاق حسنة ويؤكل على مائدته لحم الجزار الانسي ويباع بالسوق لانهم قائلون بتحليله ولكنهم يخفون ذلك عن الوارد عليهم ولا يظهر منه بمحضره ومن مدن عمان مدينة زكي لم أدخلها وهي على ما ذكر في مدينة عظيمة ومنها القرىات وشبوا وكلبا وخور فكان وصحار وكلها ذات أنهار وحدائق وأشجار نخل واكثر هذه البلاد في عمالة هرمز

(حكاية)

كنت يوما عنده هذا السلطان أبي محمد بن نبهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بادية الوجه فوقفت بين يديه وقالت له يا أبا محمد طغي الشيطان في رأسي فقال لها اذهبي واطردى الشيطان فقالت له لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد فقال لها اذهبي فافعلي ما شئت فذكر لي لما انصرفت عنه ان هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذوق ربتها أن يغيروا عليها وان قتلوها قتلوا بها لانها في جوار السلطان ثم سافرت من بلاد عمان الى بلاد هرمز وهرمز مدينة على ساحل البحر وتسمى أيضا موغ استان وتقابلها في البحر هرمز الجديدة وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ ووصلنا الى هرمز الجديدة وهي جزيرة مدينتها تسمى جرون (بفتح الجيم والراء وآخرها نون) وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي من سي الهند والسند ومنها تجمل سلع الهند الى العراقيين وفارس وخراسان وبهذه

المدينة

المدينة سكنتى السلطان والجزيرة التى فيها المدينة مسيرة يوم وأكثرها سباح وجبال ملح وهو الملح الدارنى ومنه يصنعون الاوانى للزينة والمنارات التى يضعون السرج عليها وطعامهم السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة وعمان ويقولون بلسانهم خرما وماهى لوت بادشاهى معناد بالعربى التمر والسمك طعام الملوك والماء فى هذه الجزيرة قىمة وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة يجتمع فيها ماء المطر وهى على بعد من المدينة ويأتون اليها بالقرب فيملؤنها ويرفعونها على ظهورهم الى البحر يوسقونها فى القوارب ويأتون بها الى المدينة ورأيت من الجحائب عند باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كانه راية وعيناه كأنهما بابان فترى الناس يدخلون من احدهما ويخرجون من الاخرى ولقيت به هذه المدينة الشيخ الصالح السامح ابا الحسن الاقصارانى واصله من بلاد الروم فأضافنى وزارنى والبسنى ثوبا واعطانى كمر الصبغة وهو يحجب به فيعين الجالس فيه كونه مستند وأكثر فقراء العجم ينقلدونه وعلى ستة أميال من هذه المدينة ضار ينسب الى الخضر والياس عليهم السلام يذكرانها يصليان فيه وظهرت له بركات وبراهين وهنالك زاوية يسكنها احد المشايخ يخدم بها الوارد والصادر واقناعه يومما وقصدنا من هنالك زيارة رجل صالح منقطع فى آخر هذه الجزيرة قد نحت غارا سكنا فيه زاوية ومجلس ودار صغيرة له فيها جارية وله عبيد خارج الغار يرعون بقرا له وغنما وكان هذا الرجل من كبار التجار ففتح البيت وقطع العلائق وانقطع هنالك للعبادة ودفع ماله لرجل من اخوانه يتجر له به وبتنا عنده ليلة فاحسن القرى واجل رضى الله تعالى عنه وسيمية الخبر والعبادة لاثمة عليه

(ذكر سلطان هرمن)

وعوال السلطان قطب الدين تمهت بن طوران شاه (وضبط اسمه بفتح التائين المعلوتين وبينهما ميم مفتوح وهاء مسكنة وآخره نون) وهو من كرماء السلاطين كثير التواضع حسن الاخلاق وعادته ان يأتى لزيارة كل من يقدم عليه من فقيه أو صالح أو شريف ويقوم بحقه ولما دخلنا جزيرته وجدناه متهيأ للحرب مشغولا بهم امع ابنى أخيه نظام الدين فكان فى كل ليلة يتيسر للقتال والغلاء مستول على الجزيرة فأتى اليها وزيره شمس الدين محمد بن على وقاضيه عماد الدين الشونكارى وجماعة من الفضلاء فاعتذروا بجاههم عليه من مباشرة الحرب وأقننا عندهم ستة عشر يوما فلما أردنا الانصراف قلت لبعض الاصحاب كيف تنصرف ولا ترى هذا السلطان جفنا دار الوزير وكانت فى جوار الزاوية التى نزلت بها فقلت له انى أريد السلام على الملك فقال بسم الله وأخذ يدي فذهب بي الى داره وهى على ساحل البحر والاجفان يجلسه عندها فاذا شيخ عليه أقبية ضيقة دنسة وعلى رأسه عمامة وهو مشدود الوسط بمنديل

فسلم عليه الوزير وسلمت عليه ولم أعرف انه الملك وكان الى جانبه ابن أخته وهو على شاه بن جلال الدين الكيحي وكانت بيني وبينه معرفة فأنشأت أحادثه وأنا لا أعرف الملك فعرفني الوزير بذلك فجلست منه لا قبالي بالحديث على ابن أخته دونه واعتذرت اليه ثم قام فدخل داره وتبعه الامراء والوزراء وأرباب الدولة ودخلت مع الوزير فوجدناه قاعدا على سرير ملكه وثيابه عليه لم يبد لها وفي يده سحجة جوهر لم تر العيون مثلها لان مغاصات الجوهر تحت حكمه بخلس أحد الامراء الى جانبه وجلست الى جانب ذلك الأمير وسألتني عن حالي ومقدمي وعن لقيته من الملوك فأخبرته بذلك وحضر الطعام فأكل الحاضرون ولم يأكل معهم ثم قام فوادعته وانصرفت وبسبب الحرب التي بينه وبين ابني أخيه انه ركب البحر مرة من مدينته الجديدة برسم النزهة في هرمن القديمة وبساتينها وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ كما قد مناه خالف عليه أخوه نظام الدين ودعى لنفسه وبإيعه أهل الجزيرة وبإيعته العساكر خاف قطب الدين على نفسه وركب البحر الى مدينة قلعات التي تقدم ذكرها وهي من جملة بلاد فأقام بها شهورا وجهز المراكب وأتى الجزيرة فقاتله أهلها مع أخيه وهزموه وعاد الى قلعات وفعل ذلك مرارا فلم تكن له حيلة الا ان راسل بعض نساء أخيه فسمته ومات وأتى هو الى الجزيرة فدخلها وفرا ابنا أخيه بالخرائن والاموال والعساكر الى جزيرة قيس حيث مغاص الجوهر وصاروا يقطعون الطريق على من يقصد الجزيرة من أهل الهند والسند ويغيرون على بلاده البحرية حتى تخرب معظمها ثم سافروا من مدينة جرون برسم لقار جل صالح ببلد خنج بال فلما عدنا البحر اكثرينادوا ب من التركمان وهم سكان تلك البلاد ولا يسافر فيها الا معهم لشجاعتهم ومعرفتهم بالطرق وفيها صحراء مسيرة أربع يقطع بها الطريق لصومس الاعراب وتهب فيها ريح السموم في شهرى تموز وخيران فمن صادقه فيها اقتلته ولقد ذكر لي ان الرجل اذا قتله تلك الريح وأراد أصحابه غسله ينقل كل عضو منه عن سائر الاعضاء وبها قبور كثيرة للذين ماتوا فيها بهذه الريح وكان سافرا فيها بالليل فاذا طلعت الشمس نزلنا تحت ظلال الاشجار من أم غيلان ونرحل بعد العصر الى طلوع الشمس وفي هذه الصحراء وما والاها كان يقطع الطريق بها جمال الملك (اللوك) الشهير الاسم هنالك

(حكاية)*

كان جمال الملك من أهل سجستان أعجمى الاصل (واللك بضم اللام) معناه الاقطع وكانت يده قطعت في بعض حروبه وكانت له جماعة كثيرة من فرسان الاعراب والاعاجم يقطع بهم الطرق وكان بيني الزوايا ويطعم الوارد والصادر من الاموال التي يسلمها من الناس ويقال انه كان يدعو ان لا يسلط الاعلى من لا يزكى ماله وأقام على ذلك دهورا وكان يغير هو وفرسانه

ويسلمكون

ويسلكون برارى لا يعرفها سواهم ويدفنون بمقرب الماء ورأياها فاذا تبعهم عسكر السلطان دخلوا الصحراء واستخرجوا المياه ويرجع العسكر عنهم خوفا من الهلاك وأقام على هذه الحالة مدة لا يقدر عليه ملك العراق ولا غيره ثم تاب وتعبس حتى مات وقبره يزاريه بلاده وسلكنا هذه الصحراء الى أن وصلنا الى كورستان (وضبط اسمه بفتح الكاف واسكان الواو وراء) وهو بلد صغير فيه الانهار والبساتين وهو شديد الحر ثم سرنا منه ثلاثة أيام في صحراء مثل التي تقدمت ووصلنا الى مدينة لار (وأخر اسمها راء) مدينة كبيرة كثيرة العيون والمياه المطردة والبساتين ولها أسواق حسان ونزلنا منهاراوية الشيخ العابد أبي دلف محمد وهو الذى قصدنا زيارته بخنيج بال وبهذه الزاوية ولده أبو زيد عبد الرحمن ومعه جماعة من الفقراء ومن عادتهم انهم يجتمعون بالزاوية بعد صلاة العصر من كل يوم ثم يطوفون على دور المدينة فيعطاهم من كل دار الرغيف والرغيفان فيطعمون منها الوارد والمصادر وأهل الدور قد ألغوا ذلك فهم يجعلونه فى جملة قوتهم ويعدونه لهم اعانة على اطعام الطعام وفى كل ليلة جمعة يجتمع بهذه الزاوية فقراء المدينة وصلحاءها ويأتى كل منهم بما تيسر له من الدراهم فيجمعونها وينفقونها تلك الليلة ويبسيتون فى عبادة من الصلاة والذكر والتلاوة وينصرفون بعد صلاة الصبح

* (ذكر سلطان لار) *

وبهذه المدينة سلطان يسمى بجلال الدين تركمانى الاصل يعث الينا بضيافة ولم نجتمع به ولا رأينا ثم سافرنا الى مدينة خنيج بال (وضبط اسمها بضم الخاء المعجم وقد يعوض منه هاء واسكان النون وضم الجيم وباء معقودة وألف ولام) وبها سكنى الشيخ أبى دلف الذى قصدنا زيارته وبرأوية نزلنا ولما دخلت الزاوية رأيته قاعدا بناحية منها على التراب وعليه جبة صوف خضراء بالية وعلى رأسه عمامة صوف سوداء فسلمت عليه فأحسن الرد وسألنى عن مقدمى وىلادى وأنزلنى وكان يبعث الى الطعام والفاكهة مع ولده من الصالحين كثير الخشوع والتواضع صائم الدهر كثير الصلاة ولهذا الشيخ أبى دلف شأن عجيب وأمر غريب فان نفقته فى هذه الزاوية عظيمة وهو يعطى العطاء الجزيل ويكسو الناس ويركبهم الخيل ويحسن لكل وارد ومصادر ولم أرى فى تلك البلاد مثله ولا أعلم له جهة الا ما يصله من الاخوان والاصحاب حتى زعم كثير من الناس انه ينفق من الكون وفى زاويته المذكورة قبر الشيخ الولي الصالح القطب دانيال وله اسم بتلك البلاد شهير وشأن فى الولاية كبير وعلى قبره قبة عظيمة بناها السلطان قطب الدين تمهتين بن طوران شاه وأقت عند الشيخ أبى دلف يوما واحدا لاستعمال الرفقة التي كنت فى صحبتها وسمعت ان بالمدينة خنيج بال المذكورة زاوية فيها جملة من الصالحين

المتعبدين فرحت اليها بالعشى وسلمت على شيخهم وعليهم ورأيت جماعة مباركة قد أثرت فيهم العبادة فهم صفرا لالوان تخاف الجسوم كثير والبكاء غزير والدموع وعند وصولي اليهم أنوا بالطعام فقال كبيرهم ادع الى ولدي محمد وكان معتزلا في بعض نواحي الزاوية فجاء الينا الولد وهو كأنما خرج من قبر مما نكته العبادة فسلم وقعد فقال له أبوه يا بني شارك هؤلاء الواردين في الاكل تنل من بركاتهم وكان صائما فافطرمعنا وهم شافعية المذهب فلما فرغنا من أكل الطعام دعونا لنا وانصرفنا ثم سافرنا منها الى مدينة قيس وتسمى أيضا بسيراف وهي على ساحل بحر الهند المتصل ببحر اليمن وفارس وعدادها في كور فارس مدينة لها انفساح وسعة طيبة البقعة في دورها بساتين بحجية فيها الرياحين والاشجار الناضرة وشرب أهلها من عيون متبعثة من جبالها وهم عجم من الفرس اشراف وفيهم طائفة من عرب بني سفاف وهم الذين يغوصون على الجوهر

* (ذكر مغاص الجوهر) *

ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم فاذا كان شهر ابريل وشهر ماية تأتى اليه القوارب الكثيرة فيها الغواصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويجعل الغواص على وجهه مهما أراد ان يغوص شيئا يكسوه من عظم الغنم وهي السلخفة ويصنع من هذا العظم أيضا شكلا يشبه المقراض يشده على أنفه ثم يربط حبالا في وسطه ويغوص ويتفاوتون في الصبر في الماء فبهم من يصبر الساعة والساعتين فادون ذلك فاذا وصل الى قعر البحر يجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتا في الرمل فيقتلعه بيده أو يقطعه بحديدة عنده معدة لذلك ويجعلها في مخللة جلد منوطة بعنقه فاذا ضاق نفسه حرك الحبل فيحس به الرجل المسك للحبل على الساحل فيرفعه الى القارب فتؤخذ منه المخللة ويفتح الصدف فيوجد في أجوافها قطع لحم تقطع بحديدة فاذا باشرت الهواء جدت فصارت جواهر فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خسه والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب وأكثرهم يكرن له الدين على الغواصين فيأخذ الجوهر في دينه أو ما وجب له منه ثم سافرنا من سيراف الى مدينة البحرين وهي مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين وأشجار وأنهار وماؤها قريب المؤنة يحفر عليه بالأيدي فيوجد فيها حدائق النخل والمان والارج وزرعها القطن وهي شديدة الحر كثيرة الرمال وربما غلب الرمل على بعض منازلها وكان فيما بينها وبين عمان طريق استولت عليه الرمال وانقطع فلا يوصل من عمان اليها الا في البحر وبالتقرب منها جبلان عظيمان يسمى أحدهما بكسير وهو في غربيها ويسمى الآخر بعوير وهو في شرقيها وبهما ضرب المثل فقيل كسير وعوير وكل غير خير ثم سافرنا الى مدينة

القطيف (وعبث اسمها بضم التاء) كأنه تصغير قطف وهي مدينة كبيرة حسنة ذات
نخل كثير يسكنها طوائف العرب وهم رافضية غلاة يظهرون الرضا جهارا لا يتقون احدا
ويقول مؤذنه في أذانه بعد الشهادتين أشهد أن عليا ولي الله ويزيد بعد الحيعلتين حتى على
خير العمل ويزيد بعد التكبير الاخير محمد وعلى خير البشر من خالفهما فقد كفر ثم سافرونا
منها الى مدينة هجر وتسمى الآن بالحسا (بفتح الحاء والسين واهمالها) وهي التي يضرب
المثل بها فيقال بكباب التمر الى هجر وبها من النخيل ما ليس ببلد سواها ومنه يعلفون دوابهم
وأهلها عرب وأكثرهم من قبيلة عبد القيس بن أقصى ثم سافرونا منها الى مدينة اليمامة وتسمى
أيضا بجحر (بفتح الحاء المهملة واسكان الجيم) مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار
يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة وهي بلدهم قديما وأميرهم طفيل بن غانم
ثم سافرت منها في صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك في سنة ثنتين وثلاثين فوصلت الى مكة
شرفها الله تعالى وحي في تلك السنة الملك الناصر سلطان مصر رحمه الله وجملة من أمراته
وهي آخر حجة حجها وأجل الاحسان لاهل الحرم الشريفين وللمجاورين وفيها قتل الملك
الناصر أمير أحمد الذي يذكر انه ولده وقتل أيمنها كبير امراته بكتور الساق

(حكاية)

ذكر ان الملك الناصر وهب لبكتور الساق جارية فلما أراد ان يؤمنها قالت له اني حامل من
الملك الناصر فاعتزلها وولدت ولدا سمياه بأمر أحمد ونشأ في حجره فظهرت نجابته واشتهر بابن
الملك الناصر فلما كان في هذه الحجة تعاودا على الفتك بالملك الناصر وان يتولى أمير أحمد
الملك وحمل بكتور معه العلامات والطبول والكسوات والاموال فمضى الخبر الى الملك الناصر
فبعث الى أمير أحمد في يوم شديد الحر فدخل عليه وبين يديه أقذاح الشرب فشرب الملك
الناصر قدحا وناول أمير أحمد قدحا ثانيا فيه السم فشربه وأمر بالرحيل في تلك الساعة ليشتغل
الوقت فرحل الناس ولم يبلغوا المنزل حتى مات أمير أحمد فاكثر بكتور لموته وقطع أثوابه
وامتنع من الطعام والشراب وبلغ خبره الى الملك الناصر فأتاب بنفسه ولاطفه وسلاه وأخذ
قدحا فيه سم فناولها وقال له بحياتي عليك ألا تشربت فبردت نار قلبك فشربه ومات من
حينه ووجد عنده خلع السلطنة والاموال فتحقق ما نسب اليه من الفتك بالملك الناصر
ولما انقضى الحج توجهت الى جدة برسم ركوب البحر الى اليمن وانفذ فلم يقض لي ذلك ولانائي
لي رفيق وأقت بجدة فحوار بعين يوما وكان به امر كبير لرجل يعرف بعبد الله التونسي يروم
السفر الى القصير من عمالة قوص فصعدت اليه لانظر حاله فلم يرضني ولا طابت نفسي بالسفر
فيه وكان ذلك لطف من الله تعالى فانه سافر فلما توسط البحر غرق بموضع يقال له رأس أبي محمد

فخرج صاحبه وبعض التجار في العشارى بعد جهد عظيم وأشرفوا على الهلاك وهلك بعضهم وغرق سائر الناس وكان فيه نحو سبعين من الخجاج ثم ركب البحر بعد ذلك في صنبوق برسم عذاب فردتنا الريح الى مرسى يعرف برأس دواير وسافرنا منه في البر مع الجحاة فسلطنا صغراء كثيرة النعام والغزلان فيها عرب جهينة وبنى كاهل وطاعتهم الجحاة ووردنا ماء يعرف بمفرور وماء يعرف بالجديد ونفذ زادنا فاشترينا من قوم من الجحاة وجدناهم بالفلاة أغناسا وتزودنا لحومها ورأيت بهذه الفلاة صبيانا من العرب كلنى باللسان العربى وأخبرنى ان الجحاة أسروهم وزعم انه منذ عام لم يأكل طعاما انما يقتات بالابل ونفذ لنا بعد ذلك اللحم الذى اشتريناه ولم يبق لنا زاد وكان عندى نحو جمل من التمر الصيخانى والبر فى برسم الهدية لاصحابى ففرقته على الرفقة وتزودناه ثلاثا وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دواير وصلنا الى عذاب وكان قد تقدم اليها بعض الرفقة فتلقانا أهلها بالخبز والتمر والماء وأقنابها أيا ما واكثرنا الجمال وخرجنا صحبة طائفة من عرب دغيم ووردنا ماء يعرف بالجندب ولعله (الخبيب) وحلانا بجيثرا حيث قبرولى الله تعالى أبى الحسن الشاذلى وحصلت لنا زيارته ثانية وبتنا فى جواره ثم وصلنا الى قرية العطوانى وهى على ضفة النيل مقابلة لمدينة أدفوم من الصعيد الاعلى وأجزنا النيل الى مدينة اسنا ثم الى مدينة أرمنت ثم الى الاقصر ووزرنا الشيخ أبا الخجاج الاقصرى ثانية ثم الى مدينة قوص ثم الى مدينة قنا ووزرنا الشيخ عبد الرحيم القناوى ثانية ثم الى مدينة هو ثم الى مدينة اخميم ثم الى مدينة أسيوط ثم الى مدينة منفلوط ثم الى مدينة منلوى ثم الى مدينة الاشمونين ثم الى مدينة منية ابن الخبيب ثم الى مدينة البهنسة ثم الى مدينة بوش ثم الى مدينة منية القائد وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد ثم الى مصر وأقمت بها أياما وسافرت على طريق بلبيس الى الشام ورافقتنى الحاج عبد الله بن أبى بكر بن الفرحان التوزرى ولم يزل فى صحبتى سنين الى أن خرجنا من بلاد الهند فتوفى بسندابور وسند كر ذلك فوصلنا الى مدينة غزة ثم الى مدينة الخليل عليه السلام وتكررت لنا زيارته ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الرملة ثم الى مدينة عكا ثم الى مدينة طرابلس ثم الى مدينة جبلة ووزرنا ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ثانية ثم الى مدينة اللاذقية وقد تقدم لنا ذكر هذه البلاد كلها ومن اللاذقية ركبنا البحر فى قرقورة كبيرة للجنوبيين يسمى صاحبها برتلين وقصدنا بر التركية المعروف ببلاد الروم وانما نسبت الى الروم لانها كانت بلادهم فى القديم ومنها الروم الاقدمون واليونانية ثم استفتحها المسلمون وبها الآن كثير من النصارى تحت ذمة المسلمين من التركان وسرنا فى البحر عشرين ابريق طيبة وأكرمنا النصرا فى ولم يأخذ منا نولا وفى العاشر وصلنا الى مدينة العلايا وهى أول بلاد الروم وهذا الاقليم المعروف ببلاد الروم من أحسن أقاليم الدنيا

وقد جمع الله فيه ما تفرق من المحاسن في البلاد فأهل به أجل الناس صوراً وانظفهم ملابس وأطيبهم مطاعم وأكثر خلق الله شفقة ولذلك يقال البركة في الشام والشفقة في الروم وانما عني به أهل هذه البلاد وكناه في نزلنا بهذه البلاد زاوية أوداراً يفتقد أحوالنا جيراننا من الرجال والنساء وهن لا يحببن فاذا سافرناعنهم ودعونا كانهم أقاربنا وأهلنا وترى النساء باكات لفراقنا متأسفات ومن عاداتهم بتلك البلاد ان ينزوا الخبز في يوم واحد من الجمعة يعدون فيه ما يقوتهم سائرهما فكان رجالهم يأنون الزينة بالخبز الحار في يوم خبزهم ومعه الأدام الطيب إظهاراً للنابذك ويقولون لنا ان النساء يعثن هذا اليكم وهن يطلبن منكم الدعاء وجميع أهل هذه البلاد على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه مقيمين على السنة لا قدرى فيهم ولا رافضى ولا معتزلى ولا خارجى ولا مبتدع وتلك فضيلة خصهم الله تعالى بها الا انهم يأكلون الخشيش ولا يعيبون ذلك ومدينة العلايا التي ذكرناها كبيرة على ساحل البحر يسكنها التركمان وينزلها تجار مصر واسكندرية والشام وهي كثيرة الخشب ومنها يحمل الى اسكندرية ودمياط ويحمل منها الى سائر بلاد مصر ولها قلعة بأعلاها عجيبه منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين الرومى ولقيت بهذه المدينة قاضيها جلال الدين الارزنجاني وصعد معي الى القلعة يوم الجمعة فصلينا بها وأضافني وأكرمني وأضافني أيضاً بهاشم الدين بن الرجيحاني الذي توفي أبوه علاء الدين بمالي من بلاد السودان

(ذكر سلطان العلايا)

وفي يوم السبت ركب معي القاضي جلال الدين وتوجهنا الى لقاء ملك العلايا وهو يوسف بك وسعني بك الملك ابن قرمان (بفتح القاف والراء) ومسكنه على عشرة أميال من المدينة فوجدناه قاعداً على الساحل وحده فوق رابية عنالك والامراء والوزراء أسفل منه والاجناد عن يمينه ويساره وهو مخضوب الشعر بالسواد فسلمت عليه وسألني عن مقدمي فأخبرته عما سأل وانصرفت عنه وبعث الى احساناوسافرت من هنالك الى مدينة انطاكية (وضبط اسمها بفتح الهمزة واسكان النون وفتح الطاء المهمل وألف ولا م مكسور وياء آخر الحروف) وأما التي بالشام فهي انطاكية على وزنها الآن الكاف عوض عن اللام وهي من احسن المدن متناهية في اتساع الساحة والضخامة أجمل ما يرى من البلاد وأكثر عمارة وأحسنه ترتيباً وكل فرقة من سكانها منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى فتجار الانصارى ما كثون منها بالموضع المعروف بالميناء وعليهم سور تسد أبوابه عليهم ليلاً وعند صلاة الجمعة والروم الذين كانوا أهلها قديماً ساكنون بموضع آخر منفردين به وعليهم أيضاً سور واليهود في موضع آخر وعليهم سور والملك وأهل دولته ومماليكه يسكنون ببلدة عليها أيضاً سور يحيط بها ويفرق بينها وبين ما ذكرناه

من الفرق وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة وحمامات كثيرة وأسواق ضخمة مرتبة بأبدع ترتيب وعليها سور عظيم يحيط بها وبجميع المواضع التي ذكرناها وفيها البساتين الكثيرة والفواكه الطيبة والمشمش العجيب المسمى عندهم بثمر الدين وفي نواته لوز حلو وهو يابس ويحمل إلى ديار مصر وهو بهامستظرف وفيها عيون الماء الطيب العذب الشديد البرودة في أيام الصيف نزلنا من هذه المدينة بمدرستها وشيخها شهاب الدين الجوى ومن عادتهم أن يقرأ جماعة من الصبيان بالأصوات الحسان بعد العصر من كل يوم في المسجد الجامع وفي المدرسة أيضا سورة الفتح وسورة الملك وسورة عم

* (ذكر الأخية الفتيان) *

وأحد الأخية أنى على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلم إلى نفسه وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتقالا بالغباء من الناس وأسرع إلى اطعام الطعام وقضاء الخواجج والاحذ على أيدي الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر والأخية عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الاعزاب والمتجردين ويقدمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضا ويبنى زاوية ويجعل فيها الفرش والسرير وما يحتاج إليه من الآلات ويخدم أصحابه بالنهار في طلب معاشهم ويأتون إليه بعد العصر بما يجتمع لهم فيشترون به الفواكه والطعام إلى غير ذلك مما ينفق في الزاوية فان ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم وكان ذلك ضيافته لديهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يردوا ردا جمعا وعاهم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلى صناعتهم بالغدو وأتوا بعد العصر إلى مقدمهم بما جمعت لهم ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم كما ذكرنا الأخية ولم أرى في الدنيا أجمل أفعالا منهم ويشبههم في أفعالهم أهل شيراز واصفهان الآن هؤلاء أحب في الوارد والصادر وأعظم أكرامه وشفقة عليه وفي الثاني من يوم وصولنا إلى هذه المدينة أتى أحد هؤلاء الفتيان إلى الشيخ شهاب الدين الجوى وتكلم معه باللسان التركى ولم أكن يومئذ أفهمه وكان عليه أثواب خلقة وعلى رأسه قلنسوة لبد فقال لي الشيخ أتعلم ما يقول هذا الرجل فقلت لا أعلم ما قال فقال لي انه يدعوك إلى ضيافته أنت وأصحابك فحجبت منه وقلت له نعم فلما انصرف قلت للشيخ هذا رجل ضعيف ولا قدرة له على تضييفنا ولا نريد ان نكلفه فضحك الشيخ وقال لي هذا أحد شبوخ الفتيان الأخية وهو من الخرازين وفيه كرم نفس وأصحابه نحو ما تبتين من أهل الصناعات قد قدموه على أنفسهم وبنوا زاوية للضيافة وما يجتمع لهم بالنهار نفقة وبه بالليل فلما صليت المغرب عاد إلينا ذلك الرجل

وذهبنا معه الى زاويته فوجدنا زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان وبها الكثير من ثريات الزجاج العراقي وفي المجلس خمسة من البياسيس والبيدسوس شبه المنارة من النحاس له أربع ثلاث وعلى رأسه شبه جلاس من النحاس وفي وسطه انبوب الفتيلة ويملاً من الشحم المذاب والى جانبه آنية نحاس مملأة بالشحم وفيها مقراض لاصلاح الفتيل وأحدهم موكل بها ويسمى عندهم الخراجي (الخراجي) وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ولباسهم الاقبية وفي أرجلهم الاخفاف وكل واحد منهم متحزم على وسطه سكين في طول ذراعين وعلى رؤسهم قلانس بيض من الصوف بأعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض أصبعين فاذا استقروا في المجلس نزع كل واحد منهم قلنسوته ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزردخاني وسواء حسنة المنظر وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين ولما استقروا في المجلس عندهم أتوا بالطعام الكثير والفاكهة والحلواء ثم أخذوا في الغناء والرقص فراقناهم وطال عجبنا من سماحهم وكرم أنفسهم وانصرفنا عنهم آخر الليل وتركناهم براويشهم

* (ذكر سلطان انطالية) *

وسلطانها خضر بك بن يونس بك وجدنا عند وصولنا اليها عليلاً قد خلدنا عليه بداره وهو في فراش المرض فكلمنا بالطف كلاماً وأحسنه وودعناه وبعث اليها باحسان وسافرنا الى بلدة بردور (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وضم الدال المهمل وواو وراء) وهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا بداً رخطيبتها واجتمعت الاخوية وأرادوا انزلنا عندهم فأبى عليهم الخطيب فصنعوا لنا ضيافة في بستان لاحدهم وذهبوا بنا اليها فكان من العجائب اظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون لساننا ونحن لا نعرف لسانهم ولا ترجمان فيما بيننا وانا عندهم يوماً وانصرفنا ثم سافرنا من هذه البلدة الى بلدة سبرتانا (وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة واسكان الراء وفتح التاء المعلقة والفاء) وهي بلدة حسنة العمارة والاسواق كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شاهق وصلنا اليها بالعشي ونزلنا عند قاضيها وسافرنا منها الى مدينة اكر يدور (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مدودال مهمل مضوم وواو مد وراء) مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات انهار واشجار وبساتين ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المراكب فيها يومين الى اقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى ونزلنا منها بمدرسة تقابل الجامع الاعظم بالمدرس العالم الحاج المحاور الفاضل مصلح الدين قراً بالديار

المصرية والشام وسكن العراق مدة وهو فصيح اللسان حسن البيان أطروفة من طرف الزمان اكرمنا غاية الاكرام وقام بحقنا احسن قيام
* (ذكر سلطان اكر يدور) *

وسلطانها ابواسحاق بك بن الدندار بك من كبار سلاطين تلك البلاد سكن ديار مصر أيام ابيه و حج وله سير حسنة ومن عادته انه يأتي كل يوم الى صلاة العصر بالمسجد الجامع فاذا قضيت صلاة العصر استند الى جدار القبلة وتعد القراء بين يديه على مصطبة خشب عالية فقرأ سورة الفتح والملك وعم باصوات حسان فعالة في النفوس تخشع لها القلوب وتتشعر الجلود وتد مع العيون ثم ينصرف الى داره واظلمنا عند شهر رمضان فكان يقعد في كل ليلة منه على فراش لاصق بالارض من غير سرير ويستند الى مخدة كبيرة ويجلس الفقيه مصحح الدين الى جانبه واجلس الى جانب الفقيه ويلينأر باب دولته وامراء حضرته ثم يؤتى بالطعام فيكون أول ما يفتار عليه ثريد في صحفة صغيرة عليه العدس مسقي بالسمن والسكر ويقدمون الثريد تبركا ويقلون ان النبي صلى الله عليه وسلم فضله على سائر الطعام فحينئذ يأبه لتفضيل النبي له ثم يؤتى بسائر الاطعمة وهكذا فعلهم في جميع ليالي رمضان وتوفي في بعض تلك الايام ولد السلطان فلم يزدوا على بكاء الرجة كما يفعل اهل مصر والشام خلافا لما قدمناه من فعل اهل اللور حين مات ولد سلطانهم فلما دفن أقام السلطان والطلبة ثلاثة أيام يخرجون الى قبره بعد صلاة الصبح وفي ثاني يوم من دفنه خرجت مع الناس فرآني السلطان ماشيا على رجلى فبعث لي بفرس واعتذر فلما وصلت المدرسة بعثت الفرس فردّه وقال انما أعطيته عطية لا عارية وبعث الى بكسوة ودراهم فانصرفنا الى مدينة قل حصار (وضبط اسمها بضم القاف واسكان اللام ثم جاء مهمل مكسور وصاد مهمل وآخره راء) مدينة صغيرة بها المياه من كل جانب قد نبئت فيها القصب فلا طريق لها الا طريق كالجسر مهيأ ما بين القصب والمياه لا يسع الا فارسا واحدا والمدينة على تل في وسط المياه منيعة لا يقدر عليها وزلنا براوية أحد القتيان الاخية بها

* (ذكر سلطان قل حصار) *

وسلطانها محمد چاي وچاي (بجيم معقود ولام مفتوحين وباء موحدة وياء) وتفسيره بلسان الروم سيدى وهو أخو السلطان أبى اسحاق ملك اكر يدور ولما وصلنا بمدينة كان غائب عنها فأقنابها اياما ثم قدم فاکر منا واركبنا وزودنا وانصرفنا على طريق قراغاج وقرأ (بفتح القاف) تفسيره أسود (وأعاج بفتح الهمزة والغين المعجم وآخره جيم) تفسيره الخشب وهى صحراء خضرة يسكنها التركمان وبعث معنا السلطان فرسانا يبلغوننا الى مدينة لاذق بسبب ان هذه الصحراء

يقطع الطريق فيها طائفة يقال لهم الجرميان يذكرونهم من ذرية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها كوتاهية نعصمنا الله منهم ووصلنا الى مدينة لاذق (وهي بكسر الذا ل المعجم وبعده قاف) وتسمى أيضا دون غزله وتفسر ديلدا الخنازير وهي من أبدع المدن وأضخمها وفيها سبعة من المساجد لا قامه الجمعة ولها البساتين الرائقة والانهار المطردة والعيون المنبوعة وأسواقها حسان وتصنع بها ثياب قطن معلمة بالذهب لا مثل لها تطول أعمارها الصحة قطنها وقوة غزها وهذه الثياب معروفة بالنسبة اليها وأكثر الصنائع بها نساء الروم وبها من الروم كثير تحت الذمة وعليهم وظائف للسلطان من الجزية وسواها وعلامة الروم بها القلائس الطوال منها الجر والبيض ونساء الروم لمن عمام كبر وأهل هذه المدينة لا يغيرون المنكر بل كذلك أهل هذا الاقليم كله وهم يشتركون الجوارى الروميات الحسان ويتركونهن للفساد وكل واحدة عليها وظيفة لما لكها تؤدبه له رسمت هنالك ان الجوارى يدخلن الحمام مع الرجال فمن أراد الفساد فعل ذلك بالحمام من غير منكر عليه وذكر لي ان القاضي به الله جوار على هذه الصورة وعند دخولنا هذه المدينة مررنا بسوق لها فنزل الينار جال من حوانيتهم وأخذوا بأعنة خيلنا ونازعهم في ذلك رجال آخرون وطال بينهم النزاع حتى سل بعضهم السكاكين على بعض ونحن لانعلم ما يقولون فحفظنا منهم وظننا انهم الجرميان الذين يقطعون الطرق وان تلك مدينتهم وحسبنا انهم يريدون نهبنا ثم بعث الله لنا رجلا حاجا يعرف اللسان العربي فسأله عن مرادهم مناقمنا انهم من الفتيان وان الذين سبقوا الينا أولا هم أصحاب الفتى أخى سنان والآخرون أصحاب الفتى أخى طومان وكل طائفة ترغب أن يكون نزولكم عندهم فحجبنا من كرم نفوسهم ثم وقع بينهم الصلح على المقارعة فمن كانت قرعته نزلنا عنده أولا فوقع قرعة أخى سنان وبلغه ذلك فأتى الينا فى جماعة من أصحابه فسلوا علينا ونزلنا براوية له وأتى بأنواع الطعام ثم ذهب بنا الى الحمام ودخل معنا وتولى خدمتى بنفسه وتولى أصحابه خدمة أصحابى يخدم الثلاثة والاربعة الواحد منهم ثم خرجنا من الحمام فأتوا بطعام عظيم وحلوا وفاقه كهيئة كثيرة وبعد الفراغ من الاكل قرأ القراء آيات من الكتاب العزيز ثم أخذوا فى السماع والرقص وأعلموا السلطان بخبرنا فلما كان من الغد بعث فى طلبنا بالعشى فتوجهنا اليه والى ولده كما نذكره ثم عدنا الى الزاوية فالتقينا الاخى طومان وأصحابه فى انتظارنا فذهبوا بنا الى زاويتهم ففعلوا فى الطعام والحمام مثل أصحابهم وزادوا عليهم ان صبوا علينا ماء الورد صببا بعد خروجنا من الحمام ثم مضوا بنا الى الزاوية ففعلوا أيضا من الاحتفال فى الاطعمة والحلواء والفاكهة وقراءة القرآن بعد الفراغ من الاكل ثم السماع وانقص كمثل ما فعله أصحابهم وأحسن وأقنا عندهم بالزاوية أياما

* (ذكر سلطان لاذق) *

وهو السلطان ينج بك (واسمه بياض آخر الحروف مفتوحة ثم نونين أولاهما مفتوحة والثانية مسكنة وجيم) وهو من كبار سلاطين بلاد الروم ولما نزلنا بزاوية أخى سنان كما قدمنا دبعث إلينا الواعظ المذكر العالم علاء الدين القسطنطيني واستعجب معه خيلا بعددنا وذلك في شهر رمضان فتوجهنا إليه وسلمنا عليه ومن عادة ماوك هذه البلاد التواضع للواردين وليس الكلام وقلة العطايا فسلمنا معه المغرب وحضر طعامه فافطرنه عنده وانصرفنا وبعث إلينا بدرهم ثم بعث إلينا ولده مراد بك وكان ساكنا في بستان خارج المدينة وذلك في إبان الفلكهة وبعث أيضا خيلا على عددنا كما فعله أبوه فأتيننا بسنانه وأقنانه عنده تلك الليلة وكان له فقيه يترجم بيننا وبينه ثم انصرفنا غدوة وأظلمنا عيد الفطر بهذه البلدة فخرجنا إلى المصلى وخرج السلطان في عساكره والفتيان الأخية كلهم بالأسلحة ولاهل كل صناعة الأعلام والبوقات والطبول والانفار وبعضهم يفخر بعضاويها في حسن الهيئة وكمال الشكفة ويخرج أهل كل صناعة معهم البقر والغنم وأحمال الخبز فيذهبون بالبهايم بالمقابر ويتصدقون بها وبالخبز ويكون خروجهم أولا إلى المقابر ومنهم إلى المصلى ولما صلينا صلاة العيد دخلنا مع السلطان إلى منزله وحضر الطعام فجعل للفقهاء والمشايخ والفتيان سباط على حدة وجعل للفقراء والمساكين سباط على حدة ولا يرد على بابيه في ذلك اليوم فقير ولا غني وأقنانه بهذه البلدة مدة بسبب مخاف الطريق ثم تهيأت رفقة فسافرنهم يوما وبعض ليلة ووصلنا إلى حصن طواس واسمه (بفتح الطاء وتحتفبف الواو وآخره سين مهمل) وهو حصن كبير ويذكر أن صهيبا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرض الله عنه من أهل هذا الحصن وكان مبيتنا بخارجه ووصلنا بالعدا إلى بابيه فسألنا أهله من أعلى السور عن مقدمنا فأخبرناهم وحينئذ خرج أمير الحصن إلياس بك في عسكره ليختبر نواحي الحصن والطريق خوفا من اغارة السراق على المشاة فلما طافوا بجبهاته خرجت مواشيهم وهكذا فعلهم أبدا ونزلنا من هذا الحصن بربطة في زاوية رجل فقير وبعث إلينا أمير الحصن بضياقة وزاد وسافرنا منه إلى مغلة (وضبط اسمها بضم الميم واسكان الغين المعجم وفتح اللام) ونزلنا بزاوية أحد المشايخ بها وكان من الكرماء الفضلاء يكثر الدخول علينا بزاويته ولا يدخل بطعام أو فلكهة أو جلاواء ولقينا بهذه البلدة إبراهيم بك ولد السلطان مدينة ميلاس وسند كرهة فاكرونا وكسانا ثم سافرنا إلى مدينة ميلاس (وضبط اسمها بكسر الميم وياء مد وآخره سين مهمل) وهي من أحسن بلاد الروم وأخصها كثيرة الفواكه والبساتين والمياه نزلنا من زاوية أحد الفتيان الأخية ففعل أضعاف ما فعله من قبله من الكرامة والضياقة ودخول الحياض وغير ذلك من جيد الأفعال وجيل الأعمال ولقينا

بمدينة ميلاس رجالا صالحا معمر ايسمى بابي الششتى ذكره زيد على مائة وخمسين سنة وله قوة وحركة وعقله ثابت وذنه جيد دعى لنا وحصلت لنا بركته

* (ذكر سلطان ميلاس) *

وهو السلطان المكرم شجاع الدين أرخان بك بن المنتشا (وضبط اسمه بضم الهمزة واسكان الراء وناء معجم وآخره نون) وهو من خيار الماوك حسن الصورة والسير تجلساؤه الفقهاء وهم معظمون لديه وبيابه منهم جماعة منهم الفقيه الخوارزمي عارف بالفنون فاضل وكان السلطان في أيام لقائي له واجدا عليه بسبب رحلته الى مدينة ياساوق ووصله الى سلطانه وقبول ما أعطاه فسأل منى هذا الفقيه أن أتكلم عند الملك في شأنه بما يذهب ما في خاطره فأثنت عليه عند السلطان وذكرت ما علمته من علمه وفضله ولم أزل به حتى ذهب ما كان يجده عليه وأحسن اليه هذا السلطان وأر كمننا وزودنا وسكننا في مدينة برجين وهي قريبة من ميلاس بينهما ميلان (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة واسكان الراء وجيم وياء مد وآخره نون) وهي جديدة على تل هنالك بها العمارات الحسانات والمساجد وكان قد بنى بها مسجدا جامعاً لم يتم بناؤه بعد وبهذه البلدة لقيناه ونزلنا منها براوية الفتى أخى على ثم انصرفنا بعد ما أحسن اليه كما قدمناه الى مدينة قونية (وضبط اسمها بضم القاف وواو مد ونون مسكن مكسور وياء آخره خروف) مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والنفواكه وبها الشمس المسمى بقمر الدين وقد تقدم ذكره ويحمل منه أيضا الى ديار مصر والشام وشوارعها متسعة جدلوا أسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة ويقال ان هذه المدينة من بناء الاسكندر وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وسند كره وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض الاوقات لقرى بها من بلاد التي به هذا الاقليم نزلنا منها براوية قاضيا ويعرف بابن قلم شاه وهو من الثقيان وزاوية من أعظم الزوايا وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقه وكان صنيع هذا القاضي في اكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله وأجل وبعث ولده عوضا منه لدخول الحمام معنا وبهذه المدينة تربة الشيخ الامام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر وبارض الروم طائفة ينتحون اليه ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الاحدية بالعراق والحيدرية بخراسان وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر

* (حكاية) *

يذكر انه كان في ابتداء أمره فقيها مدرسا يجتمع اليه الطلبة بمدرسته بقونية فدخل يوما الى

المدرسة رجل يبيع الحلواء وعلى راسه طبق منها وهي مقطوعة قطعاً يبيع القطعة منها بفلس فلما أتى مجلس التدريس قال له الشيخ هات طبقك فأخذ الحلواني قطعة منه وأعطاه للشيخ فأخذها الشيخ بيده وأكلها فخرج الحلواني ولم يطعم أحداً سوى الشيخ فخرج الشيخ في إتباعه وترك التدريس فأبطل على الطلبة وطال انتظارهم أياد فخرجوا في طلبه فلم يعرفوا له من تقرأ ثم إنه عاد إليهم بعد أعوام ونزله وصار لا ينطق إلا بالشعر الفارسي المتعلق الذي لا يفهم فكان الطلبة يتبعونه ويكتبون ما يصدر عنه من ذلك الشعر وألفوا منه كتاباً سموه المثنوى وأهل تلك البلاد يعظمون ذلك الكتاب ويعتبرون كلامه ويعلمونه ويقرؤنه بزواياهم في ليالي الجعات وفي هذه المدينة أيضاً قبر الفقيه أحمد الذي يذكر أنه كان معلم جلال الدين المذكور ثم سافرنا إلى مدينة الأزرندة التي (بفتح الراء) التي بعد الألف واللام واسكان النون وفتح الدال المهملة) مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين

* (ذكر سلطان الأزرندة) *

وسلطانها الملك بدر الدين بن قرمان (بفتح القاف والراء) وكانت قبله لشقيقة موسى فنزل عنها لملك الناصر وعوضه عنها بعوض وبعث إليها أميراً وعسكرات ثم تغلب عليها السلطان بدر الدين وبني بهادار بملكته واستقام أمرها ولقيت هذا السلطان خارج المدينة وهو عائداً من تصيده فنزلت له عن دابتي فنزل هو عن دابته وسلمت عليه وأقبل عليّ ومن عدة ملوك هذه البلاد أنه إذا نزل لهم الوارد عن دابته نزلوا له وأعجبهم فعله وزادوا في إكرامه وإن سلم عليهم راكباً ساء لهم ذلك ولم يرضهم ويكون سبباً لحرمان الوارد وقد جرى لي ذلك مع بعضهم وسأذكره ولما سلمت عليه وركب وركبت سألتني عن حاله وعن مقدمي ودخلت معه المدينة فأمر بانزالي أحسن نزل وكان يبيع الطعام الكثير والفاكهة والحلواء في طيافير الفضة والشمع وكساوارك وأحسن ولم يطل مقامنا عنده وانصرفنا إلى مدينة أقصر (وضبطها: بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الصاد المهملة والراء) وهي من أحسن بلاد الروم وأتقن تحف بها العيون الجارية والبساتين من كل ناحية ويشق المدينة ثلاثة أنهار ويجري الماء بدورها وفيها الأشجار ودوا إلى العنب ودخلها بساتين كثيرة وتصنع بها البسط المنسوبة إليها من صوف الغنم لا مثل لها في بلد من البلاد ومنها تجل إلى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبلاد الأتراك وهذه المدينة في طاعة ملك العراق ونزلنا منها براوية الشريف حسين النائب بها عن الأمير أرتنا وأرتنا هو النائب عن ملك العراق فيما تغلب عليه من بلاد الروم وهذا الشريف من الفتيان وله طائفة كثيرة وأكرمنا إكراماً متناهياً وفعل أفعالاً من تقدمه ثم رحلنا إلى مدينة نكد (وضبط اسمها بفتح النون واسكان الكاف ودال مهملة مفتوح) وهي من بلاد

ملك العراق مدينة كبة كثيرة العمارة وقد تخرب بعضها ويشقها النهر المعروف بالنهر الاسود وهو من كبار الانهار عايه ثلاث قنطرة احدها بداخل المدينة وثنتان بخارجها وعليه النواعير بالداخل والخارج منها تسقى البساتين والفواكه بها كثيرة ونزلنا منها براوية الفتى أخى جارق وهو الامير بها فأكرمنا على عادة الفتى وأقنابها ثلاث وسرنا منها بعد ذلك الى مدينة قيسارية وهي من بلاد صاحب العراق وهي احدى المدن العظام بهذا الاقليم بها عسكر أهل العراق واحدى خواتين الامير علاء الدين أرتنا المذكور وهي من أكرم الخواتين وأفضاهن ولها نسبة من ملك العراق وتدعى أغا (بفتح الهمزة والغين المعجم) ومعنى أغا الكبير وكل من بينه وبين السلطان نسبة يدعى بذلك وأسمها طنجي خاتون ودخلنا اليها فقامت لنا وأحسن السلام والكلام وأمرت باحضار الطعام فأكلنا ولما انصرفنا بعثت لنا بفرس مسرج ملجم وخلعة ودراهم مع أحد غلمانها واعذرت ونزلنا من هذه المدينة براوية الفتى أخى أمير على وهو أمير كبير من كبار الاخوية بهذه البلاد وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها وزاويته من أحسن الزوايا فرشا وتناديل وطعاما كثيرا واتقانا والكبراء من أصحابه وغيرهم يجتمعون كل ليلة عنده ويفعلون في كرامة الوارد أضعاف ما يفعل سواهم ومن عوائد هذه البلاد انه ما كان منها ليس به سلطان فالأخى هو الخاكم به وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن اليه على قدره وترتيبه في أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوكة ثم سافرنا الى مدينة سيواس (وضبط اسمها بكسر السين المهمل وياء مدو وآخره سين مهمل) وهي من بلاد ملك العراق وأعظم ماله بهذا الاقليم من البلاد وبها نزل أمرائه وعماله مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسواقها خاصة بالناس وبها ارمش المدرسة تسمى دار السيادة لا ينزلها الا الشرفاء ونقيهم ساكن بها وتجري لهم فيها مدة مقامهم الفرس والطعام والشمع وغيره فيزودون اذا انصرفوا لما قدمنا الى هذه المدينة خرج الى لقائنا أصحاب الفتى أخى أحمد بجقجي ويجق بالتركية السكينة وهذا منسوب اليه والجيمان منه معقودان بينهما قاف وبأوه مكسورة وكانوا جماعة منهم الركان والمشاة ثم لقينا بعدهم أصحاب الفتى أخى چلي وهو من كبار الاخوية وطبقته أعلى من طبقة أخى بجقجي فطلبوا ان ينزل عندهم فلم يكن لي ذلك لسبق الاولين ودخلنا المدينة معهم جميعا وهم يتفخرون والذين سبقوا الينا قد فرحوا أشد الفرح بنزولنا عندهم ثم كان من صفيعهم في الطعام والحمام والمبيت مثل صنيع من تقدم وأقنأ عندهم ثلاثة في أحسن ضيافة ثم أتانا القاضي وجماعة من الطلبة ومعهم خيل الامير علاء الدين أرتنا نائب ملك العراق ببلاد الروم فركبنا اليه واستقبلنا الامير الى دهليز داره نسلم علينا ورحب وكان فضيح اللسان بالعربية وسألني عن العراقيين وأصبهان وشيراز وكرمان وعن السلطان أتايك وبلاد الشام ومصر

وسلاطين التركان وكان مراده ان أشكر الكريم منهم واذم البخیل فلم أفعل ذلك بل شكرت الجميع فسر بذلك مني وشكرني عليه ثم أحضر الطعام فأكلنا وقال تكونون في ضيافتي فقال له الفتى أخي جلي انهم لم ينزوا بعد برايتي فاي حكرنا عندى وضيافتك تصلهم فقال افعل فانتقلنا الى زاوية وأقنا بها استاني ضيافته وفي ضيافة الامير ثم بعث الامير بفرس وكسوة ودراهم وكتب لنوابه بالبلادان يضيفونا ويكرمونا ويرزقنا وسافرنا الى مدينة أمانصية (وضبط اسمها بفتح الهـ حمزة والميم وألف وصاد مهمل مكسور وياء آخر الحروف مفتوحة) مدينة كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة وعلى أنهارها النواعير تسقى جناتها ودورها وهي فسيحة الشوارع والأسواق وملاكمها صاحب العراق وبقر من بلاد سونسي (وضبط اسمها بضم السين المهملة وواو ومدونون مضوم وسين مهمل مفتوح) وهي لصاحب العراق أيضا وبها سكنى أولادولى الله تعالى أبى العباس أحمد الرفاعي منهم الشيخ عز الدين وهو الآن شيخ الرواق وصاحب سجادة الرفاعي وأخوته الشيخ علي والشيخ ابراهيم والشيخ يحيى أولاد الشيخ أحمد كوجك ومعناه الصغير ابن تاج الدين الرفاعي ونزلنا براوية يتهم ورأينا لهم الفضل على من سواهم ثم سافرنا الى مدينة كمش (وضبط اسمها بضم الكاف وكسر الميم وشين معجم) وهي من بلاد ملك العراق مدينة كبيرة عامرة يأتيتها التجار من العراق والشام وبها معادن الفضة وعلى مسيرة يومين منها جبال شامخة وعرة لم أصل اليها ونزلنا منها براوية الاخي محمد الدين وأقنا بها ثلاثا في ضيافته وفعل أفعال من قبله وجاء اليه نائب الامير أرزنابو بعث بضيافة وزادوا نصر فناعن تلك البلاد فوصلنا الى أرزنجان (وضبط اسمها بفتح الهـ حمزة واسكان الراء وفتح الزاي وسكون النون وجيم وألف ونون) وهي من بلاد صاحب العراق مدينة كبيرة عامرة وأكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية ولها أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الاواني والبياسيس التي ذكرناها وهي شبه المنار عندنا ونزلنا منها براوية الفتى أخي نظام الدين وهي من أحسن الزوايا وهو أيضا من خيار الفتيان وبارهم أضافنا أحسن ضيافة وانصرفنا الى مدينة أرز الروم وهي من بلاد ملك العراق كبيرة الساحة خرب أكثرها بسبب قننة وقعت بين طائفتين من التركان بها ويشقها ثلاثة أنهار وفي أكثر دورها بساتين فيها الاشجار والدوالي ونزلنا منها براوية الفتى أخي طومان وهو كبير السن يقال انه أناف على مائة وثلاثين سنة ورأيت يتصرف على قدميه متوكئا على عصا ثابت الذهن مواظبا للصلاة في أوقاتها لم نذكر من نفسه شيئا الا انه لا يستطيع الصوم خد من انفسه في الطعام وخدمنا أولاده في الحمام وأردنا لانصراف عنه ثاني يوم نزلنا فشق عليه ذلك وأبى منه وقال ان فعلتم نقصتم حرمتي وانما

أقل الضيافة ثلاث فأخذنا لدية ثلاثاً ثم انصرفنا الى مدينة بركي (وضبط اسمها بياء موحدة مكسورة وكاف معتمودم كسور بينهما راء م سكن) ووصلنا اليها بعد العصر فلقينا رجلاً من أهلها فسألناه عن زاوية الانحى بها فقال أنا أدلكم عليها فاتبعنا فذهب بنا الى منزل نفسه في بستان له فأمرنا بأعلى سطح بيته والاشجار مظلة وذلك أو ان الحر الشديد وأتى الينا بأشياء الفاكهة وأحسن في ضيافته وعلف دوابنا وبتنا عنده تلك الليلة وكأقد تعرفنا ان بهذه المدينة مدرّسا فاضلا يسمى بمحيي الدين فأنى بنا ذلك الرجل الذي بتنا عنده وكان من الطلبة الى المدرسة واذا بالمدرّس قد أقبل راكبا على بغلة فارهة ومماليكه وخدامه عن جانبيه والطلبة بين يديه وعليه ثياب مفرجة حسان مطرزة بالذهب فسلما عليه فرحب بنا وأحسن السلام والكلام وامسك بيدي واجلسني الى جانبه ثم جاء التماضي عز الدين فرشتي ومعنى فرشتي الملك لقب بذلك ليدنه وعفا فاه وفضله فتعبد عن يمين المدرّس وأخذ في تدريس العلوم الاصلية والفرعية ثم لما فرغ من ذلك أتى دويرا بالمدرسة فأمر بفرشها وأنزلني فيها وبعث ضيافة حافلة ثم وجه الينا بعد المغرب فضيت اليه فوجدته في مجلس يبستان له وهناك صهر يجمع ماء ينحدر اليه الماء من خصة رخام أبيض يدور بها القاشاني وبين يديه جللة من الطلبة ومماليكه وخدامه وقوف عن جانبيه وهو قاعد على مرتبة عايم الأقطاع منقوشة حسنة خلفته لما شاهدته ملكا من الملوكة فقام الى واسة قبلني وأخذ بيدي وأجلسني الى جانبه على مرتبة وأتى بالطعام فأكلنا وانصرفنا الى المدرسة وذكر لي بعض الطلبة ان جميع من حضر تلك الليلة من الطلبة عند المدرّس فعادتهم الحضور لطعامه كل ليلة وكتب هذا المدرّس الى السلطان بخبرنا وأثنى في كتابه والسلطان في جبل هنالك يصيف فيه لاجل شدة الحر وذلك الجبل بارد وعادته ان يصيف فيه

* (ذكر سلطان بركي) *

وهو السلطان محمد بن آيدين من خيار السلاطين وكرمائم وفضلائهم ولما بعث اليه المدرّس يعلمه بخبري وجه نائبه الى لاتييه فأشار على المدرّس ان أقيم حتى يبعث عنى ثانية وكان المدرّس اذ ذاك قد خرجت برجله قرحة لا يستطيع الركوب بسببها وانقطع عن المدرسة ثم ان السلطان بعث في طلبى ثانية فشق ذلك على المدرّس فقال أنا لا أستطيع الركوب ومن غرضي التوجه معك لا قررت لى السلطان ما يجب لك ثم انه تحامل ولف على رجله خرقا وركب ولم يضع رجلاه في الركاب وركبت أنا وأصحابي وصعدنا الى الجبل في طريق قد نحتت وسوّيت فوصلنا الى موضع السلطان عند الزوال فنزلنا على نهر ماء تحت ظلال شجر الجوز وصادفنا السلطان في قافى وشغل بال بسبب فرار ابنه الاصغر سليمان عنه الى صهره

السلطان أرخان بك فلما بلغه خبر وصولنا بعث إلينا ولديه خضر بك وعمر بك فسلمنا على الفقيه وأمرهما بالسلام على ففعلوا ذلك وسألاني عن حالي ومقدمي وانصرفا وبعث إلي بيت يسمى عندهم الخرقة (خرقاد) وهو عصى من الخشب تجمع شبه القبة وتجعل عليها اللبود ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل البادهنج ويستمتي احتيج إلى سدّه وأتوا بالفرش فغرشوه وقعد الفقيه وقعدت معه وأصحابه وأصحابي خارج البيت تحت ظلال شجر الجوز وذلك الموضع شديد البرد ومات لي تلك الليلة فرس من شدة البرد ولما كان من الغد ركب المدرّس إلى السلطان وتكلم في شأني بما اقتضته فضائله ثم عاد إلى وأعلمني بذلك وبعد ساعة وجه السلطان في طلبنا معا فجنّنا إلى منزله ووجدناه قائما فسلمنا عليه وتعدّد الفقيه عن يمينه وأنا بما يلي الفقيه فسألني عن حالي ومقدمي وسألني عن الجحاز ومصر والشأم واليمن والعراقين وبلاد الأناجيم ثم حضر الطعام فأكلنا وانصرفنا وبعث الأرز والدقيق والسمن في كرواش الاغنام وكذلك فعل الترك وأقمنا على تلك الحال أياما يبعث إلينا في كل يوم فنحضر طعامه وأتى يوما إلينا بعد الظهر وتعدّد الفقيه في صدر المجلس وأنا عن يساره وتعدّد السلطان عن يمين الفقيه وذلك لعزة الفقهاء عند الترك وطلب مني أن أكتب له أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبت له وعرضها الفقيه عليه في تلك الساعة فأمره أن يكتب له شرحها باللسان التركي ثم قام فخرج ورأى الخدام يطبخون لنا الطعام تحت ظلال الجوز بغير أبرار ولا خضر فأمر بعقاب صاحب خزائنه وبعث بالابرار والسمن وطالت إقامة ابنك الجبل فأدركني الملل وأردت الانصراف وكان الفقيه أيضا قد ملّ من المقام هنالك فبعث إلى السلطان يخبره أني أريد السفر فلما كان من الغد بعث السلطان نائبه فتنكلم مع المدرّس بالتركية ولم أكن اذذاك أفهمها فأجابته عن كلامه وانصرف فقال لي المدرّس أتدري ماذا قال قلت لا أعرف ما قال قال ان السلطان بعث إلي ليسألني ماذا يعطيك فقلت له عنده الذهب والفضة والخيل والعبيد فليعطه ما أحب من ذلك فذهب إلى السلطان ثم عاد إلينا فقال ان السلطان يأمر ان تقيمنا هنا اليوم وتترلا معه غدا إلى داره بالمدينة فلما كان من الغد بعث فرسا جيّدا من مراكبه ونزل ونحن معه إلى المدينة فخرج الناس لاستقباله وفيهم القاضي المذكور آنفا وسواه ودخل السلطان ونحن معه فلما نزل بياب داره ذهبت مع المدرّس إلى ناحية المدرسة فدعانا وأمرنا بالدخول معه إلى داره فلما وصلنا إلى دهليز الدار وجدنا من خدامه نحو عشرين صورهم فائقة الحسن وعليهم ثياب الحرير وشعورهم مفرقة من سلة وألوانهم ساطعة البياض مشربة بحمرة فقلت للفقيه ما هذه الصور الحسن فقال هؤلاء قتيان روميون وضعناهم السلطان درجا كثيرة إلى ان انتهينا إلى مجلس حسن في وسطه صهريج ماء وعلى كل ركن من أركانه صورة سبع من نحاس يجمع الماء

من فيه وتدور به هذا المجلس مصاطب متصلة مفروشة وفوق احداهما مرتبة السلطان فلما انتهينا اليها نحي السلطان مرتبته بيده وتعد معنا على الاقطاع وقعد الفقيه عن يمينه والقاضي مما يلي الفقيه وأنا مما يلي القاضي وقعد القراء أسفل المصطبة والقراء لا يفارقونه حيث كان من مجالسه ثم جاءوا بصحاف من الذهب والفضة مملوءة بالجلاب المحلول قد عصر فيه ماء الليمون وجعل فيه كعكات صغيرة مقسومة وفيها ملاعق ذهب وفضة وجاءوا معها بصحاف صيني فيها مثل ذلك وفيها ملاعق خشب فن تورع استعمل صحاف الصيني وملاعق الخشب وتكلمت بشكر السلطان وأثنت على الفقيه وبالغت في ذلك فأعجب ذلك السلطان وسره

* (حكاية) *

وفي أثناء قعودنا مع السلطان أتى شيخ على رأسه عمامة لها ذؤابة فسلم عليه وقام له القاضي والفقيه وقعد امام السلطان فوق المصطبة والقراء أسفل منه فقلت للفقيه من هذا الشيخ فضحك وكت ثم أعدت السؤال فقال لي هذا يهودى طبيب وكلنا محتاج اليه فلاجل هذا فعلنا ما رأيت من القيام له فأخذني ما حدث وقدم من الامتعاض فقلت لليهودى يا ملعون ابن ملعون كيف تجلس فوق قراء القرآن وأنت يهودى وشتمته ورفعت صوتي فعجب السلطان وسأل عن معنى كلامي فأخبره الفقيه به وغضب اليهودى فخرج عن المجلس في أسوأ حال وبانصر فتناقل لي الفقيه أحسن برك الله فيك ان أحدا سواك لا يتجاسر على مخاطبته بذلك ولقد عرفت به نفسه

* (حكاية أخرى) *

وسألني السلطان في هذا المجلس فقال لي هل رأيت قط حجرا نزل من السماء فقلت ما رأيت ذلك ولا سمعت به فقال لي انه قد نزل بخارج بلدنا هذا حجر من السماء ثم دعا رجلا وأمره ان يأنوا بالحجر فأنوا بالحجر أسود أصم شديد الصلابة له بريق قدرت ان زنته تبلغ قنطارا وأمر السلطان باحضار القضاة فحضر أربعة منهم فأمرهم ان يضربوه فضر بوا عليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق الحديد فلم يؤثر وفيه شياً فعجبت من أمره وأمر برده الى حيث كان وفي ثالث يوم من دخولنا الى المدينة مع السلطان صنع صنيعا عظيما ودعا الفقهاء والمشايع وأعيان العسكر ووجود أهل المدينة فطعموا وقرأ القراء القرآن بالاصوات الحسان وعدنا الى منزلنا بالمدرسة وكان يوجه الطعام والفاكهة والخلاء والشمع في كل ليلة ثم بعث الى مائة مثقال ذهباً وألف درهم وكسوة كاملة وفرسا ومملوكا وميا يسمى ميخائيل وبعث لكل من أصحابي كسوة ودراهم كل هذا بمشراكة المدرس محيي الدين جزاه الله تعالى خيرا ووددنا وانصر فتناولنا كانت مدة مقامنا عنده بالجبل والمدينة أربعة عشر

يوما ثم قصدنا مدينة تيرة وهي من بلاد هذا السلطان (وضبط اسمها بكسر التاء المعلوّة وياء مدّ ورا) مدينة حسنة ذات أنهار وبساتين وفواكه نزلنا منها براوية الفتى أخى محمد وهو من كبار الصالحين صائم الدهر وله أشجاف على طريقته فأضافنا ودعانا وسرنا الى مدينة أياسلوق (وضبط اسمها بفتح الهمزة والياء آخر الحروف وسين مهملة مضموماً ولا مضموم وآخره قاف) مدينة كبيرة قديمة معظمة عند الروم وفيها كنيسة كبيرة مبنية بالججارة الضخمة ويكون طول الجمر منها عشر أذرع فادونها منحوتة أبدع نحت والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له في الحسن وكان كنيسة الروم معظمة عندهم يقصدونها من البلاد فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجداً جامعاً وحيطانه من الرخام الملون وفرشه الرخام الأبيض وهو مسقف بالرصاص وفيه إحدى عشرة قبة متنوعة في وسط كل قبة صهر يجمع ماء والنهر يشقه وعن جانبي النهر الأشجار المختلفة الاجناس ودوالي العنب ومعشيات الياسين وله خمسة عشر باباً وأمير هذه المدينة خضر بك بن السلطان محمد بن آيدى وقد كنت رأيته عند أبيه ببركى ثم لقيناه بهذه المدينة خارجها فسلمت عليه وأنا راكب فذكره ذلك منى وكان سبب حرمانى لديه فان عادتهم اذا نزل لهم الوارد نزلوا له وأعجبهم ذلك ولم يبعث الى الاثوابا واحداً من الحرير المذهب يسمونه النخ (بفتح النون وخاء مجهم) واشترى بيته هذه المدينة جارية رومية بكر اباً ربعين ديناراً ذهباً ثم سرنا الى مدينة يزميز (وضبط اسمها بياء آخر الحروف مفتوحة وزاى مسكن وميم مكسور وذو ياء مدوّراء) مدينة كبيرة على ساحل البحر معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها نزلنا منها براوية الشيخ يعقوب وهو من الاجدية صالح فاضل ولقينا بخارجها الشيخ عز الدين بن أحمد الرفاعى ومعه زاده الاخلاطى من كبار المشايخ ومعه مائة فقير من الموليين وقد ضرب لهم الامير الاخبية وصنع لهم الشيخ يعقوب ضيافة وحضرتا واجتمعت بهم وأمير هذه المدينة عمر بك بن السلطان محمد بن آيدى المذكور آنفاً وسكناه بقلاعتها وكان حين قدومنا عليه عند أبيه ثم قدم بعد خمس من نزلنا بها فكان من مكارمه ان أتى الى بالزاوية فسلم على واعتذر وبعث ضيافة عظيمة وأعطانى بعد ذلك مملوكاً ومياخاً سبياً اسمه نقوله وثوبين من الكمخا وهي ثياب حرير تصنع ببغداد وتبريز ونيسابور وبالصين وذكرنى الفقيه الذى يؤمّ به ان الامير لم يبق له مملوك سوى ذلك المملوك الذى أعطانى بسبب كرمه رجه الله وأعطى أيضاً المشيخ عز الدين ثلاثة أفراس مجهزة وآنية فضة كبيرة تسمى عندهم المشربة مملوّة دراهم وثياباً من الملف والمرعرز والقدسى والكمخا وجوارى وعلمانا وكان هذا الامير كريماً صالحاً كثير الجهاد له أجفان غزوية يضرب بها على نواحي القسم طنطينية العظمى فيسبى ويغنم ويفنى ذلك كرم ما وجودا ثم يعود الى الجهاد الى ان اشتدت على الروم وطأته فرفعوا أمرهم الى ألبا فأمس نصارى

جنوة وافرأته بغزوه فغزوه ووجهز جيشا من رومية وطر قوام دينته ليل في عدد كثير من الاحقان وملا كوا المرسى والمدينة ونزل اليهم الامير عمر من القلعة فقاتلهم فاستشهد هو وجاعة من ناسه واستقر النصارى بالبلد ولم يقدر واعلى القلعة لانتعتها ثم سافرا من هذه المدينة الى مدينة مغنيسية (وضبط اسمها بجم مفتوحة وغين معجمة مسكنة ونون مكسورة وياء مدوسين مهملة مكسورة وياء آخر الحروف مشددة) نزلنا بها عشي يوم عرفة براوية رجل من الفتيان وهي مدينة كبيرة حسنة في سفح جبل وبسيطها كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه

* (ذكر سلطان مغنيسية) *

وسلطانها يسمى صاروخان ولما وصلنا الى هذه البلدة وجدناه بترية ولده وكان قد توفي منذ أشهر فكان هو وأم الولد ليلة العيد وصيحتها بترية والولد قد صبر وجعل في تابوت خشب مغشى بالحديد المقزدر وعلق في قبة لاسقف لها لان تذهب رائحته وحينئذ تسقف القبة ويجعل تابوته ظاهرا على وجه الارض وتجعل ثيابه عليه وهكذا رأيت غيره أيضا من الملوك فعل وسلمنا عليه بذلك الموضع وصلينا معه صلاة العيد وعدنا الى الزاوية فأخذ الغلام الذي كان لي افراسنا وتوجه مع غلام لبعض الاصحاب برسم سقيم فابطأ ثم لما كان العشي لم يظهر لهما اثار وكان بهذه المدينة الفقيه المدرس الفاضل مصلح الدين فركب معي الى السلطان وأعلمناه بذلك فبعث في طلبهما فلم يوجدوا واشتغل الناس في عيدهم وقصد امدية لالكفار على ساحل البحر تسمى فوجة على مسيرة يوم من مغنيسية وهؤلاء الكفار في بلد حصين وهم يبعثون هدية في كل سنة الى سلطان مغنيسية فيقنع منهم بالحصانة بلدهم فلما كان بعد الظهر رأيتي بهما بعض الاثرالك وبالا فراس وذكروا انهما اجتازا بهم عشية النهار فانكروا أمرهما واشتدوا عليهما حتى أقرا بما عزمنا عليه من الفرار ثم سافرا من مغنيسية وبتنا ليلة عند قوم من التركمان قد نزلوا في مري لهم ولم نجد عندهم ما نعلق دوابنا تلك الليلة وبات أصحابنا يحترسون مداولة بينهم خوف السرقة فأنت نوبة الفقيه عفيف الدين النوزري فسمعتهم يقرأ سورة البقرة فقلت له اذا أردت النوم فاعلني لانظر من يحترس ثم نمت فما أيقظني الا الصباح وقد ذهب السراق بفرس لي كان يركبه عفيف الدين بسرجه ولجامه وكان من جيا دالخيل اشتريته باياساق ثم رحلنا من الغد فوصلنا الى مدينة برغمة (وضبط اسمها بباء موحدة مفتوحة وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة) مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة باعلى جبل ويقال ان افلاطون الحكيم من أهل هذه المدينة وداره تشتهر باسمه الى الآن ونزلنا منها براوية فقير من الاحدية ثم جاء أحد كبراء المدينة فقلنا الى داره وأكرمنا اكراما كثيرا

* (ذكر سلطان برغمة) *

وسلطانها يسمى يخشى خان بكسر الشين وخان عندهم هو السلطان ويخشى (ببأ آخر الحروف وناء معجم وشين معجم مكسور) ومعناه جيد صادق فناء في مصيف له فأعلم بقدمنا فبعث بضيافة وثوب قدسى ثم أكثر بنا من يد لنا على الطريق وسرنا في جبال شامخة وعرة الى ان وصلنا الى مدينة بلى كسرى (وضبط اسمها بيا موحدة مفتوحة ولا م مكسور و ياء مد وكاف مفتوح وسين مهمل مسكن وراء مكسور و ياء) مدينة حسنة كثيرة العمارة مليحة الاسواق ولا جامع لها يجمع فيه وأرادوا بناء جامع خارجها متصل بها فبنوا حيطانه ولم يجعلوا له سقفا وصاروا يصطون به ويجمعون تحت ظلال الأشجار ويزلنا من هذه المدينة بزواية الفتى أخى سنان وهو من أفاضلهم وأتى اليه ناقضها وخطبها الفقيه موسى

* (ذكر سلطان بلى كسرى) *

ويسمى دمور خان ولا خير فيه وأبوه هو الذى بنى هذه المدينة وكثرت عمارتها من لا خير فيه فى مدة ابنه هذا والناس على دين الملك ورايته وبعث الى ثوب حرير واشترى به هذه المدينة جارية رومية تسمى مرغليظة ثم سرنا الى مدينة برصى (وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وفتح الصاد المهمل) مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسحبة الشوارع تحفها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية وبخارجها نهر ماء شديد الحرارة يصب فى بركة عظيمة وقد بنى عليها بيتان أحدهما للرجال والآخر للنساء والمرضى يستشفون بهذه الحمة ويأتون اليها من أقاصى البلاد وهذا لك زاوية للواردين ينزلون بها ويطعمون مدة مقامهم وهى ثلاثة أيام عمر هذه الزاوية أحد ملوك التركمان ونزلنا فى هذه المدينة بزواية الفتى أخى شمس الدين من كبار الفتيان ووافقنا عند يوم عاشوراء فصنع طعاما كثيرا ودعى وجوه العسكر وأهل المدينة ليلا وأفطروا عنده وقرأ القرآن بالأصوات الحسنة وحضر الفقيه الواعظ محمد الدين القنوى ووعظ وذكر واحسن ثم أخذوا فى السماع والرقص وكانت ليلة عظيمة الشأن وهذا الواعظ من الصالحين يصوم الدهر ولا يفطر الا فى كل ثلاثة أيام ولا يأكل الا من كد يمينه ويقال انه لم يأكل طعاما أحدا قط ولا منزل له ولا متاع الا ما يستتر به ولا ينال الا فى المقبرة ويعظ فى المجالس ويذكر فيتوب على يديه فى كل مجلس الجماعة من الناس وطلبته بعد هذه الليلة فلم أجده وأتيت الجبانة فلم أجده ويقال انه يأتىها بعد هجوع الناس

* (حكاية) *

لما حضرنا ليلة عاشوراء بزواية شمس الدين وعظ بها محمد الدين من آخر الليل فصاح أحد الفقراء صيحة غشى عليه منها فصبوا عليه ماء الورد فلم يبق فأعادوا عليه ذلك فلم يبق

واختلف

واختلف الناس فيه فمن قائل انه ميت ومن قائل انه مغشى عليه وأتم الواعظ كلامه وقرأ القراء وصلينا الصبح وطلعت الشمس فاختم برؤا حال الرجل فوجدوه فارق الدنيا رحمه الله فاشتغلوا بغسله وتكفينه وكنت فيمن حضر الصلاة عليه ودفنه وكان هذا الفقير يسمى الصياح وذكروا انه كان يتعبد بغار هنالك في جبل فتى علم ان الواعظ مجد الدين يعظ قصده وحضر وعظه ولم يأكل طعام أحد فاذا وعظ مجد الدين يصيح ويغشى عليه ثم يفيق فيتوضأ ويصلي ركعتين ثم اذا سمع الواعظ صاح يذغل ذلك مراراً في الليلة وسمى الصياح لاجل ذلك وكان أعذر اليد والرجل لا قدرة له على الخدمة وكانت له والدته تقوته من غزله فلما توفيت اقتات بنبات الارض ولقيت به - هذه المدينة الشيخ الصالح عبد الله المصري السائح وهو من الصالحين جال الارض الا انه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب ولا الاندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول هذه الاقليم

* (ذكر سلطان برصى) *

وسلطانها اختيار الدين أرخان بك وأرخان (بضم الهـ مزنة وخاء معجم) ابن السلطان عثمان چوق (وچوق بجم معقود مضوم وآخره قاف) وتفسيره بالتركية الصغير وهذا السلطان أكبر ملوك التركان وأكثرهم مالا وبلاداً وعسكراً له من الحصون ما يقارب مائة حصن وهو في أكثر أوقاته لا يزال يطوف عليها ويقسم بكل حصن منها أياً مالا صلاح شؤونته وتفقد حاله ويقال انه لم يقيم قط شهراً كاملاً ببلد ويقا تل الكفار ويحاصره هم ووالده هو الذي استفتح مدينة برصى من أيدي الروم وقبره بمسجدها وكان مسجدها كنيسة للنصارى ويذكر انه حاصر مدينة يرتيك نحو عشرين سنة ومات قبل فتحها فحاصرها ولده هذا الذي ذكرناه ثنتي عشرة سنة واقتحمها وبها كان لقائى له وبعث الى بذراهم كثيرة ثم سافروا الى مدينة يرتيك (وضبط اسمها بفتح الياء آخر الحروف واسكان الزاى وكسر النون وياء مد وكاف) وبتنا قبل الوصول اليها ليلته بقريه تدعى كركة براوية فتى من الاخيه ثم سرنام من هذه القرية يوماً كاملاً في أنهار ماء على جوانبها أشجار الرمان الخلو والحامض ثم وصلنا الى بحيرة ماء تنبت القصب على ثمانية أميال من يرتيك لا استطاع دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد وبذلك امتنعت هذه المدينة والبحيرة محيطة بها من جميع الجهات وهى خاوية على عروشها لا يسكن بها الا أناس قليلون من خدام السلطان وبها زوجته بيلون خاتون وهى الحاكمة عليهم امرأة صالحة فاضلة وعلى المدينة أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل اليها على جسور خشب متى أرادوا رفعها رفعوها وبداخل المدينة البساتين والدور والارض والمنزارع فلكل انسان داره ومزرعته وبستانه مجموعة وشرابها

من أبا تر بها قريية وبها من جميع أصناف الفواكه والجوز والقسطل عندهم كثير جداً
رخيص الثمن ويسمون القسطل قسطنة بالنون والجوز القوز بالقاف وبها العنب العذاري
لم أر مثله في سواها متناهي الحلاوة عظيم الجرم صافي اللون رقيق القشر للحبة منه نواة واحدة
أنزلنا بهذه المدينة الفقيه الامام الحجاج المجاور علاء الدين السلطانيوكي وهو من الفضلاء
الكرماء ما جئت قط الى زيارته الا أحضر الطعام وصورته حسنة وسيرته أحسن وتوجه معي
الى الخانوق المذكورة فأكرمت وأضافت وأحسنّت وبعد قدومنا بياوم وصل الى هذه المدينة
السلطان ارخان بك الذي ذكرناه وأقمت بهذه المدينة نحو أربعين يوماً بسبب مرض فرس لي
فلما طال عليّ المكث تركته وانصرفت ومعّي ثلاثة من أصحابي وجارية وغلّمان وليس معنا
من يحسن اللسان التركي ويترجم عنا وكان لنا ترجمان فارسي بهذه المدينة ثم خرجنا منها فبتنا
بقريية يقال لها مكجا (بفتح الميم والكاف والجيم) يتنا عند فقيه بها أكرمنا وأضافنا وسافرنا من
عنده وتقدّمنا امرأة من الترك على فرس ومعها خديم لها وهي قاصدة مدينة بخجان ونحن في
اتيساع أثرها فوصلت الى واد كبير يقال له سقري كأنه نسب الى سقرا عاذاً الله منها فذهبت
تجوز الوادي فلما توسطته كادت الدابة تعرق بها ومرت بها عن ظهرها وأراد الخديم الذي كان
معها استخلاصها فذهب الوادي بهما معا وكان في عدوة الوادي قوم رموا بأنفسهم في أثرها
سباحة فأخرجوا المرأة وبها من الحياة رمق ووجدوا الرجل قد قضى نحبّه رحمه الله وأخبرنا
أولئك الناس ان المدينة أسفل من ذلك الموضع فتوجهنا اليها وهي أربع خشبات مربوطة
بالخيل يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجال من العدوّة الاخرى ويركب عليها
الناس وتجاز الدواب سباحة وكذلك فعلنا ووصلنا تلك الليلة الى كاوية واسمها على مثال فاعلة
من الكي نزلنا منها براوية أحد الاخوة فكلما بناه بالعربية فلم يفهم عنا وكلنا بالتركية فلم نفهم عنه
فقال اطلبوا الفقيه فانه يعرف العربية فأتى الفقيه فكلما بناه بالفارسية وكلما بناه بالعربية فلم
يفهمها منا فقال للفتي ايشان عربي كهنا ميقوان (ميكويند) ومن عربي نوميدانم
وايشان معناه هؤلاء وكهنا قديم وميقوان يقولون ومن أنا ونوجديد وميدانم نعرف وانما اراد
الفقيه بهذا الكلام ستر نفسه عن الفضيحة حين ظنوا انه يعرف اللسان العربي وهو لا يعرفه
فقال لهم هؤلاء يتكلمون بالكلام العربي القديم وأنا لا أعرف الا العربي الجديد فظنّ الفتى
ان الامر على ما قاله الفقيه ونفعنا ذلك عنده وبالغ في اكرامنا وقال هؤلاء تجب كرامتهم لانهم
يتكلمون باللسان العربي القديم وهو لسان النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً وأصحابه ولم نفهم
كلام الفقيه اذ ذاك لكنني حفظت لفظه فلما تعلمت اللسان الفارسي فهمت مراده وبتنا
تلك الليلة بالزاوية وبعث معناد ليلا الى بخجان وضبط اسمها (بفتح الباء آخر الحروف وكسر النون

(وجيم) بلدة كبيرة حسنة بجنتها بها عن زاوية الاخي فوجدنا أحد الفقراء الموطين فقلت له هذه زاوية الاخي فقال لي نعم فسررت عند ذلك اذ وجدت من يفهم اللسان العربي فلما اخترته أبرز الغيب انه لا يعرف من اللسان العربي الا كلمة نعم خاصة ونزلنا بالزاوية وجاء اليها أحد الطلبة بطعام ولم يكن الاخي حاضرا وحصل الانس بهذا الطالب ولم يكن يعرف اللسان العربي لكنه تفضل وتكلم مع نائب البلدة فأعطاني فارسا من أصحابه وتوجه معنا الى كينوك (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الباء وضم النون) وهي بلدة صغيرة يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين وليس بها غير بيت واحد من المسلمين وهم الحكام عليهم وهي من بلاد السلطان أرخان بك فزنا بدار عجوز كافرة وذلك ابان الثلج والشتاء فأحسننا اليها وبتنا عندها تلك الليلة وهذه البلدة لا شجر بها ولا دوالي العنب ولا يزرع بها الا الرعفران وأنتنا هذه العجوز بزعفران كثير وظننت اننا نتجار نشتره منها ولما كان الصباح ركبنا وأتانا الفارس الذي بعثه الفتى معنا من كاوية فبعث معنا فارسا غير هليو صلبنا الى مدينة مطرني وقد وقع في تلك الليلة ثلج كثير عفي لطرق فتقدمنا ذلك الفارس فاتبعنا أثره الى ان وصلنا في نصف النهار الى قرية للتركمان فأتوا بطعام فأكلنا منه وكلهم ذلك الفارس فركب معنا أحدهم وسلك بنا أوغارا وجبالا ومجرى ماء تكررتنا جوازه أزيد من الثلاثين مرة فلما خلاصنا من ذلك قال لنا ذلك الفارس أعطوني شيئا من الدراهم فقلنا له اذا وصلنا الى المدينة نعطيك ونرضيك فلم يرض ذلك منا أولم يفهم عنا فأخذ قوسا وبعض أصحابي ومضى غير بعيد ثم رجع قردا اليها القوس فأعطيته شيئا من الدراهم فأخذها وهرب عنا وتركنا لا نعرف أين تقصد ولا طريق يظهر لنا فكنا نتلمح أننا الطريق تحت الثلج ونسلكه الى ان بلغنا عند مدغروب الشمس الى جبل يظهر الطريق به لكثرة الحجارة خفت الهلاك على نفسي ومن معي وتوعدت نزول الثلج ليلا ولا عمارة هنالك فانزلنا عن الدواب هلكا وان سرينا ليلتنا لا نعرف أين تتوجه وكان لي فرس من الجياد فعملت على الخلاص وقلت في نفسي اذا سلمت لعلني أحتال في سلامة أصحابي فكان كذلك واستودعهم الله تعالى وسرت وأهل تلك البلاد يدينون على القبور بيوتا من الخشب يظنون انهم اعمارة فيجدها قبورا فظهر لي منها كثير فلما كان بعد العشاء وصلت الى بيوت فقلت اللهم اجعلها عمارة فوجدتها عمارة ووقفني الله تعالى الى باب دار فرأيت عليه شيخا فكلمته بالعربي فكلمني بالتركي وأشار لي بالدخول فأخبرته بشأن أصحابي فلم يفهم عني وكان من لطف الله ان تلك الدار زاوية للفقراء والواقف بالباب شيخها فلما سمع الفقراء الذين بداخل الزاوية كلامي مع الشيخ خرج بعضهم وكانت بيني وبينه معرفة فسلم علي وأخبرته خبر أصحابي وأشرت اليه بأن يعضي مع الفقراء لاستخلاص الاصحاب ففعلوا ذلك وتوجهوا معي

الى أصحابي وجئنا جميعا الى الزاوية وجدنا الله تعالى على السلامة وكانت ليلة جمعة فاجتمع أهل القرية وقطعوا ليلتهم بذكر الله تعالى وأتى كل منهم بما تيسر له من الطعام وارتفعت المشقة ورحلنا عند الصباح فوصلنا الى مدينة مطرني عند صلاة الجمعة (وضبط اسمها بضم الميم والطاء المهملة واسكان الراء وكسر النون وياء مد) فنزلنا بزاوية أحد الفتيان الاخية وبها جماعة من المسافرين ولم نجد مربي للدواب فصلينا الجمعة ونحن في قلق لكثرة الثلج والبرد وعدم المربط فلقينا أحد التجاج من أهلها فسلم علينا وكان يعرف اللسان العربي فسررت برؤيته وطلبت منه ان يدلنا على مربط للدواب بالكراء فقال أماربطها في منزل فلا يتأتى لان أبواب دور هذه البلدة صغار لا تدخل عليها الدواب ولكني أدلكم على سقيفة بالسوق يربط فيها المسافرون دوابهم والذين يأتون لحضور السوق فدلتنا عليها وربطنا بهادوانا ونزل أحد الاصحاب بحانوت خال ازاءها ليحرس الدواب

* (حكاية) *

وكان من غريب ما اتفق لنا اني بعثت أحد الخدام ليشتري اللبن للدواب وبعثت أحدهم يشتري السمن فأتى أحدهما باللبن وأتى الآخر دون شيء وهو يضحك فسألناه عن سبب ضحكك فقال انا ودفنا على دكان بالسوق فطابنا منه السمن فأشار اليه بالوقوف وكلم ولدا له فدفعنا له الدراهم فأبطأ ساعة وأنى باللبن فأخذناه منه وقلنا له اننا نريد السمن فقال هذا السمن وأبرز الغيب انهم يقولون للتبن سمن بلسان الترك وأما السمن فيسمى عندهم رياغ ولما اجتمعنا بهذا الحاج الذي يعرف اللسان العربي رغبنا منه ان يسافر معنا الى قصط مونية وبينها وبين هذه البلدة مسيرة عشرة وكسوته ثوب بامصريا من ثيابي وأعطيته نفقة تركها لعياله وعينت له دابة ركوبه ووعدته الخيروسا فرمينا فظهر لنا من حاله انه صاحب مال كثير وله ديون على الناس غير انه ساقط المهمة خسيس الطبع سيء الافعال وكان عطيه الدراهم لنفقة نفيا خذما يفضل من الخبز ويشتري به الابرار والخضر والملح ويمسك ثمن ذلك لنفسه وذكر لي انه كان يسرق من دراهم النفقة دون ذلك وكان نكاحه لما كان نكاحه من عدم المعرفة بلسان الترك وانتهت حاله الى ان فضخناه وكان نقول له في آخر النهار يا حاج كم سرقت اليوم من النفقة فيقول كذا فنضحك منه ونرضى بذلك ومن أفعاله الخسيسة انه مات لنا فارس في بعض المنازل فتولى سلخ جلده بيده وباعه ومنها اننا نزلنا ليلة عند أخت له في بعض القرى فجاءت بطعام وفاكهة من الاجاص والتفاح والمشمش والخوخ كلها مبيسة وتجعل في الماء حتى ترطب فتؤكل ويشرب ماؤها فأردنا ان نحسن اليها فلم بذلك فقال لا تعطوها شيئا وأعطوا ذلك لي فاعطيناه ارضاء له وأعطيناهما احسانا في خفية بحيث لم يعلم بذلك ثم وصلنا الى

مدينة بولي (و ضبط اسمها بباء موحدة مضمومة وكسر اللام) ولما انتهينا الى قريب منها وجدنا وادبا يظهر في رأى العين صغيرا فلما دخله بعض أصحابنا وجدوه شديد الجرية والانزعاج فجازوه جميعا وبقيت جارية صغيرة خافرا من تجويزها وكان فرسى خيرا من أفراسهم فأردفتها وأخذت في جواز الوادى فلما توسطته وقع بي الفرس و وقعت الجارية فأخرجها أصحابي وبها رمق وخلصت أنا ودخلنا المدينة فتمصنا زاوية أحد الفتيان الاخيرة ومن عوائدهم انه لا تزال النار موقودة في زواياهم أيام الشتاء أبدا يجعلون في كل ركن من أركان الزاوية موقدا للنار ويصنعون لها منافس يصعد منها الدخان ولا يؤذى الزاوية ويسمون بها البخارى وأحدها بخيرى قال ابن جزى وقد أحسن صنفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلبي في قوله في التورية وتذكرته بذكر البخيرى

ان البخيرى مذفار قتموه غدا * يحشوا الرماد على كافونه التراب
لوشتم انه يسمى أباهب * جاءت بغالكم جمالة الحطب
(راجع) قال فلما دخلنا الزاوية وجدنا النار موقودة فنزعت ثيابي ولبست ثيابا سواها واصطليت بالنار وأتى الاخى بالطعام والفاكهة وأكثر من ذلك فثمة دزهم من طائفة ما أكرم نقوسهم وأشدائهم وأعظم شفقتهم على الغريب وألطفهم بالوارد وأحبهم فيه وأجلهم احتفالا بأمره فليس قدوم الانسان الغريب عليهم الا كقدومه على أحب أهله اليه وبتنا تلك الليلة بحال رضية ثم رحلنا بالغداة فوصلنا الى مدينة كردى بولي (و ضبط اسمها بكاف معقودة وفتح الراء والدال المهمل وسكون الياء و باء موحدة مضمومة و واو مد ولا م مكسورة و ياء) وهى مدينة كبيرة في بسيط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق من أشد البلاد بردا وهى محلات مقترقة كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم
(ذكر سلطانها)

وهو السلطان شاء بك من متوسطى سلاطين هذه البلاد حسن الصورة والسيرة جميل الخلق قليل العطاء صلينا بهذه المدينة صلاة الجمعة ونزلنا براوية منها ولقيت بها الخطيب الفقيه شمس الدين الدمشقى الحنبلى وهو من مستوطنينهم منذ سنين وله بها أولاد وهو فقيه هذا السلطان وخطيبه ومسموع الكلام عند دودخل علينا هذا الفقيه بالزاوية فأعلمنا ان السلطان قد جاء لزيارتنا فاشكرته على فعله واستقبلت السلطان فسلمت عليه وجلس فسألنى عن حالى وعن مقدمى وعن لقيته من السلاطين فأخبرته بذلك كله وأقام ساعة ثم انصرف وبعث بدابة مسرجة وكسوة وانصرفنا الى مدينة بولي (و ضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وضم اللام) وهى مدينة صغيرة على تل تحتها خندق ولها قلعة بأعلى شاهق نزلنا منها بمدرسة

فيها حسنة وكان الحاج الذي سافر معنا يعرف مدرستها وطلبتها ويحضر معهم الدرس وهو على
علاته من الطلبة حنفى المذهب ودعانا أمير هذه البلدة وهو على بك ابن السلطان المكرم
سليمان بادشاه ملك قصطمونية وسند كره فصعدنا اليه الى القلعة فسلمنا عليه فرحب بنا
وأكرمنا وسألني عن اسفاري وحالي فأجبته عن ذلك وأجلسني الى جانبه وحضر قاضيه
وكاتبه الحاج علاء الدين محمد وهو من كبار الكتاب وحضر الطعام فأكلنا ثم قرأ القراء
بأصوات مبكية والخان عجيبه وانصرفنا وسافرنا بالغدا الى مدينة قصطمونية (وضبط اسمها
بقاف مفتوح وصاد مهمل مسكن وطاء مهمل مفتوح وميم مضمومة وواو ونون مكسور وياء
آخر الحروف) وهي من أعظم المدن وأحسنها كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار نزلنا منها
براوية شيخ يعرف بالاطروش لثقل سمعه ورأيت منه عجبا وهو ان أحد الطلبة كان يكتب له
في الهواء وتارة في الارض بأصبعه فيفهم عنه ويجيبه ويحكي له بذلك الحكايات فيفهمها
وأقنا بهذه المدينة نحو أربعين يوما فكانت تشرى طابق اللحم الغنى السمين بدرهمين ونشترى
خبزا بدرهمين فيكفينا اليومنا ونحن عشرة ونشترى حلواء العسل بدرهمين فتكفينا أجمعين
ونشترى جوزا بدرهم وقسطلا بمثله فنأكل منها أجمعون ويفضل باقيها ونشترى حمل الحطب
بدرهم واحد وذلك أوان البرد الشديد ولم أرفى البلاد مدينة أرخص أسعارا منها ولقيت بها
الشيخ الامام العالم المفتي المدرس تاج الدين السلطان يوكى من كبار العلماء قرأ بالعراقيين
وتبريز واسستوطنهم مدة وقرأ بدمشق وجاور بالحرمين قديما ولقيت بها العالم المدرس صدر
الدين سليمان الفنيكي من أهل فنيكة من بلاد الروم وأضافني بمدرسته التي بسوق الخيل
ولقيت بها الشيخ المعمر الصالح دادا أمير على دخلت عليه براويته بمقربة من سوق الخيل
فوجدته ملقى على ظهره فأجلسه بعض خدامه ورفع بعضهم حاجبيه عن عينيه ففتحه فما
وكلني بالعربي الفصيح وقال قدمت خيرا مقدم وسألته عن عمره فقال كنت من أصحاب الخليفة
المستنصر بالله وتوفي وأنا ابن ثلاثين سنة وعمرى الآن مائة وثلاث وستون سنة فطلبت منه
الدعاء فدعا لي وانصرفت

* (ذكر سلطان قصطمونية) *

وهو السلطان المكرم سليمان بادشاه (واسمه بباء معقودة وألف ودال مسكن) وهو كبير السن
ينيف على سبعين سنة حسن الوجه طويل اللحية صاحب وقار وهيبة يجالس الفقهاء
والصلحاء دخلت عليه بمجلسه فأجلسني الى جانبه وسألني عن حالي ومقدمي وعن الحرمين
الشرقيين ومصر والشام فأجبته وأمر بانزالي على قرب منه واعطاني ذلك اليوم فرساعتين
قرطاسي اللون وكسوة وعين لي نفقة وعلفا وأمر لي بعد ذلك بقمع وشعير نفدلي في قرية من قرى

المدينة على مسيرة نصف يوم منها فلم أجدهم يشتريه لرخص الاسعار فأعطيته للحاج الذي كان في صحبتنا ومن عادة هذا السلطان ان يجلس كل يوم بمجلسه بعد صلاة العصر ويؤتي بالطعام فتفتح الابواب ولا يمنع أحدهم من حضري أو بدوي أو غريب أو مسافر من الاكل ويجلس في أول النهار جاوسا خاصا ويأتي ابنه فيقبل يديه وينصرف الى مجلس له ويأتي أرباب الدولة فيأكلون عنده وينصرفون ومن عادته في يوم الجمعة ان يركب الى المسجد وهو بعيد عن داره والمسجد المذكور هو ثلاث طبقات من الخشب فيصلى السلطان وأرباب دولته والقاضي والفقهاء ووجود الجناد في الطبقة السفلى ويصلي الافندي، وهو أخو السلطان وأصحابه وخدامه وبعض أهل المدينة في الطبقة الوسطى ويصلي ابن السلطان ولي عهده وهو أصغر أولاده ويسمى الجواد وأصحابه ومعاليكته وخدامه وسائر الناس في الطبقة العليا ويجمع القراء فيقعدون حلقة انام المحراب ويقعد معهم الخطيب والقاضي ويكون السلطان بازاء المحراب ويقرؤن سورة الكهف بأصوات حسان ويكررون الآيات بترتيب عجيب فاذا فرغوا من قراءتها صعد الخطيب المنبر فخطب ثم صلى فاذا فرغوا من الصلاة تنفلوا وقرأ القارئ بين يدي السلطان عشرا وانصرف السلطان ومن معه ثم يقرأ القارئ بين يدي أخى السلطان فاذا تم قراءته انصرف هو ومن معه ثم يقرأ القارئ بين يدي ابن السلطان فاذا فرغ من قراءته قام المعروف وهو المذكور فيمدح السلطان بشعر تركي ويمدح ابنه ويدعو لهما وينصرف ويأتي ابن الملك الى دار أبيه بعد ان يقبل يده في طريقه وعنه واقف في انتظاره ثم يدخل الى السلطان فيتقدم أخوه ويقبل يده ويجلس بين يديه ثم يأتي ابنه فيقبل يده وينصرف الى مجلسه فيقعد به مع ناسه فاذا حانت صلاة العصر صلاها واجتمعوا قبل أخو السلطان يده وانصرف عنه فلا يعود اليه الا في الجمعة الاخرى وأما الولد فانه يأتي كل يوم غدوة كما ذكرناه ثم سافرنا من هذه المدينة ونزلنا في زاوية عظيمة باحدى القرى من أحسن زاوية رأيتها في تلك البلاد بناها أمير كبير تاب الى الله تعالى يسمى نقر الدين وجعل النظر فيها لولده والاشراف لمن أقام بالزاوية من الفقراء وفوائد القرية وقف عليها وبني بازاء الزاوية حماما للمسبيل يدخله الوارد والصادر من غير شيء يلزمه وبني سوقا بالقرية ووقفه على المسجد الجامع وعين من أوقاف هذه الزاوية لكل فقير يرد من الحرمين الشريفين أو من الشام ومصر والعراقين وخراسان وسواها كسوة كاملة ومائة درهم يوم قدومه وثلاثمائة درهم يوم سفره والنفقة أيام مقامه وهي الخبز واللحم والارز المطبوخ بالسمن والحساء ولكل فقير من بلاد الروم عشرة دراهم وضيافة ثلاثة أيام ثم انصرفنا وبتنا ليلة ثانية بزاوية في جبل شامخ لعمارة فيه عمرها بعض الفتيان الاخيرة ويعرف بنظام الدين من اهل قسطنطينية ووقف عليها قرية

ينفق خراجها على الوارد والصادر بهذه الزاوية وسافرنا من هذه الزاوية الى مدينة صنوب (وضبط اسمها بفتح الصاد وضم النون وآخره باء) وهي مدينة حافلة جمعت بين التحسين والنحسين يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهي جهة الشرق ولها هذا الباب واحد لا يدخل اليها أحد الا باذن أميرها وأميرها ابراهيم بك ابن السلطان سليمان بادشاه الذي ذكرناه ولما استؤذن لنا عليه دخلنا البلد ونزلنا بزاوية عز الدين أخى چلبى وهي خارج باب البحر ومن هناك يصعد الى جبل داخل في البحر كيناسبة فيه البساتين والمزارع والمياه وأكثر فواكه التين والعنب وهو جبل مانع لا يستطيع الصعود اليه وفيه احدى عشرة قرية يسكنها كفار الروم تحت ذمة المسلمين وباعلاه رابطة تنسب للخضر والياس عليهم ما السلام لا تخلو عن متعبد وعندها عين ماء والدعاء فيها مستجاب وبسفح هذا الجبل تبرا لولى الصالح الصحابي بلال الحبشى وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر والمسجد الجامع بمدينة صنوب من أحسن المساجد وفي وسطه بركة ماء عليها قبعة تقطرها أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام ووقوعها مجلس يصعد له على درج خشب وذلك من عمارة السلطان برونه ابن السلطان علاء الدين الرومى وكان يصلى الجمعة بأعلى تلك القبعة ومالك بعده غازى چلبى فلما مات تغلب عليها السلطان سليمان المذكور وكان غازى چلبى المذكور شجاعا مقداما ووجهه الله خاصية فى الصبر تحت الماء وفى قوّة السباحة وكان يسافر فى الاجفان الحربية لحرب الروم فاذا كانت الملاقاة واشتغل الناس بالقتال نخاص تحت الماء ويده آلة حديد يخرق بها أجفان العدو ولا يشعر ببحال بهم حتى يدهمهم الغرق وطرقت مرسى بلبده مرة أجفان للعدو ونفروها وأسر من كان فيها وكانت فيه كفاية لا كفاء لها الا انهم يذكرون انه كان يكثر أكل الحشيش وبسببه مات فانه خرج يوما للتصيد وكان مولعا به فاتبع غزاله ودخلت له بين أشجار وزاد فى ركض فرسه فعارضته شجرة ففطر بت رأسه فشدخته فمات وتغلب السلطان سليمان على البلد وجعل به ابنه ابراهيم ويقال انه أيضا يأكل ما كان يأكله صاحبه على ان أهل بلاد الروم كلها لا ينكروا أكلها ولقد مررت يوما على باب الجامع بصنوب وبخارجة دكاكين يقعد الناس عليها فرأيت نفرا من كبار الاجناد وبين أيديهم خديم لهم بيده شكاكة ملوثة بشئ يشبه الخناء واحد منهم يأخذ منها بلعة ويأكل وأنا أنظر اليه ولا علم لى بما فى الشكاكة فقلت من كان معي فأخبرنى انه الحشيش وأضافنا هذه المدينة قاضيها ونائب الأمير بها ومعلمه ويعرف بابن عبد الرزاق

(حكاية) *

لما دخلنا هذه المدينة رأنا أهلها ونحن نصلى مسجداً على أيدينا وهم حنفية لا يعرفون مذهب

مالك ولا كيفية صلاته واختاره من مذهبه هو اسبال اليدين وكان بعضهم يرى الروافض بالخجاز والعراق يصاون مسبلى أيديهم فاتهمونا بمذهبهم وسألونا عن ذلك فأخبرناهم اننا على مذهب مالك فلم يقنعوا بذلك منذ واستقرت التهمة في نفوسهم حتى بعث الينا نائب السلطان بارنب وأوصى بعض خدامه ان يلازمنا حتى يرى ما نفعه بل به فذبحناه وطبخناه واكلناه وانصرف الخديم اليه وأعلمه بذلك فيئذذالت عنا التهمة وبعثوا الينا بالضيافة والروافض لا يأكلون الارنب وبعد أربعة أيام من وصولنا الى صنوب توفيت أم الامير ابراهيم بها فخرجت في جنازتها وخرج ابنها على قدميه كاشفا شعره وكذلك الامراء والماليك وثيابهم مقلوبة وأما القاضي والخطيب والفقهاء فانهم قلبوا ثيابهم ولم يكشفوا رؤسهم بل جعلوا عليها مناديل من الصوف الاسود عوضا عن العمام وأقاموا يطعمون الطعام أربعين يوما وهي مدة العزاء عندهم وكانت اقامتنا بهذه المدينة نحو أربعين يوما تنتظر مساعدة الريح ثم ركبنا البحر فلما نوسطناه بعد ثلاث هال علينا واشتد بنا الامر ورأينا الهلاك عيانا وكنت بالطارمة ومعى رجل من أهل المغرب يسمى أبا بكر فأمرته ان يصعد الى أعلى المركب لينظر كيف البحر فنعمل ذلك وأتاني بالطارمة فقل لي استودعكم الله ودهننا من الهول ما لم يعهد مثله ثم تغيرت الريح وردتنا الى مقربة من مدينة صنوب التي خرجنا منها وأراد بعض التجار النزول الى مرساها فغنت صاحب المركب من انزاله ثم استقامت الريح وسافرنا فلما توسطنا البحر هال علينا وجرى لنا مثل المرة الاولى ثم ساعدت الريح ورأينا جبال البروق صعدنا مرسى يسمى الكرش فأردنا دخوله فأشار الينا أناس كانوا بالجبل أن لا ندخلوا فخفنا على أنفسنا ووطننا أن هنالك اجفانا للعدو وفرج عنا مع البر فلما قاربناه قلت لصاحب المركب أريد ان أنزل هاهنا فانزلني بالساحل ورأيت كنيسة فقصدتها فوجدت بها راهبا ورأيت في أحد حيطان الكنيسة صورة رجل عربى عليه عمامة مقلد سيفا ويده مرفوع بين يديه سراج يقذفه للراهب ما هذه الصورة فقال هذه صورة النبي على فعجبت من قوله وبتنا تلك الليلة بالكنيسة وطبخنا دجاجا فلم نستطع أكلها اذ كانت مما استصحبناه في المركب ورائحة البحر قد غلبت على كل ما كان فيه وهذا الموضع الذى نزلنا به هو من الصحراء المعروفة بدشت قنچق (والدشت بالشين المعجم والتاء المثناة) بلسان الترك هو الصحراء وهذه الصحراء خضرة نضرة لا شجر بها ولا جبل ولا تل ولا نية ولا حطب وانما يوقدون الارواث ويسمون بها التزك (بالزاي المفتوح) فترى كهراهم يلقطونها ويجمعونها في أطراف ثيابهم ولا يسافروا في هذه الصحراء الا في العجل وهي مسيرة ستة أشهر ثلاثة منها في بلاد السلطان محمد وأوزبك وثلاثة في بلاد غيره ولما كان الغد من يوم وصولنا الى هذه المرسى توجه بعض التجار من أصحابنا الى من بهذه

الصخر اء من الطائفة المعروفة بقبحى وهم على دين النصرانية فاكترى عنهم عجلة يجرها
الفرس فركبناها ووصلنا الى مدينة الكفا (واسمها بكاف وفامفتوحين) وهى مدينة عظيمة
مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى واكثرهم الجنويون ولهم أمير يعرف بالمدير
ونزلنا منها بمسجد المسلمين

(حكاية) *

ولما نزلنا بهذا المسجد أذن به ساعة ثم سمعنا أصوات النواويس من كل ناحية ولما كن
سمعنا قطف النى ذلك وأمرت أحمبى أن يصعدوا الصومعة و يقرأوا القرآن ويذكروا الله
ويؤذنون فنعاد ذلك فاذا برجل قد دخل علينا وعليه الدرع والصلاح فسلم علينا واستفهمناه
عن شأنه فأخبرنا أنه قاضى المسلمين هنالك وقال لما سمعت القراءة والاذان خفت عليكم
بفت كاترون ثم انصرف عنا ومارأينا الا خيرا ولما كان من الغد جاء إلينا الأمير وصنع
طعاما فأكلنا عند دوطقنا بالمدينة فرأيناها حسنة الاسواق وكلهم كفار ونزلنا الى مرساها
فرأينا مرسى عجيبا به نحو مائتى مركب ما بين حرن وسفرى صغيرا وكبيرا وهو من مرسى
الدنيا الشهيرة ثم اكترينا عجلة وسافرنا الى مدينة القرم وهى (بكسر القاف وفتح الراء) مدينة
كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد اوزبك خان وعليها أمير من قبله اسمه تلىكتور وضبط
اسمه (بتاء مثناة مضمومة ولام مضمومة وكاف مسكن وتاء كالا لى مضمومة وميم مضمومة وواو
ورا) وكان أحد خدام هذا الأمير قد صعبنا فى طريقنا فعرفه بقدر منافعنا الى مع امامه بعد
الدين بفرس ونزلنا براوية شيخها زاده الخراسانى فاكرمنا هذا الشيخ ورحب بنا وأحسن إلينا
وهو معظم عندهم ورأيت الناس يأتون للسلام عليه من قاض وخطيب وقيمة وسواهم
وأخبرنى هذا الشيخ زاده ان بخارج هذه المدينة راهبا من النصارى فى دير يعبد به ويكثر الصوم
وانه انتهى الى ان يواصل أربعين يوما ثم يفطر على حبة فول وانه يكاشف بالامور ورغب منى
ان أصحبه فى التوجه اليه فأبيت ثم ندمت بعد ذلك على أن لم أكن رأيت وعرفت حقيقة أمره
ولقيت به هذه المدينة قاضى الاعظم شمس الدين السائلى قاضى الخففة ولقيت بها قاضى
الشافعية وهو يسمى بخضر والفقهاء المدرس علاء الدين الاصبى وخطيب الشافعية أبا بكر وهو
الذى يخطب بالمسجد الجامع الذى عمره الملك الناصر رحمه الله بهذه المدينة والشيخ الحكيم
الصالح مظفر الدين وكان من الروم فاسلم وحسن اسلامه والشيخ الصالح العابد مظهر الدين
وهو من الفقهاء المعظمين وكان الأمير تلىكتور من يضا ندخلنا عليه فأكرمنا وأحسن إلينا
وكان على التوجه الى مدينة السراخطرة السلطان محمد اوزبك فعملت على السير فى صحبته
واشتريت العجلات برسم ذلك

* ذكر العجلات التي يسافر عليها هذه البلاد *

وهم يسمون العجلة عربية (يعين مهجلة وراء وباء موحدة مفتوحات) وهي عجلات تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار ومنها ما يجره فرسان ومنها ما يجره أكثر من ذلك وتجريها أيضا البقر والجمال على حال العربية في ثقلها أو خفتها والذي يخدم العربية يركب إحدى الأفراس التي تجريها ويكون عليه سرج وفي يده سوط يحركه المشى وعود كبير يصوبها به إذا عاجت عن القصد ويجعل على العربية شبه قبة من قضبان خشب مربوط بعضها إلى بعض بسيور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتكسى باللبد أو بالملف ويكون فيها طيقان مشبكة ويرى الذي بداخلها الناس ولا يرونه ويتقلب فيها كما يحب وينام ويأكل ويقرأ ويكتب وهو في حال سيره والتي تحمل الأثقال والأزواد وخزائن الأطنجة من هذه العربات يكون عليها شبه البيت كما ذكرنا وعليها قفل وجهاز لما أردت السفر عربية لركوب مغشاة باللبد ومعها جاريفة لي وعربة صغيرة لرفيقي عفيف الدين أنتوزري وعجلة كبيرة لسائر الأصحاب يجريها ثلاثة من الجبال يركب أحدها خادم العربية وسرنا في صحبة الأمير تلاكتمور وأخيه عيسى وولديه قطاودمور وصارربك وسافر أيضا معه في هذه الوجهة أمانه سعد الدين والخطيب أبو بكر والقاضي شمس الدين والفقيه شرف الدين موسى والمعرف علاء الدين وخطة هذا المعرف أن يكون بين يدي الأمير في مجلسه فإذا أتى القاضي يقف له هذا المعرف ويقول بصوت عال بسم الله سيدنا ومولانا قاضي القضاة والحكام مبین الفتاوى والأحكام بسم الله وإذا أتى فقيه معظم أو رجل مشار إليه قال بسم الله سيدنا فلان الدين بسم الله فيتمياً من كان حاضراً لدخول الداخل ويقوم إليه ويفسح له في المجلس وعادة الأتراك أن يسيروا في هذه الصحراء سيرا كسير الحجاج في درب الحجاز يرحلون بعد صلاة الصبح وينزلون ضحى ويرحلون بعد الظهر وينزلون عشياً وإذا نزلوا حلوا الخيل والأبل والبقر عن العربات وسرحوها للرعى ليلاً ونهاراً ولا يعلف أحد دابة لا السلطان ولا غيره وخاصة هذه الصحراء أن نباتها يقوم مقام الشعير للدواب وأيست لغيرها من البلاد هذه الخاصية ولذلك كثرت الدواب بها ودوابهم لا رعاة لها ولا حراس وذلك لشدة أحكامهم في السرقة وحكمهم فيها أنه من وجد عنده فرس مسروق كلف أن يردّه إلى صاحبه ويعطيه معه تسعة مثله فإن لم يقدر على ذلك أخذ أولاده في ذلك فإن لم يكن له أولاد ذبح كما تذبح الشاة وهو لاء الأتراك لا يأكولون الخبز ولا الطعام الغليظ وإنما يصنعون طعاماً من شئ عندهم شبه الأتلى يسمونه الدوقى (بدال مهمل مضموم وواو ووقف مكسور معتقد) يجعلون على النار الماء فإذا غلى صبوا عليه شيئاً من الدوقى وإن كان عندهم لحم قطعوه قطعاً صغيراً وطبخوه معه ثم يجعل لكل رجل نصيبه في صفة ويصبون عليه اللبن الرائب ويشرّبونه ويشرّبون

عليه لبن الخيل وهم يسمونه التمر (بكسر القاف والميم والزاي المشددة) وهم أهل قوة وشدة وحسن مزاج ويستعملون في بعض الاوقات طعاما يسمونه البورخاني وهو عجينة يقطعونه قطيعات صغاراً ويثقبون أوساطها ويجعلونها في قدر فاذا طبخت صلبوا عليها اللبن الرائب وشربوها ولهم نبيذ يصنعونه من حب الدوق الذي تقدم ذكره وهم يرون أكل الحلواء عيباً ولقد حضرت يوماً عند السلطان أوزبك في رمضان فأحضرت لحوم الخيل وهي أكثر ما يأكلون من اللحم ولحوم الاغنام والشتا وهو شبه الاطرية يطبخ ويشرب باللبن وأتيته تلك الليلة بطبق حلواء صنعها بعض أصحابي فقدمتها بين يديه فجعل أصبعه عليها وجعله على فيه ولم يزد على ذلك وأخبرني الامير تالكتوران أحد الكبار من ممالك هذا السلطان وله من أولاد دوا وأولاد دونه نحو أربعين ولداً قال له السلطان يوماً كل الحلواء وأعتقكم جميعاً فاني وقال لوقتلتني ما أكلتها ولما خرجنا من مدينة القرم نزلنا براوية الامير تالكتوران في موضع يعرف بسججان فبعث الى أن أحضر عنده فركبته اليه وكان لي فرس معدل كوبي يقوده خديم العربية فاذا أردت ركوبه ركبته وأتيته الزاوية فوجدت الامير قد صنع بها طعاماً كثيراً فيه الخبز ثم أتوا بماء أبيض في صحاف صغار فشرب القوم منه وكان الشيخ مظفر الدين يلى الامير في مجلسه وأنا اليه فقلت له ما هذا فقال هذا ماء الدهن فلم أفهم ما قال فذقته فوجدت له حوضه فركبته فلما خرجت سألت عنه فقالوا هو نبيذ يصنعونه من حب الدوق وهم حنفية المذهب والنبيذ عندهم حلال ويسمون هذا النبيذ المصنوع من الدوق البوزة (بضم الباء الموحدة وواو مدوزاي مفتوح) وانما قال لي الشيخ مظفر الدين ماء الدخن ولسانه فيه اللكنة الالعجمية فظننت انه يقول ماء الدهن وبعد مسيرة ثمانية عشر منزلاً من مدينة القرم وصلنا الى ماء كثير نخوضه يوماً كاملاً واذا أكثر خوض الدواب والعربات في هذا الماء اشتدت وحله وزاد صعوبة فذهب الامير الى راحتي وقد منى أمامه مع بعض خدامه وكتب لي كتاباً الى أمير أراق يعلمه أنني أريد القدوم على الملك ويحضه على أكرامى وسرنا حتى انتهينا الى ماء آخر نخوضه نصف يوم ثم سرنا بعده ثلاثاً ووصلنا الى مدينة أراق (وضبط اسمها بفتح الهمزة والزاي وآخره قاف) وهي على ساحل البحر حسنة العمارة يقصدها الجنويون وغيرهم بالتجارات وبها من القتيان أخي بحقبي وهو من العظماء يطعم الوارد والصادر ولما وصل كتاب الامير تالكتوران الى أمير أراق وهو محمد خواجه الخوارزمي خرج الى استقبالي ومعه القاضي والطلبة وأخرج الطعام فلما سلمنا عليه نزلنا بموضع أكلنا فيه ووصلنا الى المدينة ونزلنا بخارجها بقربة من رابطة هنالك تنسب للخضر والياس عليها شمس السلام وخرج شيخ من أهل أراق يسمى بربج النهر ملكي نسبة الى قرية بالعراق فأضافنا براوية له ضيافة حسنة وبعد يومين من قدومنا قدم الامير تالكتوران وخرج الامير محمد للقائه

ومعه القاضي والطائفة وأعدوا له الضيافات وضربوا ثلاث قباب متصلا بعضها ببعض احداها من الحرير الملوّن بحبيبة والثنتان من الكمان وأداروا عليهما سراجة وهي المسماة عندنا أفراج وخارجها الدهليز وهو على هيئة البرج عندنا ولما نزل الأمير بسطت بين يديه شقائق الحرير عشي عليها فكان من مكارمه وفضله ان قدّمني أمامه ليرى ذلك الأمير من ثقتي عنده ثم وصلنا الى الخباء الاولى وهي المعدة لجلوسه وفي صدرها كرسي من الخشب الجلوسه كبير مرصع وعليه مرتبة حسنة قدّمني الأمير أمامه وقدّم الشيخ مظفر الدين وصعد هو وجلّس فيما بيننا ونحن جميعا على المرتبة وجلّس قاضيه وخطيبه وقاضي هذه المدينة وطائفتهم عن يسار الكرسي على فرش فاخرة ووقف ولدا الأمير تلميذان وأخوه والأمير محمد وأولاده في الخدمة ثم أنابا لا طعمة من لحوم الخيل وسواها وأنابا لبان الخيل ثم أنابا لبوزة وبعد الفراغ من الطعام قرأ القرآن بالاصوات الحسان ثم نصب منبر وصعد الواعظ وجلّس القراء بين يديه وخطب خطبة بليغة ودعا للسلطان وللأمير وللحاضرين يقول ذلك بالعربي ثم يفسره لهم بالتركي وفي أثناء ذلك يكرر القراء آيات من القرآن بترجيع عجيب ثم أخذوا في الغناء يغنون بالعربي ويسمونه القول ثم بالفارسي والتركي ويسمونه المسموع ثم أنابا بطعام آخر ولم يزلوا على ذلك الى العشي وكلما أردت الخروج منعني الأمير ثم جاءوا بكسوة للأمير وكسي ولديه وأخيه وللشيخ مظفر الدين ولي وأنابا عشرة أفراس للأمير ولأخيه ولولديه بستة أفراس ولكل كبير من أصحابه بفرس ولى بفرس والخيل بهذه البلاد كثيرة جدا وثمنها نزرقة الجيد منها خمسون درهما أو ستون من دراهمهم وذلك صرف دينار من دنانيرنا وأنحوه وهذه الخيل هي التي تعرف بمصر بالا كاديش ومنها معاشهم وهي بيلادهم كالغنم بيلا دنابل أكثر فيكون للترك منهم آلاف منها ومن عادة الترك المستوطنين تلك البلاد أصحاب الخيل انهم يضعون في العربات التي تركب فيها نساءهم قطعة لبد في طول الشبر مربوطة الى عود رقيق في طول الذراع في ركن العربنة ويجعل لكل ألف فرس قطعة ورأيت منهم من يكون له عشر قطع ومن له دون ذلك وتحمل هذه الخيل الى بلاد الهند فيكون في الرقعة منها ستة آلاف وما فوقها وما دونها لكل تاجر المائة والمائتان فادون ذلك وما فوقه ويستأجر التاجر لكل خمسين منها راعيا يقرم عليها ويرعاها كالغنم ويسمي عندهم القشي ويركب أحدها وييده عصي طويلة فيها حبل فاذا أراد أن يقبض على فرس منها جازاه بالفرس الذي هو راكبه ورعى الحبل في عنقه وجذبه فيركبه ويترك الاخر للرعى واذا وصلوا بها الى أرض السند أطعموها العلف لان نبات أرض السند لا يقوم مقام الشعير ويموت لهم منها الكثير ويسرق ويغرمون عليها بأرض السند سبعة دنانير فضة على ألف فرس بموضع يقال له ششمنقار ويغرمون عليها بملتان قاعدة بلاد السند وكانوا

فما تقدم يغمون ربع ما يجلبونه فرفع ملك الهند السلطان محمد ذلك وأصر ان يؤخذ من تجار المسلمين الزكاة ومن تجار الكفار العشر ومع ذلك يبقى للتجار فيها فضل كبير لانهم يبيعون الرخيص منها بلاد الهند باثني دينار دراهم وصر فيها من الذهب المغربي خمسة وعشرون دينارا وربعها بضعف ذلك وضعفه وضعفه والجياذ منها تساوى خمسة مائة دينار وأكثر من ذلك وأهل الهند لا يبتاعونها للبشرى والسبق لانهم يلبسون في الحرب الدروع ويدرعون الخيل وانما يبتعون قوة الخيل واتساع خطاها والخيل التي يتبعونها للسبق تجلب اليهم من اليمن وعمان وفارس وبيع الفرس منها بألف دينار الى أربعة آلاف ولما سافر الامير تليكمور عن هذه المدينة أفت بعده ثلاثة أيام حتى جهز الى الامير محمد خواجه آلات سفرى وسافرت الى مدينة الماخر وهي (بفتح الميم وألف وجيم مفتوح معقود وراء) مدينة كبيرة من أحسن مدن الترك على نهر كبير وبها البساتين والغوا كدالك كثيرة نزلنا منها براوية الشيخ الصالح العابد المعمر محمد البطائحي من بطائح العراق وكان خايفة الشيخ أحمد الرفاعي رضى الله عنه وفي زاويته نحو سبعين من فقراء العرب والفرس والترك والروم منهم المتزوج والعزب وعيشهم من الفتوح ولاهل تلك البلاد اعتقاد حسن في الفقراء وفي كل ليلة يأتون الى الراوية بالخيل والبقر والغنم ويأتى السلطان والخواتين لزيارة الشيخ والتبرك به ويجزلون الاحسان ويعطون العطاء الكثير وخصوصا النساء فانهم يكثرن الصدقة ويتحررن أفعال الخير وصلينا بمدينة الماخر صلاة الجمعة فلما قضيت الصلاة صعد الواعظ عز الدين المنبر وهو من فقهاء بخارى وفضلائها وله جماعة من الطلبة والقرأ يقرؤن بين يديه ووعظ وذكر وأمر المدينة حاضر وكبراء وهما فقام الشيخ محمد البطائحي فقال ان الفقيه الواعظ يريد السفر ونريد له زادة ثم خلع فرجية من عز كانه عليه وقال هذه منى اليه فكان الحاضرون بين من خلع ثوبه ومن أعطى فرسا ومن أعطى دراهم واجتمع له كثير من ذلك كله ورأيت بقية سارية هذه المدينة يمد ياسلم على وكلنى بالعربى فسألت عن بلاد قزكر انه من بلاد الاندلس وانه قدم منها فى البر ولم يسلك بحرا وأتى على طريق القسطنطينية العظمى وبلاد الروم وبلاد الجركس وذكر ان عهده بالاندلس منذ أربعة أشهر وأخبرنى التجار المسافرين الذين لهم المعرفة بذلك بصحة مقاله ورأيت بهذه البلاد عجبا من تعظيم النساء عندهم وهن أعلى شأن من الرجال فأما نساء الامراء فكانت أول رؤيتى لهن عند خروجى من القرم رؤية الخاتون زوجة الامير سلطانية فى عربة لها وكلها مجهزة بالملف الازرق الطيب وطيقان البيت مفتوحة وأبوابه وبين يديها أربع جوارفائات الحسن بديعات اللباس وخلفها جملة من العربات فيها جوار يتبعونها ولما قربت من منزل الامير نزلت عن العربة الى الارض ونزل معها نحو ثلاثين من الجوارى

يرفعن أذيالها ولا ثوابها عرى تأخذ كل جارية بعروة ويرفعن الأذيال عن الأرض من كل جانب ومشت كذلك متبخرة فلما وصلت إلى الأمير قام إليها وسلم عليها وأجلسها إلى جانبه ودار بها جوارها وجاؤا برؤيا القمز فصبت منه في قدح وجلست على ركبتيها قد دام الأمير وناولته القدح فشرب ثم سقت أخاه وسقاها الأمير وحضر الطعام فأكلت معه وأعطاهما كسوة وانصرفت وعلى هذا الترتيب نساء الأمراء وسند كرنساء الملك فيما بعد وأما نساء الباعة والسوقة فرأيتن واحداهن تكون في العربية والخيل تجرّها وبين يديها الثلاث والأربع من الجوارى يرفعن أذيالها وعلى رأسها البغطاق وهو أقروف مرصع بالجواهر وفي أعلاه ريش الطواويس وتكون طيقان البيت مفتحة وهي بادية الوجه لأن نساء الأتراك لا يحجبن وتأتى أحداهن على هذا الترتيب ومعها عبيدها بالغنم واللبن فتبيعه من الناس بالسلع العطرية وربما كان مع المرأة منهز زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب الأفروقة من جلد الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها الكلا وتجهزنا من مدينة الماجر نقصد معسكر السلطان وكان على أربعة أيام من الماجر بموضع يقال له بش دغ ومعنى بش عندهم خمسة وهو (بكسر الباء وشين معجم) ومعنى دغ الجبل وهو (بفتح الدال المهمل وغين معجم) وبهذه الجبال الخمسة عين ماء حار يغتسل منها الأتراك ويرغمون أنه من اغتسل منها لم تصببه عاهة مرض وارتحلنا إلى موضع المحلة فوصلناه أول يوم من رمضان فوجدنا المحلة قد رحلت فعدنا إلى الموضع الذي رحلنا منه لأن المحلة تنزل بالقرب منه فضربت بيتي على تل هنالك وركبت العلم أمام البيت وجعلت الخيل والعربات وراء ذلك وأقبلت المحلة وهم يسمونها الأرذو بضم الهمزة فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها المساجد والأسواق ودخان المطبخ صاعد في الهواء وهم يطبخون في حال رحيلهم والعربات تجرّها الخيل بهم فاذا بانغوا المنزل نزلوا البيوت عن العربات وجعلوها على الأرض وهي خفيفة المحمل وكذلك يصنعون بالمساجد والحوانيت واجتاز بنا خواتين السلطان كل واحدة بناسها على حدة ولما اجتازت الرابعة منهز وهي بنت الأمير عيسى بك وسند كرها رأيت البيت بأعلى التل والعلم أمامه وهو علامة الوارد فبعثت الفتيان والجوارى فسلموا على وبلغوا سلامها إلى وهي واقفة تتنظرهم فبعث إليها هدية مع بعض أصحابي ومع معرف الأمير تلك التعمير فقبلتها تبركا وأمرت أن أنزل في جوارها وانصرفت وأقبل السلطان فنزل في محلته على حدة

(ذكر السلطان المعظم محمد أوزبك خان)*

واسمه محمد أوزبك (بضم الهمزة وواو زاي مسكن وباء موحدة مفتوحة) ومعنى خان عندهم السلطان وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان قاهر

لا عداة الله أهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم وبلادهم متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا والقرم والماجر وازاق وسرداق (سوداق) وخوارزم وحضرته السرا وهو واحد الملوك السبعة الذين هم كبراء ملوك الدنيا وعظماءها وهم مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه امام الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان أو زبك هذا وسلطان بلاد تركستان وماوراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين ويكون هذا السلطان اذا سافر في محلة على حدة معه مما يليكه وأرباب دولته وتكون كل خاتون من خواتينه على حدة في محلتها فاذا أراد ان يكون عند واحد منهم يبعث اليها يعلمها بذلك فتنهيا له وله في عودته وسفره وأمره ترتيب عجيب بديع ومن عادته ان يجلس يوم الجمعة بعد الصلاة في قبة تسمى قبة الذهب مزينة بديعة وهي من قضبان خشب مكسوّة بصفائح الذهب وفي وسطها سرير من خشب مكسو بصفائح الفضة المذهبة وقوائمه فضة خالصة ورؤسها من صعة بالجواهر ويقعد السلطان على السرير وعلى يمينه الخاتون طيطة غلي وتليها الخاتون كبك وعلى يساره الخاتون بيان وتليها الخاتون اردجى ويقف أسفل السرير عن اليمين ولد السلطان تين بك وعن الشمال ولده الثاني جان بك وتجلس بين يديه ابنته ايت كجك واذا أتت احدها من قام لها السلطان وأخذ يدها حتى تصعد على السرير وأما طيطة غلي وهي الملكة واحظاها عنده فانه يستقبلها الى باب القبة فيسلم عليها ويأخذ يدها فاذا صعدت على السرير وجلست حينئذ يجلس السلطان وهذا كله على أعين الناس دون احتجاب ويأتى بعد ذلك كبار الامراء فتنصب لهم كراسيهم عن اليمين والشمال وكل انسان منهم اذا أتى مجلس السلطان يأتى معه غلام بكرسيه ويقف بين يدي السلطان أبناء الملوك من بنى عمه واخوته وأقاربه ويقف في مقابلتهم عند باب القبة أولاد الامراء الكبار ويقف خلفهم وجوه العساكر عن يمين وشمال ثم يدخل الناس للسلام الامثال فالا مثل ثلاثة فثلاثة فيسلمون وينصرفون فيجلسون على بعد فاذا كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة من الخواتين ثم ينصرف سائرهن فيتبعنها الى محلتها فاذا دخلت اليها انصرفت كل واحدة الى محلتها راكبة عربتها ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل وامام العربية نحو مائة من الصبيان وامام القتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركبانا ومثلهم مشاة بأيديهم القضبان والسيوف مشدودة على أوساطهم وهم بين الفرسان والقتيان وهكذا ترتيب كل خاتون منهم في انصرافها ومجيئها وكان نزول من المحلة في جوار ولد السلطان جان بك الذي يقع ذكره فيما بعد وفي

الغد من يوم وصولي دخلت الى السلطان بعد صلاة العصر وقد جمع المشايخ والقضاة والفقهاء
والشرفاء والفقراء وقد صنع طعاما كثيرا وافطروا بمحضرة وتكلم السيد الشريف نقيب
الشرفاء ابن عبد الحميد والقاضي حمزة في شأنى بالخير وأشاروا على السلطان بأكرامى وهؤلاء
الأتراك لا يعرفون انزال الوارد ولا اجراء النفقة وانما يبعثون له الغنم والخيل للذبح وروايا القمز
وتلك كرامتهم وبعد هذا يا يوم صليت صلاة العصر مع السلطان فلما أردت الانصراف أمرنى
بالقعود وجاؤا بالطعام من المشروبات كما يصنع من الدوقى ثم باللحوم المسلوقة من الغنى والخيل
وفى تلك الليلة أتيت السلطان بطبق حلواء فجعل أصبعه عليه وجعله على فيه ولم يزد على
ذلك

* (ذكر الخواتين وترتيبهن) *

وكل خاتون ممن تركب فى عربية وللبيت الذى تكون فيه قبة من الفضة الموهبة بالذهب
أو من الخشب المرصع وتكون الخيل التى تجر عربتها مجللة بأثواب الحرير المذهب وخديم
العربة الذى يركب أحدها الخيل فتى يدعى القشى والخاتون قاعدة فى عربتها وعن يمينها
امرأة من القواعد تسمى أولو خاتون (بضم الهمزة واللام) ومعنى ذلك الوزيرة وعن شمالها
امرأة من القواعد أيضا تسمى بكك خاتون (بضم الكاف والجيم) ومعنى ذلك الحاجة وبين
يديها ست من الجوارى الصغار يقال لهن البنات فائقات الجمال متباهيات الكمال ومن
ورائهن اثنتان ممن تستند إليهن وعلى رأس الخاتون البغطاق وهو مثل التاج الصغير مكلل
بالجواهر وباعلاها ريش الطواويس وعليها ثياب حرير مرصعة بالجواهر وشبه المنوت
(الملوطة) التى يلبسها الروم وعلى رأس الوزيرة والحاجة مقنعة حرير من ركشة الخواشى
بالذهب والجواهر وعلى رأس كل واحدة من البنات الكلا وهو شبه الاقروف وفى أعلى دائره
ذهب مرصعة بالجواهر وريش الطواويس من فوقها وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب
يسمى النخ ويكون بين يدي الخاتون عشرة أو خمسة عشر من القتيان الروميين والهنديين وقد
لبسوا ثياب الحرير المذهب المرصعة بالجواهر ويبدل كل واحد منهم عمود ذهب أو فضة أو يكون
من عمود ملبس بهما وخلف عربة الخاتون نجوم مائة عربة فى كل عربة ثلاث والاربعة
من الجوارى الكبائر والصغار ثياب الحرير وعلى رؤسهن الكلا وخلف هذه العربات نحو
ثلاثمائة عربة تجرّها الجمال والبقر تحمل خزان الخاتون وأموالها وثيابها وأثاثها وطعامها
ومع كل عربة غلام موكل بهام تزوج بجارية من الجوارى التى ذكرنا فان العادة عندهم
انه لا يدخل بين الجوارى من العلمان الا من كان له بينهن زوجة وكل خاتون فهى على هذا
الترتيب ولندكرهن على الانفراد

* (ذكر الخاتون الكبرى) *

والخاتون الكبرى هي الملكة أم ولدي السلطان جان بك وتين بك وسند كرها وليست أم ابنته آيت بكجك وأمهها كانت الملكة قبل هذه واسم هذه الخاتون طيطغلي (بفتح الطاء المهملة الاولى) واسكان الباء آخر الحروف وضم الطاء الثانية واسكان الغين المعجمة وكسر اللام وياء مد) وهي احتضت نساء هذا السلطان عنده وعند هايت أكثر لياليه ويعظمها الناس بسبب تعظيمها لها والافهى أبجل الخواتين وحدثني من اعتمد من العارفين باخبار هذه الملكة أن السلطان يحبها للخاصية التي فيها وهي انه يجدها كل ليلة كأنها بكر وذكركني غيرد انها من سلالة المرأة التي يذكر ان الملك زال عن سليمان عليه السلام بسببها ولما عاد اليه ملكه أمر ان توضع بصحراء لا عمارة فيها فوضعت بصحراء فقبحق وان رحم هذه الخاتون شبه الحلقة خلقة وكذلك كل من هو من نسل المرأة المذكورة ولم أر بصحراء فقبحق ولا غيرها من أخبرانه رأى امرأة على هذه الصورة ولا سمع بها الا هذه الخاتون اللهم الا ان بعض أهل الصين أخبرني ان بالصين ضمة من نساء على هذه الصورة ولم يقع بيدي ذلك ولا عرفت له حقيقة وفي غدا اجتماعي بالسلطان دخلت الى هذه الخاتون وهي قاعدة فيما بين عشر من النساء القواعد كأنهن خديجات لها وبين يديها نحو خمسين جارية صغار اسمون البنات وبين ايديهن طيا فير الذهب والفضة مملوءة بحب الملوك وهن ينقينه وبين يدي الخاتون صينية ذهب مملوءة منه وهي تنقيه فسلمنا عليها وكان في جملة أصحابي قارئ يقرأ القرآن على طريقة المصريين بطريقة حسنة وصوت طيب نقرأ ثم أمرت ان يؤتى بالقمر فأتى به في أقداح خشب لطاف خفاف فأخذت القدح بيدها وناولتني اياه وتلك نهاية الكرامة عندهم ولم أكن شربت القمر قبلها ولا كن لم يمكنني الا قبوله وذقته ولا خيره فيه ودفعته لاحد أصحابي وسألتني عن كثير من حال سفرنا فأجبناهما ثم انصرفنا عنها وكان ابتداءنا بها لاجل عظمتهما عند الملك

* (ذكر الخاتون الثانية التي تلي الملكة) *

واسمها كيك خاتون (بفتح الكاف الاولى وفتح الباء الموحدة) ومعناه بالتركية النخالة وهي بنت الامير زغطي (واسمها بنون وغين معجمة وطاء مهملة مفتوحات وياء مسكنة) وأبوها حجة مبتلى بعلة النقرس وقد رأيته وفي غدا دخولنا على الملكة دخلنا على هذه الخاتون فوجدناها على مرتبة تقرأ في المصحف الكريم وبين يديها نحو عشر من النساء القواعد ونحو عشرين من البنات يطرزن ثيابا فسلمنا عليها وأحسنتم في السلام والكلام وقرأنا فاستحسنتم وأمرت بالقمر فأحضر وناولتني القدح بيدها كمثل ما فعلته الملكة وانصرفنا عنها

* (ذكر الخاتون الثالثة) *

واسمها بيلون (ببء موحدة وببء آخر الحروف كلاهما مفتوح ولام مضموم وو او مدونون) وهي بنت ملك القسطنطينية العظمى السلطان تكفور ودخلنا على هذه الخاتون وهي قاعدة على سر بر مصر قوائمه فضة وبين يديها نحو مائة جارية روميات وتركيات ونوبيات منهن قائمات وقاعدات والفتيان على رأسها والجناب بين يديها من رجال الروم فسألت عن حالنا ومقدمنا وبعد أوطاننا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كان بين يديها رقة منها وشفقة وأمرت بالطعام فأحضر وأكلنا بين يديها وهي تنظر إلينا ولما أردنا الانصراف قالت لا تنقطعوا عنا وترددوا إلينا والعونا بجواجكم وأظهرت مكارم الاخلاق وبعثت في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة جيدة وثلاثة من جيا د الخيل وعشرة من سائرها ومع هذه الخاتون كان سفرى الى القسطنطينية العظمى كما نذكره بعد

* (ذكر الخاتون الرابعة) *

واسمها اردوجا (بضم الهمزة واسكان الراء وضم الدال المهملة وجيم وألف) وارد وبلسانهم المحلة وسميت بذلك لولادتها في المحلة وهي بنت الامير الكبير عيسى بك أمير الالوس (بضم الهمزة واللام) ومعناه أمير الامراء وأدركته حيا وهو متزوج ببنت السلطان ايت بكجك وهذه الخاتون من أفضل الخواتين والطفهن شمائل وأشفقهن وهي التي بعثت الى المارأت بيتى على التل عند جواز المحلة كما قدمناه دخلنا عليها فقرأنا من حسن خطها وكرم نفسها مالا من يد عليه وأمرت بالطعام فأكلنا بين يديها ودعت بالتمزق فشرب أصحابنا وسألت عن حالنا فأجبناها ودخلنا أيضا الى أختها زوجه الأمير على بن أرزق

* (ذكر بنت السلطان المعظم أوز بك) *

واسمها ايت بكجك وايت (بكسر الهمزة وببء مدوتاء مثناة وبكجك بضم الكاف وضم الجيمين) ومعنى اسمها الكلب الصغير فان ايت هو الكلب وبكجك هو الصغير وقد قدمنا ان الترك يسمون بالفعال كما تفعل العرب وتوجهنا الى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلة منفردة على نحو ستة أميال من محلة والدها فأمرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايع والفقراء وحضر زوجها الامير عيسى الذى بنته زوجته السلطان فتعدها على فراش واحد وهو معتل بالنقرس فلا يستطيع التصرف على قدميه ولا ركوب الفرس وانما يركب العربى واذا أراد الدخول على السلطان أنزله خدامه وأدخلوه الى المجلس محمولا وعلى هذه الصورة رأيت أيضا الامير نغوى وهو أبو الخاتون الثانية وهذه العلة فاشية في هؤلاء الاتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت السلطان من المكارم وحسن

الاخلاق ما لم نره من سواها واجزت الاحسان وأفضلت جزاها الله خير
* (ذكر ولدى السلطان) *

وهما شقيقان وأمهما جميعا الملكة طيطغلى التى قد منادى كرها والا كبر منهما اسمه تين بك (بتاء
معقوفة مكسورة وإياء ممدون مفتوح) وبك معناه الامير وتين معناه الجسد فكأن اسمه أمير
الجسد واسم أخيه جان بك (بفتح الجيم وكسر النون) ومعنى جان الروح فكأنه يسمى امير
الروح وكل واحد منهما له محلة على حدة وكان تين بك من أجل خلق الله صورة وعهد له
أبوه بالملك وكانت له الخطوة والتشريف عنده ولم يرد الله ذلك فانه لما سأت أبوه ولما سيرا ثم
قتل لا مورق بجمحة جرت له وولى أخوه جان بك وهو خير منه وأفضل وكان السيد الشريف ابن
عبد الحميد هو الذى تولى تربية جان بك وأشار على هو والقاضى حمزة والامام بدر الدين القوامى
والامام المقرئ حسام الدين البخارى وسواهم حين قدومى أن يكرن نزولى بمحلة جان بك
المدكور لفضله ففعلت ذلك

* (ذكر سفرى الى مدينة بلغار) *

وكنيت سمعت بمدينة بلغار فأردت التوجه اليها لارى ما ذكر عنهما من انتهاء قصر الليل بها وقصر
النهار أيضا فى عكس ذلك الفصل وكان بينهما وبين محلة السلطان مسيرة عشر فمليبت منه من
يوصلنى اليها فبعث معى من أوصلى اليها ورددنى اليه ووصلته فى رمضان فلما صلينا المغرب
أفطرنا وأذن بالعشاء فى اثناء افطارنا فصلينا بها ووصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر أثر
ذلك وكذلك يقصر النهار بها فى فصل قصره أيضا وأقمت بها ثلاثا

* (ذكر أرض الظلمة) *

وكنيت أردت الدخول الى أرض الظلمة والدخول اليها من بلغار وبينهما أربعون يوما ثم أضربت
عن ذلك لعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى والسفر اليها لا يكون الا فى عجالات صغار تجزها كلاب
كبار فان تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الا دمي ولا حافر الدابة فيها والكلاب لها
الاطفار فتثبت اقدامها فى الجليد ولا يدخاها الا اقوياء من التجار الذين يكون لا حدهم
مائة عجلة أو نحوها موقرة بطعامه وشرابه وحطبه فانها لا شجر فيها ولا حجر ولا مدر والدليل
بتلك الأرض هو الكلب الذى قد سار فيها مرارا كثيرة وتنتهى قيمته الى ألف دينار ونحوها
وتربط العربى الى عنقه ويقرن معه ثلاثة من الكلاب ويكون هو المقدم وتتبعه سائر
الكلاب بالعربات فاذا وقف وقفت وهذا الكلب لا يضربه صاحبه ولا ينزله واذا حضر
الطعام أطعم الكلاب أولا قبل بنى آدم والا غضب الكلب وفر وترك صاحبه للتلغ فاذا
كانت للمسافرين بهذه الفلاة أربعون من حلة نزلوا عند الظلمة وترك كل واحد منهم ما جاء به

من المتاع هنالك وعادوا الى منزلهم المعتاد فاذا كان من الغد عادوا لتفقد متاعهم فيجدون بازائه من السمرور والسنجاب والقاقم فان ارضى صاحب المتاع ما وجدته ازاء متاعه اخذه وان لم يرضه تركه فيزيدونه وربعارفعوا متاعهم اعنى اهل الظلمة وتر كوا متاع التجار وهكذا يبيعهم وشرأؤهم ولا يعلم الذين يتوجهون الى هنالك من يبايعهم ويشاريهم أمن الجن هو أم من الانس ولا يرون أحدا والقاقم هو أحسن أنواع الفراء وتساوى الفروة منه ببلاد الهند ألف دينار وصرها من ذهب امانتان وخمسون وهي شديدة البياض من جلد حيوان صغير في طول الشهر وذنبه طويل يتركونه في الفروة على حاله والسمرودون ذلك تساوى الفروة منه أربعائة دينار فادونها من خاصية هذه الجلود انه لا يدخلها القمل وأمرأء الصين وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلا بفر واهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقيين وعدت من مدينة بلغار مع الامير الذي بعثه السلطان في صحبتي فوجدت محلة السلطان على الموضع المعروف ببش دغ وذلك في الثامن والعشرين من رمضان وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة

* (ذكر ترتيبهم في العيد) *

ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكره العظيمة وركبت كل خاتون عربتها ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها ذهبي الملكة على الحقيقة ورثت الملك من أمها وركب أولاد السلطان كل واحد في عسكره وكان قد قدم لحضور العيد قاضي القضاة شهاب الدين السايلى ومعه جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي حمزة والامام بدر الدين القوامى والشرىف ابن عبد الحميد وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تين بك ولى عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضي شهاب الدين وخطب أحسن خطبة وركب السلطان وانتهى الى برج خشب يسمى عندهم الكشك فجلس فيه ومعهم خواتينه ونصب برج ثان دونه فجلس فيه ولى عهد وابنته صاحبة التاج ونصب برجان دونهما عن يمينه وشماله فيهما أبناء السلطان واقاربه ونصبت الكراسى للامراء وأبناء الملوك وتسمى الصندليات عن يمين البرج وشماله فجلس كل واحد على كرسى ثم نصبت طبالات للرعى لكل أمير طومان طبلة مختصة به وأمير طومان عندهم هو الذى يركب له عشرة آلاف فكان الحاضرون من أمراء طومان سبعة عشر يقودون مائة وسبعين ألفا وعسكره أكثر من ذلك ونصب لكل أمير شبه منبر فقعده عليه وأصحابه يلعبون بين يديه فكانوا على ذلك ساعة ثم أتى بالخلع فخلعت على كل أمير خلعة وعند ما يلبسها يأتى الى أسفل برج السلطان فيخدم وخدمته أن يمس الارض بركبته اليمنى ويمد رجليه تحتها والاخرى قائمة ثم يوثق بفرس

مسرح ملجوم فيرفع حافره ويقبل فيه الامير ويقوده بنفسه الى كرسيه وهناك يركبه ويقف مع عسكره ويفعل هذا الفعل كل أمير منهم ثم ينزل السلطان على البرج ويركب الفرس وعن يمينه ابنه ولى العهد وتليه بنته الملكة إيت كججك وعن يساره ابنه الثانى وبين يديه الخواتين الاربع فى عربات مكسوة بأثواب الحرير المذهب والخيل التى تجرها مجللة بالحرير المذهب وينزل جميع الامراء الكبار والصغار وأبناء الملوك والوزراء والحجاب وأرباب الدولة فيمشون بين يدي السلطان على اقدامهم الى أن يصل الى الوطاق والوطاق (بكسر الواو) وهو افراج وقد نصبت هنالك باركة (باركاه) عظيمة والباركة عندهم بيت كبير له أربعة أعمدة من الخشب مكسوة بصفايح الفضة الموهة بالذهب وفى أعلى كل عمود جامور من الفضة المذهبة له بريق وشعاع وتظهر هذه الباركة على البغد كأنها ثنية ويوضع عن يمينها ويسارها سقائف من القطن والكتان ويفرش ذلك كله بفرش الحرير وينصب فى وسط الباركة السرير الاعظم وهم يسمونه التخت وهو من خشب مرصع وأعواده مكسوة بصفايح فضة مذهبة وقوائمه من الفضة الخالصة الموهة وفوقه فرش عظيم وفى وسط هذا السرير الاعظم مرتبة يجلس بها السلطان والخاتون الكبرى وعن يمينه مرتبة جلست بها بنته إيت كججك ومعها الخاتون اردو جا وعن يساره مرتبة جلست بها الخاتون بيبلون ومعها الخاتون كبك ونصب عن يمين السرير كرسي قعد عليه تين بك ولد السلطان ونصب عن شماله كرسي قعد عليه جان بك ولده الثانى ونصبت كراسى عن اليمين والشمال جلس فوقها أبناء الملوك والامراء الكبار ثم الامراء الصغار مثل أمراء هزارة وهم الذين يقودون ألفاً ثم أتى بالطعام على موائد الذهب والفضة وكل مائدة يحملها أربعة رجال وأكثر من ذلك وطعامهم لحوم الخيل والغنم مسلوقة وتوضع بين يدي كل أمير مائدة ويأتى الباورجى وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير وقدر يبط عليها فوطة حرير وفى خزامه جملة سكاكين فى أعماقها ويكون لكل أمير باورجى فاذا قدمت المائدة قعد بين يدي أميره ويؤتى بصحفة صغيرة من الذهب أو الفضة فيها ملح محلول بالماء فيقطع الباورجى اللحم قطعاً صغيراً ولهم فى ذلك صنعة فى قطع اللحم مختلطة بالعظم فانهم لا يأكلون منه الا ما اختلط بالعظم ثم يؤتى بأوانى الذهب والفضة للشرب وأكثر شرابهم نبيذ العسل وهم حنفية المذهب يحملون النبيذ فاذا أراد السلطان أن يشرب أخذت بنته القدرح بيدها وخدمت برجلها ثم تناولته القدرح فشرب ثم تأخذ قدحا آخر فتناولها للخاتون الكبرى فتشرب منه ثم تناول لسائر الخواتين على ترتيبهن ثم يأخذون العهد القدرح ويخدم ويناوله أباه فيشرب ثم ثم تناول الخواتين ثم أخته ويخدم الجميع ثم يقوم الولد الثانى فيأخذ القدرح ويسقى أخاه ويخدم له ثم يقوم الامراء الكبار فيسقى كل واحد منهم ولى العهد ويخدم له

ثم يقوم أبناء الملوك فيسقى كل واحد منهم هذا الابن الثاني ويخدم له ثم يقوم الامراء الصغار فيسقون أبناء الملوك ويغنون أثناء ذلك بالموالية وكانت قد نصبت قبة كبيرة ايضا ازاء المسجد للقاضي والخطيب والشريف وسائر الفقهاء والمشايخ وأنام معهم فأوتينا بموائد الذهب والفضة يحمل كل واحدة أربعة من كبار الأتراك ولا يتصرف في ذلك اليوم بين يدي السلطان الا الكبار فيأمرهم برفع ما أراد من الموائد الى من أراد فكان من الفقهاء من أكل ومنهم من تورع عن الاكل في موائد الفضة والذهب ورأيت مذبذبصر عن اليمن والشمال من العربات عليها روايا التمر فأمر السلطان بتفريقها على الناس فأتوا الى بعبنة منها فأعطيتها الجيرانى من الأتراك ثم أتينا المسجد ننظر صلاة الجمعة فأبطأ السلطان فن قائل انه لا يأتي لان السكر قد غلب عليه ومن قائل انه لا يترك الجمعة فلما كان بعدة تكن الوقت أتى وهو يتمايل فسلم على السيد الشريف وتبسم له وكان يخاطبه بأطاهو والاب بلسان التركية ثم صلينا الجمعة وانصرف الناس الى منازلهم وانصرف السلطان الى الباركة فبقى على حاله الى صلاة العصر ثم انصرف الناس أجمعون وبقي مع الملك تلك الليلة خواتينه وبنته ثم كان رحيلنا مع السلطان والمحلة لما انقضى العيد فوصلنا الى مدينة الحاج ترخان ومعنى ترخان عندهم الموضع المحرر من المغارم (وهو بفتح التاء المثناة وسكون الراء وفتح الخاء المعجم وآخره نون) والمنسوب اليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركى نزل بموضعها وحزله السلطان ذلك الموضع فصار قرية ثم عظمت وتمدنت وهى من أحسن المدن عظيمة الاسواق مبنية على نهرا تلى وهو من أنهار الدنيا الكبار وهناك يقيم السلطان حتى يشتد البرد ويجهد هذا النهر وتجيد المياه المتصلة به ثم يأمر أهل تلك البلاد فيأذنون بالآلاف من اجمال التين فيجعلونها على الجليد المنعقد فوق النهر والتين هنالك لا تأكله الدواب لانه ينزرها وكذلك يبلاد الهند وانما أكلها الحشيش الاخضر لخصب البلاد ويسافرون بالعربات فوق هذا النهر والمياه المتصلة به ثلاث مراحل وربما جازت القوافل فوقه مع آخر فصل الشتاء فيغرقون ويهلكون ولما وصلنا مدينة الحاج ترخان رغبت الخاتون بياون ابنة ملك الروم من السلطان أن يأذن لها في زيارة أبيها التضع حملها عنده وتعود اليه فأذن لها ورغبت منه أن يأذن لي في التوجه صحبتها المشاهدة القسطنطينية العظمى فنحنى خوفا على فلاطفه وقتل له انما أدخلها في حرمتك وجوارك فلا أخاف من أحد فأذن لي وودعناه ووصلني بألف وخمسمائة دينار وخلعة وأفراس كثيرة وأعطتني كل خاتون منهن سبائك الفضة وهم يسمونها الصوم (بفتح الصاد المهملة) وأحدثها صومة وأعطت بنته أكثر منهن وكستني وأركبتني واجتمع لي من الخيل والثياب وفروان السنجاب والسمور جملة

* (ذكر سفرى الى القسطنطينية) *

وسافرنا فى العاشر من شوال فى صحبة الخاتون بياون وتحت حرمته اور حل السلطان فى تشبيعتها من رحلة ورجع هو والملكة وولى عهده وسافر سائر الخواتين فى صحبتها من رحلة ثانية ثم رجعنا وسافر صحبتها الامير بيدزة فى خمسة آلاف من عسكره وكان عسكر الخاتون نحو خمسمائة فارس منهم خدامها من الممالك والروم نحو مائتين والباقيون من الترك وكان معهم من الجوارى نحو مائتين أكثرهن روميات وكان لها من العربات نحو أربع مائة عربية ونحو ألفى فرس لجرها والركوب ونحو ثلاثمائة من البقر ومائتين من الجمال لجرها وكان معهم من القتيان الروميين عشرة ومن الهندين مثلهم وقائدهم الأكبر يسمى بسنبل الهندى وقائده الروميين يسمى بجائيل ويقول له الأتراك لؤلؤ وهو من الشجعان الكبار وتركنا أكثر جوارىها وأثقلها بحملة السلطان إذ كانت قد توجهت برسم الزيارة ووضع الحمل وتوجهنا الى مدينة أكك وهى (بضم الهمزة وفتح الكاف الأولى) مدينة متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد وبينها وبين السرا حاضرة السلطان مسيرة عشر وعلى مسيرة يوم من هذه المدينة جبال الروس وهم نصارى شقرا شعور زرق العيون قبائح الضور أهل غدر وعندهم معادن الفضة ومن بلادهم يؤتى بالصوم وهى سبائك الفضة التى بها يباع ويشتري فى هذه البلاد ووزن الصومة منها خمس أواقى ثم وصلنا بعد عشر من هذه المدينة الى مدينة سرداق (وضبط اسمها) (بضم السين المهمل وسكون الراء وفتح الدال المهمل وآخره قاف) وهى من مدن دشت قفجق على ساحل البحر ومن ساها من أعظم المراسى وأحسنها وبخارجها البساتين والمياه وينزلها الترك وطائفة من الروم تحت ذمتهم وهم أهل الصنائع وأكثر بيوتها خشب وكانت هذه المدينة كبيرة تقرب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك وكانت الغلبة للروم فانتصر للترك أصحابهم وقتلوا الروم شر قتلة ونفوا أكثرهم وبقي بعضهم تحت الذمة الى الآن وكانت الضيافة تجعل الى الخاتون فى كل منزل من تلك البلاد من الخيل والغنم والبقر والدوقى والقر والبان البقر والغنم والسفر فى هذه البلاد مضى ومعشى وكل أمير بتلك البلاد يصحب الخاتون بعساكره الى آخر حد بلاده تعظيما لها لا خوفا عليها لأن تلك البلاد آمنة ثم وصلنا الى البلدة المعروفة باسم بابا سلطوق وبابا عندهم بمعناه عند البربر سواء إلا أنهم يفتحون الباب وسلطوق (بفتح السين المهمل واسكان اللام وضم الطاء المهمل وآخره قاف) ويذكرون أن سلطوق هذا كان مكاشفا لكان يذكر عنه أشياء ينكرها الشرع وهذه البلدة آخر بلاد الأتراك وبينها وبين أول عمالة الروم ثمانية عشر يوما فى برية غير معمورة منها ثمانية أيام لاماء بها يتزود لها الماء ويحجل فى الروايا والقرب على العربات وكان دخولنا إليها فى أيام البرد فلم نخرج الى كثير من الماء

والأتراك يرفعون الألبان في القرب ويخلطونها بالذوق المطبوخ ويشربونها فلا يعطشون وأخذنا من هذه البلدة في الاستعداد للبرية واحتجبت إلى زيادة فراس فأثبت الخاتون فاعلمت بذلك وكنت أسلم عليهم أصبحا ومساء ومتى أتمتاضيا فقة تبعث إلى بالفرسين والثلاثة وبالغنم فكنت أترك الخيل لا أدبجها وكان من معي من الغلمان والخدام يأكلون مع أصحابنا الأتراك فاجتمع لي نحو خمسين فرسا وأمرت لي الخاتون بخمسة عشر فرسا وأمرت وكيدها ساروجة الرومي أن يختارها سمعنا من خيل المطبخ وقالت لا تخف فإن احتجبت إلى غيرها زدناك ودخلنا البرية في منتصف ذي القعدة فكان سيرنا من يوم فارقنا السلطان إلى أول البرية تسعة عشر يوما واقامتنا خمسة ورحلنا من هذه البرية ثمانية عشر يوما مضى ومعشى ومارأينا الاخيرا والحمد لله ثم وصلنا بعد ذلك إلى حصن مهتولى وهو أول عمالة الروم (وضبط اسمه بفتح الميم وسكون الهاء وضم التاء المعلوقة وواو مد ولا م مكسور وياء) وكانت الروم قد سمعت بقدوم هذه الخاتون على بلادها فوصلها إلى هذا الحصن كفا في تقوله الرومي في عسكر عظيم وضياقة عظيمة وجاءت الخواتين والدايات من دارأييها ملك القسطنطينية وبين مهتولى والقسطنطينية مسيرة اثنين وعشرين يوما منها ستة عشر يوما إلى الخليج وستة منه إلى القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن إلا بالخيول والبغال وتترك العربات به لاجل الوعر والجبال وجاء كفا إلى المذكور ببغال كثيرة وبعثت إلى الخاتون بستة منها وأوصت أمير ذلك الحصن بمن تركته من أصحابي وغلمانني مع العربات والاثقال فامر لهم بدار وزجع الأمير بيدرة يعساكره ولم يسافر مع الخاتون إلا ناسها وترك مسجدها بهذا الحصن وارتفع حكم الأذان وكان يؤتى إليها بالخور في الضيافة فتشربها وبالخنازير وأخبرني بعض خواصها أنها أكلتها ولم يبق معها من يصلي إلا بعض الأتراك كان يصلي معنا وتغيرت البواطن لدخولنا في بلاد الكفر وإن كن الخاتون أوصت الأمير كفاي بأكرامى ولقد ضرب مرة بعض مماليكها ضحك من صلاتنا ثم وصلنا حصن مسلمة بن عبد الملك وهو بسفح جبل على نهر زخار يقال له اصطفيلى ولم يبق من هذا الحصن إلا آثاره وبخارجه قرية كبيرة ثم سرنا يومين ووصلنا إلى الخليج وعلى ساحله قرية كبيرة فوجدنا فيه المدافنا حتى كان الجزر وخصناه وعرضه نحو ميلين ومشينا أربعة أميال في رمال ووصلنا الخليج الثاني فخصناه وعرضه نحو ثلاثة أميال ثم مشينا نحو ميلين في حجارة ورمل ووصلنا الخليج الثالث وقد ابتدأ المد فتعبننا فيه وعرضه ميل واحد فعرض الخليج كله مائة وياسته اثناعشر ميلا وتصير ماء كلها في أيام المطر فلا تخاض إلا في القوارب وعلى ساحل هذا الخليج الثالث مدينة الفتيكة (واسمها بفاء مفتوحة ونون وياء مد وكاف مفتوح) وهي صغيرة لكنها حسنة مائة وكثافتها وديارها

حسان والانهار تخرقها والبساتين تحفها ويدخر بها العنب والاجاص والتفاح والسفرجل من السنة الى الاخرى وأقناب هذه المدينة ثلاثا والخاتون في قصر لا يباهنالك ثم قدم أخوها شقيقها واسمه كفال في قراس في خمسة آلاف فارس شاكين في السلاح ولما أرادوا لقاء الخاتون ركب أخوها المذكور فرسا أشهب ولبس ثيابا بيضاء وجعل على رأسه مظلا مكلا بالجواهر وجعل عن يمينه خمسة من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم لابسين البياض أيضا وعليهم مظلات مزركشة بالذهب وجعل بين يديه مائة من المشاتين ومائة فارس قد أسبغوا الدروع على أنفسهم وخيلهم وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا مدرعا عليه شبكة فارس من البيضة المجوهرية والدرع والتركش والقوس والسيف ويبدد رمح في طرف رأسه راية وأكثرتلك الرماح مكسوة بصفايح الذهب والفضة وتلك الخيل المقودة هي مراكب ابن السلطان وقسم فرسانه على افواج كل فوج فيه مائة فارس ولهم أمير قد قدم أمامه عشرة من الفرسان شاكين في السلاح وكل واحد منهم يقود فرسا وخلفه عشرة من العلامات ملونة بأيدي عشرة من الفرسان وعشرة أطبال يتقلدها عشرة من الفرسان ومعهم ستة يضيرون الابواق والانفار والصرنايات وهي الغيطات وركبت الخاتون في محاليكها وجواربها وقتيانهما وخذامها وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير المزركشة بالذهب المرصعة وعلى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها أيضا النسيج مرصعة بالجواهر وعلى رأسها تاج مرصع وفرسها مجلل بجمل حرير مزركش بالذهب وفي يديه ورجليه خلاخل الذهب وفي عنقه قلادة مرصعة وعظم السرج مكسوة ذهبيا مكمل جوهر او كان التقاؤهما في بسيط من الارض على نحو ميل من البلد وترجل لها أخوها لانه أصغر سنا منها وقبل ركابها وقبلت رأسه وترجل الامراء واولاد الملوك وقبلوا جميعا ركابها وانصرفت مع أخيرها وفي غد ذلك اليوم وصلنا الى مدينة كبيرة على ساحل البحر لا أثبت الا أن اسمها ذات انهار وأشجار نزلنا بخارجها ووصل اخو الخاتون ولي العهد في ترتيب عظيم وعسكر ضخم من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم وقد رتب فرسانه على ترتيب أخيه سواء الا ان الحفل أعظم والجمع أكثر وتلاقت معه اخته في مثل زيارتها الاولى وترجلا جميعا وأوتى بخباء حرير قد خلا فيه فلا أعلم كيفية سلامهما ونزلنا على عشرة أميال من القسطنطينية فلما كان بالغد خرج أهلها من رجال ونساء وصبيان ركبان ومشاة في أحسن زى وأجل لباس وضربت عند الصبح الاطبال والابواق والانفار وركبت العساكر وخرج السلطان وزوجته أم هذه الخاتون وأرباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحمله جملة من الفرسان ورجال بأيديهم عصي طوال في أعلى كل عصي شبه كرة من جلد يرفعون بها الزواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفعها

الفرسان بالعصى ولما أقبل السلطان اختلطت العساكر وكثر العجاج ولم أقدر على الدخول فيما بينهم فلزمت اثقال الخاتون وأصحابها خوفاً على نفسي وذكري لئلا يهاجموا من أبوابها نزلت وقبلت الأرض بين أيديهم ما ثم قبلت حافري فرسي ما وفعل كبار أصحابها مثل فعلها في ذلك وكان دخولنا عند الزوال أو بعده إلى القسطنطينية العظمى وقد ضربوا نواقيسهم حتى ارتجت الآفاق لاختلاط أصواتها ولما وصلنا الباب الأول من أبواب قصر الملك وجدنا به مائة رجل معيهم قائدهم فوق دكانه وسمعتهم يقولون سرا كنو سرا كنو ومعناه المسلمون ومنعونا من الدخول فقال لهم أصحاب الخاتون أنهم من جهنم فاقبلوا لا يدخلون إلا بالاذن فأقننا بالباب وذهب بعض أصحاب الخاتون فبعث من أعلمها بذلك وهي بين يدي والدها فذكرت له شأننا فأمر بدخولنا وعين لنا داراً بمقربة من دار الخاتون وكتب لنا أمر أبان لا نعترض حيث نذهب من المدينة ونؤدي بذلك في الأسواق وأقننا بالدار ثلاثاً تبعث إلينا الضيافة من الدقيق والخبز والغنم والدجاج والسمن والفاكهة والحوت والدرهم والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان

* ذكر سلطان القسطنطينية *

واسمه تكفور (بفتح التاء المثلثة وسكون الكاف وضم الفاء وواو وراء) ابن السلطان جرجيس وأبوه السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنه ترهد وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولده وسند كره وفي اليوم الرابع من وصولنا إلى القسطنطينية بعثت إلى الخاتون الفتى سنبل الهندى فأخذ بيدي وأدخلني إلى القصر فجزنا أربعة أبواب في كل باب سقائف بها رجال وأسلمتهم وقائدهم على دكانة مفروشة فلما وصلنا إلى الباب الخامس تركني الفتى سنبل ودخل ثم أتى ومعه أربعة من الفتيان الروميين ففتشوني لئلا يكون معي سكين وقال لي القائد تلك عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص أو عام غريب أو بلدى وكذلك الفعل بأرض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فأخذ بيدي وفتح الباب وأحاط بي أربعة من الرجال أمسك اثنان بكفي واثنان من ورائي فدخلوا بي إلى مشور كبير حيطانه بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من الحيوانات والجماد وفي وسطه ساقية ماء ومن جهتيها الأشجار والناس واقفون يمينا ويساراً سكوناً لا يتكلم أحد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلمني أولئك الأربعة إليهم فأمسكوا بئسابي كما فعل الآخرون وأشار إليهم رجل فتقدموا بي وكان أحدهم يهودياً فقال لي بالعربي لا تخف فهكذا عادتهم أن يفعلوا بالوارد وأنا التريجان وأصلى من بلاد الشام فسألته كيف أسلم فقال قل السلام عليكم ثم وصلت إلى قبة عظيمة والسلطان على سريرته وزوجته أم هذه الخاتون بين يديه وأسفل السرير الخاتون

وأخوتها وعن يمينه ستة رجال وعن يساره أربعة وكلهم بالسلاح فإشار إلى تقبل السلام والوصول اليه بالجلوس هنية ليسكن روعى ففعلت ذلك ثم وصلت اليه فسلمت عليه وأشار إلى أن أجلس فلم افعل وسألني عن بيت المقدس وعن الحخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليه السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فأجبتة عن ذلك كله واليهودى يترجم بينى وبينه فأعجبه كلامى وقال لا ولاده اكرموا هذا الرجل وآمنوه ثم خلع على خلعة وأمر لى بفرس مسرج ملجهم ومظلة من التى يجعلها الملك فوق رأسه وهى علامة الامان وطلبت منه ان يعين من يركب معى بالمدينة فى كل يوم حتى أشاهد عجائبها وغرائبها وأذكرها فى بلادى فعين لى ذلك ومن العوائد عندهم ان الذى يلبس خلعة الملك ويركب فرسه يطاف به فى أسواق المدينة بالابواق والانفار والاطبال ليراه الناس وأكثر ما يفعل ذلك بالأتراك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك لئلا يؤذون فطافوا بى فى الاسواق

* (ذكر المدينة) *

وهى متناهية فى الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المتدوال جزر على شكل وادى سلام من بلاد المغرب وكانت عليه فيما تقدم قنطرة مبنية فخربت وهى الآن يعبر فى القوارب واسم هذا النهر أبسمى (بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وضم السين المهمل وكسر الميم ويا عمداً) واحد القسمين من المدينة يسمى اصطنبول (بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو مدولام) وهو بالعدوة الشرقية من النهر وفيه سكنى السلطان وأرباب دولته وسائر الناس وأسواقه وشوارعه مفروشة بالصفاح متسعة وأهل كل صناعة على حدة لا يشاركونهم سواهم وعلى كل سوق أبواب تسد عليه بالليل وأكثر المصانع والباعة بها النساء والمدينة فى سفح جبل داخل فى البحر نحو تسعة أميال وعرضه مثل ذلك أو أكثر وفى أعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان والسور يحيط بهذا الجبل وهو مانع لا سيبل لاحد اليه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عاصرة والكنيسة العظمى هى فى وسط هذا القسم من المدينة وأما القسم الثانى منها فيسمى الغلطة (بغير ميم ولام وطاء مهملة مفتوحات) وهو بالعدوة الغربية من النهر شبيه برباط الفتح فى قرية من النهر وهذا القسم خاص بنصارى الأفرنج يسكنونه وهم أصناف فخرم الجنويون والبنادقة وأهل رومية وأهل أفرانسة وحكمهم إلى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرضونه ويسنونه القمص وعليهم وظيفة فى كل عام لملك القسطنطينية ورعما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يصلح بينهم البابة وجميعهم أهل تجارة وهم ساهم من أعظم المراسى رأيت به نحو مائة جفن من القراقرز وسواها من الكبار

وأما

وأما الصغار فلا تحصى كثرة وأسواق هذا القسم حسنة إلا أن الاقدار غالبية عليها ويشققها نهر صغير قدر نجس وكثائمهم قدرة لا خير فيها

* (ذكر الكنيسة العظمى) *

وانما ندكر خارجها وأما داخلها فلم اشاهده وهي تسمى عندهم أيا صوفيا (بفتح الهمزة والياء آخر الحروف وألف وصاد مضموم وواو مدوفاء مكسورة وياء كالاولى وألف) ويدكر انها من بناء آصف بن برخياء وهو ابن خالة سليمان عليه السلام وهي من أعظم كنائس الروم وعليها سور يطيف بها فكانها مدينة وأبوابها اثلاثة عشر بابا ولها حرم هو نحو ميل عليه باب كبير ولا يمنع أحده من دخوله وقد دخلته مع والد الملك الذي يقع ذكره وهو شبه مشور مسطح بالرخام وتشقه ساقية تخرج من الكنيسة لها حائطان مرتفعان نحو ذراع مصنوعان بالرخام المجزع المنقوش بأحسن صنعة والأشجار منتظمة عن جهتي الساقية ومن باب الكنيسة الى باب هذا المشور معرّش من الخشب مرتفع عليه دوالي العنب وفي أسفله الياسمين والرباحين وخارج باب هذا المشور قبسة خشب كبيرة فيها طبلات خشب يجلس عليها خدام ذلك الباب وعن يمين القبسة مساطب وحوانيت أكثرها من الخشب يجلس بها قضاتهم وكتاب دواوينهم وفي وسط تلك الحوانيت قبسة خشب يصعد اليها على درج خشب وفيها كرسي كبير مطبق بالصفى يجلس فوقه قاضهم وسند ذكره وعن يسار القبسة التي على باب هذا المشور سوق العطارين والساقية التي ذكرناها تنقسم قسمين أحدهما يمر بسوق العطارين والاخر يمر بالسوق حيث القضاة والكتاب وعلى باب الكنيسة سقائف يجلس بها خدامها الذين يقومون طرقها ويوقدون سرجها ويغلقون أبوابها ولا يدعون أحدا يدخلها حتى يسجد للصليب الأعظم عندهم الذي يزعمون انه بقية من الخشبة التي صلب عليها شبيه عيسى عليه السلام وهو على باب الكنيسة مجعول في جعبة ذهب طولها نحو عشرة أذرع وقد عرضوا عليها جعبة ذهب مثلها حتى صارت صليبا وهذا الباب مصفح بصقائح الفضة والذهب وحلقته من الذهب الخالص وذكر لي أن عددا من بهذه الكنيسة من الرهبان والقسيسين ينتهي الى آلاف وأن بعضهم من ذرية الخواريين وأن بداخلها كنيسة مختصة بالنساء فيها من الأبرار المنقطعات للعبادة أزيد من ألف وأما القواعد من النساء أكثر من ذلك كله ومن عادة الملك وأرباب دولته وسائر الناس أن يؤتوا كل يوم صباحا الى زيارة هذه الكنيسة ويأتى اليها البسابة مرة في السنة وإذا كان على مسيرة أربع من البلدي يخرج الملك الى لقائه ويترجل له وعند دخوله المدينة يسمى بين يديه على قدميه ويأتيه صباحا ومساء للسلام عليه طول مقامه بالقسطنطينية حتى ينصرف

* (ذكر المانستارات بقسطنطينية) *

والمانستار على مثل لفظ المارستان الا ان نونه متقدمة ورائه متأخرة وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين وهذه المانستارات بها كثيرة فمنها مانستار عمره الملك جرجيس والدملك القسطنطينية وسنذكره وهو بخارج اصفنيبول مقابل الغلطة ومنها مانستاران خارج الكنيسة العظمى عن يمين الداخل اليها وهما في داخل بستان يشقهما نهر ماء واحد هما للرجال والآخر للنساء وفي كل واحد منهما كنيسة ويدور بهما البيوت للمتعبدين والمتعبدات وقد حبس على كل واحد منهما الحباس لكسوة المتعبدين ونفقتهما بناها أحد الملوك ومنها مانستاران عن يسار الداخل الى الكنيسة العظمى على مثل هذين الآخرين ويضيف بهما بيوت واحد هما يسكنه العميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أو نحوها ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معينة لذلك وفي داخل كل مانستار منادورة لتعبد الملك الذي بناه وأكثرها لملوك الملوك اذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستارا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر وقطع ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت وهم يجتفلون في بناء هذه المانستارات ويعملونها بالرخام والفسيفساء وهي كثيرة بهذه المدينة ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك للركوب معي الى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهم المسوح ورؤسهم مخلوقة فيها قلائد اللبد ولهن جمال فائت وعليهن أثر العبادة وقد قدصبي على منبر يقرأهن الانجيل بصوت لم أسمع قط احسن منه وحوله ثمانية من الصبيان على منابر ومعهم قسيسهم فلما قرأ هذا الصبي قرأ صبي آخر وقال لي الرومي ان هؤلاء البنات من بنات الملوك وهن أنفسهن لخدمة هذه الكنيسة وكذلك الصبيان القراء ولهم كنيسة أخرى خارج تلك الكنيسة ودخلت معه أيضا الى كنيسة في بستان فوجدنا بها نحو خمسمائة بكر أو أزيد وصبي يقرأهن على منبر وجماعة صبيان معه على منابر مثل الأولين فقال لي الرومي هؤلاء بنات الوزراء والامراء يتعبدن بهذه الكنيسة ودخلت معه الى كنائس فيها أبكار من وجوه أهل البلد والى كنائس فيها العجائز والقواعد من النساء والى كنائس فيها الرهبان يكون في الكنيسة منها مائة رجل وأكثروا قلا وأكثرا أهل هذه المدينة رهبان ومتعبدون وقسيسون وكنائسها لا تحصى كثرة وأهل المدينة من جندي وغيره صغير وكبير يجعلون على رؤسهم المظلات الكبار شتاء وصيفا والنساء لهن عمام كبر

* (ذكر الملك المترهب جرجيس) *

وهذا الملك ولي الملك لابنه وانقطع للعبادة وبنى مانستارا كما ذكرنا خارج المدينة على ساحلها وكنت يوما مع الرومي المعين للركوب معي فاذا بهذا الملك ماشيا على قدميه وعليه المسوح

وعلى رأسه قلنسوة لبدوله لحية بيضاء طويلة ووجهه حسن عليه أثر العبادة وخلفه وإمامه جماعة من الرهبان ويده عكاز وفي عنقه سبعة فلما رآه الرومي نزل وقال لي انزل فهدأ والد الملك فلما سلم عليه الرومي سأله عنى ثم وقف وبعث عنى فجئت اليه فأخذيدي وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي قل لهذا السرا كنويعنى المسلم أنا أضاف اليد التي دخلت بيت المقدس والرجل التي مشيت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى قمامة وبيت لحم وجعل يده على قدمي ومسح بها وجهه فمجت من اعتقادهم فين دخل تلك المواضع من غير ملتهم ثم أخذ بيدي ومشيت معه فسألني عن بيت المقدس ومن فيه من النصارى وأطال السؤال ودخلت معه الى حرم الكنيسة الذي وصفناه آنفا ولما قارب الباب الأعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان للسلام عليه وهو من كبارهم في الرهبانية ولما رآهم أرسل يدي فقلت له أريد الدخول معك الى الكنيسة فقال للترجمان قل له لا بد لدخولها من السجود للصليب الأعظم فان هذا ما سنته الاوائل ولا يمكن خلافه فتركته ودخل وحده ولم أره بعدها

* (ذكر قاضي القسطنطينية) *

ولما فارقت الملك المترب المذكور دخلت سوق الكتاب فرآني القاضي فبعث الى أحد اعدائه فسأل الرومي الذي معي فقال له انه من طلبة المسلمين فلما عاد اليه وأخبره بذلك بعث الى أحد أصحابه وهم يسمون القاضي النجاشي كفال فقال لي النجاشي كفالي يدعوك فصعدت اليه الى القبة التي تقدم ذكرها فرأيت شيخا حسن الوجه والملة عليه لباس الرهبان وهو الملف الاسود وبين يديه نحو عشرة من الكتاب يكتبون فقام الى وقام أصحابه وقال أنت ضيف الملك ويجب علينا كرامك وسألني عن بيت المقدس والشام ومصر وأطال الكلام وكثر عليه الازدحام وقال لي لا بد لك ان تأني الى داري فاضيفك فانصرفت عنده ولم ألقه بعد

* (ذكر الانصراف عن القسطنطينية) *

ولما ظهر لمن كان في محبة الخاتون من الأتراك انهم اعلو دين أبيها وراغبة في المقام معه طلبوا منها الاذن في العودة الى بلادهم فأذنت لهم وأعطتهم عطاء جزيلاً وبعثت معهم من يوصلهم الى بلادهم اميرا يسمى ساروجة الصغير في خمسمائة فارس وبعثت عنى فاعطتني ثلاثمائة دينار من ذهبهم وهم يسمونه البربرة وليس بالطيب والفي درهمين بندقية وشقة ملف من عمل البنات وهو أجود انواعه وعشرة أثواب من حرير وكان وصوف وفرسين وذلك من عطاء أبيها وأوصت بي ساروجة وودعتها وانصرفت وكانت مدة قمامي عندهم شهرا وستة أيام وسافرنا

صحبة ساروجة فكان يكرمنى حتى وصلنا الى آخر بلادهم حيث تركنا اصحابنا وعربا تنافروا بكنا
العربيات ودخلنا البرية ووصل ساروجة معنا الى مدينة بابا سلطوق وأقام بها ثلاثا في الضيافة
وانصرف الى بلاده وذلك في اشتداد البرد وكنت ألبس ثلاث فروات وسروالين احدهما
مبطن وفي رجلى خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كان وفوقه خف من البرغالى وهو
جلد الفرس مبطن بجلد ذئب وكنت أنوضأ بالماء الحار بمقربة من النار فأتقطر من الماء
قطرة لا جددت لحينها واذا غسلت وجهى يصل الماء الى لحيتى فيجمد فاحركها فيسقط منها
شبه الثلج والماء الذى ينزل من الأنف يجمد على الشارب وكنت لا أستطيع الركوب لكثرة
ما على من الثياب حتى يركبنى أصحابى ثم وصلت الى مدينة الحاج ترخان حيث فارقنا السلطان
اوزبك فوجدناه قد رحل واستقر بحضرة ملكه فسافرننا على نهر اتل وما يليه من المياه ثلاثا
وهى جامدة ومكانا اذا احتجنا الماء قطعنا قطعا من الجليد وجعلناه فى القدر حتى يصير ماء
فنشرب منه ونطبخ به ووصلنا الى مدينة السرا (وضبط اسمها بسين مهمل وراء مفتوحين
وألف) وتعرف بسرا بركة وهى حضرة السلطان أوزبك ودخلنا على السلطان فسألنا عن
كيفية سفرنا وعن ملك الروم ومدينته فاعلمناه وأمر بأجراء النفقة علينا وانزلنا ومدينة السرا
من أحسن المدن متناهية الكبر فى بساط من الارض تغص باهلها كثرة حسنة الاسواق
متسعة الشوارع وركبنا يوما مع بعض كبرائنا وغرضنا التطوف عليها ومعرفة مقدارها وكان
منزلنا فى طرف منها فركبنا منه غداة فوصلنا لآخرها الا بعد الزوال فصلينا الظهر وأكلنا
طعاما فوصلنا الى المنزل الا عند المغرب ومشيئنا يوما عرضها ذاهبين وراجعين فى نصف يوم
وذلك فى عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساكنين وفيها ثلاثة عشر مسجدا لا قامة الجمعة
أحدها للشافعية وأما المساجد سوى ذلك فكثير جدا وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم
أهل البلاد والساطين وبعضهم مسلمون ومنهم الاصل وهم مسلمون ومنهم القنچق والجر كس
والروس والروم وهم نصارى وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها أسواقها والتجار والغرباء
من أهل العراق ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سورا حياطا على أموال التجار
وقصر السلطان به يسمى الطون طاش وألطنون (بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الطاء المهمل
وواو مدنون) ومعناه الذهب وطاش (بفتح الطاء المهمل وشين معجم) ومعناه حجر وقاضى هذه
الحضرة بدر الدين الاعرج من خيار القضاة وبها من مدرسى الشافعية الفقيه الامام الفاضل
صدر الدين سليمان الذكى أحد الفضلاء وبها من المالكية شمس الدين المصرى وهو ممن
يطعن فى ديانتهم وبها زاوية الصالح الحاج نظام الدين أيضا فنام بها وأكرمنا وبها زاوية الفقيه
الامام العالم نعمان الدين الخوارزمى رأيت بها وهو من فضلاء المشايخ حسن الاخلاق كريم

النفس شديد التواضع شديد السطوة على اهل الدنيا يأتي اليه السلطان أو زبك زائر في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم اليه ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه ألطف كلام ويتواضع له والشيخ بضد ذلك وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف فعله مع السلطان فانه يتواضع لهم ويكلمهم بالطف كلام ويكرمهم وأكرمني جزاه الله خيرا وبعث الى بغداد تركي وشاهدت له بركة

(كرامة له)

كنت أردت السفر من السرا الى خوارزم فنهاني عن ذلك وقال لي اقم أياما وحينئذ تسافر فنازعني النفس ووجدت رفقة كبيرة آخذة في السفر فيهم تجار أعرفهم فاتفقت معهم على السفر في صحبتهم وذكرت له ذلك فقال لي لا بد لك من الإقامة فعزمت على السفر فأبقى لي غلام أقت بسببه وهذه من الكرامات الظاهرة ولما كان بعد ثلاث وجد بعض أصحابي ذلك الغلام الا بقي بمدينة الحاج ترخان فجاءه الى حينئذ تسافرت الى خوارزم وبينها وبين حضرة السرا صحراء مسيرة أربعين يوما لا تسافر فيها الخيل لقلة الكلأ وانما تجر العربات بها الجمال فسرنا من السرا عشرة أيام فوصلنا الى مدينة سراجوق وجوق (بضم الجيم المعقود وواو وقاف) ومعنى جوق صغير فكانهم قالوا سرا الصغيرة وهي على شاطئ نهر كبير ذخار يقال له الوصو (بضم الهمزة واللام وواو ومد وضم الصاد المهمل وواو) ومعناه الماء الكبير وعليه جسر من قوارب بجسر بغداد والى هذه المدينة انتهى سفرنا بالخيول التي تجر العربات وبعناها بها بحساب أربعة دنائير دراهم للفرس وأقل من ذلك لاجل ضعفها ورخصها بهذه المدينة واكثرنا الجمال لجرا العربات وبهذه المدينة زاوية لرجل صالح معمر من الترك يقال له أطا (بفتح الهمزة والطاء المهمل ومعناه الوالد) أضافنا بها ودعنا وأضافنا أيضا قاضيها ولا أعرف اسمه ثم سرنا منها ثلاثين يوما سيرا جادا لا ننزل الا ساعتين احداها عند الضحى والاخرى عند المغرب وتكون الإقامة قدر ما يطبخون الدوق ويشربونه وهو يطبخ من غلبة واحدة ويكون معهم الخليج من اللحم يجعلونه عليه ويصبون عليه اللبن وكل انسان انما ينام أو يأكل في عربته حال السير وكان لي في عربتي ثلاث من الجوارى ومن عادة المسافرين في هذه البرية الاسراع لقلة اعشابها والجمال التي تقطعها يهلك معظمها وما يبقى منها لا ينتفع به الا في سنة أخرى بعد ان يسمن والماء في هذه البرية في مناهل معلومة بعد اليومين والثلاثة وهو ماء المطر والحسيه ان ثمنا سلكنا هذه البرية وقطعناها كما ذكرناه وصلنا الى خوارزم وهي أكبر مدن الانراك وأعظمها وأجلها وأضخمها الاسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمجاسن الاثيرة وهي ترجح بساكنها اكثر منهم وتموج بهم موج البحر ولقد ركبت بها

يوما ودخلت السوق فلما توسطته وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له الشور (بفتح الشين
المجهم واسكان الواو) لم استطع ان أجوز ذلك الموضع لكثرة الازحام وأردت الرجوع فما
أمكنني لكثرة الناس فبقيت متخيرا وبعد جد شديدا رجعت وذكرك لى بعض الناس ان تلك
السوق يخف زحامها يوم الجمعة لانهم يستدون سوق القيسارية وغيرها من الاسواق فركبت
يوم الجمعة وتوجهت الى المسجد الجامع والمدرسة وهذه المدينة من طاعة السلطان أوزبك
وله فيها أمير كبير يسمى قطاود مور وهو الذي عمر هذه المدرسة وسامعها من المواضع المتضافرة
وأما المسجد فعمرة زوجته الخاتون الصالحة ترابك وترا (بضم التاء المعلوة وفتح الزاء وألف)
وبك (بفتح الباء الموحدة والكاف) وبخوار زم مارستان له طبيب شاي يعرف بالصهيوني
نسبة الى صهيون من بلاد الشام ولم أرفى بلاد الدنيا أحسن أخلاقا من أهل خوار زم ولا أكرم
نفوسا ولا أحب في الغرباء وطهم عادة جميلة في الصلاة لم أرها لغيرهم وهي ان المؤذنين بمساجدها
يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلمهم بحضور الصلاة فن لم يحضر الصلاة
مع الجماعة ضربه الامام بحضور الجماعة كل مسجد درة معلقة برسم ذلك ويغرم خمسة دنانير
تنفق في مصالح المسجد أو تطعم للفقراء كين ويذكرون ان هذه العادة عندهم مستمرة
على قديم الزمان وبخارج خوار زم نهر جيحون أحد الانهار الاربعة التي من الجنة وهو يجرد
في أو ان البرد كما يجرد نهراتل ويسلك الناس عليه وتبقى مدة جوده خمسة أشهر ورر بما سلكوا
عليه عند أخذه في الذوبان فهلكوا ويسافر فيه في أيام الصيف بالمرأك الى ترمذ ويجلبون منها
القمح والشعير وهي مسيرة عشر للنحدرو وبخارج خوار زم زاوية مبنية على تربة الشيخ نجم الدين
الكبرى وكان من كبار الصالحين وفيها الطعام للوارد والصادر وشيخها المدرس سيف الدين بن
عصبة من كبار أهل خوار زم وبها أيضا زاوية شيخها الصالح المجاور جلال الدين السمرقندي
من كبار الصالحين أضافنا بها وبخارجها قبر الامام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
وعليه قبة وزمخشري قرية على مسافة أربعة أميال من خوار زم ولما أتيت هذه المدينة نزلت
بخارجها وتوجه بعض أصحابي الى القاضي الصدر أبي حفص عمر البكري فبعث الى نائبه
نورا الاسلام فسلم على ثم عاد اليه ثم أتى القاضي في جماعة من أصحابه فسلم على وهو في السن
كبير الفعال وله نائبان أحدهما نور الاسلام المذكور والاخر نور الدين الكرمانى من كبار
الفقهاء وهو الشديد في أحكامه القوى في ذات الله تعالى ولما حصل الاجتماع بالقاضي
قال لى ان هذه المدينة كثيرة الزحام ودخولكم نهار الاياتى وسيأتى اليكم نور الاسلام لتدخلوا
نمعه من آخر الليل ففعلنا ذلك ونزلنا بمدرسة جديدة ليس بها أحد ولما كان بعد صلاة الصبح
اتى الينا القاضي المذكور ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا همام الدين ومولانا زين الدين

المقدسى ومولانا رضى الدين يحيى ومولانا فضل الله الرضوى ومولانا جلال الدين العمادى ومولانا شمس الدين السنجرى امام أميرها وهم أهل مكارم وفضائل والغالب على مذهبهم الاختزال لكنهم لا يظهرونه لأن السلطان أوزبك وأميره على هذه المدينة قطلودمور من أهل السنة وكنت أيام اقامتي بها أصلى الجمعة مع القاضى أبى حفص عمر المذكور بمسجده فاذا فرغت الصلاة ذهبت معه الى داره وهى قريبة من المسجد فدخل معه الى مجلسه وهو من أبدع المجالس فيه الفرش الخاقلة وحيطانه مكسوة بالملف وفيه طيقان كثيرة وفى كل طاق منها أوانى الفضة الموهة بالذهب والاوانى العراقية وكذلك عادة أهل تلك البلاد ان يصنعوا فى بيوتهم شرباً أتى بالطعام الكثير وهو من أهل الرفاهية والمال الكثير والرابع وهو سلف الامير قطلودمور متزوج بأخت امرأته واسمها جيجيا أغا وبهذه المدينة جماعة من الوعاظ والمذكرين أكبرهم مولانا زين الدين المقدسى والخطيب مولانا حسام الدين المشاطى الخطيب المصقع أحد الخطباء الاربعة الذين لم اسمع فى الدنيا أحسن منهم
 (وأمر خوارزم)

هو الامير الـ كبير قطلودمور وقطلو (بضم القاف وسكون الطاء المهمل وضم اللام) ودمور (بضم الدال المهمل والميم وواو متدورا) ومعنى اسمه الحديد المبارك لأن قطلوهو المبارك ودمور هو الحديد وهذا الامير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك وأكبر أمرائه وهو واليه على خراسان وولده هارون بك متزوج بابنة السلطان المذكور التى أمها الملكة طيطغلى المتقدم ذكرها وأمرأته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة ولما أتانى القاضى مسلما على كما ذكرته قال لى ان الامير قد علم بقدمك وبه بقية مرض يمنعه من الاتيان اليك فركبت مع القاضى الى زيارته وأتى ناداره فدخلناه مشورا كبيرا أكثر بيوته خشب ثم دخاننا مشورا صغيرا فيه قبة خشب من خرقه قد كسيت حيطانها بالملف الملوّن وسقفها بالحرير المذهب والامير على فرش له من الحرير وقد غطى رجليه لما بهما من النقرس وهى علة فاشية فى الزرك فسلمت عليه وأجلسنى الى جانبه وقعد القاضى والفقهاء وسألنى عن سلطانة الملك محمد أوزبك وعن الخاتون بيلون وعن أبيهما وعن مدينة القسطنطينية فاعلمته بذلك كله ثم أوتى بالموائد فيها الطعام من الدجاج المشوية والكراكى وافراخ الحمام وخبز مججون بالسمن يسمونه الكليجا والككك والخلواتم أوتى بموائد أخرى فيها الفواكه من الرمان المحبب فى أوانى الذهب والفضة ومعه ملاحق الذهب وبعضه فى أوانى الزجاج العراقى ومعه ملاحق الخشب ومن العنب والبطيخ العجيب ومن عوائد هذا الامير ان يأتى القاضى فى كل يوم الى مشوره فيجلس بمجلس معدله ومعه الفقهاء وكتابه ويجلس فى مقابلاته أحد الامراء الكبراء ومعه

ثمانية من كبراء أمراء الترك وشيوخهم يسمون الارغجية (يارغوجي) ويتحاكم الناس اليهم
فما كان من القضايا الشرعية حكم فيها القاضي وما كان من سواها حكم فيها أولئك الأمراء
وأحكامهم مضبوطة عادلة لانهم لا يهتمون بميل ولا يقبلون رشوة ولما عدنا الى المدرسة بعند
الجلوس مع الأمير بعث الينا الارز والدقيق والغنم والسمن والابزار وأعمال الخطب وتلك
البلاد كلها لا يعرف بها الفحم وكذلك الهند وخراسان وبلاد العجم وأما الصين فيوقدون فيها
حجارة تشتعل فيها النار كما تشتعل في الفحم ثم اذا صارت رمادا عجنوه بالماء وجففوه بالشمس
وطبخوا بها ثمانية كذلك حتى يتأشأ

(حكاية ومكرمة لهذا القاضي والأمير) *

صليت في بعض أيام الجمع على عادي بمسجد القاضي أبي حفص فقال لي ان الأمير أمرك
بخمسة مائة درهم وأمر أن يصنع لك دعوة ينفق فيها خمسة مائة درهم أخرى يحضرها المشايخ
والفقهاء والوجوه فلما أمر بذلك قلت له أيها الأمير تصنع دعوة يأكل من حضرها القمة أولفتين
لوجعلت له جميع المال كان أحسن له لانه فقال افعل ذلك وقد أمر لك بالالف كاملة ثم بعثها
الأمير صعبة امامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه وصرفها من الذهب المغربي
ثلاثمائة دينار وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسا أدوم اللون بخمسة وثلاثين دينارا دراهم
وركبته في ذهابي الى المسجد فاعطيت ثمنه الا من تلك الالف وتكاثر عندى الخيل بعد
ذلك حتى انتهت الى عدد لا أذكره خيفة مكذب يكذب به ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت
أرض الهند وكانت عندى خيل كثيرة لكنى كنت أفضل هذا الفرس وأثره وأربطه امام
الخيول وبقي عندى الى انقضاء ثلاث سنين ولما هلك تغيرت حالي وبعثت الى الخاتون جيبا غا
امرأة القاضي مائة دينار دراهم وصنعت لي اختها تراك زوجة الأمير دعوة جمعت لها
الفقهاء ووجوه المدينة براوitem التي بنتها وفيها الطعام للوارد والصادر وبعثت الى بفرقة سمور
وفرس جيد وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن جزاها الله خيرا

(حكاية) *

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت لي بالباب
امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نسوة لا أذكر عددهن فسلمت علي فرددت
عليها السلام ولم أقف معها ولا التفت اليها فلما خرجت أدركني بعض الناس وقال لي ان
المرأة التي سلمت عليك هي الخاتون فحجبت عند ذلك وأردت الرجوع اليها فوجدتها قد
انصرفت فأبلغت اليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت عما كان مني لعدم معرفتي بها

*)

* (ذكر بطيخ خوارزم) *

و بطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا الا ما كان من بطيخ بخارى و يليه بطيخ اصفهان وقشيره أخضر و باطنه أحمر وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة ومن العجائب انه يقدد ويبس في الشمس و يجعل في القواصر كما يصنع عندنا بالشريعة و بالتين المالح و يجعل من خوارزم الى أقصى بلاد الهند والصين و ليس في جميع القواكه اليابسة أطيب منه و كنت أيام اقامتي بدهلي من بلاد الهند متي قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطيخ و كان ملك الهند اذا أوتي اليه بشئ منه بعث الى به لما يعلم من محبتي فيه و من عادته انه يطرف الغرباء بفواكه بلادهم و يتفقد هم بذلك

* (حكاية) *

كان قد صخبني من مدينة السر الى خوارزم شريف من أهل كربلاء يسمى علي بن منصور و كان من التجار فكنت أكافه أن يشتري لي الثياب و سواها فكان يشتري لي الثوب بعشرة دنانير و يقول اشتريته بثمانية و يحاسبني بالثمانية و يدفع الدينارين من ماله و أنا لا علم لي بفعله الى أن تعرفت ذلك على السنة الناس و كان مع ذلك قد اسلفني دنانير فلما وصل الى احسان أمير خوارزم رددت اليه ما أسلفنيه و أردت أن أحسن بعدي اليه مكافأة لأفعاله الحسنة فأبى ذلك و حاف أن لا يفعل و أردت أن أحسن الى فتى كان له اسمه كافور خلف أن لا أفعل و كان أكرم من لقيته من العراقيين و عزم على السفر معي الى بلاد الهند ثم ان جماعة من أهل بلده و صابوا الى خوارزم برسم السفر الى الصين فأخذني السفر معهم فقلت له في ذلك فقال هؤلاء أهل بلدي يعودون الى أهلي و أقاربي و يزكرون الى سفارت الى أرض الهند برسم الكدية فيكون سبة علي لا أفعل ذلك و سافر معهم الى الصين فبلغني بعد و أنا بأرض الهند انه لما بلغ الى مدينة المالح و هي آخر البلاد التي من عمالة ما وراء النهر و أول بلاد الصين أقام بها و بعث فتى له بها كان عنده من المتاع فأبطأ الفتى عليه و في أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار و نزل معه في فندق و طلب منه الشريف أن يسلفه شيئا بخلاف ما يصل فتاده فلم يفعل ثم أكد قبح ما صنع في عدم التوسعة على الشريف بأن أراد الزيادة عليه في المسكن الذي كان له بالفندق فبلغ ذلك الشريف فاغتم منه و دخل الى بيته فذبح نفسه فأدرك و به رمق و اتهموا غلاما كان له بقتله فقال لهم لا تظلموه فاني أنا فعلت ذلك بنفسى و مات من يومه غفر الله له و كان قد حكى لي عن نفسه انه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قراضا فلقية ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام فطلبه بالمال و كان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين فاستحي من صاحب المال و دخل الى بيته و ربط عمامته بسقف البيت و أراد أن يختنق

نفسه وكان في أجله تأخير فتذكر صاحبالة من الصيارفة فقصدته وذكر له القضية فسله مالا دفعه للتاجر ولما أردت السفر من خوارزم أكثريت جمالا واشتريت محارة وكان عدلي بها عفيف الدين التوزري وركب الخيل وبعض الخيل وجللنا باقيها لأجل البرد ودخلنا البرية التي بين خوارزم وبخارى وهي مسيرة ثمانية عشر يوما في رمال لا عمارة بها إلا بلدة واحدة فودعت الأمير قطلود مور وخلع على خلعة وخلع على القاضى أخرى وخرج مع الفقهاء لوداعى وسرنا أربعة أيام ووصلنا إلى مدينة الركات وليس بهذه الطريق عمارة سواها (وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون اللام وآخره ثاء مثناة) وهي صغيرة حسنة نزلنا خارجها على بركة ماء قد جددت من البرد فكان الصبيان يلعبون فوقها ويرلقون عليها وسمع بقدمي قاضى الركات ويسمى صدر الشريعة وكنت قد لقيته بدار قاضى خوارزم فجاء إلى مسلما مع الطلبة وشيخ المدينة الصالح العابد محمود الخيوق ثم عرض على القاضى الوصول إلى أمير تلك المدينة فقال له الشيخ محمود القادم ينبغي له أن يزار وإن كانت لنهاية نذهب إلى أمير المدينة ونأق به ففعلوا ذلك وأقى الأمير بعد ساعة في أصحابه وخدمته فسلمنا عليه وكان غرضنا تجميل السفر فطلب منا الإقامة وصنع دعوة جمع لها الفقهاء ووجوه العساكر وسواهم ووقف الشعراء بمدحونه وأعطاني كسوة وفرسا جيدا وسرنا على الطريق المعروفة بسببية وفي تلك الصحراء مسيرة ست دون ما وصلنا بعد ذلك إلى بلدة وبكتة (وضبط اسمها بفتح الواو واسكان الباء الموحدة وكاف ونون) وهي على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات أنهار وبساتين وهم يدخرون العنب من سنة إلى سنة وعندهم فاكهة يسمونها العلو (الآلو) بالعين (المهملة وتشديد اللام) فيبيسونه ويحلبه الناس إلى الهند والصين ويجعل عليه الماء ويشرب ماؤه وهو أيام كونه أخضر حلوا فاذا يبس صار فيه يسير حوضه ولحميته كثيرة ولم أر مثله بالاندلس ولا بالمغرب ولا بالشام ثم سرنا في بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يوما كاملا ووصلنا إلى مدينة بخارى التي ينسب إليها امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البلاد وخر بها اللعين تنكيز التتري جدد ملوك العراق فساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة إلا القليل وأهلها أذلاء وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها لا شتمهم بالتعصب ودعوى الباطل وإنكار الحق وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به

(ذكر أولية التتري وتخريبهم بخارى وسواها) *

كان تنكيز خان حذا دأبأرض الخطا وكان له كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم وكان يجمع الناس ويطعمهم ثم صارت له جماعة فقدّموه على أنفسهم وغلب على بلده وقوى واشتدت

شوكته واستفحل أمره فغلب على ملك الخطا ثم على ملك الصين وعظمت جيوشه وتغلب على بلاد الختن وكاشغور والمالقي وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاء ملك خوارزم وخراسان وما وراء النهر له قوة عظيمة وشوكة فها به تنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له فاقدة فان بعث تنكيز تجاراً بأمته الامين والخطامن الثياب الحريرية وسواها الى بلدة أطرار (بضم الهمزة) وهي آخر عمالة جلال الدين فبعث اليه عامله عايماعلما بذلك واستأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب اليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم ويقطع أعضاءهم ويردّهم الى بلادهم لما أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحنهم رأيا فائلا وتديرا سيئامشوما فلما فعل ذلك تجهز تنكيز بنفسه في عساكر لا تحصى كثرة برسم غزو بلاد الاسلام فلما سمع عامل أطرار بحركته بعث الجواسيس ليأتوه بخبره فذكر أن أحدهم دخل محلة بعض أمراء تنكيز في صورة سائل فلم يجد من يطعمه ونزل الى جانب رجل منهم فلم ير عنده زاد ولا أطمعه شيئا فلما أمسى أخرج مصرانا يابسة عنده فبلها بالماء وقصد فرسه وملاها بدمه وعقدوها وشواها بالنار فكانت طعامه فعاد الى أطرار فأخبر عاملها بأمرهم وأعلمه أن لا طاقة لا حديد بقتالهم فاستقدم ملكه جلال الدين فأمدّه بستين ألفا زيادة على من كان عنده من العساكر فلما وقع القتال هزمهم تنكيز ودخل مدينة أطرار بالسيف وقتل الرجال وسبي الذراري وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربتة فكانت بينهم وقائع لا يعلم في الاسلام مثلها وآل الامر الى أن تمك تنكيز ما وراء النهر وخرّب بخارى وسمرقند وترمز وعبر النهر وهونهر جيحون الى مدينة بلخ فتملكها ثم الى الباميان (الباميان) فتملكها وأوغل في بلاد خراسان وعراق العجم فثار عليه المسلمون في بلخ وفي ما وراء النهر فكرّ عليهم ودخل بلخ بالسيف وتركه أخاوية على عروشها ثم فعل مثل ذلك في ترمذ فخربت ولم تعمر بعد لكن بنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمذ وقتل أهل الباميان (الباميان) وهدمها بأمرها الا صومعة جامعها وعفا عن أهل بخارى وسمرقند ثم عاد بعد ذلك الى العراق وانتهى أمر التتر حتى دخلوا حضرة الاسلام ودار الخلافة بغداد بالسيف وذبجوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله

(قال ابن جرير) أخبرنا شيخنا قاضي القضاة أبو البركات ابن الحاج أعزه الله قال سمعت الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول لقيت بمكة نورا الدين ابن الزجاج من علماء العراق ومعه ابن أخ له فتفاوضنا الحديث فقال لي هلاك في فتنة التتر بالعراق أربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم ولم يبق منهم غيري وغير ذلك وأشار الى ابن أخيه

(رجع) قال ونزلنا من بخارى برضاها المعروف بفتح آباد حيث تبرأ الشيخ العالم العابد الزاهد سيف الدين الباخرزي وكان من كبار الاولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ حيث نزلنا

عظيمة لها أوقاف ضخمة يطعم منها الوارد والصادر وشيخها من ذريته وهو الحاج السباح يحيى
 البخارزى وأضافنى هذا الشيخ بداره وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ القرآن بالأصوات الحسان
 ووعظ الواعظ وغنوا بالتركى والفارسى على طريقة حسنة ومرت لنا هنا لك ليلة بديعة من
 أعجب الليالى ولغيت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة وكان قد قدم من هرات وهو من
 الصالحاء الفضلاء وزرت بخارى ببر الامام العالم أبى عبد الله البخارى مصنف الجامع الصحيح
 شيخ المسلمين رضى الله عنه وعليه مكتوب هذا قبر محمد بن اسماعيل البخارى وقد صنف
 من الكتب كذا وكذا وكذلك على قبور علماء بخارى أسماء وهم وأسماؤهم تصانيفهم وكنت قيدت
 من ذلك كثير اوضاع منى فى جملة ما ضاع لى لما سلبنى كفار الهند فى البحر ثم سافرنا من بخارى
 قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طر مشيرين وسند كره فررنا على نخشب
 البلدة التى ينسب اليها الشيخ أبو تراب النخشبى وهى صغيرة تحف بها البساتين والمياه فنزلنا
 بخارجها بدار لا ميرها وكان عندى جارية قد قاربت الولادة وكنت أردت حملها الى سمرقند
 لتلد بها فاتفق انها كانت فى الحمل فوضع الحمل على الجمل وسافر أصحابنا من الليل وهى معهم
 والزاد وغيره من أسبابى وأقت أنا حتى ارتحل نهارا مع بعض من معى قسلا كواطريقا وسلكت
 طريقا سواها فوصلنا عشية النهار الى محلة السلطان المذكور وقد جمعنا قترلنا على بعد من
 السرق واشترى بعض أصحابنا ماسد جوعتنا وأعارنا بعض التجار خبأ بئنا به تلك الليلة ومضى
 أصحابنا من الغد فى البحث عن الجبال وباقي الاصحاب فوجدوهم عشا وجاؤا بهم وكان السلطان
 غائبا عن المحلة فى الصيد فاجتمع بنائبه الامير تقبغا فأزلىنى بقرب مسجده وأعطانى
 خرقة (خر كاه) وهى شبه الخباء وقد ذكرنا صفتها فيما تقدم فجعلت الجارية فى تلك الخرقة
 فولدت تلك الليلة مولودا وأخبرونى انه ولد ذكر ولم يكن كذلك فلما كان بعد العقيقة أخبرنى
 بعض الاصحاب ان المولود بنت فاستحضرت الجوارى فسألتهن فأخبرتنى بذلك وكانت هذه
 البنت مولودة فى طالع سعد قرأيت كل ما يسرنى ويرضىنى منذ ولدت وتوفيت بعد وصولى الى
 الهند بشهرين وسيد كذلك واجتمعت بهذه المحلة بالشيخ الفقيه العابد مولانا حسام الدين
 الياغى (بالياء آخر الحروف والغين المعجمة) ومعناه بالتركية الثائر وهو من أهل أطرارو بالشيخ
 حسن صهر السلطان

* (ذكر سلطان ما وراء النهر) *

وهو السلطان المعظم علاء الدين طر مشيرين (وضبط اسمه بفتح الطاء المهمل وسكون الراء وفتح
 الميم وكسر الشين المعجم وياء مدوراء مكسور وياء مدثانية ونون) وهو عظيم المقدار كثير
 الجيوش والعساكر ضخم الملكة شديد القوة عادل الحكم وبلاد متوسطة بين أربعة من ملوك

الذي بالبحار وهم ملك الصين وملك الهند وملك العراق والملك أوزبك وكلهم يهادونه ويعظمونه ويكرمونه وولي الملك بعد أخيه الجكطي (وضبط اسمه بفتح الجيم المعقودة والكاف والطاء المهملة وسكون الياء) وكان الجكطي هذا كافرا وولي بعد أخيه إلا كبيرك وكان كبيرك هذا كافرا أيضا لكنه كان عادلا الحكم منصف المظالم يكرم المسلمين ويعظمهم
(حكاية)

يذكر أن هذا الملك كبيرك تكلم يوما مع الفقيه الواعظ المذكور بدر الدين الميمني فقال له أنت تقول إن الله ذكر كل شيء في كتابه العزيز قال نعم فقال أين اسمي فيه فقال هو في قوله تعالى في أي صورة ما شاء ركبك فأعجبه ذلك وقال يخشى ومعناه بالتركية جيدة فأكرمه أكراما كثيرا وزاد في تعظيم المسلمين

(حكاية)

ومن أحكام كبيرك ما ذكر أن امرأته شكت له بأحد الأمراء وذكرت أنها فقيرة ذات أولاد وكان لها ابن تقوتهم بثمنه فاعتصبه ذلك الأمير وشربه فقال لها أنا أوسطه فان خرج اللبن من جوفه مضى لسبيله والا وسطتك بعدد فمالت المرأة قد حلتته ولا أطلبه بشيء فأمر به فوسط فخرج اللبن من بطنه ولتعد أنكر السلطان طر مشيرين ولما أقت بالمحسلة وهم يسمونها الار دوأ يا ما ذهبت يوما للصلاة الصبح بالمسجد على عادتي فلما صليت ذكر لي بعض الناس أن السلطان بالمسجد فلما قام عن مصلاه تقدمت للسلام عليه وقام الشيخ حسن والفقيه حسام الدين الياغي وأعلماء بحالي وقد وهى منذ أيام فقال لي بالتركية خشن ميسن يخشى ميسن قتلوا أيوسن ومعنى خشن ميسن في عافية أنت ومعنى يخشى ميسن جيد أنت ومعنى قتلوا أيوسن مبارك قد وملك وكان عليه في ذلك الحين قبا قدسى أخضر وعلى رأسه شاشية مثله ثم انصرف إلى مجلسه راجلا والناس يتعرضون له بالشكايات فيقف لكل مشتك منهم صغيرا أو كبيرا ذكر أو أنثى ثم بعث عني فوصلت إليه وهو في خرقة والناس خارجها ميمنة وميسرة والامرأه معهن على الكراسي وأصحابهم وقوف على رؤسهم وبين أيديهم وسائر الجند قد جلسوا صفا واما كل واحد منهم سلاحه وهم أهل النوبة يقعدون هنالك إلى العصر ويأتى آخرون فيقعدون إلى آخر الليل وقد صنعت هنالك سقائف من ثياب القطن يكونون بها ولما دخلت إلى الملك بداخل الخرقة وجدته جالسا على كرسي شبه المنبر مكسورا بالحرب المزركش بالذهب وداخل الخرقة ملابس بثياب الحرير المذهب والتاج المرصع بالجوهر والياقوت معلق فوق رأس السلطان بينه وبين رأسه قدر ذراع والامرأه الكبار على الكراسي عن يمينه ويساره وأولاد الملوك بأيديهم المذاب بين يديه وعند باب الخرقة النائب والوزير

والحاجب وصاحب العلامة وهم يسمون آل طمغني وآل (بفتح الهمزة) معناه الاحمر وطمغني (بفتح الطاء) المهمل وسكون الميم والغين المعجم المفتوح) ومعناه العلامة وقام الى أربعتهم حين دخولي ودخلوا معي فسلمت عليه وسألني وصاحب العلامة يترجم بيني وبينه عن مكة والمدينة والقدس شرفها الله وعن مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر وعن العراقيين وملاكمهما وبلاد الا عاجم ثم أذن المؤذن بالظهر فانصرفنا وكاننا نحضر معه الصلوات وذلك أيام البرد الشديد المهلك فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء في الجماعة ويقعد للذكر بالتركية بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس ويأتي اليه كل من في المسجد فيصافحه ويشد بيده على يده وكذلك يفعلون في صلاة العصر وكان اذا أوتى بهدية من زبيب او تمر او تمر عزير عندهم وهم يتبركون به يعطى منها بيده لكل من في المسجد

(حكاية)*

ومن فضائل هذا الملك انه حضرت صلاة العصر يوماً ولم يحضر السلطان فجاء أحد قتيانه بسجادة ووضعها قبالة المحراب حيث جرت عادته ان يصلي وقال للامام حسام الدين الياغي ان مولانا يريد ان تنتظره بالصلاة قليلاً ريثما يتوضأ فقام الامام المذكور وقال نماز ومعناه الصلاة برأى خذ اوبرأى طر مشيرين اى الصلاة لله اول طر مشيرين ثم أمر المؤذن باقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلى منهار كعتان فصلى الركعتين الاخرتين حيث انتهى به القيام وذلك في الموضع الذي تكون فيه أنعملة الناس عند باب المسجد وقضى ما فاته وقام الى الامام ليصافحه وهو يضحك وجلس قبالة المحراب والشيخ الامام الى جانبه وأنا الى جانب الامام فقال لي اذا مشيت الى بلادك فحدث ان فقيراً من فقراء الا عاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر وعن الظلم ويغلظ عليه القول والسلطان ينصت له كلامه ويبكي وكان لا يقبل من عطاء السلطان شيئاً ولم يأكل قط من طعامه ولا لبس من ثيابه وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثيراً ما أرى عليه قبا قطن مبطناً بالقطن محشواً به وقد بلى وتمزق وعلى رأسه قلنسوة لبد يساوي مثلها اقيراطاً ولا عمامة عليه فقلت له في بعض الايام ياسيدي ما هذا القبا الذي أنت لابسه انه ليس بجيد فقال لي يا ولدي ليس هذا القبا لي وانما هو لابنتي فرغبت منه ان يأخذ بعض ثيابي فقال لي عاهدت الله منذ خمسين سنة ان لا أقبل من أحد شيئاً ولو كنت أقبل من أحد لقبلت منك ولما عزمت على السفر بعد مقامي عند هذا السلطان أربعة وخمسين يوماً أعطاني السلطان سبع مائة دينار دراهم وفروسة سمور تساوي مائة دينار طلبتها منه لاجل البرد ولما ذكرتم اله أخذ أكلماي وجعل يقبلها بيده تواضعاً منه وفضلاً وخسناً حلق وأعطاني فرسين وجليين ولما أردت

وداعه أدركته في أثناء طريقه الى متصيده وكان اليوم شديد البرد جدا فوالله ما قدرت على ان أنطق بكلمة لشدة البرد ففهم ذلك وضحك وأعطاني يدوان صرفت وبعده سنتين من وصولي الى أرض الهند بلغنا الخبر بأن الملاء من قومه وأمرائه اجتمعوا بأقصى بلاده المجاورة للصين وهناك معظم عساكره وبايعوا ابن عم له اسمه بوزن أغلى وكل من كان من أبناء الملوك فهم يسمونه أغلى (بضم الهمزة وسكون العين المعجمة وكسر اللام) وبوزن (بضم الباء الموحدة وضم الزاي) وكان مسلما الا انه فاسد الدين سيء السيرة وسبب بيعتهم له وخلعهم لطره مشيرين ان طر مشيرين خالف أحكام جدّهم تنكيزا للعين الذي خرب بلاد الاسلام وقد تقدّم ذكره وكان تنكيزا ألف كتابا في أحكامه يسمى عندهم اليساق (بفتح الياء آخر الحروف والسين المهمل وآخره قاف) وعندهم انه من خالف أحكام هذا الكتاب فخلعه واجب ومن جلة أحكامهم انهم يجتمعون يوما في السنة يسمونه الطوى ومعناه يوم الضيافة ويأتى أولاد تنكيز والامراء من أطراف البلاد ويحضر الخواتين وكبار الاجناد وان كان سلطانهم قد غير شيئا من تلك الاحكام يقوم اليه كبارهم فيقولون له غيرت كذا وغيرت كذا وفعلت كذا وقد وجب خلعتك ويأخذون بيده ويقيّمونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء تنكيز وان كان أحد الامراء الكبار أذنب ذنبا في بلاده حكموا عليه بما يستحقه وكان السلطان طر مشيرين قد أبطل حكم هذا اليوم ومحارسمه فأنكر ودعاه أشد الانكار وأنكر واعليه أيضا كونه أقام أربع سنين فيما يلي خراسان من بلاده ولم يصل الى الجهة التي تولى الصين والعبادة ان الملك يقصد تلك الجهة في كل سنة فيختبر أحوالها وحال الجند بها لان أصل ملكهم منها ودار الملك هي مدينة المالق فلما بايعوا بوزن أتى في عسكر عظيم وخاف طر مشيرين على نفسه من أمرائه ولم يأمنهم فركب في خمسة عشر فارسا يريد بلاد غزنة وهي من عمالته ووالها كبير أمرائه وصاحب سرّه برنطيه وهذا الأمير محب في الاسلام والمسلمين قد عمر في عمالته نحو أربعين زاوية فيها الطعام للوارد والصادر وتحت يده العساكر العظيمة ولم أرقط فيمن رأيت من الآدميين بجميع بلاد الدنيا أعظم خلقة منه فلما عبر نهر جيحون وقصد طريق بلخ راى بعض الاتراك من اصحاب ينقي ابن أخيه كبك وكان السلطان طر مشيرين المذكور قتل أخا كبك المذكور وبقي ابنه ينقي يبلغ فلما أعلمه التركى بخبره قال ما فرالا امر حدث عليه فركب في أصحابه وقبض عليه وسجنه ووصل بوزن الى سمرقند وبخارى فبايعه الناس وجاءه ينقي بطر مشيرين فيذكرانه لما وصل الى نسف بخارج سمرقند قتل هنالك ودفن بها وخدم تربته الشيخ شمس الدين كردن بریدا و قيل انه لم يقتل كما سئذ كردن (بكاف معقودة وراء مسكن ودال مهمل مفتوح ونون) ومعناه العنق وبريدا (بضم الباء الموحدة وكسر الراء

ويا ممدودال مهمل) معناه المقطوع ويسمى بذلك لضربة كانت في عنقه وقدر أيته بارض الهند ويقع ذكره فيما بعد ولما ملك بوزن هرب ابن السلطان طرمشيرين وهو بشاي أغل (أغلي) وأخته وزوجها فيروز الى ملك الهند فعظمهم وأنزلهم منزلة عليّة بسبب ما كان بينه وبين طرمشيرين من الودّ والمكاتبه والمهادات وكان يخاطبه بالاخ ثم بعد ذلك أتى رجل من أرض السند وأدعى انه هو طرمشيرين واختلف الناس فيه فسمع بذلك عماد الملك سرتيز غلام ملك الهند ووالى بلاد السند ويسمى ملك عرض وهو الذى تعرض بين يديه عساكر الهند واليه أمرها ومقرّه بملتان قاعدة السند فبعث اليه بعض الاتراك العارفين به فعادوا اليه وأخبروه انه هو طرمشيرين حقاً فأمر له بالسراجه وهى افراج فضرب خارج المدينة ورتب له ما يرتب لمثله وخرج لاستقباله وترجل له وسلم عليه وأتى فى خدمته الى السراجه فدخلها راكباً كعادة الملوك ولم يشك أحد انه هو وبعث الى ملك الهند بخبره فبعث اليه الامراء يستقبلونه بالضيافات وكان فى خدمة ملك الهند حكيم من خدم طرمشيرين فيما تقدم وهو كبير الحكماء بالهند فقال للملك انا أتوجه اليه وأعرف حقيقة أمره فانى كنت عاجلت له دملحت ركبته وبقي أثره وبه أعرفه فأتى اليه ذلك الحكيم واستقبله مع الامراء ودخل عليه ولازمه لسابقته عنده واخذ يغمز رجله وكشف عن الاثر فشتمه وقال له تريد ان تنظر الى الدمل الذى عاجلته ها هو ذا واره أثره فتحقق انه هو وعاد الى ملك الهند فاعلمه بذلك ثم ان الوزير خواجه جهان أحمد بن اياس وكبير الامراء قتلوا خان معلم السلطان أيام صغره دخلا على ملك الهند وقال له يا خوند عالم هذا السلطان طرمشيرين قد وصل وصح انه هو وها هنا من قومه نحو أربعين الفا ولده وصهره ارايت ان اجتمعوا عليه ما يكون من العمل فوقع هذا الكلام بموقع منه عظيم وأمر أن يؤتى بطرمشيرين مجعلاً فلما دخل عليه أمر بالخدمة كسائر الواردين ولم يعظم وقال له السلطان يا ما ذر كانى وهى شتمه فيحجة كيف تكذب وتقول انك طرمشيرين وطرمشيرين قد قتل وهذا خادم تربته عندنا والله لولا المعرفة لقتلتك ولكن اعطوه خمسة آلاف دينار واذهبوا به الى دار بشاي اغلي وأخته ولدى طرمشيرين وقولوا لهم ان هذا الكاذب يزعم انه والدكم فدخل عليهم فعرّفوه وبات عندهم والحراس يحرسونه وأخرج بالغد وخافوا أن يهلكوا بسببه فانكروه ونفى عن بلاد الهند والسند فسالك طريق كيج ومكران واهل البلاد يكرمونهم ويضيفونه ويهادونه ووصل الى شيراز فأكرمه سلطانها ابواسحاق وأجرى له كفايته ولما دخلت عند وصولي من الهند الى مدينة شيراز ذكر لى انه باق بها وارتد لقاءه ولم أفعّل لانه كان فى دار لا يدخل اليه احد الا باذن من السلطان ابى اسحاق فخفت مما يتوقع بسبب ذلك ثم ندمت على عدم لقائه

(رجع الحديث الى بوزن) وذلك انه لما ضيق على المسلمين وظلم الرعية واباح للنصارى واليهود عمارة كائسهم فضج المسلمون من ذلك وترى صوابه الدوائر واتصل خبره بخليل بن السلطان اليه سور المهر وم على خراسان فقصد مكة هرات وهو السلطان حسين ابن السلطان غياث الدين الغورى فاعلمه بما كان فى نفسه وسأل منه الاغاثة بالعساكر والمال على ان يشا طره الملك اذا استقام له فبعث معه الملك حسين عسكر اعظيما وبين هرات والترمذ تسعة أيام فلما سمع امر اء السلطان بقدوم خليل تلقوه بالسمع والطاعة والرغبة فى جهاد العدو وكان اول قادم عايه علاء الملك خداوندزاده صاحب ترمذ وهو أمير كبير شريف حسنى النسب فاتا فى أربعة آلاف من المسلمين فسر به وولاه وزارته وقوض اليه امره وكان من الابطال وجاء الامراء من كل ناحية واجتمعوا على خليل والتقى مع بوزن فقالت العساكر الى خليل وأسلموا بوزن وأتوا به أسيرا فقتله خنقا باوتار القسي وذلك عادة لهم انهم لا يقتلون من كان من أبناء الملوكة الا خنقا واستقام الملك لخليل وعرض عساكره بسمرقند فكانوا ثمانين ألفا عليهم وعلى خيلهم الدروع فصرف العسكر الذى جاء به من هرات وقصد بلاد المالكى فقدم التتر على أنفسهم واحدا منهم ولقوه على مسيرة ثلاث من المالكى بمقربة من اطاراز (طراز) وحجى القتال وصبر الفريقان فحمل الامير خداوندزاده وزيره فى عشرين ألفا من المسلمين حملة لم يثبت لها التتر فانهمزمو واشتد فيهم القتل وأقام خليل بالمالكى ثلاثا وخرج الى استيصال من بقى من التتر فاخذ عنوا له بالطاعة وجازا الى تخوم الخطا والصين وفتح مدينة قراقرم ومدينة بش بالبعث اليه سلطان الخطا بالعساكر ثم وقع بينهما الصلح وعظم أمر خليل وهابته الملوكة وأظهر العدل ورتب العساكر بالمالكى وترك بها وزيره خداوندزاده وانصرف الى سمرقند وبخارى ثم ان التتر أرادوا الفتنة فسعوا الى خليل بوزن به المذكور وزعموا انه يريد الثورة ويقول انه أحق بالملك لقربته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه وشجاعته فبعث واليا الى المالكى عوضا عنه وأمره ان يقدم عليه فى نفر يسير من اصحابه فلما قدم عليه قتله عند وصوله من غير تثبيت فكان ذلك سبب خراب ماله وكان خليل لما عظم أمره بغى على صاحب هرات الذى أورثه الملك وجهزه بالعساكر والمال فكتب اليه أن يخطب فى بلاده باسمه ويضرب الدنانير والدرهم على سكوته فغاظ ذلك الملك حسين وأنف منه وأجابه بأقبح جواب فتجهز خليل لقتاله فلم توافقه عساكر الاسلام ورأوه باغيا عليه وبلغ خبره الى الملك حسين فجهر العساكر مع ابن عمه ملك ورناء والتقى الجمعان فانهمز خيل وأوتى به الى الملك حسين اسيرا فن عليه بالبقاء وجعله فى دار وأعطاها جارية وأجرى عليه النفقة وعلى هذا الحال تركته عنده فى أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجى من الهند ولنعدا الى ما كنا بسبيله ولما وادعت السلطان ظر مشيرين

سافرت الى مدينة سمرقند وهي من اكبر المدن وأحسنها وأتمها جالامدينة على شاطئ واد يعرف بوادي القصارين عليه النواعير تسقي البساتين وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للترفة والتفرج ولهم عليه مساطب ومجالس يقعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة ومائتات كولات وكانت على شاطئه قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علوهم أهلها فذكر أن كثير ذلك وكذلك المدينة خرب كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليها وفي داخلها البساتين وأهل سمرقند لهم مكارم اخلاق ومحبة في الغريب وهم خير من أهل بخارى وبخارج سمرقند قبر قثم بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها ويخرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة الى زيارته والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة ويأتون اليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيصرف ذلك في النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة قائمة على أربع أرجل ومع كل رجل ساريتان من الرخام منها الخضرة والسود والبيض والجر وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب وسقفها مصنوع بالرخام وعلى القبر خشب الابنوس المرصع مكسوا لركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة وفرش القبة بالصوف والقطن وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هنالك وعلى حافته الاشجار ودوالي العنب والياسمين وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر ولم يغير التتر أيام كفرهم شيئا من حال هذا الموضع المبارك بل كانوا يتبركون به لما يرون له من الآيات وكان الناظر في كل حال هذا الضريح المبارك وما يليه حين نزولنا به الامير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن يوسف بن الخليفة المستنصر بالله العباسي قدّمه لذلك السلطان طر مشيرين لما قدم عليه من العراق وهو الآن عند ملك الهند وسيأتي ذكره ولقيت بسمرقند قاضيا بها المسمى عندهم صدر الجهان وهو من الفضلاء ذوى المكارم وسافر الى بلاد الهند بعد سفرى اليها فأدركته منيته بمدينة ملتان قاعدة بلاد الهند

* (حكاية) *

لما مات هذا القاضي بملتان كتب صاحب الخبر بأمره الى ملك الهند وانه قدم برسم بابه فاخترم دون ذلك فلما بلغ الخبر الى الملك امر أن يبعث الى أولاده عددا من آلاف الدنانير لاذكره الآن وأمر أن يعطى لأصحابه ما كان يعطى لهم لو وصوا معه وهو بقاء الحياة وللكل الهند في كل بلد من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل ما يجري في ذلك البلد من الامور وما يرد عليه من الواردين وإذا أتى الوارد كتبوا من اى البلاد وردوا كتبوا اسمه ونفعه وثوابه وأصحابه وخياله وخدامه وهيئته من الجلوس والمساكن وكل وجيع شئونه وتصرفاته وما يظهر منه من

فضيلة أوضدها فلا يصل الوارد الى الملك الا وهو عارف بجميع حاله فتكون كرامته على مقدار ما يستحقه وسافرنا من سمرقند فاجتازنا بلدة نسف واليهما ينسب أبو حفص عمر النسفي مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الاربعة رضى الله عنهم ثم وصلنا الى مدينة ترمذ التي ينسب اليها الامام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مؤلف الجامع الكبير في السنن وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة والاسواق تخرقها الانهار وبها البساتين الكثيرة والعنب والسفرجل بها كثير منها هي الطيب واللحوم بها كثيرة وكذلك الالبان وأهلها يغسلون رؤسهم في الحمام باللبن عوضا عن الطفل ويكون عند كل صاحب حمام أوعية كبار مملوءة لبنا فإذا دخل الرجل الحمام أخذ منها في أناء صغير فغسل رأسه وهو يرطب الشعر ويصقله وأهل الهند يجعلون في رؤسهم زيت السمسم ويسمونه الشيراج ويغسلون الشعر بعده بالطفل فينعم الجسم ويصقل الشعر ويطيله وبذلك طالت لحى أهل الهند ومن سكن معهم وكانت مدينة ترمذ القديمة مبنية على شاطئ جيحون فلما خربها تدمير بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر وكان نزولنا بها براوية الشيخ الصالح عزيزان من كبار المشايخ وكرمائم كثير المال والرابع والبساتين ينفق على الوارد والصادر من ماله واجتمعت قبل وصولي الى هذه المدينة بصاحبها علاء الملك خداوندزاده وكتب لي اليها بالضيافة فكانت تحمل الينا أيام مقامنا بها في كل يوم ولقيت أيضا قاضيا قوام الدين وهو متوجه لرؤية السلطان طر مشيرين وطالب للاذن له في السفر الى بلاد الهند وسأني ذكر لقائي له بعد ذلك ولا أخويه ضياء الدين وبرهان الدين بملتان وسفرنا جميعا الى الهند وكر أخويه الاخرين عماد الدين وسيف الدين ولقائي له ما حضره ملك الهند وكر ولديه وقدومه معا على ملك الهند بعد قتل أبيهما وتزويجهما بنتي الوزير خواجسه جهان وما جرى في ذلك كله ان شاء الله تعالى ثم أجزنا نهر جيحون الى بلاد خراسان وسرنا بعد انصرفنا من ترمذ واجازة الوادي يوما ونصف يوم في صحراء ورمال لا عمارة بها الى مدينة بلخ وهي خاوية على عروشها غير عامرة ومن رآها ظنها عامرة لا تقان بناؤها وكانت ضخمة فسحة ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن وتقوش مبانيها مدخلة باصبغة اللازورد والناس ينسبون اللازورد الى خراسان وانما يجلب من جبال بدخشان التي ينسب اليها الياقوت البدرخشي والعمامة يقولون البلخشي وسأني ذكرها ان شاء الله تعالى وخرب هذه المدينة تدمير كثير اللعين وهدم من مسجدها نحو الثلث بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية من سواريه وهو من احسن مساجد الدنيا وأفسحها ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه في عظم سواريه ومسجد بلخ أجمل منه في سوى ذلك

* (حكاية) *

ذكر لي بعض أهل التواريخ أن مسجد بلخ بنته امرأة كان زوجها أميراً بلخ لبني العباس
يسمى داود بن علي فاتفق أن الخليفة غضب مرة على أهل بلخ لحادث أحدثوه فبعث إليهم
من يعرهم - ممرسافاد حائماً بلغ إلى بلخ أتى نساؤها وصبينها إلى تلك المرأة التي بنت المسجد
وهي زوج أميرهم وشكوا حالهم وما لحقهم من هذا المنع فبعثت إلى الأمير الذي قدم برسم
تغريمهم بشوب لها مرسع بالجواهر قيمة أكثر مما أمر بتغريمه فقالت له اذهب بهذا الثوب
إلى الخليفة فقد أعطيت صدقة عن أهل بلخ لضعف حالهم فذهب به إلى الخليفة وألقى الثوب
بين يديه وقص عليه القصة ففجأ الخليفة وقال أتكون المرأة أكرم منا وأمر مرفوع المنع عن
أهل بلخ وبالعودة إليهم المرأة ثوبها وأسقط عن أهل بلخ خراج سنة فعاد الأمير إلى بلخ وأتى
منزل المرأة وقص عليها مقالة الخليفة ورد عليها الثوب فقالت له أوقع بصرا الخليفة على هذا
الثوب قال نعم قالت لا البس ثوباً وقع عليه بصر غريزي محرم مني وأمرت ببيعه فبني منه
المسجد والزاوية ورباط في مقابلة مبنى بالكذان وهو عامر حتى الآن وفضل من الثوب
مقدار ثلثه فذكر أنها أمرت بدفنه تحت بعض سوارى المسجد ليكون هنالك متيسراً أن احتجج
إليه خرج فأخبرته كبريائه هذه الحكاية فأمر بهدم سوارى المسجد فهدم منها نحو ثلث و لم
يجد شيئاً فترك الباقي على حاله وبخارج بلخ تبريد كراهته تبرعاً بشئ من محسن الاسدي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً الذي دخل الجنة بلا حساب وعليه زاوية معظمة بها
كان نزولنا وبخارجها بركة ماء عجبية عليها شجرة جوز عظيم ينزل الواردون في الصيف تحت
ظلالها وشيخ هذه الزاوية يعرف بالحاج خرد وهو الصغيّر من الفضلاء وركب معنا وأرانا
مزارات هذه المدينة منها قبر خزيل النبي عليه السلام وعليه قبة حسنة وزرنا بها أيضاً قبوراً
كثيرة من قبور الصالحين لا أدكرها الآن ووقفنا على دار إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه
وهي دار ضخمة مبنيّة بالصخر الأبيض الذي يشبه الكذان وكان زرع الزاوية مقسماً بيننا
وقد سدت عليه فلم ندخلها وهي بمقربة من المسجد الجامع ثم سافرنا من مدينة بلخ فسرنا في
جبال قوهستان (قستان) سبعة أيام وهي قرى كثيرة عامرة فيها المياح الجارية والأشجار
المورقة وأكثرها شجر التين وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنتظمون إلى الله تعالى وبعد
ذلك كان وصولنا إلى مدينة هرات وهي أكبر المدن العاصرة بخراسان ومدن خراسان العظيمة
أربع ثنتان عامرتان وهما هرات ونيسابور وثنتان خربتان وهما بلخ ومرو ومدينة هرات
كبيرة عظيمة كثيرة العمارة ولاهلها صلاح وعفاف وديانة وهم على مذهب الإمام أبي حنيفة
رضي الله عنه وبلدهم طاهر من الفساد

* (ذكر سلطان هرات) *

وهو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري صاحب الشجاعة الماثورة والتأييد والسعة ظهر له من انجاده الله تعالى وتأيدده في موطنين اثنين ما يقضى منه العجب أحدهما عند ملاقاته جيشه للسلطان خليل الذي بغى عليه وكان منتهى امره حصوله أسيرا في يديده والموطن الثاني عند ملاقاته بنفسه لمسعود سلطان الرافضة وكان منتهى أمره تبديده وفراره وذهاب ملكه وولى السلطان حسين الملك بعد أخيه المعروف بالحافظ وولى أخوه بعد أبيه غياث الدين

* (حكاية الرافضة) *

كان بخراسان رجلان أحدهما يسمى مسعود والاخر يسمى محمد وكان لهما خمسة من الاصحاب وهم من الفتاك ويعرفون بالعراق بالشطار ويعرفون بخراسان بسر ابداران (سر ابداران) ويعرفون بالمغرب بالصقورة فاتفق سببهم على الفساد وقطع الطرق وسلب الاموال وشاع خبرهم وسكنوا جبلا منيعا بمقربة من مدينة بهق وتسمى أيضا مدينة سيزار (سيزوار) وكانوا يكتنون بالنهار ويخربون بالليل والعشي فيضربون على القرى ويقطعون الطرق ويأخذون الاموال وانال عليهم أشباههم من أهل السر والفساد فكثر عددهم واشتدت شوكتهم وهابهم الناس وضربوا على مدينة بهق فلكوها ثم لما كواسواها من المدن واكتسبوا الاموال وجندوا الجنود وركبوا الخيل وتسمى مسعود بالسلطان وصار العبيد يفرون عن مواليهم اليه فكل عبد فر منهم يعطيه الفرس والمال وان ظهرت له شجاعة أمره على جماعة فعظم جيشه واستفحل أمره وتمذهب جميعهم بمذهب الرافض وطمحوا الى استيصال أهل السنة بخراسان وان يجعلوها كلمة واحدة رافضية وكان بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن وهو عندهم من الصالحاء فوافقهم على ذلك وسموه بالخليفة واهمهم بالعدل فأظهروه حتى كانت الدراهم والدنانير تسقط في معسكرهم فلا يلتقطها أحد حتى يأتي رباها فيأخذها وغلبوا على نيسابور وبعث اليهم السلطان طغتمور بالعساكر فهزموها ثم بعث اليهم نائبه أرغون شاه فهزموه وأسروه ومنوا عليه ثم غزاهم طغتمور بنفسه في خمسين ألفا من التتر فهزموه وملا كوا البلاد وتغلبوا على سرخس والراوه وطوس وهي من أعظم بلاد خراسان وجعلوا خايفتهم تشهد على بن موسى الرضى وتغلبوا على مدينة الجمام ونزلوا بخارجها وهم قاصدون مدينة هرات وبينها وبينهم مسيرة ست فلما بلغ ذلك الملك حسين اجتمع الامراء والعساكر وأهل المدينة واستشارهم هل يقيمون حتى يأتي القوم أو يعضون اليهم فيناجزونهم فوقع اجماعهم على الخروج اليهم وهم قبيلة واحدة يسمون الغورية ويقال انهم منسوبون

الى غور الشام وان أصلهم منه فتجهزوا واجمعون واجتمعوا من اطراف البلاد وهبهم سبا كتون بالقري وبصحراء مرغيس (بدغيس) وهي مسيرة أربع لايرال عشبها أخضر ترعى منه ماشيتهم وخيلهم وأكثر شجرها الفستق ومنها يحل الى أرض العراق وعضدهم اهل مدينة سمنان ونفروا جميعا الى الرافضة وهم مائة وخمسون ألفا من الفسمايين رجالة وفرسان يقودهم الملك حسين واجتمعت الرافضة في مائة وخمسين ألفا من الفرسان وكانت الملاقاة بصحراء بوشنج وصبر الفريقان معاشم كانت الدائرة على الرافضة وفرسلطانهم مسعود وثبتت خليفتهم حسن في عشرين ألفا حتى قتل أكثرهم واسر منهم نحو أربعة آلاف وذكر لي بعض من حضر هذه الواقعة ان ابتداء القتال كان في وقت الضحى وكانت الهزيمة عند الزوال ونزل الملك حسين بعد الظهر ف صلى وأتى بالطعام فكان هو وكبراء اصحابه يأكلون وسائرهم يضربون اعناق الاسرى وعاد الى حضرته بعد هذا الفتح العظيم وقد نصر الله السنة على يديه وأطفأ نار الفتنة وكانت هذه الواقعة بعد خروجي من الهند عام ثمانية وأربعين ونشأ بهرات رجل من الزهاد والصالحاء الفضلاء واسمه نظام الدين مولانا وكان أهل هرات يحبونه ويرجعون الى قوله وكان يعظهم ويذكرهم وتوافقهم على تغيير المنكر وتعاقدهم على ذلك خطيب المدينة المعروف بملك ورنانا وهو ابن عم الملك حسين ومتزوج بـ زوجة والده وهي من أحسن الناس صورة وسيرة والملك يخافه على نفسه وسنذكر خبره وكانوا متي علوا بمنكر ولو كان عند الملك غيره

* (حكاية) *

ذكر لي انهم تعرفوا يوما ان بدار الملك حسين منكران فاجتمعوا للتغيير وتحصن منهم بداخل داره فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل فخاف منهم فاستحضر الفقيه وكبار البلد وكان قد شرب الخمر فأقاموا عليه الخد بداخل قصره وانصرفوا عنه

* (حكاية هي سبب قتل الفقيه نظام الدين المذكور) *

كانت الاثراك المجاورون لمدينة هرات الساكنون بالصحراء وملكهم طغيتهوز الذي مر ذكره وهم نحو خمسين ألفا يخافهم الملك حسين ويهدى لهم الهدايا في كل سنة ويرارهم وذلك قبل هزيمة الرافضة وأما بعد هزيمة الرافضة فتغلب عليهم ومن عادة هؤلاء الاثراك التردد الى مدينة هرات ورمشوا بها الخمر وأتاها بعضهم وهو سكران فكان نظام الدين يخدمهم وجد منهم سكرانا وهؤلاء الاثراك اهل نجدة وبأس ولا يزالون يضربون على بلاد الهند فيسبون ويقتلون ورمسوا ببعض المسلمات اللاتي يكن بأرض الهند ما بين الكفار فاذا خرجوا بهم الى خراسان يطلق نظام الدين المسلمات من أيدي الترك وعسامة الفسوة المسلمات بارض

الهند ترك ثقب الاذن والكافرات اذانهم مثقوبات فاتفق مرة ان أميراً من أمراء الترك
يسمى تمورالطى سبي امرأته وكذبها كلفاً شديداً فذكرت انهم لملة فانتزعها الفقيه من يده
فبلغ ذلك من انتركي مبلغاً عظيماً وركب في آلاف من أصحابه وأغار على خيول هرات وهي
في مرعاهاب صحراء مرغيس (بدغيس) واحدة ملوها فم يتركوا اهل هرات ما يركبون
ولا ما يحبون وصعدوا بها الى جبل هنالك لا يقدر عليهم فيه ولم يجد السلطان ولا جنده خيلاً
يتبعونهم بها فبعث اليهم رسلاً يطلب منهم رد ما أخذوه من الماشية والخيول ويذكرهم العهد
الذي بينهم فاجابوا بأنهم لا يردون ذلك حتى يمتنعوا من الفقيه نظام الدين فقال السلطان
لا سبيل الى هذا وكان الشيخ أبو أحمد الجسسي حفيد الشيخ مودود الجسسي له بخراسان شأن
عظيم وقوله معتبر لديهم فركب في جماعة خيل من أصحابه وماليكه فقال أنا أجل الفقيه نظام
الدين معي الى الترك ليرضوا بذلك ثم أردته فكان الناس مالوا الى قوله ورأى الفقيه نظام الدين
اتفاقهم على ذلك فركب مع الشيخ أبي أحمد ووصل الى الترك فقام اليه الامير تمورالطى وقال له
أنت أخذت امرأتى منى وضربته بدبوسه فكسر دماغه فخر ميتاً فسقط في أيدي الشيخ أبي أحمد
وانصرف من هنالك الى بلده ورد الترك ما كانوا أخذوه من الخيل والماشية وبعد مدة قدم
ذلك التركي الذي قتل الفقيه على مدينة هرات فلقية جماعة من أصحاب الفقيه فقدموا اليه
كأنهم مسلمون عليه وتحت ثيابهم السيوف فقتلوه وفر أصحابه ولما كان بعد هذا بعث الملك
حسين ابن عمه ملك ورنال الذي كان رفيق الفقيه نظام الدين في تغيير المنكر رسولاً الى ملك
سجستان فلما حصل بها بعث اليه أن يقيم هنالك ولا يعود اليه فتصد بلاد الهند ولقيته وأنا
خارج منها بمدينة سيوستان من السند وهو أحد الفضلاء وفي طبعه حب الرياسة والضميد
والبراة والخيول والممالك والأصحاب واللباس الملوكي الفاخر ومن كان على هذا الترتيب
فانه لا يصلح حاله بأرض الهند فكان من أمر دان ملك الهند ولاداه بلاد صغيراً وقتله به بعض
أهل هرات المقيمين بالهند بسبب جارية وقيل ان ملك الهند دس عليه من قتله بسعي الملك
حسين في ذلك ولا جله خدم الملك حسين ملك الهند بعد موت ملك ورنال المذكور وهاداه ملك
الهند وأعطاه مدينة بكار من بلاد السند ومجماها خمسون ألفاً من دنانير الذهب في كل سنة
(ولاعده) الى ما كنا سبيل له فنعول سافراً من هرات الى مدينة الجاه وهي متوسطة حسنة ذات
بساتين وأشجار وعيون كثيرة وأنهار وأكثر شجرها التوت والحريير بها كثير وهي تنسب الى
أولى العابدين الزاهد شهاب الدين أحمد الجاهي وسند كركايتيه وحفيدة الشيخ أحمد المعروف
براه الذي قتله ملك الهند والمدينة الآن لا ولادته وهي محررة من قبل السلطان ولهم بها نعمة
وثرثرة وكري من أثق به ان السلطان أباسعيد ملك العراق قدم خراسان مرة ونزل على هذه

المدينة وبها زاوية الشيخ فأضافه ضيافة عظيمة وأعطى لكل خبء بمجملته رأس غنم ولكل أربعة رجال رأس غنم ولكل دابة بالحمل من فرس وبغل وحمار علف ليلة فلم يبق في الحيلة حيوان الا وصلته ضيافته

(حكاية الشيخ شهاب الدين الذي تنسب اليه مدينة الحمام) *

يذكر انه كان صاحب راحة كثيرا من الشرب وكان له من الندماء نحو ستين وكانت لهم عادة أن يجتمعوا يوما في منزل كل واحد منهم فتدور النوبة على أحدهم بعد شهرين وبقوا على ذلك مدة ثم ان النوبة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين فعقد النوبة ليلة النوبة وعزم على اصلاح حاله مع ربه وقال في نفسه ان قلت لا يحاسبني اني قد تبنت قبل اجتماعهم عندي ظنوا ذلك عجزا عن مؤنتهم فأحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكول ومشروب وجعل الخمر في الزنابق وحضرا بجانبه فلما أرادوا الشرب فتحوا زقافا فاقه أحدهم فوجد حادوا ثم فتحوا ثانيا فوجدوه كذلك ثم ثالثا فوجدوه كذلك فكلهم والشيخ في ذلك فخرج لهم عن حقيقة أمره وصدقهم سن بكره وعرفهم بتوبته وقال لهم والله ما هذا الا الشراب الذي كنتم تشرّبونه فيما ما تقدم فتبرأ جميعا الى الله تعالى وبنوا تلك الزاوية وانقطعوا بها العبادة لله تعالى وظهر لهذا الشيخ كثير من الكرامات والمكاشفات ثم سافرنا من الحمام الى مدينة طوس وهي من أكبر بلاد خراسان وأعظمها بلدا الامام الشهير أبي حامد الغزالي رضى الله عنه وبها قبره ورحلنا منها الى مدينة مشهد الرضى وهو على ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنهم وهي أيضا مدينة كبيرة ضخمة كثيرة الفواكه والمياه والارحاء الطاحنة وكان بها الطاهر محمد شاه والطاهر عندهم: معنى النقيب عند أهل مصر والشام والعراق وأهل الهند والسند وتركستان يقولون السيد الاجل وكان أيضا بهذا المشهد القاضي الشريف جلال الدين لقيته بأرض الهند والشريف علي وولده أمير هندو ودولة شاه وصحبوني من ترمذ الى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء والمشهد المكرم عليه تبة عظيمة في داخل زاوية تجاورها مدرسة ومسجد وجميعها ملبى البناء مصنوع الحيطان بالقاشاني وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصقايح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة وعتبة باب النقبة فضة وعلى بابها ستر حرير مذهب وهي مبسوطة بأنواع البسط وازاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين رضى الله عنه وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات التي يعرفها أهل المغرب بالحسك والمنائر واذن دخل الرافضى للزيارة ضرب قبر الرشيد برجله وسلم على الرضى ثم سافرنا الى مدينة سرخس واليه ينسب الشيخ الصالح لقمان السرخسى رضى الله عنه ثم سافرنا منها الى مدينة زاوة وهي مدينة الشيخ

الصالح قطب الدين حيدر واليه تنتسب طائفة الحيدرية من الفقهاء وهم الذين يجعلون خلق الحديد في أيديهم وأعناقهم وآذانهم ويجعلونها أيضا في ذكورهم حتى لا يتأذى لهم النكاح ثم رحلنا منها فوصلنا إلى مدينة نيسابور وهي إحدى المدن الأربع التي هي قواعد خراسان ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة قواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها وتحترقها أربعة من الأنهار وأسواقها حسنة متسعة ومسجدها يدعى وهو في وسط السوق وبه أربعة من المدارس يجري بها الماء الغزير وفيها من الطلبة خلق كثير يقرأون القرآن والعقيدة وهي من حسان مدارس تلك البلاد ومدارس خراسان والعراقين ودمشق وبغداد ومصر وإن بلغت الغاية من الاتقان والحسن فكلماتها تنقص عن المدرسة التي عمرها مراملا بأمر المؤمنين المتوكل على الله المجاهد في سبيل الله عالم الملوكة واسطة عقد الخلفاء العادلين أبوعنان ووصل الله سعده ونصر جنده وهو التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فانها لا نظير لها سعة وارتفاعا ونقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من الخ والكتف وغغيرها وتحمل منها إلى الهند وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الإمام العالم القطب العابد قطب الدين النيسابوري أحد الوعاظ العلماء الصالحين نزلت عنده فأحسن القرى وأكرم ورأيت له البراهين والكرامات العجيبة

* (كرامة له) *

كنت قد اشتريت بنيسابور غلاما تركيا فآذنيته فقلت له لا يصح لك فبعه فقلت له نعم وبعته الغلام في غد ذلك اليوم واشتراه بعض التجار وودعت الشيخ وانصرفت فلما حلت بمدينة بسطام كتب إلى بعض أصحابي من نيسابور وذكر أن الغلام المذكور قتل بعض أولاد الأتراك وقتل به وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضي الله عنه وسافرت من نيسابور إلى مدينة بسطام التي بنسب اليها الشيخ العارف أبو يزيد البسطامي الشهير رضي الله عنه وهذه المدينة قبره ومعه في قبره واحدة أحسن أولاد جعفر الصادق رضي الله عنه ويسطام أيضا قبر الشيخ الصالح الولي أبي الحسن الخرقاني وكان نزولي من هذه المدينة بزاوية الشيخ أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هند خيرا إلى قندوس وبغلان وهي قرى فيها مشايخ وصالحون وبها البساتين والأنهار فتزلنا بقندوس على نهر ماعبه زاوية لا حد شيوخ الفقهاء من أهل مصر يسمى بشيرسيه ومعنى ذلك الأسد الأسود واطفأنا بها وإلى ذلك الأرض وهو من أهل الموصل وسكناه بستان عظيم هنالك وأخذنا بخارج هذه القرية نحو أربعين يوما لرعى الجبال والخيل وبها مراعي طيبة وأعشاب كثيرة والأمن بها شامل بسبب شدة أحكام الأمير بنظيه وقد قدمنا أن أحكام الترك في من سرق فرسان يعطى معه تسعة مثله فإن لم يجد

ذلك اخذ فيها أولاد دفان لم يكن له أولاد ذبح ذبح الشاة والناس يتركون دوابهم موحلة دون راع
بعد ان يسم كل واحد رابه في الخاذاها وكذلك نعلنا في هذه البلاد واتفق ان تفقدنا خيلنا بعد
عشر من نزولنا بها ففقدنا منها ثلاثة أفراس ولما كان بعد نصف شهر جاءنا التتر بها الى منزلنا
خوفا على أنفسهم من الاحكام وكننا نرى في كل ليلة ازاء اخبية تنافر سين لما عسى أن
يقع بالليل ففقدنا الفرسين ذات ليلة وسافرنا من هنالك وبعد ثنتين وعشرين ليلة جاؤا بهما اليها
في أثناء طريقنا وكان أيضا من أسباب اقامتنا خوف الثلج فان باثنا ان طريق جبلا يقال له
هندوكوش ومعناه قاتل الهنود لان العبيد والجواري الذين يؤتى بهم من بلاد الهند يموت
هنالك الكثير منهم لشدة البرد وكثرة الثلج وهو مسيرة يوم كامل وأقننا حتى تم كن دخول الحر
وقطعنا ذلك الجبل من آخر الليل وسلكنا به جميع نهارنا الى الغروب وكان نضع اللبود بين أيدي
الجمال تطأ عليها الثلج تغرق في الثلج ثم سافرنا الى موضع يعرف بأندر وكانت هنالك فيما تقدم
مدينة عفي رسمها ونزلنا بقريه عظيمة فيم از اوية لاحد الفضلاء وسمى بمحمد المهر وى ونزلنا
عنده وأكرمنا وكان متى غسلنا أيدينا من الطعام يشرب الماء الذي غسلنا به لحسن
اعتقاده وقضله وسافر معنا الى ان صعدنا جبل هندوكوش المذكور ووجدنا بهذا الجبل
عين ماء حارة فغسلنا منها وجوهنا فنقشرت وتألنا ذلك ثم نزلنا بموضع يعرف ببنج هير ومعنى
بنج خمسة وهير الجبل فعناد خمسة جبال وكانت هنالك مدينة حسنة كثيرة العمارة
على نهر عظيم أزرق كانه بحر ينزل من جبال بدخشان وبهذه الجبال يوجد الياقوت الذي
يعرفه الناس بالبلخش ونحرب هذه البلاد تنكيز ملك التتر فلم تعمربعد وبهذه المدينة من ار
الشيخ سعيد المكي وهو معظم عندهم ووصلنا الى جبل يشاي (وضبطه بفتح الباء المعقودة
والشين المعجم وألف وياء ساكنة) وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء وأطا (بفتح الهمزة) معناه
بالتركية الاب وأولياء باللسان العربي فعناء أبوالا ولىاء وسمى أيضا سيصد صاله وسيصد
(بسين مهمل مكسور وياء مدّ وصاد مهمل مفتوح ودال مهمل) ومعناه بالفارسية ثلاثمائة
وصاله (بساله) (بفتح الصاد المهمل واللام) معناه عام وهم يذكرون ان عمره ثلاثمائة
ونخسون عاما ولحم فيه اعتقاد حسن ويأتون لزيارته من البلاد والقرى ويقصده السلاطين
والجنواتين وأكرمنا وأضافنا ونزلنا على نهر عند زاوية ودخلنا اليه فسلمت عليه وعانقني
وجسمه رطب لم أر ألين منه ويظن رائيه ان عمره خمسون سنة وذكر لي انه في كل مائة سنة
ينبت له الشعر والاسنان وانه رأى أبا رهم الذي قبره بملتان من السند وسأله عن رواية حديث
فأخبرني بحكايات وشككت في حاله والله أعلم بصدقه ثم سافرنا الى برون (وضبطها بفتح
الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخرها نون) وفيها القيت الامير برنطيه
(وضبط)

(وضبط اسمه بضم الباء وضم الراء وسكون النون وفتح الطاء المهمل وياء آخر الحروف مسكن وهاء) وأحسن إلى وأكرمني وكتب إلى نوابه بمدينة غزنة في أكرامى وقد تقدم ذكره وذكر ما أعطى من البسطة في الجسم وكان عنده جماعة من المشايخ والفقراء أهل الزوايا ثم سافرنا إلى قرية الجرخ (وضبط اسمها بفتح الجيم المعقودة واسكان الراء وخاء معجم) وهي كبيرة لها بساكنين كثيرة وفواكهها طيبة قدمناها في أيام الصيف وجدنا بها جماعة من الفقراء والطلبة وصلينا بها الجمعة وأضافنا أميرها محمد الجرخي ولقيته بعد ذلك بالهند ثم سافرنا إلى مدينة غزنة وهي بلد السلطان المجاهد محمود بن سبكتكين الشهير الاسم وكان من كبار السلاطين يلقب بيمين الدولة وكان كثير الغزو إلى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون وقبره بهذه المدينة عليه زاوية وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها الا يسير وكانت كبيرة وهي شديدة البرد والسالكون بها يخرجون عنها أيام البرد إلى مدينة القندهار وهي كبيرة مخصصة ولم أدخلها وبينهم مسيرة ثلاث ونزلنا بخارج غزنة في قرية هناك على نهر ماء تحت قلعتها وأكرمنا أميرها مر ذلك أغا ومر ذلك (يفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المعجم) ومعناه الصغير وأغا (يفتح الهمزة والغين المعجم) ومعناه الكبير الاصل ثم سافرنا إلى كابل وكانت فيما سلف مدينة عظيمة وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان ولهم جبال وشعاب وشوكة قوية وأكثرهم قطاع الطريق وجبلهم الكبير يسمى كوه سليمان ويذكرون نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر إلى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمى الجبل به وفيه يسكن ملك الافغان وبكابل زاوية الشيخ اسماعيل الافغانى تلميذ الشيخ عباس من كبار الاولياء ومنهم ارحلنا إلى كرماش وهي حصن بين جبليين تقطع به الافغان وكنا حين جوارنا عليه نقائهم وهم بسفح الجبل ونزيمهم بالنشاب فيفرون وكانت رفقتنا مخفة ومعهم نحو أربعة آلاف فرس وكانت لي جمال انقطعت عن القافلة لاجلها ومعى جماعة بعضهم من الافغان وطر حنا بعض الزاد وترصكنا جمال الجبال التي أعيت بالطريق وعادت اليها خيلنا بالغد فاحتملتها ووصلنا إلى القافلة بعد العشاء الاخرة فبيتنا بمنزل ششنة غار وهي آخر العمارة مما يلي بلاد الترك ومن هناك دخلنا البرية الكبرى وهي مسيرة خمس عشرة ليلة لا تدخل الا في فصل واحد وهو بعد نزول المطر بارض السند والهند وذلك في اوائل شهر يوليه وتهب في هذه البرية ريح السموم القاتلة التي تعفن الجسوم حتى ان الرجل اذا مات تنفسخ اعضاؤه وقد ذكرنا ان هذه الريح تهب أيضا في البرية بين هرمن وشيراز وكانت تقدمت امامنا رفقة كبيرة فيها خدأونند زاده قاضى ترمذ فأتى لهم جمال وخيل كثيرة ووصلت رفقتنا سالمة بحمد الله تعالى إلى بنج آب وهو ماء السند وبنج (يفتح الباء الموحدة وسكون النون والجيم) ومعناه خمسة

(٢٤٢)

وآب (همزة مفتوحة ممدودة وباء موحدة) ومعناه الماء فعني ذلك الاودية الخمسة وهي تصب في
النهر الاعظم وتسقى تلك النواحي وسند ذكرها ان شاء الله تعالى وكان وصولنا لهذا النهر صلح
ذى الحجة واستهل علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبع مائة ومن هنالك
كتب المخبرون بخبرنا الى أرض الهند وعزفوا مآكها بكيفية أحوالنا وها هنا ينتهى بنا الكلام
في هذا السفر والحمد لله رب العالمين

تم الجزء الاول

من رحلة الشيخ المغربي المشهور بابن بطوطه
بطريقة صحيحة مضبوطة
ويليسه ان شاء الله تعالى

الجزء الثاني

بمباشرة مصححها. ومحرر طبعها ومنقحها على هذا الوجه الجليل
العبد الضئيل ابي السعود أفندي محرز صحيفة وادي النيل
عامله الله سبحانه وتعالى الذي هو خير عييل بكرمه
الجليل في آخر رجب الفرد سنة ١٢٨٧
من هجرة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى آله
وأصحابه من قبل
ومن بعد

﴿تذييل﴾

يقول مصححه وحيث انتهينا من رحلة الشيخ المغربي المعروف بابن بطوطة الى هذا الحد وهو اول جلد وقد شرع رحمه الله تعالى في ذكر ما شاهدته من العجائب والغرائب ببلاد الهند وهو ثاني جلد رأينا من المقيدان نورد هنا عبارة توجد في مقدمة ابن خلدون رحمه الله تعالى مما يتعلق بهذا القصد تنميها للفائدة وتقييد للشاردة ونصها بقصها وفصلها

ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها الذي كان العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمل في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بجمالك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشم وديبر رزقيه الناس كاقة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك المحفل منجنقات على الظهر يرمي بها شكاثر الدراهم والدينار على الناس الى ان يدخل ايوانه وأمثال هذه الحكايات فتناجي الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت انا يوم مشد في بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت فتناوضته في هذا الشأن وأريته انكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه فكبث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللعنان التي كان يغتذى بها فاذا قال له أبوه عذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفاها له أبوه بشيائها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفأر فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسه الا الفأر فيحسبها كلها أبناء جنس للفأر وهذا كثيرا ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن مهتما على نفسه وميزا بين طبيعة الممكن والمتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه أوسع شئ فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاذا نظرنا أصل الشئ وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم في نسبة ذلك على أحواله وحكنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه وقل ربي زدني علما (اه بحر وفه)

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢	الخطبة	٢٤	ذكر السلطان جلال الدين
٢	ذكر البريد	٢٥	ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي
٤	ذكر الكر كدن	٢٦	ذكر ابنة السلطان شهاب الدين
٦	ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك	٢٧	ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين
٧	ذكر غريبة رأيتها بخارج مدينة لاهنرى	٢٩	ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه
٨	ذكر أمير ماسان وترتيب حاله	٣١	ذكر مرامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك
٩	ذكر من اجتمعت به في هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند	٣١	ذكر مسير تغلق الى بلاد الهند وتوفي وما اتصل بذلك الى وفاته
١٠	ذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها	٣٢	ذكر السلطان أبى المجاهد محمد شاه ابن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذى قدم مناعليه
١١	ذكر الحبوب التى يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها	٤٠	وذكر وصفه الى آخر ما ذكر
١٢	ذكر غزوة لناس من هذا الطريق وهى أول غزوة شهدتها بلاد الهند	٤٠	ذكر بعض أخباره فى الجود والكرم
١٣	ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار	٤٧	وذكر عطائه الى آخر ما ذكر
١٥	ذكر وصف مدينة دهلى	٤٧	ذكر تزوج الامير سيف الدين باخت السلطان
١٦	ذكر سور دهلى وابوابها	٤٩	ذكر سجين الامير غدا
١٦	ذكر جامع دهلى	٥٠	حكايه فى تواضع السلطان وانصافه
١٧	ذكر الخوضين العظيمين بخارجها	٥٠	ذكر اشتداده فى اقامة الصلاة
١٨	ذكر بعض مناراتها	٥١	ذكر اشتداده فى اقامة احكام الشرع
١٨	ذكر بعض علمائها وصلحاءها	٥١	ذكر رفعه للغارم والمظالم وقعوده لانصاف المظلومين
١٩	ذكر فتح دهلى ومن تداولها من الملوك	٥١	ذكر اطعامه فى الغلاء
٢٠	ذكر السلطان شمس الدين للملوك	٥١	ذكر فتكات هذا السلطان وما نقم من افعاله
٢٠	ذكر السلطان ركن الدين بن السلطان شمس الدين	٥٢	ذكر قتله لاختيه
٢١	ذكر السلطانة رضيه	٥٢	ذكر قتله لثلاثمائة وخمسين رجلا فى ساعة واحدة
٢١	ذكر السلطان ناصر الدين بن السلطان شمس الدين		
٢١	ذكر السلطان عياث الدين بلين		
٢٣	ذكر السلطان معز الدين بن ناصر الدين		

(ب)

صفحة	صفحة
٥٢ ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله	٦٧ ذكر عود السلطان لحضرته ومخالفته
٥٤ ذكر قتله للفقهاء المدرسي عفيف الدين	على شاه كر
الساكني وفقيرين معه	٦٨ ذكر فرار امير بخت وأخذه
٥٤ ذكر قتله ايضا للفقيرين من أهل السند	٦٩ ذكر خلاف شاه افغان بارض السند
كانافي خدمته	٦٩ ذكر خلاف القاضي جلال
٥٤ ذكر قتله للشيخ هود	٦٩ ذكر خلاف ابن الملك مل
٥٥ ذكر سجنه لابن تاج العارفين وقتله لاولاده	٧٠ ذكر خروج السلطان بنفسه الى كنباية
٥٦ ذكر قتله للشيخ الحيدري	٧١ ذكر قتال مقبل وابن الكولي
٥٦ ذكر قتله لطوغان واخيه	٧١ ذكر الغلاء الواقع بارض الهند
٥٧ ذكر قتله لابن ملك التجار	٧٢ ذكر وصولنا الى دار السلطان عند قدومنا
٥٧ ذكر ضرب به الخطيب الخطباء حتى مات	وهو غائب
٥٧ ذكر تخريبه لدلهي ونفي اهلها وقتل	٧٢ ذكر وصولنا لدارام السلطان وذكر فضائلها
الاعمي والمقعد	٧٣ ذكر الضيافة
٥٨ ذكر ما افتخ به أمره أول ولايته من دمه	٧٤ ذكر وفاته بنتي وما فعلوا في ذلك
على بهادر بوره	٧٥ ذكر احسان السلطان والوزير الى في أيام
٥٨ ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك	غيبية السلطان عن الحضرة
٥٩ ذكر ثورة كشلوخان وقتله	٧٦ ذكر العيد الذي شهدته ايام غيبية السلطان
٦٠ ذكر الواقعة بجبل قراچيل على جيش	٧٦ ذكر قدوم السلطان ولغاثناله
السلطان	٧٧ ذكر دخول السلطان الى حضرته وما أمر
٦١ ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر	لنابه من المراكب
وما اتصل بذلك من قتل ابن اخت الوزير	٧٧ ذكر دخولنا اليه وما انعم به من الاحسان
٦١ ذكر ثورة هلاجون	والولاية
٦٢ ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان	٨٠ ذكر طلب الغرماء ما لهم قبلي ومدحى للسلطان
٦٢ ذكر الارجاف بموته وفوار الملك هوشنج	وأمره بخلاص ديني وتوقف ذلك مدة
٦٣ ذكر ما هم به الشريف ابراهيم من الثورة	٨٢ ذكر خروج السلطان الى الصيد وخروجه
ومال حاله	معه وما صنعت في ذلك
٦٣ ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التلذك	٨٣ ذكر الجبل الذي اهديته للسلطان الى
٦٤ ذكر انتقال السلطان لنهر الكنك	آخر ما ذكر
وقيام عين الملك	٨٤ ذكر الجبلين اللذين اهديتهما اليه

(ج)

صيفه	صيفه
١١١ ذكر الشجرة العجيبة الشأن التي بازاء الجامع	٨٥ ذكر خروج السلطان وأمره بالاقامة بالحضره
١١٢ ذكر سلطان مدينة القوط	٨٦ ذكر ما فعلته في ترتيب المقبره
١١٢ ذكر مر اكب الصين	٨٧ ذكر عادتهم في اطعام الناس في الولاثم
١١٣ ذكر أخذنا في السفر الى الصين ومنتهى ذلك	٨٧ ذكر خروجي الى هزار أسروها
١١٤ ذكر القرقة والبقم	٨٨ ذكر مكرمة لبعض الاصحاب
١١٥ ذكر سلطان مدينة كولم	٨٩ ذكر خروجي الى محلة السلطان
١١٦ ذكر توجهنا الى الغزو وفتح سندابور	٨٩ ذكر ما هم به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف الله تعالى
١١٨ ذكر أشجارها	٨٩ ذكر انقباضى عن الخدمة وخروجي عن الدنيا
١١٨ ذكر أهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذكر مساكنتهم	٩٠ ذكر ما أمرني به من التوجه الى الصين في الرساله
١٢٠ ذكر نسائها	٩٠ ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر من بعث معي وذكر الهدية
١٢١ ذكر السبب في اسلام هذه الجزائر	٩٢ ذكر غزوة مهدناها بكون
١٢٢ ذكر سلطانه هذه الجزائر	٩٢ ذكر من نتى بالاسر وخلاص منه وخلاصى من شدة بعده على يدولى من أولياء الله تعالى
١٢٣ ذكر أرباب الخطط وسيرهم	٩٧ ذكر أمير علابور واستشهاده
١٢٣ ذكر وصولي الى هذه الجزائر ونقل حالي بها	٩٨ ذكر السحرة الجوكيه
١٢٥ ذكر بعض احسان الوزير الى	١٠٢ ذكر سوق المغنين
١٢٦ ذكر تغيره وما أردته من الخروج ومقامى بعد ذلك	١٠٤ ذكر سلطان مدينة قندهار
١٢٦ ذكر العيد الذي شاهدته معهم	١٠٤ ذكر ركوبنا البحر
١٢٧ ذكر تزوجى وولايته القضاء	١٠٥ ذكر سلطان مدينة قوه
١٢٨ ذكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد الحضرى الذى نفاه السلطان شهاب الدين الى السويد وما وقع بيني وبينه	١٠٦ ذكر سلطان هنور
١٢٨ ذكر انفصالى عنهم وسبب ذلك	١٠٧ ذكر ترتيب طعامه
١٣٠ ذكر النساء ذوات الثدي الواحد	١٠٩ ذكر الغافل
١٣١ ذكر سلطان سيلان	١٠٩ ذكر سلطان مدينة فا كنور
١٣٣ ذكر سلطان مدينة كنكار	١١٠ ذكر سلطان مدينة منجرون
١٣٣ ذكر الياقوت	١١٠ ذكر سلطان مدينة جرفتن

(د)

صحيفه	صحيفه
١٦٤ ذكر خروج القمان لقتال ابن عمه وقتله	١٣٣ ذكر القروود
١٦٦ ذكر رجوعه الى الصين ثم الى الهند	١٣٤ ذكر العلق الطيار
١٦٦ ذكر الرخ	١٣٤ ذكر جبل سرنديب
١٦٦ ذكر اعراس ولد الملك الظاهر	١٣٥ ذكر القدم
١٦٧ ذكر سلطان ظفار	١٣٧ ذكر سلطان بلاد المعبر
١٦٨ ذكر سلطان بغداد	١٣٧ ذكر وصوله الى السلطان غياث الدين
١٧١ ذكر سلطان القاهرة	١٣٨ ذكر ترتيب رحيله وشنيع فعله في قتل النساء والولدان
١٧٢ ذكر سلطان مدينة تونس	١٣٩ ذكر هزيمة الكفار وهي من اعظم فتوحات الاسلام
١٧٤ ذكر بعض فضائل مولانا ايداه الله	١٤٠ ذكر وفاة السلطان وولاية ابن اخيه وانصرافه عنه
١٨٤ ذكر التكتيف	١٤١ ذكر سلب الكفار لنا
١٨٥ ذكر مسوفة الساكنين بآيوالات	١٤٣ ذكر سلطان بنجالة
١٨٨ ذكر سلطان مالي	١٤٤ ذكر الشيخ جلال الدين
١٨٨ ذكر ضيافتهم التافهة وتعظيمهم لها	١٤٧ ذكر سلطان الجاوة
١٨٩ ذكر كلامي لاسلطان بعد ذلك واحسانه الى	١٤٨ ذكر دخولنا الى داره واحسانه اليها
١٨٩ ذكر جلوسه بقبته	١٥١ ذكر سلطان مل جاوة
١٩٠ ذكر جلوسه بالمشور	١٥١ ذكر عجيبة رأيتهما بجلوسه
١٩٠ ذكر تذلل السودان لهما وهم وتتر يهيم له	١٥٢ ذكر هذه الملكة
وغير ذلك من احوالهم	١٥٤ ذكر الفخار الصيني والدجاج
١٩١ ذكر فعله في صلاة العيد وايامه	١٥٤ ذكر بعض من احوال اهل الصين
١٩١ ذكر الاضحوكة في انشاد الشعراء للسلطان	١٥٥ ذكر التراب الذي يوقدونه مكان الفخيم
١٩٣ ذكر ما استحسنته من افعال السودن وما استعجبته منها	١٥٥ ذكر ما خصوا به من احكام الصناعات
١٩٤ ذكر سفرى عن مالي	١٥٦ ذكر عادتهم في تقييد ما في المراكب
١٩٤ ذكر الخيل التي تكون بالنيل	١٥٦ ذكر عادتهم في منع التجار عن الفساد
١٩٨ ذكر معدن النحاس	١٥٧ ذكر حفة ظهيم للسافرين في الطرق
١٩٨ ذكر سلطان تكدا	١٦٢ ذكر الامير الكبير قرطى
١٩٩ ذكر وصول الامر الكريم الى	١٦٤ ذكر سلطان الصين والخطا الملقب بالقان
٢٠٠ تمت الكتاب	١٦٤ ذكر قصره

كتاب رحلة ابن بطوطة

المسماة

تحفة النظر في غرائب الامصار

وعجائب الاسفار

م



(الطبعة الاولى)

بقاعدة حروف مطبعة وادى النيل الجديدة

في مطبعة وادى النيل بمصر القاهرة بالموسكى

سنة ١٢٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم﴾

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطه
رحمه الله تعالى

ولما كان بتاريخ الغرة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا الى وادي
السند المعروف ببنج آب ومعنى ذلك المياه الخمسة وهذا الوادي من أعظم اودية الدنيا وهو
يفيض في أو ان الحرفيزرع أهل تلك البلاد على فيضيه كما يفعل أهل الديار المصرية في فيض
النيل وهذا الوادي هو أول عمالة السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند ولما وصلنا الى
هذا النهر جاء اليه اصحاب الاخبار الموكلون بذلك وكتبوا يخبرنا الى قطب الملك أمير
مدينة ملتان وكان أميراً على السند على هذا العهد مملوك للسلطان يسمى سرتيز وهو عرض
الممالك وبين يديه تعرض عساكر السلطان ومعنى اسمه الحاد الرأس لأن سر (بفتح السين
المهمل وسكون الراء) هو الرأس وتيز (بتاء معلوثة وياء مدوزاي) معناه الحاد وكان في حين
قدومنا بمدينة سيوستان من السند وبينها وبين ملتان مسيرة عشرة ايام وبين بلاد السند
وحضرة السلطان مدينة دهلي مسيرة خمسين يوما واذا كتب المخبرون الى السلطان من بلاد
السند يصل الكتاب اليه في خمسة ايام بسبب البريد

* (ذكر البريد)

والبريد بلاد الهند صنفان فاما بريد الخيل فيسمونه الولاقي (اولاق) (بضم الواو وآخره قاف)
وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة اربعة أميال وأما بريد الرجال فيكون في مسافة الميل
الواحد منه ثلاث رتب ويسمونها الداوة (بالدال المهمل والواو) والداوة هي ثلاث ميل والميل
عندهم يسمى الكروة (بضم الكاف والراء) وترتيب ذلك ان يكون في كل ثلاث ميل قرية
معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة قد شدوا أوساطهم
وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين باعلاها جلاجل نحاس فاذا خرج البريد من المدينة

أخذ

أخذ الكتاب باعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الاخرى وخرج يشتد بمتهسى جهده فاذا سمع الرجال الذين بالقياب صوت الجلاجل تأهبوا له فاذا وصلهم أخذوا حدهم الكتاب من يده ومرت بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل الى الدابة الاخرى ولا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب الى حيث يراد منه وهذا البريد أسرع من بريد الخيل وربما جلا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند من فواكه خراسان يجعلونها في الاطباق وبشتدون بها حتى تصل الى السلطان وكذلك يجلون أيضا الكبار من ذوى الجنائيات يجعلون الرجال منهم على سرير ويرفعونه فوق رؤسهم ويسرون به شدا وكذلك يجلون الماء لشرب السلطان اذا كان بدولة اباد يجلونه من نهر الكنك الذى تتجج الهند اليه وهو على مسيرة اربعين يوما منها واذا كتب المخبرون الى السلطان بخبر من يصل الى بلاده استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك وعرفوه انه ورد رجل صورته كذا ولباسه كذا وكتبوا عدد أصحابه وغلماؤه وخدمته ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه وجيء تصرفاته لا يغادرون من ذلك كله شيئا فاذا وصل الوارد الى مدينة ملتان وهى قاعدة بلاد السند أقام بها حتى ينفذ أمر السلطان بقدمه وما يجرى له من الضيافة وانما يكرم الانسان هنالك بقدر ما يظهر من افعاله وتصرفاته وهمة اذ لا يعرف هنالك ما حسبه ولا آباؤه ومن عادة ملك الهند السلطان أبى المجاهد محمد شاه كرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمرتبات الرفيعة ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته وأصهاره غرباء ونفذ أمره بأن يسمى الغرباء في بلاده بالاعزة فصار لهم ذلك اسماعلما ولا بد لكل قادم على هذا الملك من هدية يهديها اليه ويقدمها وسيلة بين يديه فيكافيه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة وسير من ذكر هذا يا الغرباء اليه كثير ولما تعود الناس ذلك منه صار التجار الذين ببلاد الهند يعطون لكل قادم على السلطان الالاف من الدنانير دينارا ويجهزونهم بما يريد أن يهديه اليه أو يتصرف فيه لنفسه من الدواب للركوب والجمال والامتنعة ويخدمونه بأموالهم وأنفسهم ويقفون بين يديه كالخشم فاذا وصل الى السلطان أعطاه العطاء الجزيل ففرض ديونهم ووفاهم حقوقهم فنفقت تجارتهم وكثرت أرباحهم وصار لهم ذلك عادة مستمرة ولما وصلت الى بلاد السند سلكت ذلك المنهج واشترت من التجار الخيل والجمال والمماليك وغير ذلك ولقد اشترت من تاجر عراقى من أهل تكريت يعرف بمحمد الدورى بمدينة غزنة نحو ثلاثين فرسا وجلال عليه حمل من الشباب فانه مما يهدى الى السلطان وذهب التاجر المذكور الى خراسان ثم عاد الى الهند وهنالك تقاضى منى ماله واستفاد بسببى فائدة عظيمة وعاد من كبار التجار ولقيته بمدينة حلب بعد سنين كثيرة وقد سلبنى الكفار مما كان بيدى فلم ألق منه خيرا

* (ذكر الكركدن) *

ولما أجزنا نهر السند المعروف بينج آب دخلنا غيضة قصب لساوك الطريق لانه في وسطها
 فخرج علينا الكركدن وصورته انه حيوان أسود اللون عظيم الجرم رأسه كبير متفاوت
 الضخامة ولذلك يضرب به المثل فيقال الكركدن رأس بلا بدن وهو دون الفيل ورأسه
 أكبر من رأس الفيل بأضعاف وله قرن واحد بين عينيه طوله نحو ثلاثة أذرع وعرضه نحو شبر
 ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه فغضب الفرس الذي كان تحته بقرنه فانفذ
 نخله وصرعه وعاد الى الغيضة فلم يقدّر عليه وقد رأيت الكركدن مرة ثانية في هذا الطريق
 بعد صلاة العصر وهو يرعى نبات الارض فلما قصدناه هرب منا ورأيت مرة أخرى ونحن مع
 ملك الهند دخلنا غيضة قصب وركب السلطان على الفيل وركبنا معه الفيلة ودخلت الرحالة
 والفرسان فأنازوه وقتلوه واستاقوا رأسه الى المحلة وسرنا من نهر السند يومين ووصلنا الى مدينة
 جناني (وضبط اسمها بفتح الجيم والنون الاولى وكسر الثانية) مدينة كبيرة حسنة على ساحل
 نهر السند لها أسواق مليحة وسكانها طائفة يقال لهم السامرية استوطنوها قديما واستقر بها
 اسلافهم حين فتحها على أيام الحجاج بن يوسف حسبا أثبت المؤرخون في فتح السند وأخبرني
 الشيخ الامام العالم العامل الزاهد العابد ركن الدين ابن الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين بن
 الشيخ الامام العابد الزاهد بهاء الدين زكرياء القرشي وهو أحد الثلاثة الذين أخبرني الشيخ
 الولي الصالح برهان الدين الاعرج بمدينة الاسكندرية اني سألقاهم في رحلتي فلقيتهم
 والحمد لله ان جدّه الاعلى كان يسمى بمحمد بن قاسم القرشي وشهد فتح السند في العسكر الذي
 بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام امارته على العراق وأقام بها وتكاثر ذريته وهوؤلاء الطائفة
 المعروفون بالسامرة لا ياكلون مع أحد ولا ينظر اليهم أحد حين يأكلون ولا يصاهرون
 أحدا من غيرهم ولا يصاهر اليهم أحد وكان لهم في هذا العهد أمير يسمى ونار (بضم الواو وفتح
 النون) وسند كرخبره ثم سافرنا من مدينة جناني الى أن وصلنا الى مدينة سيوستان (وضبط
 اسمها بكسر السين الاول المهمل ويا عمد وواو مفتوح وسين مكسور وتاء معلوة وآخره نون)
 وهي مدينة كبيرة وخارجها صحراء ورمال لا شجر بها الا شجر أم غيلان ولا يزرع على نهرها
 شيء ماعدا البطيخ وطمعاهم الذرة والجلبان ويسمونه المشك (بميم وشين معجم مضمومين ونون
 مسكن) ومنه يصنعون الخبز وهي كثيرة السمك والالبان الجاموسية وأهلها يأكلون
 السقنقور وهي دويبة شبيهة بأم جبين التي يسميها المغاربة حنيسة الجنة الا أنها لا ذنب لها
 ورأيتهم يحفرون الرمل ويستخرجون منها من يشقون بطنها ويرمون بها فيه ويحشونه بالكركم
 وهم يسمونه زردشوبه ومعناه العود الاصفر وهو عندهم عوض الزعفران ولما رأيت ذلك

الدويبة وهم يأكلونها استقدرتها فلم آكلها ودخلنا هذه المدينة في احة - دام القبط وحرها شديد فكان أصحابي يقعدون عربانين يجعل احدهم فوطه على وسطه وفوطه على كتفيه مبلولة بالماء فخاضوا السير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطه فبيلها مرة أخرى هكذا ابدا ولقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيباني واراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لجدده الاعلى بخطابه هذه المدينة وهم يتوارثونها من ذلك العهد الى الآن

(ونص الكتاب) هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مکتوب بخط أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الحمد لله وحده على ما أخبرني الخطيب المذکور ولقيت بها أيضا الشيخ المهر محمد البغدادي وهو بالزاوية التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المرندي وذكر ان عمره يزيد على مائة وأربعين سنة وأنه حضر لقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس رضي الله عنهم لما قتله الكافر هلاون بن تذكير التري وهذا الشيخ على كبر سنه قوى الجثة يتصرف على قدميه

(حكاية)*

كان يسكن بهذه المدينة الأمير ونار السامري الذي تقدم ذكره والامير قيصر الرومي وهما في خدمة السلطان ومعهم سمانحو ألف وثمانمائة فارس وكان يسكن بها كافر من الهنود اسمه رتن (بفتح الراء وبفتح التاء المعلوة والنون) وهو من الخذاق بالحساب والكتابة فوفد على ملك الهند مع بعض الامراء فاستحسنه السلطان وسماه عظيم السند وولاه بتلك البلاد وأقطعها سيوستان وأعمالها وأعطاه المراتب وهي الاطبال والعلامات كما يعطى كبار الامراء فلما وصل الى تلك البلاد عظم على ونار وقيصر وغيرهم تقديم الكافر عليهم فاجعوا على قتله فلما كان بعد أيام من قدومه أشار واعليه بالخروج الى احوال المدينة ليتطلع على أمورها فخرج معهم فلما جئ الليل أقاموا نجدة بالمحسلة وزعموا ان السبع ضرب عليها وقصدوا مضرب الكافر فقتلوه وعادوا الى المدينة فأخذوا ما كان به من مال السلطان وذلك اثني عشر لكا واللك مائة ألف دينار وصرف اللك عشرة آلاف دينار من ذهب الهند وصرف الدينار الهندي ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب وقدموا على أنفسهم ونار المذکور وسماه ملك فيروز وقسم الاموال على العسكر ثم خاف على نفسه لبعده عن قبيلته فخرج فيمن معه من أقاربه وقصد قبيلته وقدم الباقون من العسكر على أنفسهم قيصر الرومي واتصل خبرهم بعماد الملك سرتيز مملوك السلطان وهو يومئذ أمير أمراء السند وسكناه بملتان فجاء العساكر وتجهز في البر وفي نهر السند وبين ملتان وسيوستان عشرة أيام وخرج اليه قيصر فوقع اللقاء وانهمز

قيصر ومن معه اشنع هزيمة وتحصنوا بالمدينة فحصرهم ونصب المجانيق عليهم واشتد عليهم الحصار فطلبوا الامان بعد أربعين يوماً من نزوله عليهم فاعطاهم الامان فلما نزلوا اليه غدرهم وأخذوا موالهم وأمر بقتلهم فكان كل يوم يضرب أعناق بعضهم ويوسط بعضهم ويسلخ آخريين منهم ويملا جلودهم تبناً ويعلقها على السور فكان معظمه عليه تلك الجلود مصالوبة ترعب من ينظر اليها وجع رؤسهم في وسط المدينة فكانت مثل التل هنالك ونزلت بتلك المدينة اثر هذه الواقعة بمدرسة فيها كبيرة وكنت أنام على سطحها فاذا استيقظت من الليل ارى تلك الجلود المصالوبة فتشتمز النفس منها ولم تطب نفسي بالسكنى بالمدرسة فانتقلت عنها وكان الفقيه الفاضل العادل علاء الملك الخراساني المعروف بفصيح الدين قاضي هرات في متقدم التاريخ قد وفد على ملك الهند فولاه مدينة لا هري واعمالها من بلاد السند وحضر هذه الحركة مع عماد الملك سرتيزين معه من العساكر فعزمت على السفر معه الى مدينة لا هري وكان له خمسة عشر مراكباً قدم بها في نهر السند تجمل انقاله فسافرت معه

(ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك)

وكان للفقيه علاء الملك في جملة مراكبه مراكب يعرف بالاهورة (بفتح الهمزة والهاء وسكون الواو وفتح الراء) وهي نوع من الطريقة عندنا الا انها اوسع منها وأقصر وعلى نصفها معرش من خشب يصعد له على درج وفوقه مجلس مهيباً لجلوس الامير ويجلس أصحابه بين يديه ويقف المماليك يمنة ويسرة والرجال يقذفون وهم نحو أربعين ويكون مع هذه الاهورة أربعة من المراكب عن يمينها ويسارها اثنان منها فيهما مراتب الامير وهي العلامات والطبول والابواق والانفار والصرنايات وهي الغيطات والاخران فيهما أهل الطرب فتضرب الطبول والابواق نوبة ويغنى المغنون نوبة ولا يزالون كذلك من أول النهار الى وقت الغداء فاذا كان وقت الغداء انضمت المراكب ووصل بعضها ببعض ووضعت بينهما الاصقالات وأتى أهل الطرب الى أهورة الامير فيغنون الى أن يفرغ من أكله ثم يأكلون واذا انقضى الأكل عادوا الى مراكبهم وشرعوا أيضاً في المسير على ترتيبهم الى الليل فاذا كان الليل ضربت المحلة على شاطئ النهر ونزل الامير الى مضاربهم ومد السعاط وحضر الطعام معظم العسكر فاذا صلوا العشاء الاخيرة سمر السمار بالليل نوباً فاذا أتم أهل النوبة منهم نوبتهم نادى مناد منهم بصوت عال يا خوند ملك قدم مضى من الليل كذا من الساعات ثم يسمر أهل النوبة الاخرى فاذا أتموها نادى منادهم ايضاً معلماً بما مر من الساعات فاذا كان الصبح ضربت الابواق والطبول وصليت صلاة الصبح وأتى بالطعام فاذا فرغ الأكل أخذوا في المسير فان أراد الامير ركوب النهر ركب على ما ذكرناه من الترتيب وان أراد المسير في البر ضربت الاطبال

والابواق

والإبواق وتغذّم حجابهم ثم تلاهم المشاؤون بين يديه ويكون بين أيدي الجباب ستة من
الفرسان عند ثلاثة منهم أطبال قد تقلدوها وعند ثلاثة صرنايات فاذا أقبلوا على قرية أو ما هو
من الأرض مرتفع ضربوا تلك الأطبال والصرنايات ثم تضرب أطبال العسكر وأبواقه
ويكون عن يمين الجباب ويسارهم المغنون يغنون نوباً فاذا كان وقت الغداء نزلوا وسافرت مع
علاء الملك خمسة أيام ووصلنا إلى موضع ولايته وهو مدينة لا هري (وضبط اسمها بفتح الهاء
وكسر الراء) مدينة حسنة على ساحل البحر الكبير وبها يصب نهر السند في البحر فيلتقي بها
بحران ولها مرسى عظيم يأتي إليه أهل اليمن وأهل فارس وغيرهم وبذلك عظمت جباياتها
وكرثت أموالها أخبرني الأمير علاء الملك المذكور أن مجي هذه المدينة ستون سنة في السنة
وقد ذكرنا مقدار الك وللا مير من ذلك ثم (نيم) ده يك ومعناه نصف العشرة وعلى ذلك يعطى
السلطان البلاد لعماله يأخذون منها لأنفسهم نصف العشر

* (ذكر غريبة رأيها بخارج هذه المدينة) *

وركبت يوماً مع علاء الملك فاتتهينا إلى بسط من الأرض على مسافة سبعة أميال منها يعرف
بتارنا فرأيت هنالك ما لا يحصره العد من الحجارة على مثل صور الأديمين والبهاثم وقد تغير كثير
منها ودرت أشكاله فيبقى منه صورة رأس أو رجل أو سواهما ومن الحجارة أيضا على صور
الحبوب من البر والحص والفول والعدس وهنالك آثار سور وجدران دور ثم رأينا رسم دار
فيها بيت من حجارة منحوتة وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة كأنها حجر واحد عليها صورة آدمي
الإنسان رأسه طويل وفه في جانب من وجهه ويده خلف ظهره كالملكوت وهنالك مياه شديدة
النتن وكتابة على بعض الجدران بالهندي وأخبرني علاء الملك أن أهل التارنج يزعمون أن هذا
الموضع كانت فيه مدينة عظيمة أكثر أهلها الفساد فمسحوا حجارة وأن ملكهم هو الذي على
الدكانة في الدار التي ذكرناها وهي الآن تسمى دار الملك وأن الكتابة التي في بعض
الحيطان هنالك بالهندي هي تاريخ هلاك أهل تلك المدينة وكان ذلك منذ ألف سنة
أو نحوها وأقت بهذه المدينة مع علاء الملك خمسة أيام ثم أحسن في الزاد وانصرفت عنه إلى
مدينة بكار (بفتح الباء الموحدة) وهي مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند وفي وسط ذلك
الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر عمرها كشالوخان أيام ولايته على بلاد السند
وسيقع ذكره ولقيت بهذه المدينة الفقيه الإمام صدر الدين الحنفي ولقيت بها قاضيها المسمى
بابي حنيفة ولقيت بها الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعجزين
ذكر لي أن سنة يزيد على مائة وعشرين عاماً ثم سافرت من مدينة بكار فوصلت إلى مدينة أوجه
(وضبط اسمها بضم الهمزة وفتح الجيم) وهي مدينة كبيرة على نهر السند لها أسواق حسنة وعمارة

جيدة وكان الأمير بالاذن الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكيحي أحد الشجعان الكرماء وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها عن فرسه

* (مكرمة لهذا الملك) *

ونشأت بيني وبين هذا الملك الشريف جلال الدين مودة وتأت كدت بيننا الصببة والمحبة واجتمعنا بحضرة دهملي فلما سافر السلطان الى دولة آباد كما سنذكر وأمرني بالاقامة بالحضرة قال لي جلال الدين انك تحتاج الى نفقة كبيرة والسلطان تطول غيبته فخذ قريتي واستغلها حتى أعود ففعلت ذلك واستغللت منها نحو خمسة آلاف دينار جزاه الله أحسن جزائه ولقيت بمدينة أوجه الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوي والبسني الخرقه وهو من كبار الصالحين ولم يزل الثوب الذي ألبسني به معي الى أن سلبني كفار الهنود في البحر ثم سافرت من أوجه الى مدينة ملتان (وضبط اسمها بضم الميم وتاء معلو) وهي قاعدة بلاد السند ومسكن أمير أمرائه وفي الطريق اليها على مسافة عشرة أميال منها الوادي المعروف بنجر و آباد وهو من الاودية الكبار لا يجازي الا في المركب وبه يبحث عن أمتعة المجتازين أشد البحث وتفتش رحالهم وكانت عادتهم في حين وصولنا اليها أن يأخذوا الربع من كل ما يجلبه التجار ويأخذوا على كل فرس سبعة دنائير مغرما ثم بعد وصولنا للهند بسنتين رفع السلطان تلك المغارم وأمر أن لا يؤخذ من الناس الا الزكاة والعشر لما بايع للخليفة أبي العباس العباسي ولما أخذنا في اجازة هذا الوادي وقشش الرحال عظم على تفتيش رحلي لانه لم يكن فيه طائل وكان يظهر في أعين الناس كبيرا فكنت أكره أن يطلع عليه ومن لطف الله تعالى ان وصل أحد كبار الاجناد من جهة قطب الملك صاحب ملتان فأمر أن لا يعرض لي ببحث ولا تفتيش فكان كذلك فمدت الله على ما هيأه لي من لطائفه وبتنا تلك الليلة على شاطئ الوادي وقدم علينا في صبيحتهم ملك البزید واسمه دهقان وهو عمر قندي الاصل وهو الذي يكتب للسلطان بأخبار تلك المدينة وعما فيها وما يحدث بها ومن يصل اليها فتعرفت به ودخلت في محبته الى أمير ملتان

* (ذكر أمير ملتان وترتيب حاله) *

وأمير ملتان هو قطب الملك من كبار الامراء وفضلاتهم لما دخلت عليه قام الى وصافني وأجلسني الى جانبه وأهديت له ماعلو كاو فرسا وشيئا من الزبيب واللوز وهو من أعظم ما يهدي اليهم لانه ليس ببلادهم وانما يجلب من خراسان وكان جلوس هذا الأمير على دكانة كبيرة عليها البسط وعلى مقربة منه القاضي ويسمى سالار والخطيب ولا أذكر اسمه وعن يمينه ويساره أمراء الاجناد وأهل السلاح وقوف على رأسه والعساكر تعرض بين يديه وهنالك

قسي كثيرة فاذا أتى من يريد أن يثبت في العسكر راميا أعطى قوسا من تلك القسي ينزع فيها وهي متفارقة في الشدة فعلى قدر نزعه يكون مرتبه ومن أراد أن يثبت فارسا فهناك طبلية منصوبة فيجري فرسه ويرميها برمح وهنالك أيضا خاتم معلق من حائط صغير فيجري فرسه حتى يجاذبه فان رفعه برمح فلهو الجيد عندهم ومن أراد أن يثبت راميا فارسا فهناك كرة موضوعة في الارض فيجري فرسه ويرميها وعلى قدر ما يظهر من الانسان في ذلك من الاصابة يكون مرتبه ولما دخلنا على هذا الامير وسلمنا عليه كما ذكرناه أمر بانزالنا في دار خارج المدينة هي لأصحاب الشيخ العابد ركن الدين الذي تقدم ذكره وعادتهم أن لا يضيفوا أحدا حتى يأتي أمر السلطان بتضييقه

* (ذكر من اجتمعت به في هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند) *
فمنهم خداوندزاده الدين قاضي ترمذ قدم بأهله وولده ثم ورد عليه بها اخوته عماد الدين وضياء الدين وبرهان الدين ومنهم مبارك شاه أحد كبار سمرقند ومنهم أرنبغا أحد كبار بخارى ومنهم ملك زاده ابن أخت خداوندزاده ومنهم بدر الدين الفصالح وكل واحد من هؤلاء مع أصحابه وخدامه واتباعه ولما مضى الى وصولنا الى ملتان شهران وصل أحد حجاب السلطان وهو شمس الدين البوشنجي والملك محمد الهروي الكتوال بعثهما السلطان لاستقبال خداوند زاده وقدم معهم ثلاثة من الفتيان بعثتهم المخدمة جهان وهي أم السلطان لاستقبال زوجته خداوندزاده المذكور وأتوا بالخلع لهم اولا ولادها ولتجهيز من قدم من الوفود وأنوا جميعا الى وسألوني لماذا قدمت فأخبرتهم اني قدمت للاقامة في خدمة خوند عالم وهو السلطان وبهذا يدعى في بلاده وكان أمر أن لا يترك أحدهم يأتي من خراسان يدخل بلاد الهند الا ان كان برسم الاقامة فلما علمتهم اني قدمت للاقامة استدعوا القاضي والعدول وكتبوا عقدا على وعلى من أراد الاقامة من أصحابي وأبى بعضهم من ذلك وتجهزنا للسفر الى الحضرة وبين ملتان وبينها مسيرة أربعين يوما في عمارة متصلة وأخرج الحاجب وصاحبه الذي بعث معه ما يحتاج اليه في ضيافة قوام الدين واستحجبوا من مائة نحو عشرين طبعا خاوا وكان الحاجب يتقدم ليلا الى كل منزل فيجهز الطعام وسواه فما يصل خداوندزاده حتى يكون الطعام متيسرا وينزل كل واحد من ذكرناهم من الوفود على حدة بمضاربه وأصحابه ووربها حضر والطعام الذي يصنع لخداوندزاده ولم أحضره أنا الامرة واحدة وترتيب ذلك الطعام انهم يجعلون الخبز وخبزهم الرقاق وهوش به الجراديق ويقطعون اللحم المشوي قطعاً كبيرا بحيث تكون الشاة أربع قطع او ستة ويجعلون امام كل رجل قطعة ويجعلون اقراصا مصنوعة بالسمن تشبه الخبز المشترك ببلادنا ويجعلون في وسطها الحلواء الصابونية ويغطون

كل قرص منها برغيف حلواء يسمى منه الخشتى ومعناه الا جرى مصنوع من الدقيق والسكر والسمن ثم يجعون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل والزنجبيل الاخضر في محاف صينية ثم يجعون شياً يسمى منه سموسك وهو لحم مهر ومن مطبوخ باللوز والجوز والفسق والبصل والا بازير موضوع في جوف رقاقة مقلوبة بالسمن يضعون امام كل انسان خمس قطع من ذلك او اربعة ثم يجعون الارز المطبوخ بالسمن وعليه الدجاج ثم يجعون لقيمات القاضى ويسمون بها الهاشمى ثم يجعون القاهرة ويقف الحاجب على السباط قبل الاكل ويخدم الى الجهة التى فيها السلطان ويخدم جميع من حضر لخدمته والخدمة عندهم حط الرأس نحو الر كوع فاذا فعلوا ذلك جلسوا للأكل ويؤتى باقداح الذهب والفضة والزجاج مملوءة بماء النباتات وهو الجلاب محلولاً في الماء ويسمون ذلك الشربة ويشربونه قبل الطعام ثم يقول الحاجب بسم الله فعند ذلك يشربون في الأكل فاذا أكلوا أنواباً كوازالفقاع فاذا شربوه أتوا بالتنبول والفوفل وقد تقادم ذكرهما فاذا أخذوا التنبول والفوفل قال الحاجب بسم الله فيقومون ويخدمون مثل خدمتهم أولاً وينصرفون وسافرنا من مدينة ملتان وهم يجزون هذا الترتيب على حسب ماسطرناه الى أن وصلنا الى بلاد الهند وكان أول بلد دخلناه مدينة أبوهـر (بفتح الهاء) وهى أول تلك البلاد الهندية صغيرة حسنة كثيرة العمارة ذات أنهار وأشجار وليس هنالك من أشجار بلادنا شئ ما عدا النبق لكنه عندهم عظيم الجرم تكون الحبة منه بمقدار حبة العفص شديد الحلاوة ولهم أشجار كثيرة ليس يوجد منها شئ ببلادنا ولا بسواها

* (ذكر أشجار بلاد الهند وقوا كهها) *

فهي العنبية (بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة) وهى شجرة تشبه أشجار النارنج إلا أنها أعظم أجراماً وأكثر أوراقاً وظلها أكثر الظلال غير أنه ثقيل فن نام تحته وعك وثمرها على قدر الاجاص الكبير فاذا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذوا ماسقط منه وجعلوا عليه الملح وصبروه كما يصير الليم والليمون ببلادنا وكذلك يصيرون أيضاً الزنجبيل الاخضر وعناقيد الفلفل ويأكلون ذلك مع الطعام يأخذون بأثر كل لقمة يسير من هذه المملوحات فاذا انضجت العنبية في أوان الخريف اصغرت حباتها فأكلوها كالتفاح فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمضغها مصاوهى حلوة بمازج حلاوتها يسير حلوقة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الأشجار كما تزرع نوى النارنج وغيرها ومنها الشكى والبرىكى (بفتح الشين المجهم وكسر الكاف وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف أيضاً) وهى أشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز وثمرها يخرج من أصل الشجرة فالتصل منه بالأرض فهو البركى وحلاوته أشد ومطعمه أطيب وما كان فوق ذلك فهو الشكى وثمره يشبه القرع الكبار وجلوده تشبه جلود البقر فاذا اصفر

في أوان الخريف قطعوه وشقوه فيكون في داخل كل حبة المائة والمائتان خمسين ذلك من حبات تشبه الخيارات كل حبة وحبة صفاق اصفر اللون ولكل حبة نواة تشبه القول الكبير وإذا شويت تلك النواة أو طبخت يكون طعمها كطعم الفول أذ ليس يوجد عندها لك ويدخرون هذه النوى في التراب الأحمر فتبقى إلى سنة أخرى وهذا الشئ والبركي هو خير فاكهة ببلاد الهند ومنها التندو (بفتح التاء المثناة وسكون النون وضم الدال) وهو ثمرة شجر الالبونس وحباته في قدر حبات المشمش ولونها شديد الحلاوة ومنها البلمون (بضم الجيم المعقودة) وأشجاره عادية ويشبه ثمرة الزيتون وهو أسود اللون ونواة واحدة كالزيتون ومنها النارنج الحلو وهو عندهم كثير وأما النارنج الحامض فعز يز الوجود ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض وثمره على قدر الليم وهو طيب جدا وكنت يعجبني أكله ومنها المهورا (بفتح الميم والواو) وأشجاره عادية وأوراقه كالوراق الجوز إلا أن فيها حبة واحدة وثمره مثل الاجاص الصغير شديد الحلاوة وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مخوفة وطعمها كطعم العنب إلا أن الاكثر من أكلها يحدث في الراس صداعا ومن العجب أن هذه الحبوب إذا دبست في الشمس كان طعمها كطعم التين وكنت آكلها عوضا من التين إذ لا يوجد ببلاد الهند وهم يسمون هذه الحبة الانكور (بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف المعقودة والواو والراء) وتفسيره بلسانهم العنب والعنب بارض الهند عز يز جدا ولا يكون بها إلا في مواضع بحضرة دهلي وبلاد أخرى وثمر مرتين في السنة ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصحبون به ومن فواكههم فاكهة يسمونها كسيرا (بفتح الكاف وكسر السين المهملة وياء مدد وراء) يحفرون عليها الأرض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل وبلاد الهند من فواكه بلادنا الرمان وثمر مرتين في السنة ورأيت ببلاد جزائر ذببة المهل لا ينقطع له ثمر وهم يسمون انار (بفتح الهمزة والنون) وأظن ذلك هو الأصل في تسمية الجلمنار فان جل بالفارسية الزهر وأنار الرمان

* (ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها) *

وأهل الهند يزرعون مرتين في السنة فإذا نزل المطر عندهم في أوان القيظ زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه ببغdstين يوما من زراعته ومن هذه الحبوب الخريفة عندهم الكدرو (بضم الكاف وسكون الدال المعجم وضم الراء وبعدها واو) وهو نوع من الدخن وهذا الكدرو هو أكثر الحبوب عندهم ومنها القال (بالقاف) وهو شبه أنلى ومنها الشاماخ (بالشين والخاء المعجمين) وهو أصغر حبا من القال ورماديت هذا الشاماخ من غير زراعة وهو طعام الصالحين وأهل الورع والتهنئة والمساكين يخرجون الجمع ما نبت منه من غير زراعة فيمسك أحداهم قفة كبيرة ييساره وتكون يميناه مقلعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة فيجمعون منه

ما يقتاتون به جميع السنة وحب هذا الشاماخ صغير جدا وإذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهاريس الخشب فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس وهي أطيب من خبزها وكنت آكلها كثيرا ببلاد الهند وتجبني ومنها الماش وهو نوع من الجلبان ومنها المنج (بمضموم ونون وجيم) وهو نوع من الماش إلا أن حبوبه مستطيلة ولونه صافي الخضرة ويطبخون المنج مع الارزويأكلونه بالسمن ويسمونه كشرى (بالكاف والشين المعجم والراء) وعليه يفطرون في كل يوم وهو عندهم كالخريفة ببلاد المغرب ومنها اللوبيا وهي نوع من الفول ومنها الموت (بضم الميم) وهو مثل الكدرو إلا أن حبوبه أصغر وهو من علف الدواب عندهم وتسمن الدواب بأكله والشعير عندهم لا قوة له وإنما علف الدواب من هذا الموت أو الحصى يجرشونه ويباونه بالماء ويطعمونه الدواب ويطعمونها عوضا من القصيل أوراق الماش بعد أن تسقى الدابة السمن عشرة أيام في كل يوم مقدار ثلاثة أرطال أو أربعة ولا تركب في تلك الأيام وبعد ذلك يطعمونها أوراق الماش كما ذكرنا شهر أو نحوها وهذه الحبوب التي ذكرناها هي الخريفة وإذا حصدها بعد ستين يوما من زراعتها زدرعوا الحبوب الربيعية وهي القمح والشعير والحبس وتكون زراعتها في الأرض التي كانت الحبوب الخريفة من درعة فيها وبلادهم كريمة طيبة التربة وأما الارز فانهم يزدرعون ثلاث مرات في السنة وهو من أكبر الحبوب عندهم ويزدرعون السمن وقصب السكر مع الحبوب الخريفة التي تقدم ذكرها ولنا عدة إلى ما كتبنا به فاقول سافرا من مدينة أبوهري في صحراء مسيرة يوم في أطرافها جبال منيعة يسكنها كفار الهندودور بما قطعوا الطريق وأهل بلاد الهند أكثرهم كفار ففهم رعية تحت ذمة المسلمين يسكنون القرى ويكون عليهم حاكم من المسلمين يقدمه العامل أو الخديم الذي تكون القرية في إقطاعه ومنهم عصاة محاربون يمتنعون بالجبال ويقطعون الطريق

* (ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهي أول غزوة شهدتها بلاد الهند) *

ولما أردنا السفر من مدينة أبوهري خرج الناس منها أول النهار وأقت بها إلى نصف النهار في لمة من أصحابي ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارسا منهم عرب ومنهم أعاجم فخرج علينا في تلك الصحراء ثمانون رجلا من الكفار وفارسان وكان أصحابي ذوى نجدة وعتاء فقاتلناهم أشد القتال فقتلنا أحد الفارسين منهم وغنمنا فرسه وقتلنا من رجالهم نحو اثني عشر رجلا وأصابني نصابة وأصاب فرسي نصابة ثانية ومن الله السلامة منها إلا أن شابهم لا قوة لها وجرح لا أحد أصحابنا فرس عؤوضناه له بفارس الكافر وذبحنا فرسه المجرح فأكله الترك من أصحابنا وأوصلنا تلك الرأس إلى حصن أبي بكر فعلقناها على سورته وكان وصولنا

في نصف الليل الى حصن أبي بكهر المذكور (وضبط اسمه بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وفتح الهاء وآخره راء) وسافرنا منه فوصلنا بعد يومين الى مدينة اجودهن (وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الجيم وفتح الدال المهملة والهاء وآخره نون) مدينة صغيرة هي للشيخ الصالح فريد الدين البذاوني الذي أخبرني الشيخ الصالح الولي برهان الدين الاعرج بالاسكندرية اني سألقاه فلقيته والحمد لله وهو شيخ ملك الهند وأنعم عليه بهذه المدينة وهذا الشيخ مبتلى بالوسواس والعياذ بالله فلا يصافح احدا ولا يدنونه واذأأصق ثوبه بثوب أحد غسل ثوبه دخلت زاويته ولقيته وأبلغته سلام الشيخ برهان الدين فحجب وقال أنا دون ذلك ولقيته ولديه الفاضلين معز الدين وهو أكبرهما ولما مات أبوه تولى الشياخة بعده وعلم الدين وزرت قبر جده القطب الصالح فريد الدين البذاوني منسوباً الى مدينة بذاون بلداً السنبلي (وهي بفتح الباء الموحدة والدال المعجم وضم الواو وآخره نون) ولما أردت الانصراف عن هذه المدينة قال لي علم الدين لا بد لك من رؤية والدي فرأيت أنه وهو في أعلى سطح له وعليه ثياب بيض وعمامة كبيرة لها ذوابة وهي مائلة الى جانب ودعالي ويعث الى بسكر ونبات

* (ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار) *

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكر ناومعهم بعض أصحابنا فسألتهم ما الخبر فأخبروني ان كافراً من الهندود مات وأحجبت النار لحرقه وأمر أنه تحرق نفسها معه ولما احترق جاء أصحابي وأخبروا انها عانت الميت حتى احترقت معه وبعد ذلك كنت في تلك البلاد ارى المرأة من كفار الهندود متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر والاطبال والابواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبراء الهندود واذا كان ذلك بيلاذ السلطان استأذنا السلطان في احراقها فإذن لهم فيحرقونها ثم اتفق بعد مدة اني كنت بمدينة أكثر سكانها الكفار تعرف بأججري وأميرها مسلم من سامرة الهندوعلى مقربة منها الكفار العصاة فقطعوا الطريق يوماً وجحرا الأمير المسلم لقتالهم وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار وقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على احراق أنفسهن واحراق المرأة بعدد زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب لكن من احرقت نفسها بعدد زوجها أهل ينتهشوا بذلك ونسبوا الى الوفاء ومن لم تحرق نفسها البست خشن الثياب وأقامت عند أهلها بائسة مهتنة لعدم وفائها ولا كنها لا تكرر على احراق نفسها ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكراهن على احراق أنفسهن أقن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كاتنهن يودعن الدنيا ويأتى اليهن النساء من كل جهة وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرس فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يدها جوزة

نار جيل تلعب بها وفي يسراها من آفة تنظر فيها وجهها والبراهمة يحفون بها واقاربها معها وبين
يديها الاطبال والابواق والانفار وكل انسان من الكفار يقول لها ابلي السلام الى أبي أو أخي
أو أمي أو صاحبي وهي تقول نعم وتضحك اليهم وركبت مع أصحابي لارى كيفية صنعهن في
الاحتراق فسرنا معهن نحو ثلاثة اميال وانهينا الى موضع مظلم كثير المياه والاشجار متكاثف
الظلال وبين اشجاره اربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة وبين القباب صهريج ماء قد
تكاثفت عليه الظلال وتراحت الاشجار فلا تتخللها الشمس فكان ذلك الموضع بقعة من بقع
جهنم اعادنا الله منها ولما وصلنا الى تلك القباب نزلنا الى الصهريج وانغمس فيه وجرنا
ما عليهن من ثياب وحلى فتصدقن به وأتيت كل واحدة منهن بشوب قطن خشن غير مخيط
قربط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفيتها والنيران قد اضربت على قرب من
ذلك الصهريج في موضع منخفض وصب عليها روغن كنجبت (كنجد) وهوزيت الجبلان
فزا في اشتعالها وهنالك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم خزم من الحطب الرقيق ومعهم نحو
عشرة بأيديهم خشب بكار وأهل الاطبال والابواق وقوف ينتظرون مجي المرأة وقد حجبت
النار بحلقة يشكها الرجال بأيديهم لثلايد هشم النظر اليها فرأيت احدا هن لما وصلت الى
تلك المحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم مارا ميترساني ازا طش (آتش)
من ميدانم اواطش استرها كنى مارا وهي تضحك ومعنى هذا الكلام أبالنار تخوفوني
انا اعلم انها نار محرقة ثم جمعت يديها على رأسها خدعة للنار ورمت بنفسها فيها وعند ذلك ضربت
الاطبال والانفار والابواق ورعى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها وجعل الآخرون تلك
الخشب من فوقها لثلاث تحرك وارتفعت الاصوات وكثر الضجيج ولما رأيت ذلك كدت اسقط عن
فرسي لولا اصحابي تدار كوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت وكذلك يفعل اهل الهند أيضا
في العرق يغرق كثير منهم انفسهم في نهر الكنك وهو الذي اليه يحجون وفيه يرمى برماذ هؤلاء
المحرقين وهم يقولون انه من الجنة واذا أتى احدهم ليغرق نفسه يقول لمن حضره لا تظنوا اني
اغرق نفسي لاجل شئ من أمور الدنيا أو لقلعة مال انما قصدي التقرب الى كساي وكساي
(بضم الكاف والسین المهمل) اسم الله عز وجل بلسانهم ثم يغرق نفسه فاذا مات اخرجوه
وأحرقوه ورموا برماذ في البحر المذكور ولما عدنا الى كلامنا الاول فنقول سافرنا من مدينة
اجودهن فوصلنا بعد مسيرة أربعة أيام منها الى مدينة سرستي (وضبط اسمها بسينين مفتوحين
بينهم اراء ساكنة ثم تاء مشناة مكسورة وياء) مدينة كبيرة كثيرة الارز وأرزها طيب ومنها يحمل
الى حضرة دهلي ولها مجي كثير جدا أخبرني الحاجب شمس الدين البوشنجي بمقداره
وانسيته ثم سافرنا منها الى مدينة جانسي (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة وأنف ونون ساكن

وسين مهمل مكسور وياء) وهي من أحسن المدن واتقنها وأكثرها عمارة ولها سور عظيم ذكرها
 ابن بانيه رجل من كبار سلاطين الكفار يسمى توره (بضم التاء المملوكة وفتح الراء) وله عندهم
 حكايات وأخبار ومن هذه المدينة هو كمال الدين صدر الجهان قاضي قضاة الهند وأخوه
 قطلوخان معلم السلطان وأخوها نظام الدين وشمس الدين الذي انقطع إلى الله وجاور بمكة
 حتى مات ثم سافرنا من حانسي فوصلنا بعد يومين إلى مسعود آباد وهي على عشرة أميال من
 حضرة دهلي وأقنا بها ثلاثة أيام وحانسي ومسعود آباد هما للملك المعظم هوشنج (بضم الهاء وفتح
 الشين المعجم وسكون النون وبعدها جيم) ابن الملك كمال كرك (بكافين معقودين) وأولاهما
 مضمومة) ومعناه الذئب وسيأتي ذكره وكان سلطان الهند الذي قصدنا حضرته غائباً عنها
 بناحية مدينة قنوج وبينها وبين حضرة دهلي عشرة أيام وكانت بالحضرة والدته وتدعى
 المخدومة جهان وجهان اسم الدنيا وكان بها أيضاً وزيره خواجة جهان المسمى بأجد بن ياس
 الرومي الأصل فبعث الوزير إلينا أصحابه ليتلقونا وعين اللقاء كل واحد منا من كان من صفته
 فكان من الذين عينهم للقائى الشيخ البسطامي والشريف المازندراني وهو حاجب الغرباء
 والفقهاء علاء الدين الملتاني المعروف بقره (بضم القاف وفتح النون وتشديد ها) وكتب إلى
 السلطان بخبرنا وبعث الكتاب مع الداوة وهي يريد الرجالة حسبما ذكرناه فوصل إلى السلطان
 وأتاه الجواب في تلك الأيام الثلاثة التي أقناها بمسعود آباد وبعد تلك الأيام خرج إلى لقائنا
 القضاة والفقهاء والمشايخ وبعض الأمراء وهم بسمون الأمراء ملوكاً بحيث يقول أهل
 ديار مصر وغيرها الأمير يقولون هم الملك وخرج إلى لقائنا الشيخ ظهير الدين الزنجاني وهو
 كبير المنزلة عند السلطان ثم رحلنا من مسعود آباد فقلنا بقربة من قرية تسمى بالم (بفتح الباء
 المعقودة وفتح اللام) وهي للسيد الشريف ناصر الدين مظهر الأوهري أحد ندماء السلطان
 ومن له عنده الخطوة التامة وفي غمد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرة دهلي قاعدة بلاد الهند
 (وضبط اسمها بكسر الهمزة وسكون الهاء وكسر اللام) وهي المدينة العظيمة الشأن
 الضخمة الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير وهي
 أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالمشرق

* (ذكر وصفها) *

ومدينة دهلي كبيرة الساحة كثيرة العمارة وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات
 أحدها المسماة بهذا الاسم دهلي وهي القديمة من بناء الكفار وكان افتتاحها سنة أربع
 وثمانين وخمسمائة والثانية تسمى سيري (بكسر السين المهملة والراء وبينهما ياء متد) وتسمى
 أيضاً بالخلافة وهي التي أعطاه السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسي لما

قدم عليه وبها كان سكنى السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين وسند كرها والثالثة تسمى تعلق آباد باسم بانها السلطان تعلق والاسلطان الهند الذى قدمنا عليه وكان سبب بنائه لها انه وقف يومين يدى السلطان قطب الدين فقال له ياخوند عالم كان ينبغى ان تبني هنا مدينة فتمال له السلطان متحكما اذا كنت سلطانا فأبناها فكان من قدر الله ان كان سلطانا فبنها وسمها باسمه والرابعة تسمى جهان پناه وهى مختصة بسكنى السلطان محمد شاه ملك الهند الآن الذى قدمنا عليه وهو الذى بناها وكان اراد ان يضم هذه المدن الاربع تحت سور واحد فبنى منه بعضها وترك بناء باقيه لعظم ما يلزم فى بنائه

(ذكر سور دهلى وأبوابها)

والسور المحيط بمدينة دهلى لا يوجد له نظير عرض حائطه احدى عشرة ذراعا وفيه بيوت يسكنها السمار وحفاظ الابواب وفيها مخازن للطعام ويسمونها الانبارات ومخازن للعدو ومخازن للمجانيق والرعادات ويبقى الزرع بها مدة طائلة لا يتغير ولا تطرقه آفة ولقد شاهدت الارز يخرج من بعض تلك المخازن ولونه قد اسود ولكن طعمه طيب ورأيت أيضا الكدزو يخرج منها وكل ذلك من اخوة ان السلطان بلبن منذ تسعين سنة ويمشى فى داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة الى آخرها وفيه طبقة مفتحة الى جهة المدينة يدخل منها الضوء وأسفل هذا السور مبني بالحجارة واعلاه بالاجروابراجة كثيرة متقاربة ولهذه المدينة ثمانية وعشرون بابا وهم يسمون الباب دروازة فنها دروازة بذاون وهى الكبرى ودروازة المندوى وبها رحبة الزرع ودروازة جل (بضم الجيم) وهى موضع البساتين ودروازة شاه اسم رجل ودروازة بالم اسم قرية قد ذكرناها ودروازة فحبيب اسم رجل ودروازة كمال كذلك ودروازة غزنة نسبة الى مدينة غزنة التى فى طرف خراسان وبخارجها مصلى العيد وبعض المقابر ودروازة البجالة (بفتح الباء والجيم والصاد المهمل) وبخارج هذه الدروازة مقابر دهلى وهى مقبرة حسنة يبنون بها القباب ولا بد عند كل قبر من محراب وان كان لا قبته له ويزرعون بها الاشجار المزهرة مثل قل شنبه (كل شنبو) وريبول (راى بيل) والنسرين وسواها والازاهير هنالك لا تنقطع فى فصل من الفصول

(ذكر جامع دهلى)

وجامع دهلى كبير الساحة حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة ابدع تحت ملصقة بالرصاص اتقن الصاق ولا خشبة به أصلا وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة ومنبره ايضا من الحجر وله أربعة من الصحن وفى وسط الجامع العمود الهائل الذى لا يدرك من أى المعادن هو ذكرى بعض حكماءهم انه يسمى هفت جوش (بفتح الهاء وسكون الفاء وتاء معلولة

وجيم مضموم وآخره شين مجم) ومعنى ذلك سبعة معادن وانه مؤلف منها وقد جلى من هذا العجود مقدار السبابة ولذلك المجلوم منه برقى عظيم ولا يؤثر فيه الحديد وطوله ثلاثون ذراعا وادرنابه عمامة فكان الذى أحاط بدائرته منها ثمانى أذرع وعند الباب الشرقى من أبواب المسجد صلمان كبيران جدّا من النحاس مطروحان بالارض قد ألصقا بالحجارة ويطأ عليهما كل داخل الى المسجد وأخرج منه وكان موضع هذا المسجد بدخانة وهو بيت الاصنام فلما افتتحت جعل مسجدا وفى الصحن الشمالى من المسجد الصومعة التى لانظير لها فى بلاد الاسلام وهى مبنية بالحجارة الجرخلا فالحجارة سائر المسجد فانها بيض وحجارة الصومعة منقوشة وهى سامية الارتفاع وفلها من الرخام الابيض الناصع وتقا فيحها من الذهب الخالص وسعة ممرها بحيث تصعد فيه الفيلة حدثنى من أثق به انه رأى الفيل حين بنيت يصعد بالحجارة الى أعلاها وهى من بناء السلطان معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بلبن وأراد السلطان قطب الدين أن يبنى بالصحن الغربى صومعة أعظم منها فبنى مقدار الثلث منها واختار مدون تمامها وأراد السلطان محمدا تمامها ثم ترك ذلك تشاؤما وهذه الصومعة من عجائب الدنيا فى ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعد ثلاثة من الفيلة متقارنة وهذا الثلث المبنى منها مساو لارتفاع جميع الصومعة التى ذكرناها بالصحن الشمالى وصعدتها مرة قرأت معظم دور المدينة وعالمت الاسوار على ارتفاعها وسموها منخطة وظهروا للناس فى أسفلها كأنهم الصبيان الصغار ويظهر لناظرهم من أسفلها ان ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها وكان السلطان قطب الدين أراد أن يبنى ايضا مسجدا جامع عايسى المسمّى دار الخلافة فلم يتم منه غير الحائط القبلى والمحراب وبناءه بالحجارة البيضاء والسوداء والخرى والخضر ولولا كمال لم يكن له مثل فى البلاد وأراد السلطان محمدا تمامه وبعث عرفاء البناء ليقدرّوا النفقة فيه فزعّموا انه ينفق فى اتمامه خمسة وثلاثون لكا فترك ذلك استكثارا له وأخبرنى بعض خواصه انه لم يتركه استكثارا لكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قد قتل قبل تمامه

❦ (ذكر الخوضين العظيمين بخارجها) ❦

وبخارج دهلى الخوض العظيم المنسوب الى السلطان شمس الدين للمش ومنه يشرب أهل المدينة وهو بالقرب من مصلاها وماؤه يجتمع من ماء المطر وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة مصنوعة أمثال الدكاكين بعضها أعلى من بعض وتحت كل دكان درج ينزل عليها الى الماء وبجانب كل دكان قبة حجارة فيها مجالس للمتزهين والمتفرجين وفى وسط الخوض قبة عظيمة من

الحجارة المنقوشة مجعولة طبقتين فاذا كثر الماء في الحوض لم يكن سبيل إليها الا في القوارب فاذا قل الماء دخل اليها الناس ودخلها مسجد وفي أكثر الاوقات يقيم بها الفقراء المنقطعون الى الله المتوكلون عليه واذا جف الماء في جوانب هذا الحوض زرع فيها قصب السكر والخيار والقشء والبطيخ الاخضر والاصفر وهو شديد الحلاوة صغير الجرم وفيما بين دهلي ودار الخلافة حوض الخاص وهو أكبر من حوض السلطان شمس الدين وعلى جوانبه نحو أربعين قبة ويسكن حوله أهل الطرب وموضعهم يسمى طرب آباد ولهم سوق هنالك من أعظم الاسواق ومسجد جامع ومساجد سواه كثيرة وأخبرت ان النساء المغنيات الساكنات هنالك يصلين التراويح في شهر رمضان بتلك المساجد مجتمعات ويؤم بهن الأئمة وعددهن كثير وكذلك الرجال المغنون ولقد شاهدت الرجال أهل الطرب في عرس الأمير سيف الدين غدا ابن مهنى لكل واحد منهم مصلى تحت ركبته فاذا سمع الاذان قام فتوضأ وصلى

(ذكر بعض من ارادتها)

فمنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكي وهو ظاهر البركة كثير التعظيم وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي انه كان اذا أتاه الذين عليهم الديون شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولا يجدون ما يجهزون به الى أزواجهن يعطى من أتاه منهم كعكة من الذهب أو من الفضة حتى عرف من أجل ذلك بالكعكي رحمه الله ومنها قبر الفقيه الفاضل نور الدين الكرلاني (بضم الكاف وسكون الراء والنون) ومنها قبر الفقيه علاء الدين الكرمانى نسبة الى كرمان وهو ظاهر البركة ساطع النور ومكانه يظهر قبلة المصلى وبذلك الموضع قبور رجال صالحين كثير نفع الله تعالى بهم

(ذكر بعض علمائها وصلحاءها)

فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود الكبا (بالباء الموحدة) وهو من كبار الصالحين والناس يرتفعون انه ينفق من الكون لانه لا مال له ظاهراً وهو يطعم الوارد والصادر ويعطى الذهب والدرهم والاثواب وظهرت له كرامات كثيرة واشتهر بها رأيت هرات كثيرة وحصلت لي بركته ومنهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين النيسابوري ككأنه منسوب الى نيسابور والله أعلم كان من أصحاب الشيخ العالم الصالح نظام الدين البرزواني وهو يعظ الناس في يوم كل جمعة في ثوب كثير منهم بين يديه ويحلقون رؤسهم ويتواجدون ويغشى على بعضهم

(حكاية)

شاهدته في بعض الايام وهو يعظ فقراً القاري بين يديه (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى

الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ثم كررها الفقيه علاء الدين فصاح أحد الفقراء من ناحية المسجد صيحة عظيمة فأعاد الشيخ الآية فصاح الفقير ثانية ووقع ميتا وكنت نمين صلى عليه وحضر جنازته ومنهم الشيخ الصالح العابد صدر الدين الكهراني (بضم الكاف وسكون الهاء وراء وونون) وكان يصوم الدهر ويقوم الليل وتجرد عن الدنيا جميعا وبندھا ولباسه عباءة ويزور السلطان وأهل الدولة وربما احتجب عنهم فرغب السلطان منه ان يقطعه قري يطعم منها الفقراء والواردين فأبى ذلك وزاره يوما وأتى اليه بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها وذكر وانه لا يفطر الا بعد ثلاث وانه قيل له في ذلك فقال لا أفطر حتى اضطر فحل لي الميعة ومنهم الامام الصالح العالم العابد الورع الخاشع فريد دهره ووحيد عصره كمال الدين عبد الله الغاري (بالغين المعجم والراء) نسبة الى غار كان يسكنه خارج دهلي بمقربة من زاوية الشيخ نظام الدين البذاوني زرت به هذا الغار ثلاث مرات

(كرامة له)

كان لي غلام فأبقى منى والفيتة بيد رجل من الترك فذهبت الى اتزاعه من يده فقال لي الشيخ ان هذا الغلام لا يصلح لك فلا تأخذه وكان التركي راغباً في المصالحة فصالحته بمائة دينار اخذتها منه وتركته له فلما كان بعد ستة أشهر قتل سيده وأتى به السلطان فأمر بتسليمه لاولاد سيده فقتلوه ولما شاهدت لهذا الشيخ هذه الكرامة انقطعت اليه ولازمته وترك الدنيا ووهبت جميع ما كان عندي للفقراء والمساكين واقت عنده مدة فكنيت أراه يواصل عشرة أيام وعشرين يوماً ويقوم أكثر الليل ولم أزل معه حتى بعث غنى السلطان ونشبت في الدنيا ثانية والله تعالى يختم بالخير وسأذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وكيفية رجوعي الى الدنيا

(ذكر فتح دهلي ومن تداولها من الملوك)

حدثني الفقيه الامام العلامة قاضي القضاء بالهند والسند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي الملقب بصدر الجهان ان مدينة دهلي افتتحت من أيدي الكفار في سنة أربع وثمانين وخمسمائة وقد قرأت أنا ذلك مكتوباً على محراب الجامع الأعظم بها وأخبرني ايضاً انها افتتحت على يد الامير قطب الدين ايبك (واسمه بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة وكان يلقب سياه (سپاه) سالار ومعناه مقدم الجيوش وهو أحد ممالك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك غزنة وخراسان المتغلب على ملك ابراهيم بن السلطان الغازي محمود بن سبكتكين الذي ابتداء فتح الهند وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الامير قطب الدين بعسكر عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم

شأنه وسعى به الى السلطان وألقى اليه جلساؤه انه يريد الانفراد بملك الهند وانه قد عصى وخالف وبلغ هذا الخبر الى قطب الدين فبادر بنفسه وقدم على غزنة ليلا ودخل على السلطان ولا علم عند الذين وشوابه اليه فلما كان بالغد قعد السلطان على سريرته واقعدا يبك تحت السرير بحيث لا يظهر وجاء الندماء والخواص الذين سعوا به فلما استقربهم الجلوس سألهم السلطان عن شأن ابيك فذكر والله انه عصى وخالف وقالوا قد صبح عندنا انه ادعى الملك لنفسه فضرب السلطان سريره برجله فصفق بيديه وقال يا ابيك قال ليبيك وخرج عليهم فسقط في أيديهم وفزعوا الى تقييد الارض فقال لهم السلطان قد غفرت لكم هذه الزلة واياكم والعودة الى الكلام في ابيك وأمره ان يعود الى بلاد الهند فعاد اليها وفتح مدينة دهلي وسواها واستقر بها الاسلام الى هذا العهد وأقام قطب الدين بها الى أن توفي.

* (ذكر السلطان شمس الدين للش)*

(وضبط اسمه بفتح الالام الاولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين مجهم) وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلا به وكان قبل تملكه مملوكا لأمير قطب الدين ابيك وصاحب عسكره وناثبا عنه فلما مات قطب الدين استبد بالملك وأخذ الناس بالبيعة فأثاه الفقهاء بتقديمهم قاضي القضاة اذ ذاك الوجهية الدين الكاساني فدخلوا عليه وقعدوا بين يديه وقعد القاضي الى جانبه على العبادة وفهم السلطان عنهم ما أرادوا ان يكلموه به فرفع طرف البساط الذي هو قاعد عليه وأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعا واستقل بالملك وكانت مدته عشرين سنة وكان عادلا صالحا فاضلا ومن مآثره انه استبد في رد المظالم وانصاف المظلومين وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوبا مصبوغا وأهل الهند جميعا يلبسون البياض فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحدا عليه ثوب مصبوغ نظره في قضيته وانصافه ممن ظلمه ثم انه أعفى في ذلك فقال ان بعض الناس تجرى عليهم المظالم بالليل وأريد تعجيل انصافهم فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير فكان المظلوم يأتي ليلا فيحرك الجرس فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الاولاد الذكور ثلاثة وهم ركن الدين والوالي بعده ومعز الدين وناصر الدين وبنيت اسمى رضية هي شقيقة معز الدين منهم فتولى بعده ركن الدين كما ذكرناه

* (ذكر السلطان ركن الدين بن السلطان شمس الدين)*

ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته فانكرت ذلك عليه فأراد قتلها فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين الى

الصلاة فمعدن رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الاعظم وهو يسمى دولة خانة
ولبست عليها ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح وقالت لهم ان أنى
قتل أخاه وهو يريد قتلى معه وذكروهم أيام أبيها وفعله الخير واحسانه اليهم فثاروا عند
ذلك الى السلطان ركن الدين وهو فى المسجد فقبضوا عليه وأتوا به اليها فقالت لهم
القاتل يقتل فقتلوه قصاصا باخيه وكان أخوها ناصر الدين صغيرا فاتفق الناس على
تولية رضية

* (ذكر السلطانة رضية) *

ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية الملك فولوها واستقلت بالملك
أربع سنين وكانت تركب بالقوس والترکش والقربان كما يركب الرجال ولا تستر وجهها ثم انها
اتهمت بعبثها من الحبشة فاتفق الناس على خلعهما وتزويجها فخلعت وزوجت من بعض
اقاربها وولى الملك أخوها ناصر الدين

* (ذكر السلطان ناصر الدين بن السلطان شمس الدين) *

ولما خلعت رضية ولى ناصر الدين أخوها الا صغر واستقل بالملك مدة ثم ان رضية وزوجها
خالفا عليه وركبوا في عماليكهما ومن تبعهما من أهل الفساد وتبها لقتاله وخرج ناصر الدين
ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بلبن متولى الملك بعده فوقع اللقاء وانهمزم عسكر رضية
وفرت بنفسها فأدركها الجوع واجهدتها الاعياء فصدت حرائرها ثم يجرث الارض فطلبت منه
ماتاً كله فأعطاهما كسرة خبز فأكلتاها وغلب عليهما النوم وكانت فى زى الرجال فلما نامت نظر
اليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباء سر صعا فلم انها امرأة فقتلها وسلمها وطرد فرسها
ودفنها فى فدانها وأخذ بعض ثيابها فذهب الى السوق يبيعهها فانكر أهل السوق شأنه وأتوا به
الشحنة وهو الحاكم فضربة فأقر بقتلها وادهم على مدفنها فاستخرجوها وغسلوها وكفنوها
ودفنت هنالك وبني عليها قببة وقبرها الآن يزار ويتبرك به وهو على شاطئ النهر الكبير
المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخ واحد من المدينة واستقل ناصر الدين بالملك بعدها
واستقام له الامر عشرين سنة وكان ملكا صالحا ينسخ نسخا من الكتاب العزيز ويبيعها
في قنات بثمنها وقد وقفنى القاضى كمال الدين على مصحف بخطه متقن محكم الكتابة ثم ان نائبه
غياث الدين بلبن قتله وملك بعده ولبلى هذا خبر طريف نذكره

* (ذكر السلطان غياث الدين بلبن) *

(وضبط اسمه ببائين موحدتين بينهما لام والجميع مفتوحات وآخرون) ولما قتل بلبن مولاه
السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة وقد كان قبلها نائباً له عشرين سنة أخرى

وكان من خيار السلاطين عادلاً حليماً فاضلاً ومن مكارمه انه بنى داراً وسمها دار الامن فمن دخلها من اهل الديون قضى دينه ومن دخلها اخافاً آمن ومن دخلها او قد قتل أحداً أرضى عنه اولياء المقتول ومن دخلها من ذوى الجنايات أرضى أيضاً من يطلبه وبذلك الدار دفن لما مات وقد زرت قبره

* (حكايته الغريبة) *

يذكر ان أحد الفقراء ببخارى رأى بها بلبن هذا وكان قصيرا حقيرا ذمياً فقال له يا ترك و هي لفظة تعرب عن الاحتقار فقال له ليبيك ياخوند فأعجبه كلامه فقال له اشترى من هذا الرمان وأشار الى رمان يباع بالسوق فقال نعم واخرج فليسات لم يكن عنده سواها واشترى له من ذلك الرمان فلما أخذها الفقير قال له وهبناك ملك الهند فقبل بلبن يد نفسه وقال قبلت ورضيت واستقر ذلك في ضميره واتفق ان يعث السلطان شمس الدين للش تاجرا يشتري له المماليك بسمرقند وبخارى وترمز فاشترى مائة مملوك كان من جلته بلبن فلما دخل بالماليك على السلطان أعجبه جميعهم الا بلبن لما ذكرناه من زمامته فقال لا أقبل هذا فقال له بلبن ياخوند عالم لمن اشتريت هؤلاء المماليك فضحك منه وقال اشتريتهم لنفسى فقال له اشترى ان الله عز وجل فقال نعم وقبله وجعله في جملة المماليك فاحتقر شأنه وجعل في السقائين وكان اهل المعرفة يعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين ان أحدهم اليك يأخذ الملك من يدايك ويستولى عليه ولا يزالون يلقون له ذلك وهو لا يلتفت الى أقوالهم لصلاحه وعدله الى ان ذكروا ذلك للخاتون الكبرى ام أولاده فذكرت له ذلك وأثرت في نفسه وبعث عن النجمين فقال أتعرفون المملوك الذى يأخذ ملك ابني اذار أيتوه فقالوا له نعم عندنا علامة نعرفه بها فامر السلطان بعرض مماليكه وجلس لذلك فعرضوا بين يديه طبقة طبقة والنجمون ينظرون اليهم ويقولون لم نره بعد و حان وقت الزوال فقال السقاؤون بعضهم لبعض انا قد جئنا لنجمع شيئا من الدراهم ونبعث أحدها الى السوق ليشتري لنا مائنا كله فجمعوا الدراهم وبعثوا بها بلبن اذ لم يكن فيهم أحقر منه فلم يجده بالسوق ما أرادوه فتوجه الى سوق اخرى وأبطأ وجاءت نوبة السقائين في العرض وهو لم يأت بعد فأخذوا زقه وماعونه وجعلوه على كاهل صبي وعرضوه على انه بلبن فلما نودى باسمه جاز الصبي بين أيديهم وانقضى العرض ولم ير النجمون الصورة التي تطلبوها وجاء بلبن بعد تمام العرض لما أراد الله من انفاذ قضائه ثم انه ظهرت نجابته فجعل أمير السقائين ثم صار من جملة الاجناد ثم من الامراء ثم تزوج السلطان ناصر الدين بنته قبل ان يلى الملك فلما ولى الملك جعله نائباً عنه مدة عشرين سنة ثم قتله بلبن واستولى على ملكه عشرين سنة أخرى كما تقدم ذكر ذلك وكان للسلطان بلبن ولدان أحدهما الخان الشهيد ولى عهده وكان

واليا لاييه بلاد السند ساكنا بمدينة ملتان وقتل في حرب له مع التترو ترك ولدين كى قبادوكى
خسرو وولد السلطان بلبن الثانى فسمى ناصر الدين وكان واليا لاييه بلاد اللكنوتى وبجالة فلما
استشهد الخان الشهيد جعل السلطان بلبن العهد الى ولده كى خسرو وعدل به عن ابن نفسه
ناصر الدين وكان لناصر الدين أيضا ولدا ساكن بحضرة دهلى مع جده يسمى معز الدين وهو الذى
تولى الملك بعد جده فى خبر عجيب نذكره وابوه اذ ذاك حتى كما ذكرناه

* (ذكر السلطان معز الدين بن ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن) *

ولما توفى السلطان غياث الدين ليلا وابنه ناصر الدين غائب ببلاد اللكنوتى وجعل العهد لابن
ابنه الشهيد كى خسرو حسبما قصصناه كان ملك الامراء نائب السلطان غياث الدين عدوا
لكى خسرو وفادار عليه حيلة تمت له وهى انه كتب بيعة دلس فيها على خطوط الامراء
الكبار بأنهم بايعوا معز الدين حفيد السلطان بلبن ودخل على كى خسرو وكالمتنصع له فقال
له ان الامراء قد بايعوا ابن عمك وأخاف عليك منهم فقال له كى خسرو فما الحيلة قال أنج
بنفسك هارباً الى بلاد السند فقال وكيف الخروج والابواب مسدودة فقال له ان المفتاح بيدى
وأنا أفتح لك فشكره على ذلك وقبل يده فقال اركب الآن فركب فى خاصته وهما اليكه وفتح له الباب
وأخرجه وسد فى أثره واستأذن على معز الدين فبايعه فقال كيف لى بذلك وولاية العهد لابن
عمى فاعنه بما أدار عليه من الحيلة وباخرجه فشكره على ذلك ومضى به الى دار الملك وبعث
عن الامراء والخوارج بايعوا اليه فلما أصبح بايعه سائر الناس واستقام له الملك وكان أبوه
حياب لاد ينجالة واللكنوتى فاتصل به الخبر فقال انا وارث الملك وكيف يلى ابنى الملك ويستقل
به وأنا بقيد الحياة فتجهز فى جيوشه قاصدا حضرة دهلى وتجهز ولده فى جيوشه أيضا قاصدا
لمدافعة عنها فتوافيا معا بمدينة كراوهى على ساحل نهر الكنك الذى تحبب الهندو اليه فنزل
ناصر الدين على شاطئهما يلى كرا ونزل ولده السلطان معز الدين مما يلى الجهة الاخرى والنهر
بينهما وعزما على القتال ثم ان الله تعالى أراد حقن دماء المسلمين فالتقى فى قلب ناصر الدين
الرحمة لابنه وقال اذا ملك ولدى فذلك شرف وأنا أحق ان أرغب فى ذلك وألقى فى قلب
السلطان معز الدين الضراعة لاييه فركب كل واحد منهما فى مركب منفردا عن جيوشه
والتقى فى وسط النهر فقبل السلطان رجل ابيه واعتذر له فقال له أبوه قد وهبتك ملكى
ووليتك وبايعه وأراد الرجوع لبلادته فقال له ابنه لا بد لك من الوصول الى بلادى فضى معه
الى دهلى ودخل القصر وأقعد به أبوه على سرير الملك ووقف بين يديه وسمى ذلك اللقاء الذى
كان بينهما بالنهر لقاء السعدين لما كان فيه من حقن الدماء وتواهب الملك والتجافى عن
المنازعة وأكثر الشعراء فى ذلك وعاد ناصر الدين الى بلاده فمات بها بعد سنين وترك

بها ذرية منهم غياث الدين بهادر الذي أسره السلطان تغلق وإطلقه ابنه محمد بعد وفاته واستقام الملك لمعز الدين أربعة أعوام بعد ذلك كانت كالأعياد رأيت بعض من أدركها يصف خيراتها ورخص أسعارها وجود معز الدين وكرمه وهو الذي بنى الصومعة بالصحن الشمالي من جامع دهلي ولا نظير لها في البلاد وحكى لي بعض أهل الهندان معز الدين كان يكثر النكاح والشرب فاعتزته علة أعجز الأطباء وأوهاو ييس أحد شقيه فقام عليه نائبه جلال الدين فيروز شاه الخلجي (بفتح الحاء المعجم واللام والجيم)

(ذكر السلطان جلال الدين)

ولما اعتري السلطان معز الدين ما ذكرناه من ييس أحد شقيه خالف عليه نائبه جلال الدين وخرج إلى ظاهر المدينة فوقف على تل هنالك بجانب قبة تعرف بقبة الجيشاني فبعث معز الدين الأمر لعلته فكان كل من يبعثه منهم يبائع جلال الدين ويدخل في جيشه ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام وحدثني من شاهد ذلك أن السلطان معز الدين أصابه الجوع في تلك الأيام فلم يجد ما يأكله فبعث إليه أحد الشرفاء من جيرانه ما أقام أوده ودخل عليه القصر فقتل وولى بعده جلال الدين وكان حليماً فاضلاً وحلمه أداه إلى القتل كما سئد كره واستقام له الملك سنين وبنى القصر المعروف باسمه وهو الذي أعطاه السلطان محمد لصهره الأمير غدا ابن مهني لما زوجه باخته وسيد كذلك فكان للسلطان جلال الدين ولد اسمه ركن الدين وابن أخ اسمه علاء الدين زوجه بابنته وولاه مدينة كرا ومانا كبور وفواحيها وهي من بأخصب بلاد الهند كثيرة القمح والأرز والسكر وتصنع بها الثياب الرفيعة ومنها تجلب إلى دهلي وينغمها مسيرة ثمانية عشر يوماً وكانت زوجة علاء الدين تؤذيه فلا يزال يشكوها إلى عمه السلطان جلال الدين حتى وقعت الوحشة بينهما بسببها وكان علاء الدين شهماً شجاعاً مظهر منصوراً وحب الملك ثابت في نفسه إلا أنه لم يكن له مال إلا ما يستفيده بسيفه من غنائم الكفار فاتفق أنه ذهب مرة إلى الغزو ببلاد الديوبقيرو تسمى بلاد الكتمكة أيضاً وسئد كرها وهي كرسى بلاد المالوة والمرهثة وكان سلطانها أكبر سلاطين الكفار فعثرت بعلاء الدين في تلك الغزوة دابة له عند حجر فسمع له طنيناً فأمر بالحفر هنالك فوجد تحتها كنزاً عظيماً ففرقه في أصحابه ووصل إلى الديوبقيرو فأذن له سلطانها بالطاعة ومكنه من المدينة من غير حرب وأهدى له هذا يعظيهم فرجع إلى مدينة كرا ولم يبعث إلى عمه شيئاً من الغنائم فأغرى الناس عمه فبعث عنه فامتنع من الوصول إليه فقال السلطان جلال الدين أنا أذهب إليه وآتي به فانه محل ولدي فجهز في عساكره وطوى المراحل حتى حل بساحل مدينة كرا حيث نزل السلطان معز الدين فلما خرج إلى لقاء أبيه ناصر الدين وركب النهر برسم الوصول إلى ابن أخيه

وركب ابن أخيه أيضاً في مركب ثان عازماً على الفتك به وقال لأصحابه إذا أنا عاقته فاقتلوه فلما انقيا وسط النهر عانقه ابن أخيه وقتله أصحابه كما وعدهم واحتوى على ملكه وعساكره

* (ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي) *

ولما قتل علاء استقل بالملك وقرأ إليه أكثر عساكره وعاد بعضهم إلى دهلي واجتمعوا على ركن الدين وخرج إلى دفاعه فهرجوا جميعاً إلى السلطان علاء الدين وفتر ركن الدين إلى السند ودخل علاء الدين دار الملك واستقام له الأمر عشرين سنة وكان من خيار السلاطين وأهل الهند يثنون عليه كثيراً وكان يتفقد أمور الرعية بنفسه ويسأل عن أسعارهم ويحضر المحتسب وهم يسمونه الرئيس في كل يوم يرسم ذلك ويذكرانه سألهم يوماً عن سبب غلاء اللحم فأخبروه أن ذلك لكثرة المغرم على البقر في الرتب فأمر برفع ذلك وأمر باحضار التجار وأعطاهم الأموال وقال لهم اشتروا بها البقر والغنم وبيعوها ويرتفع ثمن البيت المال ويكون لكم أجرة على بيعها ففعلوا ذلك وفعل مثل هذا في الأثواب التي يؤتى بها من دولة أباد وكان إذا غلا ثمن الزرع فتح المخازن وباع الزرع حتى يرخس السعر ويذكر أن السعر ارتفع ذات مرة فأمر ببيع الزرع بثمن عينه فامتنع الناس من بيعه بذلك الثمن فأمر أن لا يبيع أحد زرعاً غير زرع المخزن وباع للناس ستة أشهر بخلاف المحتكرين فساد زرعهم بالسوس فرغبوا أن يؤذن لهم في البيع فأذن لهم على أن يبيعوه بأقل من القيمة الأولى التي امتنعوا من بيعها وكان لا يركب الجمعة ولا العيد ولا سواهما وسبب ذلك أنه كان له ابن أخ يسمى سليمان شاه وكان يحبه ويعظمه فركب يوماً إلى الصعيد وهو معه وأضر في نفسه أن يفعل به ما فعل هو بعمه جلال الدين من الفتك فلما نزل للغداء رماه بنشابة فصرعه وغطاه بعض عبده بترس وأتى ابن أخيه ليجهز عليه فقال له العبيد أنه قد مات فصدقه ثم وركب فدخل القصر على الحرم رافق السلطان علاء الدين من غشيته وركب واجتمعت العساكر عليه وقرأ ابن أخيه فأدركه وأتى به إليه فقتله وكان بعد ذلك لا يركب وكان له من الأولاد خضر خان وشادى خان وأبو بكر خان ومبارك خان وهو قطب الدين الذى ولى الملك وشهاب الدين وكان قطب الدين مهتماً عند ناقص الخط قليل الخطوة وأعطى جميع أخوته المراتب وهى الأعلام والأطبال ولم يطعمه شيئاً وقال له يوماً لا بد أن أعطيك مثل ما أعطيت أخوتك فقال له الله هو الذى يعطينى فهال أباه هذا الكلام وفزع منه ثم إن السلطان أصابه المرض الذى مات منه وكانت زوجته أم ولد خضر خان وتسمى ماه حق والماء القمر بلسانهم لها أخ يسمى سنجر فعاهدت أخاها على تملك ولد خضر خان وعلم بذلك

ملك نائب أكبر امراء السلطان وكان يسمى الالفى لان السلطان اشتراه بألف تنكة وهى ألفان وخمسمائة من دنانير المغرب فوشى الى السلطان بما اتفقوا عليه فتمال لخواصه اذا دخل على سنجر فاني معطيه ثوبا فاذا لبسه فامسكوا باكامه واضربوا به الارض واذبحوه فلما دخل عليه فعادوا ذلك وقتلوه وكان خضر خان غائبا بموضع يقال له سندبت على مسيرة يوم من دهلى توجه لزيارة شهداء مدفونين به لنذكر كان عليه أن يمشى تلك المسافة راجلا ويدعوا لوالده بالراحة فلما بلغه ان أباه قتل خاله خزن عليه خزن شديد او مرق جيبه وتلك عادة لاهل الهند يفعلونها اذا مات لهم من يعز عليهم فبلغ والده ما فعله فكره ذلك فلما دخل عليه عنقه ولامه وأمر به فقيدت يداه ورجلاه وسلمه الملك نائب المذكور وأمره أن يذهب به الى حصن كاليور (وضبطه بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وآخره راء) ويقال له أيضا كاليور زيادة ياء ثانية وهو حصن منقطع بين كفار الهند ومنيع على مسيرة عشر من دهلى وقد سكنته أنا مدة فلما وصل الى هذا الحصن سلمه لالكتوال وهو أمير الحصن والمفردين وهم الزماميون وقال لهم لا تقولوا هذا ابن السلطان فتكرموه انما هو اعدى عدوه فاحفظوه كما يحفظ العدو ثم ان المرض اشتد بالسلطان فقال للملك نائب ابعث من يأتي بابنى خضر خان لاوليه العهد فقال له نعم وما طله بذلك ففى سألته عنه قال هو ذا يصل الى أن توفى السلطان رحمه الله

(ذكر ابنه السلطان شهاب الدين)*

ولما توفى السلطان علاء الدين أقعد ملك نائب ابنه الأصغر شهاب الدين على سرير الملك وبايعه الناس وتغلب ملك نائب عليه وسمل أعين أبى بكر خان وشادى خان وبعث بهما الى كاليور وأمر به سمل عيني أخيهما خضر خان المسجون هنالك وسجنوا وسجن قطب الدين لكره لم يسمل عينيه وكان للسلطان علاء الدين مملوك كان من خواصه يسمى أحدهما بيشير والاخر بمشرف فبعثت عنهما المئاتون الكهنزى زوجة علاء الدين وهى بنت السلطان معز الدين فذكرتهم ابنه مولاها وقاتل ان هذا الفتى نائب ملك قد فعل فى أولادى ما تعلمانه وانه يريد أن يقتل قطب الدين فقالا لها سترين ما نفعل وكانت عادتهما أن يبيتا عند نائب ملك ويدخلا عليه بالسلاح فدخلا عليه تلك الليلة وهو فى بيت من الخشب مكسور بالملف يسمونه الخرمقة ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر فاتفق أنه أخذ السيف من يد جد هما فقلبه وردّه اليه فضربه به المملوك وثنى عليه صاحبه واحتار رأسه واتيابه الى محبس قطب الدين فرميا به بين يديه وأخرجاه فدخل على أخيه شهاب الدين وأقام بين يديه أياما كأنه نائب له ثم عزم على خلعه فخلعه

* (ذكر السلطان قطب الدين ابن السلطان علاء الدين) *

وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقطع أصبعه وبعث به الى كاليور فقبس مع اخوته واستقام الملك لقطب الدين ثم انه بعد ذلك خرج من حضرة دهلى الى دولة ابادوهى على مسيرة أربعين يوما منها الطريق بينهما مائة كنفه الاشجار من الصفصاف وسواه فكانت الماشى به فى بستان وفى كل ميل منه ثلاث داوات وهى البريد وقد ذكرنا ترتيبه وفى كل داوة جميع ما يحتاج المسافر اليه فكانه يمشى فى سوق مسيرة الاربعين يوما وكذلك يتصل الطريق الى بلاد التلنك والمعبر مسيرة ستة أشهر وفى كل منزلة قصر للسلطان وزاوية للوارد والصادر فلا يفتقر الفقير الى حمل زاد فى ذلك الطريق ولما خرج السلطان قطب الدين فى هذه الحركة اتفق بعض الامرأء على الخلاف عليه وتولية ولد أخيه خضر خان المسجور وسنه نحو عشرة أعوام وكان مع السلطان فبلغ السلطان ذلك فأخذ ابن أخيه المذكور وامسك برجله وضرب برأسه الى الجارة حتى نثر دماغه وبعث أحد الامرأء يسمى ملك شاه الى كاليور حيث أبوهذا الولد واعماه وأمره بقتلهم جميعا فحدثنى القاضى زين الدين مبارك قاضى هذا الحصن قال قدم علينا ملاك شهاب خوة يوم وكنت عند خضر خان بمحبسه فلما سمع بقدمه خاف وتغير لونه ودخل عليه الامير فقال له فيما جئت قال فى حاجة خوند عالم فقال له نفسى سالمة فقال نعم وخرج عنه واستحضر الكتوال وهو صاحب الحصن والمفردين وهم الزماميون وكانوا ثلاثمائة رجل وبعث عنى وعن العدول واستظهر بأمر السلطان فقرأوه وأنوا الى شهاب الدين المخلوع فضر بوا عنقه وهو مثبت غير جزع ثم ضربوا عنق أبى بكر خان وشادى خان ولما أتوا ليضر بوا عنق خضر خان فزع وذهل وكانت أمه معه فسددوا الباب دونها وقتلوه وسحبوهم جميعا فى حفرة دون تكفين ولا غسل وأخرجوا بعد سنين فدفنوا بآبائهم وعاشت أم خضر خان مدة ورأيتها بمكة سنة ثمان وعشرين وجصن كاليور هذا فى رأس شاهق كأنه منحوت من الصخر لا يحاذيه جبل وبداخله جباب الماء ونحو عشرين بئرا عليها الاسوار مضافة الى الحصن منصوبا عليها المجانيق والرعادات ويصعد الى الحصن فى طريق متسعة يصعد بها الفيل والفرس وعند باب الحصن صورة فيل منحوت من الحجر وعليه صورة فيال واذا رآه الانسان على البعد لم يشك انه فيل حقيقة وأسفل الحصن مدينة حسنة مبنية كلها بالججارة البيضاء المنحوتة مساجدها ودورها ولا خشب فيها ما عدا الابواب وكذلك دار الملك بها والقباب والمجالس وأكثر سوقها كفار وفيها ستمائة فارس من جيش السلطان لا يزالون فى جهاد لانها بين الكفار ولما قتل قطب الدين اخوته واستقل بالملك فلم يبق من ينارعه ولا من يخالف عليه بعث الله تعالى عليه

خاصته الخطي لديه أكبر أمرائه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين خسرو خان ففتح بك به وقتله واستقل بما كرهه إلا أن مدته لم تطل في الملك فبعث الله عليه أياً من قتله بعد خلعه وهو السلطان تغلق حسبما يشرح ذلك كله مستوفى إن شاء الله تعالى أثر هذا ونسطره * (ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين) *

وكان خسرو خان من أكبر أمراء قطب الدين وهو شجاع حسن الصورة وكان فتح بلاد جنديرى وبلاد المعبر وهي من أخصب بلاد الهند وبينهما وبين دهلى مسيرة ستة أشهر وكان قطب الدين يحبه حباً شديداً ويؤثره بفرد ذلك حتفه على يديه وكان لقطب الدين معلم يسمى قاضى خان صدر الجهان وهو أكبر أمرائه ووكيل (كريد) دار وهو صاحب مفاتيح القصر وعادته أن يبيت كل ليلة على باب السلطان ومعه أهل النوبة وهم ألف رجل يبيتون مناوبة بين أربع ليال ويكوتون صفين فيما بين أبواب القصر وسلاح كل واحد منهم بين يديه فلا يدخل أحد إلا فيما بين سماء طيرهم وإذا تم الليل أتى أهل نوبة النهار ولاهل النوبة أمراء وكتاب يتطوفون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر وكان معلم السلطان قاضى خان يكره أفعال خسرو خان ويسوءه ما يراه من إظهاره لكفار الهندوميله اليهم واصله منهم ولا يزال يلقى ذلك إلى السلطان فلا يسمع منه ويقول له دعه وما يريد لما أراد الله من قتله على يديه فلما كان في بعض الأيام قال خسرو خان للسلطان إن جماعة من الهندود يريدون أن يسلموا ومن عادتهم بتلك البلاد أن الهندود إذا أراد الإسلام أدخل إلى السلطان فيكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساو ومن ذهب على قدره فقال له السلطان ائتنى بهم فقال انهم يستحيون أن يدخل اليك نهاراً لاجل اقربائهم وأهل ملتهم فقال له ائتنى بهم ليلا فجاء مع خسرو خان جماعة من شجعان الهندود وكبرائهم فيهم أخوه خان خانان وذلك أوان الحار والسلطان ينام فوق سطح القصر ولا يكون عنده في ذلك الوقت إلا بعض الفتيان فلما دخلوا الأبواب الأربعة وهم شاكون في السلاح ووصلوا إلى الباب الخامس وعليه قاضى خان أنكر شأنهم وأحس بالشر فنعهم من الدخول وقال لا بد أن أسمع من خوند عالم بنفسى الاذن في دخولهم وجئت نذير خلوهم فلما منعهم من الدخول هجموا عليه فقتلوه وعلت الضجة بالباب فقال السلطان ما هذا فقال خسرو خان هم الهندود الذين أتوا يسلموا فنعهم قاضى خان من الدخول وزاد الضجيج فخاف السلطان وقام يريد الدخول إلى القصر وكان بابه مسدوداً والفتيان عنده فقرع الباب واحتضنه خسرو خان من خلفه وكان السلطان أقوى منه فصصرعه ودخل الهندود فقال لهم خسرو خان هو ذا فوقى فاقتلوه فقتلوه وقطعوا رأسه ورموا به من سطح القصر إلى صحنه وبعث خسرو خان

من حينه عن الأمر والمهلك وهم لا يعلمون بما اتفق فكما دخلت طائفة وجدوه على سرير الملك فبايعوه ولما أصبح أعلن بأمره وكتب المراسم وهي الأمر إلى جميع البلاد وبعث لكل أمير خلعة فضاء والجميع ما وادعوا الاتعلق شاه والد السلطان محمد شاه وكان ذلك أميراً بدبال بور من بلاد السند فلما وصلته خلعة خسرو خان طرحها بالارض وجلس فوقها وبعث إليه أخا دخان خانان فهو زمه ثم آل أمره إلى أن قتله كما سنشرح في أخبار تغلق ولما ملك خسرو خان آثار الهند وأظهر أموراً منكرة منها النهي عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهند فأنهم لا يجيزون ذبحها وجزاء من ذبحها عندهم أن يخاط في جملدها ويحرق وهم يعظمون البقر وبشربون ابوالهال البركة ولا يستشفاء إذا مرضوا ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بار واثماً وكان ذلك مما يغضب خسرو خان إلى المسلمين وأما لهم عنه إلى تغلق فلم تطل مدة ولايته ولا امتدت أيام ملكه كما سنذكره
 * (ذكر السلطان غياث الدين تغلق شاه) *

(وضبط اسمه بضم التاء الملعونة وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف) حدثني الشيخ الامام الصالح العالم العبادل العابد ركن الدين ابن الشيخ الصالح شمس الدين أبي عبد الله ابن الولي الامام العالم العابد بهاء الدين زكريا القرشي المتسني براويته منها ان السلطان تغلق كان من الأتراك المعروفين بالقرونية (بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون) وهم قاطنون بالجمال التي بين بلاد الهند والترك وكان ضعيف الحال فقدم بلاد الهند في خدمة بعض التجار وكان كلوانيساله والكلواني (بضم الكاف المعقودة) هو راعي الخيل (جلوبان) وذلك على أيام السلطان علاء الدين وأمير السند ذلك أخوه أولو خان (بضم الهمزة واللام) فخدمه تغلق وتعلق بجانبه فرتبه في البيادة (بكسر الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف) وهم الرجال ثم ظهرت نجابته فأثبت في الفرسان ثم كان من الأمراء الصغار وجعله أولو خان أمير خيله ثم كان بعد من الأمراء الكبار وسمى بالملك الغازي ورأيت مكتوباً على مقصورة الجامع ببلتان وهو الذي أمر بعملها إلى قاتلت الترتسعا وعشرين مرة فهازمتهم فحينئذ سميت بالملك الغازي ولما ولي قطب الدين ولاية مدينة بدبال بور وعمالتها (وهي بكسر الدال المهملة وفتح الباء الموحدة) وجعل ولده الذي هو الآن سلطان الهند أمير خيله وكان يسمى جونة (بفتح الجيم والنون) ولما ملك تسمى بمحمد شاه ثم لما قتل قطب الدين وولي خسرو خان أبقاه على إمارة الخيل فلما أراد تغلق الخلاف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم في القتال وكتب إلى كشلو خان وهو يومئذ ببلتان وبينها وبين بدبال بور ثلاثة أيام يطلب منه القيام بنصرته ويذكره نعمة قطب الدين ويحرضه على طلب ثاره

وكان ولد كشالوخان بدهلي فكتب الى تغلق انه لو كان ولدى عندي لا غنتك على ما تريد فكتب تغلق الى ولده محمد شاه يعلمه بما عزم عليه ويأمره أن يفر اليه ويستحب معه ولد كشالوخان فادار ولده الحيلة على خسروخان وتمت له كما أراد فقال له ان الخيل قد سمئت وتبدنت وهي تحتاج البراق وهو التضمير فأذن له في تضميرها فكان يركب كل يوم في أصحابه فيسير بها الساعة والساعتين والثلاث واستمر الى أربع ساعات الى أن غاب يوما الى وقت الزوال وذلك وقت طعامهم فأمر السلطان بالركوب في طلبه فلم يوجده خبره ولحق بأبيه واستحب معه ولد كشالوخان وحينئذ أظهر تغلق الخلاف وجع العساكر وخرج معه كشالوخان في أصحابه وبعث السلطان أخاه خان خانان لقتالهما فهزمه شرهزيمة وفر عسكره اليهما ورجع خان خانان الى أخيه وقتل أصحابه وأخذت خرائنه وأمواله وقصد تغلق حضرة دهللي وخرج اليه خسروخان في عساكره ونزل بخارج دهللي بموضع يعرف بأصيا اباد (آسيا باد) ومعنى ذلك رحي الريح وأمر بالخرائن ففتحت وأعطى الاموال بالسدر لا بوزن ولا عدد ووقع اللقاء بينه وبين تغلق وقاتلت الهندو أشد قتال وانهمزمت عساكر تغلق ونهبت محلاته وانفرد في أصحابه الا قدمين الثلاثمائة فقال لهم الى أين الفرار حيثما أدركنا قتلنا واشتغلت عساكر خسروخان بالنهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه الا قليل فقصد تغلق وأصحابه موقفه والسلطان هنالك يعرف بالشطرنج (چتر) الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمى بديار مصر القبة والطير ويرفع بها في الاعياد وأما بالهند والصين فلا يفارق السلطان في سفر ولا حضر فلما قصدته تغلق وأصحابه حتى القتال بينهم وبين الهندو وانهمز أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد وهرب قتل عن فرسه ورمى بثيابه وسلاحه وبقي في قبض واحد وأرسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند ودخل بستانا هنالك واجتمع الناس على تغلق وقصد المدينة فأتاه الكهتوال بالمفاتيح ودخل القصر ونزل بناحية منه وقال لكشالوخان أنت تكون السلطان فقال كشالوخان بل أنت تكون السلطان وتنازع فقال له كشالوخان فان أبيت أن تكون سلطانا فيتولى ولدك فكره هذا وقبل حينئذ وقع على سرير الملك وبايعه الخاص والعام ولما كان بعد ثلاث اشهر الجوع بخسروخان وهو مختلف بالبستان فخرج وطاف به فوجد القيم فسأله طعاما فلم يكن عنده فأعطاه خاتمه وقال اذهب فأرهنه في طعام فلما ذهب بالخاتم الى السوق أنكر الناس أمره ورفعوه الى الشحنة وهو الخاتم فأدخله على السلطان تغلق فأعلمه بمن دفع اليه الخاتم فبعث ولده محمد اليأتي به فقبض عليه وأتاه به راكبا على تنو (بماتين مثناتين أولاهما مفتوحة والثانية مضمومة) وهو البرذون فلما مثل بين يديه قال له اني جائع فائتني بالطعام فأمر له بالشرية ثم بالطعام

ثم بالقفاح ثم بالتنبول فلما أكل كل قام قائما وقال يا تغلق أفعل معي فعل الملوك ولا تفضحنى
فقال له لك ذلك وأمر به فضربت رقبتة وذلك في الموضع الذي قتل هو به قطب الدين
ورمى برأسه وجسده من أعلى السطح كما فعل هو برأس قطب الدين وبعد ذلك أمر بغسله
وتكفينه ودفن في مقبرته واستقام الملك لتغلق أربعة أعوام وكان عادلا فاضلا
(* ذكر مارامه ولده من القيام عليه فلم يتم له ذلك) *

ولما استقر تغلق بدار الملك بعث ولده محمد اليفتح بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام
وسكون النون وكاف معقود) وهي على مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة دهلي وبعث معه عسكريا
عظيما فيه كبار الاسماء مثل الملك تمور (بفتح التاء المعلوة وضم الميم وآخره راء) ومثل الملك تكين
(بكسر التاء المعلوة والكاف وآخره نون) ومثل ملك كافور المهر دار (بضم الميم) ومثل ملك بيرم
(بالباء الموحدة مفتوحة والياء آخر الحروف والراء مفتوحة) وسواهم فلما بلغ إلى أرض
التلنك أراد المخالفة وكان له نديم من الفقهاء الشعراء يعرف بعبيد فأمره أن يلقى إلى الناس
أن السلطان تغلق توفي وظنه أن الناس يبايعونه مسرعين إذا سمعوا ذلك فلما ألقى ذلك إلى
الناس أنكره الأمر وأضرب كل واحد منهم طبله وخالف فلم يبق معه من أحد وأرادوا
قتله فنعهم منه ملك تمور وقام دونه ففر إلى أبيه في عشرة من الفرسان سماهم ياران موافق
معناه الاصحاب الموافقون فأعطاه أبوه الأموال والعساكر وأمره بالعود إلى التلنك فعاد
اليما وعلم أبوه بما كان أراد فقتل الفقيه عبيدا وأمر بملك كافور المهر دار فضرب له عمود
في الأرض محدود الطرف وركز في عنقه حتى خرج من جنبه طرفه ورأسه إلى أسفل وترك على
تلك الحال وفر من بقي من الأمراء إلى السلطان شمس الدين بن السلطان ناصر الدين بن
السلطان غياث الدين بلبن واستقر وأعنده

(* ذكر مسيرة تغلق إلى بلاد الكنوت وما اتصل بذلك إلى وفاته) *

وأقام الأمراء الهاربون عند السلطان شمس الدين ثم إن شمس الدين توفي وعهد لولده
شهاب الدين بجلس مجلس أبيه ثم غلب عليه أخوه الأصغر غياث الدين بهادر بوره
ومعناه بالهندية الأسود واستولى على الملك وقتل أخاه قضاو خان وسائر أخوته وفر شهاب
الدين وناصر الدين منهم إلى تغلق فتجهز بهما بنفسه لقتال أخيهما وخلف ولده محمد أنائب عنه
في ملكه وجدد السير إلى بلاد الكنوت فتغلب عليها وأسر سلطانها غياث الدين بهادر
وقدم به أسيرا إلى حضرته وكان بمدينة دهلي الولي نظام الدين البذاوني ولا يزال محمد شاه
ابن السلطان يتردد إليه ويعظم خدامه ويسأله الدعاء وكان يأخذ الشيخ حال تغلب عليه
فقال ابن السلطان لخدامه إذا كان الشيخ في حاله التي تغلب عليه فاعلموني بذلك فلما أخذته

الحال اعلوه فدخل عليه فلما رآه الشيخ قال وهبنا له الملك ثم توفي الشيخ في ايام غيبة السلطان فحمل ابنه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك أباه فانكره وتوعده وكان قد رابته منه أمور ونقم عليه استكثاره من شراء الممالك واجزاله العطايا واستجلابه قلوب الناس فزاد حنقه عليه وبلغه ان المنجمين زعموا انه لا يدخل مدينة دهلي بعد سفره ذلك فيتوعددهم ولما عاد من سفره وقرب من الحضرة أمر ولده أن يبني له قصرًا وهم يسمونه الكشك (بضم الكاف وشين معجم مسكن) على واد هنالكا يسمى افغان بورقناه في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعًا على الارض قائمًا على سوارى خشب وأحكم بهندسة تولى النظر فيها الملك زاده المعروف بعد ذلك بخواجه جهان واسمه أحمد بن اياس كبير وزراء السلطان محمد وكان اذ ذاك شحنة العمارة وكانت الحكمة التي اخترعوها فيه انه متى وطئت الفيلة جهة منه وقع ذلك القصر وسقط ونزل السلطان بالقصر واطعم الناس وتفرقوا واستأذنه ولده في ان يعرض الفيلة بين يديه وهي مزينة فأذن له وحدّثني الشيخ ركن الدين انه كان يومئذ مع السلطان ومعهما ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد بن السلطان فقال للشيخ يا خوند هذا وقت العصر انزل فصل قال لي الشيخ فنزلت وأتى بالافعال من جهة واحدة حسبما دبروه فلما وطئت هاسقط الكشك على السلطان وولده محمود قال الشيخ فسمعت الضججة فعدت ولم أصل فوجدت الكشك قد سقط فأمر ابنه أن يؤتى بالفوس والمساحي للحفر عنه وأشار بالابطاء فلم يؤت بهما الا وقد غربت الشمس فحفروا فوجدوا السلطان قد حنا ظهره على ولده ليقية الموت فزعم بعضهم انه أخرج ميتا وزعم بعضهم انه أخرج حيا فأجهز عليه وحمل ليلا الى مقبرته التي بناها بخارج البلدة المسماة باسمه تغلق اباد فدفن بها وقد ذكرنا السبب في بنائه لهذه المدينة وبها كانت خزائن تغلق وقصوره وبها القصر الاعظم الذي جعل قراميده مذهبة فاذا طلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من ادامة النظر اليها واختزن بها الاموال الكثيرة ويذكر انه بنى صهرىچا وأفرغ فيه الذهب افراغا فكان قطعة واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه لما ولي وبسبب ما ذكرناه من هندسة الوزير خواجه جهان في بناء الكشك الذي سقط على تغلق كانت حظوته عند ولده محمد شاه واشاره لديه فلم يكن أحد يدانيه في المنزلة لديه ولا يبلغ مرتبته عنده من الوزراء ولا غيرهم

* (ذكر السلطان أبى المجاهد محمد شاه بن السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند الذى قدمنا عليه) *

ولمات السلطان تغلق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا مخالف عليه

وقد قدّمنا انه كان اسمه جونة فلما ملك تسمى محمدوا كتنى بأبي المجاهد وكل ما ذكر
من شأن سلاطين الهند فهو مما أخبرت به وتلقيته أو معظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان
الغزنوى قاضى القضاة وأما أخبار هذا الملك فمعظمها مما شاهدته أيام كوفى ببلاد
(ذكر وصفه)

وهذا الملك احب الناس فى أسداء العطايا واراقة الدماء فلا يخلو بابه عن فقير يغنى أو حى
يقتل وقد شهرت فى الناس حكاياته فى الكرم والسجاعة وحكاياته فى الفتك والبطش
بذوى الجنائيات وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا وأكثرهم اظهار العدل والحق وشعائر
الدين عنده محفوظة وله اشتداد فى أمر الصلاة والعقوبة على تركها وهو من الملوك الذين
ا طردت سعادتهم وخرق المعتادين نقيبتهم ولكن الاغلب عليه الكرم وسند كرم
أخباره فى عجائب لم يسمع بمثلهما عن تقدمه وأنا أشهد بالله وملائكته ورسوله ان جميع
ما أنقله عنه من الكرم الخارق للعادة حق يقين وكفى بالله شهيدا واعلم ان بعض ما آثره من
ذلك لا يسع فى عقل كثير من الناس ويعتدونه من قبيل المستحيل عادة ولكنه شيئا عاينته
وعرفت صحته وأخذت بحظ وافرمته لا يسعنى الا قول الحق فيه وأكثر ذلك ثابت بالتواتر
فى بلاد المشرق

(ذكر أبوابه ومشوره وترتيب ذلك)

ودار السلطان بدھلى تسمى دار سرا (بفتح السين المهمل والراء) ولها أبواب كثيرة فأما الباب
الاول فعليه جملة من الرجال موكلون به ويقعد به أهل الانفار والابواق والصرنايات فاذا
جاء أمير أو كبير ضربوها ويقولون فى ضربهم - جاء فلان جاء فلان وكذلك أيضا فى البابين
الثانى والثالث وبخارج الباب الاول دكاكين يقعد عليها الجلادون وهم الذين يقتلون
الناس فان العادة عندهم انه متى أمر السلطان بقتل أحد قتل على باب المشور ويبقى
هناك ثلاثا وبين البابين الاول والثانى دھليز كبير فيه دكاكين مبنية من جهتيه يقعد
عليها أهل النوبة من حفاظ الابواب وأما الباب الثانى فيقعد عليه البوابون الموكلون به
وبينه وبين الباب الثالث دكانة كبيرة يقعد عليها نقيب النقباء وبين يديه عمود ذهب
يمسكه بيده وعلى رأسه كلاة من الذهب مجوهر فى أعلاها ريش الطواويس والنقباء
بين يديه على رأس كل واحد منهم شاشية مذهب وفى وسطه منطقة وبيده سوط نصابه من
ذهب أو فضة ويفضى هذا الباب الثانى الى مشور كبير متسع يقعد به الناس وأما الباب
الثالث فعليه دكاكين يقعد فيها كتاب الباب ومن عواندهم أن لا يدخل على هذا الباب
احد الا من عينه السلطان لذلك ويعين لكل انسان عددا من أصحابه وناسه يدخلون معه

وكل من يأتي الى هذا الباب يكتب الكتاب ان فلانا جاء في الساعة الاولى او الثانية او ما بعدهما من الساعات الى آخر النهار ويطالع السلطان بذلك بعد العشاء الاخرة ويكتبون أيضا بكل ما يحدث بالباب من الامور وقدرين من أبناء الملوك من يوصل كل ما يكتبونه الى السلطان ومن عوائدهم أيضا انه من غاب عن دار السلطان ثلاثة أيام فصاعدا لعذر أو لغير عذر فلا يدخل هذا الباب بعدها الا باذن من السلطان فان كان له عذر من مرض أو غيره قدم بين يديه هدية مما يناسبه اهداؤها الى السلطان وكذلك أيضا القادمون من الاسفار فالفقيه يهدي المصحف والكتاب وشبهه والفقيه يهدي المصلى والسجدة والمسواك ونحوها والامراء ومن أشبههم يهدون الخيل والجمال والسلاح وهذا الباب الثالث يفضى الى المشوراهائل الفسيح الساحة المسمى هزار اسطون (بفتح الهاء والزاي وألف وراء) ومعنى ذلك ألف سارية وهو سوارى من خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبدع نقش يجلس الناس تحتها وبهذا المشور يجلس السلطان الجالوس العام * (ذكر ترتيب جلوسه للناس) *

وأكثر جلوسه بعد العصور وبما جلس أول النهار وجلوسه على مصطبة مفروشة بالبياض فوقها مرتبة ويجعل خلف ظهره مخدّة كبيرة وعن يمينه متكأ وعن يساره مثل ذلك وعوده يجالوس الانسان للتشهد في الصلاة وهو جلوس أهل الهند كلهم فاذا جلس وقف أمامه الوزير ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب وكبير الحجاب هو فيروز ملك ابن عم السلطان ونائبه وهو أدنى الحجاب من السلطان ثم يتلوه خاص حاجب ثم يتلوه نائب خاص حاجب ووكيل الدار ونائبه وشرف الحجاب وسيد الحجاب وجماعة تحت أيديهم ثم يتلو الحجاب النقباء وهم نحو مائة وعند جلوس السلطان ينادى الحجاب والنقباء بأعلى أصواتهم بسم الله ثم يقف على رأس السلطان الملك الكبير قبله ويبيده المذبة يشتردها الذباب ويقف مائة من السلحدارية عن يمين السلطان ومثالهم عن يساره بأيديهم الدرق والسيوف والقسي ويقف في الميمنة والميسرة بطول المشور قاضى القضاة ويلييه خطيب الخطباء ثم سائر القضاة ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشرفاء ثم المشايخ ثم اخوة السلطان واصهاره ثم الامراء الكبار ثم كبار الاعزة وهم الغرباء ثم القواد ثم يوثى بستين فرسا مسرجة ملجمة بجهازات سلطانية فنهاها هو بشعار الخلافة وهى التى لجها ودواثرها من الحرير الاسود المذهب ومنها ما يكون ذلك من الحرير الابيض المذهب ولا يركب بذلك غير السلطان فيوقف النصف من هذه الخيل عن اليمين والنصف عن الشمال بحيث يراها السلطان ثم يوثى بخمسين فيلامر ينة بثياب الحرير والذهب مكسوة أنيابها بالحديد اعدادا لقتل أهل الجرائم

وعلى عنق كل فيل فياله وببده شبه الطبرزين من الحديد يؤدبه به ويقومه لما يراد منه وعلى ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة وأكثر من ذلك ودونه على حسب ضخامة الفيل وعظم جرمه ويكون في أركان ذلك الصندوق أربعة أعلام من كوزة وتلك الفيلة معلة أن تخدم السلطان وتحط رؤسها فإذا خدمت قال الحجاب بسم الله بأصوات عالية ويوقف أيضا نصفها عن اليمين ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين وكل من يأتي من الناس المعينين للوقوف في الميمنة أو الميسرة يخدم عند موقف الحجاب ويقول الحجاب بسم الله ويكون ارتفاع أصواتهم بقدر ارتفاع صوت الذي يخدم فإذا خدم انصرف إلى موقفه من الميمنة أو الميسرة لا يتبعه أبدا ومن كان من كفار الهنود يخدم ويقول له الحجاب والنقباء هداك الله ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلهم بأيديهم الترس والسيوف فلا يمكن أحدا الدخول بينهم إلا بين يدي الحجاب القائم بين يدي السلطان * (ذكر دخول الغرباء وأصحاب الهدايا إليه) *

وان كان بالباب أحد من قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب إلى السلطان على ترتيبهم يقدمهم أمير حجب ونائبه خلفه ثم خاص حجب ونائبه خلفه ثم وكيل الدار ونائبه خلفه ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب ويخدمون في ثلاثة مواضع ويعلمون السلطان بمن في الباب فإذا أمرهم أن يأتوا به جعلوا الهدية التي ساقها بأيدي الرجال يقومون بها أمام الناس بحيث يراها السلطان ويستدعي صاحبها فيخدم قبل الوصول إلى السلطان ثلاث مرات ثم يخدم عند موقف الحجاب فان كان رجلا كبيرا وقف في صف أمير حجب والا وقف خلفه ويخاطبه السلطان بنفسه ألطف خطاب ويرحب به وان كان من يستحق التعظيم فانه يصاحبه أو يعانقه ويطلب بعض هديته فتحضرب بين يديه فان كانت من السلاح أو الثياب قلبها بيده وأظهر استحسانها جبر الخاطر مهديا وإينا ساله ورفقابه وخلع عليه وأمر له بمال لغسل رأسه على عادتهم في ذلك بمقدار ما يستحقه المهدي

* (ذكر دخول هدايا أعماله إليه) *

واذا أتى العمال بالهدايا والأموال المجتمعة من مجانبى البلاد صنعوا الأواني من الذهب والفضة مثل الطسوت والاباريق وسواها وصنعوا من الذهب والفضة قطعاً شبه الأجر يسمونها الخشت (بكسر الخاء المججمة وسكون الشين المعجم وتاء معلولة) ويقف الفراشون وهم عبيد السلطان صفوا والهدية بأيديهم كل واحد منهم محسك قطعة ثم يقدم الفيلة ان كان في الهدية شيء منها ثم الخيل المسرجة المججمة ثم البغال ثم الجال عليها الأموال ولقد رأيت الوزير خواجه جهان قدم هديته ذات يوم حين قدم السلطان من دولة آباد ولقيه بها في ظاهر مدينة

بياناً فأدخلت الهدية إليه على هذه الترتيب ورأيت في جلته صينية مملوءة بأحجار الياقوت وصينية مملوءة بأحجار الزمر دو صينية مملوءة باللؤلؤ الفاخر وكان طاجي كاون ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق حاضر عنده حين ذلك فأعطاه حظاً منها وسيد كر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى

* (ذكر نحوه وجه للعبيدين وما يتصل بذلك) *

واذا كانت ليلة العيد بعث السلطان الى الملوكة والخواص وأرباب الدولة والاعزة والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الاخبار الخلع التي تعمد جميعاً فاذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر ويكون منها ستة عشر فيل لا يركبها أحد انما هي مختصة بركوب السلطان ويرفع عليها ستة عشر شطراً (حتر) من الحرير من صعة بالجواهر رقائمة كل شطر منها ذهب خالص وعلى كل فيل من تبة حرير من صعة بالجواهر ويركب السلطان فيل منها وترفع امامه الغاشية وهي ستارة سرجه وتكون من صعة بأنفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجواهر ويمشي بين يديه أيضاً النقباء وهم نحو ثلثائة وعلى رأس كل واحد منهم اقر وف ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وفي يده مقرعة نصابها ذهب ويركب قاضي القضاة صدرا لجهان كمال الدين الغزنوي وقاضي القضاة صدرا لجهان ناصر الدين الخوارزمي وسائر القضاة وكبار الاعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربية كل واحد منهم على فيل وجميع الغرباء عندهم يسعون بالخراسانيين ويركب المؤذنون أيضاً على الفيلة وهم يكبرون ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب والعسا كرتنظره كل أمير بفوجه على حدة معه طبوله واعلامه فيقدم السلطان وامامه من ذكرناه من المشاة وامامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى وخلف السلطان من اتبه وهي الاعلام والطبول والابواق والانفار والصرنايات وخلفهم جميع أهل دخلته ثم يتلوهم أخو السلطان مبارك خان بمراتبه وعسا كره ثم يليه ابن أخ السلطان بهرام خان بمراتبه وعسا كره ثم يليه ابن عمه ملك فيروز بمراتبه وعسا كره ثم يليه الوزير بمراتبه وعسا كره ثم يليه الملك مجير بن ذى الرجا بمراتبه وعسا كره ثم يليه الملك الكبير قبولة بمراتبه وعسا كره وهذا الملك كبير القدر عنده عظيم الجاه كثير المال اخبرني صاحب ديوانه ثقة الملك علاء الدين على المصري المعروف بابن الشرايشي ان نفقته ونفقة عبيده وممراتهم ستة وثلاثون لكا في السنة ثم يليه الملك نكبة بمراتبه وعسا كره ثم يليه الملك بغرة بمراتبه وعسا كره ثم يليه الملك مخلص بمراتبه وعسا كره ثم يليه الملك

قطب الملك بمراتبه وعساكره وهؤلاء هم الامراء الكبار الذين لا يفارقون السلطان وهم الذين يركبون معه يوم العيد بالمراتب ويركب غيرهم من الامراء دون مراتب وجيعة من يركب في ذلك اليوم يكون مدرعا هو وفرسه وأكثرهم بماليك السلطان فاذا وصل السلطان الى باب المصلى وقف على بابه وأمر بدخول القضاة وكبار الامراء وكبار الاعزة ثم نزل السلطان ويصلى الامام ويخطب فان كان عيد الاضحى أتى السلطان بجمل فخره برج يسمى بونه النيرة (بكسر النون وفتح الزاي) بعد ان يجعل على ثيابه فوطة حرير توقى من الدم ثم يركب الفيل ويعود الى قصره

* (ذكر جأوسه يوم العيد وذكر السرير الاعظم والمبجزة العظمى) *

ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأبدع الزينة وتضرب البارة على المشور كله وهى شبه خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخام كثيرة وتحفها القباب من كل ناحية ويصنع شبه أشجار من حرير ملون فيها شبه الازهار ويجعل منها ثلاثة صفوف بالمشور ويجعل بين كل شجرتين كرسي ذهب عليه مرتبة مغطاة وينصب السرير الاعظم في صدر المشور وهو من الذهب الخالص كله مرصع القوائم بالجواهر وطوله ثلاثة وعشرون شهرا وعرضه نحو النصف من ذلك وهو منفصل وتجمع قطعه فتصل وكل قطعة منه يجملها جملة رجال لثقل الذهب وتجعل فوقه المرتبة ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان وعندما يصعد على السرير ينادى الجباب والنقباء بأصوات عالية بسم الله ثم يتقدم الناس للسلام فأولهم القضاة والخطباء والعلماء والشرفاء والمشايخ واخوة السلطان وأقاربه وأصهاره ثم الاعزة ثم الوزير ثم أمراء العساكر ثم شيوخ الماليك ثم كبار الاجناد يسلم واحد اثر واحد من غير تراحم ولا تدافع ومن عوائدهم في يوم العيد ان كل من بيده قرية منعم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقىها في طست ذهب هنالك فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء فاذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم وينصب في ذلك اليوم المبجزة العظمى وهى شبه برج من خالص الذهب منفصلة فاذا أرادوا اتصالها وصلوها وتجمل القطعة الواحدة منها جملة من الرجال وفي داخلها ثلاثة بيوت يدخل فيها المخرون يوقدون العود القمارى والتقاقل والعنبر الاشهب والجأوى حتى يعم دخانها المشور كله ويكون بأيدي الفتيان براميل الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا وهذا السرير وهذه المبجزة لا يخرجان الا في العيدين خاصة ويجلس السلطان في بقية أيام العيد على سرير ذهب دون ذلك وتنصب باركة بعيدة لها ثلاثة أبواب يجلس السلطان في داخلها ويقف على الباب الاول منها عماد الملك سرتيز

وعلى الباب الثاني الملك نكببة وعلى الباب الثالث يوسف بغرة ويقف على اليمين امرأه
المماليك السلحدارية وعن اليسار كذلك ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة ملك طنجي
بيده عصي ذهب ويبدنائبه عصي فضة يرتبان الناس ويسويان الصفوف ويقف الوزير
والكتاب خلفه ويقف الحجاب والنقباء ثم يأتي أهل الطرب فأولهم بنات الملوك الكفار
من الهنود المسيبات في تلك السنة فيغنين ويرقصن ويههين السلطان للامراء والاعزة ثم يأتي
بعدهن سائر بنات الكفار فيغنين ويرقصن ويههين لآخوانه وأقاربه واصهاره وأبناء
الملوك ويكون جلوس السلطان لذلك بعد العصر ثم يجلس في اليوم الذي بعده بعد العصر
أيضا على ذلك الترتيب ويؤتى بالمغنيات فيغنين ويرقصن ويههين لامراء المماليك وفي اليوم
الثالث زوج أقاربه وينعم عليهم وفي اليوم الرابع يعتق العبيد وفي اليوم الخامس يعتق
الجواري وفي اليوم السادس زوج العبيد بالجواري وفي اليوم السابع يعطى الصدقات
ويكثر منها

﴿ذكر ترتيبه اذا قدم من سفره﴾

واذا قدم السلطان من أسفاره زينت الفيلة ورفعت على ستة عشر فيلامنها ستة عشر شطرا
منها من ركش ومنها من صر وجملت امامه العاشية وهي الستارة المربعة بالجواهر النفيس
وتصنع قباب من الخشب مقسومة على طبقات وتكسى بثياب الحرير ويكون في كل طبقة
الجواري المغنيات عليهم أجمل لباس وأحسن حلية ومنهم رواقص ويحصل في وسط كل
قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملوء بماء الجلاب محلول بالماء يشرب منه جميع الناس
من وارد وصادر وبلدي أو غريب وكل من يشرب منه يعطى التنبول والفوقل ويكون ما بين
القباب مفروش بثياب الحرير يطأ عليهم امراء كرم السلطان وتزين حيطان الشارع الذي
يمر به من باب المدينة الى باب القصر بثياب الحرير ويمشي امامه المشاة من عبيدهم وهم آلاف
وتكون الافواج والعساكر خلفه ورأيته في بعض قدماته على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو
أربع من الرعادات الصغار على الفيلة ترمي بالدنانير والدرهم على الناس فيلتهقونهم من
حين دخوله الى المدينة حتى وصل الى قصره

﴿ذكر ترتيب الطعام الخاص﴾

والطعام بدار السلطان على صنفين طعام الخاص وطعام العام فأما الخاص فهو طعام
السلطان الذي يأكل منه وعادته أن يأكل في مجلسه مع الحاضرين ويحضر لذلك الامراء
الخواص وأمير حاجب ابن عم السلطان وعماد الملك سرتيز وأمير مجلس ومن شاء السلطان
تشريفه أو تكميمه من الاعزة أو كبار الامراء دعاه فأكل معهم وربما أراد ايضا تشریف

أحدهم الحاضر ين فأخذ أحدي الصحاف بيده وجعل عليه خبزته ويعطيه إياها قياً أخذها المعطى و يجعلها على كفه اليسرى ويخدم بيده اليمنى إلى الأرض وربما عث من ذلك الطعام إلى من هو غائب عن المجلس فيخدم كما يصنع الحاضر ويأكله مع من حضره وقد حضرت مرات لهذا الطعام الخاص فرأيت جملة الذين يحضرون له نحو عشرين رجلاً

* (ذكر ترتيب الطعام العام) *

وأما الطعام العام فيؤتى به من المطبخ وإمامه النقيب يصيحون بسم الله ونقيب النقباء إمامهم بيده عمود ذهب ونائبه معه بيده عمود فضة فإذا دخلوا من الباب الرابع وسمع من بالمشور أصواتهم قاموا قياً ما أجمعين ولا يبقى أحد قاعداً إلا السلطان وحده فإذا وضع الطعام بالأرض اصطف النقباء صفواً وقف أميرهم إمامهم وتكلم بكلام يمدح فيه السلطان ويثنى عليه ثم يخدم ويخدم النقباء لخدمته ويخدم جميع من بالمشور من كبير وصغير وعادتهم أنه من سمع كلام نقيب النقباء حين ذلك وقف أن كان ماشياً ولزم موقفه أن كان واقفاً ولا يتحرك أحد ولا يترشح عن مقامه حتى يفرغ ذلك الكلام ثم يتكلم أيضاً نائبه كلاماً نحو ذلك ويخدم ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية وحينئذ يجلسون ويكتب كتاب الباب معترفين بحضور الطعام وإن كان السلطان قد علم بحضوره ويعطى المكتوب لضيفي من أبناء الملوكة موكل بذلك فيأتي به إلى السلطان فإذا قرأه عين من شاء من كبار الأمور ألتزيب الناس واطاعهم وطعامهم الرقاق والشواء والأقراص ذات الجوانب الملوقة بالحلواء والارز والدجاج والسمك وقد ذكرنا ذلك وفسرنا ترتيبه وعادتهم أن يكون في صدر سماء الطعام القضاة والخطباء والفقهاء والشرفاء والمشايخ ثم أقارب السلطان ثم الأمراء الكبار ثم سائر الناس ولا يقعد أحد إلا في موضع معين له فلا يكون بينهم تراحم البتة فإذا جلسوا إلى الشربدارية وهم السقاة بأيديهم أو إلى الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوءة بالنبات المحلول بالماء فيشربون ذلك قبل الطعام فإذا شربوا قال الجباب بسم الله ثم يشربون في الأكل ويجعل إمام كل إنسان من جميع ما يحتوي عليه السماء يأكل منه وحده ولا يأكل أحد مع أحد في صحفة واحدة فإذا فرغوا من الأكل أنوا بالفضة في أكواز القصدير فإذا أخذوه قال الجباب بسم الله ثم يؤتى بالطباق التنبول والفوفل فيعطى كل إنسان غرقة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من التنبول مجموعة من بوطه بخيط حرير أحمر فإذا أخذ الناس التنبول قال الجباب بسم الله فيقومون جميعاً ويخدم الأمير المعين للطعام ويخدمون لخدمته ثم ينصرفون وطعامهم ستان في اليوم أحدهما قبل الظهر والاخرى بعد العصر

* (ذكر بعض أخباره في الجود والكرم) *

وانما أذكر منها ما حضرته وشاهدته وعاينته ويعلم الله تعالى صدق ما أقول وكفى به شهيداً مع ان الذي أحكيه مستفيض متواتر والبلاذلي تقرب من أرض الهند كاليمين وخراسان وفارس ملوثة بأخباره يعلمون حقيقة ولا سيما جوده على الغرباء فانه يفضلهم على أهل الهند ويؤثرهم ويجزل لهم الاحسان ويسبغ عليهم الانعام ويوليهم الخطط الرقيقة ويوليهم المواهب العظيمة ومن احسانه اليهم ان سماهم الإغزة ومنع من ان يدعوا الغرباء وقال ان الانسان اذا دعى غربياً انكسر خاطره وتغير حاله وسأذكر بعضاً مما لا يحصى من عطاياه الجزيلة ومواهبه ان شاء الله تعالى

* (ذكر عطائه لشهاب الدين الكازروني التاجر وحكايته) *

كان شهاب الدين هذا صديقاً لملك التجار الكازروني الملقب بيرويز وكان السلطان قد أقطع ملك التجار مدينة كنباية ووعده ان يوليه الوزارة فبعث الى صديقه شهاب الدين ليقدم عليه فاتاه وأعطاه هدية للسلطان وهي سراجة من الملف المقطوع المزين بورقة الذهب وصيوان مما يناسبها وخباء وتابع وخيلاء راحة كل ذلك من الملف المزين وبغال كثيرة فلما قدم شهاب الدين بهذه الهدية على صاحبه ملك التجار وجدته أخذ في القجوم على الحضرة بما اجتمع عنده من مجاني بلاده وبهدية للسلطان وعلم الوزير خواجه جهان بما وعد به السلطان من ولاية الوزارة فغار من ذلك وقلق بسببه وكانت بلاد كنباية والجزرات قبل تلك المدة في ولاية الوزير ولاهها تعلق بجانبه وانقطاع اليه وتخدم له وأكثروا كفار وبعضهم عصاة يمتنعون بالجبال قدس الوزير اليهم ان يضربوا على ملك التجار اذا خرج الى الحضرة فلما خرج بالخزائن والاموال ومعه شهاب الدين بهديته نزلوا يوماً عند الضحى على عادتهم وتفرقت العساكر ونام أكثروا فضرب عليهم الكفار في جمع عظيم فقتلوا ملك التجار وسلبوا الاموال والخزائن وهدية شهاب الدين ونجا هو بنفسه وكتب المخبرون الى السلطان بذلك فأمر ان يعطى شهاب الدين من مجبى بلاده ثلاثين ألف دينار ويعود الى بلاده فعرض عليه ذلك فأبى من قبوله وقال ما قصدى الا رؤية السلطان وتقبيل الارض بين يديه فكتبوا الى السلطان بذلك فأعجبه قوله وأمر بوضوئه الى الحضرة مكرماً وصافى يوم دخوله على السلطان يوم دخوله ونحن عليه نخلع علينا جميعاً وأمر بانزائنا واعطى شهاب الدين عطاء جزلاً فلما كان بعد ذلك أمر الى السلطان بستة آلاف تنسكه كما سئله وسأل في ذلك اليوم عن شهاب الدين ابن هو فقال له بهاء الدين ابن الفلكي يا خوند عالم غنيد انم مغناه ما تدرى ثم قال له شنيدم زجت داره (دارد) معناه سمعت ان به مرضاً

فقال

فقال له السلطان بروهمين زمان درخانه يك لك تنكه زر بكرى اويش اوبى تادل اوخش (خوش) شود معناه امش الساعة الى الخزانه وخذ منها مائة ألف تنكه من الذهب واجملها اليه حتى يبقى خاطره طيبا ففعل ذلك فأعطاها ياها وأمر السلطان أن يشتري بها ما أحب من السلع الهندية ولا يشتري أحد من الناس شيئا حتى يتجهز هو وأمر له بثلاثة مراكب محفزة من آلاتها ومن مرتب البحرية وزادهم ليسافر فيها فصاروا ينزلون بجزيرة هرمز وبنى بهادارا عظمة رأيته بعد ذلك ورأيت أيضا شهاب الدين وقد فني جميع ما كان عنده وهو بشيراز يستجدي سلطانها أبا اسحاق وهكذا مال هذه البلاد الهندية فلما يخرج أحدهم منها الا النادر وإذا خرج به ووصل الى غيرها من البلاد بعث الله عليه آفة تفسد ما بيده كمثل ما اتفق لشهاب الدين هذا فانه أخذله في الفتنة التي كانت بين ملك هرمز وابنى أخيه جميع ما عنده وخرج سليمان ماله

(ذكر عطائه لشيخ الشيوخ ركن الدين)

وكان السلطان قد بعث هدية الى الخليفة بديار مصر أبى العباس وطلب منه ان يبعث له أمر التقدمة على بلاد الهند والسند اعتقادا منه في الخلافة فبعث اليه الخليفة أبوا العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين فلما قدم عليه بالغ في اكرامه واعطاه عطاء جزلا وكان يقوم له متى دخل عليه ويعظمه ثم صرفه واعطاه أموالا طائلة وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها كل ذلك من الذهب الخالص وقال له اذا نزلت من البحر فاعمل افراسك بها فتوجه الى كنباية ليركب البحر منها الى بلاد اليمن ف وقعت قضية خروج القاضي جلال الدين وأخذ مال ابن الكولى فأخذ أيضا ما كان لشيخ الشيوخ وقرن نفسه مع ابن الكولى الى السلطان فلما رآه السلطان قال له مما زحاما مدى كزر (كد زر) برى باد كرى (دلرباى) صنم خرى زرنبرى وسرنهى معناه جئت لتحمل الذهب تأكله مع الصور الحسان فلا تحمل ذهباً ورأسك تخليه ها هنا قال له ذلك على معنى الانبساط ثم قال له اجمع خاطرك فهما أناسا ثرا الى المخالفين وأعطيك اضعاف ما أخذوك وبلغنى بعد الانفصال عن بلاد الهند انه وفى له بما وعده واخلف له جميع ما ضاع منه وانه وصل بذلك الى ديار مصر

(ذكر عطائه للواعظ الترمذى ناصر الدين)

وكان هذا الفقيه الواعظ قد قدم على السلطان وأقام تحت احسانه مدة عام ثم أحب الرجوع الى وطنه فأذن له في ذلك ولم يكن سمع كلامه ووعظه فلما خرج السلطان يقصد بلاد المعبر أحب سماعه قبل انصرافه فأمر أن يهيأ له منبر من الصندل الابيض المقاصرى وجعلت مساميره وصفائح من الذهب وألصق باعلاه حجر يا قوت عظيم وخلع على

ناصر الدين خلعة عباسية سوداء مذهب مرصعة بالجواهر وعمامة مثلها ونصب له المنبر بداخل السراجة وهي افراج وقعد السلطان على سريره والخواص عن يمينه ويساره وأخذ القضاة والفقهاء والأمراء مجالسهم فخطب خطبة بليغة ووعظ وذكر ولم يكن فيما فعله طائل لكن سعادته ساعدته فلما نزل عن المنبر قام السلطان اليه وعانقه وأركبه على فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه وكنت في جملة من أتى السراجة ضربت له مقابلة سراجة السلطان جميعها من الحرير الملون وصيوانها من الخمر وخبائرها أيضا كذلك فجلس وجلسنا معه وكان بجانب من السراجة أواني الذهب التي أعطاها السلطان أياها وذلك تنوير كبير بحيث يسع في جوفه الرجل القاعد وقدران اثنان وصحاف لأذكر عدددها وجملة أكواز وركوة وتميسندة ومائدة لها أربعة أرجل ومحمل للكتب كل ذلك من ذهب خالص ورفع عماد الدين السمناني وتدين من أوتاد السراجة أحدهما نحاس والآخر مقصدر يوههم بذلك أنهما من ذهب وفضة ولم يكونا إلا كما ذكرنا وقد كان أعطاه حين قدومه مائة ألف دينار دراهم ومئين من العبيد سرح بعضهم وجل بعضهم

﴿ ذكر عطائه لعبد العزيز (الاردوبلي) ﴾

وكان عبد العزيز هذا فقيها محمداً ثاقراً أبدمشق على تقي الدين ابن تيمية وبرهان الدين ابن البرك وجمال الدين المزني وشمس الدين الذهبي وغيرهم ثم قدم على السلطان فاحسن اليه واكرمه واتفق يوما أنه سرد عليه أحاديث في فضل العباس وابنه رضى الله عنهما وشيئا من ماثر الخلفاء أولادهم فأعجب ذلك السلطان لحبه في بني العباس وقبل قدمي الفقيه وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها ألفا تنكه فصبها عليه بيده وقال هي لك مع الصينية وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم

﴿ ذكر عطائه لشمس الدين الاندكاني ﴾

وكان الفقيه شمس الدين الاندكاني حكيما شاعرا مطبوعا فدح السلطان بقصيدة باللسان الفارسي وكان عدداً بياتها سبعة وعشرين بيتاً فأعطاها لكل بيت منها ألف دينار دراهم وهذا أعظم ما يحكى عن المتقدمين الذين كانوا يعطون على بيت شعر ألف درهم وهو عشر عطاء السلطان

﴿ ذكر عطائه لعضد الدين الشونكارى ﴾

وكان عضد الدين فقيهاً اماماً فاضلاً كبير القدر عظيم الصيت شهيراً الذكربلاده فبلغت السلطان أخبره وسمع بما ثره فبعث اليه الى بلده شونكار عشرة آلاف دينار دراهم ولم يره قط ولا وفده عليه

﴿

﴿ذكر عطائه للقاضي محمد الدين﴾

ولما بلغه أيضا خبر القاضي العالم الصالح ذي الكرامة الشهيرة محمد الدين قاضي شيراز الذي سطرنا أخباره في السفر الأول وسيطر بعض خبره بعد هذا أيضا بعث إليه إلى مدينة شيراز صاحب الشحنة الشيخ زاده الدمشقي عشرة آلاف دينار دراهم

﴿ذكر عطائه لبرهان الدين الصاغري﴾

وكان برهان الدين أحد الوعاظ الأئمة كثير الإيثار باذلا لما يملكه حتى أنه كثيرا ما يأخذ الديون ويؤثر على الناس فبلغ خبره إلى السلطان فبعث إليه أربعين ألف دينار وطلب منه أن يصل إلى حضرته فقبل الدنانير وقضى دينه منها وتوجه إلى بلاد الخطا وأبى أن يصل إليه وقال لا أمضي إلى سلطان يقف العلماء بين يديه

﴿ذكر عطائه لحاجي كاون وحكايته﴾

وكان حاجي كاون ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق وكان أخوه موسى ملكا ببعض بلاد العراق فوفد حاجي كاون على السلطان فأكرم مثواه وأعطاه العطاء الجزل ورأيت أنه يوما وقد أتى الوزير خواجه جهان بهديته وكان منها ثلاث صينيّات أحدها مملوءة بواقيت والآخرى مملوءة زمرد والآخرى مملوءة جواهرًا وكان حاجي كاون حاضرا فأعطاه من ذلك حظا جزيلا ثم أنه أعطاه أيضا مالا عريضا ومضى يريد العراق فوجد أخاه قد توفي وولى مكانه سليمان خان فطلب أرث أخيه وادعى الملك وبايعته العساكر وقصد بلاد فارس ونزل بمدينة شونكةارة التي بها الإمام عضد الدين الذي تقدّم ذكره أنفا فلما نزل بخارجها تأخر شيئا وخها عن الخروج إليه ساعة ثم خرجوا فقال لهم ما منعكم عن تعجيل الخروج إلى مبايعتنا فاعتذروا له فلم يقبل منهم وقال لأهل سلاحه قلع بخار (حقار) معناه جرّدوا السيوف فجرّدوها وضربوا أعناقهم وكانوا جماعة كبيرة فسمع من يجاور هذه المدينة من الأمراء بما فعله فغضبوا لذلك وكتبوا إلى شمس الدين السمناني وهو من الأمراء الفقهاء الكبار فاعلموه بما جرى على أهل شونكةارة وطلبوا منه الإعانة على قتاله فتجرّد في عساكره واجتمع أهل البلاد طالبين بشأ من قتله حاجي كاون من المشايخ وضربوا على عسكره ليلا فهزموه وكان هو بقصر المدينة فأحاطوا به فاختموا في بيت الطهارة فعثروا عليه وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان خان وفرّقوا أعضاءه على البلاد تشفيا منه

﴿ذكر قدوم ابن الخليفة عليه وأخباره﴾

وكان الأمير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادى قد وفد على السلطان علاء الدين طر مشيرين ملك ما وراء النهر

فاكرمه وأعطاه الزاوية التي على قبر قثم بن العباس رضى الله عنهما واستوطن بها عواما ثم
 لما سمع بمحبة السلطان في بنى العباس وقيامه بدعوتهم - ثم أحب القدوم عليه وبعث له برسولين
 أحدهما صاحبه القديم محمد بن أبى الشرفى الحر باوى والثانى محمد الحمدانى الصوفى فقدموا
 على السلطان وكان ناصر الدين الترمذى الذى تقدم ذكره قد لقي غياث الدين ببغداد
 وشهد لديه البغداديون بحجة نسبه فشمدهم وهو عند السلطان بذلك فلما وصل رسولا هانى
 السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار وبعث معهما ثلاثين ألف دينار الى غياث الدين
 ليتزود بها اليه وكتب له كتابا بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه فلما وصله الكتاب
 رحل اليه فلما وصل الى بلاد السند وكتب المخبرون بتقدمه بعث السلطان من يستقبله على
 العادة ثم لما وصل الى سرسنى بعث أيضا لاستقباله صدر الجهان قاضى القضاة كمال الدين
 الغزنوى وجماعة من الفقهاء ثم بعث الامراء لاستقباله فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة
 خرج السلطان بنفسه لاستقباله فلما التقيا تراجل غياث الدين فترجل له السلطان وخدم
 فقدم له السلطان وكان قد استصحب هدية في جملتها ثياب فأخذ السلطان أحدا لثواب وجعله
 على كتفه وخدم كما يفعل الناس معه ثم قدمت الخيل فأخذ السلطان أحدها بيده وقدمه له
 وحلف أن يركب وأمسك بركابه حتى ركب ثم ركب السلطان وسائره والشطر يظلهما معا
 وأخذ التنبول بيده وأعطاه اياه وهذا أعظم ما أكرمه به فانه لا يفعله مع أحد وقال له لولا
 انى بايعت الخليفة أبا العباس لبايعتك فقال له غياث الدين وأنا أيضا على تلك البيعة وقال له
 غياث الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما من أحيى أرضا مواتا فهي له وأنت
 أحييتها فجاء به السلطان بالطف جواب وابرءه ولما وصل الى السراجة المعتمدة لنزول السلطان
 انزله فيها وضرب للسلطان غيرها وبات تلك الليلة بخاوج الحضرة فلما كان بالغد دخل الى دار
 الملك وانزله بالمدينة المعروفة بسيرى وبادار الخلافة أيضا فى القصر الذى بناه علاء الدين
 الخلجى وابنه قطب الدين وأمر السلطان جميع الامراء أن يمضوا معه اليه وأعد له فيه جميع
 ما يحتاج اليه من الاواني الذهب والفضة حتى كان من جملتها مغتسل يغتسل فيه من ذهب
 وبعث له أربع مائة ألف دينار لغسل رأسه على العادة وبعث له جملة من اثنتين والخم
 والجوارى وعين له عن نفقته فى كل يوم ثلاث مائة دينار وبعث له زيادة اليها عدد من
 الموأند بالطعام الخاص وأعطاه جميع مدينة سيرى اقطاعا وجميع ما احتوت عليه من
 الدور وما يتصل بها من بساتين المخزن وأرضه وأعطاه مائة قرية وأعطاه حكم البلاد الشرقية
 المضافة لدهلى وأعطاه ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ويكون علفها من المخزن وأمره أن لا
 ينزل عن دابته اذا أتى دار السلطان الا فى موضع خاص لا يدخله أحدا ركاسوى السلطان

وأمر الناس جميعاً من كبير وصغير أن يخدموا له كما يخدمون للسلطان وإذا دخل على السلطان ينزل له عن سريره وإن كان على الكرسي قام قائماً وخدم كل واحد منهم صاحبه ويجلس مع السلطان على بساط واحد وإذا قام السلطان لقيامه وخدم كل واحد منهم وإذا انصرف إلى خارج المجلس جعل له بساط يقعد عليه ما شاء ثم ينصرف يفعل هذا مرتين في اليوم

﴿حكاية من تعظيها إياه﴾

وفي أثناء مقامه بدهلى قدم الوزير من بلاد بنجالة فأمر السلطان كبار الأمراء أن يخرجوا إلى استقباله ثم خرج بنفسه إلى استقباله وعظماة تعظيماً كثيراً وصنعت القباب بالمدينة كما تصنع للسلطان إذا قدم وخرج بن الخليفة للاقائه أيضاً والفقهاء والقضاة والأعيان فلما عاد السلطان لتحصره قال للوزير امض إلى دار المخدوم زاده وبذلك يدعوه ومعنى ذلك ابن المخدوم فسار الوزير إليه وأهدى له الفتي تنكة من الذهب وأثواباً كثيرة وحضر الأمير قبولة وغيره من كبار الأمراء وحضرت أنا كذلك

﴿حكاية نحوها﴾

وفد على السلطان ملك غزنة المسمى بهرام وكان بينه وبين ابن الخليفة عداوة قديمة فأمر السلطان بانزاله ببعض دور مدينة سيرى التي لابن الخليفة وأمر أن يبنى له بهادر فبلغ ذلك ابن الخليفة فغضب منه ومضى إلى دار السلطان فجلس على البساط الذي عادة الجلوس عليه وبعث عن الوزير فقال له سلم عن خوند عالم وقل له إن جميع ما أعطانيه هو بمنزلي لم أنصرف في شئ منه بل زاد عندي ونما وأنا لا أقيم معكم وقام وأنصرف فسأل الوزير بعض أصحابه عن سبب هذا فاعلم أن سببه أمر السلطان ببناء الدار الملك غزنة في مدينة سيرى فدخل الوزير على السلطان فاعلمه بذلك فركب من حينه في عشرة من ناسه وأتى ابن الخليفة فاستأذن له ونزل عن فرسه خارج القصر حيث نزل الناس فتلقاه واعتذر له فقبل عذره وقال له السلطان والله ما أعلم أنك راض عني حتى تضع قدمك على عنقي فقال له هذا ما لا أفعله ولو قتلت فقال له السلطان وحق رأسي لا بد لك من ذلك ثم وضع رأسه في الأرض وأخذ الملك الكبير قبولة رجل ابن الخليفة بيده فوضعهما على عنق السلطان ثم قام وقال الآن علمت أنك راض عني وطاب قلبي وهذه حكاية غريبة لم يسمع بمثلهما عن ملك ولقد حضرته يوم عيد وقد جاءه الملك الكبير بثلاث خلع من عند السلطان مفرجة قد جعل مكان عقد الحرير التي تعلق بها حبات جوهر قدر البندق الكبير وأقام الملك الكبير باباه حتى نزل من قصره فكسداً ياها والذي أعطاه وما لا يحصره العدو ولا يحيط به الحسد وابن الخليفة مع ذلك كله أبخل خلق الله تعالى وله في البخل أخبار عجيبة يحب منها سامعها وكأنه كان من البخل بمنزلة السلطان من الكرم ولذا ذكر بعض أخباره في ذلك

* (حكاية من بخل ابن الخليفة) *

وكانت يدي وبينه مودّة وكنت كثير التردد الى منزله وعنده تركت ولدا الى سميته أحمد لما سافرت ولا أدري ما فعل الله بهما فقلت له يوما لم تأكل وحده ولا تجمع أصحابك على الطعام فقال لي لا أستطيع أن أنظر اليهم على كثرتهم وهم يأكلون طعامي فكان يأكل وحده ويعطى صاحبه محمد بن أبي الشرفي من الطعام لمن أحب ويتصرف في باقيه وكنت أتردد اليه فأرى دهليز قصره الذي يسكن به مظلم لا سراج به ورأيت به مرارا يجمع الاعداء والصغار من الحطب بداخل بستانه وقد ملأ منها مخازن فكلمته في ذلك فقال لي يحتاج اليها وكان يخدم أصحابه ومما اليه وفتيانه في خدمة البستان وبنائه ويقول لا أرضى أن يأكلوا طعامي وهم لا يخدمون وكان علي مرة دين فطلبت به فقال لي في بعض الايام والله لقد هممت ان أؤدى عنك دينك فلم تسمح نفسي بذلك ولا ساعدتني عليه

* (حكاية) *

حدثني مرة قال خرجت عن بغداد وأنا رابع أربعة أحدهم محمد بن أبي الشرفي صاحبه ونحن على أقدامنا ولا زاد عندنا فتناسا على عين ما ببعض القرى فوجدنا أحدهما في العين درهما فقلنا وما نصنع بدرهم فاتفقنا على أن نشترى به خبزا فبعثنا أحدهما لشرائه فأبى الخباز بتلك القرية أن يبيع الخبز وحده وانما يبيع خبزا بغير اط وتبنا بغير اط فاشتري منه الخبز والتبن فطرحنا التبن اذ لا دابة لنا تأكله وقسمنا الخبز لقمة لقمة وقد انتهت حالي اليوم الى ما تراه فقلت له ينبغي لك أن تحمد الله على ما أولاك وتؤثر على الفقراء والمساكين وتمصدق فقال لا أستطيع ذلك ولم أره قط يجود بشيء ولا يفعل معروفا ونعود بالله من الشبح

* (حكاية) *

كنت يوما ببغداد بعد عودتي من بلاد الهند وأنا قاعد على باب المدرسة المستنصرية التي بناها جده أمير المؤمنين المستنصر رضى الله عنه فرأيت شابا ضعيف الحال يشتد خلف رجل خارج عن المدرسة فقال لي بعض الطلبة هذا الشاب الذي تراه هو ابن الأمير محمد حفيد الخليفة المستنصر الذي ببلاد الهند فدعوته فقلت له اني قدمت من بلاد الهند وانى أعرفك بخبر أبيك فقال قد جاءني خبره في هذه الايام ومضى يشتد خلف الرجل فسألت عن الرجل فقيل لي هو الناظر في الحبس وهذا الشاب هو امام بعض المساجد وله على ذلك أجرة درهم واحد في اليوم وهو يطلب أجرته من الرجل فطال عجبى منه والله لو بعث اليه جوهرة من الجواهر التي في الخلع الواصلة اليه من السلطان لا غناه بها ونعود بالله من مثل هذه الحال

﴿ذكر ما أعطاه السلطان لالامير سيف الدين غدا بن هبة الله بن مهني أمير عرب الشام﴾
ولما قدم هذا الامير على السلطان أكرم مشواه وانزله بقصر السلطان جلال الدين داخل
مدينة دهلي ويعرف بكشك لعل معناه القصر الأحمر وهو قصر عظيم فيه مشور كبير جسداً
ودهليز هائل على بابة قبة تشرف على هذا المشور وعلى المشور الثاني الذي يدخل منه الى
القصر وكان السلطان جلال الدين يقعد بها وتلعب الكركي بين يديه في هذا المشور وقد دخلت
هذا القصر عند نزوله به فرأيتهم مملوءاً أثاثاً وفرشاً وبسطاً وغيرها وذلك كله ممتزق لا منتفع
فيه فان عادتهم بالهند أن يتركوا قصر السلطان اذا مات بجميع ما فيه لا يتعرضون له ويبني
المتولى بعده قصر لنفسه ولما دخلته طفت به وصعدت الى أعلاه فكانت لي فيه عبرة نشأت
عنها عبرة وكان معي الفقيه الطيب الاديب جمال الدين المغربي الغرناطي الاصل الجبائي
المولد مستوطن بلاد الهند قدمها مع أبيه وله بها أولاد فأشددني عندما عايناه (خفيف)
وسلاطينهم سل الطين عنهم ﴿فالرؤوس العظام صارت عظاما

وبهذا القصر كانت وليمة عرسه كما نذكره وكان السلطان شديد المحبة في العرب مؤثر لهم
معترفاً بفضائلهم فلما وصله هذا الامير أجرى له العطاء وأحسن اليه احساناً عظيماً واعطاه مرة
وقد قدمت عليه هدية أعظم ملك الباي يدي من بلاد من كپور أحد عشر فرساً من عتاق
الخيول وأعطاه مرة أخرى عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة عليها اللجم المذهبة
ثم رزوه بعد ذلك بأخته فيروز خوند

﴿ذكر تزوج الالامير سيف الدين بأخت السلطان﴾

ولما أمر السلطان بتزويج أخته لالامير غدا عين للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح الله
المعروف بشونويس (بشين مجسم مفتوح وواوين أو لهما مسكن والاخر مكسور بينهما نون
وآخره سين مهملة) وعينني للملازمة الالامير غدا والكون معه في تلك الايام فأقى الملك فتح الله
بالصيوانات فظل بها المشورين بالقصر الأحمر المذكور وضرب في كل واحد منهما قبة ضخمة
جسداً وفرش ذلك بالفرش الحسان وأتى شمس الدين التبريزي أمير المطربين ومعه الرجال
المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن عماليك السلطان وأحضر الطبّاخين والخبازين
والشوّائين والحلوّانيين والشربدارية والتنبول داران وذبحت الانعام والطيور وأقاموا
يطعمون الناس خمسة عشر يوماً يحضر الامراء الكبار والاعزة ليلاً ونهاراً فلما كان قبل
ليلة الزفاف بلياليتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلاً الى هذا القصر فزينه وفرّشه بأحسن
الفرش واستحضرن الالامير سيف الدين وكان عربيّاً غريباً لا قرابة له ففطن به واجلسه على
مرتبة معينة له وكان السلطان قد أمر ان تكون ربيته أم أخيه مبارك خان مقام أم الالامير

غدا وان تكون امرأة أخرى من الخواتين دة قام أخته وأخرى مقام عمته وأخرى مقام خالته حتى يكون كأنه بين أهله ولما أجلسنه على المرتبة جعلن له الخناء في يديه ورجليه وأقام باقيهن على رأسه يغنين ويرقصن وانصرفن الى قصر الزفاف وأقام هو مع خواص أصحابه وعين السلطان جماعة من الامراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة وعادتهم ان تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به جلوسها على زوجها ويأتى الزوج بجماعته فلا يدخلون الا ان غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير ان لم يقدروا عليهم ولما كان بعد المغرب أتى اليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة من صعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونهما عليها من الجوهر وبشاشية مثل ذلك ولم أر قط خلعة أجمل من هذه الخلعة وقد رأيت ما خلعه السلطان على سائر أصحابه مثل ابن ملك الملوكة عماد الدين السمناني وابن ملك العلماء وابن شيخ الاسلام وابن صدر جهان البخاري فلم يكن فيها مثل هذه ثم ركب الامير سيف الدين في أصحابه وعبيده وفي يد كل واحد منهم عصي قد أعدها وصنعوا شبه اكليل من الياقوت والنسرين وريبول وله رفرف يغطي وجه المتكلم به وصدره وأتوا به الامير ليحمله على رأسه فأبى من ذلك وكان من عرب الپادية لا عهد له بأمر الملك والحضر فخاولته وحلفت عليه حتى جعله على رأسه وأتى باب الصرف ويسمونه باب الحرم وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم بأصحابه حملة عربية وصرعوا كل من عارضهم فغلبوا عليهم ولم يكن لجماعة الزوجة من ثبات وبلغ ذلك السلطان فأعجبه فعله ودخل الى المشور وقد جعلت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج من صرصع بالجواهر والمشور ملآن بالنساء والمطربات قد أحضرن أنواع الآلات المطربة وكلهن وقوف على قدم اجلال له وتعظيما فدخل بفرسه حتى قرب من المنبر فنزل وخدم عند أول درجة منه وقامت العروس قائمة حتى صعد فأعطته التنبول بيدها فأخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها ونثرت دنانير الذهب على رؤوس الحاضرين من أصحابه ولقطتها النساء والمغنيات يغنين حينئذ والاطبال والابواق والانفار تضرب خارج الباب ثم قام الامير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه فركب فرسه يطأ به الفرش والبسط ونثرت الدنانير عليه وعلى أصحابه وجعلت العروس في محفة وجلها العبيد على أعناقهم الى قصره والخواتين بين يديها رابكات وغيرهن من النساء ماشيات واذ امر وابدأ أميراً وكبير خرج اليهم ونثر عليهم الدنانير والدرهم على قدر همتهم حتى أوصلوها الى قصره ولما كان بالغد بعث العروس الى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدرهم وأعطى السلطان لكل واحد منهم فرسا مسرجا ملجما وبذرة دراهم من ألف دينار الى مائتي دينار وأعطى الملك فتح الله للخواتين ثياب الحرير المتنوعة

والبدر وكذلك لاهل الطرب وعادتهم يسلا دلهند أن لا يعطى أحد شيئا لاهل الطرب انما يعطيهم صاحب العرس وأطعم الناس جميعا ذلك اليوم وانقضى العرس وأمر السلطان أن يعطى الامير غدا بلاد المالوة والجزات وكنباية ونهر والة وجعل فتح الله المذكور نائباً عنه عليها وعظمه تعظيم شديد او كان عربيا جافيا فلم يقدّر ذلك وغلب عليه جفاء البادية فأذاه ذلك الى التكبى بعد عشرين ليلة من زفافه

*(ذكر سجن الامير غدا) *

ولما كان بعد عشرين يوما من زفافه اتفق انه وصل الى دار السلطان فأراد الدخول فمنعه أمير البرد (البرده) دارية وهم الخواص من البوابين فلم يسمع منه وأراد التقم فامسك البواب بدبوقته وهى الضفيرة ورده فضر به الامير بعصى كانت هنالك حتى أدماه وكان هذا المضروب من كبار الامراء يعرف أبوه بقاضى غزنة وهو من ذرية السلطان محمود بن سبكتكين والسلطان يخاطبه بالاب ويخاطب اياه بهذا الاخ فدخل على السلطان والدم على ثيابه فأخبره بما صنع الامير غدا فذكر السلطان هنيئة ثم قال له القاضى يفصل بينكما وتلك جريمة لا يغفرها السلطان لاحد من ناسه ولا بد من الموت عليها وانما احتمله لغر بته وكان القاضى كمال الدين بالمشور فأمر السلطان الملك تتر أن يقف معهما عند القاضى وكان نتر حاجا مجاورا يحسن العربية فحضر معهما وقال للامير أنت ضربته أو قل لا تعصد أن يعلمه الحجة وكان سيف الدين جاهلا مغترا فقال نعم انا ضربته وأتى والد المضروب فرام الاصلاح بينهما فلم يقبل سيف الدين فأمر القاضى بسجنه تلك الليلة فوالله ما بعثت له زوجته فراشا ينام عليه ولا سألت عنه خوفا من السلطان وخاف أصحابه فودعوا أموالهم وأردت زيارته بالسجن فلقيني بعض الامراء وفهم عنى انى أريد زيارته فقال لى أو نسيت وذكرنى بقضية اتفقت لى فى زيارة الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجسام وكيف أراد السلطان قتلى على ذلك حسبما يقع ذكره فرجعت ولم أزره وتخلص الامير غدا عند الظهر من سجنه فأظهر السلطان اهماله واضرب عا كان أمر له بولايته وأراد نفيه وكان للسلطان صهر يسمى بنغيث ابن ملك الملوك وكانت أخت السلطان تشكوه لاهيها الى أن ماتت فذكر جوارها انها ماتت بسبب قهره لها وكان فى نسبه مغزف كتب السلطان بخطه يجلى اللقيط يعنيه ثم كتب ويجلى موش خوار معناه آكل الفئران يعنى بذلك الامير غدا لان عرب البادية يأكلون اليربوع وهو شبه الفأر وأمر باخراجهما فجاءه النقباء ليخرجوه فأراد دخول داره ووداع أهله فترادف النقباء فى طلبه فخرج بايكا وتوجهت حين ذلك الى دار السلطان فبت بها فسألنى عن مبيتى بعض الامراء فقلت له جئت لاتكلم فى الامير سيف الدين حتى يرد ولا ينفى فقال لا يكون ذلك

فقلت له والله لا يتن بدار السلطان ولو بلغ مبيتي مائة ليلة حتى يرد فبلغ ذلك السلطان فأمر برده وأمره ان يكون في خدمة الامير ملك قبولة اللاهورى فأقام أربعة أعوام في خدمته يركب لركوبه ويسافر لسفره حتى تأدب وتم ذب ثم أعاده السلطان الى ما كان عليه أولا واقطعه البلاد و قدّمه على العساكر ورفع قدره

(ذكر تزويج السلطان بنتى وزيره لابنى خداوندزاده قوام الدين الذى قدم معنائه عليه)
ولما قدم خداوندزاده أعطاه السلطان عطاء جزلا وأحسن اليه احسانا عظيما وبالغ في اكرامه ثم تزوج ولديه فى بنتى الوزير خواجه جهان وكان الوزير اذ ذاك غائبا فأتى السلطان الى داره ليلا وحضر عقد النكاح كأنه نائب عن الوزير ووقف حتى قرأ قاضى القضاة الصداق والقضاة والامراء والمشايخ قعود وأخذ السلطان بيده الاثواب والبدر فجعلها بين يدى القاضى وولدى خداوندزاده وقام الامراء وابوا أن يجعل السلطان ذلك بين أيديهم بنفسه فأمرهم بالجلوس وأمر بعض كبار الامراء أن يقوم مقامه وانصرف
(حكاية فى تواضع السلطان وانصافه)*

ادعى عليه رجل من كبار الهند انه قتل أخاه من غير موجب ودعا الى القاضى فضى على قدميه ولا سلاح معه الى مجلس القاضى فسلم وخدم وكان قد أمر القاضى قبل ذلك انه اذا جاءه الى مجلسه فلا يقوم له ولا يتحرك فصعد الى المجلس ووقف بين يدى القاضى فحكم عليه أن يرضى خصمه من دم أخيه فأرضاه

(حكاية مثلها)

وادعى على السلطان مرة رجل من المسلمين انه قتل له حقا ماليا ففتح صمما فى ذلك عند القاضى فتوجه الحكم على السلطان بأعطاء المال فأعطاه
(حكاية مثلها)*

وادعى عليه صبي من أبناء الملوكة انه ضربه من غير موجب ورفع الى القاضى فتوجه الحكم عليه بأن يرضيه بالمال ان قبل ذلك والا أمكنه من القصاص فشا هدته يومئذ وقد عاد للمجلس واستحضر الصبي وأعطاه عصى وقال له وحق رأسى لتضربنى كما ضربتك فأخذ الصبي العصى وضربه بها احدى وعشرين ضربة حتى رأيت الكلاء (الكلاء) قد طارت عن رأسه

(ذكر اشتداده فى إقامة الصلاة)

وكان السلطان شديدا فى إقامة الصلاة أمر بالازمته فى الجماعات يعاقب على تركها أشد العقاب ولقد قتل فى يوم واحد تسعة نفر على تركها كان أحدهم مغنيا وكان يبعث الرجال

الموكلين

الموكلين بذلك الى الاسواق فمن وجد بها عند اقامة الصلاة عوقب حتى انتهى الى عقاب
الستائريين الذين يمسكون دواب الخدم على باب المشور اذا ضيعوا الصلاة وأمر ان يطلب
الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة وشروط الاسلام فكانوا يسألون عن ذلك فمن لم يحسنه
عوقب وصار الناس يتدارسون ذلك بالمشور والاسواق ويكتبونه

﴿ ذكر اشتداده في اقامة أحكام الشرع ﴾

وكان شديد في اقامة الشرع ومما فعل في ذلك ان أمر أخاه مبارك خان ان يكون قعوده بالمشور
مع قاضي القضاة كمال الدين في قبة مرتفعة هنالك مفرشة بالبسط وللقاضي بها مرتبة
تحف بها الخاد كمرتبة السلطان ويقعد أخو السلطان عن يمينه فمن كان عليه حق من كبار
الامراء وامتنع من ادائه لصاحبه يحضره رجال أخى السلطان عند القاضي لينصف منه
﴿ ذكر رفعه للغارم والمظالم وقعوده لانصاف المظلومين ﴾

ولما كان في سنة احدى وأربعين أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده وأن لا يؤخذ
من الناس الا الزكاة والعشر خاصة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس
برحبة امام المشور ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم الا أمير حاجب وخاص حاجب وسيد الحجاب
وشرف الحجاب لا غير ولا يمنع أحد من أراد الشكوى من الوقوف بين يديه وعين أربعة من
كبار الامراء يجلسون في الابواب الاربع من المشور لاخذ القصص من المشتكين والرابع
منهم هو ابن عمه ملك فيروز فان أخذ صاحب الباب الاول الرفع من الشاكى فحسن والاأخذه
الثاني أو الثالث أو الرابع وان لم يأخذه منه مضى به الى صدر الجهان قاضي الماليك
فان أخذه منه والاشكى الى السلطان فان صح عنده انه مضى به الى أحد منهم فلم يأخذه
منه اذبه وكل ما يجتمع من القصص في سائر الايام يطالع به السلطان بعد العشاء الآخرة
﴿ ذكر اطعامه في الغلاء ﴾

ولما استولى النقط على بلاد الهند والسند واشتد الغلاء حتى بلغ من الفتح الى ستة دنائير أمر
السلطان أن يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر من المخزن بحساب رطل ونصف من
ارطال المغرب لكل انسان في اليوم صغير أو كبير حراً وعبد وخرج الفقهاء والقضاة يكتبون
الازمة بأهل الحارات ويحضرون الناس ويعطى لكل واحد دعوة ستة أشهر بقتات بها
﴿ ذكر فركات هذا السلطان وما تنقم من أفعاله ﴾

وكان على ما قدمنا من تواضعه وانصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير
التجاسر على اراقة الدماء لا يخافوا به عن مقتول الا في النادر وكنت كثيراً ما أرى الناس
يقتلون على بابيه ويطر حون هنالك ولقد جئت يوماً فنفرت في الفرس ونظرت الى قطعة بيضاء

في الارض فقلت ماهذه فقال بعض أصحابي هي صدر رجل قطع ثلاث قطع وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ولا يحترم أحدا من أهل العلم والصلاح والشرف وفي كل يوم يرد على المشور من المسلمين والمغاولين والمقيمين مئتون فن كان للقتل قتل أولل عذاب عذب أولل ضرب ضرب وعادته أن يؤتى كل يوم بجميع من في سجنه من الناس الى المشور ما عدى يوم الجمعة فانهم لا يخرجون فيه وهو يرميهم را حتم يتنظفون فيه ويستريحون أعاذنا الله من البلاء

(ذكر قتله لاختيه)

وكان له أخ اسمه مسعود خان وأمه بنت السلطان علاء الدين وكان من أجل صورة رأيته في الدنيا فاتهمه بالقيام عليه وسأله عن ذلك فأقر خوفا من العذاب فانه من أنكر ما يدعيه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب فيرى الناس ان القتل أهون عليهم من العذاب فأمر به فحزبت عنقه في وسط السوق وبقي مطروحا هنالك ثلاثة أيام على عادتهم وكانت أم هذا المقتول قد رجعت في ذلك الموضع قبل ذلك بستتين لا عتراه بها بالزنا فوجهها القاضي كمال الدين

(ذكر قتله لثلاثمائة وخمسين رجلا في ساعة واحدة)

وكان مرة عين حصه من العسكر تتوجه مع الملك يوسف بغرة الى قتال الكفار ببعض الجبال المتصلة بحوزدهلى فخرج يوسف وخرج معه معظم العسكر وتخلف قوم منهم فكتب يوسف الى السلطان يعلمه بذلك فأمر أن يطاف بالمدينة ويقبض على من وجد من أولئك المتخلفين ففعل ذلك وقبض على ثلاثمائة وخمسين منهم فأمر بقتلهم أجمعين فقتلوا

(ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله)

وكان الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام الخراساني الذي تنسب مدينة لجام بخراسان الى جدّه حسبا قصصنا ذلك من كبار المشايخ الصالحاء الفضلاء وكان يواصل أربعة عشر يوما وكان السلطانان قطب الدين وتغلق يعظمانه ويزوران به ويتبركان به فلما ولى السلطان محمد أراد أن يخدم الشيخ في بعض خدمته فان عادته أن يخدم الفقهاء والمشايخ والصالحاء محتجا ان الصدر الاول رضى الله عنهم لم يكونوا يستعملون إلا أهل العلم والصلاح فامتنع الشيخ شهاب الدين من الخدمة وشافهه السلطان بذلك في مجلسه العام فأظهر الالبابة والامتناع فغضب السلطان من ذلك وأمر الشيخ الفقيه المعظم ضياء الدين السمناني أن ينتفح لحيته فأبى ضياء الدين من ذلك وقال لا أفعل هذا فأمر السلطان بئنفح لحيته كل واحد منهم ما فتفت ونفى ضياء الدين الى بلاد التلنك ثم ولاه بعد مدة قضاء ورثكل فمات بها ونفى شهاب الدين الى دولة آباد

فأقام

فأقام بها سبعة أعوام ثم بعث عنه فأكرمه وعظمه وجعله على ديوان المستخرج وهو ديوان بقايا العمال يستخرج جهامهم - ثم بالضرب والتذكيل ثم زاد في تعظيمه وأمر الأمراء أن يأتوا للسلام عليه ويمتثلوا أقواله ولم يكن أحد في دار السلطان فوقه ولما انتقل السلطان إلى السكنى على نهر الكنك وبني هنالك القصر المعروف بـسرك دوار معناه شبيه الجنة وأمر الناس بالبناء هنالك طلب منه الشيخ شهاب الدين أن يأذن له في الإقامة بالحضرة نأذن له إلى أرض موات على مسافة ستة أميال من دهلي فحفر بها كهفا كبيرا صنع في جوفه البيوت والمخازن والفرن والحمام وجلب الماء من نهر جون وعمر تلك الأرض وجعل ما لا كثير من مستغلها لأنها كانت السنون قاحطة وأقام هنالك عامين ونصف عام مدة مغيب السلطان وكان عبيده يخدمون تلك الأرض نهارا ويدخلون الغار ليلا ويستدونه على أنفسهم وانعامهم خوفا من سراق الكفار لأنهم في جبل منيع هنالك ولما عاد السلطان إلى حضرة استقباله الشيخ وأقيه على سبعة أميال منها فعظمه السلطان وعانقه عند لقائه وعاد إلى غاره ثم بعث عنه بعد أيام فامتنع من إتيانه فبعث إليه مخلص الملك النذر باري وكان من كبراء الملوك فتلطف له في القول وحذره بطش السلطان فقال له لا أخدم ظالما أبدا فعاد مخلص الملك إلى السلطان فأخبره بذلك فأمر أن يأتي به فأتى به فقال له أنت القائل أني ظالم فقال نعم أنت ظالم ومن ظلمك كذا وكذا وعدد أمور منها تخريبه لمدينة دهلي وإخراجه أهلها فأخذ السلطان سيفه ودفعه لصدر الجهان وقال ثبت هذا إلى ظالم واقطع عنقي بهذا السيف فقال له شهاب الدين ومن يريد أن يشهد بذلك فيقتل ولكن أنت تعرف ظلم نفسك وأمر بتسليمه للملك نكبته رأس الدويدارية فقيده بأربعة قيود وغسل يديه وأقام كذلك أربعة عشر يوما مواسلا لا يأكل ولا يشرب وفي كل يوم منها يؤتى به إلى المشور وجميع الفقهاء والمشايخ ويقولون له ارجع عن قولك فيقول لا أرجع عنه وأريد أن أكون في زمرة الشهداء فلما كان اليوم الرابع عشر بعث إليه السلطان بطعام مع مخلص الملك فأبى أن يأكل وقال قد رفع رزقي من الأرض ارجع بطعامك إليه فلما أخبر بذلك السلطان أمر عند ذلك أن يطعم الشيخ خمسة أ斯塔ر (أستار) من العذرة وهي رطلان ونصف من أرطال المغرب فأخذ ذلك الموكلون بمثل هذه الأمور وهم طائفة من كفار الهند فذودوه على ظهره وفتحوا فيه بالكلبتين وحلوا العذرة بالماء وسقوه ذلك وفي اليوم بعده أتى به إلى دار القاضى صدر الجهان وجميع الفقهاء والمشايخ ووجوه الاعزة فوعظوه وطلبوا منه أن يرجع عن قوله فأبى ذلك فضربت عنقه رحمه الله تعالى

﴿ذكر قتله للفقيه المدرسي عفيف الدين الكاساني وفقهين معه﴾
 وكان السلطان في سنى القحط قد أمر بجفر آبار خارج دار الملك وأن يزرع هنالك زرع واعطى
 الناس البذر وما يلزم على الزراعة من النفقة وكلفهم زرع ذلك للمخزن فبلغ ذلك الفقيه عفيف
 الدين فقال هذا الزرع لا يحصل المراد منه فوشى به الى السلطان فسجنه وقال له لاى شئ
 تدخل نفسك فى أمور الملك ثم انه سرحه بعد مدة فذهب الى داره ولقيه فى طريقه اليها
 صاحبان له من الفقهاء فقالا له الحمد لله على خلاصك فقال الفقيه الحمد لله الذى نجانا من
 القوم الظالمين وتفرقوا فلم يصابوا الى دورهم حتى بلغ ذلك السلطان فأمر بهم فاحضر ثلاثهم
 بين يديه فقال اذهبوا بهذا عني عفيف الدين فاضربوا عنقه جمائل وهو ان يقطع الرأس
 مع الذراع وبعض الصدر واضربوا أعناق الآخرين فقالا له أما هو فيستحق العقاب
 بقوله وأما نحن فبأى جريمة تقتلنا فقال لهما انكما سمعتما كلامه فلم تذكراه فكأنكما
 وانقما عليه فقتلوا جميعا رحمهم الله تعالى

﴿ذكر قتله أيضا لفقيهين من أهل السند كانا فى خدمته﴾
 وأمر السلطان هذين الفقيهين السنديين ان يمضيا مع أمير عينه الى بعض البلاد وقال لهما
 انما سلئت أحوال البلاد والرعية لكم ويكون هذا الامير معكما يتصرف بما تأمرانه به فقالا له
 انما نكون كالشاهدين عليه ونبين له وجه الحق ليتبعه فقال لهما انما قصدكما ان تأكلا
 أموالى وتضيعاها وتنسب ذلك الى هذا التركى الذى لا معرفة له فقالا له حاشا لله يا خوند عالم
 ما قصدنا هذا فقال لهما لم تقصدا غير هذا اذهبوا بهما الى الشيخ زاده النهاوندى وهو الموكل
 بالعذاب فذهب بهما اليه فقال لهما السلطان يريد قتلكما فأقرأهما قولكما اياه ولا تعذبا
 أنفسكما فقالا والله ما قصدنا الا ما ذكرنا فقال لهما بانيته ذو قوهما بعض شئ يعنى من العذاب
 فبطحا على أقفائهما وجعل على صدر كل واحد منهما صفيحة حديد محجمة ثم قلعت بعد هنيهة
 فذهب بلحم صدرهما ثم أخذ البول والزما د فجعل على تلك الجراحات فأقرأ على أنفسهما
 انهما لم يقصدا الا ما قاله السلطان وانهما مجرمان مستحقان للقتل فلا حق لهما ولا دعوى
 فى دماهما مادنيا ولا أخرى وكتب بخطهما بذلك واعترف بهما عند القاضى فسجل على العقد
 وكتب فيه ان اعترافهما كان عن غيرا كراه ولا اجبار ولو قالوا كرهنا العذاب أشد العذاب
 ورأيا ان تجبيل ضرب العنق خير لهما من الموت بالعذاب الاليم فقتلهم لارحمهم الله تعالى

﴿ذكر قتله للشيخ هود﴾

وكان الشيخ زاده المسمى بهود حفيد الشيخ الصالح الولى ركن الدين بن بهاء الدين بن أبى زكرياء
 المملتانى وجده الشيخ ركن الدين معظما عند السلطان وكذلك أخوه عماد الدين الذى كان

شبهها بالسلطان وقتل يوم وقية كشلوخان وسنذكره ولما قتل عماد الدين أعطى السلطان
 لآخيه ركن الدين مائة قرية لياً كل منها ويطعم الصادر والوارد براويته فتوفي الشيخ ركن الدين
 وأوصى بمكانه من الزاوية لحفيده الشيخ هود ونازعه في ذلك ابن أخى الشيخ ركن الدين وقال أنا
 أحق بميراث عمى فقدماعلى السلطان وهو بدولة آباد وبينما وبين ملتان ثمانون يوماً فاعطى
 السلطان المشيخة لهود حسبما أوصى له الشيخ وكان كـهـ لا وكان ابن أخى الشيخ فتى واكرمه
 السلطان وأمر بتضييقه في كل منزل يخلد وان يخرج الى لقائه أهل كل بلد يمر به الى ملتان
 وتصنع له فيه دعوة فلما وصل الامر للحضرة خرج الفقهاء والقضاة والمشايخ والاعيان
 للقائه وكنت فيمن خرج اليه فتلقيناه وهو براكب في دولة يجلها الرجال وخيله مجنوبة فسلمنا
 عليه وأكرت أنا ما كان من فعله في ركوب الدولة وقلت انما كان ينبغي له أن يركب الفرس
 ويسير من خرج للقائه من القضاة والمشايخ فبلغه كلامي فركب الفرس واعتذر بان فعله
 أولاً كان بسبب ألم منعه عن ركوب الفرس ودخل الحضرة وصنعت له بهاد دعوة أنفق فيها
 من مال السلطان عدداً كثيراً وحضر القضاة والمشايخ والفقهاء والاعزة ومد السباط وأنوا
 بالطعام على العادة ثم أعطيت الدراهم لكل من حضر على قدر استحقاقه فأعطى قاضى
 القضاة خمسة دنانير وأعطيت أنا مائتين وخمسين ديناراً وهذه عادة لهم في الدعوة السلطانية
 ثم انصرف الشيخ هود الى بلده ومعه الشيخ نور الدين الشيرازى بعثه السلطان ليجلسه على سجادة
 جده براويته ويصنع له الدعوة من مال السلطان هنالك واستقر براويته وأقام بها اعواماً ثم
 ان عماد الملك أمير بلاد السند كتب الى السلطان يذكر ان الشيخ وقرابته يشتغلون بجمع
 الاموال وانفاقها في الشهوات ولا يطعمون أحداً بالزاوية فنفذ الامر بطالبهم بالاموال
 فطلبهم عماد الملك بها وسجن بعضهم وضرب بعضاً وصار يأخذ منهم كل يوم عشرين ألف
 دينار مدة أيام حتى استخلص ما كان عندهم ووجد لهم كثير من الاموال والذخائر من جملتها
 نعلان مرصعان بالجواهر والياقوت بعبا بسبعة آلاف دينار قيل انهم ما كانوا يبتدئون
 هود وقيل لسرية له فلما اشتد الحال على الشيخ هرب يريد بلاد الاتراك فقبض عليه وكتب
 عماد الملك بذلك الى السلطان فأمره أن يبعثه ويبعث الذى قبض عليه كلاهما في حكم
 الثغاف فلما وصل اليه سرح الذى قبض عليه وقال للشيخ هود أين أردت ان تغرفا عتذر بعذر
 فقال له السلطان انما أردت ان تذهب الى الاتراك فتقول أنا ابن الشيخ بهاء الدين زكرياء
 وقد فعل السلطان معي كذا وتأتى بهم لقتالنا اضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى

* (ذكر سجنه لابن تاج العارفين وقتله لا ولاده) *

وكان الشيخ الصالح شمس الدين ابن تاج العارفين ساجداً بدينه كمال منقطعاً للعبادة كبير

القدر ودخل السلطان الى مدينة كول فبعث عنه فلما يأتته فذهب السلطان اليه ثم لما قارب منزله انصرف ولم يرد واتفق بعد ذلك ان أميراً من الأمراء خالف على السلطان ببعض الجهات وبايعه الناس فنقل السلطان انه وقع ذكر هذا الأمير يجلس الشيخ شمس الدين فأثنى عليه وقال انه يصلح للملك فبعث السلطان بعض الأمراء الى الشيخ فقيده وقيده أولاده وقيده قاضي كول ومحتسبها لانه ذكر انهما كانا حاضرين للجلس الذي وقع فيه ثناء الشيخ على الأمير المخالف وأمر بهم فسيجنوا جميعاً بعد ان سمل عيني القاضي وعيني المحتسب ومات الشيخ بالسجن وكان القاضي والمحتسب يخرجان مع بعض السجناء فيسألان الناس ثم يردان الى السجن وكان قد بلغ السلطان ان أولاد الشيخ كانوا يخاطبون كفار الهندود وعصاتهم ويصحبونهم فلما مات أبوهم أخرجهم من السجن وقال لهم لا تعودوا إلا ما كنتم تفعلون فقالوا له وما فعلنا فاعتناظ من ذلك وأمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ثم استحضر القاضي المذكور فقال أخبرني بمن كان يرى رأى هؤلاء الذين قتلوا ويفعل مثل أفعالهم فأملى أسماء رجال كثيرين من كفار البلد فلما عرض ما أملاه على السلطان قال هذا يجب أن يخرب البلد اضربوا عنقه فضربت عنقه رحمه الله تعالى

(ذكر قتله للشيخ الحيدري)*

وكان الشيخ على الحيدري ساكناً بمدينة كنباية من ساحل الهند وهو عظيم القدر شهير الذكربعيد النصيت ينذر له التجار بالبحر النذور الكثيرة واذ أقدموا بدواً بالسلام عليه وكان يكشف بأحوالهم ووربما نذر أحدهم النذرون ولم عليه فاذا أتى الشيخ للسلام عليه اعلمه بما نذرله وأمر بالوفاء به واتفق له ذلك مرات واشتهر به فلما خالف القاضي جلال الافغانى وقبيلته بتلك الجهات بلغ السلطان ان الشيخ الحيدري دعا للقاضي جلال واعطاه شاشيته من رأسه وذكر أيضاً انه بايعه فلما خرج السلطان اليهم بنفسه وانهم زعم القاضي جلال خلف السلطان شرف الملك أمير تخت أحد الواقدين معنائه بكنباية وأمره بالبحث عن أهل الخلاف وجعل معه فقهاء يحكم بقولهم فاحضر الشيخ على الحيدري بين يديه وثبت انه أعطى للقائم شاشيته ودعاه فكموا بقتله فلما ضربه السيف لم يفعل شيئاً وعجب الناس لذلك وظنوا انه يعفى عنه بسبب ذلك فأمر سيفاً آخر بضرب عنقه فضربهم رحمه الله تعالى

(ذكر قتله لطوغان وأخيه)*

وكان طوغان الفرغانى وأخوه من كبار أهل مدينة فرغانة فوفدا على السلطان فأحسن اليهما وأعطاهما عطاء جزيلاً واقاما عنده مدة فلما طال مقامهما أراد الرجوع الى بلادهما واولا الفرار فوشى بهما أحد أصحابهما الى السلطان فأمر به وتوسطهما فوسطا واعطى للذي وشى بهما جميع مالهما وكذلك عادتهم بتلك البلاد اذا وشى أحداً بآخر وثبت ما وشى به فقتل اعطى ماله

*)

﴿ ذكر قتله لابن ملك التجار ﴾

وكان ابن ملك التجار شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه فلما وقع خلاف بين الملك وقيامه وقتاله للسلطان كما سـنذكر غلب على ابن ملك التجار هذا فكان في جلته مهقهوراً فلما هزم عين الملك وقبض عليه وعلى أصحابه كان من جلته هم ابن ملك التجار وظهره ابن قطب الملك فأمر به ما فعلوا من أيديهم ما في خشب وأمر أبناء الملوك فرموها بالنشاب حتى ماتا ولما ماتا قال الحاجب خواجه أمير على التبريزي القاضي القضاة كمال الدين ذلك الشاب لم يجب عليه القتل فبلغ ذلك السلطان فقال هلاقت هذا قبل موته وأمر به فضرب مائتي مفرجة أو نحوها وسخن وأعطى جميع ماله لأمير السيفين فرأيتهم في ثاني ذلك اليوم قد لبس ثيابه وجعل قلنسوته على رأسه وركب فرسه فظننت أنه هو وأقام بالسجن شهراً ثم سرحه وردّه إلى ما كان عليه ثم غضب عليه ثانية ونفاه إلى خراسان فاستقر بهراة وكتب إليه يستعطفه فوقع له على ظهر كتابه أكر يا رآمدى باز (أى) معناه ان كنت تبت فارجع فرجع إليه

﴿ ذكر ضربه لخطيب الخطباء حتى مات ﴾

وكان قدولى خطيب الخطباء بدھلى النظر في خزانة الجواهر في السفر فاتفق ان جاء سراق الكفار ليلاً فضرّبوا على تلك الخزانة وذهبوا بشئ منها فأمر بضرب الخطيب حتى مات رحمه الله تعالى

﴿ ذكر تخريبه لدھلى ونفى أهلها وقتل الاعمى والمقعد ﴾

ومن أعظم ما كان ينقم على السلطان اجلاؤه لاهل دھلى عنها وسبب ذلك انهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه ويختتمون عليها ويكتبون عليها وحقوق رأس خوند عالم ما يقرأها غيره ويرمون بها بالمشور ليلاً فاذا فاضها وجد فيها شتمه وسبه فعزم على تخريب دھلى واشترى من أهلها جميعاً دبرهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها وأمرهم بالانتقال عنها إلى دولة آباد فأبوا ذلك فنأدى مناديه ان لا يبقى بها أحد بعد ثلاث فانتقل معظمهم واختفى بعضهم في الدور فأمر بالبحث عن بقى بها فوجد عبيده بازتهار جلين أحدهما مقعد والآخر أعمى فأناوبهما فأمر بالمقعد فرمى به في المنجنيق وأمر أن يجبر الأعمى من دھلى إلى دولة آباد مسيرة أربعين يوماً فتمزق في الطريق ووصل منه رجسله ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعاً وتركوا أنقاعهم وأمتعهم وبقيت المدينة خاوية على عروشها فحدثني من اثنى به قال صعد السلطان ليلة إلى سطح قصره فنظر إلى دھلى وليس بها نار ولا دخان ولا سراج فقال الآن طاب قلبى وتهتن خاطرى ثم كتب إلى أهل البلاد أن ينتقلوا إلى دھلى ليعمروها فحربت بلادهم ولم

تعمر ذهلي لا تساعها وضحامتها وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا إليها خالية ليس بها الا قليل من عمارة وقد ذكرنا كثيرا من مآثر هذا السلطان ومما نقيم عليه أيضا فلنذكر جلامن الوقائع والحوادث الكائنة في أيامه

(ذكر ما افتتح به أمره أوّل ولايته من منه على بهادر بوره)

ولما ولي السلطان الملك بعد أبيه وبايعه الناس أحضر السلطان غياث الدين بهادر بوره الذي كان أسره السلطان تغلق فن عليه وفك قيوده وأحل له العطاء من الاموال والخييل والفيلة وصرفه الى مملكته وبعث معه ابن أخيه ابراهيم خان وعاهدده على ان تكون تلك المملكة مشاطرة بينهما وتكتب أسماءهما في السكة ويخطب لهما وعلى أن يصرف غياث الدين ابنه محمد المعروف ببرباط يكون رهينة عند السلطان فانصرف غياث الدين الى مملكته والتزم ما شرط عليه الا انه لم يبعث ابنه وادّعى انه امتنع وأساء الادب في كلامه فبعث السلطان العساكر الى ابن أخيه ابراهيم خان وأميرهم دلجلى التترى فقتلوا غياث الدين فقتلوه وسلخوا جلده وحشى بالتبن وطيف به على البلاد

(ذكر ثورة ابن عمته وما اتصل بذلك)

وكان للسلطان تغلق ابن أخت يسمى بهاء الدين كشتاسب (بضم الكاف وسكون الشين المعجم وتاء معلوة) واسب (بالسين المهمل والباء الموحدة مسكنين) فجعله أميراً لبعض النواحي فلما مات خاله امتنع من بيعته ابنه وكان شجاعاً بطلاً فبعث السلطان اليه العساكر فيهم الامراء الكبار مثل الملك مجير والوزير خواجه جهان أمير على الجميع فالتقى الفرسان واشتد القتال وصبر كلا العسكرين ثم كانت الكرة لعسكر السلطان ففر بهاء الدين الى ملك من ملوك الكفار يعرف بالراى كنبيلة والراى عندهم كمثل ما هو بلسان الروم عبارة عن السلطان وكنبيلة اسم الاقليم الذى هو به وهو (بفتح الكاف وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء ولا م مفتوح) وهذا الراى له بلاد في جبال منيعة وهو من أكابر سلاطين الكفار فلما هرب اليه بهاء الدين اتبعته عساكر السلطان وحصروا تلك البلاد واشتد الامر على الكافر وذهبا عنده من الزرع وخاف أن يؤخذ باليد فقال لبهاء الدين ان الحال قد بلغت لما تراه وأنا عاجز على هلاك نفسي وعيالى ومن تبعنى فاذهب أنت الى السلطان فلان لسلطان من الكفار سمى له فأقم عنده فانه سيمنعك وبعث معه من أوصله اليه وأمر راى كنبيلة بنار عظيمة فأحجّت وأحرق فيها أمتعته وقال لنسائه وبناته انى أريد قتل نفسي فن أرادت موافقتى فلتفعل فكانت المرأة منهن تغتسل وتدهن بالصندل المقاصرى وتقبل الارض بين يديه وترعى بنفسها فى النار حتى هلك جميعا وفعل مثل ذلك نساء أمرائه ووزرائه وأرباب

دولته ومن اراد من سائر النساء ثم اغتسل الراى واذهن بالصندل ولبس السلاح ما عدى
الدرع وفعل كفعله من اراد الموت معه من ناسه وخرجوا الى عسكر السلطان فقاتلوا حتى
قتلوا جميعا ودخلت المدينة فأسر أهلها وأسروا من أولاد راى كنبيلة أحد عشر ولدا فأتى بهم
السلطان فأسلموا جميعا وجعلهم السلطان أمراء وعظمهم لاصاتهم ولفعلى أيهم فرأيت
عنده منهم نصرا وبختيار والمهر دار وهو صاحب الخاتم الذى يختم به على الماء الذى يشرب
السلطان منه وكنيته أبو مسلم وكانت بينى وبينه صبية ومودة ولما قتل راى كنبيلة توجهت
عسا كرا السلطان الى بلد الكفار الذى لجأ اليه بهاء الدين وأحاطوا به فقال ذلك السلطان
أنال أقدر على أن أفعل ما فعله راى كنبيلة فقبض على بهاء الدين وأسلمه الى عسكر السلطان
فقيده وغلوه واتوا به اليه فلما أتى به اليه أمر بادرخاله الى قرابته من النساء فشتته وبصقن في
وجهه وأمر بسلخه وهو بقيد الحياة فسلخ وطبخ لحمه مع الارز وبعث لا ولاده وأهله وجعل
باقية في صحفة وطرح للفقيلة لتأكله فابتاكله وأمر بجلده فحشى بالثبن وقرن بجلدها دور
بوره وطيّف بهما على البلاد فلما وصل الى بلاد السند وأمير أمراءهم أيوه نذ كشاو خان صاحب
السلطان تغلق ومعينه على أخذ الملك وكان السلطان يعظمه ويخاطبه بالعم ويخرج لاستقباله
اذا وفد من بلاده أمر كشاو خان بدفن الجليدين فبلغ ذلك السلطان فشق عليه فعله وأراد
الفتك به

* (ذكر ثورة كشاو خان وقتله) *

ولما اتصل بالسلطان ما كان من فعله في دفن الجليدين بعث عنه وعلم كشاو خان انه يريد
عقابه فامتنع وخالف وأعطى الاموال وجع العسا كرو بعث الى الترك والافغان وأهل
خراسان فأتاه منهم العدد الجم حتى كافأ عسكره عسكر السلطان أو أربى عليه كثرة وخرج
السلطان بنفسه لقتاله فكان اللقاء على مسيرة يومين من ملتان بصحراء أبوهو وأخذ السلطان
بالحزم عند لقائه فجعل تحت الشطر عوضا منه الشيخ عماد الدين شقيق الشيخ ركن الدين
الملتانى وهو حدثى هذا وكان شبيهه باله فلما حى القتال انفرد السلطان فى أربعة آلاف من
عسكره وقصد عسكر كشاو خان قصد الشطر معتقدين ان السلطان تحته فقتلوا عماد الدين وشاع
فى العساكر ان السلطان قتل فاشتغلت عسا كرا كشاو خان بالتهب وتفرقوا عنه ولم يبق معه
الا القليل فقصد السلطان بمن معه فقتله وجزر رأسه وعلم بذلك جيشه فغتر واودخل السلطان
مدينة ملتان وقبض على قاضيه كريم الدين وأمر بسلخه فسلخ وأمر برأس كشاو خان فعلق
على بابه وقد رأيته معلقا لما وصلت الى ملتان وأعطى السلطان للشيخ ركن الدين أخى عماد
الدين ولابنه صدر الدين مائة قرية انعاما عليهم لياكلوا منها ويطمعوا براؤيتهم المأسوبة

لجدهم بهاء الدين زكريا وأمر السلطان وزيره خواجه جهان ان يذهب الى مدينة كمال
پوروهى مدينة كبيرة على ساحل البحر وكان أهلها قد خالفوا فأخبرنى بعض الفقهاء انه حضر
دخول الوزير اياها قال واحضر بين يديه القاضى بها والخطيب فأمر بسلخ جلودهما فقلا لاله
أقتلنا بغير ذلك فقال لهما بجم استوجبتما القتل فقالا بمخالفتنا أمر السلطان فقال لهما فكيف
أخالف أنا أمره وقد أمرنى ان أقتلكما بهذه القتل وقال للتولين لسلخهما أحفر والهما حفرا
تحت وجوههما ينفسان فيها فانهم اذا سلخوا والعياذ بالله يطرحون على وجوههم ولما فعل
ذلك تمهدت بلاد السند وعاد السلطان الى حضرته

* (ذكر الواقعة بجبل قراچيل على جيش السلطان) *

(وأول اسمه قاف وجيم معقودة) وجبل قراچيل هذا جبل كبير يتصل مسيرة ثلاثة أشهر وبينه
وبين دهلى مسيرة عشر وسلطانه من أكبر سلاطين الكفار وكان السلطان بعث ملكا نكبية
رأس الدويدارية الى حرب هذا الجبل ومعه مائة ألف فارس ورجالة سواهم كثير فلك مدينة
جديّة (وضبطها بكسر الجيم وسكون الدال المهمل وفتح الياء آخر الحروف) وهى أسفل الجبل
وملك ما يليها وسبى وخرب وأحرق وفر الكفار الى أعلى الجبل وتركوا بلادهم وأموالهم وخزائن
ملكهم وللجبل طريق واحد وعن أسفل منه وادو فوقه الجبل فلا يجوز فيه الا فارس منفرد
خلفه آخر فصعدت عساكر المسلمين على ذلك الطريق وتملكوا مدينة ورنكل التى بأعلى الجبل
(وضبطها بفتح الواو والراء وسكون النون وفتح الكاف) واحتوا على ما فيها وكتبوا الى
السلطان بالفتح فبعث اليهم قاضيا وخطيبا وأمرهم بالاقامة فلما كان وقت نزول المطر غلب
المرض على العسكر وضعفوا وماتت الخيل وانحلت القسي فكتب الامر الى السلطان
واستأذنه فى الخروج عن الجبل والنزول الى أسفله بخلال ما ينصرم فصل نزول المطر
فيعودون فأذن لهم فى ذلك فأخذ الامير نكبية الاموال التى استولى عليها من الخزائن
والمعادن وفرقها على الناس ليرفعوها ويوصلوها الى أسفل الجبل فعندما علم الكفار
بخروجهم تعدوا لهم بتلك المهاوى وأخذوا عليهم المضيق وصاروا يقطعون الاشجار العادية
قطعوا ويطرحونها من أعلى الجبل فلا تمربأ حد الى أهلاكته فهلك كثير من الناس وأسر
الباقون منهم وأخذ الكفار الاموال والامتعة والخيل والسلاح ولم يفلت من العسكر الا ثلاثة
من الامراء كبيرهم نكبية وبدر الدين الملك دولة شاه وثالث لهما لا أذكره وهذه الواقعة أثرت
فى جيش الهند أثرا كبيرا واضعفتهم ضعفا بينا وصالح السلطان بعدها أهل الجبل على مال
يؤدونه اليه لان لهم البلاد أسفل الجبل ولا قدرة لهم على عمارتها الا باذنه

* (ذ كر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر وما اتصل بذلك من قتل ابن أخت الوزير) *
 وكان السلطان قد أمر على بلاد المعبر وبينها وبين دهلي مسيرة ستة أشهر الشريف جلال الدين
 أحسن شاه فحالف وأدعى الملك لنفسه وقتل نواب السلطان وعماله وضرب الدنانير والدراهم
 باسمه وكان يكتب في إحدى صفحات الدينار رسالة طه ويس أبو الفقراء والمساكين جلال
 الدنيا والدين وفي الصفحة الأخرى الواثق بتأييد الرحمان أحسن شاه السلطان وخرج السلطان
 لما سمع بشورته يريد قتاله فنزل بموضع يقال له كشك زرمعناد قصر الذهب وأقام به ثمانية أيام
 لقضاء حوائج الناس وفي تلك الأيام أتى ابن أخت الوزير خواجه جهان وأربعة من الأمراء
 أو ثلاثة وهم مقيدون مغلولون وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور في مقدمته فوصل إلى
 مدينة ظهار وهي على مسيرة أربع وعشرين من دهلي وأقام بها أياما وكان ابن أخته شجاعا
 بطلا فاتفق مع الأسراء الذين أتى بهم على قتل خاله والمهروب بما عنده من الخزانة والاموال إلى
 الشريف القائم ببلاد المعبر وعزموا على الفتح بالوزير عند خروجه إلى صلاة الجمعة فوشى بهم
 أحد من أدخلوه في أمرهم إلى الوزير وكان يسمى الملك نصرة الحاجب وأخبر الوزير أن آية
 ماير ومونه لبسمهم الدروع تحت ثيابهم فبعث الوزير عنهم فوجدهم كذلك فبعث بهم إلى
 السلطان وكنت بين يدي السلطان حين وصولهم فرأيت أحدهم وكان طوالا الخبي وهو رعد
 وبيتاوسورة يس فأمرهم فطرحوا الفيلة المعلمة لقتل الناس وأمر ابن أخت الوزير فردا إلى
 خاله ليقته فقتله وسند كرك ذلك وتلك الفيلة التي تقتل الناس تكسى أنيابها حديد مسنونة شبه
 سلك الحرث لها أطراف كالسكاكين ويركب الفيل على الفيل فاذا رمى بالرجل بين يديه لف
 عليه خر طومه ورمى به إلى الهواء ثم يتلقفه بنسيه ويطره بعد ذلك بين يديه ويجعل يده على
 صدره ويفعل به ما يأمره الفيل على حسب ما أمره السلطان فان أمره بتقطيعه قطع الفيل
 قطعا بتلك الحديد وان أمره بتركه تركه مطروحا فسلخ وكذلك فعل بهؤلاء وخرجت من دار
 السلطان بعد المغرب فرأيت الكلاب تأكل لحومهم وقدمت جلودهم بالتبين والعياذ
 بالله ولما تجهز السلطان لهذه الحركة أمرني بالإقامة بالحضرة كما سئذ كره ومضى في سفره
 إلى أن بلغ دولة آباد نشأ الأمير هلاجون ببلاده وخرج ذلك وكان الوزير خواجه جهان
 قديق أيضا بالحضرة لحشد الحشود وجمع العساكر

* (ذ كر ثورة هلاجون) *

ولما بلغ السلطان إلى دولة آباد بعد عن بلاده ثارا الأمير هلاجون بمدينة الأهور وأدعى
 الملك وساعده الأمير قلجند على ذلك وصيره وزيره وأصل ذلك بالوزير خواجه جهان وهو
 بدلهي فحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيين وكل من كان مقيما من الخدام بدلهي

أخذ أصحابه وأخذ في الجملة أصحابي لاني كنت بهما مقبلاً وأعانه السلطان بأمرين كبيرين أحدهما قيران ملك صفدار ومعناه مرتب العساكر والثاني الملك تور الشر بدار وهو الساقى وخرج هلاجون بعساكر فكان اللقاء على ضفة احد الاودية الكبار فانهزم هلاجون وهرب وغرق كثير من عساكره في النهر ودخل الوزير المدينة فسلخ بعض أهلها وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل وكان الذي تولى قتلهم محمد بن النجيب نائب الوزير وهو المعروف بأجدر ملك ويسمى أيضا صك (سك) السلطان والصك عندهم الكلب وكان ظالماً قاسى القلب ويسميه السلطان أسداً الاسواق وكان رجماء عض أرباب الجنايات باسنانه شرها وعدوانا وبعث الوزير من نساء المخالفين نحو ثلاثمائة الى حصن كاليور فسجن به ورأيت بعضهم هنالك وكان أحد الفقهاء له فيهن زوجة فكان يدخل اليها حتى ولدت منه في السجن
 * (ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان) *

ولما وصل السلطان الى بلاد التامك وهو قاصداً الى قتال الشريف ببلاد المعبر نزل مدينة بدر كوت (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضم الكاف وواو وتاء معلوة) وهي قاعدة بلاد التلنك (وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام وسكون النون وكاف معقودة) وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة أشهر ووقع الوباء اذذاك في عسكره فهلك معظمهم ومات العبيد والماليك وكبار الامراء مثل ملك دولة شاه الذي كان السلطان يخاطبه بالعم ومثل امير عبيد الله الهروي وقد تقدمت حكايته في السفر الاول وهو الذي أمره السلطان ان يرفع من الخزانة ما استطاع من المال فربط ثلاث عشرة خريطة باعضاده ورفعها ولما رأى السلطان ما حل بالعسكر عاد الى دولة آباد وخافت البلاد وانتقضت الاطراف وكاد الملك يخرج عن يده لولا ما سبق به القدر من استحكام سعادته

* (ذكر الارجاف بموته وقرار الملك هوشنج) *

ولما عاد السلطان الى دولة آباد مرض في طريقه فأرجف الناس بموته وشاع ذلك فنشأت عنه فتن عريضة وكان الملك هوشنج ابن الملك كمال الدين كرك بدولة آباد وكان بينه وبين السلطان عهد أن لا يبايع غيره أبداً الا في حياته ولا بعد موته فلما أرجف بموت السلطان هرب الى سلطان كافر يسمى بربرة يسكن بجبال مازعة بين دولة آباد وكوكن تانة فعلم السلطان بفراره وخاف وقوع الفتنة فجاء السير الى دولة آباد واقتفى أثر هوشنج وحصره بالخيل وأرسل الكافر أن يسلمه اليه فأبى وقال لا أسلم دخي لي ولو آل بي الامر لما آل براى كنبيلة وخاف هوشنج على نفسه فراسل السلطان وعاهده على أن يرحل السلطان الى دولة آباد ويبقى هنالك قطاوخان معلم السلطان ليستوثق منه هوشنج وينزل اليه على الاسان فرحل السلطان

ونزل هو شنج الى قطلوخان وعاهده أن لا يقتله السلطان ولا يحط منه لته وخرج بماله وعياله وأصحابه وقدم على السلطان فسر بقدرومه وارضاه وخلع عليه وكان قطلوخان صاحب عهد يستنيم الناس اليه ويقولون في الوفاء عايه ومزله عند السلطان عليه وتعظيمه له شديد ومتى دخل عليه قام له اجلا لا فكان بسبب ذلك لا يدخل عليه حتى يكون هو الذي يدعوه لئلا يتعبه بالقيام له وهو محب في الصدقات كثير الا يثار مولع بالاحسان للفقراء والمساكين

* (ذكر ما هم به الشريف ابراهيم من الثورة ومآل حاله) *

وكان الشريف ابراهيم المعروف بالخريطة دار وهو صاحب الكاغد والاقلام بدار السلطان واليا على بلاد حانسي وسرستي لما تحرك السلطان الى بلاد المعبر وأبوه هو القائم ببلاد المعبر الشريف أحسن شاه فلما أرجف بموت السلطان طمع ابراهيم في السلطنة وكان شجاعا كريما حسن الصورة وكنت متهربا بأخته حورنسب وكانت صالحة تهجد بالليل ولها أوراد من ذكر الله عز وجل وولدت مني بنتا ولا أدري ما فعل الله فيهما وكانت تقرأ الكهن الا تكتب فلما هم ابراهيم بالثورة اجتاز به أمير من أمراء السند معه الاموال يحملها الى دهلي فقال له ابراهيم ان الطريق مخوف وفيه القمع فأقم عندي حتى يصلح الطريق وأوصلك الى المأمن وكان قصده أن يتحقق موت السلطان فيستولى على تلك الاموال فلما تحقق حياته سرّح ذلك الأمير وكان يسمى ضياء الملك ابن شمس الملك ولما وصل السلطان الى الحضرة بعد غيبته سنتين ونصف وصل الشريف ابراهيم اليه فوشى به بعض غلمانه واعلم السلطان بما كان هم به فأراد السلطان أن يعجل قتله ثم تأني لمحبته فيه فاتفق ان آتى يوما الى السلطان بغزال مذبح بنظر الى ذبخته فقال لبس بجيد الذكاة اطرحوه فرآه ابراهيم فقال ان ذكاته جيدة وأنا آكله فأخبر السلطان بقوله فأنكر ذلك وجعله ذريعة الى أخذه فأمر به فقيد وغلل ثم قرره على مارمى به من انه أراد أخذ الاموال التي مر بها ضياء الملك وعلم ابراهيم انه انما يريد قتله بسبب أيبه وانه لا تنفعه معذرة وخاف ان يعذب فرأى الموت خيرا له فأقر بذلك فأمر به فوسط وترك هنالك وعادتهم انه متى قتل الساطان أحدا أقام مطروحا بوضع قتله ثلاثا فاذا كان بعد الثلاث أخذ طائفة من الكفار موكلون بذلك فحملوه الى خندق خارج المدينة بطرحونه به وهم يسكنون حول الخندق ثلاثا يأتى أهل المقتول فيرفعون به وربما أعطى بعضهم لهؤلاء الكفار ما لا فتجافوا له عن قتيله حتى يدفنه وكذلك فعل بالشريف ابراهيم رحمه الله تعالى

* (ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التلنك) *

ولما عاد السلطان من التلنك وشاع خبر موته وكان ترك تاج الملك نصره خان نائب اعنه ببلاد التلنك وهو من قدماء خواصه بلغه ذلك فجعل عزاء السلطان ودعى لنفسه وبأيعه الناس بحضرة

بدر كوت فبلغ خبره الى السلطان فبعث معلمي قطلو خان في عساكر عظيمة فحصره بعد قتال شديد هلك فيه أهم من الناس واشتد الحصار على أهل بدر كوت وهي منيعة وأخذ قطلو خان في نهبها فخرج اليه نصر دختان على الامان في نفسه فأمنه وبعث به الى السلطان وأمن أهل المدينة والعسكر

* (ذكر انتقال السلطان لنهر الكنك وقيام عين الملك) *

ولما استولى القحط على البلاد انتقل السلطان بعساكره الى نهر الكنك الذي تتج الى الهنود على مسيرة عشر من دهلي وأمر الناس بالبناء وكانوا قبل ذلك صنعوا خياما من حشيش الارض فكانت النار كثيرا ما تقع فيها وتؤذي الناس حتى كانوا يصنعون كهونا تحت الارض فاذا وقعت النار رموا امتعتهم بها وسدوا عليهم بالتراب ووصلت أنا في تلك الايام لمحلة السلطان وكانت البلاد التي بغربي النهر حيث السلطان شديدة القحط والبلاد التي بشرقيها خصبة وأميرها عين الملك ابن ماهر ومنها مدينة عوض ومدينة ظفر آباد ومدينة الكشو وغيرها وكان الأمير عين الملك يحضر كل يوم خمسين ألف من مناهجهم وارزوحهم لعلف الدواب فأمر السلطان أن تحمل الفيلة ومعظم الخيل والبغال الى الجهة الشرقية المحصنة لترعى هنالك وأوصى عين الملك بحفظها وكان لعين الملك أربعة أخوة وهم شهر الله ونصر الله وفضل الله ولا أذكر اسم الآخر فاتفقوا مع أخيه عين الملك على أن يأخذوا فيلة السلطان ودوابه ويباعوا عين الملك ويقوموا على السلطان وهرب اليهم عين الملك بالليل وكاد الأمر يتم لهم ومن عادة ملك الهند أنه يجعل مع كل أمير كبير أو صغير مملوكا له يكون عيناه عليه ويعرفه بجميع حاله ويجعل أيضا جوارى في الدور يكن عيوناه على أمرائه ونسوة يسمين الكاسات يدخلن الدور للاستئذان ويخبرهن الجوارى بما عندهن فيخبر الكاسات بذلك الملك المخبرين فيخبر بذلك السلطان ويذكرون أن بعض الأمراء كان في فراشه مع زوجته فأراد مهاستها فحلفته برأس السلطان أن لا يفعل فلم يسمع منها فبعث عنه السلطان صيحا وأخبره بذلك وكان سبب هلاكه وكان للسلطان مملوك يعرف بابن ملك شاه هو عين على عين الملك المذكور فأخبر السلطان بفراره وجواز النهر فسقط في يده ووطن أنها الغاضية عليه لان الخيل والفيلة والزرع كل ذلك عند عين الملك وعساكر السلطان مقترقة فأراد أن يقصد حضرتها ويجمع العساكر حينئذياً لقتاله وشاور أرباب الدولة في ذلك وكان أمراء خراسان والغرباء أشد الناس خوفاً من هذا القائم لانه هندي وأهل الهند مبغضون في الغرباء لظاهر السلطان لهم فكروا ما ظهر له وقالوا يا خوند عالم ان فعلت ذلك بلغه الخبر قاشد أمره ورتب العساكر وانثال عليه طلاب الشرود عادة الفتن والاولى معاجلته قبل استحكام قوته وكان أول من تكلم بهذا

ناصر الدين مطهر الاوهري ووافقه جميعهم فعمل السلطان باشارتهم وكتب تلك الليلة الى من قرب منه من الامراء والعساكر فأتوا من حينهم وادار في ذلك حيلة حسنة فكان اذا قدم على محلته مثل مائة فارس بعث الآلاف من عنده للقائهم ليسلوا ودخلوا معهم الى المحملة كان جميعهم مددله وتحرك السلطان مع ساحل النهر ليجعل مدينة قنوج وراء ظهره ويتحصن بها المنعته وحصانتها وبينها وبين الموضع الذي كان به ثلاثة أيام فرحل أول مرة وحلة وقد عبأ جيشه للحرب وجعلهم صفوا واحدا عند نزولهم كل واحد منهم بين يديه سلاحه وفرسه الى جانبه ومعه خباء صغير يا كل به ويتوضأ ويعود الى مجلسه والمحملة الكبرى على بعد منهم ولم يدخل السلطان في تلك الايام الثلاثة خبء ولا استظل بظل وكنت في يوم منها بجبائي فصاح بي فتى من قتياني اسمه سنبل واستجلىني وكان معي الجوارى فخرجت اليه فقال ان السلطان امر الساعة أن يقتل كل من معه امرأته أو جاريته فشفع عنده الامراء فأمر ان لا تبقى الساعة بالمحملة امرأة وان يحلن الى حصن هنالك على ثلاثة أميال يقال له كنديل فلم تبقى امرأة بالمحملة ولا مع السلطان وبنات تلك الليلة على تعبئة فلما كان في اليوم الثاني رتب السلطان عسكره أفواجا وجعل مع كل فوج الفيلة المدرعة عليها الابراج فوقها المقاتلة وتدرع العسكر وتهبوا للحرب وباتوا تلك الليلة على اهبة ولما كان اليوم الثالث بلغ الخبر بان عين الملك الشائر اجاز النهر فخاف السلطان من ذلك وتوقع انه لم يفعله الا بعد مر اسلة الامراء الباقين مع السلطان فأمر في الحين بقمم الخيل العتاق على خواصه وبعث الى حظامنها وكان لي صاحب يسمى أمير أميران الكرمانى من الشجعان فاعطيته فرسانها أشهب اللون فلما حركه جميع به فلم يستطع امساكه ورماه عن ظهره فأت رجس الله تعالى وجد السلطان ذلك اليوم في مسيره فوصل بعد العصر الى مدينة قنوج وكان يخاف ان يسبقه القاتل اليها وبات ليلة تلك يرتب الناس بنفسه ووقف علينا ونحن في المقدمة مع ابن عمه ملك فيروز معنا الامير غدا بن مهني والسيد ناصر الدين مطهر وامراء خراسان فاضافنا الى خواصه وقال انتم اعززة على ما ينبغي ان تفارقوني وكان في عاقبة ذلك الخير فان القاتل ضرب في خرا الليل على المقدمة وفيها الوزير خواجه جهان فقامت ضجة في الناس كبيرة فحينئذ امر السلطان أن لا يبرح أحد عن مكانه ولا يقاتل الناس الا بالسيوف فاستل العسكر سيوفهم ونهضوا الى أصحابهم وحى القتال وأمر السلطان ان يكون شعار جيشه دهلي وغزنة فاذا لقي أحدهم فارسا قال له دهلي فان أجابه بغزنة علم انه من أصحابه والقاتله وكان القاتل انما قصد ان يضرب على موضع السلطان فأخطأ به الدليل فقصد موضع الوزير فضرب عنق الدليل وكان في عسكر الوزير الاعاجم والترك والخراسانيون وهم أعداء الهند فصدقوا

القتال وكان جيش القائم نحو الخمسين ألفاً فانهزموا عند طلوع الفجر وكان الملك ابراهيم
المعروف بالنجي (بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم) التترى قد اقطعته السلطان بلاد
سنديلة وهي قرية من بلاد عين الملك فاتفق معه على الخلاف وجعله نائبه وكان داود بن
قطب الملك وابن ملك التجار على قيادة السلطان وخيله فوافقاه ايضاً وجعل داود حاجبه
وكان داود هذا الماضربوا على محلة الوزير بجهر بسبب السلطان ويشتمه اقبح شتم والسلطان
يسمع ذلك ويعرف كلامه فلما وقعت الهزيمة قال عين الملك لنائبه ابراهيم التترى ماذا ترى
يا ملك ابراهيم قد قرأ كثير العسكر وذو النجدة منهم فهل لك ان تنجوا بأنفسنا فقال ابراهيم
لا صحابه بلسانهم اذا أراد عين الملك ان يفر فاني سأقبض على دبوقة فاذا فعلت ذلك فاضربوا
انتم فرسه ليسقط الى الارض فنقبض عليه ونأق به السلطان ليهكون ذلك كفارة لذنب في
الخلاف معه وسبب الخلاص فلما أراد عين الملك الفرار قال له ابراهيم الى أين يا سلطان علاء
الدين وكان يسمى بذلك وامسك بدبوقة وضرب أصحابه فرسه فسقط الى الارض ورمى
ابراهيم بنفسه عليه فقبضه وجاء أصحاب الوزير لياً خذوه فنعمهم وقال لا تركه حتى أوصله
للووزير وأموت دون ذلك فتركوه فأوصله الى الوزير وكنت أنظر عند الصبح الى الفيحة
والاعلام يؤتى بها الى السلطان ثم جاءني بعض العراقيين فقال قد قبض على عين الملك
وأقى به الوزير فلم أصدقهم فلم يمر الا يسيراً وجاءني الملك تمور الشر بدار فأخذيدي وقال ابشر فقد
قبض على عين الملك وهو عند الوزير فقهرك السلطان عند ذلك ونحن معه الى محلة عين
الملك على نهر الكنك فنهبت العساكر ما فيها واقتحم كثير من عسكر عين الملك النهر فغرقوا
وأخذ داود بن قطب الملك وابن ملك التجار وخلق كثير معهم ونهبت الاموال والخيول
والامتنعة ونزل السلطان على المجاز وجاء الوزير بعين الملك وقد أركب على ثور وهو عريان
مستور العورة بخزقة مربوطة بحبل وباقيه في عنقه فوقف على باب السراحة ودخل الوزير
الى السلطان فأعطاه الشرية عناية به وجاء ابناء الملوك الى عين الملك فجعلوا يسبونونه ويبصقون
في وجهه ويصفعون أصحابه وبعث اليه السلطان الملك الكبير فقال له ما هذا الذي فعلت
فلم يجده جواباً فأمر به السلطان ان يكسى ثوباً من ثياب الزمالة وقيده بأربعة كبول وغلت
يدها الى عنقه وسلم للوزير ليحفظه وجاز اخوته النهر هارين ووصلوا مدينة عوض فأخذوا
أهلهم وأولادهم وما قدر واعليه من المال وقالوا الزوجة أخيهم عين الملك اخلصي بنفسك
وبنيك معنا فقالت أفلا اكون كنساء الكفار اللاتي يحرقن انفسهن مع أزواجهن فانا ايضاً
أموت لموت زوجي وأعيش لعيشه فتركوها وبلغ ذلك السلطان فكان سبب خيرها وأدركته
لهارقة وأدرك الفتى سهيل نصر الله من أولئك الاخوة فقتله وأقى السلطان برأسه وأقى بأمر

عين الملك واخته وامرأته فسلمن الى الوزير وجعلن في خباء بقرب خباء عين الملك فكان يدخل اليهن ويجلس معهن ويعود الى محبسه ولما كان بعد العصر من يوم الهزيمة أمر السلطان بسراح لفيف الناس الذين مع عين الملك من الزمالة والسوقة والعبيد ومن لا يعأبه وأتى بملك ابراهيم البنجي الذي ذكرناه فقال ملك العسكر الملك نوا ياخوند عالم اقتل هذا فانه من المخالفين فقال الوزير انه قد فدى نفسه بالقائم فعفى عنه السلطان وسرحه الى بلاده ولما كان بعد المغرب جلس السلطان بيرج الخشب وأتى باثنين وستين رجلا من كبار أصحاب القائم وأتى بالفيالة فطرحوا بين أيديها فجعلت تقطعهم بالحدائد الموضوعة على انيابها وترمى ببعضهم الى الهواء وتلقفه والابواق والانفار والطبول تضرب عند ذلك وعين الملك واقف يعاين مقتلهم وي طرح منهم عليه ثم أعيد الى محبسه وأقام السلطان على جواز النهر يأمال كثرة الناس وقلة القوارب واجازا متعته وخزائنه على الفيالة و فرق الفيالة على خواصه ليجيزوا له متعتهم وبعث الى بفيل منها اجرت عليه رحلي وقصد السلطان ونحن معه الى مدينة بهرايج (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وهاء مسكن وراء ألف وياء آخر الحروف مكسورة وجيم) وهي مدينة حسنة في عدوة نهر السرو وهو واد كبير شديد الانحدار واجازه السلطان برسم زيارة قبر الشيخ الصالح البطل سالار عود الذي فتح أكثر تلك البلاد وله اخبار عجيبه وغزوات شهيرة وتكاثر الناس للجواز وتراجوا حتى غرق مركب كبير كان فيه نحو ثلاثائة نفس لم ينج منهم الا عربي من اصحاب الامير غداو كركبنا نحن في مركب صغير فسلمنا لله تعالى وكان العربي الذي سلم من الغرق يسمى بسالم وذلك اتفاق عجيب وكان أراد ان يصعد معنا في مركبنا فوجدنا قدر كبرنا النهر فركب في المركب الذي غرق فلما خرج ظن الناس انه كان معنا فقامت خجة في أصحابنا وفي سائر الناس وتوهوا انا غرقنا ثم لما رأونا بعد استبشرنا بسلامتنا وزرنا قبر الصالح المذكور وهو في قبة لم نجد سبيلا الى دخولها لكثرة الزحام وفي تلك الوجهة دخلنا غيضة قصب فخرج علينا منها الكركدن فقتل وأتى الناس برأسه وهو دون الفيل ورأسه أكبر من رأس الفيل باضعاف وقد ذكرناه

※ (ذكر عودة السلطان لحضرته ومخالفة على شاه كر) ※

ولما ظفر السلطان بعين الملك كما ذكرنا عاد الى حضرته بعد مغيب عامين ونصف وعفى عن عين الملك وعفى أيضا عن نصره خان القائم ببلاد التلنك وجعلها مأمعا على عمل واحد وهو النظر على بساتين السلطان وكساهما واركبهما وعين له مائة نفقة من الدقيق واللحم في كل يوم وبلغ الخبر بعد ذلك ان أحدا أصحاب قطلو خان وهو على شاه كر ومعنى كرا الاطرش خالف على

السلطان وكان شجاعا حسن الصورة والسيرة فغلب على بدر كوت وجعلها مدينة ملكه وخرجت العساكر اليه وأمر السلطان معلمه ان يخرج الى قتاله فخرج في عساكر عظيمة وحصره ببدر كوت ونقبت ابراجها واشتدت به الحال فطلب الامان فأمنه قتلوخان وبعث به الى السلطان مقيدا فعفى عنه ونفاه الى مدينة غزنة من طرف خراسان فأقام بها مدة ثم اشتاق الى وطنه فأراد العودة اليه لما قضاه الله من حينه فقبض عليه ببلاد السند وأتى به السلطان فقال له انما جئت لتتير الفساد ثانية وأمر به فضربت عنقه

﴿ ذكر فرار أمير بخت وأخذه ﴾

وكان السلطان قد وجده على أمير بخت الملقب بشرف الملك أحد الذين وفدوا معنا على السلطان فخط مرتبه من أربعين ألفا الى ألف واحد وبعثه في خدمة الوزير الى دهلي واتفق ان مات أمير عبد الله الهروي في الوفاء في التملك وكان ماله عند أصحابه بدله فاتفقوا مع أمير بخت على الهروب فلما خرج الوزير من دهلي الى لقاء السلطان هربوا مع أمير بخت وأصحابه ووصلوا الى أرض السند في سبعة أيام وهو مسير أربعين يوما وكانت معهم الخيل مجنوبة وعزموا على ان يقطعوا نهر السند عموما ويركب أمير بخت وولده ومن لا يحسن العوم في معديّة قصب يصنعونها وكانوا قد أعدوا حبالا من الحرير يرسم ذلك فلما وصلوا الى النهر خافوا من عبوره بالعوم فبعثوا رجلين منهم الى جلال الدين صاحب مدينة اوجة فقلا له ان هاهنا تجارا أرادوا أن يعبروا النهر وقد بعثوا اليك بهذا السرج لتبيع لهم الجواز فأناكر الامير ان يعطى التجار مثل ذلك السرج وأمر بالقبض على الرجلين فقرأ أحدهما ولحق بشرف الملك وأصحابه وهم نيام لما لحقهم من الأعياء ومواصلة السفر فاخبرهم الخبر فركبوا مذعورين وفروا وأمر جلال الدين بضرب الرجل الذي قبض عليه فاعترف بقضية شرف الملك فأمر جلال الدين نائبه فركب في العسكر وقصدوا نحوهم فوجدوهم قد ركبوا فافتقوا أثرهم فأدركوهم فرموا العسكر بالنشاب ورعى طاهر بن شرف الملك نائب الامير جلال الدين بسهم فاثبتته في ذراعه وغلب عليهم فأتى بهم الى جلال الدين فقيدهم وغل أيديهم وكتب الى الوزير في شأنهم فأمره الوزير ان يبعثهم الى الحضرة فبعثهم اليها وسجنوا بها فأت طاهر في السجن فأمر السلطان ان يضرب شرف الملك مائة مفرقة في كل يوم فبقى على ذلك مدة ثم عفى عنه وبعثه مع الامير نظام الدين امير نجله الى بلاد چنديرى فانتهت حاله الى ان كان يركب البقر ولم يكن له فرس يركبه وأقام على ذلك مدة ثم وفد ذلك الامير على السلطان وهو معه فجعله السلطان شاشنكير (چاشنكير) وهو الذي يقطع اللحم بين يدي السلطان ويمشي مع الطعام ثم انه بعد ذلك نوبه ورفع مقداره وانتهت حاله الا ان مرض قزاره السلطان وأمر بوزنه بالذهب وأعطاه

ذلك وقد قدمنا هذه الحكاية في السفر الاول وبعد ذلك زوجه بأخته واعطاه بلاد چنديرى
التي كان بها البقر في خدمة الامير نظام الدين فسبحان مقلب القلوب ومحيل الاحوال
* (ذكر خلاف شاه افغان بأرض السند) *

وكان شاه افغان خالف على السلطان بأرض ملتان من بلاد السند وقتل الامير بها وكان
يسمى به زادو ادعى السلطنة لنفسه وتجهز السلطان لقتاله فعلم انه لا يقاومه فهرب ولحق
لقومه الافغان وهم ساكنون بجبال منيعة لا يقدر عليهم فاغتاز السلطان مما فعله وكتب
الى عماله ان يقبضوا على من وجدوه من الافغان به لانه كان ذلك سببا لخلاف القاضى
جلال

* (ذكر خلاف القاضى جلال) *

وكان القاضى جلال وجماعة من الافغانيين قاطنين بمقربة من مدينة كنيابة ومدينة
بلوذرة فلما كتب السلطان الى عماله بالقبض على الافغانيين كتب الى ملك مقبل نائب
الوزير ببلاد الجزرات ونهر والة ان يحتال في القبض على القاضى جلال ومن ممة وكانت
بلاد بلوذرة اقطا عالمك الحكماء وكان ملك الحكماء متزوجا ببنية السلطان زوجة ابيه
تعلق ولها بنت من تعلق هي التي تزوجها الامير غدا وملك الحكماء اذ ذاك في صحبة مقبل
لان بلاده تحت نظره فلما وصلوا الى بلاد الجزرات امر مقبل ملك الحكماء ان يأتى بالقاضى
جلال وأصحابه فلما وصل ملك الحكماء الى بلاده حذرهم في خفية لانهم كانوا من أهل
بلاد وقال ان مقبلا طلبكم ليقبض عليكم فلا تدخلوا عليه الا بالسلاح فركبوا في نحو ثلاثمائة
مدرع وأتوه وقالوا لا تدخل الا جملة فظهر له انه لا يمكن القبض عليهم وهم مجتمعون وخاف
منهم فأمرهم بالرجوع واطهر تأمينهم فخلفوا عليه ودخلوا مدينة كنيابة ونهبوا خزانة
السلطان بها أموال الناس ونهبوا مال ابن السكولى التاجر وهو الذى عمر المدرسة الحسنة
باسكندرية وسنذكره أثر هذا وجاء ملك مقبل لقتالهم فهزموه هزيمة شنيعة وجاء الملك
عزير النجار والملك جهان بنبل لقتالهم في سبعة آلاف من الفرسان فهزموهم أيضا وتسامع
بهم أهل الفساد والجرائم فأتوا عليهم وادعى القاضى جلال السلطنة وبايعه أصحابه وبعث
السلطان اليه العساكر فهزمها وكان بدولة آباد جماعة من الافغان فخالفوا أيضا

* (ذكر خلاف ابن الملك مل) *

وكان ابن الملك مل ساكنًا بدولة آباد في جماعة من الافغان فكتب السلطان الى نائبه بها
وهو نظام الدين أخو معلمه قتلوا خان ان يقبض عليهم وبعث اليه باجمال كثيرة من القيود
والسلاسل وبعث بخلع الشتاء وعادة ملك الهند ان يبعث لكل أمير على مدينة ولوجوه

عسكره خلعتين في السنة خلعة الشتاء وخالعة الصيف وانا جاءت الخلع بخرج الامير والعسكر للقائمها فاذا وصلوا الى الآتي بها نزلوا عن دوابهم وأخذ كل واحد خلعته وجلها على كتفه وخدم لجهة السلطان وكتب السلطان لنظام الدين اذا خرج الافغان ونزلوا عن دوابهم لاخذ الخلع فاقتبض عليهم عند ذلك وأتى أحد الفرسان الذين أوصلوا الخلع الى الافغان فاخبرهم بما يراهم فكان نظام الدين من احتمال فانعكست عليه فركب وركب الافغان معه حتى اذا لقوا الخلع ونزل نظام الدين عن فرسه حملوا عليه وعلى أصحابه فقبضوا عليه وقتلوا كثير من أصحابه ودخلوا المدينة فأخذوا الخزانة وقدّموا على أنفسهم ناصر الدين ابن ملك مل وانشال عليهم المفسدون فقويت شوكتهم

(ذكر خروج السلطان بنفسه الى كنباية)

ولما بلغ السلطان ما فعله الافغان بكنباية ودولة آباد خرج بنفسه وعزم على ان يبدأ بكنباية ثم يعود الى دولة آباد وبعث أعظم ملك الباي زیدی صهره في أربعة آلاف مقدمة فاستقبلته عساكر القاضی جلال فهزموه وحصره وبلو ذرة وقتلوه بها وكان في عسكر القاضی جلال شيخ يسمى جلول وهو أحد الشجعان فلا يزال يقتك في العساكر ويقتل ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد على مبارزته واتفق يوما انه دفع فرسه فكباه في حفرة فسقط عنه وقتل ووجدوا عليه درعين فبعثوا برأسه الى السلطان وصلبوا جسده بسور بلو ذرة وبعثوا يديه ورجليه الى البلاد ثم وصل السلطان بعساكره فلم يكن للقاضی جلال من ثبات ففر في أصحابه وتركوا أموالهم وأولادهم فذهب ذلك كله ودخلت المدينة وأقام بها السلطان أياما ثم رحل عنها وترك بها صهره شرف الملك أمير بخت الذي قدّمنا ذكره وقضية فراره وأخذه بالسند وسجنه وما جرى عليه من الذل ثم من العز وأمره بالبحث عن كان في طاعة جلال الدين وترك معه الفقهاء ليحكم بأقوالهم فأدى ذلك الى قتل الشيخ علي الحيدري حسيما قدّمناه ولما هرب القاضی جلال لحق بناصر الدين بن ملك مل بدولة آباد ودخل في جلته فأتى السلطان بنفسه اليهم واجتمعوا في نحو أربعين ألفا من الافغان والترك والهنود والعبيد وتحالفوا على ان لا يفرّوا وان يقتلوا السلطان وأتى السلطان لقتالهم ولم يرفع الشطر الذي هو علامة عليه فلما استحر القتال رفع الشطر فلما عاينوه دهشوا وانهمزوا اقبح هزيمة ولجأ ابن ملك مل والقاضی جلال في نحو أربع مائة من خواصهم الى قلعة الدويقير وسند كرها وهي من امنع قلعة في الدنيا واستقر السلطان بمدينة دولة آباد والدويقير هي قلعتها وبعث لهم ان ينزلوا على حكمه فأبوا أن ينزلوا الا على الايمان فأبى السلطان أن يؤمنهم وبعث لهم الاطعمة ثم اناهم وأقام هنالك وعلى ذلك آخر عهدى بهم

*(ذكر)

* (ذكر قتال مقبل وابن الكولمي) *

وكان ذلك قبل خروج القاضي جلال وخلافه وكان تاج الدين بن الكولمي من كبار البحار فوفد على السلطان من ارض الترك بهذا يا جليله منها الممالك والجمال والمتاع والسلاح والثياب فاعجب السلطان فعله واعطاه اثني عشر لكاويذ كرائه لم تكن قيمة هديته الا لكا واحد او ولاء مدينة كنباية وكانت لنظر الملك المقبل نائب الوزير فوصل اليها وبعث المراكب الى بلاد المليبار وجزيرة سيلان وغيرها وجاءته التحف والهدايا في المراكب وضمنت حاله ولم يبعث اموال تلك الجهات الى الحضرة بعث الملك مقبل الى ابن الكولمي ان يبعث ما عنده من الهدايا والاموال مع هذا يا تلك الجهات على العادة فامتنع ابن الكولمي من ذلك وقال انا احملها بنفسى او ابعثها مع خدامى ولا حكم لنائب الوزير على ولا للوزير واغتر بما أولاه السلطان من الكرامة والعطية فكتب مقبل الى الوزير بذلك فوقع له الوزير على ظهر كتابه ان كنت عاجزا عن بلادنا فاتركها وارجع اليها فلما بلغه الجواب تجهز في عسكره وماليكه والتقي بظاهر كنباية فانهزم ابن الكولمي وقتل جماعة من الفريقين واستخفى ابن الكولمي في دار الناخودة (الناخذا) الياس أحد كبراء التجار ودخل مقبل المدينة فضرب رقاب أمراء عسكر ابن الكولمي وبعث له الامان على ان يأخذ ماله المختص به ويترك مال السلطان وهديته ومحبي البلد وبعث مقبل بذلك كله مع خدامه الى السلطان وكتب شاكا من ابن الكولمي وكتب ابن الكولمي شاكا منه فبعث السلطان ملك الحكماء ليتنصف بينهما وبأثر ذلك كان خروج القاضي جلال الدين فذهب مال ابن الكولمي وقرب ابن الكولمي في بعض ممالكه ولحق بالسلطان

* (ذكر الغلاء الواقع بأرض الهند) *

وفي مدة مغيب السلطان عن حضرته اذ خرج بقصد بلاد المعبر وقع الغلاء واشتد الامر واتهمى المن الى ستين درهما ثم زاد على ذلك وضافت الاحوال وعظم الخطب ولقد خرجت مرة الى لقاء الوزير فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعاً من جلد فرس مات منذ أشهر وياً كئنه كانت الجلود تطبخ وتباع في الاسواق وكان الناس اذا ذبحت البقرة أخذوا دماءها فأكلوها وحدثنى بعض طلبة خراسان انهم دخلوا بلدة تسمى اكروهة بين طانسي وسرسقي فوجدوها خالية فتصدوا بعض المنازل ليبيتوا به فوجدوا في بعض بيوتهم رجلاً قد اضر من ناراً ويبيده رجل آدمي وهو يشويها في النار وياً كل منها والعياذ بالله ولما اشتد الحال امر السلطان ان يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر فكانت القضاة والكتاب والامراء يطوفون بالازقة والحارات ويكتبون الناس ويعطون لكل أحد نفقة ستة أشهر بحساب رطل ونصف

من ارطال المغرب في اليوم لكل واحد وكنت في تلك المدة اطعم الناس من الطعام الذي اصنعه بقبة السلطان قطب الدين حسيب ايد كرف كان الناس ينتعشون بذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه واذ قد ذكرنا من اخبار السلطان وما كان في أيامه من الحوادث ما فيه الكفاية فلنعُد الى ما يخصنا من ذلك ونذكر كيفية وصولنا اولا الى حضرته وتنقل الحال الى خروجنا عن الخدمة ثم خروجنا عن السلطان في الرسالة الى الصين وعودنا منها الى بلادنا ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وصولنا الى دار السلطان عند قدومنا وهو غائب﴾

ولما دخلنا حضرة دهلي قصدنا باب السلطان ودخلنا الباب الاول ثم الثاني ثم الثالث ووجدنا عليه النقباء وقد تقدم ذكرهم فلما وصلنا اليهم تقدم بنا نقيبهم الى مشور عظيم متسع فوجدنا به الوزير خواجه جهان ينتظرنا فتقدم ضياء الدين خدنا وندزادة ثم تلاه أخوه قوام الدين ثم اخوه عماد الدين ثم تلوا ثم تلاه أخوه هم برهان الدين ثم الامير مبارك السمرقندي ثم ارن بغا التركي ثم ملاك زادة ابن أخت خدنا وندزادة ثم بدر الدين الفصالح ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمى هزاراسطون (استون) ومعنى ذلك ألف سارية وبه يجلس السلطان الجالس العام فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الارض وخدمنا نحن بالركوع وأوصلنا أصابعنا الى الارض وخدمتنا الناحية سرير السلطان وخدم جميع من معنا فلما فرغنا من الخدمة صاح النقباء باصوات عالية بسم الله وخرجنا

﴿ذكر وصولنا الى دار أم السلطان وذكر فضائلها﴾

وأم السلطان تدعى المخدمه جهان وهي من افضل النساء كثيرة الصدقات عمرت زوايا كثيرة وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر وسبب ذلك انه لما ملك ابنها جاء اليها جميع الخواتين وبنات المولك والامراء في أحسن ذى وهي على سرير الذهب المرصع بالجواهر فخدم من بين يديها جميعا فذهب بصرها للحن وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع وولدها أشد الناس برور ابها ومن برورها انها سافرت معه مرة فقدم السلطان قبلها عمدة فلما قدمت خرج لاستقبالها وترجل عن فرسه وقبل رجلها وهي في المحفة برأى من الناس أجمعين ولنعلم ما قصدناه فتقول ولما انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه الى باب الضرف وهم يسمونه باب الحريم وهنالك سكنى المخدمه جهان فلما وصلنا بابها نزلنا عن الدواب وكل واحد منا قد أتى بهدية على قدر حاله ودخل معنا قاضي قضاة الممالك كمال الدين بن البرهان فخدم الوزير والقاضي عند بابها وخدمنا نخدمتهم وكتب كاتب بابها هذا يانا ثم خرج من الفتيان جماعة وتقدم كبارهم الى الوزير فكاهوه سرانهم عادوا الى القصر ثم رجعوا الى الوزير

ثم عادوا الى القصر ونحن وقوف ثم أمرنا بالجلوس في سقيف هنالك ثم أتوا بالطعام وأتوا بقلل من الذهب يسمونها السين (بضم السين والياء آخر الحروف) وهي مثل القدور ولها مرفاع من الذهب تجلس عليها يسمونها السبك (بضم السين وبضم الباء الموحدة) وأتوا بأقداح وطسوت وأباريق كاهن ذهب وجعلوا الضعاع سباطيز وعلى كل سباط صفان ويكون في رأس الصف كبير القوم الواردين ولما تقدمنا للطعام خدم الحجاب والنقباء وخدمنا لخدمتهم ثم أتوا بالسربة فشربنا وقال الحجاب بسم الله ثم أكلنا وأتوا بالفقاع ثم بالتنبول ثم قال الحجاب بسم الله فخدمنا جميعا ثم دعينا الى موضع هنالك فخلع علينا خلع الحرير المذهبة ثم أتوا بنا الى باب القصر فخدمنا عنده وقال الحجاب بسم الله ووقف الوزير ووقفنا معه ثم أخرج من داخل القصر تحت ثياب غير مخيطة من حرير وكان وقطن فاعطى كل واحد مننا نصيبه منها ثم أتوا بطيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة وبطيفور مشد فيه الجلاب وطيفور ثالث فيه التنبول ومن عادتهم ان الذي يخرج له ذلك يأخذ الطيبة ويربيده ويجعله على كاهله ثم يخدم بيده الاخرى الى الارض فأخذ الوزير الطيفور بيده قصدا ان يعلمني كيف افعل ايناسامنه وتواضعا ومبرة جزاء الله خيرا ففعلت كفعله ثم انصرفنا الى الدار المعدة لتناولنا بمدينة دهلي وبمقربة من دروازة بالم منها وبعت لنا الضيافة

(ذكر الضيافة)

ولما وصلت الى الدار التي أعدت لتزولي وجدت فيها ما يحتاج اليه من فرش وبسط وحصر واوان وسرير الرقاد وأسرتهم بالهند خفيفة الحمل يحمل السرير منها الرجل الواحد ولا بد لكل أحد ان يستحب السرير في السفر يحمله غلامه على رأسه وهو أربع قوائم مخروطة يعرض عليها أربعة أعواد وتنسج عليها غفائر من الحرير أو القطن فاذا نام الانسان عليه لم يحتاج الى ساير طيبه به لانه يعطى الرطوبة من ذاته وجاءه مع السرير بضررتين ومختنتين ولحاف كل ذلك من الحرير وعادتهم ان يجعلوا للضربات والخوف (واللطف) وجوهها تعشيهما من كان أوقطن بيضا فتى توشحت غسلوا الوجه المذكور وبقى ما في داخلها مصونا واتوا تلك الليلة برجلين أحدهما الطاحوني ويسمونه الخراس والآخر الجزاري ويسمونه القصاب فقالوا لناخذوا من هذا كذا وكذا من اندقيق ومن هذا كذا وكذا من اللحم لا وزن لأذكرها الآن وعادتهم ان يكون اللحم الذي يعطون بقدر وزن الدقيق وهذا الذي ذكرناه ضيافة أم السلطان وبعد ذلك وصلتنا ضيافة السلطان وسند كرها ولما كان من غد ذلك اليوم ركبنا الى دار السلطان وسلمنا على الوزير فاعطاني بدرتين كل بدرة من ألف دينار دراهم وقال لي هذه سرششتي (ششتي) ومعنا لغسل رأسك واعطاني خادمة من المرعر وكتب جميع أصحابي

وخذامي وغلمانى فجعلوا أربعة اصناف فالصنف الاول منها أعطى كل واحد منهم مائتى دينار والصنف الثانى اعطى كل واحد منهم مائة وخمسين دينار والصنف الثالث أعطى كل واحد مائة دينار والنصف الرابع اعطى كل واحد خمسة وسبعين دينار وكانوا يحوون أربعين وكان جملة ما اعطوه أربعة آلاف دينار ونيّفا وبعد ذلك عيّنّت ضيافة السلطان وهى ألف رطل هندية من الدقيق ثلثمائة من المير وهو الدرهم وثلاثمائة من الخشكار وهو المدهون وألف رطل من اللحم ومن السكر والسمن والسليق والثوفل أرطال كثيرة لأذكر عدد هاهنا وألف من ورق التنبول والرطل الهندى عشرون رطلا من أرطال المغرب وخمسة وعشرون من أرطال مصر وكانت ضيافة خدامنا وندزاده أربعة آلاف رطل من الدقيق ومثلها من اللحم ما يناسبها ماذكرناه

(ذكر وفاة بنتى وما فعلوا فى ذلك)

ولما كان بعد شهر ونصف من مقدمنا فوفيت بنتى لى سنه ادون السنة فاتصل خبر وفاتها بالوزير فأمر ان تدفن فى زاوية بناها خارج دروازة بالم بقرب مقبرة هنالك لشيخنا ابراهيم القونوى فدفعنا هاهنا وكتب بنحبرها الى السلطان قاتناه الجواب فى عشى اليوم الثانى وكان بين متصيد السلطان وبين الحضرة مسيرة عشرة أيام وعادتهم ان يخرجوا الى قبر الميت صبيحة الثالث من دفنه ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير ويجعلون على القبر الازاهير وهى لاتنقطع هنالك فى فصل من الفصول كالياسمين وقل شبيه (كل شبو) وهى زهر أصفر ورىبول وهو أبيض والنسرين وهو على صنفين أبيض وأصفر ويجعلون اغصان النارج والليون بثمارها وان لم يكن فيها ثمار علقوا منها حبات بالخيوط ويصبون على القبر افوا كد اليابسة وجوز النارجيل ويجتمع الناس ويؤتى بالمصاحف فيتمرأون القرآن فاذا ختموه اتوا بماء الجلاب فسقوه الناس ثم يصب عليهم ماء الورد صبوا يعطون التنبول وينصرفون ولما كان صبيحة الثالث من دفن هذه البنت خرجت عند الصبح على العادة واعدت ما تيسر من ذلك كله فوجدت الوزير قد أمر بترتيب ذلك وأمر بسراجه فضربت على التبر وجاء الحاجب شمس الدين الفوشنجى الذى تالقانا بالسند والقاضى نظام الدين الكر وانى وجدة من كبار أهل المدينة ولم آت الا والقوم المذكورون قد أخذوا بحالهم والحاجب بين أيديهم وهم يقرؤن القرآن فقعدت مع أصحابى بقربة من القبر فانا فرغوا من القراءة قرأ القراء باصوات حسان ثم قام القاضى فقرأ ثناء فى البنت المتوفاة وثناء على السلطان وعند ذلك راسمهم قام الناس جميعا قياما فخدهوا ثم جلسوا ودعا القاضى دعاء حسنا ثم أخذ الحاجب وأصحابه براميل ماء الورد فصبوه على الناس ثم داروا عليهم باقداح شربة النبتات ثم

فرقوا

فرقوا عاينهم التنبول ثم أتى باحدى عشرة خلعة لى ولاصحابى ثم ركب الحاجب وركبنا معه الى دار السلطان فخدمنا السرر على العادة وانصرفت الى منزلى فما وصلت الا وقد جاء الطعام من دار الخدومة جهان ماملا الدار ورا أصحابى وأكلوا جميعا وأكل المساكين وفضلت الاقراص والحلواء والنبات فأقامت بقاياها أياما وكان فعل ذلك كله بأمر السلطان وبعد أيام جاء الفتيان من دار الخدومة جهان بالدولة وهى المحفة التى يحجل فيها النساء ويركبهن الرجال أيضا وهى شبه السرير سطحها من صفائر الحرير وألقتن وعليها عود شبه الذى على البودجات عندنا معوج من القصب الهندى المغلوق ويحملها ثمانية رجال فى نوبتين يستريح أربعة ويحمل أربعة وهذه الدول بالهند كالجير بديار مصر عليها يتصرف أكثر الناس فمن كان له عبيد جلاوه ومن لم يكن له عبيد أكثرى رجالا يحملونه وبالبلد منهم جماعة يسيرة يقفون فى الاسواق وعند باب السلطان وعند ابواب الناس للكرى وتكون دول النساء مغشاة بغطاء حرير وكذلك كانت هذه الدولة التى اتى الفتيان بها من دار أم السلطان فحملوا فيها جاريى التى هى أم البنت المتوفاة وبعثت انا معها عن هدية جارية تركية فأقامت الجارية أم البنت عندهم ليلة وجاءت فى اليوم الثانى وقد اعطوها ألف دينار درهم واساور ذهب مرصعة وتمليها من الذهب مرصعا أيضا وقيص كان من ركش بالذهب وخلعة حرير مذهبة وتختا باثواب ولما جاءت بذلك كله اعطيتها لاصحابى وللتجار الذين لهم على الدين محافظة على نفسى وصونا لعرضى لان الخبيرين يكتبون الى السلطان بجميع احوالى

(ذكر احسان السلطان والوزير الى فى أيام غيبة السلطان عن الحضرة)

وفى اثناء دقائى أمر السلطان ان يعين لى من القرى ما يكون فائدة خمسة آلاف دينار فى السنة فعينها الى الوزير وأهل الديوان وخرجت اليها قريية تسمى بدلى (بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وكسر اللام) وقريية تسمى بسهمى (بفتح الباء الموحدة والسين المهملة وكسر الهاء) ونصف قريية تسمى بالرة (بفتح الباء الموحدة واللام والراء) وهذه القرى على مسافة ستة عشر كروها وهو الميل بصدى يعرف بصدى هنديت والصدى عندهم مجموع مائة قريية واحواز المدينة مقسومة اصداء كل صدى له جو طرى وهو شيخ من كفار تلك البلاد ومتصرف وهو الذى يضم مجايبها وكان قد وصل فى ذلك الوقت سبى من الكفار فبعث الوزير الى عشر جوار منه فاعطيت للذى جاء بهن واحدة منهن فأرضى بذلك وأخذ أصحابى ثلاثا صغارا منهن وباتيهن لا اعرف ما اتفق لهن والسبى هنالك رخيص الثمن لانهن قذرات لا يعسرفن مصالح الحضر والمعلمات رخيصات الاثمان فلا ينفقن على شراء السبى والكنار ببلاد الهند فى برمتصل وبلاد متصلة مع المسلمين والمسلمون غالبون عليهم وانما يمنع الكفار

بالجبال والاعمار ولهم غيضات من القصب وقصبهم غير محجوف ويعظم ويلتف بعضه على بعض ولا تؤثر فيه النار وله قوة عظيمة فيسكنون تلك الغياض وهي لهم مثل السور وبداخلها تكون مواشيتهم وزروعهم ولهم فيها المياه مما يجتمع من ماء المطر فلا يقدر عليهم الا بالعساكر القوية من الرجال الذين يدخلون تلك الغياض ويقطعون تلك القصب بالآلات معدة لذلك

(ذكر العيد الذي شهدته أيام غيبة السلطان)

واظل عيد الفطر والسلطان لم يعد بعد الى الحضرة فلما كان يوم العيد ركب الخطيب على الفيل وقدمه على ظهره شبه السريور وركب أربعة اعلام في اركانه الاربعه ولبس الخطيب ثياب السواد وركب المؤذنون على الفيلة يكبرون امامه وركب فقهاء المدينة وقضاةها وكل واحد منهم يستحب صدقة يتصدق بها حين الخروج الى المصلى ونصب على المصلى صيوان قطن وفرش ببسط واجتمع الناس ذاك يوم لكرين لله تعالى ثم صلى بهم الخطيب وخطب وانصرف الناس الى منازلهم وانصرفنا الى دار السلطان وجعل الطعام فخره الملوك والامراء والاعزة وهم الغرباء وكلوا وانصرفوا

(ذكر قدوم السلطان ولقائنا له)

ولما كان في رابع شوال نزل السلطان بقصر يسمى تلبت (بكسر التاء المعلوة الاولى وسكون اللام وفتح الباء الموحدة ثم تاء كالاولى) وهي على مسافة سبعة اميال من الحضرة فأمرنا الوزير بالخروج اليه فخرجنا ومع كل انسان هديته من الخيل والجمال والافواكه الخراسانية والسيوف المصرية والمماليك والنعيم المجاورة من بلاد الاتراك فوصلنا الى باب القصر وقد اجتمع جميع القدامين فكانوا يدخلون الى السلطان على قدر مراتبهم ويخضع عليهم ثياب الكنان المزركشة بالذهب ولما وصلت النوبة الى دخلت فوجدت السلطان قاعدا على كرسي فظننته أحداً الخجاء حتى رأيت معه ملك الندماء ناصر الدين الكافي الهروي وكنت عرفت أنه أيام غيبة السلطان فخدم الحاجب فخدمت واستقبلني أمير حاجب وهو ابن عم السلطان المسمى بغير وزو خدمت ثانية لخدمته ثم قال لي ملك الندماء بسم الله مولانا بدر الدين وكانوا يدعونني بأرض الهند بدر الدين وكل من كان من أهل الطلب انما يقال له مولانا فقربت من السلطان حتى أخذ بيدي وصافني وامسك يدي وجعل يخاطبني باحسن خطاب ويقول لي باللسان الفارسي حات البركة قدومك مبارك اجع خاطرك اعمل معك من المراحم واعطيك من الانعام ما يسمع به أهل بلادك فيأتون اليك ثم سأني عن بلادى فقلت له بلاد المغرب فقال لي بلاد عبد المؤمن فقلت له نعم وكان كلما قال لي كلاماً جيداً

قلت

قبلت يد حتى قبلتهم اسبع مرات وخلع على وانصرفت واجتمع الواردون فذلهم سباط ووقف على رؤوسهم قاضى القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمى وكان من كبار الفقهاء وقاضى قضاة الماليك صدر الجهان كمال الدين الغزنوى وعماد الملك عرض الماليك والملك جلال الدين الكيجى وجماعة من الجباب والامراء وحضر لذلك خد او نذ زاده غياث الدين ابن عم خد او نذ زاده قوام الدين قاضى النزم الذى قدم معنا وكان السلطان يعظمه ويخاطبه بالاخ وتردد اليه مرارا من بلاده والواردون الدين خلع عليهم فى ذلك هم خد او نذ زاده قوام الدين واخوته ضياء الدين وعماد الدين وبرهان الدين وابن أخته أمير بخت ابن السيد تاج الدين وكان جده وجيه الدين وزير خراسان وكان خاله علاء الدين أمير هند ووزيرا أيضا والامير هبة الله بن الفلكى التبريزى وكان أبوه نائب الوزير بالعراق وهو الذى بنى المدرسة الفلكية بتبريز وملك كراى من أولاد بهرام جور (جوبين) صاحب كسرى وهو من أهل جبل بدخشان الذى منه يجلب الياقوت البلخى والالاز ورد والامير مبارك شاه السمرقندى وأرون بغا البخارى وملك زاده الترمذى وشهاب الدين الكازرونى التاجر الذى قدم من تبريز بالهدية الى السلطان فسلم فى طريقه

﴿ذكر دخول السلطان الى حضرته وما أمر لنابه من المراكب﴾

وفى الغد من يوم خرو جنا الى السلطان أعطى كل واحد من افرسان من مراكب السلطان عليه سرج ولجام محليان وركب السلطان لدخول حضرته وركبنا فى مقدمته مع صدر الجهان وزينت الفيلة امام السلطان وجعلت عليها الاعلام ورفعت عليها ستة عشر شطرا منها ركشة ومنها مرصعة ورفع فوق رأس السلطان شطرا منها وجملت امامه الغاشية وهى ستارة مرصعة وجعل على بعض الفيلة رعايات صغار فلما وصل السلطان الى قرب المدينة ترمى فى تلك الرعايات بالدنانير والدراهيم مختلفة والمشاة بين يدي السلطان وسواهم ممن حضر يلتقطون ذلك ولم يزلوا ينثرونها الى ان وصلوا الى القصر وكان بين يديه آلاف من المشاة على الاقدام وصنعت قباب الخشب المكسوة بذياب الحرير وفيها المغنيات حسبا ذكرنا ذلك

﴿ذكر دخولنا اليه وما انعم به من الاحسان والولاية﴾

ولما كان يوم الجمعة ثانى يوم دخول السلطان اتينا باب المشور فجلسنا فى سقائف الباب الثالث ولم يكن الاذن حصل لنا بالدخول وخرج الحاجب شمس الدين الفوشنجى فأمر الكتاب ان يكتبوا اسماءنا وأذن لهم فى دخولنا ودخل بعض أصحابنا وعين للدخول معى ثمانية فدخلنا ودخلوا معنا ثم جاؤا بالبدر والقبان وهو الميزان وقعد قاضى القضاة والكتاب

ودعوا من بالباب من الاعزة وهم الغرباء فعينوا لكل انسان نصيبه من تلك البدر فحصل لي منها خمسة آلاف دينار وكان مبلغ المال مائة ألف دينار تصدقت به أم السلطان لما قدم ابنها وانصرفنا ذلك اليوم وكان السلطان بعد ذلك يستعدينا للظعام بين يديه ويسأل عن أحوالنا ويخاطبنا باجل كلام ولقد قال لنا في بعض الايام أنتم شرفتمونا بقدمكم فمات قدر على مكافأتكم فال كبير منكم مقام والدي والكهيل مقام أخي والصغير مقام ولدي وما في ملكي أعظم من مدينتي هذه أعطيكم اياها فشكرناه ودعونا له ثم بعد ذلك أمر لنا بالمرتبات فعين لي اثني عشر ألف دينار في السنة وزادني قريتين على الثلاث التي أمر لي بها قبل احداهما قرية تجوزة والثانية قرية ملاك پور وفي بعض الايام بعث لنا خدنا وندزاده غياث الدين وقطب الملك صاحب السند فقا لانا ان خوند عالم يقول لكم من كان منكم يصلح للوزارة أو الكتابة أو الامارة أو القضاء أو التدريس أو المشيخة اعطيته ذلك فسكت الجميع لانهم كانوا يريدون تحصيل الاموال والانصراف الى بلادهم وتكلم أمير بخت ابن السيد تاج الدين الذي تقدم ذكره فقال أما الوزارة فخير اثنى وأما الكتابة فشغلي وغير ذلك لا أعرفه وتكلم هبة الله بن الفلكي فقال مثل ذلك وقال لي خدنا وندزاده بالعربي ما تقول أنت يا سيدي وأهل تلك البلاد ما يدعون العربي الا بالتسويد وبذلك يخاطبه السلطان تعظيما للعرب فقلت له أما الوزارة والكتابة فليست شغلي وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي وأما الامارة فتعلمون ان الاعاجم ما اسلمت الا باسياف العرب فلما بلغ ذلك الى السلطان اعجبه كلامي وكان بهزار اسطون يأكل الطعام فبعث عننا فأكلنا بين يديه وهو يأكل ثم انصرفنا الى خارج هزار اسطون فقعد أصحابي وانصرفت بسبب دمل كان يمنعني الجلوس فاستدعانا السلطان ثانية فحضر أصحابي واعتذروا له عني وجئت بعد صلاة العصر فصليت بالمشور المغرب والعشاء الاخرة ثم خرج الحاجب فاستدعانا فدخل خدنا وندزاده ضياء الدين وهو أكبر الاخوة المذكورين فجعله السلطان أميرداد وهو من الامراء الكبار جلس بمجلس القاضي فن كان له حق على أمير أو كبير احضره بين يديه وجعل مرتبه على هذه الخطة خمسين ألف دينار في السنة عين له مجاشر فائدها ذلك المقدار فأمر له بنحسين ألف ماعن يدو خلع عليه خلعة حرير من ركشة تسمى صورة الشير ومعناه صورة السبع لانه يكون في صدرها وظهرها صورة سبع وقد خيط في باطن الخلعة بطاقة بمقدار ما زر كرش فيها من الذهب وأمر له بفرس من الجنس الاول والخيول عندهم أربعة اجناس وسروجهم كسروج أهل مصر ويكسون اعظماها بالفضة المذهبة ثم دخل أمير بخت فأمره أن يجلس مع الوزير في مسنده ويقف على محاسبات الدواوين وعين له مرتبا أربعين ألف دينار في السنة أعطى مجاشر فائدها بمقدار ذلك

وأعطى

واعطى اربعين الفاعن يد واعطى فرسا مجهزا وخلع عليه تكلعة الذى قبله ولقب شرف
الملك ثم دخل هبة الله ابن الظكى بفعله رسول دار ومعناه حاجب الارسال وعين له مرتبا
اربعين ألف دينار فى السنة اعطى مجاشريكون فائدها بمقدار ذلك واعطى اربعة
وعشرين ألفا عن يد واعطى فرسا مجهزا وخلعة وجعل لقبه بهاء الملك ثم دخلت فوجدت
السلطان على سطح القصر مستندا الى السرير والوزير خواجه جهان بين يديه والملك
الكبير قبولة واقف بين يديه فلما سلمت عليه قال لى الملك الكبير اخدم فقد جعلك خوند
عالم قاضى دار المالك دهلى وجعل مرتبك اثني عشر ألف دينار فى السنة وعين لك مجاشري
بمقدارها وأمر لك باثني عشر ألفا نقداتأخذها من الخزانة غدا ان شاء الله واعطاك فرسا
بسرجه ولجامه وأمر لك بخلعة محاريرين وهى التى يكون فى صدرها وظهرها شكل محراب
نخدمت وأخذ بيدي فتقدم بي الى السلطان فقال لى السلطان لا تحسب قضاء دهلى من
اصغر الاشغال هوأ كبر الاشغال عندنا وكنت افهم قوله ولا أحسن الجواب عنه وكان
السلطان يفهم العربى ولا يحسن الجواب عنه فقلت له يا مولانا انا على مذهب مالك وهؤلاء
حنفية وانا لا أعرف اللسان فقال لى قد عينت بهاء الدين الملتانى وكمال الدين الجمنورى
ينوبان عنك ويشاورانك وتكون أنت تسجل على العقود وأنت عندنا بتمام الولد فقلت له
بل عبدكم وخديكم فقال لى باللسان العربى بل أنت سيدنا ومحمدنا وناواضعنا وفضلنا
وإنا سائغ قال لشرف الملك أمير بختان كان الذى ترتب له لا يكفيه لانه كثير الانفاق
فانا أعطيته زواية ان قدر على اقامة حال الفقراء وقال قل له هذا بالعربى وكان يظن انه يحسن
العربى ولم يكن كذلك وفهم السلطان ذلك فقال له برو ويكجى بجصى (بخسبى) وان حكاية
براو بكوى وتفهم كنى (بكنى) تاقر دان شاء الله ييش من يياي (و) جواب او بكرى (بكوى)
معناه امشوا الليلة فارقدوا فى موضع واحد وفهمه هذه الحكاية فاذا كان بالغدان شاء الله
تحيى الى وتعلمنى بكلامه فانصرفنا وذلك فى ثلث الليل وقد ضربت النوبة والعادة عندهم
اذا ضربت لا يخرج أحد فانتظرنا الوزير حتى خرج وخرجنا معه ووجدنا أبواب دهلى مسدودة
فبتنا عند السيد أبى الحسن العبادى العرافى بزقاق يعرف بسر اپورخان وكان هذا الشيخ
يتجر بمال السلطان ويشترى له الاسلحة والامتعة بالعراق وخراسان ولما كان بالغد بعث
عنا فقهنا الاموال والخيل والخلع وأخذ كل واحد منا البدرة بالمال فجعلها على كاهله
ودخلنا كذلك على السلطان فخدمنا وأتينا بالافراس فقبلنا حوافرها بعد ان جعلت عليها
الخرق وقدناها بأنفسنا الى باب دار السلطان فركبناها وذلك كله عادة عندهم ثم انصرفنا
وأمر السلطان لاصحابى بألفى دينار وعشر خلع ولم يعط لاصحاب احد سوى شيئا وكان
اصحابى لهم رواء ومنظرفا عجبوا السلطان وخدموا بين يديه وشكروهم

﴿ذكر عطاء ثان أمر لي به وتوقفه مدة﴾

وكنيت يوما بالمشور وبعد أيام من توليت القضاء والاحسان الى وانا قاعد تحت شجرة هنالك والى جانبي مولانا ناصر الدين الترمذي العالم الواعظ فأتاني بعض الجبابرة فدعى مولانا ناصر الدين الدين قد دخل الى السلطان فخلع عليه وأعطاه مصحفام كلابا بالجوهر ثم أتاني بعض الجبابرة فقال اعطني شيئا وأخذ ذلك خط خردبائي عشر ألفا أمر لك بها خوند عالم فلم أصدقه وظننته يريد الحيلة على وهو مجتهد في كلامه فقال بعض الاصحاب انا أعطيه فاعطاه دينارين أو ثلاثة وجاء بخط خردو ومعناه الخط الاصغر مكتوباً بتعريف الحاجب ومعناه أمر خوند عالم ان يعطى من الخزانة المرفوعة كذا الف فلان بكذا بكذا فلان أي بتعريفه ويكتب المبلغ اسمه ثم يكتب على تلك البراءة ثلاثة من الامراء وهم الخزان الا عظم قطلو خان معلم السلطان والخريطة دار وهو صاحب خريطة الكاغد والاقلام والامير نكبكية الدوادار صاحب الدوات فاذا كتب كل واحد منهم خطه يذهب بالبراق الى ديوان الوزارة فينسخها كتاب الديوان عندهم ثم تثبت في ديوان الاشراف ثم تثبت في ديوان النظر ثم تكتب الى الرواق وهي الحكم من الوزير للخازن بالعطاء ثم يثبتها الخازن في ديوانه ويكتب تلخيصا في كل يوم يبلغ ما أمر به السلطان ذلك اليوم من المال ويعرضه عليه فن أراد التججيل بعطائه أمر بتججيله ومن أراد التوقيف وقف له ولكن لا بد من عطاء ذلك ولو طالت المدة فقد توقفت هذه الاثنا عشر ألفا ستة أشهر ثم أخذتها مع غيرها حسب ما يأتي وعادتهم اذا أمر السلطان باحسان لا حد يحيط منه العشر فن أمر له مثلاً بمائة ألف أعطى تسعين ألفاً أو بعشرة آلاف أعطى تسعة آلاف

﴿ذكر طلب الغرماء ما لهم قبلي ومدحى للسلطان وأمره بخلاص ديني وتوقف ذلك مدة﴾
وكنيت حسبما ذكرته قد استندت من التجار ما لا انفقته في طريقي وما صنعت به الهدية للسلطان وما انفقته في اقامتي فلما أرادوا السفر الى بلادهم الحوا على في طلب ديونهم قد حث السلطان بقصيدة طويلة أولها

اليك أمير المؤمنين المجلا * اتينا نجد السير نحوك في الفلا
فجئت محلا من علائك زائرا * ومعنا ككف لا زيارة أهلا
فلوان فوق الشمس للمجد رتبة * لكنك لا علاها امام مؤهلا
فأنت الامام المجدد الا وحده الذي * سبحانه حتما أن يقول ويفعل
ولي حاجة من فيض جودك أرتجى * قضاهما وقصدي عند مجدك سهلا
أذكرها أم قد كفاني حياؤكم * فان حياكم ذكره كان أجلا

فجعل

فجعل لمن وافى محلك زائراً * قضا دينه ان الغريم تجللا

فقد متهابين يديه وهو قاعد على كرسي فجعلها على ركبته وامسك طرفها بيده وطرفها الثاني بيدي وكنت اذا أكلت بيتا منها أقول لقاضي القضاة كمال الدين الغزنوي بين معناه لخوند عالم فيبينه ويعجب السلطان وهم يحبون الشعر العربي فلما بلغت الى قولي فجعل لمن وافى البيت قال مرحلة ومعناه ترجمت عليك فأخذ الجباب حينئذ يدي ليذهبوا بي الى موقفهم واخدم على العادة فقال السلطان اتركوه حتى يكلمها فاكلمتها وخدمت وهنأني الناس بذلك وأقت مدة وكتبت رفعا وهم يسمونه عرض داشت فدفعته الى قطب الملك صاحب السند فدفعه للسلطان فقال له امض الى خواجه جهان فقل له يعطى دينه فخصني اليه واعلمه فقال نعم وابطأ ذلك اياما وأمره السلطان في خلاها بالسفر الى دولة آباد وفي اثناء ذلك خرج السلطان الى الصيد وسافر الوزير فلم آخذ شيئا منها الا بعد مدة والسبب الذي توقف به عطاؤها اذ كره مستوفي وهو انه لما عزم الذين كان لهم على الدين الى السفر قلت لهم اذا أنا أتيت دار السلطان فدرهوني على العادة في تلك البلاد لعلني ان السلطان متى يعلم بذلك خلصهم وعادتهم انه متى كان لا حدين على رجل من ذوى العناية وأعوزه خلاصه وقف له بباب دار السلطان فاذا أراد الدخول قال له دروهي السلطان وحق رأس السلطان ما تدخل حتى تخلصني فلا يمكنه أن يبرح من مكانه حتى يخلصه أو يرغب اليه في تأخير فاتفق يوما ان خرج السلطان الى زيارة قبر أبيه ونزل بقصر هنالك فقلت لهم هذا وقتكم فلما أردت الدخول وقفوا لي بباب القصر فقالوا لي دروهي السلطان ما تدخل حتى تخلصنا وكتب كتاب الباب بذلك الى السلطان فخرج حاجب قصة شمس الدين وكان من كبار الفقهاء فسألهم لاى شئ درهتمود فقالوا لنا عليه الدين فرجع الى السلطان فاعلمه بذلك فقال له اسألهم كم مبلغ الدين فسألهم فقالوا له خمسة وخمسون ألف دينار فعاد اليه فاعلمه فأمره ان يعود اليهم ويقول لهم ان خوند عالم يقول لكم المال عندي وانا أنصفكم منه فلا تطلبوه به وأمر عماد الدين السمناني وخداوندزاده غياث الدين ان يقعدوا به زارا سطون ويأتى أهل الدين يعقودهم وينظروا اليها ويتحققوها ففعلوا ذلك وأتى الغرماء يعقودهم فدخلا الى السلطان واعلماه بثبوت العقود فضحك وقال مما زحاً أنا أعلم انه قاض جهازه شغله فيها ثم أمر خداوندزاده ان يعطيني ذلك من الخزانة فطمع في الرشوة على ذلك وامتنع ان يكتب خط خرد فبعثت اليه مائتي تنكة فردّها ولم يأخذها وقال لي عنه بعض خدامه انه طلب خمسة مائة تنكة فامتنعت من ذلك واعلمت عميد الملك بن عماد الدين السمناني بذلك فاعلم به اياه وعلمه الوزير وكانت بينه وبين خداوندزاده عداوة فاعلم السلطان بذلك وذكر له

كثيرا من افعال خداوند زاده فغير خاطر السلطان عليه فأمر بحبسها في المدينة وقال لاى
شيء اعطاه فلان ما أعطاه ووقفوا ذلك حتى يعلم هل يعطى خداوند زاده شيئا اذا منعتة أو يمنعه
اذا أعطيته فهذا السبب توقف عطاء ديني

(ذكر خروج السلطان الى الصيد وخروجه معه وما صنعت في ذلك)

ولما خرج السلطان الى الصيد خرجت معه من غير تر بص وكنت قد أعددت ما يحتاج اليه
وعملت ترتيب أهل الهند فاشترت سراجة وهي افراج وضربها هنالك مباح ولا بد منها الكبار
الناس وتمتاز سراجة السلطان بكونها اجراء وسواها بيضاء منقوشة بالازرق واشترت
الصيوان وهو الذي يظل به داخل السراجة ويرفع على عمودين كبيرين ويحمل ذلك الرجال
على أعناقهم ويقال لهم الكيوانية والعادة هنالك ان يكثرى المسافر الكيوانية وقد
ذكرناهم ويكثرى من يسوق له العشب لعلف الدواب لانهم لا يطعمونها التبن ويكثرى
الكهارين وهم الذين يحملون أواني المطبخ ويكثرى من يحمله في الدولة وقد ذكرناها
ويحملها فارغة ويكثرى الفراشين وهم الذين يضربون السراجة ويفرشونها ويرفعون الاحمال
على الجبال ويكثرى الدوادوية وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل فاكثرت
انا جميع من احتجت له منهم وظهرت القوة والهمة وخرجت يوم خروج السلطان وغيرى
اقام بعده اليومين والثلاثة فلما كان بعد العصر من يوم خروجه ركب الفيل وقصده ان
يتطلع على أحوال الناس ويعرف من تسارع الى الخروج ومن ابطأ وجلس خارج السراجة
على كرسي بجفت وسلمت ووقفت في موقفى باليمين فبعث الى الملك الكبير قبوله سرجامدار
وهو الذى يشرد الذباب عنه فأمرنى بالجلوس عن يمينه ولم يجلس في ذلك اليوم سوائى ثم
أتى بالفيل والصق به سلم فركب عليه ورفع الشطر فوق رأسه وركب معه الخواص وجال ساعة
ثم عاد الى السراجة وعادته اذار كى أن يركب الامراء أقواجا كل أمير بفوجه وعلاماته
وطبولة وانفاره وصرنا ياته ويسمون ذلك المراتب ولا يركب امام السلطان الا الحجاب وأهل
الطرب والطبالة الذين يتقلدون الاطبال الصغار والذين يضربون الصرنايات ويكون عن يمين
السلطان نحو خمسة عشر رجلا وعن يساره مثل ذلك منهم قضاة القضاة والوزير وبعض الامراء
الكبار وبعض الاعزة وكنت انا من أهل ميمته ويكون بين يديه المشاؤون والادلاء ويكون خلفه
علاماته وهى من الحرير المذهب والاطبال على الجبال وخلف ذلك محال كيه وأهل دخلته
وخلفهم الامراء وجميع الناس ولا يعلم أحد أين يكون النزول فاذا أمر السلطان بمكان يجبه
النزول به أمر بالنزول ولا تضرب سراجة احد حتى تضرب سراجته ثم يأتى الموكلون بالنزول
فينزلون كل أحد في منزله وفى خلال ذلك ينزل السلطان على نهر او بين اشجار وتقدم بين

يديه لحوم الاغنام والدجاج المسمنة والكراكي وغيرهما من أنواع الصيد ويحضر ابناء الملوك وفي يد كل واحد منهم سفود ويوقدون النار ويشترون ذلك ويؤتى بسراجة صغيرة فتضرب للسلطان ويجلس من معه من الخواص خارجها ويؤتى بالطعام ويستدعى من شاء فيأكل معه وكان في بعض تلك الايام وهو بداخل السراجة يسأل عن بخارجها فقال له السيد ناصر الدين مطهر الا وهري احد ندماثة ثم فلان المغربي وهو متغير فقال لماذا فقال بسبب الدين الذي عليه وغرماؤه يلحون في الطلب وكان خوند عالم قد أمر الوزير باعطائه فسا فر قبل ذلك فان أمر مولانا ان يصبر أهل الدين حتى يقدم الوزير وأمر بانصافهم وحضر لهذا الملك دولة شاه وكان السلطان يخاطبه بالعم فقال يا خوند عالم كل يوم هو يكلمني بالعربية ولا أدري ما يقول يا سيدي ناصر الدين ماذا وقصد ان يكرر ذلك الكلام فقال يتكلم لاجل الدين الذي عليه فقال السلطان اذا دخلنا دار الملك فامض انت يا أومار ومعناه ياعم الى الخزانة فاعطه ذلك المال وكان خنداوندزاده حاضرا فقال يا خوند عالم انه كثير الانفاق وقد رأيت به بلادنا عند السلطان طر مشيرين وبعد هذا الكلام استحضرنى السلطان للطعام ولا علم عندي بما جرى فلما خرجت قال لي السيد ناصر الدين اشكر للملك دولة شاه وقال لي الملك دولة شاه اشكر لخنداوندزاده وفي بعض تلك الايام ونحن مع السلطان في الصيد ركب في المحلة وكان طريقه على منزلي وانا معه في المينة وأصحابي في الساقة وكان لي خباء عند السراجة فوقف أصحابي عندها وسلموا على السلطان فبعث عماد الملك وملك دولة شاه ليسألا من تلك الاخبية والسراجة فقبل لهما فلان فأخبراه بذلك فتبسم فلما كان بالغد نفذ الامر ان اعودانا وناصر الدين مطهر الا وهري وابن قاضي مصر وملك صبيح الى البلد فخلع علينا وعدنا الى الحضرة

(ذكر الجمل الذي اهديته للسلطان)

وكان السلطان في تلك الايام سألتني عن الملك الناصر هل يركب الجمل فقلت له نعم يركب المهاري في أيام الحج فيسير الى مكة من مصر في عشرة أيام ولكن تلك الجمال ليست بجمال هذه البالد واخبرته ان عندي جمال منها فلما عدت الى الحضرة بعثت عن بعض عرب مصر قصوري صورة الكور الذي تركب المهاري به من القير وأريت بها بعض التجارين فعمل الكور واتفذه وكسوته بالملف وصنعت له ركبا وجعلت على الجمل عبادة حسنة وجعلت له خطام حرير وكان عندي رجل من أهل اليمن يحسن عمل الحلواء فصنع منها ما يشبه الثمر وغيره وبعثت الجمل والحلواء الى السلطان وأمرت الذي جعلها ان يدفعها على يده ملك دولة شاه وبعثت له بفرس وجملين فلما وصله ذلك دخل على السلطان وقال يا خوند عالم رأيت العجب

قال وما ذلك قال فلان بعث جملا عليه سرج فقال ائتوا به فادخل الجمل داخل السراجة
واجبب به السلطان وقال لراجل اركبه فركبه ومشاه بين يديه وأمر له بما تئى ذينار دراهم
وخلعة وعاد الرجل الى فاعلمنى فسرني ذلك واهديت له جملين بعد عودته الى الحضرة

﴿ذكر الجملين اللذين اهديتهما اليه والخلوة وأمره بخلاص ديني وما تعلق بذلك﴾
ولما عاد الى راجلى الذى بعثته بالجمل فاخبرني بما كان من شأنه صنعت كورين اثنين وجعلت
مقدم كل واحد ومؤخره مكسوبا بصفايح الفضة المذهبة وكسوتهما بالملف وصنعت رسنا
مصنعا بصفايح الفضة وجعلت لهما جملين من زردخانة مبطنين بالكمنخا وجعلت للجملين
الخلاخيل من الفضة المذهبة وصنعت احد عشر طيفورا وملاتهما بالخلوة وغطيت كل طيفور
بمنديل خيزر فلما قدم السلطان من الصيد وقعد ثاني يوم قدومه بموضع جلوسه العام غدوت
عليه بالجمل فأمر بها فركت بين يديه وهرولت قطار الخلاخيل احدها فقال لبهاء الدين بن
الفلكى يا بل وردارى معنى ذلك ارفع الخلاخيل فرفعه ثم نظر الى الطيافير فقال جـ دارى
(چه دارى) در آن طبقهها حلوا است معنى ذلك ما معك في تلك الاطباق حلوة هي فقلت له نعم
فقال للفقيه ناصر الدين الترمذى الواعظ ما اكلت قط ولا رأيت مثل الخلوة التى بعثها اليها
وفحن بالمعسكر ثم أمر بتلك الطيافير ان ترفع لموضع جلوسه الخاص فرفعت وقام الى مجلسه
واستدعاني وأمر بالطعام فأكلت ثم سألتني عن نوع من الخلوة الذى بعثت له قبل فقلت له
ياخوند عالم تلك الخلوة انواعها كثيرة ولا أدري عن أى نوع تسألون منها فقال ائتوا بتلك
الاطباق وهم يسمون الطيفور طبقا فانوا بها وقد موها بين يديه وكشفوا عنها فقال عن هذا
سألتك وأخذ الصحن الذى هي فيه فقلت له هذه يقال لها المقرصة ثم أخذ نوعا آخر فقال
وما اسم هذه فقلت له هي لقيمات القاضى وكان بين يديه تاجر من شيوخ بغداد يعرف
بالسامرى وينتسب الى آل العباس رضى الله تعالى عنه وهو كثير المال ويقول له السلطان
والذى فسدنى وأراد ان يخجلنى فقال ليست هذه لقيمات القاضى بل هي هذه وأخذ
قطعة من التى تسمى جلد الفرس وكان بازائه ملك الندماء ناصر الدين الكافى الهروى وكان
كثيرا ما يمازح هذا الشيخ بين يدي السلطان فقال له ياخوندا انت تكذب والقاضى يقول
الحق فقال له السلطان وكيف ذلك فقال ياخوند عالم هو القاضى وهي لقيماته فانه أتى بها
فضحك السلطان وقال صدقت فلما فرغنا من الطعام أكل الخلوة ثم شرب الفقاع بعد ذلك
وأخذنا التنبول وانصرفنا فلم يكن غير هنيئة واتانى الخازن فقال ابعت أصحابك يقبضون
المال فبعثتهم وعدت الى دارى بعد المغرب فوجدت المال بها وهو ثلاث بدريهاس ستة
آلاف ومائتان وثلاث وثلاثون تنكة وذلك صرف الخمسة والتجسين ألفا التى هي دين على

وصرف الاثنى عشر ألفا التي امر لي بها فيما تقدم بعد حط العشر على عادتهم وصرف
التسكة ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب

﴿ذكر خروج السلطان وأمره الى بالاقامة بالحضرة﴾

وفي تاسع جمادى الاولى خرج السلطان برسم قصدي بلاد المغرب وقاتل القبايل بها وكنت قد
خلصت أصحاب الدين وعزمت على السفر واعطيت مرتبة تسعة أشهر للكهارين والفراسين
والكيوانية والدواوية وقد تقدم ذكرهم فخرج الامر باقامتي في جملة ناس وأخذ الحاجب
خطوطه بذلك لتكون حجة له وتلك عادتهم خوفا من ان ينكر المبلغ وأمر لي بستة آلاف
دينار دراهم وأمر لابن قاضي مصر بعشرة آلاف وكذلك كل من أقام من الاعزة وأما
البلديون فلم يعطوا شيئا وأمر لي السلطان ان اتولى النظر في مقبرة السلطان قطب الدين
الذي تقدم ذكره وكان السلطان يعظم تربته تعظيما شديدا لانه كان خديما له ولقد
رأيت به اذا أتى قبره يأخذ نعله فيقبله ويجعله فوق رأسه وعادتهم ان يجعلوا نعل الميت
عند قبره فوق مكانة وكان اذا وصل القبر خدع له كما كان يخدم أيام حياته وكان يعظم
زوجته ويدعوها بالاخت وجعلها مع حرمه وزوجها بعد ذلك لابن قاضي مصر واعتنى به
من أجلها وكان يعضي لزيارتها في كل جمعة ولما خرج السلطان بعث عنا اللوداع فقام ابن
قاضي مصر فقال أنا لا أودع ولا أفارق خوند عالم فكان له في ذلك الخير فقال له السلطان
امض فتجهز للسفر وقد مت بعد ملوداع وكنت أحب الاقامة ولم تكن عاقبتها محمودة فقال
مالك من حاجة فأخرجت بطاقة فيها ست مسائل فقال لي تكلم بلسانك فقلت له ان خوند
عالم أمر لي بالقضاء وما قعدت لذلك بعد وليس مرادى من القضاء الا حرمة فأمرني بالعودة
للقضاء وعودة النائبين معي ثم قال لي ايه فقلت وروضة السلطان قطب الدين ماذا افعل فيها
فاني ربيت فيها اربعمائة وستين شخصا ومحصول أوقافها لا يفي بمرتباتهم وطعامهم فقال
لوزيرينجاهزار ومعناه خمسون ألفا ثم قال لك لا بد لك من غلة بديعية يعنى أعطه مائة ألف من
من المغلة وهي القمح والارز ينفعها في هذه السنة حتى تأتي غلة الروضة والمن عشرين
رطلا مغربية ثم قال لي وماذا أيضا فقلت ان أصحابي سجنوا بسبب القرى التي اعطيتوني
فاني عوضتها بغيرها فطلب أهل الديوان ما وصلني منها أو الاستظهار بأمر خوند عالم ان
يرفع عني ذلك فقال كم وصلك منها فقلت خمسة آلاف دينار فقال هي انعام عليك فقلت له
ودارى التي امرت لي بها مفتقرة الى البناء فقال للوزير عمارة كنيدي أى معناه عمر وهاشم
قال لي ديكر غماند فقلت له لا معناه هل بقي لك كلام فقال لي وصية ديكر هست معناه أو صيك
ان لا تأخذ الدين لثلاث طلب فلا تجسد من يبلغ خبرك الى انفق على قدر ما أعطيتك قال الله

تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فاردت ان أقبل قدمه فنعني وامسك
رأسى بيده فقبلتها وانصرفت وعدت الى الحضرة فاشتغلت بعمارة دارى وأنفقت فيها
أربعة آلاف دينار أعطيت منها من الديوان ستمائة دينار وزدت عليها الباقي وبنيت بازائها
مسجدا واشتغلت بترتيب مقبرة السلطان قطب الدين وكان السلطان قد أمر ان تبنى عليه
قبة يكون ارتفاعها فى الهواء مائة ذراع بزيادة عشرين ذراعا على ارتفاع القبة المبنية على
قازان ملك العراق وأمر ان تشتري ثلاثون قرية تكون وقفها عليها وجعلها بيدي على ان
يكون لى العشر من فائدها على العادة

(ذكر ما فعلته فى ترتيب المقبرة)

وعادة اهل الهند ان يرتبوا الامواتهم ترتيبا كترتيبهم بقميد الحياة ويؤتى بالفيلة والخيول
قربط عند باب التربة وهى مزينة فترتب انا فى هذه التربة بحسب ذلك ورتبت من قراء القرآن
مائة وخمسين وهم يسمونهم الختميين ورتبت من الطلبة ثمانين ومن المعبدن ويسمونهم
المكررين ثمانية ورتبت لهما مدرسا ورتبت من الصوفية ثمانين ورتبت الامام والمؤذنين والقراء
بالاصوات الحسان والمتداحين وكتاب الغيبة والمعرفين وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بالارباب
وربت صنفا آخر يعرفون بالخاصية وهم الفراسون والطباخون والدواوية والابدارية وهم
السقاؤون والشربدارية الذين يسقون الشربة والتنبول دارية الذين يعطون التنبول
والسلحدارية والنسيزدارية والشطردارية والطشتدارية والحجاب والنقباء فكان جميعهم
أربعمائة وستين وكان السلطان أمر ان يكون الطعام بها كل يوم اثني عشر مناما من الدقيق
ومثلها من اللحم فرأيت ان ذلك قليل والزرع الذى أمر به كثير فكنت أنفق كل يوم خمسة
وثلاثين مناما من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يتبع ذلك من السكر والنبات والسمن والتنبول
وكنت أطعم المرتبين وغيرهم من صادر ووادر وكان الغلاء شديدا فارتفق الناس به - ذا
الطعام وشاع خبره وسافر الملك صبيح الى السلطان بدولة آباد فسأله عن حال الناس فقال له
لو كان بدهلى اثنان مثل فلان لما شكك الجهد فأعجب ذلك السلطان وبعث الى بخلعة
من ثيابه وكنيت اصنع فى المواسم وهى العيدان والمولد الكريم ويوم عاشوراء وليلة النصف
من شعبان ويوم وفاة السلطان قطب الدين مائة من من الدقيق ومثلها الجافيا كل منها الفقراء
والمساكين وأما اهل الوظيفة فيجعل امام كل انسان منهم ما يخصه ولذا كرعاداتهم
فى ذلك

﴿ ذكر عاداتهم في اطعام الناس في الولاة ﴾

وعادتهم ببلاد الهند وبلاد السرا انه اذا فرغ من أكل الطعام في الولاية جعل امام كل انسان من الشرفاء والفقهاء والمشايخ والقضاة وعاء شبيه المهدله أربع قوائم منسوج سطحه من الخوص وجعل عليه الرقاق ورأس غنم مشوى وأربعة اقراص معجونة بالسمن مملوءة بالحلواء الصابونية مغطاة بأربع قطع من الحلواء كأنها الاجرو طبة صغيرة مصنوعة من الجلد فيه الحلواء والسمسك ويغطي ذلك الوعاء بثوب قطن جسد يدوم من كان دون من ذكرناه جعل امامه نصف رأس غنم ويسمونه الزلة ومقدار النصف مما ذكرناه ومن كان دون هؤلاء أيضا جعل امامه مثل الربع من ذلك ويرفع رجال كل أحدا جعل امامه وأول ما رأيته يصنعون هذا بمدينة السرا حضرة السلطان أوزبك فامتنعت ان يرفع رجالى ذلك اذ لم يكن لى به عهد وكذلك يبعثون أيضا الدار كبراء الناس من طعام الولاة

﴿ ذكر خروجى الى هزارا أمروها ﴾

وكان الوزير قد أعطانى من الغلة المأمور بها لثراوية عشرة آلاف من ونفذلى الباقي فى هزارا أمروها وكان الى الخراج بها عزيز الخمار وأمر بها شمس الدين البندخشانى فبعثت رجالى فأخذوا بعض الاحالة وتشكوا من تعسف عزيز الخمار فخرجت بنفسى لاستخلاص ذلك وبين دهلى وهذه العمالة ثلاثة أيام وكان ذلك أوان نزول المطر فخرجت فى نحو ثلاثين من أصحابى واستصحبته معى اخوين من المغنيين المحسنين يغنيان لى فى الطريق فوصلنا الى بلدة بجنور وضبط اسمها (بكسر الباء الموحدة وسكون الجيم وفتح النون وآخره راء) فوجدت بها أيضا ثلاثة اخوة من المغنيين فاستصحبتهم فمكنا نوا يغنون لى نوبة والاخران نوبة ثم وصلنا الى أمروها وهى بلدة صغيرة حسنة فخرج علماء اللقاء وجاء قاضىها الشريف أمير على وشيخ زاويتها و اضافانى معاضيفة حسنة وكان عزيز الخمار بموضع يقال له افغان پور على نهر السرو وبيننا وبينه النهر ولا معدية فيه فأخذنا الاثقال فى معدية صنعناها من الخشب والنبات وجزنا فى اليوم الثانى وجاء نجيب اخو عزيز فى جماعة من أصحابه وضرب لنا سراجة ثم جاء اخوه الى والى وكان معروفا بالظلم وكانت القرى التى فى عمالته ألفا وخمسمائة قرية ومحيطها ستون لكافى السنة له فيها نصف العشرون من عجائب النهر الذى نزلنا عليه انه لا يشرب منه أحد فى أيام نزول المطر ولا تسقى منه دابة ولقد اقمنا عليه ثلاثا فاعرف منه أجد غرفة ولا كدنا تقرب منه لانه ينزل من جبل قراچيل التى بها معادن الذهب ويمر على الخشاش المسمومة فن شرب منه مات وهذا الجبل متصل مسيرة ثلاثة أشهر وينزل منه الى بلاد تبت حيث غزلان المسك وقد ذكرنا ما اتفق على جيش المسلمين بهذا الجبل وبهذا

الموضع جاء الى جماعة من الفقراء الحيدرية وعملوا السماع وأوقدوا النيران فدخلوها ولم تضرهم وقد ذكرنا ذلك وكانت قد نشأت بين أمير هذه البلاد شمس الدين البندخشاني وبين واليهاعزيز الخمار منازعة وجاء شمس الدين لقتاله فامتنع منه بداره وبلغت شكايته احدهما الوزير يدهلى فبعث الى الوزير والى الملك شاه أمير الممالك بأمرهما وهم أربعة آلاف مملوك للسلطان والى شهاب الدين الرومي ان ننظر في قضيتهم ما فن كان على الباطل بعثاه مثقفا الى الحضرة فاجتمعوا جميعا بمنزلة وادعى عزيز على شمس الدين دعاوى منها ان خديما له يعرف بالرضي الملتاني نزل بدار خازن عزيز المذكور فشرّب بها الخمر وسرق خمسة آلاف دينار من المال الذي عند الخازن فاستفهمت الرضى عن ذلك فقال لي ما شربت الخمر منذ خرجت من ملتان وذلك ثمانية أعوام فقلت له أو شرّبت بها ملتان قال نعم فأمرت بجلده ثمانين وسجنته بسبب الدعوى للوثظهر عليه وانصرفت عن أمرهما فكانت غيبتي نحو شهرين وكنت في كل يوم اذبح لأصحابي بقرة وتركيت أصحابي ليا توابا للزرع المنفذ على عزيز وجملة عليه فوزع على أهل القرى التي لنظره ثلاثين ألف من يجلونهم على ثلاثة آلاف بقرة وأهل الهند لا يجلون الا على البقر وعليه يرفعون اثقالهم في الاسفار وركوب الخمر عندهم عيب كبير وجيرهم صغار الاجرام يسمونها اللاشة واذا أرادوا الشهار أجذبوا بضربه اركبوه الخمار

(ذكر مكرمة لبعض الاصحاب)

وكان السيد ناصر الدين الاوهري قد ترك عندى لما سافر ألفا وستين تنكة فتصرفت فيها فلما عدت الى دهلى وجدته قد أحال في ذلك المال خداه وندزاده قوام الدين وكان قدّم نائباً عن الوزير فاستفتحت ان اقول له تصرفت في المال فأعطيته نحو ثلثه واقت بدارى اياما وشاع أنى مرضت فأتى ناصر الدين الخوارزمى صدرا الجهان لزيارتي فلما رآنى قال ما أرى بك مرضا فقلت له انى مريض القلب فقال لى عرفنى بذلك فقلت له ابعث الى نائبك شيخ الاسلام اعرفه به فبعثه الى فاعلمته فعاد اليه فاعلمه فبعث الى بألف دينار دراهم وكان له عندى قبل ذلك ألفا ثانيا ثم طلب متى بقية المال فقلت فى نفسى ما يخلصنى منه الا صدر الجهان المذكور لانه كثير المال فبعث اليه بفارس مسرج قيمته وقيمة سرجه ألف وثمانمائة دينار وبفارس ثان قيمته وقيمة سرجه ثمانمائة دينار وببغلتين قيمتهما ألف ومائتا دينار وبتركش فضة وبسيفين غداهما مغشيان بالفضة وقلت له انظر قيمة الجميع وابعث الى ذلك فأخذ ذلك وعمل الجميعه قيمة ثلاثة آلاف دينار فبعث الى ألفا واقتطع الالفين فتغير خاطرى ومرضت بالحى وقلت فى نفسى ان شكوت به الى الوزير اقتضحت فأخذت خمسة أفراس وجاريتين

ومملوكين وبعثت الجميع للملك مغيث الدين محمد بن ملك المملوك عماد الدين السجاني وهو فتى
السن فرد على ذلك وبعث الى مائتي تنكة واغزر وخلصت من ذلك المال فشتان بين فعل
محمد ومحمد

﴿ ذكر خروجي الى محلة السلطان ﴾

وكان السلطان لما توجه الى بلاد المعبر وصل الى التلنك ووقع الوباء بعسكره فعاد الى دولة
آباد ثم وصل الى نهر الكنك فنزل عليه وأمر الناس بالبناء وخرجت في تلك الايام الى محلة
واتفق ما سردناه من مخالفة عين الملك ولازمت السلطان في تلك الايام واعطاني من عتاق
الحيل لما قسمها على خواصه وجعلني فيهم وحضرت معه الوقعة على عين الملك والقبض
عليه وجرت معه نهر الكنك ونهر السرو لزيرة قبر الصالح البطل سالار عود (مسعود) وقد
استوفيت ذلك كله وعدت معه الى حضرة دهلي لما عاد اليها

﴿ ذكر ما هم به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف الله تعالى ﴾

وكان سبب ذلك اني ذهبت يوما لزيارة الشيخ شهاب الدين بن الشيخ الجام بالغار الذي احتفراه
خارج دهلي وكان قصدي رؤية ذلك الغار فلما أخذه السلطان سأل أولاده عن كان يزوره
فذكر وانا ساأنا من جلته ثم فأمر السلطان أربعة من عبيده بملازمتي بالمشور وعادته انه متى
فعل ذلك مع أحد لما يتخلص فكان أول يوم من ملازمتهم لي يوم الجمعة فالحمد لله الله تعالى
الى تلاوة قوله حسبنا الله ونعم الوكيل فقرأتها ذلك اليوم ثلاثة وثلاثين ألف مرة وبث بالمشور
وواصلت الى خمسة ايام في كل يوم مني الختم القرآن وافطر على الماء خاصة ثم افطرت بعد
خمس وواصلت اربعا وتخلصت بعد قتل الشيخ والحمد لله تعالى

﴿ ذكر انقباضني عن الخدمة وخروجي عن الدنيا ﴾

ولما كان بعد مدة انقبضت عن الخدمة ولازمت الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الخاشع
الورع فريد الدهر ووحيد العصر كمال الدين عبد الله الغاري وكان من الاولياء وله كرامات
كثيرة قد ذكرت منها ما شاهدته عند ذكر اسمه وانقطعت الى خدمة هذا الشيخ ووهبت
ما عندي للفقراء والمساكين وكان الشيخ يواصل عشرة ايام واربعا واصل عشرين فكانت
أحب ان اواصل فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول لي ان المنيب
لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى وظهر لي من نفسي تكاسل بسبب شئ بقي معي فخرجت عن
جميع ما عندي من قليل وكثير واعطيت ثياب ظهري لفقير ولبست ثيابه ولزمت هذا الشيخ
خسة أشهر والسلطان اذ ذاك غائب ببلاد السند

﴿ذكر بعث السلطان عني وابيتي عن الرجوع الى الخدمة واجتهادي في العبادة﴾
 وما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا استدعاني وهو يومئذ بسيوستان فدخلت عليه في
 زي الفقراء فكأمني أحسن كلام والطفه وأراد مني الرجوع الى الخدمة فأبيت وطلبت منه
 الاذن في السفر الى الجواز فاذن لي فيه وانصرفت عنه ونزلت براوية تعرف بالنسبة الى الملك
 بشير وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة ثنتين وأربعين فاعتكفت بها شهر رجب وعشر من
 شعبان واتممت الى مواصلة خمسة أيام وافطرت بعدها على قليل ارز دون ادام وكنت أقرأ
 القرآن كل يوم واتسجد بما شاء الله وكنت اذا أكلت الطعام أذاني فاذا طرحته وجدت الراحة
 وأقت كذلك أربعين يوماً ثم بعث عني ثانية

﴿ذكر ما أمرني به من التوجه الى الصين في الرسالة﴾

ولما كملت لي أربعون يوماً بعث الى السلطان خيلاً مسرجة وجواري وغلماً ناوثيراً باونفقة
 فلبست ثيابه وقصدته وكانت لي جبة قطن زرقاء مبطنة لبستها أيام اعتكافي فلما جردتها
 ولبست ثياب السلطان أنكرت نفسي وكنت متى نظرت الى تلك الجبة أجسد نوراني باطني ولم
 تنزل عن صدري الى ان سلبني الكفار في البحر ولما وصلت الى السلطان زادني اكرامى على ما
 كنت أعهده وقال لي انما بعثت اليك لتتوجه عني رسولا الى ملك الصين فاني أعلم حبك
 في الاسفار والجولان فجهزني بما احتاج له وعين للسفر معي من يذكر بعد

﴿ذكر سبب بعث الهدية للصين وذكر من بعث معي وذكر الهدية﴾

وكان ملك الصين قد بعث الى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسمائة ثوب من الكمخا منها
 مائة من التي تصنع بمدينة الزيتون ومائة من التي تصنع بمدينة الخنسا وخمسة امانام من المسك
 وخمسة أثواب مرصعة بالجوهر وخمسة من الترا كش من ركشة وخمسة سيوف وطلب من
 السلطان ان يأذن له في بناء بيت الا صنم الذي بناحية جبل قراجيل المتقدم ذكره ويعرف
 الموضع الذي هو به بسمهل (بفتح السين المهمل وسكون الميم وفتح الهاء) واليه حج أهل الصين
 وتغلب عليه جيش الاسلام بالهند فخر به وسلبه فلما وصلت هذه الهدية الى السلطان كتب
 اليه بأن هذا المطلب لا يجوز في مله الاسلام اسعافه ولا يباح بناء كنيسة بأرض المسلمين الا لمن
 يعطى الجزية فان رضيت باعطائك البحنالك بناءه والسلام على من اتبع الهدى وكافاه عن
 هديته بخير منها وذلك مائة فرس من الجياد مسرجة ملجمة ومائة مملوك ومائة جارية من كفار
 الهند مغنيات ورواقص ومائة ثوب بيرمية وهي من القطن ولا نظير لها في الحسن قيمة
 الثوب منها مائة دينار ومائة شقة من ثياب الحرير المعروفة بالجز (بضم الجيم وزاي) وهي
 التي يكون حرير احداها مصبوغاً بخمسة ألوان وأربعة ومائة ثوب من الثياب المعروفة

بالصلاحية

بالصلاحية ومائة ثوب من الشيرين باف ومائة ثوب من الشان باف وحسمائة ثوب من المارعر
مائة منها سود ومائة بيض ومائة حجر ومائة خضر ومائة زرق ومائة شقة من السكبان الرومي
ومائة فضلة من الملف وسراجة وست من القباب وأربع حسك من ذهب وست حسك من
فضة منيلة وأربعة طسوت من الذهب ذات اياريق كئلهما وستة طسوت من الفضة وعشر خلخ
من ثياب السلطان من ركشة وعشر شواش من لباسه احداها من صعة بالجواهر وعشرة
تراكش من ركشة واحداها من صع بالجواهر وعشرة من السيوف احداها من صع الغمد
بالجواهر ودشتبان (دستبان) وهو قنار من صع بالجواهر وخسة عشر من الفتيان وعين
السلطان للسفر معي بهذه الهدية الامير ظهير الدين الزنجاني وهو من فضلاء اهل العلم والفتى
كافور الشربدار واليه سلمت الهدية وبعث معنا الامير محمد الهروي في ألف فارس ليوصلنا
الى الموضع الذى نركب منه البحر وتوجه بحببنا ارسال ملك الصين وهم خمسة عشر رجلا
يسمى كبيرهم ترسي وخدامهم من نحو مائة رجل وانفصلنا فى جمع كبير ومجلة عظيمة وامر لنا
السلطان بالضيافة مدة سفرنا ببلاده وكان سفرنا فى السابع عشر لشهر صفر سنة ثلاث
وأربعين وهو اليوم الذى اختاروه للسفر لانهم يختارون للسفر من أيام الشهر ثانيه اوسابعه
او الثانى عشر او السابع عشر او الثانى والعشرين او السابع والعشرين فكان نزولنا فى اول
من حلة بمنزل تلبت على مسافة فرسخين وثلاث من حضرة دهلى ورحلنا منها الى منزل او
ورحلنا منه الى منزل هيلو ورحلنا منه الى مدينة بيانة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وفتح
الياء آخر الحروف مع تخفيفها وفتح النون) مدينة كبيرة حسنة البناء مليحة الاسواق
ومسجدها الجامع من أبداع المساجد وحيطانه وسقفه حجارة والامير بهامظفر ابن الداية
وامه هى داية السلطان وكان بها قبلة الملك مجير بن أبى الرجا احد كبار الملوك وقد تقدم
ذكره وهو ينتسب فى قریش وفيه تجبر وله ظلم كثير قتل من أهل هذه المدينة جلة ومثل بكثير
منهم ولقد رأيت من أهلها رجلا حسن الهيئة قاعد فى أسطوان منزله وهو مقطوع اليدين
والرجلين وقد قدم السلطان مرة على هذه المدينة فتشكى الناس من الملك مجير المذكور فامر
السلطان بالقبض عليه وجعلت فى عنقه الجامعة وكان يقعد بالديوان بين يدي الوزير وأهل
البلد يكتبون عليه المظالم فامر السلطان بارضائهم فارضاهم بالاموال ثم قتله بعد ذلك
ومن كبار أهل هذه المدينة الامام العالم عز الدين الزبيرى من ذرية الزبير بن العوام رضى الله
عنه أحد كبار الفقهاء الصالحاء لقيه بكاليور عند الملك عز الدين البنتانى المعروف بأعظم
ملك ثم رحلنا من بيانة فوصلنا الى مدينة كول (وضبط اسمها بضم الكاف) مدينة حسنة ذات
بساتين وأكثر أشجارها العنب ونزلنا بخارجها فى بسيط أقيم ولقينا بها الشيخ الصالح العابد

شمس الدين المعروف بابن تاج العارفين وهو مكفوف البصر معمر وبعد ذلك سجنه السلطان
ومات في سجنه وقد ذكرنا حديثه

* (ذكر غزوة شهدناها بكون) *

ولما بلغنا الى مدينة كول بلغنا ان بعض كفار الهند حاصر والدة الجلالى واحاطوا بها وهى
على مسافة سبعة أميال من كول فقصدها والى كفار يقاتلون اهلها وقد أشرفوا على التناف
ولم يعلم الكفار بنا حتى صدقنا الجملة عليهم وهم فى نحو ألف فارس وثلاثة آلاف راجل فقتلناهم
عن آخرهم واحتوينا على خيلهم واسلحتهم واستشهد من أصحابنا ثلاثة وعشرون فارسا وخمسة
وخمسون راجلا واستشهد الفتى كافور الساقى الذى كانت الهدية مسجلة بيده فكتبنا الى
السلطان بنخبره واقضنا فى انتظار الجواب وكان الكفار فى اثناء ذلك ينزلون من جبل
هناك منيع فيغيرون على نواحي بلدة الجلالى وكان أصحابنا يركبون كل يوم مع أمير تلك
الناحية ليعينوه على مدافعتهم

(ذكر محنتى بالأسر وخلاصى منه وخلاصى من شدة بعده على يدولى من أولياء الله تعالى)
وفى بعض تلك الايام ركبت فى جماعة من أصحابى ودخلنا بستانا ثقيلا فيه وذلك فصل القبط
فسمعنا الصياح فركبنا ولحقنا كفارا اثارا وعلى قرية من قرى الجلالى فاتبعناهم ففترقوا
وتفرق أصحابنا فى طلبهم وانفردت فى خمسة من أصحابنا فخرج علينا جملة من الفرسان والرجال
من غيضة هنالك ففررنا منهم لكثرتهم واتبعنى نحو عشرة منهم ثم انقطعوا عني الا ثلاثة منهم
ولا طريق بين يدي وتلك الارض كثيرة الحجارة فنشبت يد افرسى بين الحجارة فنزلت عنه
واقبلت يده وعدت الى ركوبه والعادة بالهند ان يكون مع الانسان سيفان احدهما معلق
بالسرج ويسمى الركابى والاخر فى التركش فسقط سيفى الركابى من غمده وكانت حليته
ذهبا فنزلت فأخذه وتقلدته وركبت وهم فى أثرى ثم وصلت الى خندق عظيم فنزلت
ودخلت فى جوفه فكان آخر عهدى بهم ثم خرجت الى وادى وسط شعرا ملتفة فى وسطها
طريق خشيت عليه ولا أعرف منتهاه فبدأنا فى ذلك خرج على نحو اربعين رجلا من الكفار
بايديهم القسي فاحدقوا بى وخفت ان يرموني رمية رجل واحد ان فررت منهم وكنت غير
متدبر فألقيت بنفسى الى الارض واستأسرت وهم لا يقتلون من فعل ذلك فأخذوني
وسلبوني جميع ما على غير جبة وقيص وسروال ودخلوا بى الى تلك الغابة فأتهموا بى الى موضع
جالوسهم منها على حوض ماء بين تلك الاشجار وأتوني بخبز ماش وهو الجلبان فأكلت منه
وشربت من الماء وكان معهم مسلمان كلما نى بالفارسية وسألتنى عن شأنى فأخبرتهم ما بعضه
وكنتم اثنى من جهة السلطان فقالوا لى لا بد ان يقتلك هؤلاء او غيرهم ولكن هذا مقدمهم

واشاروا

واشاروا الى رجل منهم فكلمته بترجمة المسكين وتلطفت له فوكل بي ثلاثة منهم احدهم شيخ ومعه ابنه والاخر أسود خبيث وكلمني اولئك الثلاثة ففهمت منهم أنهم أمر واقتلوا واحتملوني عشي النهار الى كهف وسلط الله على الاسود منهم حتى مرعدة فوضع رجليه على ونام الشيخ وابنه فلما أصبح تكلموا فيما بينهم وأشاروا الى بالنزول معهم الى الحوض وفهمت انهم يريدون قتلي فكلمت الشيخ وتلطفت اليه فرق لي وقطعت كي قميصي واعطيته اياهما لكي لا يأخذاه أصحابه في ان فررت ولما كان عند الظهر سمعنا كلاما عند الحوض فظنوا انهم اصحابهم فإشاروا الى بالة ول معهم فنزلنا ووجدنا قوما آخرين فأشاروا عليهم ان يذهبوا في محبتهم فأبوا وجلس ثلاثهم امامي وأنا مواجه لهم ووضعوا حبل قنب كان معهم بالارض وأنا انظر اليهم وأقول في نفسي بهذا الحبل يربطونني عند القتل وأقت كذلك ساعة ثم جاء ثلاثة من أصحابهم الذين أخذوني فتكلموا معهم وفهمت انهم قالوا لهم لاى شئ ما قتلتموه فأشار الشيخ الى الاسود كانه اعتذر بمرضه وكان أحدهم لاء الثلاثة شبا باحسن الوجه فقال لي اريد ان اسرحك فقلت نعم فقال اذهب فاخذت الجبة التي كانت على فاعطيته اياها واعطاني منيرة بالية عنده واراني الطريق فذهبت وخفت ان يبدو لهم فيدركوني فدخلت غيضة قصب واختفيت فيها الى أن غابت الشمس ثم خرجت وسلكت الطريق التي ارايتها الشاب فافضت بي الى ماء فشربت منه وسرت الى ثلث الليل فوصلت الى جبل فغمت تحته فلما أصبحت سلكت الطريق فوصلت ضحى الى جبل من الصخر عال فيه شجر رأم غيلان والسدر فكانت أجنى النبق فأكاه حتى أثار الشوك في ذراعي اثارا هي باقية به حتى الآن ثم نزلت من ذلك الجبل الى أرض من درعة قطننا وبها أشجار الخروع وهناك باين والبابن عندهم بئر متسعة جدا مطوية بالحجارة لها درج ينزل عليها الى ورد الماء وبعضها يكون في وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقائف والمجالس ويتفاخر ملوك البلاد وأمرأؤها بعمارتها في الطرقات التي لاماء بها وسند كر بعد ما رأيناها منها فيما بعد ولما وصلت الى البابن شربت منه ووجدت عليه شياً من عساليج الخردل قد سقطت لمن غساها فأكلت منها وادخرت باقيةا ونمت تحت شجرة خروع فبينما انا كذلك اذ ورد البابن نحو أربعين فارسا مدرعين فدخل بعضهم الى المزرعة ثم ذهبوا وطعمس الله أبصارهم دوني ثم جاء بعدهم نحو خمسين في السلاح ونزلوا الى البابن واتى أحدهم الى شجرة أزاء الشجرة التي كنت تحتها فلم يشعر بي ودخلت اذ ذاك في مزرعة القطن وأقت به باقية نهاري وأقاموا على البابن يغسلون ثيابهم ويلعبون فلما كان الليل هددت أصواتهم فعلمت انهم قدموا وأنا ما خرجت حينئذ واتبعوا أثر الخيل والليل مقمر وسرت حتى انتهيت الى بابن آخر عايه قبة فنزلت اليه

وشربت من مائه وأكلت من عسالي الخردل التي كانت عندى ودخلت القبة فوجدتها
مملوءة بالعشب مما يجعه الطير فمتم بها وكنت أحس حركة حيوان فى تلك العشب أظنه حية
فلأبالي بها لمابى من الجهد فلما أصبحت سلكت طريقا واسعة تفضى الى قرية خربة
وسلكت سواها فكانت كمثلها وأتت كذلك اياما وفى بعضها وصلت الى أشجار ملتفة بينها
حوض ماء وداخلها شبه بيت وعلى جوانب الحوض تبات الارض كالنجيل وغيره فاردت
ان أقعد هنالك حتى يبعث الله من يوصلنى الى العمارة ثم انى وجدت يسير قوة فنهضت على
طريق وجدت بها أثر البقر ووجدت ثورا عليه بردعة ومنجل فاذا تلك الطريق تفضى الى
قرى الكفار فاتبعته طريقا اخرى فافضت بى الى قرية خربة ورأيت بها أسودين عريانين
نخفتهما وأتت تحت أشجار هنالك فلما كان الليل دخلت القرية ووجدت دارا فى بيت من
من بيوتها شبه خاية كبيرة يصنعونها لاختزان الزرع وفى أسفلها نقب يسع منه الرجل
فدخلتها ووجدت داخلها مفر وشا بالتبين وفيه حجر جعلت رأسى عليه ونمت وكان فوقها
طاير برقر فى جناحيه أكثر الليل وأظنه كان يخاف فاجتمعنا خائفين وأتت على تلك الحال
سبعة أيام من يوم أسرت وهو يوم السبت وفى السابع منها وصلت الى قرية الكفار عامرة
وفىها حوض ماء ومنابت خضر فسألتهم الطعام فأبوا أن يعطونى فوجدت حول بئرها أوراق
بجل فأكلته وجئت القرية فوجدت جماعة كفار لهم طليعة فدعانى طليعتهم فلم اجبه
وقعدت الى الارض فأتى أحدهم بسيف مسلول ورفع لي خنجر بنى به فلم التفت اليه اعظم ما بى
من الجهد ففتشنى فلم يجد عندى شيئا فأخذ القميص الذى كنت اعطيت كيه للشيخ الموكل بى
ولما كان فى اليوم الثامن اشتد بى العطش وعدمت الماء ووصلت الى قرية خراب فلم
اجد بها حوضا وعادتهم بتلك القرى ان يصنعوا أحواضا يجتمع به ماء المطر فيشربون منه
جميع السنة فاتبعته طريقا فافضت بى الى بئر غير مطوية عليها حبل مصنوع من نبات
الارض وليس فيه آنية يستقى بها فربطت خرقة كانت على رأسى فى الحبل وامتمصت
ما تعلق بهام من الماء فلم يرونى فربطت خفى واستقيمت به فلم يرونى فاستقيمت به ثانيا فاقطع
الحبل ووقع الخنجر فى البئر فربطت الخنجر الاخر وشربت حتى رويت ثم قطعته فربطت
اعلاه على رجلى بحبل البئر ويحرق وجدتها هنالك فبينما أنا اربطها وأفكر فى حالى اذ لاح لى
شخص فنظرت اليه فاذا رجل أسود اللون بيده ابريق وعكاز وعلى كاهله جراب فقال لى سلام
عليكم فقلت له عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال لى بالفارسية جيكس (جه كسى)
معناه من أنت فقلت له انا تائه فقال لى وأنا كذلك ثم ربط ابريقه بحبل كان معه واستقى ماء
فأردت ان أشرب فقال لى اصبر ثم فتح جرابه فاخرج منه غرقة حمص اسود مع لمع قليل

ارزفا كنت منه وشربت وتوضأ وصلى ركعتين وتوضأت انا وصليت وسألني عن اسمي فقلت محمد وسألته عن اسمه فقال لي القلب الفارح فتفألت بذلك وسررت به ثم قال لي بسم الله تراقني فقلت نعم فخشيت معه قليلا ثم وجدت فتورا في اعضاءي ولم استطع النهوض فتعدت فقال ماشأناك فقلت له كنت قادرا على المشي قبل ان القاك فلما لقيتك عجزت فقال سبحان الله اركب فوق عنقي فقلت له انك ضعيف ولا تستطيع ذلك فقال يقويني الله لا بذلك من ذلك فركبت على عنقه وقال لي اكثر من قراءة حسبنا الله ونعم الوكيل فاكثر من ذلك وغلبتني عيني فلم أفق الا لسقوطي على الارض فاستيقظت ولم أر للرجل أثرا واذا أنا في قرية عامرة قد دخلتها فوجدتها الرعية الهنود وما كها من المسلمين فاعلموه بي فجاء الى فقلت له ما اسم هذه القرية فقال لي تاج بوره وبينها وبين مدينة كول حيث أصحابنا فرسخان وجملي ذلك الحماكم الى بيته فاطعني طعاما سخنا واغتسلت وقال لي عندي ثوب وعمامة اودعهما عندي رجل عربي مصري من اهل المحلة التي بكول فقلت له هاتهما اليهما البسهما الى ان اصل الى المحلة فأني بهما فوجدتهما من ثيابي كنت قد وهبتهما لذلك العربي لما قدمنا كول فطال تعجبي من ذلك وافكرت في الرجل الذي حملني على عنقه فتذكرت ما اخبرني به ولي الله تعالى أبو عبد الله المرشدي حسبا ذكرناه في السفر الاول اذ قال لي ستدخل ارض الهند وتلقى بها اخي ويخلصك من شدة تقع فيها وتذكرت قوله لما سألته عن اسمه فقال القلب الفارح وتفسيره بالفارسية دلشاد فعلت انه هو الذي اخبرني ببلقائه وانه من الاولياء ولم يحصل لي من صحبتة الا المقدار الذي ذكر وايتت تلك الليلة الى أصحابي بكول معلما لهم بسلامتي فجاءوا الى بفرس وثياب واستبشروا بي ووجدت جواب السلطان قد وصلهم وبعث بفتي يسمى بسنبيل الجامدار عوضا من كافور المستشهد وأمرنا ان نتمادي على سفرتنا ووجدتهم أيضا قد كتبوا للسلطان بما كان من أمري وتشاء مواهب هذه السفارة لما جرى فيها على وعلى كافور وهم يريدون ان يرجعوا فلما رأيت تأكيد السلطان في السفر أكدت عليهم وقوى عزمي فقالوا ألا ترى ما اتفق في بداية هذه السفارة والسلطان يعذرك فلنرجع اليه وندقق حتى يصل جوابه فقلت لهم لا يمكن المقام وحيث ما كنا أدركنا الجواب فرحنا من كول ونزلنا برج بوره وبه زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان لانه لا يلبس عليه الا ثوبا من سرته الى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولي محمد العريان القاطن بقرافة مصر نفع الله به

(حكاية هذا الشيخ)

وكان من أولياء الله تعالى قائما على قدم التجرد يلبس تنورة وهو ثوب يستر من سرته الى

أسفل ويذكر أنه كان اذا صلى العشا لا تحرقه اخرج كل ما بقي بالزاوية من طعام وادام وماء
وفرق ذلك على المساكين ورعى بقتيلة السراج واصبح على غير معلوم وكانت عادته ان يطعم
اصحابه عند الصباح خبز او فولا فكان الخبازون والفوالون يستبقون الى زاويته فيأخذ منهم
مقدار ما يكفي الفقراء ويقول لمن اخذ منه ذلك أقعد حتى ياخذ أول ما يفتح به عليه في ذلك
اليوم قليلاً وكثيراً ومن حكاياته انه لما وصل قازان ملك التتر الى الشام بعساكره وملك
دمشق ما عدا قلعتها وخرج الملك الناصر الى مدافعتهم ووقع اللقاء على مسيرة يومين من
دمشق بموضع يقال له قشحب والملك الناصر اذا ذلك حديث السن لم يعهد الوقائع وكان الشيخ
العريان في صحبته فنزل واخذ قيذاً فقيده به فرس الملك الناصر لثلاثي خرج عند اللقاء لحداته
منه فيكون ذلك سبب هزيمة المسلمين فثبت الملك الناصر وهزم التتر هزيمة شنعاء قتل منهم
فيها كثير وغرق كثير بما أرسل عليهم من المياه ولم يعد التتر الى قصد بلاد الاسلام بعدها
وأخبرني الشيخ محمد العريان المذكور تليد هذا الشيخ انه حضر هذه الواقعة وهو حديث
السن ورحلنا من برج بوره ونزلنا على الماء المعروف بآب سياه ثم رحلنا الى مدينة قنوج
(وضبط اسمها بكسر القاف وفتح النون وواو ساكن وجيم) مدينة كبيرة حسنة العمارة
حصينة رخيصة الاسعار كثيرة السكر ومنها يحمل الى دهلي وعليها سور عظيم وقد تقدم
ذكرها وكان بها الشيخ معين الدين الباخري أضافنا بها وأميرها فيروز البلدخشاني من
ذرية بهرام جور (جوبين) صاحب كسرى ويسكن بها جماعة من الصالحاء الفضلاء
المعروفين بكمال الاخلاق يعرفون بأولاد شرف جهان وكان جدهم قاضي القضاة بدولة آباد
وهو من المحسنين المتصدقين وانتهت الرئاسة ببلاد الهند اليه

﴿حكاية له﴾

يذكر أنه عزل مرة عن القضاء وكان له أعداء فادعى أحدهم عند القاضي الذي ولى بعده
ان له عشرة آلاف دينار قبله ولم تكن له مينة وكان قصده ان يحلفه فبعث القاضي عنه فقال
لرسوله بم ادعى علي فقال بعشرة آلاف دينار فبعث الى مجلس القاضي عشرة آلاف اوسلت
للدعي وبلغ خبره السلطان علاء الدين وصح عنده بطلان تلك الدعوى فاعاده الى القضاء
وأعطاه عشرة آلاف وأقنأه هذه المدينة ثلاثاً ووصلنا فيها جواب السلطان في شأنه بأنه ان لم
يظهر لفسلان أثر في توجه وجهه الملك قاضي دولة آباد عوضاً منه ثم رحلنا من هذه المدينة
فترت لنا بمنزل هنول ثم بمنزل وزير بور ثم بمنزل البحالصة ثم وصلنا الى مدينة موري (وضبط
اسمها بفتح الميم وواو وراء) وهي صغيرة ولها أسواق حسنة واقبت بها الشيخ الصالح المعمر
قطب الدين المسمى بحيدر الفرغانى وكان بحال مرض قد عالى وزودنى رغيف شعير واخبرني

أن عمره ينيف على مائة وخمسين وذكركلى أصحابه أنه يصوم الدهر ويواصل كثيرًا ويكثر
الاعتكاف وربما أقام في خلوته أربعين يومًا يقتات فيها بأربعين تمرًا في كل يوم واحدة وقد رأيت
بدهلى الشيخ المسمى بربح البرقى دخل الخلوة بأربعين تمرًا فأقام بها أربعين يومًا ثم خرج
وقضل معه منها ثلاث عشرة تمرًا ثم رحلنا ووصلنا إلى مدينة مره وضبط اسمها (بفتح الميم
وسكون الراء وهاء) وهى مدينة كبيرة أكثر سكانها كفار تحت الذمة وهى حصينة وبها القمع
الطيب الذى ليس مثله بسواها ومنها يحمل إلى دهلى وحبوبه طوال شديدة الصفرة ضخمة ولم
أر قحًا مثله إلا بأرض الصين وتنسب هذه المدينة إلى المألوة (بفتح اللام) وهى قبيلة من قبائل
الهنود ضخام الأجسام عظام الخلق حسان الصور لنسائهم الجمال الفائق وهن مشهورات
بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة وكذلك نساء المهرثة ونساء جزيرة ذبية المهل ثم سافرنا إلى
مدينة علابور (وضبط اسمها بفتح العين ولام وألف وباء موحدة مضمومة وواو وراء) مدينة
صغيرة أكثر سكانها الكفار تحت الذمة وعلى مسيرة يوم منها سلطان كافر اسمه قتم (بفتح القاف
والتاء المعلقة) وهو سلطان جنيل (بفتح الجيم وسكون النون وكسر الباء الموحدة وياء مد
ولام) الذى حاصر مدينة كاليه وقتل بعد ذلك

(حكايته)

كان هذا السلطان الكافر قد حاصر مدينة رابرى وهى على نهر اللجون كثيرة القرى والمزارع
وكان أميرها خطاب الافغان وهو أحد الشجعان واستعان السلطان الكافر بسلطان كافر
مثله يسمى رجو (بفتح الراء وضم الجيم) وبلده يسمى سلطان بور وحاصر مدينة رابرى فبعث
خطابا إلى السلطان يطلب منه الاغاثة فأبطأ عليه المدد وهو على مسيرة أربعين من الحضرة
نخاف أن يتغلب الكفار عليه فجمع من قبيلة الافغان نحو ثلاثمائة ومثلهم من المماليك ونحو
أربعمائة من سائر الناس وجعلوا العماثم فى أعناق خيلهم وهى عادة أهل الهند إذا أرادوا
الموت وباعوا نفوسهم من الله تعالى وتقدم خطاب وقبيلته وتبعهم سائر الناس وفتحوا الباب
عند الصبح وحملوا على الكفار حملة واحدة وكانوا نحو خمسة عشر ألفا فهزموهم باذن الله وقتلوا
سلطانهم قتم ورجو وبعثوا برأسيهما إلى السلطان ولم ينبج من الكفار إلا الشريد

(ذكر أمير علابور واستشهاده)

وكان أمير علابور بدر الحبشى من عبيد السلطان وهو من الأبطال الذين تضرب بهم الأمثال
وكان لا يزال يغير على الكفار منفردا بنفسه فيقتل ويسبي حتى شاع خبره واشتهر أمره وهابه
الكفار وكان طوالا ضخما يأكل الشاة عن آخرها فى أكلة وأخبرت أنه كان يشرب نحو رطل
ونصف من السمن بعد غدائه على عادة الحبشة بيلادهم وكان له ابن يدانىة فى الشجاعة

فاتفق ان أغار مرة في جماعة من عبيده على قرية لكفار فوقع به الفرس في مطمورة واجتمع عليه اهل القرية فضربه أحدهم بقتارة والقتارة (بقاف معقود وتاء معلوة) حديدة شبيهة سكة الحرث يدخل الرجل يده فيها فتكسوز راعيه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربتها لا تبقى فقتله بتلك الضربة وما فيها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وقتل عبيده أشد القتال فتغلبوا على القرية واخرجوا الفرس من المظمورة سالما فانوابه ولده فكان من الاتفاق الغريب انه ركب الفرس وتوجه الى دهلي فخرج عليه الكفار فقاتلهم حتى قتل وعاد الفرس الى اصحابه فدفعوه الى اهلهم فركبه صهرله فقتله الكفار عاياه ايضا ثم سافروا الى مدينة كاليور (وضبط اسمها بفتح الكاف المعقود وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وواو وراء) ويقال فيه أيضا كاليور وهي مدينة كبيرة لها حصن منيع منقطع في رأس شاهق على بابة صورة فيل وفيال من الحجارة وقد مر ذكره في اسم السلطان قطب الدين وامير هذه المدينة احمد بن سيرخان فاضل كان يكرمني ايام اقامتي عنده قبل هذه السفارة ودخلت عليه يوما وهو يريد توسط رجل من الكفار فقلت له بالله لا تفعل ذلك فاني مارأيت احدا قط يقتل محضري فامر بسجنه وكان ذلك سبب خلاصه ثم رحلنا من مدينة كاليور الى مدينة برون (وضبط اسمها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخره نون) مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار اميرها مجدين بيرم التركي الاصل والسباع بها كثيرة وذكري بعض اهلها ان السبع كان يدخل اليها ليلًا وابوابها مغلقة فيقترب الناس حتى قتل من اهلها كثيرا وكانوا يجيئون في شأن دخوله واخبرني محمد التوفيري من اهلها وكان جاريا اليها انه دخل داره ليلًا واقترب صبيًا من فوق السريروا خبرني غيره انه كان مع جماعة في دار عرس فخرج احدهم لحاجة فاقتربه اسد فخرج اصحابه في طلبه فوجدوه مطروحا بالسوق وقد شرب دمه ولم يأكل لجه وذكري والله كذلك فعله بالناس ومن العجب ان بعض الناس اخبرني ان الذي يفعل ذلك ليس بسبع وانما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجوكية يتصور في صورة سبع ولما اخبرت بذلك انكرته واخبرني به جماعة ولندكر بعضا من اخبار هؤلاء السحرة

(ذكر السحرة الجوكية)

وهؤلاء الطائفة تظهر منهم عجائب منها ان احدهم يقيم الاشهر لا يأكل ولا يشرب وكثير منهم تحفر لهم حفر تحت الارض وتبنى عليه فلا يترك له الا موضع يدخل منه الهواء ويقيم بها الشهور وسمعت ان بعضهم يقيم كذلك سنة ورأيت بمدينة منجور رجلا من المساكين من يتعلم منهم قدر نعت له طيلة واقام بأعلاها لا يأكل ولا يشرب مدة خمسة وعشرين يوما وتركته كذلك فلا تدري كم اقام بعدى والناس يذكرون انهم يركبون جيوبايا كلون الحبة منها الايام

معلومة او اشهر فلا يحتاج في تلك المدة الى طعام ولا شراب ويخبرون بامور مغيبة والسلطان يعظمهم ويجالسهم ومنهم من يقتصر في اكله على البقل ومنهم من لا يأكل اللحم وهم الاكثرون والظاهر من حالهم انهم عودوا انفسهم الى رياضة ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها ومنهم من ينظر الى الانسان فيقع ميتا من نظره وتقول العامة انه اذا قبل بالنظر وشق عن صدر الميت وجد دون قلب ويقولون اكل قلبه واكثر ما يكون هذا في النساء والمرأة التي تفعل ذلك تسمى كفتار

(حكاية)

لما وقعت المجاعة العظمى ببلاد الهند بسبب القحط والسلطان ببلاد التلند: نفذ أمره ان يعطى لاهل دهلي ما يتوهم بحساب رطل ونصف للواحد في اليوم فجمعهم الوزير ووزع المساكين منهم على الامراء والقضاة ليتولوا اطعامهم فكان عندي منهم خمسة نفوس فعمرت لهم سقائف في داري واسكنتهم بها وكنت اعطيهم نفقة خمسة ايام في خمسة ايام فلما كان في بعض الايام اتوني بمرأة منهم وقالوا انها كفتار وقد اكلت قلب صبي كان الى جانبها واتوا بالصبي ميتا فامرتهم ان يذهبوا بها الى نائب السلطان فامر باختيارها وذلك بان ملوا اربع جرات بالماء وربطوها بيديها ورجليها وطرحوها في نهو الجون فلم تغرق فعلم انها كفتار ولولم تطف على الماء لم تكن بكفتار فامر باحراقها بالنار واتوا اهل البلد رجالا ونساء فأخذوا رمادها وزعموا انه من نخر به أمن في تلك السنة من سحر كفتار

(حكاية)

بعث الى السلطان يوما واباعنده بالحضرة قد دخلت عليه وهو في خلوة وعنده بعض خواصه ورجلان من هؤلاء الجوكية وهم يلتحفون بالملاحف ويغطون رؤسهم لانهم ينتفونهم بالرماد كما ينتف الناس آباطهم فأمرني بالجلوس فجلست فقال لهما ان هذا العز من بلاد بعيدة فأرياه ما لم يره فقلا انهم قتر ببع أحد هما ثم ارتفع عن الارض حتى صار في الهواء فوقنا مترعا فعجبت منه وادركني الوهم فسقطت الى الارض فأمر السلطان ان اسقى دواء عنده فأفقت وقعدت وهو على حاله متر ببع فأخذ صاحبه نعلاله من شكارة كانت معه فضرب بها الارض كالغناظ فصعدت الى ان علت فوق عنق المتر ببع وجعلت تضرب في عنقه وهو ينزل قليلا قليلا حتى جلس معنا فقال لي السلطان ان المتر ببع هو تليد صاحب النعل ثم قال لولا اني اخاف على عقلك لامرتهم ان يأنوا باعظم مما رأيت فانصرفت عنه واصابني الخفقان ومرضت حتى امر لي بشربة اذهبت ذلك عني ولنعلم ان كتابي له فتقول سافرا من مدينة برون الى منزل امواري ثم الى منزل بجر اوبه حوض عظيم طوله نحو ميل وعليه الكنائس فيها الاصنام

قدم مثل بها المسلمون وفي وسطه ثلاث قباب من الحجارة المجر على ثلاث طباق وعلى اركانها
الاربعة اربع قباب ويسكن هنالك جماعة من الجوكية وقد لبسوا شعورهم وطالت حتى
صار في طولهم وغلبت عليهم صفرة الالوان من الرياضة وكثير من المسلمين يتبعونهم
ليتعلموا منهم ويذكرون ان من كانت به عاهة من برص او جذام يأوى اليهم مدة طويلة فيبرأ
بإذن الله تعالى وأول ما رأيت هذه الطائفة بحلة السلطان طر مشيرين ملك تركستان وكانوا نحو
الخمسين حفروهم غارتحت الارض وكانوا مقيمين به لا يخرجون الا لقضاء حاجة ولهم شبه القرن
يضر بونه اول النهار وآخره وبعد العمة وشأنهم كله عجب ومنهم الرجل الذي صنع للسلطان
غياث الدين الدمغانى سلطان بلاد المعبر حبوباً كاهاتقوية على الجماع وكان من اخلاطها
برادة الحديد فاعجبه فعلها فاكل منها ازيد من مقدار الحاجة فات ولى ابن اخيه ناصر الدين
فاكرم هذا الجوكى ورفع قدره ثم سافرنا الى مدينة جندبرى (وضبط اسمها بفتح الجيم المعتود
وسكون النون وكسر الدال المهمل وياء مدورا) مدينة عظيمة لها اسواق حافلة يسكنها امير
امراء تلك البلاد عز الدين البنتانى (بالباء الموحدة ثم النون ثم التاء المثناة مفتوحة ثم الف
ونون) وهو المدعو باعظم ملاك وكان خيراً فاضلاً يجالس اهل العلم ومن كان يجالس الفقهاء
الدين الزبيرى والفقهاء العالم وجيه الدين البينانى نسبة الى مدينة بيانة التى تقدم ذكرها والفقهاء
القاضى المعروف بقاضى خاصة وامامهم شمس الدين وكان النائب عنه على أمور المخزن يسمى
قر الدين ونائبه على أمور العسكر سعادة التلنكى من كبار الشجعان وبين يديه تعرض العساكر
وأعظم ملك لا يظهر الا في يوم الجمعة وفي غيرها نادرا ثم سرنا من جندبرى الى مدينة ظهار
(وضبط اسمها بكسر الظاء المعجم) وهى مدينة المألوة اكبر عمالة تلك البلاد وزرعها كثير خصوصا
القمح ومن هذه المدينة تحمل أوراق التنبول الى دهلى وبينهما أربعة وعشرون يوما وعلى
الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الالاميل فيما بين كل عمودين فاذا أراد المسافر ان يعلم
عدداً ما سار في يومه وما بقى له الى المنزل او الى المدينة التى يقصدها قرأ النقش الذى فى الأعمدة
فعرّفه ومدينة ظهار اقطاع للشيخ ابراهيم الذى من اهل ذيبة المهمل

﴿حكاية﴾

كان هذا الشيخ ابراهيم قدم على هذه المدينة ونزل بخارجها فاحي ارضا مواتا هنالك وصار
يزرعها بطيخا فتأتى فى الغاية من الحلاوة ليس بتلك الارض مثلها ويزرع الناس بطيخا فيما
يجاوره فلا يكون مثله وكان يطعم الفقراء والمساكين فلما قصد السلطان الى بلاد المعبر أهدي
اليه هذا الشيخ بطيخا فقبله واستطابه واقطعه مدينة ظهار وأمره ان يعمر زاوية تبروة تشرف
عليها فعمرها أحسن عمارة وكان يطعم بها الوارد والصادر وأقام على ذلك اعواما ثم قدم على

السلطان وحل اليه ثلاثة عشر لكا فقال هذا فضل مما كنت أطمعه الناس وبيت المال
أحق به فقبضه منه ولم يحبب السلطان فعلم له كونه جمع المال ولم ينفق جميعه في اطعام الطعام
وبهذه المدينة أراد ابن اخت الوزير خواجه جهان ان يفتك بخاله ويستولي على أمواله ويسير
الى القانم ببلاد المعبر فمضى خبره الى خاله فقبض عليه وعلى جماعة من الامراء وبعثهم الى
السلطان فقتل الامراء ورد ابن أخته اليه فقتله الوزير

﴿حكاية﴾

ولما رد ابن أخت الوزير اليه أمر به ان يقتل كما قتل أصحابه وكانت له جارية يحبها فاستحضرها
واطعمها التنبول واطعمته وعانقها مودعا ثم طرح اللقيلة وسلخ جلمده ومضى تبنا فلما كان من
الليل خرجت الجارية من الدار فرمت بنفسها في بئر هنالك تقرب من الموضع الذي قتل فيه
فوجدت ميتة من الغدفا خرجت ودفن لجهه معها في قبر واحد وسمى ذلك قبور (كور) عاشقا
وتفسير ذلك بلسانهم قبر العاشقين ثم سافرا من مدينة ظهارة الى مدينة أجين (وضبط اسمها بضم
الهمزة وفتح الجيم وياء ونون) مدينة حسنة كثيرة العمارة وكان يسكنها الملك ناصر الدين بن عين
الملك من الفضلاء الكرماء العلماء استشهد بجزيرة سندابور حين افتتحها وقد زرت قبره هنالك
وسند كره وبهذه المدينة كان سكنى الفقيه الطبيب جمال الدين المغربي الغرناطى الاصل
ثم سافرا من مدينة أجين الى مدينة دولة آباد وهى المدينة الضخمة العظيمة الشأن الموازية
لحاضرة دهلى فى رفعة قدرها واتساع خطتها وهى منقسمة ثلاثة أقسام أحدها دولة آباد وهو
مختص بسكنى السلطان وعساكره والقسم الثانى يسمى المكتكة (بفتح الكافين والتاء المعلوة
التي بينهما) والقسم الثالث قلعتها التى لا مثل لها ولا نظير فى الحصانة وتسمى الدويقير (بضم
الدال المهملة وفتح الواو وسكون الياء ووقاف معقود مكسور وياء مدورا) وبهذه المدينة سكنى
الخان الاعظم قطلوجان معلم السلطان بها وببلاد صاغروبلاد التلنك وما اضيف الى ذلك
وعمالها مسيرة ثلاثة أشهر عامرة كلها بالحكمة ونوابه فيها وقلعة الدويقير التى ذكرناها فى قطعة حجر
فى بسيط من الارض قد نحتت وبنى باعلاها قلعة يصعد اليها بسلم مصنوع من جلود ويرفع ليلا
ويسكن بها المفردون وهم الزماميون باولادهم وفيها مجن أهل الجراثم العظيمة فى جبوب بها
وبها فيران ضخام اعظم من القطوط والقطوط تهرب منها ولا تطيق مداقتها لانها تغلبها ولا تصاد
الا بحيل تدار عليها وقد رأيتها هنالك فعجبت منها

﴿حكاية﴾

أخبرنى الملك خطاب الافغانى انه سجن مرة فى جب بهذه القلعة يسمى جب الفيران قال
فكانت تجتمع على ليلا لتأكلنى فاقتلها والى من ذلك جهدا ثم انى رأيت فى النوم قائلا يقول

لى اقرأ صورة الاخلاص مائة الف مرة ويفرج الله عنك قال فقرأتها فلما اتممتها اخرجت
 وكان سبب خروجي ان ملك مل كان مسجوناً في جب يحاورني فرض واكلت الغيران اصابعه
 وعينيه فأت فبلغ ذلك السلطان فقال اخرجوا خطا بالثلاث لا يتفق له مثل ذلك والى هذه القلعة
 لجأت ناصر الدين بن ملك مل المذكور والقاضي جلال حين هزمهما السلطان واهل بلاد دولة
 ابادهم قبيل المارتهمة الذين خص الله نساءهم بالحسن وخصوصاً في الانوف والحواجب ولحق
 من طيب الخاوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن وكفار هذه المدينة اصحاب تجارات
 واكثر تجارتهم في الجواهر واموالهم طائلة وهم يسمعون الساهة واحد هم ساه باهمال السين
 وهم مثل الاكارم بد يار مصر وبدولة آباد العنب والمان ويثران مرتين في السنة وهي من
 اعظم البلاد مجبى واكبرها خراج الكثرة عمارتها واتساع عمارتها واخبرت ان بعض الهنود التزم
 مغارمها وعمالها جميعا وهي كما ذكرناه مسيرة ثلاثة اشهر بسبعة عشر كروا والكر ورمائة تلك
 والاك مائة الف دينار ولكنه لم يف بذلك فبقى عليه بقية وأخذ ماله وسلخ جلده

﴿ ذكر سوق المغنيين ﴾

ومدينة دولة آباد سوق للمغنيين والمغنيات تسمى سوق طرب آباد من اجل الاسواق واكبرها
 فيه الدكاكين الكثيرة كل دكان له باب يفضى الى دار صاحبه وللدكاكين باب سوى ذلك والحاوت
 منين بالفرش وفي وسطه شكل مهد كبير تجلس فيه المغنية او ترقده وهي متزينة بانواع الخلى
 وجواربها يحركن مهدها وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة من خرقه يجلس فيها امير
 المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس وبين يديه خدامه ومما يليه وتأتى المغنيات طائفة
 بعد اخرى فيغنين بين يديه ويرقصن الى وقت المغرب ثم ينصرف وفي تلك السوق المساجد
 للصلاة ويصلى الائمة فيها التراويح في شهر رمضان وكان بعض سلاطين الكفار بالهند اذا مر
 بهذه السوق ينزل بقبتها ويغنى المغنيات بين يديه وقد فعل ذلك بعض سلاطين المسلمين ايضا ثم
 سافروا الى مدينة نذر بار (وضبط اسمها بنون وبذل سمج مفتوحين وراء مسكن وباء
 موحدة مفتوحة والفاء وراء) مدينة صغيرة يسكنها المارتهمة وهم اهل الاتقان في الصنائع
 والاطباء والمنجمون وشرفاء المارتهمة هم البراهمة وهم الكثيرون ايضا وكلهم الارز والخضر
 ودهن السمسم ولا يرون بتعذيب الحيوان ولا ذبحه ويغتسلون للاكل كغسل الجنابة
 ولا يذكرون في افاز بهم الايمن كان بينهم وبينه سبعة اجداد لا يشربون الخمر وهي عندهم
 اعظم المعائب وكذلك هي بلاد الهند عند المسلمين ومن شربها من مسلم حدثانين جلدة
 وسجن في مطمورة ثلاثة اشهر لا تفتح عليه الا حين طعامه ثم سافروا من هذه المدينة الى مدينة
 صاغر (وضبط اسمها بفتح الصاد المهمل وفتح الغين المجهم واخره راء) وهي مدينة كبيرة على نهر

كبير يسمى أيضا صاغر كما سمها وعلية النواعير والبساتين فيها العنب والموز وقصب السكر واهل هذه المدينة اهل صـلاح ودين وأمانة واحوالهم كلها مرضية ولهم بساتين فيها الزوايا والوارد والصادر وكل من يبنى زواية يحبس البستان عليها ويجعل النظر فيه لا ولاده فان انقضى عاد النظر للقضاة والعمارة بها كثيرة والناس يقصدونها للتبرك باهلها ولكونها محررة من المغارم والوظائف ثم سافرنا من صاغر الى مذكورة الى مدينة كنباية (وضبط اسمها بكسر الكاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والفاء وياء آخر الحروف مفتوحة) وهى على خور من البحر وهو شبه الوادى تدخله المراكب وبه المد والجزر وعينت المراكب به مرساة فى الوحل حين الجزر فاذا كان المد عامت فى الماء وهذه المدينة من أحسن المدن فى اتقان البناء وعمارة المساجد وسبب ذلك ان أكثر سكانها التجار الغرباء فهم ابداء ينون بها الديار الحسنة والمساجد العجيبة ويتنافسون فى ذلك ومن الديار العظيمة بهادار الشريف السامرى الذى اتفقت لى معه قضية الحلواء وكذبه ملاك الندماء ولم ارقط اخضم من الخشب الذى رأيت به هذه الدار وبابها كانه باب مدينة والى جانبها مسجد عظيم يعرف باسمه ومنها دار ملك التجار الكازرونى والى جانبها مسجده ومنها دار التاجر شمس الدين كلاه دوز ومعناه خياط الشواشى

﴿حكاية﴾

ولما وقع ما قدمناه من مخالفة القاضي جلال الافغانى اراد شمس الدين المذكور والناخودة الياس وكان من كفار اهل هذه المدينة وملك الحكماء الذى تقدم ذكره على ان يمتنعوا منه بهذه المدينة وشرعوا فى حفر خندق عليها اذ لا سور لها فتغلب عليهم ودخلها واختمت الثلاثة المذكورون فى دار واحدة وخافوا ان يتطلع عليهم فاتفقوا على ان يقتلوا أنفسهم فضرب كل واحد منهم صاحبه بقتارة وقد ذكرنا صفاتها اثنتان منهم ولم يمت ملك الحكماء وكان من كبار التجار ايضا بهانجم الدين الجيلانى وكان حسن الصورة كثير المال وبنى بهادار عظيمة ومسجد اثم بيعت السلطان عنه وأمره عليها واعطاه المراتب فكان ذلك سبب تلف نفسه وماله وكان أمير كنباية حين وصلنا اليها مقبل التلنكى وهو كبير المنزلة عند السلطان وكان فى صحبته الشيخ زاده الاصبهانى نائباعنه فى جميع اموره وهذا الشيخ له اموال عظيمة وعنده معرفة بامور السلطنة ولا يزال يبعث الاموال الى بلاده ويحيل فى الفرار وبلغ خبره الى السلطان وذكر عنه انه يروم الهروب فكتب الى مقبل ان يبعثه فبعثه على البريد وأحضر بين يدي السلطان ووكل به والعادة عنده انه متى وكل باحد نقلها ينحرفا تفق هذا الشيخ مع الموكل به على مال يعطيه أياه وهر باجيعا وذكر لى أحد الثقة انه رأى فى ركن مسجد بمدينة قلهات وانه وصل بعد ذلك الى بلادهم فحصل على أمواله وآمن مما كان يخافه

﴿حكاية﴾

واضافنا الملك مقبل يوما بداره فكان من النادر ان جلس قاضي المدينة وهو اعور العين اليمنى وفي مقابلة شريف بغدادى شديد الشبه به في صورته وعوره الا انه اعور اليسرى فجعل الشريف ينظر الى القاضي ويضحك فزجره القاضي فقال له لا تزجرنى فانى أحسن منك قال كيف ذلك قال لانك أعور اليمنى وانا أعور اليسرى فضحك الامير والحاضرون ونجّل القاضي ولم يستطع ان يرد عليه لان الشرفاء ببلاد الهند معظمون أشد التعظيم وكان بهذه المدينة من الصالحين الحاج ناصر من اهل ديار بكر وسكانه بقعة من قباب الجامع دخلنا اليه واكلنا من طعامه واتفق له لما دخل القاضي جلال مدينة كنيابة حين خلا به انه اتاه وذكّر السلطان انه دعا له فهرب لثلا يقتل كما قتل الحيدرى وكان بها ايضا من الصالحين التاجر خواجه اسحاق وله زاوية يطعم فيها الوارد والصادر وينفق على الفقراء والمساكين وماله على هذا يغنى ويرزق كثرة وسافرنا من هذه المدينة الى بلدة كاوى وهى على خور فيه المد والجزر وهى من بلاد الرى جاليسى الكافر وسنذكره وسافرنا منها الى مدينة قندهار (وضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال المهمل وهاء والفاء وراء) وهى مدينة كبيرة لكفار على خور من البحر

﴿ذكر سلطانها﴾

وسلطان قندهار كافر اسمه جاليسى (بفتح الجيم واللام وسكون النون وكسر السين المهمل) وهو تحت حكم الاسلام ويعطى لملك الهند هدية كل عام ولما وصلنا الى قندهار خرج الى استقبالنا وعظمتنا أشد التعظيم وخرج عن قصره فانزلنا به وجاء اليه من عنده من كبار المسلمين كاولاد خواجه بهرهم ومنهم الناخودة ابراهيم له ستة من المراكب مختصة له ومن هذه المدينة ركبتنا البحر

﴿ذكر ركوبنا البحر﴾

وركبنا فى مركب لابراهيم المذكور تسمى الجاكر (بفتح الجيم والكاف المعقودة) وجعلنا فيه من خيل الهدية سبعين فرسا وجعلنا باقينها مع خيل أصحابنا فى مركب لاختى ابراهيم المذكور يسمى منورت (بفتح الميم ونون وواو مدّوراء مسكن وياء معلولة) واعطانا جاليسى مركبا جعلنا فيه خيل ظهير الدين وسنبل وأصحابهم ما وجهه لنا بالماء والزاد والعلف وبعث معنا ولده فى مركب يسمى العكبرى (بضم العين المهمل وفتح الكاف وسكون الياء وراء) وهو شبه الغراب الا انه اوسع منه وفيه ستون مجذافا ويسقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شئ من السهم ولا الحجارة وكان ركوبى انافى الجاكر وكان فيه خمسة رامي وخمسون من المقاتلة الحبشة وهم زعماء هذا البحر واذا كان بالمركب أحد منهم تحاماه لصو ص الحنود وكفارهم ووصلنا بعد يومين الى جزيرة بيرم (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الياء وفتح الراء) وهى خالية وبينها

وبين البر أربعة أميال فنزلنا بها واستقمنا الماء من حوض بها وسبب خرابها ان المسلمين دخلوها على الكفار فلم تعمر بعد وكان ملك التجار الذي تقدم ذكره أراد عمارتها وبني سورها وجعل بها المجانيق واسكن بها بعض المسلمين ثم سافرنا منها ووصلنا في اليوم الثاني الى مدينة قوية وهي (بضم القاف الاولى وفتح الثانية) وهي مدينة كبيرة عظيمة الاسواق ارسيداعا على أربعة أميال منها بسبب الجزر ونزلت في عشاري مع بعض أصحابي حين الجزر لادخل اليها فوحد العشاري في الطين وبقي يذتنا وبين البلد نحو ميل فكنت لما نزلنا في الوحد انوكا على رجليين من أصحابي وخوفني الناس من وصول المدقة بل وصولي اليها وانالا احسن السباحة ثم وصلت اليها وطفئت باسواقها ورأيت بها مسجدا ينسب للحضر والياس عليهما السلام صليت به المغرب ووجدت به جماعة من الفقرا الحيدرية مع شيخ لهم ثم عدت الى المركب

﴿ ذكر سلطانها ﴾

وسلطانها كافر يسمى دنكول (بضم الدال المهمل وسكون النون وضم الكاف وواو ولام) وكان يظهر الطاعة للملك الهندوهو في الحقيقة عاس ولما اقلعنا عن هذه المدينة وصلنا بعد ثلاثة أيام الى جزيرة سندا بور (وضبط اسمها بفتح السين المهمل وسكون النون وفتح الدال المهمل والف وباء موحدة وواو مد وراء) وهي جزيرة في وسطها ست وثلاثون قرية ويدور بها خور واذا كان الجزر فهاؤها عذب طيب واذا كان المد فهو ملح اجاج وفي وسطها مدينتان احدهما قديمة من بناء الكفار والثانية بناها المسلمون عند استفتاحهم لهذه الجزيرة الفتح الاول وفيها مسجد جامع عظيم يشبه مساجد بغداد عمره الناحودة حسن والد السلطان جمال الدين محمد الهنوري وسيأتى ذكره وذكر حضورى معه لفتح هذه الجزيرة الفتح الثاني ان شاء الله وتجاوزنا هذه الجزيرة لما مررنا بها ورسينا على جزيرة صغيرة قريبة من البر فيها كنيسة وبستان وحوض ماء ووجدنا بها احدا للجوكية

﴿ حكاية هذا الجوكى ﴾

ولما نزلنا بهذه الجزيرة الصغرى وجدنا بها جوكيا مستندا الى حائط بدخانة وهي بيت الاصنام وهو فيما بين صغين منها وعليه اثر المجاهدة فكلمناه فلم يتكلم ونظرنا هل معه طعام فلم نرمعه طعاما وفي حين نظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النارجيل بين يديه ودفعها لنا فحجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودرهم فلم يقبلها واتينا به راذا فردده وكانت بين يديه عباءة من صوف الجبال مطروحة فقلبتا يدي فدفعها الى وكانت بيدي سحجة زيلع فقلبتها في يدي فاعطيتها ياها ففر كها يده وشعها وقبلها واشار الى السماء ثم الى سمت القبلة فلم يفهم

اصحابي اشارته وفهمت انا عنه انه اشار انه مسلم يخفي اسلامه من اهل تلك الجزيرة ويتعيش من تلك الجوز ولما وادعنا وقبلت يده فأنكر أصحابي ذلك ففهم انكارهم فأخذ يدي وقبلها وتبسم وأشارنا بالانصراف فانصرفنا وكنت آخر أصحابي خروجا فاجذب ثوبي فرددت رأسي اليه فأعطاني عشرة دنانير فلما خرجنا عنه قال لي اصحابي لم جذبك فقلت لهم اعطاني هذه الدنانير واعطيت لظهير الدين ثلاثة منها ولسنبل ثلاثة وقلت لهما الرجل مسلم ألا ترون كيف أشار الى السماء يشير الى انه يعرف الله تعالى وأشار الى القبلة يشير الى معرفة الرسول عليه السلام وأخذ السجدة يصدق ذلك فرجعنا لما قلت لهما ذلك اليه فلم يجداه وسافرنا تلك الساعة وبالفرد وصلنا الى مدينة هنور (وضبط اسمها بكسر الهاء وفتح النون وسكون الواو وراء) وهي على خور كبير تدخله المراكب البكار والمدينة على نصف ميل من البحر وفي ايام البشكال وهو المطر يشتد هيجان هذا البحر وطغيانه فيبقى مدة اربعة اشهر لا يستطيع احد ركوبه الا للتصيد فيه وفي يوم وصولنا اليها جاءني احد الجوكة من الهنود في خلوة واعطاني ستة دنانير وقال لي البرهن بعثها اليك يعني الجوكة الذي أعطيته السجدة واعطاني الدنانير فاخذتها منه وأعطيته دينارا منها فلم يقبله وانصرف واخبرت اصحابي بالقضية وقلت لهما إن شئتم اخذنا نصيبكم منها فابيا وجعلنا يجبان من شأنه وقال لي ان الدنانير الستة التي أعطيتنا اياها جعلنا معها مثلها وتركناها بين الصنمين حيث وجدناها فطال عجبى من أمره واحتفظت بتلك الدنانير التي أعطانيها وأهل مدينة هنور شافعية المذهب لهم صلاح ودين وجهاد في البحر وقوة وبذلك عرفوا حتى اذلهم الزمان بعد فتحهم لسندابور وسندك ذلك ولقيت من المتعبدين بهذه المدينة الشيخ محمد الناقوري اضافني براؤيته وكان يطبخ الطعام بيده استقذار البحارينة والغلام ولقيت بها الفقيه اسماعيل معلم كتاب الله تعالى وهو ورع حسن الخلق كريم النفس والقاضي بهانور الدين عليا والخطيب لا اذكر اسمه ونساء هذه المدينة وجميع هذه البلاد الساحلية لا يلبس الخيط انما يلبس ثيابا غير مخيطة تحترق احداهن باحد طرفي الثوب وتجعل باقيه على رأسها وصدرها وهن جمال وعفاف وتجعل احداهن خرص ذهب في انفها ومن خصائصهن انهن جميعا يحفظن القرآن العظيم ورأيت بالمدينة ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات وثلاثة وعشرين لتعليم الاولاد ولم أر ذلك في سواها ومعاش أهلها من التجارة في البحر ولا زرع لهم وأهل بلاد المليبار يعطون للسلطان جمال الدين في كل عام شيئا معلوما خوفا منه لقوته في البحر وعسكره نحو ستة آلاف بين فرسان ورجالة

(دكر سلطان هنور)

وهو السلطان جمال الدين محمد بن حسن من خيار السلاطين وبارهم وهو تحت حكم سلطان كافر

كافر يسمى هريب سسند كره والسلطان جمال الدين مواظب للصلاة في الجماعة وعادته ان يأتي الى المسجد قبل الصبح فيتلو في المصحف حتى يطلع الفجر فيصلي أول الوقت ثم يركب الى خارج المدينة ويأتي عند الضحى فيبداً بالمسجد فيركع فيه ثم يدخل الى قصره وهو يصوم الايام البيض وكان أيام اقامتي عنده يدعوني للافطار معه فاحضر لذلك ويحضر الفقيه على والفقيه اسماعيل فتوضع أربع كراسي صغار على الارض فيقع على احداها ويقعد كل واحد منا على كرسى

خذ كر ترتيب طعامه

وترتيبه ان يؤتى بمائدة نحاس يسمونها خونجة ويجعل عليها طبق نحاس يسمونه الطالم (بفتح الطاء المهمل وفتح اللام) وتأتي جارية حسنة ملتحفة بشوب حرير فتقدم قدور الطعام بين يديه ومعها مغرفة نحاس كبيرة فتعطف بها من الارز مغرفة واحدة وتجعلها في الطالم وتصب فوقها السمن وتجعل مع ذلك عنقايد الفلفل الملوح والزنجبيل الاخضر والليمون الملوح والعنبا فياً كل الانسان لثمة ويتبعها بشئ من تلك الموالح فاذا تمت الغرفة التي جعلتها في الطالم غرفت غرفة أخرى من الارز وافرغت دجاجة مطبوخة في سكرجة فيؤكل بها الارز أيضاً فاذا تمت المغرفة الثانية غرفت وأفرغت لونا أخر من الدجاج تؤكل به فاذا تمت ألوان الدجاج انوا بألوان من السمك فياً كلون بها الارز أيضاً فاذا فرغت ألوان السمك اتوا بالخضر مطبوخة بالسمن والالباب فياً كلون بها الارز فاذا فرغ ذلك كله اتوا بالكوشان وهو اللبن الرائب وبه يختمون طعامهم فاذا وضع علم انه لم يبق شئ يؤكل بعده ثم يشربون على ذلك الماء السخن لان الماء البارد يضر بهم في فصل نزول المطر واقدأقت عندهذا السلطان في كرة أخرى احد عشر شهرا لم آكل خبزاً انما طعامهم الارز وبقيت أيضاً جزائر المهمل وسيلان وبلاد المعبر والمليبار ثلاث سنين لا آكل فيها الا الارز حتى كنت لا أستطيعه الا بالماء ولباس هذا السلطان ملاحف الحرير والكتان الرقاق يشد في وسطه فوطة ويلتحف ملحفتين احداهما فوق الاخرى ويعقص شعره ويلف عليه عمامة صغيرة واذا ركب ليس قبلا والتحف ملحفتين فوقه وتضرب بين يديه طبول وابواق يحملها الرجال وكانت اقامتنا عنده في هذه المرة ثلاثة أيام وزودنا وسافرنا عنه وبعد ثلاثة أيام وصلنا الى بلاد المليبار (بضم الميم وفتح اللام) وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة والفاء وراء) وهي بلاد الفلفل وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من سندابور الى كولم والطريق في جميعها بين ظلال الاشجار وفي كل نصف ميل بيت من الخشب فيه دكاكين يقعد عليها كل وارد وصادر من مسلم أو كافر وعند كل بيت منها بئر يشرب منها ورجل كافر موكل بها فن كان كافر اسقاه في الاوانى ومن

كان مسلماً سقاه في يديه ولا يرال يصب له حتى يشير له أو يكف وعادة الكفار ببلاد المليبار ان لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم في آتينهم فان طعم فيها كسروها وأعطوها للمسلمين واذا دخل المسلم موضعاً منها لا يكون فيه دار للمسلمين طبخوا له الطعام وصبوه له على اوراق الموز وصبوا عليه الا دام وما فضل عنه يأكلوه الكلاب والطيور وفي جميع المنازل بهذا الطريق ديار المسلمين ينزل عندهم المسلمون فيبيعون منهم جميع ما يحتاجون اليه ويطبخون لهم الطعام ولولاهم لما سافر فيه مسلم وهذا الطريق الذي ذكرناه مسيرة شهرين ليس فيه موضع شرب فافوقه دون عمارة وكل انسان بستانه على حده وداره في وسطه وعلى الجميع حائط خشب والطريق يمر في البساتين فاذا انتهى الى حائط بستان كان هنالك درج خشب يصعد عليها ودرج اخر ينزل عليها الى البستان الاخر هكذا مسيرة الشهرين ولا يسافر احد في تلك البلاد بدابة ولا تكون الخيل الا عند السلطان وأكثر ركوب أهلها في دولة على رقاب العبيد أو المستأجرين ومن لم يركب في دولة مشى على قدميه كائن من كان ومن كان له رحل أو متاع من تجارة وسواها أكثرى رجالاً يحملونه على ظهورهم فترى هنالك التاجر ومعه المائة فادونها او فوقها يحملون امتعته ويبدكل واحد منهم عود غليظ له زج حديد وفي أعلاها مخطاف حديد فاذا اعييا ولم يجدد كانه يستريح عليها ركز عوده بالارض وعلق حمله منه فاذا استراح اخذ حمله من غير معين ومضى به ولم أر طريقاً آمن من هذا الطريق وهم يقتلون السارق على الجوزة الواحدة فاذا سقط شيء من الثمار لم يلتقطه احد حتى يأخذه صاحبه وأخبرت ان بعض الهنود مروا على الطريق فالتقط احداهم جوزة وبلغ خبره الى الحاكم فامر بعوده فركز في الارض وبرى طرفه الاعلى وأدخل في لوح خشب حتى يبرز منه ومذا الرجل على اللوح وركز في العود وهو على بطنه حتى خرج من ظهره وترك عبرة للناظرين ومن هذه العبيدان على هذه الصورة بتلك الطرق كثير اليراهنا الناس فيتعظوا ولقد كنا نلقى الكفار بالليل في هذه الطريق فاذا رأونا تنهوا عن الطريق حتى نجوز والمسلمون أعز الناس بها غير انهم كما ذكرناه لا يواكلونهم ولا يدخلونهم دورهم وفي بلاد المليبار اثنا عشر سلطاناً من الكفار منهم القوي الذي يبلغ عسكره خمسين ألفاً ومنهم الضعيف الذي عسكره ثلاثة آلاف ولا قتنة بينهم البتة ولا يظمع القوي منهم في انتزاع ما يبد الضعيف وبين بلاد احدثهم وصاحبه باب خشب منقوش فيه اسم الذي هو مبد أعماله ويسمونه باب امان فلان واذا فرم مسلم أو كافر بسبب جنسية من بلاد احدثهم وصل باب امان الاخر آمن على نفسه ولم يستطع الذي هرب عنه أخذه وان كان القوي صاحب العدد والجيش وسلاطين تلك البلاد يورثون ابن الاخت ملكهم دون اولادهم ولم أر من يفعل ذلك الا مسوقة اهل الشلم (اللاثام) وسند كرههم فيما بعد فاذا

اراد السلطان من أهل بلاد المليبار منع الناس من البيع والشراء أمر بعض علمائه
فعلق على الحوائت بعض اغصان الاشجار بأوراقها فلا يبيع احد ولا يشتري مادامت
عليها تلك الاغصان

(ذكر الفلفل)

وشجرات الفلفل شبيهة بدوالي العنب وهم يغرسونها ازاء النارجيل فتصعد فيها كصعود
الدوالي الا انها ليس لها عسلوج وهو الغزل كما للدوالي واوراق شجره تشبه آذان الخيل
وبعضها يشبه أوراق العليق ويثرعنا قيد صغار حبهما كبأى قنينة اذا كانت خضرا
واذا كان أوان الخريف قطفوه وفرشوه على الحمر في الشمس كما يمنع بالعنب عمد ترابيه
ولا يرالون يقلبونه حتى يستحكم يده ويسود ثم يديعونه من التجار والعامّة ببلادنا يزعمون انهم
يقلونه بالنار وبسبب ذلك يحدث فيه التكريش وليس كذلك وانما يحدث ذلك فيه بالشمس
ولقد رأيت بمدينة القوط يصب للكيل كالذرة ببلادنا وأول مدينة دخلناها من بلاد المليبار
مدينة ابى سرور (بفتح السين) وهي صغيرة على خور كبير كثيرة اشجار النارجيل وكبير
المسلمين بها الشيخ جعة المعروف بابى ستة احد الكرماء انفق امواله على الفقراء والمساكين حتى
نفدت وبعد يومين منها وصلنا الى مدينة فاك نور (وضبط اسمها بفتح الفاء والكاف والنون
وأخوها) مدينة كبيرة على خور بها قصب السكر الكثير الطيب الذي لا مثل له بتلك
البلاد وبها جماعة من المسلمين يسمى كبيرهم بحسين السلاط وبها قاض وخطيب وعمرها حسين
المذكور مسجد الاقامة الجمعة

(ذكر سلطانها)

وسلطان فاك نور كافر اسمه باسدو (بفتح الباء الموحدة والسين المهملة والدال المهملة وسكون
الواو) وله نحو ثلاثين مركبا حربية قائد هاسم لم يسمى لولا وكان من المفسدين يقطع بالبحر
ويسلب التجار ولما أرسينا على فاك نور بعث سلطانها اليما ولده فأقام بالمركب كالرهينة
ونزلنا اليه فاضافنا ثلاثا بأحسن ضيافة تعظيم السلطان الهندو قياما بحقه ورغبة فيما يستفيد
في التجارة مع أهل مراكبنا ومن عادتهم هنالك ان كل مركب يمر ببلد فلا بد من ارسائه
بها واعطائه هدية لصاحب البلد يسمونها حق البندر ومن لم يفعل ذلك خرجوا في اتباعه
بمراكبهم وأدخلوه المرسى قهرا وضاعفوا عليه المغرم ومنعوه عن السفر ماشاؤا وواسافرا منها
فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى مدينة منجور (وضبط اسمها بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم
وضم الراء وواو وراء ثانية) مدينة كبيرة على خور يسمى خور الدنب (بضم الدال المهملة
وسكون النون وباء موحدة) وهو اكبر خور ببلاد المليبار وبهذه المدينة ينزل معظم تجار
فارس واليمن والفلفل والزنجبيل بها كثير جدا

﴿ذكر سلطانها﴾

وهو من اكبر سلاطين تلك البلاد واسمه رام دو (بفتح الراء والميم والدال المهمل وسكون الواو) وبها نحو أربعة آلاف من المسلمين يسكنون ربضاً بناحية المدينة وربما وقعت الحرب بينهم وبين أهل المدينة فيصالح السلطان بينهم لحاجته الى التجار وبها قاض من الفضلاء الكرماء شافعي المذهب يسمى بدر الدين المعبري وهو يقرئ العلم صعد اليه الى المركب ورغب منا في النزول الى بلده فقلنا حتى يبعث السلطان ولده يقيم بالمركب فقال انما فعل ذلك سلطان فاكنور لانه لا قوة للمسلمين في بلده واما نحن فالسلطان يخافنا فاي بنا عليه الا ان يبعث السلطان ولده فبعث ولده كما فعل الاخر وزلنا اليهم وأكرمونا اكراما عظيما وأقننا عندهم ثلاثة ايام ثم سافروا الى مدينة هيلي فوصلنا هابعد يومين (وضبط اسمها بياء مكسور و ياء مدولام مكسور) وهي كبيرة حسنة العمارة على خور عظيم تدخله المراكب البكار والى هذه المدينة تنتهي مراكب الصين ولا تدخل الامر ساها ومرسى كولم وقال القوط ومدينة هيلي معظمة عند المسلمين والكفار بسبب مسجد هالجامع فانه عظيم البركة مشرق النور وركاب البحر ينذرون له النذور الكثيرة وله خزانة مال عظيمة تحت نظرا لخطيب حسين وحسن الوزان كبير المسلمين وبهذا المسجد جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والصادر ولا طعام الفقراء من المسلمين بها ولقيت بهذا المسجد فقيها صالحا من أهل مقدشوا يسمى سعيد احسن اللقاء والخلق يسرد الصوم وذكرك لي انه جاور بمكة أربع عشرة سنة ومثلها بالمدينة وأدرك الامير بمكة ابا غني والامير بالمدينة متصورين جاز وسافر في بلاد الهند والصين ثم سافروا من هيلي الى مدينة جرفتن (وضبط اسمها بضم الجيم وسكون الراء وفتح الفاء وفتح التاء المعلوة وتشديد هاء واخره نون) وبينها وبين هيلي ثلاثة فراسخ ولقيت بها فقيها من أهل بغداد كبير القدر يعرف بالصرصرى نسبة الى بلدة على مسافة عشر أميال من بغداد في طريق الكوفة واسمها كاسم صرصر التي عندنا بالمغرب وكان له أخ بهذه المدينة كثير المال له أولاد صغار وصى اليه بهم وتركته آخذاً في حلهم الى بغداد وعادة أهل الهند كعادة السودان لا يتعرضون لمال الميت ولو ترك الاكلاف انما يبقى ماله بيد كبير المسلمين حتى يأخذه مستحقه شرعا

﴿ذكر سلطانها﴾

وهو يسمى بكوبل (بضم الكاف) على لفظ التصغير وهو من اكبر سلاطين المليبار وله مراكب كثيرة تسافر الى عمان وفارس واليمن ومن بلاده دهقن وبدقن وسنذ كرها وسرنا من جرفتن الى مدينة دهقن (بفتح الدال المهمل وسكون الهاء) وقد ذكرنا ضبط قن وهي

مدينة كبيرة على خور كثيرة البساتين وبها النارجيل والفلفل والفوفل والتنبول وبها القلصاص الكثير ويطبخون به اللحم وأما الموز فلم أرى في البلاد أكثر منه بها ولا أرخص ثمنها وفيها البان الا عظم طوله خمسمائة خطوة وعرضه ثلاثمائة خطوة وهو مطوى بالججارة الحجر المنحوتة وعلى جوانبه ثمان وعشرون قبة من الجسرى كل قبة اربع مجالس من الحجر وكل قبة يصعد اليها على درج حجارة وفي وسطه قبة كبيرة من ثلاث طبقات في كل طبقة اربع مجالس وذكري ان واند هذا السلطان كويل هو الذي عمر هذا البان و بازائه مسجد جامع المسلمين وله ادراج ينزل منها اليه فيتوضأ منه الناس ويغتسلون وحدثني الفقيه حسين ان الذي عمر المسجد والبان ايضا هو احد اجداد كويل وانه كان مسلما ولا سلامه خبر عجيب نذكره

*(ذكر الشجرة العجيبة الشأن التي بازاء الجامع) *

ورأيت ان بازاء الجامع شجرة خضراء ناعمة تشبه اوراقها اوراق التين الا انها لينة وعليها حائط يطيف بها وعندها محراب صليت فيه ركعتين واسم هذه الشجرة عندهم درخت الشهادة ودرخت (بفتح الدال المهمل والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلومة) واخبرت هنالك انه اذا كان زمان الخريف من كل سنة تسقط من هذه الشجرة ورقة واحدة بعد ان يستحيل لونها الى الصفرة ثم الى الجرة ويكون فيها مكتوب بآية من القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله واخبرني الفقيه حسين وجماعة من الثقات انهم عاينوا هذه الورقة وقرأوا المكتوب الذي فيها واخبرني انه اذا كانت ايام سقوطها قعد تحتها الثقات من المسلمين والكفار فاذا سقطت أخذ المسلمون نصفها وجعل نصفها في خزانة السلطان الكافر وهم يستشفون بها للمرضى وهذه الشجرة كانت سبب اسلام جد كويل الذي عمر المسجد والبان فانه كان يقرأ الخط العربي فلما قرأها وفهم ما فيها اسلم وحسن اسلامه وحكاية عندهم متواترة وحدثني الفقيه حسين ان أحد اولاده كفر بعد أبيه وطغى وأمر باقتلاع الشجرة من اصلها فاقتلعت ولم يترك لها اثر ثم انها نبتت بعد ذلك وعادت كاحسن ما كانت عليه وهلك الكافر سر يعاشم سافرا الى مدينة بدفتن وهي مدينة كبيرة على خور كبير وبخارجها مسجد بمقربة من البحر يأوي اليه غرباء المسلمين لانه لا مسلم بهذه المدينة ومرساها من أحسن المراسي وماؤها عذب والفوفل بها كثير ومنها يحمل للهند والصين وأكثر أهلها براهمة وهم معظمون عند الكفار مبغضون في المسلمين ولذلك ليس بينهم مسلم

*(حكاية) *

اخبرت ان سبب تركهم هذا المسجد غير مهذوم ان أحد البراهمة حرق سقفه ليصنع منه سقفا لبيته فاستعلت النار في بيته فاحترق هو وأولاده ومتاعه فاحترموا هذا المسجد ولم يعرضوا

له بسوء بعدها وخدمه وجعلوا بخارجه الماء يشرب منه الصادر والوارد وجعلوا على بابه شبكة لئلا يدخله الطير ثم سافروا من مدينة بدفن الى مدينة فندرينا (وضبط اسمها بقاء مفتوح ونون سا كن ودال مهمل وراء مفتوحين وياء آخر الحروف) مدينة كبيرة حسنة ذات بساتين واسواق وبها المسلمين ثلاث محلات في كل محلة مسجد والجامع بها على الساحل وهو عجيب له مناظر ومجالس على البحر وقاضيه وخطيبها راجل من أهل عمان وله أخ فاضل وبهذه البلدة تشتت مراكب الصين ثم سافروا منها الى مدينة القوط (وضبط اسمها بقاء فين وكسر اللام وضم القاف الثاني وآخره طاء مهمل) وهي إحدى البنادر العظام ببلاد الملايبار يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل وأهل اليمن وفارس ويجمع بها تجارا لآفاق ومرساها من أعظم مراسي الدنيا

نحو ذكر سلطانها

وسلطانها كافر يعرف بالسامري شيخ السن يخلق لحيته كما يفعل طائفة من الروم رأيت به وسند كره ان شاء الله وأمير التجار بها ابراهيم شاه بندر من أهل البحرين فاضل ذو مكارم يجتمع اليه التجار ويأكلون في سماطه وقاضيه آخر الدين عثمان فاضل كريم وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني وله تعطي النذور التي يندر بها أهل الهند والصين للشيخ أبي اسحاق الكازروني نفع الله به وبهذه المدينة الناحية مشقال الشهير الاسم صاحب الاموال الطائفة والمرابك الكثيرة لتجارة بالهند والصين واليمن وفارس ولما وصلنا الى هذه المدينة خرج اليها ابراهيم شاه بندر والقاضي والشيخ شهاب الدين وكبار التجار ونائب السلطان الكافر المسمى بقلاج (بضم القاف وآخره جيم) ومعهم الاطبال والانفار والابواق والاعلام في مراسيهم ودخلنا المرسى في بروز عظيم مارأيت مثله بتلك البلاد فكانت فرحة تتبعها ترحة واقتنا برساها وبه يوم شذ ثلاثة عشر من مراكب الصين ونزلنا بالمدينة وجعل كل واحد منا في دار وأقنانتنا زمان السفر الى الصين ثلاثة أشهر ونحن في ضيافة الكافر وبحر الصين لا يسافر فيه إلا بمرابك الصين ولنذكر ترتيبها

نحو ذكر مراكب الصين

ومراكب الصين ثلاثة أصناف البكار منها تسمى الجنوك واحدتها جنك (بجيم معقود مضموم ونون سا كن) والمتوسطة تسمى الزو (بفتح الزاي وواو) والصغار تسمى احدها الككم (بكافين مفتوحين) ويكون في المركب الكبير منها اثني عشر قلعا فنادونها الى ثلاثة وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالخصر لا تحط أبدا ويديرونها بحسب دوران الريح وإذا ارسوا تركوها واقفة في مهب الريح ويخدم في المركب منها ألف رجل منهم البحرية ستمائة ومنهم

ومنهم اربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة وأصحاب الدرق والجرخية وهم الذين يرمون بالنفط ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة النصفى والثلاثى والربقى ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين او بصين كلان وهى صين الصين وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخام جدا موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام طول المسمار منها ثلاث اذرع فاذا التأم الحائطان بهذه الخشب صنعوا على اعلاها فرش المركب الاسفل ودفعوها فى البحر واتموا عمله وتبقى تلك الخشب والحائطان موالية للماء ينزلون اليها فيغتسلون ويقضون حاجتهم وعلى جوانب تلك الخشب يكون مجاذيفهم وهى بكاركة لصواري يجتمع على احدها العشرة والخمسة عشر رجلا ويجذفون وقوفا على اقدامهم ويجعلون للمركب اربعة ظهور ويكون فيه البيوت والمصارى والغرف للتجار والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس وعليها المفتاح يسدها صاحبها ويحمل معه الجوارى والنساء وربما كان الرجل فى مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا اذا وصل الى بعض البلاد والبحرية يسكنون فيها اولادهم ويردعون الخضر والبقول والزنجبيل فى احواض خشب ويكل المركب كانه امير كبير واذا نزل الى البر مشى الرماة والخبشة بالحرب والسيوف والاطبال والابواق والانفار امامه واذا وصل الى المنزل الذى يقيم به ركز وارماحهم عن جانبي بابه ولا يراون كذلك مدة اقامته ومن اهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة يبعث بها وكلاهما الى البلاد وليس فى الدنيا اكثر اموالا من اهل الصين

﴿ ذكر أخذنا فى السفر الى الصين ومنتهى ذلك ﴾

ولما حان وقت السفر الى الصين جهز لنا السلطان السامرى جنكا من الجنوك الثلاث عشر التى بمرسى فالقوطة وكان ويكل الجنك يسمى بسليمان الصفدى الشامى وبنى وبينه معرفة فقلت له اريد مصرية لا يشاركنى فيها أحد لاجل الجوارى ومن عادتى ان لا أسافر الا بهن فقال لى ان تجار الصين قد اكثروا المصارى ذاهبين وراجعين ولمصرى مصرية اعطيكها لكنها لا سنداس فيها وعسى ان تمكن معاوضتها فامرته اصحابى فاوسقوا ما عندى من المتاع وصعد العبيد والجوارى الى الجنك وذلك فى يوم الخميس واقتل لاصلى الجمعة والحق بهم وصعد الملك سنبل وظهر الدين مع الهدية ثم ان فتى لى يسمى بهلال اتانى غدوة الجمعة فقال ان المصرية التى أخذناها بالجنك ضيقة لا تصلح فذكرت ذلك لنا خودة فقال ليست فى ذلك حيلة فان أحبيت ان تكون فى الكم فقيه المصارى على اختيارك فقلت نعم وامرته اصحابى فنقلوا الجوارى والمتاع الى الكم واستقروا به قبل صلاة الجمعة وعادة هذا الجحان يشتهى هيجانه كل يوم بعد العصر فلا يستطيع أحد ركوبه وكانت الجنوك قد سافرت ولم يبق منها الا الذى فيه الهدية

وجنك عزم اصحابه على ان يشتوا بقندرينا والككم المذكور فبتنا ليلة السبت على الساحل
لأنستطيع الصعود الى الككم ولا يستطيع من فيه النزول اليسا ولم يكن بقي معي الا بساط
افترشه وأصبح الجنك والككم يوم السبت على بعد من المرسى ورعى البحر بالجنك الذى كان
اهله يريدون قندرينا فتنكسروا مات بعض أهله ولم بعضهم وكانت فيه جارية تلبعض التجار
عزيرة عليه فرغب فى اعطاء عشرة دنانير ذهباً لمن يخرجها وكانت قد التزمت خشبة فى مؤخر
الجنك فانتدب لذلك بعض البحرية الهرمزيين فاخرجها وأبى أن يأخذ الدنانير وقال انما
فعلت ذلك لله تعالى ولما كان الليل رعى البحر بالجنك الذى كانت فيه الهدية فبات جميع من
فيه ونظروا عند الصباح الى مصارعهم ورأيت ظهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه والملك
سنبل قد ضربه مسمار فى احد صدغيه ونفذ من الآخر وصلينا عليهم ما ودفناهما ورأيت
الكافر سلطان قاقوط وفى وسطه شقة بيضاء كبيرة قد لفها من سرنه الى ركبته وفى رأسه عمامة
صغيرة وهو حافى القدمين والشطري يد غلام فوق رأسه والنار توقد بين يديه فى الساحل
وزبانيته يضربون الناس لثلاثين شهوا ما رعى البحر وعادة بلاد المليبار ان كل ما انكسر من مركب
يرجع ما يخرج منه للمخزن الا فى هذا البلد خاصة فان ذلك يأخذه أربابه ولذلك عمرت وكثر
تردد الناس اليها ولما رأى اهل الككم ما حدث على الجنك رفعوا قلعهم وذهبوا ومعهم جميع
متاعى وغلمانى وجوارى وبقيت منفردا على الساحل ليس معي الا فتى كنت اعتقته فلما رأى
ما حل بى ذهب عني ولم يبق عندي الا العشرة الدنانير التى اعطانيها الجوكمى والبساط التى
كنت أفترشه واخبرنى الناس ان ذلك الككم لا بد له أن يدخل مرسى كولم فعزمت على
السفر اليها وبينهم مسيرة عشرة ايام فى البر وفى النهر أيضا لمن أراد ذلك فساقت فى النهر واكثرت
رجلا من المسلمين يحملون البساط وعادتهم اذا سافروا فى ذلك النهر ان ينزلوا بالعشى فيبيتوا
بالقرى التى على حافته ثم يعودوا الى المركب بالغدوف كما نفعل ذلك ولم يكن بالمركب مسلم
الا الذى اكثرت به وكان يشرب الخمر عند الكفار اذا نزلنا ويعربد على فيزيد تغيير خاطرى
ووصلنا فى اليوم الخامس من سفرنا الى كنجى كرى (وضبط اسمها بكاف مضموم ونون ساكن
وجيم وياء مدوكاف مفتوح وراء مكسور ياء) وهى باعلى جبل هنالك يسكنها اليهود ولهم
أمير منهم ويؤدون الجزية لسلطان كولم

﴿ ذكر القرقة والبقم ﴾

وجميع الانجار التى على هذا النهر اشجار القرقة والبقم وهى حطبهم هنالك ومنها كذا نقد النار
لطبخ طعامنا فى ذلك الطريق وفى اليوم العاشر وصلنا الى مدينة كولم (وضبط اسمها بفتح
الكاف واللام وبينهما واو) وهى من احسن بلاد المليبار واسواقها حسان وتجارها يعرفون
بالصوليين

بالصولييين (بضم الصاد) لهم أموال عريضة يشتري احدهم المركب بما فيه ويوسقه من داره بالسلع وبها من التجار المسلمين جماعة كبير هم علاء الدين الاوجي من أهل آوة من بلاد العراق وهو رافضي ومعه أسحابة له على مذهبه وهم يظهرون ذلك وقاضيهما فاضل من أهل قزوين وكبير المسلمين بها محمد شاه بندر وله اخ فاضل كريم اسمه تقي الدين والمسجد الجامع بها عجيب عمره التاجر خواجه مهذب وهذه المدينة اول ما يوالى الصين من بلاد الملبار واليهما يسافر اكثرهم والمسلمون بها أعزة محترمون

(ذكر سلطانها)

وهو كافر يعرف بالتيرورى (بكسر التاء المعلوطة وياء دوراء مفتوحين وراء مكسور وياء) وهو معظم للمسلمين وله احكام شديدة على السراق والذعار

(حكاية)

وما شاهدت بكولم ان بعض الرماة العراقيين قتل آخر منهم وفر الى دار الاوجي وكان له مال كثير واراد المسلمون دفن المقتول فنعهم نواب السلطان من ذلك وقالوا لا يدفن حتى تدفعوا لنا قتاله فيقتل به وتركوه في تابوته على باب الاوجي حتى انتن وتغير فكأنهم الاوجي من القاتل ورغب منهم ان يعطيهم امواله ويتركوه حيا قابوا ذلك وقتلوه وحينئذ دفن المقتول

(حكاية)

اخبرت ان سلطان كولم ركب يوما الى خارجها وكان طريقه فيما بين البساتين ومعه صهره زوج بنته وهو من أبناء الملوك فأخذ حبة واحدة من العنبة سقطت من بعض البساتين وكان السلطان ينظر اليه فامر به عند ذلك فوسط وقسم نصفين وصلب نصفه عن يمين الطريق ونصفه الآخر عن يساره وقسمت حبة العنبة نصفين فوضع عن كل نصف منه نصف منها وترك هتالك عبرة للناظرين

(حكاية)

وما اتفق نحو ذلك بقالقوط ان ابن اخي النائب عن سلطانها غضب سيفه لبعض تجار المسلمين فشق كاذلك الى عدة فوعده بالنظر في امره ووقعه على باب داره فاذا بابن اخيه متقلد ذلك السيف فدعاه فقال هذا سيف المسلم قال نعم قال اشترته منه قال لا فقال لا عوانه امسكوه ثم امر به فضربت عنقه بذلك السيف واقت بكولم مدة بزوايه الشيخ فخر الدين ابن الشيخ شهاب الدين الكازروني شيخ زوايه الققوط فلم أعرف لككم خبرا وفي اثناء مقامي بها دخل اليها ارسال ملك الصين الذين كانوا معنا وكانوا مع احد تلك الجنوك فانه كمر ايضا فكساهم تجار الصين وعادوا الى بلادهم ولقيتهم بها بعد وارت ان اعود من كولم الى السلطان لاعلمه بما

اتفق على الهدية ثم خفت ان يتعقب فعلى ويقول لم فارقت الهدية فعزمت على العودة الى السلطان جمال الدين الهنورى واقیم عنده حتى أتعرف خبر الكم فعدت الى القلوط ووجدت بها بعض مراكب السلطان فبعث فيها أميرا من العرب يعرف بالسيد أبى الحسن وهو من البرددارية وهم خواص البوابين بعثه السلطان بأموال يستجلب بها من قدر عليه من العرب من أرض هرمز والقطيف لمحبة في العرب فتوجهت الى هذا الميرور أيته عازما على ان يشتوب القلوط وحينئذ يسافر الى بلاد العرب فشاورة في العودة الى السلطان فلم يوافق على ذلك فسافرت بالبحر من القلوط وذلك آخر فصل السفر فيه فكان سير نصف النهار الاول ثم نرسوا الى الغد ولقينا في طريقنا أربعة اجفان غزوية تخفنا منها ثم لم يعرضوا لنا بشرو ووصلنا الى مدينة هنور فزلت الى السلطان وسلمت عليه فانزلني بدار ولم يكن لي خديم وطلب منى ان أصلى معه الصلوات فكان أكثر جلوسى في مسجده وكنت أختم القصر آن كل يوم ثم كنت أختم مرتين في اليوم ابتدى القراءة بعد صلاة الصبح فاختم عند الزوال واجدد الوضوء وابتدى القراءة فاختم الختمة الثانية عند الغروب ولم ازل كذلك مدة ثلاثة اشهر واعتكفت فيها اربعين يوما

*(ذكر توجهنا الى الغزو وفتح سندابور) *

وكان السلطان جمال الدين قد جهز اثنين وخمسين مركبا وسفريته برسم غزو سندابور وكان وقع بين سلطانها وولده خلاف فكتب ولده الى السلطان جمال الدين ان يتوجه لفتح سندابور ويسلم الولد المذكور ويزوجه السلطان اخته فلما تجهزت المراكب ظهر لى ان أتوجه فيها الى الجهاد ففحمت المصحف انظر فيه فكان في أول الصفح يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره فاستبشرت بذلك واتى السلطان الى صلاة العصر فقلت له انى أريد السفر فقال فانت اذا تكون اميرهم فاخبرته بما خرج لى في أول المصحف فاعجب به ذلك وعزم على السفر بنفسه ولم يكن ظهر له ذلك قبل فركب مركبا منها وانا معه وذلك في يوم السبت فوصلنا عشى الاثنين الى سندابور ودخلنا خورها فوجدنا اهلها مستعدين للحرب وقد نصبوا المجانيق فبتنا عليها تلك الليلة فلما أصبح ضربت الطبول والانفار والابواق وزحفت المراكب ورميت عليها بالمجانيق فلقد رأيت حجرا أصاب بعض الواقفين بمقربة من السلطان ورمى أهل المراكب انفسهم فى الماء وبأيديهم الترس والسيوف ونزل السلطان الى الكبرى وهو شبه الشليور ورميت بنفسى فى الماء فى جملة الناس وكان عندنا طريدتان مفتوحتان المواقف فيها الخيل وهى بحيث يركب الفارس فرسه فى جوفها ويتدرع ويخرج ففعلوا ذلك واذن الله فى فتحها وانزل النصر على المسلمين فدخلنا بالسيف ودخل معظم الكفار فى قصر سلطانها فرمىنا النار فيه فخرجوا

وقبضنا عليهم ثم ان السلطان أتمهم ورد لهم نساءهم واولادهم وكانوا نحو عشرة آلاف واسكنهم
بربض المدينة وسكن السلطان القصر وأعطى الديار بمقربة منه لاهل دولته وأعطاني جارية
منهن تسمى لمكى فسميتها مباركة وأراد زوجهافداءها فاييت وكساني فرجية مصرية وجدت
في خزان الكافر وأقت عنده بسند ابور من يوم فتحها وهو الثالث عشر بلجادي الاولى الى
منتصف شعبان وطلبت منه الاذن في السفر فأخذ على العهد في العودة اليه وسافرت في
البحر الى هنور ثم الى فاك نور ثم الى منجور ثم الى هيلي ثم الى جرفتن وده فتن وبد فتن
وقندرينا وقالقوط وقد تقدم ذكر جميعها ثم الى مدينة الساليات (وهي بالشين المعجم والف
ولام وياء آخر الحروف والف وتاء معلوة) مدينة من حسان المدن تصنعهم الثياب المنسوبة
لها واقت بها فطال مقامى فعدت الى قالقوط ووصل اليها غلامان كانا لي بالكم فاخبراني
ان الجارية التي كانت حاملا وبسببها كان تغير خاطري توفيت واخذ صاحب الجاوة سائر
الجواري واستولت الايدي على المتاع وتفرق اصحابي الى الصين والجاوة وبنجالة فعدت لما
تعرفت هذا الى هنور ثم الى سند ابور فوصلتها في آخر المحرم واقت بها الى الثاني من شهر ربيع
الآخر وقد علم سلطانها الكافر الذي دخلنا عليه برسم أخذها وهرب اليه الكفار كلهم وكانت
عساكر السلطان متفرقة في القرى فانقطعوا عنا وحصرنا الكفار وضيقوا علينا ولما اشتد
الحال خرجت عنها وتركتها محصورة وعدت الى قالقوط وعزمت على السفر الى ذيبة المهل
وكنيت اسمع ياخبارها فبعد عشرة أيام من ركوبنا البحر بقا القوط وصلنا جزائر ذيبة المهل وذببة
على لفظ مونث الذيب والمهل (بفتح الميم والهاء) وهذه الجزائر احدى عجائب الدنيا وهي نحو
الف جزيرة ويكون منها مائة فادونها مجتمعات مستديرة كالحلقة لها مدخل كالباب لا تدخل
المراكب الا منه واذا وصل المراكب الى احداها فلا بد له من دليل من أهلها يسير به الى سائر
الجزائر وهي من التقارب بحيث تظهر رؤس النخل التي باحداها عند الخروج من الاخرى
فان اخطأ المراكب سمتها لم يكنه دخولها وجملة الريح الى المعبأوسيلان وهذه الجزائر أهلها
كلهم مسلمون ذوو ديانة وصلاح وهي منقسمة الى اقاليم على كل إقليم وال يسمونه الكردوبى
ومن اقاليمها اقليم بالبور (وهو بياثين معقودتين وكسر اللام وآخره راء) ومنها كنلوس (بفتح
الكاف والنون مع تشديد ها وضم اللام وواو وسين مهمل) ومنها اقليم المهل وبه تعرف
الجزائر كلها وبها يسكن سلاطينها ومنها اقليم تلاديب (بفتح التاء المعلوة واللام والف ودال
مهمل وياء مد وباء موحدة) ومنها اقليم كرايدو (بفتح الكاف والراء وسكون الياء المسفولة
وضم الدال المهمل وواو) ومنها اقليم التيم (بفتح التاء المملوءة وسكون الياء المسفولة) ومنها اقليم
تلدمتى (بفتح التاء المعلوة الاولى واللام وضم الدال المهمل وفتح الميم وتشديد ها وكسر التاء

الآخري ويا) ومنها اقليم هلممتي وهو مثل لشظ الذي قبله الا ان الهاء اوله ومنها اقليم بريدو (بفتح الباء الموحدة والراء وسكون الياء وضم الدال المهملة وواو) ومنها اقليم كندكل (بفتح الكافين والدال المهملة وواو) ومنها اقليم ملوك (بضم الميم) ومنها اقليم السويد (بالسين المهملة) وهو أقصاها وهذه الجزائر كلها لا زرع بها الا ان في اقليم السويد منها زرع يشبه انلي ويجلب منه الى المهمل وانما أكل أهلها سمك يشبه الليرون يسمونه قلب الماس (بضم القاف) ولحمه أحرر ولا زفر له انما ربحه كرمح لحم الانعام واذ الاصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع وطبخوه يسيرا ثم جمعواوه في مكاتيل من سعف النخل وعلقوه للدخان فاذا استحكمت بيته اكلوه ويجمل منها الى الهند والصين واليمن وسمونه قلب الماس (بضم القاف)

﴿ ذكر اشجارها ﴾

ومعظم اشجار هذه الجزائر النارجيل وهو من اقواتهم مع السمك وقد تقدم ذكره واشجار النارجيل شأنها عجيب وتثمر النخل منها اثني عشر عذقا في السنة يخرج في كل شهر عذق فيكون بعضها صغيرا وبعضها كبيرا وبعضها يابس وبعضها اخضر هكذا ابداء يصنعون منه الحليب والزيت والعسل حسبما ذكرنا ذلك في السفر الاول ويصنعون من عسله الحلواء فيأكلونها مع الجوز اليابس منه ولذلك كله والسمك الذي يغتذون به قوة عجيبه في الباءة لانظيرها ولاهل هذه الجزائر عجب في ذلك ولقد كان لي بها اربع نسوة وجوارسواهن فكننت اطوف علي جميعهن كل يوم وايت عندهن تكون ليلتها وأقت بها سنة ونصف اخرى على ذلك ومن اشجارها الجوج والارج والليمون والقلقاص وهم يصنعون من أصوله دقيقا يعملون منه شبه الاطرية ويطبخونها بحليب النارجيل وهي من أطيب طعام كنت أستحسنها كثيرا وآكلها

﴿ ذكر اهل هذه الجزائر وبعض عوائدهم وذر مساكنتهم ﴾

واهل هذه الجزائر اهل صلاح وديانة وايمان صحيح ونية صادقة اكلهم حلال ودعاؤهم مجاب واذا رأى الانسان أحدهم قال له الله ربى ومحمد نبى وأنا أمى مسكين وابدا منهم ضعيفة ولا عهد لهم بالقتال والمخاربة وسلاحهم الدعاء ولقد أمرت مرة بقطع يد سارق بها فغشى على جاعة منهم كانوا بالمجلس ولا تطرقهم لصوص الهند ولا تذعرهم لانهم جريوا ان من اخذ لهم شيئا اصابته مصيبة عاجلة واذا اتت اجفان العدو الى ناحيتهم اخذوا من وجدوا من غيرهم ولم يعرضوا لاحد منهم بسوء وان أخذ أحد الكفار ولوليمونة عاقبه امير الكفار وضر به الضرب المبرح خوفا من عاقبة ذلك ولولا هذا كانوا اعون الناس على قاصدهم بالقتال لضعف بنيتهم وفي كل جزيرة من جزائرهم المساجد الحسنة واكثر عمارتهم بالخشب وهم اهل نظافة وتزهر عن

الاقدارواكثرهم يغتسلون مرتين في اليوم تنظف الشدة الحربها وكثرة العرق ويكثر من
الاذهان العطرية كالصندلية وغيرها ويتلطفون بالغالية المجلوبة من مقدشو ومن عادتهم
انهم اذا صلوا الصبح اتت كل امرأة الى زوجها وابنها بالمكنة وبماء الورد ودهن الغالية
فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد ودهن الغالية فتصقل بشرته وتزيل الشحوب عن وجهه
ولباسهم فوط يشدون الفوطة منها على أوساطهم عوض السراويل ويجعلون على ظهورهم
ثياب الوايان (بكسر الواو وسكون اللام وياء آخر الحروف) وهي شبه الاحاريم وبعضهم يجعل
عمامة وبعضهم منديل اصغير اعوضا منها واذا اتى احدهم القاضي او الخطيب وضع ثوبه عن
كتفيه وكشف ظهره ومضى معه كذلك حتى يصل الى منزله ومن عوائدهم انه اذا تزوج الرجل
منهم ومضى الى دار زوجته بسطت له ثياب القطن من باب دارها الى باب البيت وجعل عليها
غرفات من الودع عن يمين طريقه الى البيت وشماله وتكون المرأة واقفة عند باب البيت تنتظره
فاذا وصل اليها رمت على رجله ثوبا يائسا مذه خدامه وان كانت المرأة هي التي تاتي الى منزل
الرجل بسطت داره وجعل فيها الودع ورمت المرأة عند الوصول اليه الثوب على رجله
وكذلك عادتهم في السلام على السلطان عندهم لا بد من ثوب يرمى عند ذلك وسنذكره
وبنيانهم بالخشب ويجعلون سطوح البيوت مرتفعة عن الارض توقيا من الرطوبات
لان ارضهم ندية وكيفية ذلك ان ينحتوا حجارة يكون طول الحجر منها ذراعين او ثلاثة ويجعلونها
صفوفا ويعرضون عليها خشب النار جيل ثم يضعون الحيطان من الخشب ولهم صناعة عجبية
في ذلك ويبنون في اسطوان الدار بيتا يسمونه المالم (بفتح اللام) يجلس الرجل به مع أصحابه
ويكون له بابان احدهما الى جهة الاسطوان يدخل منه الناس والاخر الى جهة الدار يدخل
منه صاحبها ويكون عند هذا البيت خاية مملوءة ماء ولها مستقى يسمونه الوانج (بفتح الواو واللام
وسكون النون وجيم) هو من قشر جوز النار جيل وله نصاب طوله ذراعان وبه يسقون الماء
من الآبار لقربها وجميعهم حفاة الاقدام من رفيع ووضع وازقتهم مكنوسة نفية تظللها
الاشجار فالماشى بها كانه في بستان ومع ذلك لا بد لكل داخل الى الدار ان يغسل رجله بالماء
الذي في الخاية بالمالم ويمسحها بحصير غليظ من الليف يكون هنالك ثم يدخل بيته وكذلك
يفعل كل داخل الى المسجد ومن عوائدهم اذا قدم عليهم من كعب ان تخرج اليه الكنادروهي
القوارب الصغار واحدها كندرة (يضم الكاف والذال) وفيها اهل الجزيرة معهم التنبول
والكرنية وهي جوز النار جيل الاخضر فيعطى الانسان منهم ذلك لمن شاء من اهل المركب
ويكون نزله ويحمل امتعته الى داره كانه بعض اقربائه ومن اراد التزوج من القادمين عليهم
تزوج فاذا احان سفره طلق المرأة لانهن لا يخرجن عن بلادهن ومن لم يتزوج فالمرأة التي ينزل

بدارها تطبخ له وتخدمه وتزوده اذا سافر وترضى منه في مقابلة ذلك بايسر شئ من الاحسان وفائدة المخزن ويسمونه البندران يشتري من كل سلعة بالمركب حظا بسوم معلوم سواء كانت السلعة تساوى ذلك او اكثر منه ويسمونه شرع البندرو يكون للبندرييت في كل جزيرة من الخشب يسمونه البجنصار (بفتح الباء الموحدة والجيم وسكون النون وفتح الصاد المهمل وآخره راء) يجمع به الوالى وهو الكردورى جمع سلعة ويبيع بها ويشترى وهم يشترون الفخار اذا جلب اليهم بالدجاج فتباع عندهم القدر بخمس دجاجات وست وتحمل المراكب من هذه الجزائر السمك الذى ذكرناه وجوز النارجيل والفوط والوليان والعجائم وهى من القطن ويحملون منها والى النحاس فانهم عندهم كثيرة ويحملون الودع ويحملون القنبر (بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء) وهوليف جوز النارجيل وهم يدبغونه فى حفر على الساحل ثم يضر بونه بالمارازب ثم يغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب وتحمل الى الصين والهند واليمن وهو خير من القنب وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن لان ذلك البحر كثير الحجارة فان كان المركب مسمراسمير الحديد صدم الحجارة فانه كسر واذا كان مخيطا بالحبال أعطى الرطوبة فلم ينكسر وصرف اهل هذه الجزائر الودع وهو حيوان يلتقطونه فى البحر ويضعونه فى حفر هناك فيذهب لحمه ويبقى عظامه أبيض ويسمون المائة منه سياء (بسين مهمل وياء آخر الحروف) ويسمون السبع مائة منه الفال (بالفاء) ويسمون الاثنى عشر الفامنه الكتى (بضم الكاف وتشديد التاء المعلوة) ويسمون المائة ألف منه بستو (بضم الباء الموحدة والتاء المعلوة وبينهما سين مهمل) ويبيع بها بقيمة اربعة بساتى بدينار من الذهب وربع بارخص حتى يباع عشر بساتى منه بدينار ويبيعونه من أهل بنجالة بالارز وهو أيضا صرف اهل بلاد بنجالة ويبيعونه من أهل اليمن فيجعلونه عوض الرمل فى مراكبهم وهذا الودع ايضا هو صرف السودان فى بلادهم رأيت يباع بمالى وجوجو بحساب ألف ومائة وخمسين للدينار الذهبى * (ذكر نسائها) *

ونسائوها لا يغطين رؤسهن ولا سلطانتهم تغطى رأسها ويمشطن شعورهن ويختمنها الى جهة واحدة ولا يلبس اكثرهن الا فوطة واحدة تسترهما من السرة الى اسفل وساثر اجسادهن مكشوفة وكذلك يمشين فى الاسواق وغيرها ولقد جهدت لما وليت القضاء بها ان افطع تلك العادة وأمرهن باللباس فلم استطع ذلك فكنت لا تدخل الى مهن امرأة فى خصوصية الامسترة الجسد وما عد ذلك لم تكن لى عليه قدرة ولباس بعضهن قص زائدة على الفوطة وقصهن قصار الاكمام عراضها وكان لى جواركس وتهن لباس اهل دهلى يغطين رؤسهن فعابهن ذلك أكثر مما زانهن اذا لم يتهودنه وخليهن الاساور تجعل المرأة منها جلة فى ذراعيها بحيث تملأ

ما بين الكوع والمرفق وهى من الفضة ولا يجعل اساور الذهب الانساء السلطان وأقاربه ولهم الخلاخيل ويسمون بها البابل (ببساء موحدة والف وياء آخر الحروف مكسورة) وقلائد ذهب يجعلونها على صدورهن ويسمون بها البسدرد (بالباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الدال المهملة والراء) ومن عجيب أفعالهن انهن يؤجرن أنفسهن للخدمة بالديار على عدد معلوم من خمسة دنانير فادونها على مستأجرهن نفقتهن ولا يرين ذلك عيبا ويفعلوه أكثر بناتهم فتجد فى دار الانسان الغنى منهن العشرة والعشرين وكل ما تكسره من الاوانى يحسب عليها قيمته واذا أرادت الخروج من دار الى دار أعطاهن أهل الدار التى تخرج اليها العدد الذى هى مرتنة فيه فتدفعه لاهل الدار التى خرجت منها ويبقى عليها الاخرين وأكثر شغل هؤلاء المستأجرات غزل القنبر والتزويج بهذه الجزائر سهل لتزارة الصداق وحسن معاشره النساء وأكثر الناس لا يسمى صداقا انما تقع الشهادة ويعطى صداق مثلها واذا قدمت المراكب تزوج اهلها النساء فاذا أرادوا السفر طلقوهن وذلك نوع من نكاح المتعة وهن لا يخرجن عن بلادهن أبدا ولم أرى الدنيا احسن معاشره منهن ولا تسكل المرأة عندهم خدمة زوجها الى سواها بل هى تأتية بالطعام وترفعه من بين يده وتغسل يده وتأتية بالماء للوضوء وتغمر جلبيه عند النوم ومن عوائدهن أن لاتأكل المرأة مع زوجها ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة ولقد تزوجت بها نسوة فأكل معى بعضهن بعد محاولته وبعضهن لم تأكل معى ولا استطعت ان اراها تأكل ولا نفعتنى حيلة فى ذلك

(ذكر السبب فى اسلام أهل هذه الجزائر)

(وذكر العفارىت من الجن التى تضربها فى كل شهر)

حدثنى الثقة من أهلها كالفقيه عيسى اليمنى والفقيه المعلم على والقاضى عبد الله وجماعة سواهم ان هذه الجزائر كانوا كفارا وكان يظهر لهم فى كل شهر عفريت من الجن يأتى من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل وكانت عادتهم اذا رأوه اخذوا جارية بكرا فزينوها وادخلوها الى بدخانة وهى بيت الاصنام وكان مبنيا على ضفة البحر وله طاق ينظر اليه منه ويتركونها هنالك ليلة ثم يأتون عند الصباح فيجدونها مقتضة ميتة ولا يزالون فى كل شهر يقتربون بينهم فمن أصابته القرعة أعطى بنته ثم انه قدم عليهم مغربى يسمى بابى البركات البربرى وكان حافظا للقرآن العظيم فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهمل قد دخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبيكين كأنهن فى مأتم فاستفهمهن عن شأنهن فلم يفهمنه فأتى ترجان فاخبره ان العجوز كانت القرعة عليها وليس لها الابنت واحدة يقتلها العفريت فقال لها ابو البركات انا أتوجه عوضا من بنتك بالليل وكان سناط الاحية له فاحتملوه تلك الليلة وادخلوه

الى بدخانة وهو متوضئ واقام يتلو القرآن ثم ظهر له العفريت من الطاق فداوم التلاوة فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاص في البحر وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنث على عادتهم فيجرقوها فوجدوا المغربي يتلو فوضوا به الى ملكهم وكان يسمى شنورازة (بفتح الشين المعجم وضم النون وواو وراء والف وزاي وهاء) واعلموه بخبره فحجب منه وعرض المغربي عليه الاسلام ورغبه فيه فقال له اقم عندنا الى الشهر الاخر فان فعلت كذعلك ونجوت من العفريت اسلمت فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للاسلام فأسلم قبل تمام الشهر واسلم أهلها وأولاده وأهل دولته ثم حل المغربي لما دخل الشهر الى بدخانة ولم يأت العفريت فجعل يتلو حتى الصباح وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حاله من التلاوة فكسروا الاصنام وهدموا بدخانة وأسلم أهل الجزيرة وبعثوا الى سائر الجزائر فأسلم أهلها واقام المغربي عندهم معظما وتمذهبوا بمذهبه مذهب الامام مالك رضى الله عنه وهم الى هذا العهد يعظمون المغاربة بسببه وبني مسجدا هو معروف باسمه وقرأت على مقصورة الجامع منقوشا في الخشب اسلم السلطان أحمد شنورازة على يد أبي البركات البربري المغربي وجعل ذلك السلطان ثلث مجابى الجزائر صدقة على أبناء السبيل اذ كان اسلامه بسببهم فسمى على ذلك حتى الآن وبسبب هذا العفريت خرب من هذه الجزائر كثير قبل الاسلام ولما دخلناها لم يكن لى علم بشأنه فبينما أنا ليلة فى بعض شأنى اذ سمعت الناس يجهرون بالتهليل والتكبير ورأيت الاولاد وعلى رؤسهم المصاحف والنساء يضربن (يضربن) فى الطسوت واوانى الخحاس فعجبت من فعلهم وقلت ماشأ نكم فقالوا ألا تنظر الى البحر فنظرت فاذا مثل المركب الكبير وكأنه هلموسرجا ومشاعل فقالوا ذلك العفريت وعادته ان يظهر مرة فى الشهر فاذا فعلنا ما رأيت انصرف عنا ولم يضرنا

❖ (ذكر سلطنة هذه الجزائر) ❖

ومن عجائبها ان سلطانتها امرأة وهى خديجة بنت السلطان جلال الدين عمر بن السلطان صلاح الدين صالح البنجالى وكان الملك لجدها ثم لا يها فلما مات أبوها ولّى أخوها شهاب الدين وهو صغير السن فتزوج الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي امه وغلب عليه وهو الذى تزوج أيضا هذه السلطنة خديجة بعد وفاة زوجها الوزير جمال الدين كما سنذكره فلما بلغ شهاب الدين مبلغ الرجال اخرج ربيبه الوزير عبد الله ونفاه الى جزائر السويد واستقل بالملك واستوزر أحد مواليه ويسمى على كلكى ثم عزله بعد ثلاثة أعوام ونفاه الى السويد وكان يذكر عن السلطان شهاب الدين المذكور انه يختلف الى حرم أهل دولته وخواصه بالليل فخلعوه لذلك ونفوه الى اقليم هلدتى وبعثوا من قتلها ولم يكن يقى من بيت الملك الا اخواته

خديجة

خديجة الكبرى ومريم وفاطمة فقدموا خديجة سلطنة وكانت متزوجة لخطيبهم جمال الدين فصار وزيراً وغالب على الأمر وقدم ولده محمد الخطابة عوضاً عنه ولكن الأمر انما تنفذ باسم خديجة وهم يكتبون الأمر في سعة النخل بحديدة معوجة شبه السكين ولا يكتبون في الكاغد إلا المصاحف وكتب العلم ويذكرها الخطيب يوم الجمعة وغيره فيقول اللهم انصر امتك التي اخترتها على علم على العالمين وجعلتها رجة لكافة المسلمين الا وهى السلطنة خديجة بنت السلطان جلال الدين بن السلطان صلاح الدين ومن عادتهم اذا قدم الغريب عليهم ومضى الى المشور وهم يسمونه الدار فلا بد له ان يستصحب ثوبين فيخدم لجهة هذه السلطنة ويرعى باحدهما ثم يخدم لوزيرها وهو زوجها جمال الدين ويرعى بالثاني وعسكرها نحو ألف انسان من الغرباء وبعضهم بلديون ويأتون كل يوم الى الدار فيخدمون وينصرفون ومرتبهم الارز يعطاهم من البندر في كل شهر فاذا تم الشهر أتوا الدار وخدموا وقالوا للوزير بلغ عنا الخدمة واعلم بأننا أتينا نطلب مرتبنا فيؤمر لهم بها عند ذلك ويأتي أيضاً الى الدار كل يوم القاضي وأرباب الخطط وهم الوزراء عندهم فيخدمون ويبلغ خدمتهم الفتيان وينصرفون

(ذكر أرباب الخطط وسيرهم)

وهم يسمون الوزير الأكبر النائب عن السلطنة كلوكى (بفتح الكاف الاولى واللام) ويسمون القاضي قنديار قالوا (وضبط ذلك بفاء مفتوح وتون مسكن ودال مهملة مفتوح وياء آخر الجر وف والف وراء وقاف والف ولا م مضعوم) واحكامهم كلها راجعة الى القاضي وهو أعظم عندهم من الناس اجمعين وأمره ممتثل كما أمر السلطان واشد ويجلس على بساط في الدار وله ثلاث جزائر يأخذ مجباها لنفسه عادة قديمة اجراها السلطان أجد شنورازة ويسمون الخطيب هندیجى (وضبط ذلك بفتح الهاء وسكون النون وكسر الدال وياء مدّ وجيم مفتوح وراء وياء) ويسمون صاحب الديوان الفاملدارى (بفتح الفاء والميم والدال المهملة) ويسمون صاحب الاشغال ما فاكلوا (بفتح الميم والكاف وضم اللام) ويسمون الحاكم فتنايك (بكسر الفاء وسكون التاء المعلوّة وفتح النون والف وياء آخر الحروف مفتوحة أيضاً وكاف) ويسمون قائد البحر مانايك (بفتح الميم والنون والياء) وكل هؤلاء يسمى وزيراً ولا سجن عندهم بتلك الجزائر انما يحبس ارباب الجرائم في بيوت خشب هي معدة لامتعة التجار ويجعل أحدهم في خشبة كما يفعل عندنا بأسارى الروم

(ذكر وصولي الى هذه الجزائر وتنقل حالها)

ولما وصلت اليها نزلت منها بجزيرة كنلوس وهي جزيرة حسنة فيها المساجد الكثيرة ونزلت بدار

رجل من صليحاء أو أضافني بها الذقية على وكان فاضلاً له أولاد من طلبة العلم ولقيت بهار جلا
اسمه محمد من أهل ظفار الجوض فأضافني وقال لي ان دخلت جزيرة المهل امسكك الوزير
بها فانهم لا قاضي عندهم وكان غرضي ان اسافر منها الى المعبر وسرنديب وبنجالة ثم الى
الصين وكان قدومي عليها في مركب الناخودة عمره النوري وهو من الحجاج الفضلاء ولما
وصلنا كنلوس اقام بها عشرة ايام اكرمني كندرة يسافر فيها الى المهل بمدينة السلطنة وزوجها
فاردت السفر معه فقال لا تسعك الكندرة أنت وأصحابك فان شئت السفر منفردا عنهم فدونك
فابيت ذلك وسافر فاعبت بد الريح وعاد اليها بعد أربعة ايام وقد لقي شداً بدفا عتذرتني وعزم
علي في السفر معه باصحابي فكنا رحل غدوة فنزل في وسط النهار لبعض الجزائر رجل فنبئت
باخرى ووصلنا بعد أربعة ايام الى اقليم التيم وكان الكردوي يسمى بها هلالا فسلم علي وأضافني
وجاء الي ومعه أربعة رجال وقد جعل اثنان عليهم عودا على أكافهما وعلقا منه أربع
دجاجات وجعل الاخران عودا مثله وعلقا منه نحو عشرين جوزا النار جيل فجمعت
من تعظيمهم لهذا الشيء الحقير فاخبرت انهم صنعوه على جهة الكرامة والاحلال ورحلنا
عنهم فنزلنا في اليوم السادس بجزيرة عثمان وهو رجل فاضل من خيار الناس فاكرمنا
واضافنا وفي اليوم الثامن نزلنا بجزيرة لوزير يقال له التمدى وفي اليوم العاشر وصلنا الى
جزيرة المهل حيث السلطنة وزوجها وارسينا بمساها وعادتهم ان لا ينزل أحد عن المرسى
الا باذنهم فاذنوا لنا بالنزول وأردت التوجه الى بعض المساجد فنعتي الخدام الذين بالساحل
وقالوا لا بد من الدخول الى الوزير وكنت أوصيت الناخودة ان يقول اذا سئل عنى لا يعرفه
خوفا من امساكهم اياي ولم اعلم ان بعض أهل الفضول قد كتب اليهم معرفا يخبرني وانى كنت
قاضيا بد هلى فلما وصلنا الى الدار وهو المشور نزلنا في سقائف على الباب الثالث منه وجاء
القاضي عيسى اليمنى فسلم علي وسلمت على الوزير وجاء الناخودة ابراهيم بعشرة أثواب فخدم
الجهة السلطنة ورمى بثوب منها ثم خدم للوزير ورمى بثوب آخر كذلك ورمى بجيعةا وسئل
عنى فقال لا يعرفه ثم اخرجوا اليها التنبول وماء الورد وذلك هو الكرامة عندهم وأنزلنا
بدار وبعث اليها الطعام وهو قسعة كبيرة فيها الارز وتدور بها صحاف فيها اللحم الخليع
والدجاج والسمن والسمك ولما كان بالغد مضيت مع الناخودة والقاضي عيسى اليمنى لزيارة
زاوية في طرف الجزيرة عمرها الشيخ الصالح نجيب وعدنا ليلا وبعث الوزير الى صبيحة تلك
الليلة كسوة وضيافة فيها الارز والسمن والخليع وجوز النار جيل والعسل المصنوع منها وهم
يسمونه القر بانى (بضم القاف وسكون الراء وفتح الباء الموحدة والفاء ونون وياء) ومعنى ذلك ماء
السكر واتوا بمائة الف وودعة للنفقة وبعد عشرة ايام قدم مركب من سيلان فيه فقراء من

العرب والجعم يعرفون فعر فواخذام الوزير بامرئ فزاد اغتباطا باني وبعث عنى عند استهلال رمضان فوجدت الامراء والوزراء واحضر الطعام فى موائد يجتمع على المائدة طائفة فاجلسنى الوزير الى جانبه ومعه القاضى عيسى والوزير القاملدارى والوزير مردهرى ومعناه مقدم العسكر وطعامهم الارز والدجاج والسمن والخبز والموز المطبوخ ويشربون بعده غسل النار جيل مخلوطا بالافاوية وهو يهضم الطعام وفى التاسع من شهر رمضان مات صهر الوزير زوج بنته وكانت قبله عند السلطان شهاب الدين ولم يدخل بها أحد منهم ما لصغرهما فردّها أبوه الدار وواعداًنى دارها وهى من أجل الدور واستأذنته فى ضيافة الفقراء القادمين من زيارة القدم فأذن لى فى ذلك وبعث الى خمس من الغنم وهى عزيزة عندهم لانها محلووبة من المعبر والمليبار ومقدشو وبعث الارز والدجاج والسمن والابازير فبعثت ذلك كله الى دار الوزير سليمان مانايك فطبخ لى بها فاحسن فى طبخه وزاد فيه وبعث الفرش واوانى النحاس واقطرناعلى العادة بدار السلطنة مع الوزير واستأذنته فى حضور بعض الوزراء بتلك الضيافة فقال لى وأنا أحضر أيضا فشكرته وانصرفت الى دارى فاذا به قد جاء ومعه الوزراء وأرباب الدولة فجلس فى قبة خشب مرتفعة وكان كل من يأتى من الامراء والوزراء يسلم على الوزير ويرمى بثوب غير مخيط حتى اجتمع مائة ثوب او نحوها فاخذها الفقراء وقدم الطعام فاكلوا ثم قرأ القراء بالاصوات الحسان ثم أخذوا فى السماع والرقص وأعدت النار فكان الفقراء يدخلونها ويطونها بالاقدام ومنهم من يأكلها كما تؤكل الخلواء الى ان نجت

(ذكر بعض احسان الوزير الى)

ولما تمت الليلة انصرف الوزير ومضيت معه فمررتا بستان للمخزن فقال لى الوزير هذا البستان لك وساعمر لك فيه دار السكك فشكرت فعله ودعوت له ثم بعث لى من الغد بجارية وقال لى خديمه يقول لك الوزير ان اعجبته هذه هى لك والابعثت لك جارية مرهتية وكانت الجوارى المرهتيان تعجبني فقلت له انما أريد المرهتية فبعث الى وكان اسمها قلستان ومعناه زهر البستان وكانت تعرف اللسان الفارسى فاعجبته وأهل تلك الجزائر لهم لسان لما كس أعرفه ثم بعث الى فى غد ذلك بجارية معبرية تسمى عنبرى ولما كانت الليلة بعدها جاء الوزير الى بعد العشاء الاخيرة فى نفر من أصحابه فدخل الدار ومعه غلامان صغيران فسلمت عليه وسألنى عن حالى فدعوت له وشكرته فالتقى أحد الغلامين بين يديه لقشة (بقشة) وهى شبه السبئية وأخرج منها ثياب حرير وحفافيه جوهر وحلى فاعطانى ذلك وقال لى لو بعثته لك مع الجارية لقاتل هو مالى جئت به من دار دولاي والا ن هو مالك فأعطه اياها فدعوت له وشكرته وكان اهلا للشكر رحمه الله

(ذكر تغيره وما أردته من الخروج ومقامي بعد ذلك)

وكان الوزير سليمان مانايك قد بعث الى ان تزوج بنته فبعثت الى الوزير جمال الدين مستأذناً في ذلك فعاد الى الرسول وقال لم يعجبه ذلك وهو يحب ان يزوجه بنته اذا انقضت عدتها فايت انا ذلك وخفت من شؤمها لانه مات تحتها زوجان قبل الدخول واصابتني اثناء ذلك حمى مرضت بها ولا بد لكل من يدخل تلك الجزيرة ان يحمم فقوى عزمي على الرحلة عنها فبعثت بعض الخلى بالودع واكثرت مركباً أسافر فيه لئلا ينجا له فلما ذهبت لوداع الوزير خرج الى القاضي فقال الوزير يقول لك ان شئت السفر فاعطنا ما اعطيناك وسافر فقلت له ان بعض الخلى اشترت به الودع فشا أنكم وايه فعاد الى فقال يقول انما اعطيناك الذهب ولم نعطك الودع فقلت له انا ابيعه وآتيكم بالذهب فبعثت الى التجار ليشتروه مني فامرهم الوزير ان لا يفعلوا وقصده بذلك كله ان لا أسافر عنه ثم بعث الى أحد خواصه وقال الوزير يقول لك أقم عندنا ولك كل ما أحببت فقلت في نفسي ان اتحت حكمهم وان لم أقم مختاراً لقت مضطراً فالاقامة باختياري اولى وقلت لرسوله نعم انا اقيم معه فعاد اليه ففرح بذلك واستدعاني فلما دخلت اليه قام الى وعانقني وقال نحن نريد قربك وانت تريد البعد عنا فاعتذرت له فقبل عذري وقلت له ان اردتم مقامى فأنا اشترط عليكم شروطاً فقال قبلها فاشترط فقلت له انا لا استطيع المشى على قدمي ومن عادتهم ان لا يركب أحد هنالك الا الوزير ولقد كنت لما أعطوني الفرس فركبته يتبعني الناس رجالاً وصبياناً يعجبون مني حتى شكوت له فضربت الدنقرة وبرز في الناس ان لا يتبعني أحد والدنقرة (بضم الدال المهملة وسكون النون وضم القاف وفتح الراء) شبه الطست من صلب مصر بحديده عيس مع صابون على البعد فادأضربوها حينئذ يبرح في الناس بما يراهم فقال لي الوزير ان أردت أن تركب الدولة والاف عندنا حصان ورمكة فاخترأيهما شئت فاخترت الرمكة فاتوني بها في تلك الساعة وأتوني بكسوة فقلت له وكيف اصنع بالودع الذي اشتريته فقال ابعث أحد اصحابك ليبيعه لك لينجالة فقلت له على ان تبعث انت من يعينه على ذلك فقال نعم فبعثت حينئذ رفيقي اباً محمد بن فرحان وبعثوا مع رجل يسمى الحاج علياً فاتفق ان هال البحر فرموا بكل ما عندهم حتى الزاد والماء والصاري والقرية وأقاموا ست عشرة ليلة لا قلع لهم ولا سكان ولا غيره ثم خرجوا الى جزيرة سيلان بعد جوع وعطش وشدائد وقدم على صاحبي ابو محمد بعد سنة وقدموا الى القدم وزارها مرة ثانية معي

(ذكر العيد الذي شاهدته معهم)*

ولما تم شهر رمضان بعث الوزير الى بكسوة وخرجنا الى المصلى وقد زين الطريق التي يمر الوزير عليها من داره الى المصلى وفرشت الثياب فيها وجعلت ككأى الودع بمئة ويسرة وكل من

له على طريقه دار من الامراء والبيكار قد غرس عندها النخل الصغار من النارجيل واشجار
 القوقل والموز ومد من شجر الى أخرى شرائط وعلق منها الجوز الاخضر ويقف صاحب الدار
 عند بابها فاذا امر الوزير رمى على رجليه ثوباً من الحرير أو القطن فيأخذها عبيده مع الودع
 الذي يجعل على طريقه ايضا الوزير ماش على قدميه وعليه فرجية مصرية من المرعز وعمامة
 كبيرة وهو متقلد فوطة حرير وفوق رأسه أربعة شطوط وفي رجليه النعل وجميع الناس سواء
 حفاة والابواق والانفار والاطبال بين يديه والعساكر امامه وخلفه وجميعهم يكبرون حتى
 اتوا المصلى فخطب ولده بعد الصلاة ثم أتى بمحفة فركب فيها الوزير وخدم له الامراء والوزراء
 ورموا بالشباب على العادة ولم يكن ركب في المحفة قبل ذلك لان ذلك لا يفعله الا الملوك ثم رفعه
 الرجال وركبت فرسى ودخلنا القصر فجلس بموضع مرتفع وعنده الوزراء والامراء ووقف
 العبيد بالترسة والسيوف والعصى ثم أتى بالطعام ثم القوقل والتنبول ثم أتى بمحفة صغيرة فيها
 الصندل المقاصري فاذا أكلت جماعة من الناس تلتطخوا بالصندل ورأيت على بعض طعامهم
 يومئذ حوتان من السردين مملوحتين مطبوختين أهدي لهما من كول وهو بلاد الملبار كثير فاخذ
 الوزير بسردنية وجعل يأكلها وقال لي كل منه فانه ليس ببلادنا فقلت كيف اكله وهو غير
 مطبوخ فقل انه مطبوخ فقلت أنا أعرف به فانه ببلادى كثير

﴿ذكر تزويجي وولايتي القضاء﴾

وفي الثاني من شوال اتفقت مع الوزير سليمان مانايك على تزويج بنته فبعثت الى الوزير جمال
 الدين ان يكون عند النكاح بين يديه بالقصر فاجاب الى ذلك واحضر التنبول على العادة
 والصندل وحضر الناس وابطاء الوزير سليمان فاستدعى فلم يأت ثم استدعى ثانية فاعتذر
 بمرض البنت فقال لي الوزير سرا ان بنته امتنعت وهي مالكة أمر نفسها والناس قد اجتمعوا
 فهل لك ان تتزوج بربيبة السلطنة زوجة ابيها وهي التي ولده متزوج بنتها فقلت له نعم فاستدعى
 القاضي والشهود ووقعت الشهادة ودفع الوزير الصداق ورفعت الى بعد أيام فكانت من
 خيار النساء وبلغ حسن معاشرتها انها كانت اذا تزوجت عليها تطيبني وتبخرا ثوابي وهي
 ضاحكة لا يظهر عليها تغير ولما تزوجتها اكرهني الوزير على القضاء وسبب ذلك اعتراضى
 على القاضي لكونه كان يأخذ العشر من التركات اذا قسمها على أربابها فقلت له انما لك اجرة
 تتفق بها مع الورثة ولم يكن يحسن شيئا فلما وليت اجتمعت جهدى في اقامة رسوم الشرع
 وليست هنالك خصومات كما هي ببلادنا فاول ما غيرت من عوائد السوء مكث المطلقات في ديار
 المطلقين وكانت احدهن لا تزال في دار المطلق حتى تتزوج غيره فحسبت علة ذلك وأتى الى
 بنحو خمسة وعشرين رجلا من فعل ذلك فضربتهم وشهرتهم بالاسواق وأخرجت النساء عنهم

ثم اشتدَّت في إقامة الصلوات وأمرت الرجال بالمبادرة إلى الأزقة والأسواق إثر صلاة الجمعة فن وجدوه لم يصل ضربته وشهرته والزمَّت الأئمة والمؤذنين أصحاب المراتب المواظبة على ما هم بسبيله وكتبَت إلى جميع الجزائر بنحو ذلك وجهدت أن أكسوا النساء فلم أقدر على ذلك

﴿ ذكر قدوم الوزير عبد الله بن محمد الحضرمي الذي نفاه السلطان شهاب الدين ﴾
(إلى السويد وما وقع بيني وبينه)

وكنْتُ قد تزوجت ربيته بنت زوجته وأحببتها حباً شديداً ولما بعث الوزير عنه ورده إلى جزيرة المهل بعثت له التحف وتلقيته ومضيت معه إلى القصر فسلم على الوزير وأثر له في دار جيدة فكانت أزوره بها واتفق أن اعتكفت في رمضان فزارني جميع الناس إلا هو وزارني الوزير جمال الدين فدخل هو معه بمحکم الموافقة فوَقعت بيننا الوحشة فلما خرجت من الاعتكاف شكَا إلى أخوال زوجتي ربيته وأولاد الوزير جمال الدين السنجري فأنابهم وأوصى عليهم الوزير عبد الله وأن ما لهم باق بيده وقد خرجوا عن حجره بمحکم الشرع وطلبوا الحضاره بمجلس الحكم وكانت عادتني أن ابعثت عن خصم من الخصوم ابعثت له قطعة كاغذ مكتوبة فعند ما يقف عليها يبادر إلى مجلس الحكم الشرعي والأعاقبة فبعثت إليه على العادة فاغضبه ذلك وحقد هالي وأضر عداوتي و وكل من يتكلم عنه وبلغني عنه كلام قبيح وكانت عادة الناس من صغير وكبير أن يخدموا له كما يخدمون للوزير جمال الدين وخدمتهم أن يؤصلوا النساء إلى الأراضين ثم يلقونهما بضعفهما على قسمة فقامت المنادى فتنادى بدار السلطان على رؤس الأشهاد أنه من خدم للوزير عبد الله كما يخدم للوزير الكبير لزمه العقاب الشديد واخذت عليه أن لا يترك الناس لذلك فزادت عداوته وتزوجت أيضاً زوجة أخرى بنت وزير معظم عندهم كان جدُّه السلطان داود حفيد السلطان أحمد شنور أخته ثم تزوجت زوجة كانت تحت السلطان شهاب الدين وعمرت ثلاث ديار بالبستان الذي أعطانيه الوزير وكانت الرابعة وهي ربيته الوزير عبد الله تسكن في دارها وهي أحسن إلى فلما صاهرت من ذكرته هابني الوزير وأهل الجزيرة وتخوفوا مني لأجل ضعفهم وسعوا بيني وبين الوزير بالنحائم وتولى الوزير عبد الله كبر ذلك حتى تمكنت الوحشة

﴿ ذكر انفصالي عنهم وسبب ذلك ﴾

واتفق في بعض الأيام أن عبيداً من عبيد السلطان جلال الدين شكته زوجته إلى الوزير وأعلمته أنه عند سريره من سراري السلطان يرني بها فبعث الوزير الشهود ودخلوا دار السريرة فوجدوا الغلام نائماً معها في فراش واحد وجسوها فلما أصبحت وعلمت بالخبر توجهت

إلى

الى المشور وجلست في موضع جلوسى ولم أتكلم في شئ من امرها فخرج الى بعض الخواص فقال يقول لك الوزير أنك حاجة نقلت لا وكان قصده ان أتكلم في شأن السرية والغلام اذ كانت عادتي ان لا تقطع قضية الاحكت فيها فلما وقع التغير والوحشة قصرت في ذلك فانصرفت الى دارى بعد ذلك وجلست بموضع الاحكام فاذا ببعض الوزراء فقال لي الوزير يقول لك انه وقع البسارحة كيت وكيت لقضية السرية والغلام فاحكم فيهما بالشرع فقلت له هذه قضية لا ينبغي ان يكون الحكم فيها الا بدار السلطان فعدت اليها واجتمع الناس واحضرت السرية والغلام فامرت بضربهما للناوة واطلقت سراح المرأة وحبست الغلام وانصرفت الى دارى فبعث الوزير الى جماعة من كهراء ناسه في شأن تسريح الغلام فقلت لهم أتشفع في غلام زنجي يهتك حرمة مولاه وانتم بالامس خلعتكم السلطان شهاب الدين وقتلتموه بسبب دخوله لدار غلام له وامرت بالغلام عند ذلك فضرب بقضبان الخيزران وهي أشد وقعها من السياط وشهرته بالجزيرة وفي عنقه حبل فذهبوا الى الوزير فاعلموه فقام وقعد واستشاط غضبا وجمع الوزراء ووجوه العسكر وبعث عني بجثته وكانت عادتي ان أخدم له فلم أخدم وقلت سلام عليكم ثم قلت للحاضرين اشهدوا على اني قد عزلت نفسي عن القضاء ليجزى عنه فكلمني الوزير فصعدت وجلست بموضع اقباله فيه وجاوبته أغلظ جواب واذن مؤذن المغرب قد دخل الى داره وهو يقول ويقولون اني سلطان وهما اذا طلبته لا غضب عليه فغضب على وانما كان اعترازي عليهم بسبب سلطان الهند لانهم تحقروا مكانتي عنده وان كانوا على بعدمنه فخوفه في قلوبهم متكن فاما اني لما ربه في الالة اني انزل من مكان جبرم الله ان الله ان الله ان الله ان الله يقول لك كيف هتكت حرمة على رؤس الاشهاد ولم تخدم له فقلت له انما كنت اخدم له حين كان قلبي طيبا عليه فلما وقع التغير تركت ذلك وتحية المسلمين انما هي السلام وقد سلمت فبعثته الى ثانية فقال انما غرضك السفر عننا فاعط صدقات النساء وديون الناس وانصرف اذا شئت فخدمت له على هذا القول وذهبت الى دارى فخلصت مما على من الدين وكان قد اعطاني في تلك الايام فرش دار وجهازها من أواني نحاس وسواها وكان يعطيني كل ما أطلبه ويحبني ويكرمني ولكنه غير خاطره وخوف مني فلما عرف اني قد خلصت الدين وعزمت على السفر ندم على ما قاله وتلكأ في الاذن لي في السفر فخلعت بالايمن المغلظة ان لا بد من سفرى ونقلت ما عندي الى مسجد على البحر وطلقت احدي الزوجان وكانت احدها حاملة فجعلت لها اجلا تسعة أشهر ان عدت فيها والا فامرها بدها وجمعت معي زوجتي التي كانت امرأة السلطان شهاب الدين لاسلمها لايها بجزيرة مالوك وزوجتي الاولى التي بنتها اخت السلطنة وتوافقت مع الوزير عمر دهر والوزير حسن قائد البحر على

ان أمضى الى بلاد المعبر وكان ملكها اسلمنى فأتى منها بالعسا كر لترجع الجزائر الى حكمه وانوب
انا عنه فيها وجعلت بينى وبينهم علامة رفع أعلام بيض فى المرا كب فاذا رأوها تاروا فى البر
ولم أكن حدثت نفسى بهذا قط حتى وقع ما وقع من التغير وكان الوزير خائف منى يقول للناس
لا بد لهذا ان يأخذ الوزارة اما فى حياتى أو بعد موتى ويكثر السؤال عن حالى ويقول سمعت
ان ملك الهند بعث اليه الاموال ليثور بها على وكان يخاف من سفرى لثلاث آتى بالجيش من
بلاد المعبر فبعث الى ان أقيم حتى يجهزنى مر بكافيت وشكت اخت السلطنة اليها بسفرها معها
معى فارادت منعها فلم تقدر على ذلك فلما رأت عزمها على السفر قالت لها ان جميع ما عندك
من الحلى هو من مال البندرفان كان لك شهود بان جلال الدين وهبه لك والا فردده وكان حليها
له خطر فردته اليهم واتانى الوزراء والوجوه وأنا بالمسجد وطلبوا منى الرجوع فقلت لهم لولا
انى حلفت لعدت ففعلوا تذهب الى بعض الجزائر ليبر قسمك وتعود فقلت لهم نعم ارضاء
لهم فلما كانت الليلة التى سافرت فيها اتيت لوداع الوزير فعبانقنى وبكى حتى قطرت دموعه
على قدمى وبات تلك الليلة يحترس الجزيرة بنفسه خوفا ان يشور عليه اصهارى واصحابى ثم
سافرت ووصلت الى جزيرة الوزير على فأصابته زوجتى اوجاع عظيمة واحبت الرجوع فطلعتها
وتركتها ههنا لك وكتبت للوزير بذلك لانها أمزوجة ولده وطلعت التى كنت ضربت لها الاجل
وبعثت عن جارية كنت أحبها وسرنا فى تلك الجزائر من اقليم الى اقليم

(ذكر النساء ذوات الثدي الواحد)

وفى بعض تلك الجزائر رأيت امرأة لها ثدى واحد فى صدرها ولها بنتان احدهما كمثلها
ذات ثدى واحد والاخرى ذات ثدين الا ان احدهما كبير فيه اللبن والاخر صغير لالبن فيه
فحببت من شأنهن ووصلنا الى جزيرة من تلك الجزائر صغيرة ليس بها الادار واحدة فيها رجل
حائك له زوجة واولاد ونخيلات نار جيل وقارب صغير يصطاد فيه السمك ويسيره الى حيث
اراد من الجزائر وفى جزيرة ايضا شجيرات موز ولم نر فيها من طيور البر غير غرابين خرجا
الىنا لما وصلنا الجزيرة وطافا بركننا فقبضت والله ذلك الرجل ووددت ان لو كانت تلك
الجزيرة لى فانه قطعت فيها الى ان يأتينى اليقين ثم وصلت الى جزيرة ملوك حيث المركب الذى
لنا خودة ابراهيم وهو الذى عزم على السفر فيه الى المعبر فجاء الى ومعه أصحابه وأضافونى
ضيافة حسنة وكان الوزير قد كتب لى ان أعطى به هذه الجزيرة مائة وعشرين يستوون
الكودة وهى الودع وعشرين قدح من الاطوان وهو عسل النار جيل وعدد معلوم من
التنبول والفوفل والسمك فى كل يوم واقتب به هذه الجزيرة سبعين يوما وتزوجت بها امرأتين
وهى من أحسن الجزائر خضرة نضرة رأيت من عجائبها ان الحصن يقطع من شجرها ويركز

في الارض او الخائط في ورق ويصير شجرة ورأيت الرمان بها لا ينقطع له ثم يطول السنة وخاف اهل هذه الجزيرة من الناخودة ابراهيم ان ينهبهم عند سفره فارادوا المسالك ما في مركبه من السلاح حتى يوم سفره فوقع المشاجرة بسبب ذلك وعدنا الى الماء ولم ندخلها وكتبنا الى الوزير معلما بذلك فكتب ان لا سبيل لاخذ السلاح وعدنا الى ملوك وسافرنا منها في نصف ربيع الثاني عام خمسة واربعين وفي شعبان من هذه السنة توفي الوزير رجل الدين رحمه الله وكانت السلطنة حاملا منه فولدت اثر وفاته وتزوجها الوزير عبد الله وسافرنا ولم يكن معنا رئيس عارف ومسافة ما بين الجزائر والمعبر ثلاثة ايام فسرنا نحن تسعة ايام وفي التاسع منها خرجنا الى جزيرة سيلان ورأينا جبل سرنديب فيها ذاهباني السماء كأنه عمود دخان ولما وصلنا هناك قال البحري ان هذا المرسى ليس في بلاد السلطان الذي يدخل التجار الى بلاده آمنين انما هذا مرسى في بلاد السلطان ايرى شكر وتى وهو لعتاة المفسدين وله مراكب تقطع في البحر ففعلنا ان ننزل بمرساة ثم اشتدت الريح فحفنا الغرق فقلنا للناخودة انزلني الى الساحل وانا آخذ لك الامان من هذا السلطان ففعل ذلك وانزلني بالساحل فاننا الكفار فقلنا لوما انتم فاخبرتم اني سلف سلطان المعبر وصاحبه جئت لزيارته وان الذي في المركب هدية له فذهبوا الى سلطانهم فاعلموه بذلك فاستدعاني فذهبت له الى مدينة بطالة (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وتشديد هاء) وهي حضرتها مدينة صغيرة حسنة عليها سور خشب وابراج خشب وجميع سواحلها مملوءة باعواد القرفة تأتي بها السيول فتجمع بالساحل كأنها الروابي ويحيطها اهل المعبر والماء باردون ثم انهم يهدون للسلطان في مقابلة ذلك الثوب ونحوه وبين بلاد المعبر وهذه الجزيرة مسيرة يوم وليلة وبها أيضا من خشب البقم كثير ومن العود الهندى المعروف بالسكنجى الا انه ليس كالبنبارى والقاقلى وسنذكره

(ذكر سلطان سيلان)

واسمه ايرى شكر وتى (بفتح الهمزة وسكون الياء وكسر الراء ثم ياء وشين معجم مفتوح وكاف مثله وراء مسكنة وواو مفتوح وتاء معكوسة وياء) وهو سلطان قوى في البحر رأيت مرة وأنا بالمعبر مائة مركب من مراكبه بين صغار وكبار وصلت الى هناك وكانت بالمرسى ثمانية مراكب للسلطان برسم السفر الى اليمن فامر السلطان بالاستعداد وحشد الناس لحمايته اجفانه فلما يئسوا من اتهاز الفرصة فيها قالوا انما جئنا في حامية مراكب لنا تسير ايضا الى اليمن ولما دخلت على هذا السلطان الكافر قام الى واجلسني الى جانبه وكلمني باحسن كلام وقال ينزل أصابك على الامان ويكونون في ضيافتى الى أن يسافروا فان سلطان المعبر يبنى وبينه الصلابة ثم أمر بانترالى فاقت عنده ثلاثة ايام في اكرام عظيم متزايد في كل يوم وكان

يفهم اللسان الفارسي ويعجبه ما أحدثه به عن الملوكة والبلاد ودخلت عليه يوما وعنده
جواهر كثيرة أتى بها من مغاص الجوهر الذي ببلادها وأصحابه يميزون النفيس منها من غيره
فقال لي هل رأيت مغاص الجوهر في البلاد التي جئت منها فقلت له نعم رأيت به جزيرة قيس
وجزيرة كش التي لابن السواهي فقال سمعت بها ثم أخذ حبات منه فقال أيكون في تلك
الجزيرة مثل هذه فقلت له رأيت ما هو دونها فأعجبته ذلك وقال هي لك وقال لي لا تستحي
واطلب مني ما شئت فقلت له ليس مرادى منذ وصلت هذه الجزيرة إلا زيارته القدم الكريمة
قدم آدم عليه السلام وهم يسمونه (بابا) ويسمون حوا (ماما) فقال هذا هين نبعث معك من
يوصلك فقلت ذلك أريد ثم قلت له وهذا المركب الذي جئت فيه يسافر آمننا إلى المعبر وإذا
عدت أنا بعثتني في مركبك فقال نعم فلماذا كرت ذلك لصاحب المركب قال لي لأسافر
حتى تعود ولوأقت سنة بسببك فأخبرت السلطان بذلك فقال يقيم في ضيافتي حتى تعود
فاعطاني دولة يحملها عبيده على أعناقهم وبعث معي أربعة من الجوكرية الذين عادتهم السفر
كل عام إلى زيارة القدم وثلاثة من البراهمة وعشرة من سائر أصحابه وخمسة عشر رجلا يحملون
الزاد وأما الماء فهو بتلك الطريق كثير ونزلنا ذلك اليوم على واد جزاه في معدية مصنوعة
من قضب الخيزران ثم رحلنا من هنالك إلى منار مندى (وضبط ذلك بفتح الميم والنون والف
وراء مسكنة وميم مفتوحة ونون مسكن ودال مهمل مفتوح ولا م مكسور وياء) مدينة حسنة
هي آخر عمالة السلطان أضافنا أهلها ضيافة حسنة وضيافتهم عجول الجواميس يصطادونها
بغابة هنالك ويأنون بها أحياء ويأنون بالارز والسمن والحدوت والدجاج والابن ولم نر بهذه
المدينة مسلما غير رجل خراساني انقطع بسبب مرضه فساقر معنا ورحلنا إلى بندر سلاوات
(وضبطه بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهمل وسكون الراء وفتح السين المهمل
واللام والواو والف وتاء معلوة) بلدة صغيرة وسافرنا منها في أوعار كثيرة المياه وبها القيلة
الكثيرة إلا أنها لا تؤذى الزوار والغرباء وذلك ببركة الشيخ أبي عبد الله بن خفيف رحمه الله وهو
أول من فتح هذا الطريق إلى زيارة القدم وكان هؤلاء الكفار يمنعون المسلمين من ذلك
ويؤذونهم ولا يؤثرونهم ولا يبايعونهم فلما اتفق للشيخ أبي عبد الله ما ذكرناه في السفر
الأول من قتل القيلة لأصحابه وسلامته من بينهم وحمل القيل له على ظهره صار الكفار من
ذلك العهد يعظمون المسلمين ويدخلونهم دورهم ويطعمون معهم ويطمئنون لهم بأهلهم
وأولادهم وهم إلى الآن يعظمون الشيخ المذكور أشد تعظيم ويسمونه الشيخ الكبير ثم وصلنا بعد
ذلك إلى مدينة كنكار (وضبط اسمها بضم الكاف الأولى وفتح النون والكاف الثانية وآخره راء)
وهي حضرة السلطان الكبير بتلك البلاد وبنائها وفي خندق بين جبلين على خور كبير

يسمى خور الياقوت لان الياقوت يوجد به وبخارج هذه المدينة مسجد الشيخ عثمان الشيرازي المعروف بشاوش (بشيتين معجمين بينهما واو مضموماً) وساطان هذه المدينة وأهلها يزورونه ويعظمونه وهو كان الدليل الى القديم فلما قطعت يده ورجله صار الادلاء اولاده وغلماؤه وسبب قطعه انه ذبح بقرة وحكم كفار الهندوانه من ذبح بقرة ذبح كئلهما او جعل في جلدها وحرق وكان الشيخ عثمان معظماً فقطعوا يده ورجله واعطوه محبى بعض الاسواق

﴿ذكر سلطانها﴾

وهو يعرف بالكنار (بضم الكاف وفتح النون والفاء وراء) وعنده الفيل الأبيض لم أرى الدنيا فيلأبيض سواه يركبه في الاعياد ويجعل على جبهته أحجار الياقوت العظيمة واتفق له ان قام عليه أهل دولته وسموا عينيه وولوا ولده وهو هنالك أعمى

﴿ذكر الياقوت﴾

والياقوت العجيب البهرمان انما يكون بهذه البلدة فمنه ما يخرج من الخور وهو عزيز عندهم ومنه ما يحفر عنه وجيز تسيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها وهي متملكة فيشتري الانسان القطعة منها ويحفر عن الياقوت فيجد احجاراً بيضاء مشعشة وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها فيعطى بالحكاكين فيحكونها حتى تنفلق عن احجار الياقوت فمنه الاحمر ومنه الاصفر ومنه الازرق ويسمونه النيلم (بفتح النون واللام وسكون الياء آخر الحروف) وعادتهم ان ما بلغ ثمنه من أحجار الياقوت الى سائة فتم (بفتح الفاء والنون) فهو للسلطان يعطى ثمنه ويأخذ ما نقص عن تلك القيمة فهو لاصحابه وصرف مائة فتم ستة دنانير من الذهب وجميع النساء بجزير تسيلان لمن القلائد من الياقوت المألون ويجعلنه في ايديهن وارجلهن عوضاً من الاسورة والخلاخيل وجواري السلطان يصنعن منه شبكة يجعلن على رؤسهن ولقد رأيت على جبهة الفيل الأبيض سبعة أحجار منه كل حجر أعظم من بيضة الدجاجة ورأيت عند السلطان ايرى شكروتي سكرجة على مقدار الكف من الياقوت فيها دهن العود فجعلت أعجب منها فقال ان عندنا ما هو أفضل من ذلك ثم سافرنا من كنكار فنزلنا بمغارة تعرف باسم أسطاهمود اللورى (بضم اللام) وكان من الصالحين واحتفر تلك المغارة في سفح جبل عند خور صغير هنالك ثم رحلنا عنها ونزلنا بالخور المعروف بخور بوزنه (بالباء الموحدة وواو زاي ونون وهاء) وبوزنه هي القروء

* (ذكر القروء) *

والقروء بتلك الجبال كثيرة جداً وهي سودا لوان لها اذنان طوال ولذا كورها الحى كما هي للادميين واخبرني الشيخ عثمان وولده وسواهما ان هذه القروء لها مقدمة تتبعه كأنه سلطان

يشد على رأسه عصا به من اوراق الاشجار ويتوكأ على عصي ويكون عن يمينه ويساره أربعة من القروء لها عصي بأيديها وانه اذا جلس القرد المقدم تقف القروء الاربعة على رأسه وتأتى أنشاه واولاده فتتعد بين يديه كل يوم وتأتى القروء فتتعد على بعد منه ثم يكلمها أحد القروء الاربعة فتتصرف القروء كلها ثم يأتى كل قرد منها بموزة أو ليونة أو شبه ذلك فيأكل القرد المقدم واولاده والقروء الاربعة واخبرني بعض الجوكرية انه رأى القروء الاربعة بين يدي مقدمها وهي تضرب بعض القروء بالعصى ثم تتفت وبره بعد ضربه وذكر لي الثقات انه اذا ظفر قرد من هذه القروء بصيبة لا تستطيع الدفاع عن نفسها جامعها واخبرني بعض أهل هذه الجزيرة انه كان بداره قرد منها قد دخلت بنت له بعض البيوت فدخل عليها فصاحت به فقلبها قال ودخلنا عليها وهو بين رجلها فقتلناه ثم كان رحيلنا الى خور الخيزران ومن هذا الخور اخرج أبو عبد الله بن خفيف اليها قوتين اللتين اعطاهما السلطان هذه الجزيرة حسبما ذكرناه في السفر الاول ثم رحلنا الى موضع يعرف بيت الجوز وهو آخر العمارات ثم رحلنا الى مغارة باباطاهر وكان من الصالحين ثم رحلنا الى مغارة السبيك (بفتح السين المهمل وكسر الباء الموحدة ويا مدوكاف) وكان السبيك من سلاطين الكفار وانقطع للعبادة هنالك

* (ذكر العلق الطيار) *

وبهذا الموضع رأينا العلق الطيار ويسمونه الزلو (بضم الزاي واللام) ويكون بالاشجار والحشائش التي تقرب من الماء فاذا قرب الانسان منه وثب عليه فثبما وقع من جسده خرج منه الدم الكثير والناس يستعدون له الليون يعصرونه عليه فيسقط عنهم ويجردون الموضع الذي يقع عليه يسكن خشب معد لذلك ويذكر ان بعض الزوار مر بذلك الموضع فتملقت به العلق فاظهر الجلد ولم يعصر عليها الليون فترف دمه ومات وكان اسمه بابا خوزي (بالحاء المعجم المضموم والزاي) وهنالك مغارة تنسب اليه ثم رحلنا الى السبع مغارات ثم الى عقبة اسكندر وشم مغارة الاصفهاني وعين ماء وقلعة غير عامرة تحتها خور يعرف بغوطة كاه عارفان وهنالك مغارة النار فنج ومغارة السلطان وعند هادر وازة الجبل أي باب

* (ذكر جبل سرنديب) *

وهو من أعلى جبال الدنيا رأينا من البحر وبيننا وبينه مسيرة تسع وثمانين يوما كنا نرى السحاب أسفل منا قد حال بيننا وبين رؤية أسفله وفيه كثير من الاشجار التي لا يسقط لها ورق والازاهير الملونة والورد الأحمر على قدر الكف ويرغمون ان في ذلك الورد كتابة يقرأ منها اسم الله تعالى واسم رسوله عليه الصلاة والسلام وفي الجبل طريقان الى القدم احدهما

يعرف

يعرف بطريق (بابا) والآخر بطريق (ماما) يعنون آدم وحواء عليهما السلام فاما طريق ماما فطريق سهل عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ومن مضى عليه فهو عندهم كن لم يزر وأما طريق بابا فصعب وعرا المرتقى وفي أسفل الجبل حيث دروازته مغارة تنسب أيضا للاسكندر وعين ماء ونحت الاقنون في الجبل شبه درج يصعد عليها وغرز وافيها أوتاد الحديد وعلقة ومنها السلاسل ليمسك بها من يصعده وهي عشر سلاسل ثنتان في أسفل الجبل حيث الدروازة وسبع متوالية بعدها والعاشرة هي سلسلة الشهادة لان الانسان اذا وصل اليها ونظر الى أسفل الجبل ادركه الوهم فيتمهد خوف السقوط ثم اذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقا مهيلا ومن السلسلة العاشرة الى مغارة الخضر سبعة أميال وهي في موضع فسح عندها عين ماء تنسب اليه أيضا ملائ بالحوث ولا يصطاده احدو بالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبتي الطريق وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ميلين الى أعلى الجبل حيث القدم

* (ذكر القدم) *

واثر القدم الكريمة قدم أبي نساء آدم صلى الله عليه وسلم في صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسح وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعها منخفضا وطولها احدى عشر شبرا واتى اليها أهل الصين قديما فقطعوا من الصخرة موضع الابهام وما يليه وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون يقصدونها من اقصى البلاد وفي الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة يجعل الزوار من الكفار فيها الذهب واليواقيت والجواهر فترى الفقراء اذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لا خذما بالحفر ولم نجد نحن بها الا سير حجيرات وذهب أعطيناها الدليل والعادة ان يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة أيام يأتون فيها الى القدم غدوة وعشيا وكذلك فعلنا ولما تمت الايام الثلاثة عدنا على طريق ماما فترلنا بمغارة شيم وهو شيث بن آدم عليهما السلام ثم الى خور السمك ثم الى قرية كرملة (بضم الكاف وسكون الراء وضم الميم) ثم الى قرية جبركاوان (بفتح الجيم والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف والواو وآخره نون) ثم الى قرية دل دينة (بدالين مهملين مكسورين بينهما لام مسكن ويا فمذوتون مفتوح وواو مفتوح وتاء تأنيث) ثم الى قرية آت فلنجة (بهمزة مفتوحة وتاء مشددة مسكنة وقاف ولام مفتوحين ونون مسكن وجيم مفتوح وهنالك (كان) يشي الشيخ ابو عبد الله بن خفيف وكل هذه القرى والمنازل هي بالجبل وعند أصل الجبل في هذا الطريق درخت روان ودرخت هي (بفتح الدال المهملة والراء وسكون الخاء المعجم وتاء معلو) وروان (بفتح الراء والواو والف ونون) وهي شجرة عادية لا يستط لها ورق ولم أر من رأى ورقها ويعرفونها أيضا بالماشية لان الناظر

اليها من أعلى الجبل يراها بعيدة منه قريبة من أسفل الجبل والناظر اليها من أسفل الجبل يراها بعكس ذلك ورأيت هنالك جملة من الجوكرين ملازمين أسفل الجبل ينتظرون سقوط ورقها وهي بحيث لا يمكن التوصل اليها البتة ولهم اكاذيب في شأنها من جملتها ان من اكل من اوراقها عا دله الشباب ان كان شيخا وذلك باطل وتحت هذا الجبل الخور العظيم الذي يخرج منه الياقوت وماؤه يظهر في رأى العين شديد الزرقة ورحلنا من هنالك يومين الى مدينة دينور (وضبط اسمها بادل مهمل مكسور وياء ممدونون وواو مفتوحة وراء) مدينة عظيمة على البحر يسكنها التجار وبها الصنم المعروف بدينور في كنيسة عظيمة فيها نحو الالف من البراهمة والجوكية ونحو خمسة مائة من النساء بنات الهنود ويغنين كل ليلة عند الصنم ويرقصن والمدينة ومحاييها وقف على الصنم وكل من بالكنيسة ومن يرد عليها يأكلون من ذلك والصنم من ذهب على قدر الادى وفي موضع العينين منه يا قوتتان عظيمتان أخبرت انهما تضئان بالليل كل قنديلين ثم رحلنا الى مدينة قالى (بالقاف وكسر اللام) وهي صغيرة على ستة فراسخ من دينور وبها رجل من المسلمين يعرف بالناخودة ابراهيم أضافنا بموضعه ورحلنا الى مدينة كانبو (وضبط اسمها بفتح الكاف واللام وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو) وهي من أحسن بلاد سرنديب وأكبرها وبها يسكن الوزير كما البحر جالسى ومعه نحو خمسة مائة من الحبشة ثم رحلنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام الى بطالة وقد تقدم ذكرها وودخلنا الى سلطانها الذي تقدم ذكره ووجدت الناخودة ابراهيم في انتظارى فسا فرنا بقصد بلاد المعبر وقويت الريح وكاد الماء يدخل في المركب ولم يكن لنا ريس عارف ثم وصلنا الى حجارة كاد المركب ينكسر فيها ثم دخلنا البحر اقصر اقصير فجلس المركب ورأينا الموت عيانا ورعى الناس بما معهم وتوادعوا وقطعنا صارى المركب فرمينا به وصنع البحرية معدية من الخشب وكان بيننا وبين البر فرسخان فاردت ان أنزل في المعدية وكان لى جاريتان وصاحبان من أصحابى فقالا لا تنزل وتتركا فآثرتهما على نفسى وقلت انزلانما والجارية التى أحبها فقالت الجارية انى أحسن السباحة فارتعلق بجبل من حبال المعدية واعوم معهم فنزل رفيتناى واحدهما محمد بن فرحان النوزرى والاخر رجل مصرى والجارية معهم والاخرى تسبح وربط البحرية فى المعدية حبالا وسجوا بها وجعلت معهم ما عز على من المتاع والجواهر والعنبر فوصلوا الى البر سالمين لان الريح كانت تساعدهم وأقت بالمركب ونزل صاحبه الى البر على الدقة وشرع البحرية فى عمل أربع من المعادى فجاء الليل قبل تمامها ودخل معنا الماء فصعدت الى المؤخر وأقت به حتى الصباح وحيه نثذجا اليها نفر من الكفار فى قارب لهم ونزلنا معهم الى الساحل ببلاد المعبر فاعلمناهم انهم من أصحاب سلطانهم وهم تحت ذمته فكتبوا اليه بذلك وهو على مسيرة يومين فى

الغزو وكتبت أنا اليه أعلمه بما اتفق على وادخلنا اولئك الكفار الى غيضة عظيمة فاتوا بفاهكة تشبه البطيخ يثمرها شجر المقل وفي داخلها شبه قطن فيه عسلية يستخرجونها ويصنعون منها حلواء يسمونها التل وهي تشبه السكر واتوا بسك طيب واقنا ثلاثة أيام ثم وصل من جهة السلطان امير يعرف بقمر الدين معه جماعة فرسان ورجال وجاءوا بالدولة وبعشرة أفراس فركبت وركب أصحابي وصاحب المركب واحدى الجاريةتين وحملت الاخرى فى الدولة ووصلنا الى حصن هر كاتو (وضبط اسمه بفتح الهاء وسكون الراء وفتح الكاف والفاء وتاء معلومة مضمومة وواو) ويتنابه وتركت فيه الجوارى وبعض الغلمان والاصحاب ووصلنا فى اليوم الثانى الى محلة السلطان

(ذكر سلطان بلاد المعبر)

هو غياث الدين الدامغانى وكان فى أول أمره فارسا من فرسان الملك مجير بن أبى الرجا احد خدام السلطان محمد ثم خدم الامير حاجى بن السيد السلطان جلال الدين ثم ولى الملك وكان يدعى سراج الدين قبله فلما ولى تسمى غياث الدين وكانت بلاد المعبر تحت حكم السلطان محمد ملك دهلى ثم ثار بها صهرى الشريف جلال الدين احسن شاه وملك بها خمسة أعوام ثم قتل وولى احد امرائه وهو علاء الدين أديبى (بضم الهمزة وفتح الدال المهملة وسكون الياء آخر الحروف وكسر الجيم) فلك سنة ثم خرج الى غز والكفار فاخذ لهم اموالا كثيرة وغنائم واسعة وعاد الى بلاده وغزاهم فى السنة الثانية فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واتفق يوم قتله لهم ان رفع المغفر عن رأسه ليشرب فاصابه سهم غرب فمات من حينه فولوا صهره قطب الدين ثم لم يجدوا سيرته فقتلوه بعد أربعين يوما وولى بعده السلطان غياث الدين وتزوج بنت السلطان الشريف جلال الدين التى كنت متزوجة اختها بدهى

(ذكر وصولى الى السلطان غياث الدين)

ولما وصلنا الى قرب من منزله بعث بعض الحجاب لئلقينا وكان قاعدا فى برج خشب وعادتهم بالهند كلها ان لا يدخل أحد على السلطان دون خوف ولم يكن عندى خوف فاعطانى بعض الكفار خفا وكان هنالك من المسلمين جماعة فعجبت من كون الكفار كان أتم مرة منهم ودخلت على السلطان فامر لى بالجلوس ودعا القاضى الحاج صدر الزمان بهاء الدين وانزلنى فى جواره فى ثلاثة من الاخبية وهم يسمونها الخيام وبعث بالفرش وبطعامهم وهو الارز واللحم وعادتهم هنالك ان يسقوا اللبن الرائب على الطعام كما يفعل ببلادنا ثم اجمعت به بعد ذلك والقيت له أمر جزائر ذبية المهمل وان يبعث الجيش اليها فاخذنى ذلك بالعزم وعين المراكب لذلك وعين الهدية لسلطانهم او الخلع للوزراء والامراء والعطايا لهم وقوض الى فى عقد نكاحه

مع أخت السلطنة وأمر بسق ثلاثة من أكب بالصدقة لفقراء الجزائر وقال لي يكون رجوعك بعد خمسة أيام فتعال له قائد البحر خواجه سرك لا يمكن السفر الى الجزائر الا بعد ثلاثة أشهر من الآن فتعال لي السلطان اما اذا كان الامر هكذا فامض الى فتن حتى تقضى هذه الحركة وتعود الى حضرة قناترة ومنها تكون الحركة فاقت معه بخلال ما بعثت عن الجوارى والاصحاب

(ذكر ترتيب رحيله وشنيع فعله في قتل النساء والولدان)

وكانت الارض التي نسلوها غيضة واحدة من الاشجار والقصب بحيث لا يسلكها أحد فامر السلطان أن يكون مع كل واحد من في الجديش من كبير وصغير قادم لقطع ذلك فاذا نزلت المحلة ركب الى الغاية والناس معه فمطعوا تلك الاشجار من غدوة النهار الى الزوال ثم يؤتى بالطعام فيأكل جميع الناس طائفة بعد أخرى ثم يعودون الى قطع الاشجار الى العشى وكل من وجدوه من الكفار في الغيضة أسروه وصنعوا خشبة محددة الطرفين فجعلوها على كتفيه يحملها ومعه امرأته واولاده ويؤتى بهم الى المحلة وعادتهم ان يصنعوا على المحلة سوراً من خشب يكون له أربعة أبواب ويسمونه الكتكر (بفتح الكافين وسكون التاء المعاوثة وآخره راء) يصنعون على دار السلطان كتكر اثنان يصنعون خارج الكتكر الاكبر مصاطب ارتفاعها نحو نصف قامة ويوقدون عليها النار بالليل ويبيت عندها العبيد والمشاؤون ومع كل واحد منهم خزمة من رقيق القصب فاذا اتى أحد من الكفار ليضربوا على المحلة لئلا يوقد كل واحد منهم الخزمة التي بيده فعماد الليل شبه النهار لكثرة الضياء وخرجت الفرسان في اتباع الكفار فاذا كان عند الصبح قسم الكفار الى أسورين بالامس أربعة أقسام وأتى الى كل باب من ابواب الكتكر بقسم منهم فركزت الخشب التي كانوا يحملونها بالامس عنده ثم ركروا فيها حتى تمفذهم ثم تذبج نساؤهم ويربطن بشعورهن الى تلك الخشبات ويذبح الاولاد الصغار في حجورهن ويتركون هنالك وتنزل المحلة ويشتملون بقطع غيضة أخرى يصنعون بمن أسروه كذلك وذلك أمر شنيع ما علمته لا أحد من الملوك وبسببه عجل الله حينه ولقد رأيته يوماً والقاضي عن يمينه وأنا عن شماله وهو يأكل معنا وقد أتى بكافر معه امرأته وولده سنة سبع فإشار الى السيفين بيده ان يقطعوا رأسه ثم قال لهم وزن او يسروا معناه وابسروا ورجته فقطعت رقابهم وصرفت بصرى عنهم فلما قت وجدت رؤسهم مطروحة بالارض وحضرت عنده يوماً وقد أتى برجل من الكفار فتم كلمه بالم أفهمه فاذا بجماعة من الزبانية قد استلوا سكاكينهم فبادرت القيام فقال لي الى أين فقلت أصلى العصر ففهم عني ونحك وأمر بقطع يديه ورجليه فلما عدت وجدت متشجطاً في دماثة

لمؤذ كرهزيمته للكفار وهى من أعظم فتوحات الاسلام
 وكان فيما يجاور بلاده سلطان كافر يسمى بلال ديو (بفتح الباء الموحدة ولام وألف ولام ثانية
 ودال مهمل مكسور وياء آخر الحروف مفتوحة وواو مسكن) وهو من كبار سلاطين الكفار
 يزيد عسكره على مائة ألف ومعه نحو عشرين ألفا من المسلمين اهل الذعارة وذوى الجنائيات
 والعبيد الفارين فطمع فى الاستيلاء على بلاد المعبر وكان عسكر المسلمين بهاستة آلاف منهم
 النصف من الجياد والنصف الثانى لا خير فيهم ولا غناء عندهم فلقوه بظاهر مدينة كان
 فزعمهم ورجعوا الى حضرة مترة ونزل الكافر على كان وهى من اكبر مدنها واحصنها واحصاها
 عشرة أشهر ولم يبق لهم من الطعام الا قوت أربعة عشر يوما فبعث لهم الكافران يخبر جوا على
 الامان ويتركوا له البلد فقالوا له لا بد من مطالعة سلطاننا بذلك فوعدهم الى تمام أربعة عشر
 يوما فكتب الى السلطان غياث الدين باسمهم فقرأ كتابهم على الناس يوم الجمعة فبكوا وقالوا
 نبيح أنفسنا من الله فان الكافران أخذ تلك المدينة انتقل الى حصار نافا الموت تحت السيوف
 اولى بنا فتعاهدوا على الموت وخرجوا من الغد ونزعوا العمام عن رؤسهم وجعلوها فى أعناق
 الخيل وهى علامة من يريد الموت وجعلوا ذوى النجدة والابطال منهم فى المقدمة وكانوا
 ثلاثمائة وجعلوا على الميمنة سيف الدين بهادر وكان فقيها ورعا شجاعا وعلى الميسرة الملك محمد
 السلحدار وركب السلطان فى القلب ومعه ثلاثة آلاف وجعل الثلاثة الاكاف الباقين ساقية
 لهم وعاليهم اسد الدين كينسر والفارسى وقصدوا محلة الكافر عند القايلة واهلها على غرة
 وخيلهم فى المرمى فاغاروا عليها واطن الكفار انهم سراق فخرجوا اليهم على غير تعبية وقتلواهم
 فوصل السلطان غياث الدين فانهم زل الكفار شرهزيمة واراد سلطانها أن يركب وكان ابن
 ثمانين سنة فادركه ناصر الدين بن أخى السلطان الذى ولى الملك بعده فاراد قتله ولم يعرفه فقال
 له أحد غلماناه هو السلطان فاسره وجمه الى عه فأكرمه فى الظاهر حتى جى منه الاموال والفيلة
 والخيل وكان بعده السراح فلما استصفى ما عند دذبحه وسلخه وملا جلوده بالتبن فعلق على
 سور مترة ورأيت به امعلقة ولنعد الى كلا منا فنقول ورحلت عن المحلة فوصلت الى مدينة فتن
 (بفتح الفاء والتاء المثناة المشددة ونون) وهى كبيرة حسنة على الساحل ومرساها عجيب قد
 صنعت فيه تبة خشب كبيرة قائمة على الخشب الضخام يصعد اليها على طريق خشب مسقف
 فاذا جاء العدو ضمو اليها الاجفان التى تكون بالمرسى وصعدا الرجال والرماة فلا يصيب العدو
 فرصة وبهذه المدينة مسجد حسن مبني بالججارة وبها العنب الكثير والرمان الطيب ولقيت
 الشيخ الصالح محمد النيسابورى أحد الفقراء الموليين الذين يسدلون شعورهم على أكفاهم
 ومعه سبع ربايا كل مع الفقراء ويقعد معهم وكان معه نحو ثلاثين فقيرا لا حدهم غزاة تكون

مع الاسد في موضع واحد فلا يعرض لها وأقت بمدينة فتن وكان السلطان غياث الدين قد صنع له احد الجوكية حبو بالقوة على الجماع وذكر وان من جملة اخلاطها برادة الحديد فأكل منها فوق الحاجة فرض ووصل الى فتن فخرجت الى لقائه وأهديت له هدية فلما استقر بها بعث عن قائد البحر خواجه سرور فقال له لا تشغل بسوى المراكب المعينة للسفر الى الجزائر واراد ان يعطيني قيمة الهدية فايبت ثم ندمت لانه مات فلم آخذ شيأ وأقام بفتن نصف شهر ثم رحل الى حضرته وأقت أنا بعده نصف شهر ثم رحلت الى حضرته وهى مدينة مترة (بضم الميم وسكون التاء المعلوطة وفتح الراء) مدينة كبيرة متسعة الشوارع واول من اتخذها حضرة صهرى السلطان الشريف جلال الدين احسن شاه وجعلها شبيهة بدهلى واحسن بناءها ولما قدمتها وجدت بها وباء يموت منه الناس موتاً ذريعاً فن مرض مات من ثانى يوم مرضه او ثلثه وان ابطأ موته فالى الرابع فكنت اذا خرجت لا ارى الامريضا أوميتا واشتريت بها جارية على انها صحبة فأتت في يوم آخر ولقد جاءت الى فى بعض الايام امرأتها كان زوجها من وزراء السلطان احسن شاه ومعها ابن لها سنة ثمانية أعوام نبيل كيس فطن فشكت ضعف حالها فاعطيتهم مائة وهما صحبان سويان فلما كان من الغد جاءت تطلب لولدها المذكور كفنا واذا به قد توفي من حينه وكنت ارى بمشور السلطان حين مات الميتين من الخدم اللاتى أتى بهن لدق الارز المعمول منه الطعام لغير السلطان وهن مريضات قد طرحن أنفسهن فى الشمس ولما دخل السلطان مترة وجد أمه وامرأته وولده مرضى فاقام بالمدينة ثلاثة أيام ثم خرج الى نهر على فرسخ منها كانت عليه كنيسة للكهنة وخرجت اليه فى يوم خميس فامر بانزاله الى جانب القاضى فلما ضربت الى الاخبية رأيت الناس يسرعون ويمرجون بعضهم فى بعض فن قائل ان السلطان مات ومن قائل ان ولده هو الميت ثم تحقق ذلك فكان الولد هو الميت ولم يكن له سواه فكان موته مما زاد فى مرضه وفى الخميس بعد موته قومت أم السلطان

بذكر وفاة السلطان وولاية ابن أخيه وانصرافى عنه

وفى الخميس الثالث توفي السلطان غياث الدين وشعرت بذلك فبادرت الدخول الى المدينة خوفاً للفتنة ولقيت ناصر الدين ابن أخيه الوالى بعده خارجا الى المحلة قد وجه عنه اذ ليس للسلطان ولد فطلب فى الرجوع معه فايبت وأثر ذلك فى قلبه وكان ناصر الدين هذا خديما بدهلى قبل ان يملك عمه فلما ملك عمه هرب فى زى الفقراء اليه فكان من القدر ملكه بعده ولما بويع مدحه الشعراء فاجزل لهم العطاء واول من قام منشد القاضى صدر الزمان فاعطاه خمسمائة دينار وخلعة ثم الوزير المسمى بالقاضى فاعطاه السقى دينار ودرهم واعطانى

انا ثلاثمائة دينار وخلعة وبث الصدقات في الفقراء والمساكين ولما خطب الخطيب أول خطبة خطبها باسمه نثرت عليه الدنانير والدراهم في أطباق الذهب والفضة وعمل عزاء السلطان غياث الدين فكانوا يختمون القرآن على قبره كل يوم ثم يقرأ العشرون ثم يؤتى بالطعام فيأكل كل الناس ثم يعطون الدراهم كل انسان على قدره وأقاموا على ذلك أربعين يوما ثم يفعلون ذلك في مثل يوم وفاته من كل سنة وأول ما بدأ به السلطان ناصر الدين ان عزل وزير عمه وطلبه بالاموال وولى الوزارة الملك بدر الدين الذى بعثه عمه الى وأنا بفتن ليتلقانى فتوفى سرىعا فولى الوزارة خواجه سرور قائد البحر وأمر ان يخاطب بخواجه جهان كما يخاطب الوزير بدھلى ومن خاطبه بغير ذلك غرم دنانير معلومة ثم ان السلطان ناصر الدين قتل ابن عمته المتزوج بنت السلطان غياث الدين وتزوجها بعده وبلغه ان الملك مسعود ازاره في محبسه قبل موته فقتله أيضا وقتل الملك بهادر وكان من الشجعان الكرماء الفضلاء وامرلى بجميع ما كان عينه عمه من المراكب برسم الجزائر ثم أصابتنى الحى القاتلة هنالك فظننت انها القاضية والهمنى الله الى التمر الهندى وهو هنالك كثير فاخذت نحو رطل منه وجعلته فى الماء ثم شربته فاسهلنى ثلاثة ايام وعافانى الله من مرضى فكرهت تلك المدينة وطلبت الاذن فى السفر فقال لى السلطان كيف تسافر ولم يبق لايام السفر الى الجزائر غير شهر واحد اقم حتى نعطيك جميع ما أمر لك به خوند عالم فايت وكتب لى الى فتن لاسافر فى أى مركب أردت وعدت الى فتن فوجدت ثمانية من المراكب تسافر الى اليمن فسافرت فى احدها ولقينا أربعة اجفان فقالتنا يسير اثم انصرفت ووصلنا الى كوم وكان فى بقية مرض فاقت بها ثلاثة أشهر ثم ركب فى مركب بقصد السلطان جمال الدين الهنورى فخرج علينا الكفار بين هنور وفا كنور

﴿ذكر سلب الكفار لنا﴾

ولما وصلنا الى الجزيرة الصغرى بين هنور وفا كنور خرج علينا الكفار فى اثني عشر مركبا حربية وقاتلونا قتالا شديدا وتغلبوا علينا فاخذوا جميع ما عندى مما كنت أدخره للشدائد وأخذوا الجواهر والىواقيت التى اعطانيها ملك سيلان واخذوا ثيابى والزوائد التى كانت عندى مما اعطانيه الصالحون والاولياء ولم يتركوا لى ساترا خلا السراويل واخذوا ما كان لجميع الناس وانزلونا بالساحل فرجعت الى القلوط فدخلت بعض المساجد فبعثت الى احد الفقهاء بثوب وبعث القاضى بمائة وبعث بعض التجار بثوب آخر وتعرفت هنالك تزوج الوزير عبد الله بالسلطانة خديجة بعد موت الوزير جمال الدين وبأن زوجتى التى تركها حاملا ولدت ولدا ذكر اخطرت لى السفر الى الجزائر وتذكرت العداوة التى بينى وبين الوزير

عبدالله ففتحت المحصف فخرج لي تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا فاستخرت الله وسافرت فوصلت بعد عشرة أيام الى جزائر ذبيبة المهل ونزلت منها بكنلوس فاكرمني واليها عبد العزيز المقدشاوي وأضافني وجهزني كندرة ووصلت بعد ذلك الى هلالى وهى الجزيرة التى تخرج السلطنة واخوانها اليها برسم التفريج والسياحة ويسمون ذلك التججرويلعجبون فى المراكب ويبعث لها الوزراء والامراء بالهدايا والتحف متى كانت بها ووجدت بها اخت السلطنة وزوجها الخطيب محمد بن الوزير جمال الدين وامها التى كانت زوجتى جفاء الخطيب الى واتوا بالطعام ومربعض أهل الجزيرة الى الوزير عبدالله فاعلموه بقدمي فسأل عن حالى وعن قدم معي واخبراني جئت برسم حمل ولدى وكانت سنة نحو عامين واتنه امه تشكومن ذلك فقال لها أنا لا أمنعه من حمل ولده وصادرنى فى دخول الجزيرة وأنزلني بدار تقابل برج قصره ليةطلع على حالى وبعث الى بكسوة كاملة وبالتنبول وماء الورد على عادتهم وجئت بشوي حرير لرمى عند السلام فاخذوها ولم يخرج الوزير الى ذلك اليوم واتى الى بولدى فظهر لى ان اقامته معهم خير له فرددته اليهم واقت خمسة أيام وظنر لى ان تعجيل السفر اولى فطلبت الاذن فى ذلك فاستدعانى الوزير ودخلت عليه واتوني بالثوبين اللذين اخذوهما منى فرميتهم عند السلام على العادة واجلسنى الى جانبته وسألنى عن حالى وأكات معه الطعام وغسلت يدي معه فى الطست وذلك شئ لا يفعله مع أحد واتوا بالتنبول وانصرفت وبعث الى باباواب وبساتى من الودع وأحسن فى أفعاله وأجل وسافرت فاقنعا على ظهر البحر ثلاثا واربعين ليلة ثم وصلنا الى بلاد بنجالة (وضبطها بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم معقود وألف ولام مفتوح) وهى بلاد متسعة كثيرة الارز ولم أرى الدنيا أرخص أسعارا منها لكنهما مظلمة وأهل خراسان يسمونها دوزخست (دوزخ) بور (بر) نعمة معناه جهنم ملائى بالنعم رأيت الارز يباع فى اسواقها خمسة وعشرين رطلا دهلية بدينا رضى والدينار الفضى هو ثمانية دراهم ودرهمهم كالدرهم النقرة سواء والرطل الدهلى عشرون رطلا مغربية وسمعتهم يقولون ان ذلك غلاء عندهم وحدثني محمد المصمودى المغربى وكان من الصالحين وسكن هذا البلد قديما ومات عندي بدهللى انه كانت له زوجة وخادم فكان يشتري قوت ثلاثتهم فى السنة بثمانية دراهم وانه كان يشتري الارز فى قشره بحساب ثمانين رطلا دهلية بثمانية دراهم فاذا دفعه خرج منه خمسون رطلا صافيه وهى عشرة قناطر ورأيت البقرة تباع بها للجلب بثلاثة دنائير فضة وبقرهم الجواميس ورأيت الدجاج السمات تباع بحساب ثمان بدرهم واحد وفراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم ورأيت الكباش السمين يباع بدرهمين ورطل السكر باربعة دراهم وهو رطل دهلى ورطل الجلاب بثمانية دراهم ورطل السم باربعة

دراهم ورطل السرج بدرهمين ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذى ذرعه ثلاثون ذراعا
يباع بدينارين ورأيت الجارية المليحة للفراش تباع بدينار من الذهب واحد وهو ديناران
ونصف دينار من الذهب المغربى واشترت بنحو هذه القيمة جارية تسمى عاشورة وكان لها
جمال بارع واشترى بعض أصحابى غلاما صغير السن حسنا اسمه لؤلؤ بدينارين من الذهب
وأول مدينة دخلناها من بلاد بنجالة مدينة سدكاوان (وضبط اسمها بضم السين وسكون
الدال المهملين وفتح الزكاف والواو وآخره نون) وهى مدينة عظيمة على ساحل البحر الاعظم
ويجتمع بها نهر الكنك الذى يصب فيه الهنود ونهر الجون ويصبان فى البحر ولهم فى النهر
مراكب كثيرة يقاتلون بها أهل بلاد اللكنوتى

﴿ذكر سلطان بنجالة﴾

وهو السلطان نخر الدين الملقب بنخره (بالفاء والخاء المعجم والراء) سلطان فاضل محب فى
الغرياء وخصوصا الفقراء والمتصوفة وكانت مملكة هذه البلاد للسلطان ناصر الدين بن
السلطان غياث الدين بلبن وهو الذى ولى ولده معز الدين الملك بدهلى فتوجه لقتاله والتقىا
بالنهر وسمى لقاؤهما لقاء السعدين وقد ذكرنا ذلك وانه ترك الملك لولده وعاد الى بنجالة فاقام
بها الى أن توفى وولى ابنه شمس الدين الى أن توفى فولى ابنه شهاب الدين الى أن غلب عليه
اخوه غياث الدين بهادور بور فاستنصر شهاب الدين بالسلطان غياث الدين تغلق فنصره
وأخذ بهادور بور أسيرا ثم أطلقه ابنه محمد لما ملك على ان يقاسمه ملكه فنكت عليه فقاتله
حتى قتله وولى على هذه البلاد صهره فقتله العسكر راسه وولى على ملكها على شاه وهو اذ
ذاك ببلاد اللكنوتى فلما رأى نخر الدين ان الملك قد خرج عن أولاد السلطان ناصر الدين وهو
مولى لهم خالف بسدكاوان وبلاد بنجالة واستقل بالملك واشتدت الفتنة بينه وبين على شاه
فاذا كانت أيام الشتاء والوحل أغار نخر الدين على بلاد اللكنوتى فى البحر لقوته فيه
واذا عادت الايام التى لا مطر فيها أغار على شاه على بنجالة فى البر لقوته فيه

﴿حكاية﴾

وانتهى حب الفقراء بالسلطان نخر الدين الى ان جعل أحدهم نائبا عنه فى الملك بسدكاوان
وكان يسمى شيدا (بفتح الشين المعجم والدال المهمل بينهما ياء آخر الحروف) وخرج الى قتال
عدوه فحالف عليه شيدا واراد الاستبداد بالملك وقتل ولد السلطان نخر الدين لم يكن له ولد
غيره فعلم بذلك فكر عائدا الى حضرته ففر شيدا ومن اتبعه الى مدينة سنركاوان وهى منبوعة
فبعث السلطان بالعساكر الى حصاره فخاف أهلها على أنفسهم فقبضوا على شيدا وبعثوه
الى عسكر السلطان فكتبوا اليه بامرهم ان يبعثوا له رأسه فبعثوه وقتل بسببه جماعة

كبيرة من الفقراء ولما دخلت سدكا وان لم أرسطانها ولا لقيته لانه مخالف على ملك الهند
نفت عاقبة ذلك وسافرت من سدكا وان بقصد جبال كامرو وهي (بفتح الكاف والميم وضم
الراء) وبينها وبين سدكا وان مسيرة شهر وهي جبال متسعة متصلة بالصين وتتصل ايضا
ببلاد التبت حيث غزلان المسك وأهل هذه الجبل يشبهون الترك ولهم قوة على الخدمة
والغلام منهم يساوى أضعاف ما يساويه الغلام من غيرهم وهم مشهورون بمعاناة العجز
والاشتغال به وكان قصدي بالمسير الى هذه الجبال لقاء ولى من الاولياء بها وهو الشيخ جلال
الدين التبريزي

﴿ ذكر الشيخ جلال الدين ﴾

وهذا الشيخ من كبار الاولياء وافراد الرجال له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة وهو من
المعمرين أخبرني رحمه الله انه أدرك الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد وكان بها حين
قتله وأخبرني أصحابه بعد هذه المدة انه مات ابن مائة وخمسين وأنه كان له نحو أربعين سنة يسرد
الصوم ولا يفطر الا بعد مواصلة عشرة وكانت له بقرة يفطر على حليها ويقوم الليل كله وكان
نحيف الجسم طويلا خفيف العارضين وعلى يديه أسلم أهل تلك الجبال ولذلك أقام بينهم

﴿ كرامته له ﴾

أخبرني بعض أصحابه انه استدعاهم قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم اني
أسافر عنكم غد ان شاء الله وخليفتي عليكم الله الذي لا اله الا هو فلما صلى الظهر من الغد
قبضه الله في آخر سجدة منها ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرا محفورا عليه الكفن
والحنوط فغسلوه وكفنوه وصالوا عليه ودفنوه بوجه الله

﴿ كرامته له أيضا ﴾

ولما قصدت زيارة هذا الشيخ لقيني أربعة من أصحابه على مسيرة يومين من موضع سكنه
فاخبروني ان الشيخ قال للفقراء الذين معه قد جاءكم سائح المغرب فاستقبلوه وانهم أتوا لذلك
بامر الشيخ ولم يكن عنده علم بشئ من أمرى وانما كوشف به وسرت معهم الى الشيخ فوصلت
الى زاوية مخارج الغار ولا عمارة عندها وأهل تلك البلاد من مسلم وكافر يقصدون زيارته
ويأتون بالهدايا والتحف فيأكل منها الفقراء والواردون وأما الشيخ فقد اقتصر على بقرة يفطر
على حليها بعد عشر كما قدمنا ولما دخلت عليه قام الى وعانقني وسألني عن بلادى واسفارى
فاخبرته فقال لي أنت مسافر العرب فقال له من حضر من أصحابه والجمع ياسيدنا فقال والجمع
فاكرمه فاحملوني الى الزاوية وأضافوني ثلاثة أيام

بِحكاية عجيبية في ضمنها كرامات له

ولما كان يوم دخولي الى الشيخ رأيت عليه فرجية مرعزفا عجبتني وقلت في نفسي ليت الشيخ اعطانيها فلما دخلت عليه للوداع قام الى جانب الغار وجرى الفرجية والبسنيها مع طاقية من رأسه وابس مرقة فاخبرني الفقراء ان الشيخ لم تكن عادته ان يلبس تلك الفرجية وانما لبسها عند قدومي وانه قال لهم هذا الفرجية يطلبها المغربي ويأخذها منه سلطان كافر ويعطيها لاخته ابنه ابرهان الدين الصاغري وهي له وبرسمه كانت فلما اخبرني الفقراء بذلك قلت لهم قد حصلت لي بركة الشيخ بان كساني لباسه وانا لا أدخل بهذا الفرجية على سلطان كافر ولا مسلم وانصرفت عن الشيخ فاتفق لي بعد مدة طويلة اني دخلت بلاد الصين واتيت الى مدينة الخنسا فافترق مني اصحابي لكثرة الزحام وكانت الفرجية على فينسنا أنا في بعض الطرق اذا بالوزير في موكب عظيم فوقع بصره علي فاستدعاني واخذ بيدي وسألني عن مقامي ولم يفارقني حتى وصلت الى دار السلطان معه فاردت الانفصال فنعني وادخلني على السلطان فسألني عن سلاطين الاسلام فاجبته ونظر الى الفرجية فاستحسنها فقال لي الوزير جردها فلم يمكنني خلاف ذلك فاخذها وأمر لي بعشر خلع وفرس مجهز ونفقة وتغير خاطري لذلك ثم تذكرت قول الشيخ انه يأخذها سلطان كافر فطال عجب من ذلك ولما كان في السنة الاخرى دخلت دار ملك الصين بخان بالق فقصدت زاوية الشيخ برهان الدين الصاغري فوجدته يقرأ الفرجية عليه يعينها فعجبت من ذلك وقلبتها بيدي فتعال لي لم تقلها وأنت تعرفها فقلت له نعم هي التي أخذها لي سلطان الخنسا فقال لي هذه الفرجية صنعها أخي جلال الدين برسمي وكتب الى ان الفرجية تصلك على يد فلان ثم أخرج لي الكتاب فقرأته وعجبت من صدق يقين الشيخ واعلمته باول الحكاية فقال لي اخي جلال الدين أكبر من ذلك كاه هو يتصرف في الكون وقد انتقل الى رجة الله ثم قال لي بلغني انه كان يصلي الصبح كل يوم بمكة وانه يحج كل عام لانه كان يغيب عن الناس يوم عرفة والعيد فلا يعرف أين ذهب ولما وادعت الشيخ جلال الدين سافرت الى مدينة حبنق (وضبط اسمها بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة وسكون النون وقاف) وهي من أكبر المدن واحسنها يشقها النهر الذي يتزل من جبال كامر ويسمى النهر الازرق ويسافر فيه الى بنجالة وبلاد اللكنوتى وعليه النواوير والبساتين والقرى يمتد ويسرة كما هي على نيل مصر وأهلها كفار تحت الذمة يؤخذ منهم نصف ما يزرعون ووظائف سوى ذلك وسافرت في هذا النهر خمسة عشر يوما بين القرى والبساتين فكانا نمشي في سوق من الاسواق وفيه من المراكب ما لا يحصى كثرة وفي كل مركب منها طبل فاذا التقى المركبان ضرب كل واحد طبله وسلم بعضهم على

بعض وأمر السلطان نحر الدين المذكور أن لا يؤخذ بذلك النهر من الفقراء تول وان يعطى الزاد لمن لازادله منهم واذا وصل الفقير الى مدينة اعطى نصف دينار وبعد خمسة عشر يوما من سفرنا في النهر كما ذكرناه وصلنا الى مدينة سنركاوان وسنر (بضم السين المهمل والنون وسكون الراء) وهى المدينة التى قبض أهلها على الفقير شيئا عندما لجأ اليها ولما وصلنا لها وجدنا بها جنكاريه السفر الى بلاد الجاوة وبينهما أربعون يوما فركبنا فيه ووصلنا بعد خمسة عشر يوما الى بلاد البرهنكار الذين أقواهم كافوا الكلاب (وضبطها بفتح الباء الموحدة والراء والنون والكاف وسكون الهاء) وهذه الطائفة من الهمج لا يرجعون الى دين الهند ودولا الى غيره وسكانهم فى بيوت قصب مسقفة بحشيش الارض على شاطئ البحر وعندهم من أشجار الموز والفوفل والتنبول كثير ورجلهم على مثل صورنا الا ان أقواهم كافوا الكلاب وأمانساؤهم فلسن كذلك وطقن جبال بارع ورجلهم عرايا لا يستترون الا ان الواحد منهم يجعل ذكره وأثنييه فى جعبة من القصب منقوشة معلقة فى بطنه ويستترنساؤهم بأوراق الشجر ومعهم جماعة من المسلمين من أهل بنجالة والجاوة ساكنون فى حارة على حدة اخبرونا انهم يتناحون كالبهاثم لا يستترون بذلك ويكون للرجل منهم ثلاثون امرأة فما دون ذلك أو فوقه وانهم لا يزنون واذاننا أحد منهم فخذ الرجل ان يصلب حتى يموت أو يؤتى صاحبه أو عبده فيصلب عوضا منه ويسرح هو وحده المرأه ان يأمر السلطان جميع خدامه فينكحونها واحد بعد واحد بحضرة حتى تموت ويرمون بها فى البحر ولا جل ذلك لا يتركون أحدا من أهل المراكب ينزل اليهم الا ان كان من المقيمين عندهم وانما يباعدون الناس ويشارونهم على الساحل ويسوقون اليهم الماء على الفيلة لانه بعيد من الساحل ولا يتركونهم لاستقائه خوفا على نساءهم لانهم يطمحن الى الرجال الحسان والفيلة كثيرة عندهم ولا يسعها أحد غير سلطانهم ثم تشتري منهم بالاثواب ولهم كلام غريب لا يفقهه الا من ساكنهم وأكثرت الردد اليهم ولما وصلنا الى ساحلهم أتوا اليينا فى قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة وجاؤا بالموز والارز والتنبول والفوفل والسمك

(ذكر سلطانهم)

وأتى اليينا سلطانهم راكبا على فيل عليه شبه بردعة من الجلود ولباس السلطان ثوب من جلود المعزى وقد جعل البر الى خارج وفوق رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات وفى يده حربة من القصب ومعه نحو عشرين من أقاربه على الفيلة فبعثنا اليه هدية من الفلفل والزنجبيل والقرفة والحوث الذى يكون بجزائر ذبابة المهل واثوابا بنجالية وهم لا يلبسونها انما يكسونها الفيلة فى أيام عيدهم ولهذا السلطان على كل مركب ينزل ببلاده جارية ومملوك

وثياب

وثياب لكسوة الفيل وحلى ذهب تجعله زوجته في محزمها واصابع رجليها ومن لم يعط
هذه الوظيفة صنعوا له سحرا - يحج به البحر فيم لك أو يقارب الهلاك

﴿حكاية﴾

واتفق في ليلة من ليالى اقامتنا بمرساهم ان غلاما لصاحب المركب ممن تردد الى هؤلاء
الطائفة نزل من المركب ليلا ونوعا مع امرأة أحد كبرائهم الى موضع شبه الغار على
الساحل وعلم بذلك زوجها فجاء في جمع من أصحابه الى الغار فوجد هاهنا خملا الى
سلطانهم فامر بالغلام فقطعت اثنياه وصلب وأمر بالمرأة فجاء معها الناس حتى ماتت ثم جاء
السلطان الى الساحل فاعتذر عما جرى وقال انا الانجس بدما من امضاء احكامنا ووهب
لصاحب المركب غلاما عوض الغلام المصلوب ثم سافرا عن هؤلاء وبعد خمسة وعشرين يوما
وصلنا الى خيرة الجاوة (بالجيم) وهي التي ينسب اليها اللسان الجاوى رأيناها على مسيرة
نصف يوم وهي خضرة نضرة وأكثر أشجارها النارجيل والفوفل والقرنفل والعود الهندي
والشكى والبركى والعنبة واليخون والنارج الحلو وقصب الكافور ويبيع أهلها وشراؤهم
يقطع قصدير وبالذهب الصينى التبرغير المسبوك والكثير من أفاويه الطيب التي بها انما
هو بلاد الكفار منها وأما بلاد المسلمين فهو أقل من ذلك ولما وصلنا المرسى خرج اليينا
أهلها في مراكب صغار ومعهم جوز النارجيل والموز والعنبة والسمك وعادتهم ان يهدوا
ذلك للتجار فيكافهم كل انسان على قدره وصعد اليينا أيضا نائب صاحب البحر وشاهد من
معنا من التجار وأذن لنا في النزول الى البر فزلنا الى البندر وهي قرية كبيرة على ساحل
البحر بهادور يسمونها السرحى (بفتح السين المهمل وسكون الراء وفتح الحاء المهمل) وبينها
وبين البلدة اربعة اميال ثم كتب بهروز نائب صاحب البحر الى السلطان فعرفه بقدمى فامر
الامير دولة بلقائى والقاضى الشريف امير سيد الشيرازى وتاج الدين الاصبهانى وسواهم
من الفقهاء فخرجوا لذلك وجاءوا بفرس من مراكب السلطان وافراس سواه فركبت وركب
أصحابى ودخلنا الى حضرة السلطان وهي مدينة سمطرة (بضم السين المهمل والميم وسكون
الطاء وفتح الراء) مدينة حسنة كبيرة عليها سور خشب وابراج خشب

﴿ذكر سلطان الجاوة﴾

وهو السلطان الملك الظاهر من فضلاء الملوك وكرمائهم شافعى المذهب محب فى الفقهاء
يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة وهو كثير الجهاد والغزو ومتواضع يأتى الى صلاة الجمعة
ماشيا على قدميه وأهل بلاده شافعية محبون فى الجهاد يخرجون معه تطوعا وهم غالبون
على من يليهم من الكفار والكفار يعطونهم الجزية على الصلح

﴿ ذكر دخولنا الى داره واحسانه الينا ﴾

ولما قصدنا الى دار السلطان وجدنا بالقرب منه رماحاً من كوزة عن جانبي الطريق هي علامة على نزول الناس فلا يتجاوزها من كان راكباً فنزلنا عندها ودخلنا المشور فوجدنا نائب السلطان وهو يسمى عمدة الملك فتمام الينا وسلم علينا وسلامهم بالمصافحة وقعدنا معه وكتب بطاقة الى السلطان يعمله بذلك وختمها ودفعها لبعض المفتيان فاتاه الجواب على ظهرها ثم جاء أحد المفتيان ببقشة والبقشة (بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين المعجم) هي السبينة فاخذها النائب بيده واخذ بيدي وادخلني الى ديرة يسمونها فردخانة على وزن زردخانة (الا ان اولها فاء) وهي موضع راحته بالنهار فان العادة ان يأتي نائب السلطان الى المشور بعد الصبح ولا ينصرف الا بعد العشاء الاخرة وكذلك الوزراء والامراء الكبار واخرج من البقشة ثلاث فوط احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن والاخرى حرير وكان واخرج ثلاثة أثواب يسمونها التختانيات من جنس الفوط وأخرج ثلاثة من الثياب مختلفة الاجناس تسمى الوسطانيات واخرج ثلاثة أثواب من الارمك احدها أبيض وأخرج ثلاث عمامة فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتهم وثوباً من كل جنس واخذ أصحابي ما بقي منها ثم جاؤا بالطعام أكثره الارز ثم أتوا بنوع من الفقاع ثم أتوا بالتنبول وهو علامة الانصراف فاخذناه وقنا وقام النائب لقيامنا وخرجنا عن المشور فركبنا وركب النائب معنا وأنابنا الى بستان عليه حائط خشب وفي وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطائف قطن يسمونها الخجلات (بالميم والخاء المعجم) ومنها مصبوغ وغير مصبوغ وفي البيت أسيرة من الخيزران فوقها مضربات من الحرير ولحف خفاف ومخاد يسمونها البوالشت فجلسنا بالدار ومعنا النائب ثم جاء الامير دولسة بجاريتين وخادمين وقال لي يقول لك السلطان هذه على قدرنا لا على قدر السلطان محمد ثم خرج النائب وبقي الامير دولسة عندي وكانت بيني وبينه معرفة لانه كان ورد رسولاً على السلطان بدهلي فقلت له متى تكون رؤية السلطان فقال لي ان العادة عندنا ان لا يسلم القادم على السلطان الا بعد ثلاث ليذهب عنه تعب السفر ويثوب اليه ذهنه فاقتنا ثلاثة أيام يأتي الينا الطعام ثلاث مرات في اليوم وتأتينا الفواكه والطرف مساء وصباحاً فلما كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة اتاني الامير دولسة فقال لي يكون سلامك على السلطان بقصور الجامع بعد الصلاة فاتيت المسجد وصليت به الجمعة مع حاجبيه قيران (بفتح القاف وسكون الياء آخر الحروف وفتح الراء) ثم دخلت الى السلطان فوجدت القاضي أمير سيد والطلبة عن يمينه وشماله فصاحفني وسلمت عليه واجلسني عن يساره وسألني عن السلطان محمد وعن أسفاري فاجبته وعادني المذاكرة في الفقه على

مذهب الشافعي ولم يزل كذلك الى صلاة العصر فلما صلاه دخل بيتا هنالك فنزع الثياب التي كانت عليه وهي ثياب الفقهاء وبها يأتى المسجد يوم الجمعة ماشيا ثم لبس ثياب الملك وهي الاقبية من الحرير والقطن

﴿ ذكر انصرافه الى داره وترتيب السلام عليه ﴾

ولما خرج من المسجد وجد الفيلة والخيل على بابه والعادة عندهم انه اذا ركب السلطان الفيل ركب من معه الخيل واذا ركب الفرس ركبوا الفيلة ويكون أهل العلم عن يمينه فركب ذلك اليوم على الفيل وركبنا الخيل وسرنا معه الى المشور فترت العادة ودخل السلطان راكبا وقد اصطف في المشور الوزراء والامراء والكتاب وأرباب الدولة ووجوه العسكر صفوفا فاول الصفوف صف الوزراء والكتاب ووزراءه اربعة فسلموا عليه وانصرفوا الى موضع وقوفهم ثم صف الامراء فسلموا ومضوا الى مواقفهم وكذلك تفعل كل طائفة ثم صف الشرفاء والفقهاء ثم صف الندماء والحكام والشعراء ثم صف وجوه العسكر ثم صف القتيان والماليك ووقف السلطان على فيل اذ اذابة الجاوس ورفع فوق رأسه شطرمصرع وجعل عن يمينه خمسون فيلا مرينة وعن شماله مثلها وعن يمينه أيضا مائة فرس وعن شماله مثلها وهي خيل النوبة ووقف بين يديه خواص الحجاب ثم اتى أهل الطرب من الرجال فغنوا بين يديه وأتى بخيل مجللة بالحرير لها خلا خيل ذهب وارسان حريم ركنة فرقصت الخيل بين يديه فعجبت من شأنها وكنت رأيت مثل ذلك عند ملك الهند ولما كان عند الغروب دخل السلطان الى داره وانصرف الناس الى منازلهم

﴿ ذكر خلاف ابن أخيه وسبب ذلك ﴾

وكان له ابن أخ متزوج بينته فولاه بعض البلاد وكان الفتى يتعشق بنتا لبعض الامراء ويريد تزوجها والعادة هنالك انه اذا كانت لرجل من الناس امير أو سوقى أو سواء بنت قد بلغت مبلغ النكاح فلا بد ان يستأمر للسلطان في شأنها ويبعث السلطان من النساء من تنظر اليها فان أعجبه صفتهما تزوجها والا تركها يزوجهما أو لياؤهما من يشاؤا والناس هنالك يرغبون في تزوج السلطان بناتهم لما يحوزون به من الجاه والشرف ولما استأمر والد البنت التي تعشقها ابن أخ السلطان بعث السلطان من نظر اليها وتزوجها واشتد شغف الفتى بها ولم يجد سبيلا اليها ثم ان السلطان خرج الى الغزو وبينه وبين الكفار مسيرة شهر فخالفه ابن أخيه الى سمطرة ودخلها فلم يكن عليها سور حينئذ وادعى الملك وبايعه بعض الناس وامتنع آخرون وعلم عمه بذلك فقفل عائدا اليها فاخذ ابن أخيه ما قدر عليه من الاموال والداخائر وأخذ الجارية التي تعشقها وقصد بلاد الكفار على جاوة ولهذا بنى عمه السور على سمطرة وكانت

أقامتني عنده بسبعة عشر يوماً ثم طلبت منه السفر إذ كان أوانه ولا يتهيأ السفر إلى الصين في كل وقت فجهز لنا جنكا وزودنا وأحسن وأجل جزاء الله خيراً وبعث معنا من أصحابه من يأتينا بالضيافة إلى الجنك وسافرنا بطول بلاده إحدى وعشرين ليلة ثم وصلنا إلى مل جاوة (بضم الميم) وهي بلاد الكفار وطولها مسيرة شهرين وبها الأفاوية العطرة والعود الطيب الفاقل والقماروقاقل وقارة من بعض بلادها وليس ببلاد السلطان الظاهر بالجاوة إلا اللبان والكافور وثي من القرنفل وثي من العود الهندي وإنما معظم ذلك بل جاوة ولندكر ما شاهدناه منها ووقفنا على أعيانه وحققناه

﴿ذكر اللبان﴾

وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الإنسان إلى ما دون ذلك وأغصانها كأغصان الخرشف وأوراقها أصغار رقاق وربما سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة واللبان صمغية تكون في أغصانها وهي في بلاد المسلمين أكثر منها في بلاد الكفار

﴿ذكر الكافور﴾

وأما شجر الكافور فهي قصب كقصب بلادنا إلا أن الأنايب منها أطول وأغلظ ويكون الكافور في داخل الأنايب فإذا كسرت القصبية وجد في داخل الأنبوب مثل شكله من الكافور والسر الجيب فيه أنه لا يتكون في تلك القصب حتى يذبح عند أصولها شيء من الحيوان والالم يتكون شيء منه والطيب المتناهى في البرودة الذي يقتل منه وزن الدرهم بتجميد الروح وهو المسمى عندهم بالحدالة هو الذي يذبح عند قصبه الأدمى ويقوم مقام الأدمى في ذلك الفيلة الصغار

﴿ذكر العود الهندي﴾

وأما العود الهندي فشجره يشبه شجر البلوط إلا أن قشره رقيق وأوراقه كأوراق البلوط سواء ولا ثمر له وشجرته لا تعظم كل العظم وعروقها طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة وأما عيبدان شجرته وورقه أفلاطرية فيها وكل ما يبلاد المسلمين من شجره فهو مملوك وأما الذي في بلاد الكفار فأكثره غير مملوك والمملوك منه ما كان بقاقله وهو أطيب العود وكذلك القمارى هو أطيب أنواع العود ويبيعه لاهل الجاوة بالاثواب ومن القمارى صنف يطبع عليه كالشمع وأما العطاس فإنه يقطع العرق منه ويدفن في التراب أشهراً فبقى فيه قوته وهو من أعجب أنواعه

﴿ذكر القرنفل﴾

وأما أشجار القرنفل فهي عادية ضخمة وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الإسلام وليست بملكة أكثرتها والمجلوب إلى بلادنا منها هو العيبدان والذي يسميه أهل بلادنا نوار القرنفل هو

الذى

الذى يسقط من زهر دو وهو شبيه بزهر النارج وثمر القرنفل هو جوز بوا المعروف في بلادنا بجوزة الطيب والزهر المتكون فيها هو البسباسة رأيت ذلك كله وشاهدته ووصلنا الى مرسى قاقلة فوجدنا به جملة من الجنوك معدة للسركة ولما يستعصى عليهم من الجنوك فان لهم على كل جنك وظيفة ثم نزلنا من الجنك الى مدينة قاقلة وهي بقافين آخرها مضعوم ولا مهام مفتوح وهي مدينة حسنة عليها سور من حجارة منحوتة عرضه بحيث تسير فيه ثلاثة من القبيلة وأول ما رأيت بخارجها القبيلة عليها الاحمال من العود الهندى يوقدونه في بيوتهم وهو بقية الحطب عندنا وأرخص ثنا هذا اذا ابتاعوا فيما بينهم وأما للتجار فيبيعون الحبل منه بثوب من ثياب القطن وهي أغلى عندهم من ثياب الحرير والقبيلة بها كثيرة جدا عليها ركبون ويجهلون وكل انسان يربط فيلته على بابه وكل صاحب حانوت يربط فيله عنده يركبه الى داره وتجل وكذلك جميع أهل الصين والخطا على مثل هذا الترتيب

✽ ذكر سلطان مل جاوة ✽

وهو كافر رأيت خارج قصره جالس على قبة ليس بينه وبين الارض بساط ومعه أرباب دولته والعساكر يعرضون عليه مشاة ولا خيل هنالك الا عند السلطان وانما يركبون القبيلة وعليها يقاتلون فعرف شأني فاستدعاني فجئت وقلت السلام على من اتبع الهدى فلم يفقهوا الالفاظ السلام فرحب بي وأمر ان يفرش لى ثوب أقعد عليه فقلت للترجمان كيف أجلس على الثوب والسلطان قاعد على الارض فتمال هم كذا عادته يقعد على الارض تواضعا وأنت ضيف وجئت من سلطان كبير فيجب اكرامك فجلست وسألني عن السلطان فاوجز في سؤاله وقال لي تقيم عندنا في الضيافة ثلاثة أيام وحينئذ يكون انصرافك

✽ (ذكر عجبة رأيتها بمجلسه) ✽

ورأيت في مجلس هذا السلطان رجلا بيده سكين شبه سكين المسفر قد وضعه على رقبة نفسه وتكلم بكلام كثير لم افهمه ثم امسك السكين بيديه معا وقطع عنق نفسه فوق رأسه لحدة السكين وشدة امساكه بالارض فعجبت من شأنه وقال لي السلطان أيفعل أحد هذا عندكم فقلت له ما رأيت هذا قط نضحك وقال هؤلاء عبيدنا يقتلون أنفسهم في محبتنا أو امر به فرفع وأحرق وخرج لا حرقه النواب وأرباب الدولة والعساكر والرعايا وأجرى الرزق الواسع على أولاده وأهله واخوانه وعظموا لاجل فعله وأخذ بهرني من كان حاضرا في ذلك المجلس ان الكلام الذى تكلم به كان تقرير المحبة في السلطان وأنه يقتل نفسه في حبه كما قتل ابوه نفسه في حب ابيه وجده نفسه في حب جده ثم انصرفت عن المجلس وبعث الى بضيافة ثلاثة أيام وسافرنا في البحر فوصلنا بعد أربعة وثلاثين يوما الى البحر السكاهل وهو الراد وفيه جمرة زعموا انها من

تربة ارض تجاور دولا ربح فيه ولا موج ولا حركة مع اتساعه ولا جل هذا البحر تتبع كل جنك من جنوك الصين ثلاثة مراكب كما ذكرناه تجذف به فتجروه ويكون في الجنك مع ذلك نحو عشرين مجذافا كبارا كالصواري يجتمع على المجذاف منها ثلاثون رجلا أو نحوها وية ومون قياما صفين كل صف يتقابل الاخر في المجذاف حبلان عظيمان كالطوايس فتجذف احدى الطائفتين الخيل ثم تتركه وتجذف الطائفة الاخرى وهم يغنون عند ذلك باصواتهم الحسان وأكثر ما يقولون لعلى لعلى واقتنا على ظهر هذا البحر سبعة وثلاثين يوما وعجبت البحرية من التسهيل فيه فانهم يقيمون فيه خمسين يوما الى أربعين وهي انهي ما يكون من التيسير عليهم ثم وصلنا الى بلاد طوالسي وهي (بفتح الطاء المهملة والواو وكسر السين المهملة) وملكها هو المسمى بطوالسي وهي بلاد عريضة وملكها ايضا هي ملك الصين وله الجنوك الكثيرة يقاتل بها أهل الصين حتى يصلحوه على شئ وأهل هذه البلاد عبدة أو ثان حسان الصورة أشبه الناس بالترك في صورهم والغالب على الوانهم الحمر ولهم شجاعة وفجدة ونساء وهم ركب الخيل ويحسن الرماية ويقاتل كالرجال سوا وارسينا من مراسيم مدينة كيلوكري وضبطها بكاف مفتوح ويا آخر الحروف مسكنة ولا مضموم وكاف مفتوح وراء مكسور) وهي من أحسن مدنها وكبرها وكان يسكن بها ابن ملكهم فلما أرسينا بالمرسى جاءت عساكرهم ونزل الناخودة اليهم ومعه هدية لابن الملك فسألهم عنه فاخبروه ان أباه ولاءه بلد غيرهم وولى بنته بتلك المدينة (واسمها أردجا بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وجيم)

ذكر هذه الملكة

ولما كان في اليوم الثاني من حلولنا برسى كيلوكري استدعت هذه الملكة الناخودة صاحب المركب والكواني وهو الكاتب والتجار والرؤساء والتنديل وهو مقدم الرجال وسباه سالار وهو مقدم الرماة لضيافة صنعتها لهم على عادتها ورغب الناخودة مني ان أحضر معهم فابيت لانهم كفار لا يجوز أكل طعامهم فلما حضروا عندها قالت لهم هل بقي أحد منكم لم يحضر فقال لها الناخودة لم يبق الا رجل واحد بخشي وهو القاضي بلسانهم وبخشي (بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء وكسر الشين المعجمين) وهو لا يأكل طعامكم فقامت أدعوه فجاء جنادرتها وأصحاب الناخودة فقالوا أجب الملكة فاقبتها وهي بمجلسها الاعظم وبين يديها نسوة بايديهن اللازمة يعرضن ذلك عليها وحوها النساء القواعد وهن وزيراتها وقد جلسها تحت السرير على كراسي الصندل وبين يديها الرجال ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور حرير وخشبه من الصندل وعليه صفائح الذهب وبالمجلس مساطب خشب منقوش عليها أواني ذهب كثيرة من كبار وصغار كالخواني والقلال والبواقيل أخبرني الناخودة انها مملوءة بشراب

مصنوع من السكر مخلوط بالافاويه يشربونه بعد الطعام وانه عطر الرائحة حلوا المطعم يفرح
ويطيب النكهة ويهضم ويعين على الباءة فلما سلمت على الملكة قالت لي بالتركية حسن مسن
يخشى مسن (خوشميسن يخشميسن) معناه كيف حالك كيف أنت وأجلستني على قرب منها
وكانت تحسن الكتاب العربي فقالت لبعض خدامها دواة وبتك كاتور (كتور) معناه الدواة
والكاغد فأني بذلك فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم فقالت ما هذا فقلت لها تنضري (تنكري)
نام وتنضري (بفتح التاء المملوثة وسكون النون وفتح الضاد وراء وياء) ونام (بنون والف وميم)
ومعنى ذلك اسم الله فقالت خشن (خوش) ومعناه جيد ثم سألتني من أى البلاد قدمت
فقلت لها من بلاد الهند فقالت بلاد الفلفل فقلت نعم فسألتني عن تلك البلاد واخبارها
فاجبتها فقالت لا بد أن أغزوها وأخذها لنفسى فاني أعجبني كثرة ما لها وعساكرها
فقلت لها افعلى وامرتى بأثواب وحمل فيلين من الارز ووجاموسيتين وعشر من الضأن
وأربعة أرطال جلاب وأربعة مرطبانات وهي ضخمة مملوثة بالزنجبيل والفلفل والليمون
والعنب كل ذلك مملوح مما يستعد البحر واخبرني انها خدوة ان هذه الملكة لها في عسكرها
نسوة وخدم وجوار يقاتلون كالرجال وانها تخرج في العساكر من رجال ونساء فتغير على عدوها
وتشاهد القتال وتبارز الابطال واخبرني انها وقع بينها وبين بعض اعدائها قتال شديد
وقتل كثير من عسكرها وكادوا ينهزمون فدفعت بنفسها وخرقت الجيوش حتى وصلت الى
الملك الذي كانت تقاتله فطعنته طعنة كان فيها حتفه فمات وانتهزمت عساكره وجاءت
برأسه على رمح فافتكه أهله منها بمال كثير فلما عادت الى أبيها ملكها تلك المدينة التي كانت
بيد أخيها واخبرني ان أبناء الملوك يخطبونها فتقول لا اتزوج الا من يبارزني فيغلبنى
فيتحامون مبارزتها خوف المعرفة ان غلبتهم ثم سافروا عن بلاد طوالسى فوصلنا بعد سبعة
عشر يوما والريح مساعده لنا ونحن نسير بها أشد السير وأحسنه الى بلاد الصين واقليم الصين
متسع كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهايه في ذلك اقليم من اقاليم
الارض ويخترقه النهر المعروف باب حياة معنى ذلك ماء الحياة ويسمى ايضا نهر السبر (السرو)
كاسم النهر الذي بالهند ومنبعه من جبال بقرب مدينة خان بالق تسمى كوه بوزنه معناه جبل
القرود ويمر في وسط الصين مسيرة ستة اشهر الى ان ينتهي الى صين الصين وتكتنفه القرى
والمزارع والبساتين والاسواق كنيل مصر الا ان هذا أكثر عمارة وعليه النواعير الكثيرة
وببلاد الصين السكر الكثير مما يضاهاى المصرى بل يفضلها والاعناب والاجاص وكنت أظن
ان الاجاص العثماني الذي بدمشق لا نظير له حتى رأيت الاجاص الذي بالصين وبها البطيخ

العجيب يشبه بطبخ خوارزم واصفهان وكل ما يبلادنا من الفواكه فان بها ما هو مثله واحسن منه والقمح بها كثير جدا ولم أر قمحا أطيب منه وكذلك العدس والحب

﴿ ذكر الفخار الصيني ﴾

وأما الفخار الصيني فلا يصنع منها الا بمدينة الزيتون وبصين كلان وهو من تراب جبال هنالك تقذف فيه النار كالنخم وسند كذلك ويضيفون اليه حجارة عندهم ويوقدون النار عليها ثلاثة أيام ثم يصبون عليها الماء فيعود الجميع ترابا ثم يخرونه فالجيد منه ما خر شهرًا كاملا ولا يزاد على ذلك والدون ما خر عشرة أيام وهو هنالك بقيمة الفخار ببلادنا وأرخص ثمنا ويحمل الى الهند وسائر الاقاليم حتى يصل الى بلادنا بالمغرب وهو أبداع أنواع الفخار

﴿ ذكر دجاج الصين ﴾

ودجاج الصين وديوكها ضخمة جدا أضخم من الاوز عندنا ويبيض الدجاج عندهم أضخم من يبيض الاوز عندنا وأما الاوز عندهم فلا ضخامة لها ولقد اشترينا دجاجة فاردا نا طبخناها فلم يسع لحما في برمة واحدة فجعلناها في برمتين ويكون الديك بها على قدر النعامة وربما انتفت ريشه ما فيبقى بضعة حراء واول ما رأيت الديك الصيني بمدينة كولم فظننته نعامة وعجبت منه فقال لي صاحبه ان ببلاد الصين ما هو أعظم منه فلما وصلت الى الصين رأيت مصداق ما أخبرني به من ذلك

﴿ ذكر بعض من أحوال أهل الصين ﴾

وأهل الصين كفار يعبدون الاصنام ويحرقون موتاهم كما تفعل الهندوم ملك الصين تترى من ذرية تنكيزخان وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين يتفردون بسكناهم ولهم فيها المساجد لا قامة الجماعات وسواها وهم معظّمون محترمون وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في أسواقهم وهم أهل رفاهة وسعة عيش الا انهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملابس وترى التاجر الكبير منهم الذي لا تحصى أمواله كثرة وعليه جبة قطن خشنة وجميع أهل الصين انما يحتفلون في اواني الذهب والفضة ولكل واحد منهم عكايز يعتمد عليه في المشى ويقولون هو الرجل الثالثة والحربر عندهم كثير جدا لان الدود تتعلق بالثمار وتأكل منها فلا تحتاج الى كثير مؤنة ولذلك كثروا وبس الفقراء والمساكين بها ولولا التجار لما كانت له قيمة ويبيع الثوب الواحد من القطن عندهم بالاثواب الكثيرة من الحرير وعادتهم ان يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعًا تكون القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه ويجعل ذلك على باب داره ومن كان له خمس قطع منها جعل في أصبعه خاتما ومن كانت له عشر جعل خاتمين ومن كان له خمس عشرة سموه السقي (بفتح السين المهملة وكسر

التاء المعلوّة) وهو بمعنى الكارمي بمصر ويسمون القطعة الواحدة منها بر كالة (بفتح الباء الموحد
وسكون الراء وفتح الكاف واللام)

﴿ ثم ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون ﴾

وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبب كونه
قطعا كما ذكرناه وانما يبيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة
بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت (بباء موحدة والفاء ولام
مكسورة وشين معجم مسكن وتاء معلوّة) وهو بمعنى الدينار عندنا وإذا تمزقت تلك الكواغد
في يد انسان جلها الى دار كدار السكة عندنا فاخذ عوضها جدد او دفع تلك ولا يعطى على
ذلك أجرة ولا سواها لان الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل
بتلك الدار أمير من كبار الامراء واذا مضى الانسان الى السوق بدرهم فضة او دينار يريد شراء
شيء لم يؤخذ منه ولا يلفت عليه حتى يصرفه بالبالشت ويشترى به ما أراد

﴿ ثم ذكر التراب الذي يوقدونه مكان الفحم ﴾

وجميع أهل الصين والخطا انما فهمهم تراب عندهم منعقد كالطفل عندنا ولونه لون الطفل
تأتي القيلة بالاحمال منه فيقطعونه قطعاً على قدر قطع الفحم عندنا ويشعلون النار فيه فيقد
كالفحم وهو أشد حرارة من نار الفحم واذا صار رماداً تجنوه بالماء وييسوه وطبخوا به ثانية ولا
يزالون يفعلون به كذلك الى أن يتلاشى ومن هذا التراب يصنعون أواني الفخار الصيني
ويضيفون اليه حجارة سواء كان كرناء

﴿ ثم ذكر ما خصه وابه من احكام الصناعات ﴾

وأهل الصين أعظم الامم احكاماً للصناعات وأشدهم اتقاناً فيها وذلك مشهور ومن حالهم قد
وصفه الناس في تصانيفهم فاطنبوا فيه وأما التصوير فلا يجاريهم أحد في احكامه من الروم
ولا من سواهم فان لهم فيه اقتداراً عظيماً ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك اني ما دخلت قط
مدينة من مدنها ثم عدت اليها الا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان
والكاغد موضوعة في الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فررت على سوق النقاشين
ووصلت الى قصر السلطان مع أصحابي ونحن على زى العراقيين فلما عدت من القصر عشيما
مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في كاغد قد الصقوه
بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطى شيئاً من شبهه وذكر لي ان السلطان
امرهم بذلك وأنهم أتوا الى القصر ونحن به فجعلوا ينظرون الينا ويصورون صورنا ونحن لم
نشعر بذلك وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمرهم وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب اذا

فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا صورته الى البلاد وبحث عنه فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذ قال اين جزى هذا مثل ما حكاه أهل التاريخ من قضية سابور ذي الاكتاف ملك الفرس حين دخل الى بلاد الروم متنكرا وحضر وليمة صنعها ملكهم وكانت صورته على بعض الاواني فنظر اليها بعض خدام قيصر فانطبغت على صورة سابور فقال للملكه ان هذه الصورة تخبرني ان كسرى معناني هذا المجلس فكان الامر على ما قاله وجرى فيه ما هو مسطور في الكتب

﴿ ذكر عاداتهم في تقييد ما في المراكب ﴾

وعادة أهل الصين اذا أراد جنك من جنوكهم السفر صعد اليه صاحب البحر وكتابه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدام والبحرية وحيث تثنى يساح لهم السفر فاذا عاد الجنك الى الصين صعدوا اليه أيضا وقابلوا ما كتبوه باشخاص الناس فان فقدوا أحدا من قيدوه طلبوا صاحب الجنك به فأما ان يأتي بيره ان على موته أو فراره أو غير ذلك مما يحدث عليه والا أخذ فيه فاذا فرغوا من ذلك أمر صاحب المركب ان يملى عليهم تفسير بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم فان عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالا للخنز وذلک نوع من الظلم مارأيت به بلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين الا بالصين اللهم الا انه كان بالهند ما يقرب منه وهو ان من عثر على سلعة له قد غاب على مغرمها أغرم احد عشر مغرم ثم رفع السلطان ذلك لما رفع المغارم

﴿ ذكر عاداتهم في منع التجار عن الفساد ﴾

واذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خير في النزول عند تاجر من المسلمين المتوطنين معين او في الفندق فان أحب النزول عند التاجر حصر ماله وضمنه التاجر المستوطن وانفق عليه منه بالمعروف فاذا اراد السفر بحث عن ماله فان وجد شيئا منه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه وان أراد النزول بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه وهو يشتري له ما أحب ويحاسبه فان أراد التسري اشترى له جارية واسكنه بذار يكون بابها في الفندق وانفق عليهم ما والجواري رخصات الاثمان الا ان أهل الصين أجمعين يبيعون أولادهم وبناتهم وليس ذلك عيبا عندهم غير انهم لا يجبرون على السفر مع مشتريهم ولا يمنعون أيضا منه ان اختاروه وكذلك ان أراد التزوج أو ما انفق ماله في الفساد فشيء لا سبيل له اليه ويقولون لا نريد ان نسمع في بلاد المسلمين انهم يخسرون أموالهم في بلادنا فانها أرض فساد وحسن فائت

يذكر حفظهم للمسافرين في الطرق

وبلاد الصين آمن البلاد واحسنها حالاً للمسافر فان الانسان يسافر منفرداً مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الاموال الطائلة فلا يخاف عليها وترتيب ذلك ان لهم في كل منزل بيلادهم فندقاً عليها كما يسكن به في جماعة من الفرسان والرجال فاذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الخادم الى الفندق ومعه كاتبه فكتب اسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عليها واقفل باب الفندق عليهم فاذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه قد عا كل انسان باسمه وكتب به تفسيراً وبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثاني له ويأتيه ببراءة من حاكمه ان الجميع قد وصلوا اليه وان لم يفعل طلبه بهم وهكذا العمل في كل منزل بيلادهم من صين الصين الى خان بالقي وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليه المسافر من الازواد وخصوصاً الدجاج والاوز وأما الغنم فهي قليلة عندهم ولتعد الى ذكر سفرنا فنقول لما قطعنا البحر كانت اول مدينة وصلنا اليها مدينة الزيتون وهذه المدينة ليس بها زيتون ولا بجميع بلاد اهل الصين والهند ولكنه اسم وضع عليها وهي مدينة عظيمة كبيرة تصنع بها ثياب الكمخا والاطلس وتعرف بالنسبة اليها وتفضل على الثياب الخنساوية والخشب القمية ومرسأها من أعظم مرسأى الدنيا وأهمها وأكبرها رأيت به نحو مائة جنك كبار وأما الصغار فلا تحصى كثرة وهو خور كبير من البحر يدخل في البر حتى يختلط بالنهر الا عظم وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان والارض وداره في وسطها كمثل ما هي بلدة سيجلماسة بيلاذنا وبهذا عظمت بلادهم والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة وفي يوم وصولي اليها رأيت بها الامير الذي توجه الى الهند رسولاً بالهدية ومضى في محبةتنا وغرق به الجنك فسلم على وعرف صاحب الديوان بي قانزاني في منزل حسن وجاء الى قاض المسلمين تاج الدين الاردوبلي وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبيد الله الاصفهاني وهو من الصالحاء وجاء الى كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي أحد التجار الذين استدنت منهم حين قدومي على الهند واحسنهم معاملة حافظ القرآن مكثر للتلاوة وهؤلاء التجار لسكانهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح وقالوا جاء من أرض الاسلام وله يعطون زكوات أموالهم فيعود غنياً كواحد منهم وكان بهام من المشايخ الفضلاء يرهان الدين الكازروني له زاوية خارج البلد واليه يدفع التجار النذور التي ينذرونها للشيخ ابي اسحق الكازروني ولما عرف صاحب الديوان اخباري كتب الى القان وهو ملكهم الاعظم يخبره بقدومي من جهة ملك الهند فطلبت منه ان يبعث معي من يوصلني الى بلاد الصين (صين الصين) وهم يسمونها صين كلان لاشاهد تلك البلاد وهي في عماله بخلاف ما يعود جواب القان فاجاب الى ذلك وبعث معي من أصحابه

من يوصلني وركبت في النهر في مركب يشبه أجفان بلادنا الغزوية الا ان الجذافين يجذفون فيه قياما وجميعهم في وسط المركب والركاب في المقدم والمؤخر ويظلمون على المركب بثياب تصنع من نبات بلادهم يشبه الكتان وليس به وهو أرق من القنب وسافرنا في هذا النهر سبعة وعشرين يوما وفي كل يوم نرسو عند الزوال بقريّة نشترى بهما نحتاج اليه ونصلي الظهر ثم نزل بالعشي الى أخرى هكذا الى أن وصلنا الى مدينة صين كلان (بفتح الكاف) وهي مدينة صين الصين ويها يصنع الفخار وبالزيتون أيضا وهناك يصب نهر آب حياة في البحر ويسعونه بجمع البحرين وهي من اكبر المدن وأحسنها أسواقا ومن أعظم أسواقها سوق الفخار ومنها يحمل الى سائر بلاد الصين والى الهند واليمن وفي وسط هذه المدينة كنيسة عظيمة لها تسعة أبواب داخل كل باب اسطوان ومصابط يقعد عليه الساكنون بها وبين البابين الثاني والثالث منها موضع فيه بيوت يسكنها العميان وأهل الزنانات ولكل واحد منهم نفقة وكسوته من أوقاف الكنيسة وكذلك فيما بين الابواب كلها وفي داخلها المارستان للرضى والمطبخة لطبخ الاغذية وفيها الاطباء والخدام وذكري ان الشيوخ الذين لا قدرة لهم على التكسب لهم نفقتهم وكسوتهم بهذه الكنيسة وكذلك الايتام والارامل ممن لا خال لهم وعمر هذه الكنيسة بعض ملوكهم وجعل هذه المدينة وماولياها من القرى واليساتين وقفها عليها وصورة ذلك الملك مصورة بالكنيسة المذكورة وهم يعيدونها وفي بعض جهات هذه المدينة بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاض وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون أمور المسلمين كلها راجعة اليه وقاض يقضى بينهم وكان نزولي عند أوجد الدين السنجاري وهو أحد الفضلاء الاكابر ذوي الاموال الطائلة وأقيت عنده أربعة عشر يوما وتحف القاضى وسائر المسلمين تتوالى على وكل يوم يصنعون دعوة جديدة ويأتون اليها بالعشرين الحسان والمغنين وليس وراء هذه المدينة مدينة لا للكفار ولا للمسلمين وبينها وبين سدياً جوج وما جوج ستون يوما فيما ذكر لي يسكنها كفار رحالة يأكلون بني آدم اذا ظفروا بهم ولذلك لا تسلك بلادهم ولا يسافر اليها ولم أربطك البلاد من رأى السد ولا من رأى من رآه

(حكاية عجيبه)

ولما كنت بصين كلان سمعت ان بها شيخا كبيرا قد أناف على مائتي سنة وانه لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث ولا يباشر النساء مع قوته التامة وانه ساكن في غار بخارجها يتعبد فيه فتوجهت الى الغار فرأيت على بابه وهو نحيف شديد الحمره عليه أسر العباد ولا حية له فسلمت عليه فامسك يدي وشعها وقال للترجان هذا من طرف الدنيا كما نحن من طرفها الا نحن ثم

قال لي لقد رأيت عجبا أتذكر يوم قدمك الجزيرة التي فيها الكنيسة والرجل الذي كان جالسا بين الاصنام واعطاك عشرة دنانير من الذهب فقلت نعم فقال أنا هو فقبلت يده وفكر ساعة ثم دخل الغار فلم يخرج الينا وكانته ظهر منه الندم على ما تكلم به فتهجمنا ودخلنا الغار عليه فلم نجد له وجدا بغير أصحابه ومعهم جلة بوالشت من الكاغد فقال هذه ضيافتكم فانصرفوا فقلنا له تنتظر الرجل فقال لو أقمتم عشر سنين لم تزود فان عادته اذا اطلع أحد على سر من أسرارهم لا يراد بعبد ولا تحسب انه غاب عنك بل هو حاضر معك فعجبت من ذلك وانصرفت فاعلمت القاضي وشيخ الاسلام وواحد الدين السنجاري بقضيته فقالوا كذلك عادته مع من يأتي اليه من الغرباء ولا يعلم أحد ما ينتج له من الايدان والذي ظننته أحد أصحابه هو هو وأخبروني انه كان غاب عن هذه البلاد نحو خمسين سنة ثم قدم عليها منذ سنة وكان السلاطين والامراء والكبراء يأتونه زائرين فيعطيهم التحف على أقدارهم ويأتيه الفقراء كل يوم فيعطى لكل أحد على قدره وليس في الغار الذي هو به ما يقع عليه البصر وانه يحدث عن السنين الماضية ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول لو كنت معه لنصرته ويذكر الخلفيتين عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب باحسن الذكر ويثنى عليهما ويعلن يزيد بن معاوية ويقع في معاوية وحدثوني عنه بامور كثيرة واخبرني أحد الدين السنجاري قال دخلت عليه بالغار فاخذ بيدي فحبل لي اني في قصر عظيم وانه قاعد فيه على سرير وفوق رأسه تاج وعن جانبيه الوصائف الحسان والفواكد تتساقط في أنهار هناك وتخيملت اني أخذت تفاحة لاكلها فاذا أنا بالغار وبين يديه وهو يضحك مني وأصابني مرض شديد لازمني شهورا فلم اعد اليه وأهل تلك البلاد يعتقدون انه مسلم لكن لم يره أحد يصلي وأما الصيام فهو صائم أبدا وقال لي القاضي ذكرت له الصلاة في بعض الايام فقال لي ان تدري أنت ما أصنع ان صلاتي غير صلاتك واخبره كلها غريبة وفي اليوم الثاني من لقائه سافرت راجعا الى مدينة الزيتون وبعد وصولي اليها بايام جاء أمر القان بوصولي الى حضرته على البر والكرامة ان شئت في النهر والافقي البر فاخترت السفر في النهر فجهرز والى مر بكا حسنا من المراكب المعدة لركوب الامراء وبعث الامير معنا أصحابه ووجه لنا الامير والقاضي والتجار المسلمون أزودا كثيرة وسرنا في الضيافة تتغدى بقسرية وتتعشى باخرى فوصلنا بعد سفر عشرة أيام الى مدينة قنجنفو (رضبط اسمها بفتح القاف وسكون النون وفتح الجيم وسكون النون الا تحو ضم الفاء وواو) مدينة كبيرة حسنة في بسيط أفيج والبساتين محذقة بها فكانهم اغوطة دمشق وعند وصولنا خرج الينا القاضي وشيخ الاسلام والتجار ومعهم الاعلام والطبول والابواق والانفار وأهل الطرب وأتوا بالخيول

فركبنا ومشوا بين أيدينا لم يركب معنا غير القاضي والشيخ وخرج أمير البلد وخدامه وضيف السلطان عندهم معظم أشد التعظيم ودخلنا المدينة ولها أربعة أسوار يسكن ما بين السور الاول والثاني عبيد السلطان من حراس المدينة وسمارها ويسمون البصوانان (الپاسوانان) (بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهمل وواو والف ونون والف ونون) ويسكن ما بين السور الثاني والثالث الجنود المركبون والامير الحاكم على البلد ويسكن داخل السور الثالث المسلمون وهناك نزلنا عند شيخهم ظهير الدين القرلاني (بضم القاف وسكون الراء) ويسكن داخل السور الرابع الصينيون وهو أعظم المدن الأربعة ومقدار ما بين كل باب منها والذي يليه ثلاثة أميال وأربعة وأكمل انسان كما ذكرناه بستانه وداره وأرضه

﴿حكاية﴾

وبينا أنا يوم في دار ظهير الدين القرلاني اذا بركب عظيم لبعض الفقهاء المعظمين عندهم فاستؤذن له على وقالوا مولانا قوام الدين السبتي فحجبت من اسمه ودخل الى فلما حصلت المؤانسة بعد السلام سئلتني اني أعرفه فاطلعت النظر اليه فقال ارالك تنظر الى نظر من يعرفني فقلت له من أي البلاد أنت فقال من سبته فقلت له وأنا من طنجة فجدد السلام على وبكى حتى بكيت لبكائه فقلت له هل دخلت بلاد الهند فقال لي نعم دخلت حضرة دهلي فلما قال لي ذلك تذكرت له وقلت أنت البشري قال نعم وكان وصل الى دهلي مع خاله أبي قاسم المرسي وهو يومئذ شاب لانيات بعارضيه من حذاق الطلبة يحفظ الموطأ وكنت أعلمت سلطان الهند بامرءه فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وطلب منه الإقامة عنده فابي وكان قصده في بلاد الصين فعظم شأنه بها واكتسب الاموال الطائلة أخبرني ان له نحو خمسين غلاما ومثلهم من الجوارى واهدى الى منهم غلامين وجاريتين وتحفا كثيرة ولقيت أخاه بعد ذلك ببلاد السودان فيا بعد ما بينهما وكانت اقامتي بقنجنف وخمسة عشر يوما وسافرت منها وبلاد الصين على ما فيها من الحسن لم تكن تعجبنى بل كان خاطري شديد التغير بسبب غلبة الكفر عليها فتي خرجت عن منزلي رأيت المناكير الكثيرة فاقلقني ذلك حتى كنت ألازم المنزل فلا أخرج الا للضرورة وكنت اذا رايت المسلمين بها فكاني لقيت أهلي وأقاربي ومن تمام فضيلة هذا الفقيه البشري ان سافر معي لما رحلت عن قنجنف وأربعة أيام حتى وصلت الى مدينة يوم قطلو (وهي بباء موحدة مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة وواو مفتوحة وميم وقاف مضموم وطاء مسكنة ولا مضموم وواو) مدينة صغيرة يسكنها الصينيون من جنود وسوقه وليس بها للمسلمين الا أربعة من الدور أهلها من جهة الفقيه المذكور نزلنا بدار أحداهم وأقمنا عنده ثلاثة أيام ثم ودعت الفقيه وانصرفت فركبت النهر على العادة تتغدى بقرية وتتعشى

بأخرى

باخرى الى ان وصلنا بعد سبعة عشر يوما منها الى مدينة الخنسا واسمها على نحو اسم
 الخنسا الشاعرة ولا أدري أعربى هو أم وافق العربى وهذا المدينة أكبر مدينة رأيتهما
 على وجه الارض طولها مسيرة ثلاثة أيام برحل المسافر فيها وينزل وهي على ما ذكرناه
 من ترتيب عمارة الصين كل أحد له بستانه وداره وهي منقسمة الى ست مدن سبعا وعشرون
 وصولنا اليها خرج اليها قاضيها أخو الدين وشيخ الاسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصرى
 وهم كبراء المسلمين بها ومعهم علم أبيض والاطبال والانفار والابواق وخرج أميرها فى موكبه
 ودخلنا المدينة وهي ست مدن على كل مدينة سور ومحقق بالجميع سور واحد دفاؤل مدينة
 منها يسكنها حراس المدينة وأميرهم حدثنى القاضى وسواه أنهم اثنا عشر ألفا فى زمام العسكر
 وبثنا ليلة دخولنا فى دار أميرهم وفى اليوم الثانى دخلنا المدينة الثانية على باب يعرف بباب
 اليهود ويسكن بها اليهود والنصارى والترك عبدة الشمس وهم كثير وأمير هذه المدينة من
 أهل الصين وبثنا عنده ليلة الثانية وفى اليوم الثالث دخلنا المدينة الثالثة ويسكنها المسلمون
 ومدينتهم حسنة وأسواقهم مرتبة كترتيبها فى بلاد الاسلام وبها المساجد والمؤذنون سمعناهم
 يؤذنون بالظهر عند دخولنا وزلنا منها بدار أولاد عثمان بن عفان المصرى وكان أحد التجار
 الكبار استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة اليه وأورث عقبه به الجاه والحرمة
 وهم على ما كان عليه أبوهم من الايثار على الفقراء والاعانة للمحتاجين ولهم زاوية تعرف
 بالعثمانية حسنة العمارة لها أوقاف كثيرة وبها طائفة من الصوفية وبني عثمان المذكور
 المسجد الجامع بهذه المدينة ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافا عظيمة وعدد المسلمين بهذه المدينة
 كثير وكانت أقامت عندهم خمسة عشر يوما فكان كل يوم وليلة فى دعوة جديدة ولا يزالون
 يختلفون فى أطعمتهم وبركبتهم معنا كل يوم للزهوة فى إقطار المدينة وركبوا معى يوما فدخلنا
 الى المدينة الرابعة وهي دار الامارة وبها سكنى الامير الكبير قرطى ولما دخلنا من بابها ذهب
 عنى أصحابى ولقينى الوزير وذهب بى الى دار الامير الكبير قرطى فكان من أخذه الفرجية
 التى أعطانهاولى الله جلال الدين الشيرازى ما قد ذكرته وهذه المدينة منفردة لسكنى عبيد
 السلطان وخذامه وهي أحسن المدن الست ويشقها انهار ثلاثة أحدها خليج يخرج من النهر
 الاعظم وتأتى فيه القوارب الصغار الى هذه المدينة بالمرافق من الطعام وأحجار الوقود وفيه
 السفن للزهوة والمشور فى وسط هذه المدينة وهو كبير جدا ودار الامارة فى وسطه وهو يحف بها
 من جميع الجهات وفيه سقائف فيها الصناعات يصنعون الثياب النفيسة وآلات الحرب أخبرنى
 الامير قرطى ان عددهم ألف وستمائة معلم كل واحد منهم يتبعه الثلاثة والاربعة من
 المتعلمين وهم أجمعون عبيد القان وفى أرجلهم القيود ومساكنهم خارج القصر ويباح لهم

الخروج الى أسواق المدينة دون الخروج على بابها ويعرضون كل يوم على الأمير مائة مائة
فان نقص أحدهم طلب به أميره وعادتهم انه اذا خدم أحدهم عشر سنين فك عنه قيده
وكان يخير في النظرين اما ان يقيم في الخدمة غير مقيد واما ان يسير حيث شاء من بلاد القان
ولا يخرج عنها واذا بلغ سنه خمسين عاما اعتق من الاشغال وأنفق عليه وكذلك ينفق على
من بلغ هذه السن أو نحوها من سواهم ومن بلغ ستين سنة عدوه كالصبي فلم تجر عليه الاحكام
والشيخ بالصين يعظمون تعظيما كثيرا ويسمى أحدهم آطا ومعناه الوالد

﴿ ذكر الامير الكبير قرطى ﴾

وضبط اسمه (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهمل وسكون الباء) وهو أمير أمراء
الصين اضافة تبادره وصنع الدعوة ويسمونها الطوى (بضم الطاء المهملة وفتح الواو) وحضرها
كبار المدينة وأتى بالطباخين المسلمين فذبحوا وطبخوا الطعام وكان هذا الأمير على عظمته
يتناولنا الطعام بيده ويقطع اللحم بيده وأقنا في ضيافته ثلاثة أيام وبعث ولده معنا الى الخليج
فركبنا في سفينة تشبه الحراقة وركب ابن الأمير في أخرى ومعه أهل الطرب وأهل الموسيقى
وكانوا يغنون بالصيني والعربي والفارسي وكان ابن الأمير معجبا بالغناء الفارسي فغنوا
شعر امه وأمرهم بتكريره مرارا حتى حفظته من أفواههم وله تلحين عجيب وهو (رجز)

تادل بمحسنت داديم * در بجزر فسر افتاديم

جن (چون) در غار استاديم * قوى بحراب اندري (اندريم)

واجتمعت بذلك الخليج من السفن طائفة كبيرة لهم القلاع الملونة ومظلات الحرير وسقنهم
منقوشة أبدع نقش وجعلوا يتحاملون ويترامون بالنارتج والليون وعدنا بالعشي الى دار الأمير
فبتنا بها وحضر أهل الطرب فغنوا بانواع من الغناء العجيب

﴿ حكاية المشعوذ ﴾

وفي تلك الليلة حضر أحد المشعوذة وهو من عبيد القان فقال له الأمير أرنا من عجائبك فاخذ
كرة خشب لها ثقب فيها سيور طوال فرمى بها الى الهواء فارتفعت حتى غابت عن الابصار
ونحن في وسط المشورا يام الحر الشديد فلما لم يبق من السير في يده الا سير أمر متعلما له فتعلق
به وصعد في الهواء الى ان غاب عن ابصارنا فدعا فلم يجبه ثلاثا فاخذ سكيناً بيده كالمغناط
وتعلق بالسير الى ان غاب أيضا ثم رمى بيد انصبى الى الارض ثم رمى برجله ثم بيده الاخرى
ثم برجله الاخرى ثم بجسده ثم برأسه ثم هبط وهو ينفخ وثيابه ملطخة بالدم فقبل الارض
بين يدي الأمير وكلمه بالصيني وأمر له الأمير بشئ ثم انه أخذ أعضاء الصبي فالصق بعضها
ببعض وركضه برجله فقام سويا فعجبت منه وأصابني خفقان القلب كمثل ما كان أصابني عند

ملك الهند حين رأيت مثل ذلك فسقوني دواء اذهب عني ما وجدت وكان القاضي أنخر الدين الى جانبي فقال لي والله ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو وانما ذلك شعوزة وفي غد تلك الليلة دخلنا من باب المدينة الخامسة وهي أكبر المدن يسكنها عامة الناس وأسواقها حسان وبها الخذاق بالصنائع وبها تصنع اثياب الخنساوية ومن عجيب ما يصنعون بها الطباقا يسمونها الدست وهي من القصب وقد ألصقت قطعة أبداع الصاق ودهنت بصبغ أحمر مشرق وتكون هذه الاطباق عشرة واحد في جوف آخر لطورقتها تظهر لرأئها كأنها طبق واحد ويصنعون غطاء يغطي جميعها ويصنعون من هذا القصب صحافا ومن عجائبها ان تقع من العلوف لا تنكسر ويجعل فيها الطعام السخن فلا يتغير صباغها ولا يحول وتجلب من هنالك الى الهند وخراسان وسواها ولما دخلنا هذه المدينة بتنا ليلة في ضيافة أميرها وبالغد دخلنا من باب يسمى كشتي وانان الى المدينة السادسة ويسكنها البحرية والصيادون والجلافة والتجارون ويدعون دود كاران (دروكران) والاصياهيية وهم الرماة والقيادة وهم الرجال وجميعهم عبيد السلطان ولا يسكن معهم سواهم وعددهم كثير وهذه المدينة على ساحل النهر الاعظم بتنا ليلة في ضيافة أميرها وجهاز لنا الامير قرطى من بكبا يحتاج اليه من زاد وسواه وبعث معنا أمحابه برسم التضييف وسافرنا من هذه المدينة وهي آخر أعمال الصين ودخلنا الى بلاد الخطا (بكسر الخاء المعجم وطاء مهمل) وهي أحسن بلاد الدنيا عمارة ولا يكون في جميعها وضع غير معمور فانه ان بقي موضع غير معمور طلب أهله أو من يواليهم بخراجه والبساتين والقرى والمزارع منتظمة بجانب هذا النهر من مدينة الخنسا الى مدينة خان بالق وذلك مسيرة أربعة وستين يوما وليس بها أحد من المسلمين الا من كان خاطرا غير مقيم لانها ليست بدار مقام وليس بها مدينة مجمعة انما هي قرى وبساتين فيها الزرع والفواكه والسكر ولم أرى الدنيا مثلها غير مسيرة أربعة أيام من الانبار الى عانة وكنا كل ليلة ننزل بالقرى لاجل الضيافة حتى وصلنا الى مدينة خان بالق (وضبط اسمها بجاء معجم وألف ونون مسكن وباء مع قودة وألف ولا م مكسور وقاف) وتسمى أيضا خانقو (بجاء معجم ونون مكسور وقاف وواو) وهي حضرة القان والقان هو سلطانهم الاعظم الذي ملكته بلاد الصين والخطا ولما وصلنا اليها رسينا على عشرة أميال منها على العادة عندهم وكتب الى أمراء البحر بخبرنا فاذنوا لنا في دخول مرساها فدخلنا ثم نزلنا الى المدينة وهي من أعظم مدن الدنيا وليست على ترتيب بلاد الصين في كون البساتين داخلها انما هي كسائر البلاد والبساتين بخارجها ومدينة السلطان في وسطها كالقصبية حسبما ذكره ويزلات عند الشيخ برهان الدين الصاغر حي وهو الذي بعث اليه ملك الهند باربعين ألف دينار واستدعاه فاخذ الدينار وقضى بهادينه

وأبى أن يسير اليه وقدم على بلاد الصين فقدمه القان على جميع المسلمين الذين ببلاده وخطبه
بصدر الجهان

﴿ ذكر سلطان الصين والخطا الملقب بالقان ﴾

والقان عندهم سمة لكل من يلي الملك ملك الاقطار كتل ما يسمى كل من ملك بلاد اللورباتاك
واسمه باشاى (بفتح الباء المعقودة والشين المعجمة وسكون الياء) وليس للكفار على وجه الارض
مملكة أعظم من مملكته

﴿ ذكر قصره ﴾

وقصره فى وسط المدينة المختصة بسكناه وأكثر عمارته بالخشب المنقوش وله ترتيب عجيب
وعليه سبعة أبواب فالباب الأول منها يجلس به الكتوال وهو أمير البوابين وله مصاطب
مرتفعة عن يمين الباب ويساره فيها المايلك الپرردارية وهم حفاظ باب القصر وعددهم
خمسة مائة رجل وأخبرت انهم كانوا فيما تقدم ألف رجل والباب الثانى يجلس عليه الاصباهية
وهم الرماة وعددهم خمسمائة والباب الثالث يجلس عليه النزارية (بالنون والزاي) وهم
أصحاب الرماح وعددهم خمسمائة والباب الرابع يجلس عليه التغدارية (بالتاء المثناة والغين
المجتمعة) وهم أصحاب السيوف والترسة والباب الخامس فيه ديوان الوزارة وبه سقائف كثيرة
فالسقيفة العظمى يقعد بها الوزير على مرتبة هائلة مرتفعة ويسمون ذلك الموضع المسند وبين
يدى الوزير دواة عظيمة من الذهب وتقابل هذه السقيفة سقيفة كاتب السروع وعن يمينها
سقيفة كتاب الرسائل وعن يمين سقيفة الوزير سقيفة كتاب الاشغال وتقابل هذه السقائف
سقائف أربع احداها تسمى ديوان الاشراف يقعد بها المشرف والثانية سقيفة ديوان
المستخرج وأميرها من كبار الامراء والمستخرج هو ما يبقى قبل العمال وقبل الامراء من
إقطاعاتهم والثالثة ديوان الغوث ويجلس فيها أحد الامراء الكبار ومعه الفقهاء والكتاب
فمن لحقته مظلمة استغاث بهم والرابعة ديوان البريد يجلس فيها أمير الاخباريين والباب
السادس من أبواب القصر يجلس عليه الجندارية وأميرهم الاعظم والباب السابع يجلس
عليه الفتيان ولهم ثلاث سقائف احداها سقيفة الخبشان منهم والثانية سقيفة الهنود
والثالثة سقيفة الصينيين ولكل طائفة منهم أمير من الصينيين

﴿ ذكر خروج القان لقتال ابن عمه وقتله ﴾

ولما وصلنا حضرة خان بالقى وجدنا القان غائبا عنها اذ ذاك وخرج للقائه ابن عمه فيروز القائم
عليه بناحية قراقرم وبش بالغ من بلاد الخطا وبينها وبين الحضرة مسيرة ثلاثة أشهر عامره
وأخبرنى صدر الجهان برهان الدين الصاغر جى أن القان لما جمع الجيوش وحشد الحشود

اجتمع

اجتمع عليه من الفرسان مائة فوج كل فوج منها من عشرة آلاف فارس واميرهم يسمى
امير طومان وكان خواص السلطان وأهل دخلته خمسين الفازائد الى ذلك وكانت الرجالة
خمسمائة الف ولما خرج خالف عليه أكثر الامراء وانفقوا على خلعه لانه كان قد غير احكام
اليساق وهى الاحكام التى وضعها تنكيز خان جددهم الذى خرب بلاد الاسلام فمضوا الى ابن
عمه القائم وكتبوا الى القان ان يخلع نفسه وتكون مدينة الخنساء اقطا عاله فابى ذلك وقاتلهم
فانهزم وقتل وبعد أيام من وصولنا الى حضرته ورد الخبر بذلك فزينت المدينة وضربت
الطبول والابواق والانفاس واستعمل اللعب والطرب مدة شهر ثم جىء بالقان المقتول وبخو
مائة من المقتولين بنى عمه وأقاربه وخواصه فحفر للقان ناووس عظيم وهو بيت تحت الارض
وقرش باحسن الفرس وجعل فيه القان بسلاحه وجعل معه ما كان فى داره من أواني
الذهب والفضة وجعل معه أربع من الجوارى وستة من خواص الممالك معهم أواني شراب
وبنى باب البيت وجعل فوقه التراب حتى صار كالنسل العظيم ثم جاؤا باربعة أفراس فاجروها
عند قبره حتى وقفت ونصبوا خشبا على القبر وعلقوها عليه بعد ان ادخلوا فى دبر كل فرس
خشبته حتى خرجت من فيه وجعل أقارب القان المذكورون فى ناووس ومعهم سلاحهم
واواني دورهم وصلبوا على قبور كبارهم وكانوا عشرة ثلاثة من الخيل على كل قبر وعلى قبور
الباقين فرسا فرسا وكان هذا اليوم يوما مشهودا لم يتخلف عنه أحد من الرجال ولا النساء
المسلمين والكفار وقد لبسوا أجمعين ثياب العزاء وهى الطيالة البيضاء للكفار والثياب
البيضاء للمسلمين واقام خواتين القان وخواصه فى الاخبية على قبره أربعين يوما وبعضهم يزيد
على ذلك الى سنة وصنعت هناك سوق يباع فيها ما يحتاجون اليه من طعام وسواء وهذه
الافعال لأذكر ان أمة تفعلها سواهم فى هذا العصر فاما الكفار من الهند واهل الصين
فيحرقون موتاهم وسواهم من الامم يدفنون الميت ولا يجعلون معه أحد الا كن أخبرنى الشقا
ببلاد السودان ان الكفار منهم اذا مات ملكهم صنعوا له ناووسا وادخلوا معه بعض خواصه
وخداه وثلثين من أبناء كبارهم وبناتهم بعد ان يكسوه وأيديهم وأرجلهم ويجعلون معهم أواني
الشراب وأخبرنى بعض كبار مسوفة ممن يسكن بلاد كوبر مع السودان واختصه سلطانهم
انه كان له ولد فلما مات سلطانهم ارادوا ان يدخلوا ولده مع من أدخلوه من أولادهم قال قتلت
لهم كيف تفعلون ذلك وليس على دينكم ولا من ولدكم وفديته منهم بمال عريض ولما قتل القان
كما ذكرناه واستولى ابن عمه فيروز على الملك اختار ان تكون حضرته مدينة قراقوم (وضبطها
بفتح القاف الاولى والراء وضم الثانية وضم الراء الثانية) لقربها من بلاد بنى عمه ملوك

تركستان وما وراء النهر ثم خالفت عليه الامراء ممن لم يحضر لقتل ألقان وقطعوا الطرق وعظمت الفتن

﴿ ذكر رجوعي الى الصين ثم الى الهند ﴾

ولما وقع الخلاف وتسعرت الفتن اشار على الشيخ برهان الدين وسواه ان أعود الى الصين قبل تمكن الفتن ووقعوا معي الى نائب السلطان فيروز فبعث معي ثلاثة من أصحابه وكتب لي بالضيافة وسرنا منحدري في النهر الى الهند سائما الى قنجنفو ثم الى الزيتون فلما وصلتها وجدت الجنود على السفر الى الهند وفي جملتها جنك للملك الظاهر صاحب الجاوة اهله مسلمون وعرفني وكيله وسر بقدومي وصادفنا الريح الطيبة عشرة أيام فلما قاربنا بلاد طوالسي تغيرت الريح واظلم الجو وكثر المطر واقفنا عشرة أيام لا نرى الشمس ثم دخلنا بحرا لا نعرفه وخاف أهل الجنك فارادوا الرجوع الى الصين فلم يتمكن ذلك واقفنا اثنين وأربعين يوما لا نعرف في أي البحار نحن

﴿ ذكر الريح ﴾

ولما كان في اليوم الثالث والاربعين ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل في البحر بيننا وبينه نحو عشرين ميلا والريح تهبنا الى صوبه فجذب البحرية وقالوا السنا بقرب من البر ولا يعهد في البحر جبل وان اضطررنا الريح اليه هلكنا فلجأ الناس الى التضرع والاختلاص وجددوا التوبة وابتلنا الى الله بالدعاء وتوسلنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ونذر التجار ان تصدقات الكثرة وكتبتم لهم في زمام بخطى وسكنت الريح بعض سكون ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع في الهواء وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر فجذبنا من ذلك ورأيت البحرية ييكون ويودع بعضهم بعضا فقلت ما شأنكم فقالوا ان الذي تخيلناه جبلا هو الريح وان رأنا أهل كنا وبيننا ذاك وبينه أقل من عشرة أهيا لثم ان الله تعالى من علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبه فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته وبعد شهرين من ذلك اليوم وصلنا الى الجاوة ونزلنا الى سمطرة فوجدنا سلطانها الملك الظاهر قد قدم من غزاة له وجاء بسبي كثير فبعث لي جارييتين وغلامين وانزلني على العادة وحضرت اعراس ولده مع بنت أخيه

﴿ ذكر اعراس ولدا الملك الظاهر ﴾

وشاهدت يوم الجاوة فرأيتهم قد نصبوا في وسط المشور منبرا كبيرا وكسوه بثياب الحرير وجاءت العروس من داخل القصر على قدميها بادية الوجه ومعها نحو أربعين من الخواتين يرفعن اذيالها من نساء السلطان وامراته ووزرائه وكاهن ياديات الوجوه ينظر اليهن كل من حضر من رفيع أو وضيع وليست تلك بعادة هن الا في الاعراس خاصة وصعدت العروس المنبر

وبين يديها اهل الطرب رجالا ونساء يلعبون ويغنون ثم جاء الزوج على فيل مزين على صهره
سريرو وفوقه قبة شبيهة بالبوجة والتاج على رأس العروس المذكور عن يمينه ويساره نحو مائة
من أبناء الملوك والامراء قد لبسوا البياض وركبوا الخيل المزيّنة وعلى رؤسهم الشواشي
المرصعة وهم اتراب العروس ليس فيهم ذولحية ونثرت الدنانير والدراهم على الناس عند دخوله
وقعد السلطان بمنظر له يشاهد ذلك ونزل ابنه فقبل رجله وصعد المنبر الى العروس فقامت اليه
وقبلت يده وجلست الى جانبها والخدمتين يروحن عليها وجاؤا بالفوقل والتنبول فاخذ الزوج
بيده وجعل منه في فها ثم أخذت هي يديها وجعلت في فاه ثم أخذ الزوج بفمه ورقة تنبول
وجعلها في فها وذلك كله على أعين الناس ثم فعلت هي كفعله ثم وضع عليها الست ورفع المنبر
وهما فيه الى داخل القصر واكل الناس وانصرفوا ثم لما كان من الغد جمع الناس وجرت له
أبوه ولاية العهد وبايعه الناس واعطاهم العطاء الجزل من الثياب والذهب وأقت بهذه الجزيرة
شهرين ثم ركبت في بعض الجنوك واعطاني السلطان كثيرا من العود والكافور والقرنفل
والصندل وردني وسافرت عنه فوصلت بعد أربعين يوما الى كولم فنزلت بها في جوار القرويني
قاضي المسلمين وذلك في رمضان وحضرت بها صلاة العيد في مسجد جامع وعادتهم ان يأتوا
المسجد ليلًا قليلا ليرأوا نبيذ كرون الله الى الصبح ثم يذكرون الى حين صلاة العيد ثم يصلون
ويخطب الخطيب وينصرفون ثم سافروا من كولم الى القلوط واقتابها ياما وارتد العود الى
دهلي ثم خفت من ذلك فركبت البحر فوصلت بعد ثمان وعشرين ليلة الى ظفار وذلك في محرم
سنة ثمان واربعين ونزلت بدار خطيبها عيسى بن طاطا

﴿ذكر سلطانها﴾

ووجدت سلطانها في هذه الكرة الملك الناصر بن الملك المغيث الذي كان ملكا بها حين وصولي
اليها فيا تقدم ونائبه سيف الدين عمير أمير جنود التركي الاصل وانزلاني هذا السلطان واكرمني
ثم ركبت البحر فوصلت الى مسقط (بفتح الميم) وهي بلدة صغيرة بها السمك الكثير المعروف
بقلب الماس ثم سافروا الى مرسى القريات (وضبطها بضم القاف وفتح الراء والياء آخر الحروف
والف وتاء مشناة) ثم سافروا الى مرسى شبة (وضبط اسمها بفتح الشين المعجم وفتح الباء الموحدة
وتشديد هاء) ثم الى مرسى كلبة ولفظها على لفظ مؤنثة السكب ثم الى قلهاة وقد تقدم ذكرها
وهذه البلاد كلها من عمالة هرمز وهي محسوبة من بلاد عمان ثم سافروا الى هرمز واقتابها ثلاثا
وسافروا في البر الى كورستان ثم الى اللار ثم الى خنج بال وقد تقدم ذكر جميعها ثم سافروا الى
كارزي (وضبط اسمها بفتح الكاف وسكون الراء وكسر الزاي) واقتابها ثلاثا ثم سافروا الى
جكان (وضبط اسمها بفتح الجيم والميم والكاف وآخره نون) ثم سافروا منها الى ميم (وضبط

اسمها بفتح الميم وبينهما ياء آخر الحروف مسكنة وآخرة فون) ثم سافرنا الى بسا (وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة والسين المهملة مع تشديد ها) ثم الى مدينة شيراز فوجدنا سلطانها اباسحاق على ملكه الا انه كان غائباً عنها ولقيت بها شيخنا الصالح العالم مجد الدين قاضي القضاة وهو قد كف بصره نفعه الله ونفع به ثم سافرت الى ماين ثم الى يزد خاص ثم الى كليل ثم الى كشك زر ثم الى اصبهان ثم الى تستر ثم الى الحويرا ثم الى البصرة وقد تقدم ذكر جميعها وزرت بالبصرة القبور الكريمة التي بها وهي قبر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وحليمة السعدية وابي بكر وأوس بن مالك والحسن البصري وثابت البناني ومحمد بن سيرين ومالك بن دينار ومحمد بن واسع وحبيب العجمي وسهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم سافرنا من البصرة فوصلنا الى مشهد على بن ابي طالب رضي الله عنه وزرناه ثم توجهنا الى الكوفة فزرنا مسجد هارون ثم الى الحلة حيث مشهد صاحب الزمان واتفق في بعض تلك الايام ان وايها بعض الامراء فنع أهلها من التوجه على عادتهم الى مسجد صاحب الزمان وانتظاره هناك ومنع عنهم الدابة التي كانوا يأخذونها كل ليلة من الامير فاصابت ذلك الوا الى علة مات منها سريراً فزار ذلك في فتنه الرافضة وقالوا انما أصابه ذلك لاجل منعه الدابة فلم تمنع بعد ثم سافرت الى صرصر ثم الى مدينة بغداد ووصلتها في شوال سنة ثمان وأربعين ولقيت بها بعض المغاربة فعرفني بكائنة طريف واستبلاء الروم على الخضراء جبر الله صدع الاسلام في ذلك

(ذكر سلطانها)

وكان سلطان بغداد والعراق في عهد دخولي اليها في التاريخ المذكور الشيخ حسن بن عمه السلطان أبي سعيد رحمه الله ولما مات أبو سعيد استولى على ملكه بالعراق وتزوج زوجته دلشاد بنت دمشق خواجه بن الامير الجوبان حسبا كان فعله السلطان أبو سعيد من تزوج زوجة الشيخ حسن وكان السلطان حسن غائباً عن بغداد في هذه المدة متوجهاً للقتال السلطان اتابك افراسياب صاحب بلاد اللور ثم رحلت من بغداد فوصلت الى مدينة الانبار ثم الى هيت ثم الى الحديثة ثم الى عانة وهذه البلاد من أحسن البلاد وأخصبها والطريق فيما بينها كثير العمارة كأن الماشي في سوق من الاسواق وقد ذكرنا اننا لم نر ما يشبه البلاد التي على نهر الصين الا هذه البلاد ثم وصلت الى مدينة الرحبة وهي التي تنسب الى مالك بن طوق ومدينة الرحبة أحسن بلاد العراق وأول بلاد الشام ثم سافرنا منها الى السخنة وهي بلدة حسنة أكثر سكانها الكفار من النصاري وانما سميت السخنة لحرارة ماؤها وفيها بيوت للرجال وبيوت للنساء يستحمون فيها ويستقون الماء ليلاً ويحجلونه في السطوح ليبرد ثم سافرنا الى تدمر مدينة نبي الله سليمان عليه السلام التي بنتها له الجن كما قال النابغة (بسيط) (يبنون تدمر بالصفاح والعمد)

ثم سافرنا منها الى مدينة دمشق الشام وكانت مدة مغيبى عنها عشرين سنة كاملة وكنت تركت بهازوجة لى حاملا وتعرفت وأنا ببلاد الهند انهما ولدت ولدا ذكر اقبعت حينئذ الى جده لادم وكان من أهل مكناسة المغرب أربعين دينارا ذهبيا عند يافخين وصولي الى دمشق في هذه المكة لم يكن لى هم الا السؤال عن ولدى فدخلت المسجد فرفقي لى نور الدين السخاوى امام المالكية وكبيرهم فسلمت عليه فلم يعرفنى فعرفته بنفسى وسألته عن الولد فقال مات منذ ثنتى عشرة سنة وأخبرنى ان فقيها من أهل طنجة يسكن بالمدرسة الظاهرية فسرت اليه لاسأله عن والدى وأهلى فوجدته شيخا كبيرا فسلمت عليه وانتسبت له فاخبرنى ان ولدى توفى منذ خمس عشرة سنة وان الوالدة بقاء الحياة وأقت بدمشق الشام ببقية السنة والغلاء شديد والخبز قد انتهى الى قيمة سبع أواقى بدرهم نقرة وأوقيتهم أربع أواقى مغربية وكان قاضى قضاة المالكية اذ ذاك جمال الدين المسلاتى وكان من أصحاب الشيخ علاء الدين القونوى وقدم معه دمشق فعرف بها ثم ولى القضاء وقاضى قضاة الشافعية تقي الدين ابن السبكى وأمير دمشق ملاك الامراء رغون شاه

﴿حكاية﴾

ومات فى تلك الايام بعض كبراء دمشق واوصى بمال للمساكين فكان المتولى لانفاذ الوصية يشتري الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد العصر فاجتمعوا فى بعض الليالى وتزاحوا واختطفوا الخبز الذى يفرق عليهم ومدوا ايديهم الى خبز الخبازين وبلغ ذلك الامير أرغون شاه فاخرج زباقيته فكانوا حيث ما لقوا أحدا من المساكين قالوا له تعال تأخذ الخبز فاجتمع منهم عدد كثير فحبسهم تلك الليلة وركب من الغد وأحضرهم تحت القلعة وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وكان أكثرهم برآء عن ذلك وأخرج طائفة الخرافيش عن دمشق فانتقلوا الى حمص وحلب وذكروا لى انه لم يعيش بعد ذلك الا قليلا وقتل ثم سافرت من دمشق الى حمص ثم حماء ثم المعرة ثم سرمين ثم الى حلب وكن أمير حلب فى هذا العهد الحاج رضى (بضم الراء وسكون الغين) المجهم وفتح الطاء المهمل وباء آخر الحروف مسكنة

﴿حكاية﴾

واتفق فى تلك الايام ان فقيرا يعرف بشيخ المشايخ وهو ساكن فى جبل خارج مدينة عينتاب والناس يقصدونه وهم يتبركون به وله تلميذ ملازم له وكان متجردا عزبالا زوجة له قال فى بعض كلامه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصبر عن النساء وأنا أصبر عنهن فشهد عليه بذلك وثبت عند القاضى ورفع أمره الى ملاك الامراء واتى به وتلميذه الموافق له على قوله فافتي القضاة الاربعة وهم شهاب الدين المسالكى وناصر الدين العديم الحنفى وتقى الدين ابن الصائغ

الشافعي وعز الدين الدمشقي الحنبلي بقتلها ما عاقت تلاوفي أوائل شهر ربيع الاول عام تسعة وأربعين بلغنا الخبر في حلب ان الوباء وقع بغزة وانه انتهى عدد الموتى فيها الى زائد على الالف في يوم واحد فسافرت الى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها ومات يوم دخولي اليها نحو ثلثمائة انسان ثم سافرت الى دمشق ووصلتها يوم الخميس وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام وخرجوا يوم الجمعة الى مسجد الاقدام حسماء كرناد في السفر الاول تخفف الله الوباء عنهم فانتفى عدد الموتى عندهم الى ألفين وأربع مائة في اليوم ثم سافرت الى عجلون ثم الى بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه ولقيت خطيبه عز الدين بن جماعة ابن عم عز الدين قاضي القضاة بمصر وهو من الفضلاء الكرماء ومرتبته على الخطابة الف درهم في الشهر

﴿حكاية﴾

وصنع الخطيب عز الدين يوماً دعوة ودعاني فيمن دعاه اليها فسألته عن سببها فاخبرني انه نذر أيام الوباء انه ان ارتفع ذلك ومر عليه يوم لا يصلي فيه على ميت صنع الدعوة ثم قال لي ولما كان بالامس لم أصل على ميت فصنعت الدعوة التي نذرت ووجدت من كنت أعهد به من جميع الاشياخ بالقدس قد انتقلوا الى جوار الله تعالى رحيمهم الله فلم يبق منهم الا القليل مثل المحدث العالم الامام صلاح الدين خليل ابن كيكلي العلاء ومثل الصالح شرف الدين الحنسي شيخ زاوية المسجد الاقصى ولقيت الشيخ سليمان الشيرازي فاضافني ولم يلق بالشام ومصر من وصل الى قدم آدم عليه السلام سواه ثم سافرت عن القدس ورافقني الواعظ المحدث شرف الدين سليمان الملياني وشيخ المغاربة بالقدس الصوفي الفاضل طحمة العبد الوادي فوصلنا الى مدينة الخليل عليه السلام وزرنا به ومن معه من الانبياء عليهم السلام ثم سرنا الى غرة فوجدنا معظمها خالياً من كثرة من مات بها في الوباء وأخبرنا قاضيها ان العدو لبها كانوا ثمانين فبقى منهم الربع وان عدد الموتى بها انتهى الى الف ومائة في اليوم ثم سافرت الى البرف ووصلت الى دمياط ولقيت بها قطب الدين النفسواني وهو صائم الدهر ورافقني منها الى فارس كوروسموند ثم الى أبي صير (بكسر الصاد المهمل وياء وراء) ونزلنا في زاوية لبعض المصريين بها

﴿حكاية﴾

ويومنا نحن بلك للزاوية اذ دخل علينا أحد الفقراء فسلم وعرضنا عليه الطعام فابي وقال انما قصدي زيارتكم ولم يزل ليلى تلك ساجداً ورا كعاشم صليماً الصبح واشتغلنا بالذكر والفقرير بركن الزاوية فجاء الشيخ بالطعام ودعاه فلم يجبه فغضى اليه فوجده ميتاً فسلمنا عليه ودفعناه راحة الله عليه ثم سافرت الى المحلة الكبيرة ثم الى نحرارية ثم الى أيسار ثم الى دمهور ثم الى الاسكندرية فوجدت الوباء قد خف بها بعد ان بلغ عدد الموتى الى ألف وثمانين في اليوم ثم سافرت الى

القاهرة وبلغني ان عدد الموتى أيام الوباء انتهى فيها الى أحد وعشرين ألفاً في اليوم ووجدت جميع من كان بهما من المشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا رحمهم الله تعالى

﴿ذكر سلطانها﴾

وكان ملك ديار مصر في هذا العهد الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون وبعد ذلك خلع عن الملك وولى أخوه الملك الصالح ولما وصلت القاهرة وجدت قاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة قد توجه الى مكة في ركب عظيم يسمى بهمونه الرجبي لسفرهم في شهر رجب وأخبرت أن الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا عتبة أيلة فارتفع عنهم ثم سافرت من القاهرة على بلاد الصعيد وقد تقدم ذكرها الى عيذاب وركبت منها البحر فوصلت الى جدة ثم سافرت منها الى مكة شرفها الله تعالى وكرمها فوصلتها في الثاني والعشرين لشعبان سنة تسع وأربعين ونزلت في جوار امام المالكية الصالح الولي الفاضل ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل قصمت شهر رمضان بمكة وكنت أعمر كل يوم على مذهب الشافعي واقفيت من أعهده من أشياخها شهاب الدين الحنفي وشهاب الدين الطبري وأبا محمد الياضي ونجم الدين الاصفهاني والحراري وحججت في تلك السنة ثم سافرت مع الركب الشامي الى طيبة مدينته رسول الله صلى الله عليه وسلم وزرت قبره المكرم المطيب زاده الله طيبا وتشريفنا وصلت في المسجد الكريم طهره الله وزاده تعظيما وزرت من بالقيس من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ولقيت من الاشياخ أبا محمد بن فرحون ثم سافرت من المدينة الشريفة الى العلا وتبوك ثم الى بيت المقدس ثم الى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم ثم الى غزة ثم الى منازل الرمل وقد تقدم ذكر ذلك كله ثم الى القاهرة وهناك تعرفنا أن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين ابا عنان أيداه الله تعالى قد ضم الله به نشر الدولة المرينية وشفى ببركته بعد اشفاؤها البلاد المغربية واقاض الاحسان على الخاص والعام وغمر جميع الناس بسابغ الانعام فتشوقت النفوس الى المشول بينابه وأملت لثم ركابه فعمد ذلك قصدت القدوم على حضرته العلية مع ماشاقتي من تذكرا لاوطان والحنين الى الاهل والخلان المحبة الى بلادى التي لها الفضل عندى على البلدان (طويل)

بلادها نيطت على تماثي * وأول أرض مس جلدى نراها

فركبت البحر في قرقورة لبعض التونسيين صغيرة وذلك في صفر سنة خمسين وسرت حتى نزلت بجربة وسافر المركب المذكور الى تونس فاستولى العدو عليه ثم سافرت في مركب صغير الى قابس فنزلت في ضيافة الاخوين الفاضلين ابي مروان وأبي العباس ابني مكى أميري جربة وقابس وحضرت عندهما مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركبت في مركب الى سقاوس

ثم توجهت في البحر الى بليانة ومنها سرت في البر مع العرب فوصلت بعد مشقات الى مدينة
تونس والعرب محاصرون لها

(ذكر سلطانها)

وكانت تونس في ايام مولانا امير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين علم
الاعلام وأحد الملوك الكرام أسدا لا ساد وجواد لا جواد القانت الاواب الخاشع العادل
أبي الحسن ابن مولانا امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين ناصر دين الاسلام الذي سارت
الامثال بجوده وشاع في الاقطار أثر كرمه وفضله ذي المناقب والمفاخر والفضائل والمآثر
الملك العادل الفاضل ابي سعيد ابن مولانا امير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب
العالمين قاهر الكفار ومبيد هاومبيد آتار الجهاد ومعيد ها ناصر الايمان الشديد السطوة في
ذات الرحان العابد الزاهد الراكع الساجد الخاشع الصالح ابي يوسف ابن عبد الحق رضي الله
عنهم أجمعين وأبى الملك في عقبهم الى يوم الدين ولما وصلت تونس قصدت الحاج ابا الحسن
الناسي لميبي وبني بنة من موات القرابة والبلدية فانزلني بداره وتوجه معي الى المشور
قد خلت المشور الكريم وقبلت يد مولانا أبي الحسن رضي الله عنه وأمرني بالعود فقعدت
وسألني عن الحجاز الشريف وسلطان مصر فاجبته وسألني عن ابن تيفراجين فاخبرته بما فعلت
المغاربة معه وارادتهم قتله بالاسكندرية ومالقي من اذاتهم انتصارا منهم لمولانا أبي الحسن
رضي الله عنه وكان في مجلسه من الفقهاء الامام أبو عبد الله السطى والامام أبو عبد الله محمد
ابن الصباغ ومن أهل تونس قاضيه أبو علي عمر بن عبد الرقيق وأبو عبد الله بن هارون
وانصرفت عن المجلس الكريم فلما كان بعد العصر استدعاني مولانا أبو الحسن وهو يبرج يشرف
على موضع القتال ومعه الشيوخ الجلمة أبو عمر عثمان بن عبد الواحد التنافتي وأبو حسون
زيان بن أمريون العلوي وأبو زكريا يحيى بن سليمان العسكري والحاج أبو الحسن الناسي
فسألني عن ملك الهند فاجبته عما سأل ولم أزل أتردد الى مجلسه الكريم أيام اقامتي بتونس
وكانت ستة وثلاثين يوما ولقيت بتونس اذذاك الشيخ الامام خاتمة العلماء وكبيرهم أبا عبد الله
الابلي وكان في فراش المرض وباحثني عن كثير من أمور رحلتني ثم سافرت من تونس في البحر
مع القطلانيين فوصلنا الى جزيرة سردانية من جزر الروم ولها مرسى عجيب عليه خشب كبار
دائرة وله مدخل كأنه باب لا يفتح الا باذن منهم وفيها حصون دخلنا أحدها وبه أسواق كثيرة
ونذرت لله تعالى ان خلصنا الله منها صوم شهرين متتابعين لانتا عرفنا ان أهلها عازمون على
اتباعنا اذا خرجنا عن اليأس وناثم خرجنا عنها فوصلنا بعد عشر الى مدينة تنس ثم الى مازونة
ثم الى مستغانم ثم الى فليسان فقصدت العباد وزرت الشيخ أبا مدين رضي الله عنه ونفع به

ثم خرجت عنها على طريق ندرومة وسلكت طريق أخذ دقان وبيت بزاية الشيخ ابراهيم ثم
سافرنا منها فبينما نحن بقرب ازغنغان اذ خرج علينا خمسون رجلا وفارسان وكان معي الحاج
ابن قريعات الطنجي وأخوه محمد المستشهد بعد ذلك في البحر فعز منا على قتالهم ورفعنا علمنا ثم
سالمونا وسالمناهم والحمد لله ووصلت الى مدينة تازي وبها تعرفت خبر موت والدتي بالوباء رجعها
الله تعالى ثم سافرت عن تازي فوصلت يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين
وسبع مائة الى حضرة فاس فنلت بين يدي مولانا لا عظم الامام الاكرم أمير المؤمنين المتوكل
على رب العالمين أبي عذان وصل الله علوه وكبت عدوه فأنستني هيئته هيبته سلطان العراق
وحسنه حسن ملك الهند وحسن اخلاقه حسن خلق ملك اليمن وشجاعته شجاعة ملك الترك
وحلمه حلم ملك الروم وديانته ديانة ملك تركستان وعلمه علم ملك الجاوة وكان بين يديه وزيره
الفاضل ذو المكارم الشهير والمآثر الكثيرة أبو زيان بن ودرار فسألني عن الديار المصرية اذ
كان قد وصل اليها فاجبته عما سألت وغمرني من احسان مولانا ايد الله تعالى بما أعجزني
شكره والله ولي مكافاته والقيت عصي التسيار بيلاده الشريفة بعد ان تحققت بفضل الانصاف
انها أحسن البلدان لان الفواكه بها متيسرة والمياه والاقوات غير متعذرة وقل أقليم يجمع
ذلك كله ولقد احسن من قال

الغرب أحسن ارض * ولي دليل عليه

البدر يرقب منه * والشمس تسعى اليه

ودراهم الغرب صغيرة وفوائدها كثيرة واذا تأملت أسعاره مع أسعار ديار مصر والشام ظهر لك
الحق في ذلك ولا ح فضل بلاد المغرب فاقول ان لحوم الاغنام بديار مصر تباع بحساب ثمان
عشرة أوقية بدرهم نقرة والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب وبالمغرب يباع اللحم اذا
غلا سبعة ثمان عشرة أوقية بدرهمين وهما ثلث النقرة وأما السمن فلا يوجد بمصر في أكثر
الاقوات والذي يستعمله أهل مصر من أنواع الادام لا يلتفت اليه بالمغرب ولان أكثر ذلك
العدس والحمص يطبخونه في قدور راسيات ويجعلون عليه السيرج والبسلا وهو صنف من
الجبان يطبخونه ويجعلون عليه الزيت والقرع يطبخونه ويخلطونه باللبن والبقلة الحقاء
يطبخونها كذلك وأعين أغصان النور يطبخونها ويجعلون عليها اللبن والقلقاس يطبخونه وهذا
كله متيسر بالمغرب لكن أغنى الله عنه بكثرة اللحم والسمن والزبد والعسل وسوى ذلك وأما
الخضر فهي أقل الاشياء ببلاد مصر وأما الفواكه فكثرها مجلوبة من الشام وأما العنب فاذا
كان رخيصا يبيع عندهم ثلاثة ارطال من ارطالهم بدرهم نقرة ورطالهم ثلثا عشرة أوقية وأما
بلاد الشام فالقواكه بها كثيرة الا انها ببلاد المغرب أرخص منها ثمانية اثنان العنب يباع بها بحساب

رطل من أرطالهم بدرهم نقرة ورطلهم ثلاثة أرطال مغربية وإذا رخص ثمنه يبيع بحساب
رطلين بدرهم نقرة والاجاص يباع بحساب عشر أواق بدرهم نقرة وأما الرمان والسفرجل
فتباع الحبة منه بثمانية فلوس وهي درهم من دراهم المغرب وأما الخضر فيباع بالدرهم النقرة
منها اقل مما يباع في بلادنا بالدرهم الصغير وأما اللحم فيباع فيها الرطل منه من أرطالهم بدرهمين
ونصف درهم نقرة فإذا تأملت ذلك كله تبين لك ان بلاد المغرب أرخص البلاد أسعارا وأكثرها
خيرات واعظمها مزايا وفقوائد ولقد زاد الله بلاد المغرب شرفا الى شرفها وفضلا الى فضلها
بإمامة مولانا أمير المؤمنين الذي مدّ ظلال الامن في أقطارها واطلع شمس العدل في أرجائها
وأفاض سحاب الاحسان في باديته واحضرتها وظهرها من المفسدين وأقام بهار رسوم الدنيا
والدين وأنا اذكر ما عاينته وتحققته من عدله وحلمه وشجاعته واشتغاله بالعلم وتفقهه وصدقته
الجارية ورفع المظالم

﴿ذكر بعض فضائل مولانا أيده الله﴾

أما عدله فاشهر من ان يسطر في كتاب فن ذلك جلوسه للشركيين من رعيته وتخصيصه يوم
الجمعة للساكين منهم وتقسيمة ذلك اليوم بين الرجال والنساء وتقديمه النساء للضعفهن فتقرأ
قصصهن بعد صلاة الجمعة الى العصر ومن وصلت نوبتها تؤدى باسمها ووقفت بين يديه الكريمتين
يكلمها دون واسطة فان كانت متظلمة يحل انصافها او طالبة احسان وقع اسعافها ثم اذا
صليت العصر قرئت قصص الرجال وفعل مثل ذلك فيها ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة فيرد
اليهم ما تعلق بالاحكام الشرعية وهذا شيء لم أر في الملوك من يفعله على هذا التمام ويظهر فيه
مثل هذا العدل فان ملك الهند عين بعض امرائه لاختد القصص من الناس وتلخيصها ورفعها
اليه دون حضور أربابها بين يديه وأما حلمه فقد شاهدت منه العجائب فانه أيده الله عفى عن
الكثير من تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه وعن أهل الجرائم الكبار التي لا يعفو عن
جرائمهم الا من وثق بربه وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى والعافين عن الناس قال ابن جزي من
أعجب ما شاهدته من حلم مولانا أيده الله اني منذ قدومي على باب الكريم في آخر عام ثلاثة
وخمسين الى هذا العهد هو اوائل عام سبعة وخمسين لم أشاهد أحدا أمر بقتله الا من قتله
الشرع في حد من حدود الله تعالى قصاص أو حراية هذا على اتساع المملكة وانفساح البلاد
واختلاف الطوائف ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الأعصار ولا فيما تباعد من الاقطار وأما
شجاعته فقد علم ما كان منه في المواطن الكريمة من الشبات والاقدام مثل يوم قتال بني عبيد
الوادى وغيرهم ولقد سمعت خبر ذلك اليوم ببلاد السودان وذكر ذلك عند سلطانهم فقال
هكذا ولا فلا قال ابن جزي لم ينزل الملوك الا قدمون تتفاحر بقتل الاساد وهزائم الا عادي
ومولانا

ومولانا أيده الله كان قتل الاسد عليه أهون من قتل الشاة على الاسد فانه لما خرج الاسد على الجيش بوادي النجارين من المعجورة بجوزسلا وتحامته الا بطل وفرت امامه الفرسان والرجال برزاليه مولانا أيده الله غير محتفل به ولا متعجب منه فقطعنه بالرمح ما بين عينيه طعنة خريها صريعاً لا يدن وللفم وأما هزائم الا عادي فانها انتفقت للملوك بثبوت جيو وشهم واقدام فرسانهم فيكون حظ الملوك الثبوت والتخريض على القتال وأما مولانا أيده الله فانه أقدم على عدوه منفرداً بنفسه الكريمة بعد علمه بفرار الناس وتحققه انه لم يبق معه من يقاتل فعند ذلك وقع الرعب في قلوب الاعداء وانهمزوا امامه فكان من العجائب فرار الامم امام واحد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين وما هو الا ثمرة ما يمتن به أعلى مقامه من التوكل على الله والتفويض اليه واما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضر لذلك اعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وفروع مذهب مالك رضي الله عنه وكتب المتصوفة وفي كل علم منها له القدرح المعلى يعلمون مشكلاته بنور فهمه ويلقى نكته الرائقة من حفظه وهذا شأن الائمة المهتدين والخلفاء الراشدين ولم أر من ملوك الدنيا من بلغت عنايته بالعلم الى هذه النهاية فتدري أيت ملك الهند يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة ورأيت ملك الجاوة يتذاكر بين يديه بعد صلاة الجمعة في الفروع على مذهب الشافعي خاصة وكانت أعجب من ملازمة ملك تركستان لصلاتي العشاء الآخرة والصبح في الجماعة حتى رأيت ملازمة مولانا أيده الله في العلوم كلها في الجماعة وقيام رمضان والله يختص برحمته من يشاء قال ابن جزى لوان عالم ليس له شغل الا بالعلم ليلا ونهارا لم يكن يصل الى أدنى مراتب مولانا أيده الله في العلوم مع اشتغاله بامور الائمة وتديره سياسة الاقاليم النائية ومباشرة من حال ملوكه ما لم يباشره أحد من الملوك ونظره بنفسه في شكايات المظلومين ومع ذلك كله فلا تقع بمجلسه الكريم مسألة علم في أي علم كان الا جلا مشكلها وباحث في دقائقها واستخرج غوامضها واستدرك على علماء مجلسه ما فاتهم من مغلقاتها ثم سما أيده الله الى العلم الشريف التصوفي ففهم اشارات القوم وتخلق باخلاقهم وظهرت آثار ذلك في تواضعه مع رفعتهم وشفقته على رعيته ورققه في أمره كله واعطى اللاداب حظاً جزيلاً من نفسه فاستعمل أحسنها منزعا واعظمها موقعا وصارت عنه الرسالة الكريمة والقصيدة اللتان بعثهما الى الروضة الشريفة المقدسة الطاهرة روضة سيد المرسلين وشفيع المذنبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبهم ما بخط يده الذي يجل الروض حسنا وذلك شيء لم يتعاط أحد من ملوك الزمان انشاءه ولا رام ادراكه ومن تأمل التوقيعات الصادرة عنه أيده الله تعالى واحاط علما بحصولها لاح

له فضل ما وهب الله لمولانا من البلاغة التي فطره عليها وجعل له بين الطبيعي والمكتسب منها
واما صدقاته الجارية وما أمر به من عمار الزوايا بجميع بلاد لا طعام الطعام للوارد والصادر
فذلك ما لم يفعله أحد من الملوك غير السلطان أتابك أحمد وقد زاد عليه مولانا أيده الله بالتصدق
على المساكين بالطعام كل يوم والتصدق بالزرع على المتسرين من أهل البيوت قال ابن جزي
اخترع مولانا أيده الله في الكرم والصدقات أمور لم تخطر في الأوهام ولا تهت اليها السلاطين
قنها اجراء الصدقة على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام ومنها تعيين الصدقة الوافرة
للمسجونين في جميع البلاد أيضا ومنها كون تلك الصدقات خبزاً مخبوزاً ميسراً للانتفاع به
ومنها كسوة المساكين والضعفاء والعجائز والمشايخ والملازمين للمساجد بجميع بلاده ومنها
تعيين الضحايا لهؤلاء الاصناف في عيد الاضحى ومنها التصدق بما يجتمع في محابي أبواب
بلاده يوم سبعة وعشرين من رمضان اكراما لذلك اليوم الكريم وقياماً بحقه ومنها اطعام
الناس في جميع البلاد ليلة المولد الكريم واجتماعهم لاقامة رسمه ومنها اعداد اليتامى من
الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء ومنها صدقته على الزمنى والضعفاء بزواج الحرث يقيمون
بها أودهم ومنها صدقته على المساكين بحضرته بالطنافس الوثيرة والقطائف الجياد
يفرشونهم عند رقادهم وتلك مكرمة لا يعلم لها نظير ومنها بناء المستشفيات في كل بلد من بلاده
وتعيين الاوقاف الكثيرة لمئون المرضى وتعيين اطباء المعالجتهم والتصرف في طبهم الى غير
ذلك مما أبدع فيه من أنواع المكارم وضروب المآثر كافي الله اياديه وشكر نعمه وأما رفعه
للمظالم عن الرعية فمنها الرتب التي كانت تؤخذ بالطرقات امر ايده الله بمحورسها وكان لها
مجبى عظيم فزيلت اليه وما عند الله خير وابقى وأما كفه ايدي الظلام فامر مشهور وقد
سمعه ايده الله يقول لعماله لا تظلموا الرعية ويؤكد عليهم في ذلك الوصيه قال ابن جزي ولولم
يكن من رفق مولانا ايده الله برعيته الارتفاع والتصنيف الذي كانت عمال الزكاة وولاة البلاد
تأخذونه من الرعايا لكفى ذلك أثرا في العدل ظاهرا ونورا في الرفق باهرا فكيف وقدر رفع من
المظالم وبسط من المرافق ما لا يحيط به الحصر وقد صدر في أيام تصنيف هذا من أمره الكريم
في الرفق بالمسجونين ورفع الوظائف الثقيلة التي كانت تؤخذ منهم ما هو اللائق باحسانهم
والمعهود من رأفته وشمل الامر بذلك جميع الاقطار وكذلك صدر من التنكيسل بمن ثبت
جوره من القضاة والحكام ما فيه زجر الظلمة وردع المعتدين وأما فعله في معاونه أهل الاندلس
على الجهاد ومحافظة نفسه على امداد الثغور بالاموال والاقوات والسلاح وقتها في عضد العدو
باعداد العدو اظهرا القوة فذلك امر شهير لم يغيب عنه عن أهل المغرب والمشرق ولا سبق
اليه أحد من الملوك قال ابن جزي حسب المتشوف الى علم ما عند مولانا أيده الله من سداد

الغطر للمسلمين ودفاع النجوم الكافرين ما فعله في قداء مدينة طرابلس افريقية فانها لما استولى العدو عليها ومد يد العدو وان اليها ورأى أيده الله ان بعث الجيوش الى نصرته لا يتأتى لبعده الا قطار كتب الى خدامه ببلاد افريقية ان يفدوها بالمال فقديت بخمسين ألف دينار من الذهب العين فلما بلغه خبر ذلك قال الحمد لله الذي استرجعها من أيدي الكفار بهذا التزور اليسير وأمر للبحر يبعث ذلك العدد الى افريقية وعادت المدينة الى الاسلام على يديه ولم يخطر في الاوهان ان أحد انكون عنده خمسة قناطير من الذهب نر رايسير احتى جاء بهام مولانا أيده الله مكرمة بعيدة ومأثرة فائقة قل في الملوك امثالها وعز عليهم مثالها ومما شاع من افعال مولانا أيده الله في الجهاد انشاؤه الاجفان بجميع السواحل واستكثاره من عدد البحر وهذا في زمان الصلح والمهادنة اعدادا لا يام الغزاة واخذوا بالحزم في قطع أطماع الكفار واكد ذلك بتوجهه أيده الله بنفسه الى جبال جاناتة في العام الفارط ليباشر قطع الخشب للانشاء ويظهر قدر ماله بذلك من الاعتناء ويتولى بذاته اعمال الجهاد مترجيا ثواب الله تعالى وموقنا بحسن الجزاء

(ر-ج-ع) ومن أعظم حسناته أيده الله عمارة المسجد الجديد بالمدينة البيضاء دارمل-كه العلى وهو الذى امتاز بالحسن واتقان البناء واشراق النور وبديع الترتيب وعمارة المدرسة الكبرى بالموضع المعروف بالقصر مما يجاور قصبة فاس ولا نظير لها في المعمورة اتساعا وحسنا وابداعا وكثرة ماء وحسن وضع ولم أر في مدارس الشام ومصر والعراق وخراسان ما يشبهها وعمارة الزاوية العظمى على غدير الحص خارج المدينة البيضاء فلا مثل لها أيضا في عجب وضعها وبديع صنعها وابدع زاوية رأيته بالمشرق زاوية سرياقص (سرياقوس) التى بناها الملك الناصر وهذه أبدع منها وأشد احكاما واتقاناً والله سبحانه ينفع مولانا أيده الله بمقاصده الشريفة ويكافئ فضائله المنيفة ويدعم للاسلام والمسلمين ايامه وينصر الويته المظفرة واعلامه

ولنعد الى ذكر الرحلة فنقول ولما حصلت لي مشاهدة هذا المقام الكريم وعمى فضل احسانه العليم قصدت زيارة قبر الوالدة فوصلت الى بلدى طنجة وزرتها وتوجهت الى مدينة سبتة فاقت بها أشهراً وأصابني بها المرض ثلاثة أشهر - رحم عافاني الله فاردت ان يكون لي حظ من الجهاد والرباط فركبت البحر من سبتة في شطى لاهل اصيلا فوصلت الى بلاد الاندلس حرسها الله تعالى حيث الاجر وفور للساكن والثواب مذكور للمقيم والظاعن وكان ذلك أثر موت طاغية الروم الفونس وحصاره الجبل عشرة أشهر وظنه انه يستولى على ما بقى من بلاد الاندلس للمسلمين فاخذه الله من حيث لم يحتسب ومات بالوباء الذى كان أشد الناس

خوفاً منه وأول بلد شاهدته من البلاد الأندلسية جبل الفتح فلقيت به خطيبه الفاضل
أبازكر يا يحيى بن السراج الرندي وقاضيه عيسى البربري وعنده نزلت وتطوفت معه على
الجبل فرأيت عجائب ما بنى به مولانا أبو الحسن رضى الله عنه وأعد فيه من العدد وما زاد على
ذلك مولانا أيده الله ووددت أن لو كنت ممن رابط به إلى نهاية العمر قال ابن جزي جبل الفتح
هو معقل الإسلام المعترض شجى في حلق عبدة الأصنام حسنة مولانا إلى الحسن رضى الله
عنه المنسوبة إليه وقبرته التي قدمها نورابن يديه محل عددا للجهاد ومقر آساد الأجناد والنفر
الذى افترعن نصر الإيمان وأذاق أهل الأندلس بعد مرارة الخوف حلاوة الأمان ومنه كان
مبدأ الفتح ألا كهروبه نزل طارق بن زباد مولى موسى بن نصير عند جواز فذهب إليه فيقال له
جبل طارق وجبل الفتح لأن مبدأه كان منه وبقايا السور الذى بناه ومن معه باقية إلى الآن
تسمى بسور العرب شاهدتها أباسا أقامتي به عند حصار الجزيرة أعادها الله ثم فتحه مولانا
أبو الحسن رضوان الله عليه واسترجعه من أيدي الروم بعد ثلثين سنة ونيقا وبعث
إلى حصاره ولده الأمير الجليل أبا مالك وأيده بالأموال الطائلة والعساكر الجرارة وكان فتحه
بعد حصار ستة أشهر وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ولم يكن حينئذ على ما هو الآن
عليه فبنى به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه المأثرة العظمى بأعلى الحصن وكانت قبل ذلك
برجا صغيرا تهدم بأحجار المجانيق فبناها مكانه وبنى به دار الصناعة ولم يكن به دار صنعة وبنى
السور الأعظم المحيط بالتربة الجراء الأخذ من دار الصناعة إلى القرمدة ثم جدد مولانا أمير
المؤمنين أبو عنان أيده الله عهد تحصينه وتحسينه وزاد بها بناء السور بطرف الفتح وهو أعظم
أسواره غمما وأعمها نفعاً وبعث إليه العدد الوفرة والاقوات والمرافق العامة وعامل الله
تعالى فيه بحسن النية وصدق الإخلاص ولما كان في الأشهر الأخيرة من عام ستة وخمسين
وقع بجبل الفتح ما ظهر فيه أثريتين مولانا أيده الله وثمرة توكاه في أمور: على الله وبأن مصداق
ما أطرده من السعادة الكافية وذلك أن عامل الجبل الخائن الذى ختم له بالشقاء عيسى بن
الحسن بن أبي منديل نزع يده المغاوله عن الطاعة وفارق عصمة الجماعة وأظهر النفاق وجمع
في الغدر والشقاق وتعاطى ما ليس من رجاله وعمى عن مبدأ حاله السيئ وماله وتوهم الناس
أن ذلك مبدأ أفتنة تنفق على أطفائها كراثم الأموال ويستعد لا تقائها بالفرسان والرجال
فحكمت سعادة مولانا أيده الله بطلان هذا التوهم وقضى صدق يقينه بانخراق العادة في
هذه الفتنة فلم تكن إلا أيام يسيرة وراجع أهل الجبل بصائرهم وثاروا على الثائر وخالفوا الشقي
المخالف وقاموا بالواجب من الطاعة وقبضوا عليه وعلى ولده المساعد في النفاق واتى بهما
مصفيين إلى الحضرة العلية فنقد فيهما حكم الله في المحاربين وأراح الله من شرهما ولما خدت

نار الفتنة اظهر مولانا أيد الله من العناية ببلاد الاندلس ما لم يكن في حساب أهلها وبعث الى جبل الفتح ولده الاسعد المبارك الارشد أبابكر المدعو من السماء السلطانية بالسعيد أسعده الله تعالى وبعث معه انجاد الفرسان ووجوه الغبائل وكفاة الرجال وادر عليهم الارزاق ووسع لهم الاقطاع وحرر بلادهم من المغارم وبذل لهم جزيل الاحسان وبلغ من امة سامه بامور الجبل ان أمر أيد الله بينا شكل يشبه شكل الجبل المذكور فمثل فيه أشكال اسواره وابراجيه وحصنه وابوابه ودار صنعته ومساجده ومخازن عدده واهريه زرعته وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء فصنع ذلك بالمشور السعيد فكان شكلا عجيبا أتقنه الصناعاتقان يعرف قدره من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال وما ذلك الا لشوقه أيد الله الى استطلاع أحواله وتهممه بتحصينه واعداده والله تعالى يجعل نصر الاسلام بالجزيرة الغريبة على يديه ويحقق ما يؤمله في فتح بلاد الكفار وشت شمل عباد الصليب وتذكرت حين هذا التقييد قول الاديب البليغ المفلح أبي عبد الله محمد بن غالب الرصافي البلسي رحمه الله في وصف هذا الجبل المبارك من قصيدته الشهيرة في مدح عبد المؤمن بن علي التي أولها (بسيط)

لوجئت نارا لهدى من جانب الطور * قبست فاشتت من علم ومن نور
وفيها يقول في وصف الجبل وهو من البديع الذي لم يسبق اليه بعد وصفه السفن وجوازها
حتى رمت جبل الفتحين من جبل * معظم القدر في الاجيال مذكور
من شامخ الاتق في سحنائه طلس * له من الغيم جيب غير منرور
تمسى النجوم على تكليل مفرقه * في الجوحائمة مثل الدنانير
فر بما مسحت من ذوائبها * بكل فضيل على قوديه مجرور
وادرد من ثناياه بما أخذت * منه معاجم أعواد الدهارير
محنتك حلب الايام أشطرها * وساقها سوق حادى العير للغير
مقيد الخط وجوال الخواطر في * عجيب أمره من ماض ومنظور
قد واصل الصمت والاطراق مفتكرا * بادی السكينة مغفر الاسارير
كانه مكسد مما تعبد به * خوف الوعدين من دك وتسير
اخلق به وجبال الارض راجفة * أن يطمن غدا من كل محذور

ثم استمر في قصيدته على مدح عبد المؤمن بن علي قال ابن جزى ولنعهد الى كلام الشيخ أبي عبد الله قال ثم خرجت من جبل الفتح الى مدينة رندة وهى من أمنع معاقل المسلمين واجملها وضعا وكان قائدها اذ ذاك الشيخ أبو الربيع سليمان بن داود العسكري وقاضيه ابن عمى الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة ولقيت بها الفقيه القاضي الاديب أبا الحجاج يوسف بن

موسى المنتشاقرى و اضافنى بنزله ولقيت بها أيضا خطيبها الصالح الحاج الفاضل أبا اسحاق ابراهيم المعروف بالشندرخ المتوفى بعد ذلك بمدينة سلامن بلاد المغرب ولقيت بها جماعة من الصالحين منهم عبد الله الصفار وسواه وأتت بها خمسة ايام ثم سافرت منها الى مدينة مرييلة والطريق فيما بينهما صعب شديد الوعورة ومرييلة بليدة حسنة خصبة ووجدت بها جماعة من الفرسان متوجهين الى مالقة فاردت التوجه في صحبتهم ثم ان الله تعالى عصمتى بفضلله فتوجه واقبل فاسروا الى الطريق كما سمعته من ذكره ونجرت في اثرهم فلما جاوزت حوز مرييلة ودخلت في حوز سهيل مررت بفرس ميت في بعض الخنادق ثم مررت بقفة حوت مطروحة بالارض فرايت ذلك وكان امامى برج الناطور فقلت في نفسى لو ظهرها هنا عدولا لندربه صاحب البرج ثم تقدمت الى داره هناك فوجدت عليه فرسا مقبولا فبينما انا هناك اذ سمعت الصياح من خلفى وكنت قد تقدمت اصحابى فعدت اليهم فوجدت معهم قائد حصن سهيل فاعلمنى ان أربعة اجفان تلعد وظهرت هناك ونزل بعض عمارتها الى البر ولم يكن الناطور بالبرج فربهم الفرسان الخارجون من مرييلة وكانوا اثني عشر فقتل النصارى اربعة منهم واحد وأسر العشرة وقتل معهم رجل حوات وهو الذى وجدت قفته مطروحة بالارض وأشار على ذلك القائد بالمبيت معه في موضعه ليوصلنى منه الى مالقة فبت عنده بحصن الرابط المنسوبة الى سهيل والاجفان المذكورة مر ساءة عليه وركب معى بالغد فوصلنا الى مدينة مالقه احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والقوا كمرأيت العنب يباع فى اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورماتها المرسى اليافوتى لا نظيره فى الدنيا وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها الى بلاد المشرق والمغرب قال ابن جزى والى ذلك أشار الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على المالقي فى قوله وهو من ملج التجنيس

مالقة حيث ياتينها * فالفلك من اجلك ياتينها
نمى طيبى عنك فى علة * مالطيبى عن حياقنىها
وذيلها قاضى الجماعة أبو عبد الله بن عبد الملك بقوله فى قصدا المجانسة (سريع)

وحص لا تنس لها تينها * وأذ كرمع التين زياتينها
(رجع) وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصى البلاد ومسجدها كبير الساحة شهير البركة وصحنه لا نظيره فى الحسن فيه أشجار النارنج البعيدة ولما دخلت مالقة وجدت قاضيا الخطيب الفاضل ابا عبد الله ابن خطيبها الفاضل ابى جعفر ابن خطيبها والى الله تعالى ابى عبد الله الطنجالى قاهدا ابا الجامع الاعظم ومعه الفقهاء ووجوه الناس يجتمعون مالا

برسم فداء الاسارى الذين تقدم ذكرهم فقلت له الحمد لله الذى عافانى ولم يجعلنى منهم واخبرته بما اتفق لى بعدهم ففجئ من ذلك وبعث الى بالضيافة ووجه الله واضافنى أيضا خطيبها أبو عبد الله الساحلى المعروف بالمعجم ثم سافرت منها الى مدينة بلش وبينهما أربعة وعشرون ميلا وهى مدينة حسنة بها مسجد عجيب وفيها الاغراب والقواكه والتين كمثل ما بمالقة ثم سافرتنا منها الى الحمة وهى بلدة صغيرة لها مسجد بديع الوضع عجيب البناء وبها العين الحارة على ضفة واديا وبينها وبين البلد ميل أو نحوه وهناك بيت لاستحمام الرجال وبيت لاستحمام النساء ثم سافرت منها الى مدينة غرناطة قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها الانظير له فى بلاد الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شذيل المشهور وسواه من الانهار الى كثيرة والبساتين والجنات والرياضات والقصور والكروم محذقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل له بسواها قال ابن جزى لولا خشيت ان انسب الى العصبية لاطلت القول فى وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه والله در شيخنا أبى بكر محمد بن أحمد بن شيرين البستى نزىل غرناطة حيث يقول

(طويل)

رعى الله من غرناطة متبوا * يسرخزينا أو يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عند ما رأى * مسارحها بالثلج عدن جليدا
هى الثغر صان الله من أهلت به * وما خير ثغر لا يكون برودا

(رجع ذكر سلطانها)

وكان ملك غرناطة فى عهد دخولى اليها السلطان أبو الحجاج يوسف بن السلطان ابى الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر ولم الفه بسبب مرض كان به وبعثت الى والدته الحرة الصالحة الفاضلة بدنانير ذهب ارتفعت بها واقبت بغرناطة جملة من فضلائها منهم قاضى الجماعة بها الشريف البليغ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسينى السبكي ومنهم فقيهها المدرس الخطيب العالم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البياني ومنهم عالمها ومقرئها الخطيب أبو سعيد فرج بن قاسم الشهير بابن لب ومنهم قاضى الجماعة نادرة العصر وطره الدهر أبو البركات محمد بن محمد بن ابراهيم السلمى البلعبى قدم عليها من المربة فى ذلك الايام فوقع الاجتماع به فى بستان الفقيه ابى القاسم محمد بن الفقيه الكاتب الجليل ابى عبد الله بن عاصم واقنأنا هناك يومين وليلة قال ابن جزى كنت معهم فى ذلك البستان وامتعنا الشيخ أبو عبد الله باخبار رحلته وقيدت عنه أسماء الاعلام الذين لقيم فيها واستفدنا منه الفوائد العجيبة وكان معنا جملة من وجوه أهل غرناطة منهم الشاعر المجيد الغريب الشأن أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبيد العظيم

الجذامى وهذا الفتى أمره عجيب فانه نشأ بالبادية ولم يطلب العلم ولا مارس الطلبة ثم انه نبغ بالشعر الجيد الذى يذوق وقوعه من بكار البلغاء وصدور الطلبة مثل قواه (رمل)

يا من اخنار فؤادى منزلا * بابه العين التى ترمقه
فتح الباب سهادى بعدكم * فابعثوا طيفكم يغلقه

(رجع) ولقيت بغرناطة شيخ الشيوخ والمتصوفين بها الفقيه ابا على عمر بن الشيخ الصالح
الولى ابي عبد الله محمد بن المحروق واقتأيا ما بزاوية التى بخارج غرناطة واكرمته أشد
الاکرام وتوجهت معه الى زيارة الزاوية الشهيرة البركة المعروفة برابطة العقاب والعقاب
جبل مطل على خارج غرناطة ويدهمها نخوة ثمانية أميال وهو محجور لمدينة التيرة الخربة ولقيت
أيضا ابن أخيه الفقيه ابا الحسن على بن أحمد بن المحروق بزاوية المنسوبة للجام باعلى
ربض نجد من خارج غرناطة المتصل بجبل السبيكة وهو شيخ المتسبيين من الفقراء وبغرناطة
جملة من فقراء العجم استوطنوها الشبهاء يلاهم منهم الحاج أبو عبد الله السمري قنديل والحاج
أحمد التبريزي والحاج ابراهيم القونزي والحاج حسين الخراساني والحاجان على
ورشيد الهنديان وسواهم ثم رحلت من غرناطة الى الحمة ثم الى بلش ثم الى مالقة ثم الى
حصن ذكوان وهو حصن حسن كثير المياه والأشجار والقواكه ثم سافرت منه الى رندة ثم الى
قرية بنى رياح فأنزاني شيخنا ابو الحسن على سليمان الرياحي وهو أحد كرماء الرجال وفضلاء
الاعيان يطعم الصادر والوارد وأضافني ضيافة حسنة ثم سافرت الى جبل الفتح وركبت
البحر في الجفن الذى جزت فيه أولا وهو لاهل اصيلا فوصلت الى سبتة وكان قائدها اذذاك
الشيخ أبو مهدي عيسى بن سليمان بن منصور وقاضيا الفقيه أبو محمد الزجندري ثم سافرت
منها الى اصيلا واقت بها شهرا ثم سافرت منها الى مدينة سلا ثم سافرت من سلا فوصلت الى
مدينة مراکش وهى من أجمل المدن فسيحة الارضاء متسعة الاقطار كثيرة الخيرات بها المساجد
الضخمة كسجدها الاعظم المعروف بمسجد الكتبيين وبها الصومعة الهائلة العجيبة
صعدتها وظهر لي جميع البلد منها وقد استولى عليه الخراب فاشبهته الالبغداد الان أسواق
بغداد أحسن وبمراكش المدرسة العجيبة التى تميزت بحسن الوضع واتقان الصنعة وهى من
بناء الامام مولانا أمير المسلمين أبي الحسن رضوان الله عليه قال ابن جزى فى مراكش
يقول قاضيا التاريخي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الاوسى (بسيط)

لله مراكش الغراء من بلد * وحيد أهلها السادات من سكن
ان حلها نازح الاوطان مغرب * أسلوها بالانس عن أهل وعن وطن
بين الحديث بها او العيان لها * ينشأ التحاسن بين العين والاذن

﴿رجع﴾ ثم سافرت من مرا كثر صبيحة الركاب العلى ركاب مولانا ايده الله فوصلنا الى مدينة سلام الى مدينة مكحاسة العجيبة الخضر النضرة ذات البساتين والجنات المحيطة بها بحائر الزيتون من جميع نواحيها ثم وصلنا الى حضرة قاس حرسه الله تعالى فوادعت بها مولانا ايده الله وتوجهت برسم السفر الى بلاد السودان فوصلت الى مدينة سجلماسة وهي من احسن المدن وبها الثمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة اطيب وصنف ايرار منه لا نظير له في البلاد ونزلت منها عند الهقيه ابى محمد البشري وهو الذي اقميت اخاه بمدينة قنجنه فومن بلاد الصين فباشنا متباعدا فاكرمنى غاية الاكرام واشترت بها الجبال وعلقته اربعة أشهر ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ثلاث وخمسين في رفقة مقدمها أبو محمد بن دكان المسوفي رحمه الله وفيها جماعة من تجار سجلماسة وغيرهم فوصلنا بعد خمسة وعشرين يوما الى تغازي وغبط اسمها (بفتح التاء المثناة والغين المعجم والف وزاى مفتوح) أيضا وهي قرية لا خير فيها ومن عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجبال ولا شجر بها انما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الارض فيوجد منه الواح ضخام متراكبة كانها قد نحتت ووضعت تحت الارض يحمل الجبل منها لوجين ولا يسكنها الا عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب اليهم من تمر ودرعة وسجلماسة ومن لحوم الجبال ومن انلى المجالوب من بلاد السودان ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويباع الحبل منه بابوا الان بعشرة مشاقل الى ثمانية ومدينة مالى بثلاثين مثقالا الى عشرين وربما انتهى الى اربعين مثقالا وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً ويبيعونه بقرية تغازي على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر واقدانها عشرة ايام في جهد لان ماء هاز عاق وهي أكثر المواضع ذباباً ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشر لأماء فيها الا في النادر ووجدنا نحن بها ماء كثير في غدران ابقاها المطر ولقد وجدنا في بعض الايام غديرين اثنين من حجارة ماؤه عذب فتروينامنه وغسلنا ثيابنا والكمأة بتلك الصحراء كثير ويكثر القمل بها حتى يجعل الناس في اعناقهم خيوطا فيها الرقيق فيقتلها وكافي تلك الايام نتقدم امام القافلة فاذا وجدنا مكانا يصح للرعي رعيننا الدواب به ولم نزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجل يعرف بابن زيري فلم انقدم بعد ذلك ولا تأخرت وكان ابن زيري وتعت بينه وبين ابن خاله ويعرف بابن عدي منازعة ومشامة فتأخر عن الرقعة فضل فلما نزل الناس لم يظهر له خبر فاشرت على ابن خاله بان يكثرى من مسرفة من يقص أثره لعله يجد فابى وانتدب في اليوم الثاني رجل من مسوفة دون اجرة لطلبه فوجد أثره وهو يسلك الجادة طورا ويخرج عنها تارة ولم يقع له على خبر ولقد لقينا قافلة

في طريقنا فاخبرونا ان بعض رجال انقطعوا عنهم فوجدنا أحدهم ميتا تحت شجيرة من أشجار الرمل وعليه ثيابه وفي يده سوط وكان الماء على نحو ميل منه ثم وصلنا الى تاسر هلا (بفتح التاء المثناة والسين المهمل والراء وسكون الهاء) وهي احساء ماء تنزل القوافل عليها وقيمون ثلاثة أيام فيستريحون ويصالحون اسقيتهم وعلوؤها بالماء ويخيطون عليها التلايس خوف الریح ومن هنالك يبعث التكشيف

﴿ ذكر التكشيف ﴾

والتكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكرهه أهل القافلة فيتقدم الى ابوالاثنين يكتب الناس الى أصحابهم باليكثر والهم الدور ويخرجون للقاءهم بالماء مسيرة أربع ومن لم يكن له صاحب ابوالاثنين كتب الى من شهر بالفضل من التجار بها فيشاركه في ذلك وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء فلا يعلم أهل ابوالاثنين بالقافلة فيهلك أهلها والاهل كثير منهم وذلك الصحراء كثيرة الشياطين فان كان التكشيف منفرد العبت به واستهوت حتى يضل عن قصده فيهلك اذا لا طريق يظهر بها ولا اثر انما هي رمال تسفيها الریح فترى جبالا من الرمل في مكان ثم تراها قد انتقلت الى سواء والدليل هنالك من كثر تردده وكان له قلب ذكي ورأيت من العجائب ان الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق واكثرنا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب وهو من مسوفة وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقاءنا فاستبشرنا بذلك وهذه الصحراء منيرة مشرقة يشرح الصدر فيها وتطيب النفس وهي آمنة من السراق والبقر الوحشية بها كثير يأقى القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالكلاب والنشاب لكن لها يولدا كلة العطش فيتحاماه كثير من الناس لذلك ومن العجائب ان هذه البقرة ا قتلت وجد في كروشها الماء ولقد رأيت أهل مسوفة يعصرون السكر منها ويشربون الماء الذي فيه والحيات أيضا بهذه الصحراء كثيرة

﴿ حكاية ﴾

وكان في القافلة تاجر تلساني يعرف بالحاج زيان ومن عادته ان يقبض على الحيات ويعبث بها وكنت انهاء عن ذلك فلا ينتهي فلما كان ذات يوم ادخل يده في حجر ضب ليخرجه فوجد مكانه حية فاخذها بيده وأراد الر كوب فلسعته في سبابته اليمنى وأصابه وجع شديد فكوى يده وزاد ألمه عشى النهار فخرج رجلا وأدخل يده في كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تناسل لحم إصبعه فقطعها من الاصل وأخبرنا أهل مسوفة ان تلك الحية كانت قد شربت الماء قبل لسمعه ولولم تكن شربت لقتلته ولما وصل اليها الذين استقبلونا بالماء شربت خيلنا واذ خلفنا صحراء شديدة

الحر ليست كلتي عهدنا وكننا نرحل بعد صلاة العصر ونسرى الليل كله وننزل عند الصباح وتأتى الرجال من مسوفة وبرد امة وغيرهم باجمال الماء البيع ثم وصلنا الى مدينة أيوالا تن في غرة شهر ربيع الاول بعد سفر شهرين كاملين من سجالاسة ودى أول عمالة السودان ونائب السلطان بها فربا حسين وفربا (بفتح الفاء وسكن الراء وفتح الباء الموحدة) ومعناه النائب ولما وصلنا جعل التجار ارا متعتهم في رحبة وتكفل السودان بحفظها وتوجهوا الى الفربا وهو جالس على اساط في سقيف واعوانه بين يديه بايديهم الرماح والقسي وكبراء مسوفة من ورائه ووقف التجارين يديه وهو يكلمهم بترجمان على قريهم منه احتقار لهم فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء ادبهم واحتقارهم للابيض وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من أهل سلا كنت كتبت له ان يكثرى لى دارا ففعل ذلك ثم ان مشرف أيوالا تن ويسمى منشاجو (بفتح الميم وسكون النون وفتح الشين المعجم والف وجيم مضموم وواو) استدعى من جاء فى القافلة الى ضيافة فاميت من حضور ذلك فعزم الاصحاب على أشد العزم فتوجهت فيمن توجه ثم اتى بالضيافة وهى جريش انلى مخلوطا بيسير عسل ولبن قد وضعوه فى نصف قرعة صيره شبه الجفنة فشرب الحاضرون وانصرفوا فقلت لهم الهداد عانا الاسود قالوا نعم وهو الضيافة الكبيرة عندهم فايقنت حينئذ ان لاخير يرتجى منهم وارتدت ان أسافر مع حجاج أيوالا تن ثم ظهر لى ان اتوجه لمشاهدة حضرة ملاكهم وكانت اقامتى بايوالا تن نحو خمسين يوما واكرمنى اهلها واطافونى منهم قاضيا محمد بن عبد الله بن ينومر واخوه الفقيه المدرس يحيى وبلدة أيوالا تن شديدة الحر وفيها سير تخیلات يزدرعون فى ظلالها البطيخ وماؤه من احساء بها ولحم الضأن كثير بها وثياب أهلها احسان مصرية واكثر السكان بها من مسوفة ولذساتها الجمال الفائق وهن أعظم شأنا من الرجال

(ذكر مسوفة الساكنين بايوالا تن)

وشأن هؤلاء القوم عجيب وأمرهم غريب فاما رجالهم فلا غير قديهم ولا ينسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب لخاله ولا يرث الرجل الأبناء اخته دون بنيه وذلك شئ ما رأيت فى الدنيا الا عند كفار بلاد المليبار من الهند واما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن واما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات ومن اراد التزوج ممن تزوج كنهن لا يسافرن مع الزوج ولو ارادت احداهن ذلك لمنعهن اهلها والنساء هنالك يكون لهن الاصدقاء والاصحاب من الرجال الا جانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الاجنبيات ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا يكر ذلك

﴿حكاية﴾

دخلت يوما على القاضي ابوالاثن بعد اذ نه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بدیعة الحسن فلما رأيته ارتبت وارتدت الرجوع فضحككت مني ولم يدركها خجل وقال لي القاضي لم ترجع انما صاحبتى فحجبت من شأنهما فانه من الفقهاء الججاج وأخبرت انه استأذن السلطان في الحج في ذلك العام مع صاحبتة لا أدري اهي هذه ام لا فلم يأذن له

﴿حكاية نحوها﴾

دخلت يوما على ابى محمد يند كان المسوفى الذى قدمنا فى صحبته فوجدته قاعدا على بساط وفي وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان فقلت له ما هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذى معها منها فقال هو صاحبها فقلت له اترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع فقال لى مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمه فيها ولسن كنساء بلادكم فحجبت من رعونته وانصرفت عنه فلم أعد اليه بعدها واستدعاني مرات فلم اجبه ولما عزمتم على السفر الى مالى وبينها وبين ابوالاثن مسيرة أربعة وعشرين يوما للجدد كثيرت دليلا من مسوفة اذ لا حاجة الى السفر فى رفقة لا من تلك الطريق وخرجت فى ثلاثة من أصحابى وتلك الطريق كثيرة الاشجار واشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها وبعضها لا اغصان لها ولا ورق ولكن ظل جسدها بحيث يستظل به الانسان وبعض تلك الاشجار قد استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر فكانها بئر ويشرب الناس من الماء الذى فيها ويكون فى بعضها النحل والعسل فيشتارها الناس منها ولقد مررت بشجرة منها فوجدت فى داخلها رجلا حائكا قد نصب بها امرئته وهو ينسج فحجبت منه قال ابن جزى ببلاد الاندلس شجرتان من شجر القسطل فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب احدهما بسند وادى آس والاخرى ببشارة غرناطة رجوع وفى أشجار هذه الغابة التى بين ابوالاثن ومالى ما يشبه ثمرة الاجاص والتفاح والخوخ والمشمش وليست بها وفيها اشجار تثمر شبه الفصوص فاذا طاب انفلق عن شئ شبه الدقيق فيمطبخونه ويأكلونه ويبيع بالاسواق ويستخرجون من هذه الارض حبات كالفول فيقلونها ويأكلونها وطعمها كطعم الحصى المقلو وربما طعنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالغرقى والغرقى (بفتح الغين) المعجم وسكون الراء وكسر التاء المثناة) وهو ثمر كالاجاص شديد الحلاوة مضر بالبيضان اذا اكوه ويدق عظمه فيستخرج منه زيت لهم فيه منافع فمنهم يطبخون به ويسرجون السرج ويقلون به هذا الاسفنج ويدهنون به ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور كما تسطح بالجير وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد الى بلد فى قرع كبار تسع القرعة منها قدر ما تسعه القلة ببلادنا والقرع ببلاد السودان يعظم

ومنه يصنعون الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين وينقشونها نقشاً حسناً
واذا سافر أحدهم يتبعه عبده وجواريه يحملون فرشه وأوانيهم التي يأكل ويشرب فيها وهي
من القرع والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زاداً ولا دماً ولا ديناراً ولا درهماً إنما يحمل قطع الملح
وحلى الزجاج الذي يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل
والمصطكى وتاسر غنمت وهو بخورهم فاذا وصل قرية جاء نساء السودان بانلى واللبن والدجاج
ودقيق النبق والارز والفوني وهو كحب الخردل يصنع من الكسكو والعصيدة ودقيق اللوبيا
فيشتري منه ما أحب من ذلك إلا أن الارز يضر أكله بالبيضان والفوني خير منه وبعد مسيرة
عشرة أيام من أيوا الاتن وصلنا إلى قرية زاغرى (وضبطها بفتح الزاى والغين المعجم وكسر الراء)
وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونجراتة (بفتح الواو وسكون النون وفتح الجيم
والراء والفاء وتاء مثناة وتاء تأنيث) ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب
الاباضية من الخوارج ويسمون صغنغو (بفتح الصاد المهملة والغين المعجم الاوول والنون وضم
الغين الثانى وواو) والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم تورى (بضم التاء المثناة
وواو وراء مكسورة) ومن هذه القرية يجلب انلى إلى أيوا الاتن ثم سرنا من زاغرى فوصلنا إلى النهر
الاعظم وهو النيل وعليه بلدة كارسخو (بفتح الكاف وسكون الراء وفتح السين المهملة وضم
الخاء المعجم وواو) والنيل ينحدر منها إلى كبرة (يفتح الباء الموحدة والراء) ثم إلى زاغة (بفتح
الزاي والغين المعجم) وكبرة وزاغة سلطانان يؤدان الطاعة للملك مالى وأهل زاغة قدماء فى
الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم ثم ينحدر النيل من زاغة إلى تنبكتو ثم إلى كوكو وسند كرها ثم إلى
بلدة مولى (بضم الميم وكسر اللام) من بلاد الليمين وهي آخر عمالة مالى ثم إلى يوفى (واسمها بضم
الياء آخر الحروف وواو وفاء مكسورة) وهي من أكبر بلاد السودان وسلطانها من أعظم
سلاطينهم ولا يدخلها الابيض من الناس لانهم يقتلونه قبل الوصول إليها ثم ينحدر منها إلى
بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ثم إلى دنقلة وهي أكبر بلادهم (وضبطها بضم الدال
والقاف وسكون النون بينهما وفتح اللام) وسلطانها يدعى بابن كنز الدين اسلم على أيام الملك
الناصر ثم ينحدر إلى جنادل وهي آخر عمالة السودان وأول عمالة اسوان من صعيد مصر ورأيت
التمساح بهذا الموضع من النيل بالقرب من الساحل كأنه قارب صغير ولقد نزلت يوماً إلى النيل
لقضاء حاجة فاذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بينى وبين النهر فحجبت من سوء أدبه وقلة
حيائه وذكرت ذلك لبعض الناس فقال إنما فعل ذلك خوفاً عليك من التمساح فقال بينك
وبينه ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنصرة (بفتح الصاد المهملة والراء وسكون
النون) وهو على نحو عشرة أميال من مالى وعادتهم أن يمنع الناس من دخولها إلا بالاذن

وكنيت كنيته قبل ذلك لجماعة البيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولى وشمس الدين بن النقويش المصرى ليكثر والى دارا فلما وصلت الى النهر المذكور جرت فى المعديفة ولم يمنعنى أحد فوصلت الى مدينة مالى حضرة ملك السودان فنزلت عندهم مقبرتها ووصلت الى محلة البيضان وقصدت محمد بن الفقيه فوجدته قد اكثرت لى دارا ازاله فوجهت اليها وجاء صهره الفقيه المقرى عبد الواحد بشمعة وطعام ثم جاء ابن الفقيه الى من الغد وشمس الدين (بن) النقويس وعلى الزودى المراكشى وهو من الطلبة ولقيت القاضى بمالى عبد الرحمن جاءنى وهو من السودان حاج فاضل له مكارم أخلاق بعث الى بقرقة فى ضيافته ولقيت الترجان دوغان (بضم الدال واو وغين مجهم) وهو من أفاضل السودان وكبارهم وبعث الى بشور وبعث الى الفقيه عبد الواحد غرارتين من الفونى وقرعة من الغرتى وبعث الى ابن الفقيه الارزوالفونى وبعث الى شمس الدين بضيافة وقاموا بحقى اتم قيام شكر الله حسن افعالهم وكان ابن الفقيه متزوجا بينت عم السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام وغيره واكلنا بعد عشرة ايام من وصولنا عسيمة تصنع من شئ شبه القلقاس يسمى القافى (بقاف والفاء) وهى عندهم مفضلة على سائر الطعام فاصبحنا جميعا مرضى وكنا ستة فبات احدا نا وذهبت انا للصلاة الصبح فغشى على فيها وطلبت من بعض المصريين دواء مسهل فأتى بشئ يسمى بيدر (بفتح الباء الموحدة وتسكين الياء) آخر الحروف وفتح الدال المهمل وراءه وهو عروق نبات وخلطه بالانيسون والسكر ولته بالماء فشربه وتقيات ما اكلته مع صفراء كثيرة وعافانى الله من الهلاك ولكنى مرضت شهرين

﴿ ذكر سلطان مالى ﴾

وهو السلطان منسى سليمان ومنسى (بفتح الميم وسكون النون وفتح السين المهمل) ومعناه السلطان وسليمان اسمه وهو ملك بخيل لا يرجى منه كبير عطاء واتفق انى اقلت هذه المدة ولم اره بسبب مرضى ثم انه صنع طعاما برسم عراء مولانا ابى الحسن رضى الله عنه واستدعى الامراء والفقهاء والقاضى والخطيب وحضرت معهم فاتوا بالربعات وختم القرآن ودعوا لمولانا ابى الحسن رحمه الله ودعوا لمنسى سليمان ولما فرغ من ذلك تقدمت فسلمت على منسى سليمان واعلمه القاضى والخطيب وابن الفقيه بحالى فاجابهم بلسانهم فقالوا لى يقول لك السلطان اشكر الله فقلت الحمد لله والشكر على كل حال

﴿ ذكر ضيافتهم التافهة وتعظيمهم لها ﴾

ولما انصرفت بعث الى الضيافة فوجهت الى دار القاضى وبعث القاضى بهامع رجاله الى دار ابن الفقيه فخرج ابن الفقيه من داره مسرعاً حافى القدمين فدخل على وقال قم قد جاءك قاس السلطان وهديته فقلت وظننت انما الخلع والاموال فاذا هى ثلاثة اقراص من الخبز وقطعة

لحم بقرى مقلوب بالغرقى وقرعة فيرالبزرائب فعندما رأيتها ضحكت وطال تعجبي من ضعف عقولهم وتعظيمهم للشيء الحقير

﴿ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك واجسانه الى﴾

وأقت بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل الى فيها شيء من قبل السلطان ودخل شهر رمضان وكنت خلال ذلك أتردد الى المشور وأسلم عليه واقعد مع القاضي والخطيب فتكلمت مع دوغا الترجمان فقال تكلم عنده وأنا أعبر عنك بما يجب فجلس في اوائل رمضان وقت بين يديه وقلت له اني سافرت بلاد الدنيا ولقيت ملوكها ولى ببلادك منذ أربعة أشهر ولم تضيفني ولا أعطيني شيئا فاذا اقول عنك عند السلاطين فقال اني لم ارك ولا علمت بك فقام القاضي وابن الفقيه فردا عليه وقالالا انه قد سلم عليك وبعثت اليه الطعام فامر لي عند ذلك بدار انزل بها ونفقة تجرى علي ثم فرق على القاضي والخطيب والفقهاء ما ليلية سبع وعشرين من رمضان يسمونه الزكاة واعطاني معهم ثلاثة وثلاثين مثقالا وثلاثا وأحسن الى عند سفرى بمائة مثقالا ذهبيا

﴿ذكر جلوسه بقمته﴾

وله قبة مرتفعة بابها بداخل داره يقعد فيها أكثر الاوقات ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشاة بصفايح الفضة وتحتها ثلاثة مغشاة بصفايح الذهب او هي فضة مذهبة وعليها ستور ملف فاذا كان يوم جلوسه بالقبة رفعت الستور فعلم انه يجلس فاذا جلس أخرج من شبالك احدى الطاقات شرابة حرير قدر ربط فيها منديل مصرى من قوم فاذا رأى الناس المنديل ضربت الاطبال والابواق ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثة من العبيد في ايدي بعضهم القسي وفي ايدي بعضهم الرماح الصغار والدرق فيقف اصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة ويجلس اصحاب القسي كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهم ما كبشان يذكرون انهما ينفعان من العين وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرجين فيدعون نائبه قنجا موسى وتأتى الفرارية (بفتح الفاء) وهم الامراء ويأتى الخطيب والفقهاء فيقعدون امام السلحدارية ميمنة وميسرة في المشور ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليه الثياب الفاخرة من الزرد خانه وغيرها وعلى رأسه عمامة ذات حواشي لهم في تعميها صنعة بديعة وهو متقلد سيفاً غمدته من الذهب وفي رجله الخف والمهاميز ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفا غيره ويكون في يده رمحان صغيران احدهما من ذهب والاخر من فضة واسننهما من الحديد ويجلس الاجناد والولاة والفتيان ومسوفة وغيرهم خارج المشور في شارع هنالك متسع فيه أشجار وكل فرارى بين يديه اصحابه بالرمح والقسي والاطبال والابواق وبوتهم قام من أنياب الفيعة وآلات

الطارب المصنوعة من القصب والقرع وتضرب بالسطاعة ولها صوت عجيب وكل فرارى له كنانة قد علقها بين كتفيه وقوسه بيده وهو راكب فرسا وأصحابه بين مشاة وركبان ويكون بداخل المشورت تحت الطيقان رجل واقف فمن أراد ان يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا لذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان

﴿ ذكر جلوسه بالمشور ﴾

ويجلس أيضا في بعض الايام بالمشور وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها الپنبي (بفتح الباء المعقودة الاولى وكسر الثانية وسكون النون بينهما) وتفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازي ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وقوسه بيده وكنانته بين كتفيه وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصاة ذهب لها اطراف مثل السكاكين رقائق طولها ازيد من شبر وأكثرباسه جبة حمراء مبرقة من الثياب الرومية التي تسمى المطنفس ويخرج بين يديه المغنون بايديهم قنابر الذهب والفضة وخلفه نحو ثلاثمائة من العبيد أصحاب السلاح ويعشى مشيا رويدا ويكثر التأنى وربما وقف ينظر في الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والابواق والانفاز ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون ويؤتى بالفرسين والكباشين معهما ويقف دوغا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الاشجار

﴿ ذكر تذلل السودان لملكهم وتتريبهم له وغير ذلك من أحوالهم ﴾

والسودان أعظم الناس تواضعا لملكهم وأشد هم تذلا له ويحلفون باسمه فيقولون منسى سليمان كي فاذا دعا باحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثيابا خلقة ونزع عمامته وجعل شاشية وسخة ودخل رافعا ثيابه وسراويله الى نصف ساقه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الارض برفقيه ضربا شديدا ووقف كثيرا كع يسمع كلامه واذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره ورمى بالتراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء وكنت أعجب منهم كيف لا تعمى أعينهم واذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمامتهم عن رؤوسهم وانصتوا لكلامه وربما قام أحدهم بين يديه فيذكر أفعاله في خدمته ويقول فعلت كذا اليوم وقتلت كذا اليوم كذا في صدقه من علم ذلك وتصديقه هم ان ينزع أحدهم في وترقوسه ثم يرسلها كما يفعل اذ ارعى فاذا قال له السلطان صدقت أو شكره نزع ثيابه وترب وذلك عندهم من الادب قال ابن جزى وأخبرني صاحب العلامة الفقيه أبو القاسم بن رضوان اعزه الله انه لما قدم الحاج موسى الونجراتي رسولا عن منسى سليمان الى

مولانا أبي الحسن رضى الله عنه كان اذا دخل المجلس الكريم جل بعض ناسه معه قفة تراب
فيترب مهمما قال له مولانا كلاما حسنا كما يفعل ببلاده

﴿ ذكر فعله في صلاة العيد و أيامه ﴾

وحضرت بما الى عيدى الاضحى والفطر فخرج الناس الى المصلى وهو قربة من قصر السلطان
وعليهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان والسودان لا يلبسون
الطيلسان الا في العيد ما عدى القاضى والخطيب والفقهاء فانهم يلبسونه في سائر الايام وكانوا
يوم العيدين يدي السلطان وهم يملون ويكبرون وبين يديه العلامات الحرم من الحرير ونصب
عند المصلى خباء فدخل السلطان اليها واصلى ثم شأه ثم خرج الى المصلى فقضيت الصلاة
والخطبة ثم نزل الخطيب وقعد بين يدي السلطان وتكلم بكلام كثير وهذا الرجل بيده مخ بيين
للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم
طاعته واداء حقه ويجلس السلطان في أيام العيدين بعد العصر على الينبي وتأتى السليدارية
بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب واغماها منه ورماح
الذهب والفضة ودبابيس البلور ويقف على رأسه أربعة من الامراء يشردون الذباب وفي
أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس الفرارية والقاضى والخطيب على العادة
ويأتى دوغا الترجان بنسائه الاربع وجواريه وهن نحو مائة عليهن الملايس الحسان وعلى
رؤسهن عصائب الذهب والفضة فيهما تنافح ذهب وفضة وينصب ندوغا كرسى يجلس عليه
ويضرب الآلة التى هى من قصب وتحتها قريعات ويغنى بشعر يمدح السلطان فيه ويذكر
غزواته وافعاله ويغنى النساء والجوارى معه ويلعبن بالقصى ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمان
عليهم جباب الملاف الجروفي رؤوسهم الشواشى البيض وكل واحد منهم متقلد طبله يضربه ثم
يأتى أصحابه من الصبيان فيلعبون ويتقلبون في الهواء كما يفعل السندى ولهم في ذلك رشاقة
وخفة بديعة ويلعبون بالسيوف أجل لعب ويلعب دوغا بالسيف لعبا بديعا وعند ذلك يأمر
السلطان له بالاحسان فيأتى بصرة فيها مائتا مثقال من التبر ويذكر له ما فيها على رؤوس الناس
وتقوم الفرارية فينزعون في قسيهم شكر السلطان وبالغد يعطى كل واحد منهم مالدوغاء عطاء
على قدره وفي كل يوم جمعة بعد العصر يفعل دوغا مثل هذا لترتيب الذى ذكرناه

﴿ ذكر الاضحوة في انشاد الشعراء للسلطان ﴾

واذا كان يوم العيد وأتم دوغا العبه جاء الشعراء ويسمون الجلا (بضم الجيم) واحد هم جالى
وقد دخل كل واحد منهم في جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق وجعل لها رأس
من الخشب له منقار أحمر كأنه رأس الشقشاق ويقفون بين يدي السلطان تلك الهيئة المضحكة

فينشدون أشعارهم وذكري أن شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان إن هذا الينبي الذي عليه جالس فوقه من الملوك فلان وكان من حسن أفعاله كذا وفلان وكان من أفعاله كذا فافعل أنت من الخير ما يذكرك بعدك ثم يصعد كبير الشعراء على درج الينبي ويضع رأسه في حجر السلطان ثم يصعد إلى أعلى الينبي فيضع رأسه على كتف السلطان الايمن ثم على كتفه الايسر وهو يتكلم بلسانهم ثم ينزل وأخبرت أن هذا الفعل لم يزل قديما عندهم قبل الاسلام فاستمروا عليه

﴿حكاية﴾

وحضرت مجلس السلطان في بعض الايام فأتى أحد فقهاءهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي السلطان وتكلم كلاما كثيرا فقام القاضي فصدقه ثم صدقه السلطان فوضع كل واحد منهما عامته عن رأسه وترب بين يديه وكان إلى جانبي رجل من البيضان فقال لي اتعرف ما قالوه فقلت لا أعرف فقال إن الفقيه أخبر أن الجراد وقع ببلادهم فخرج أحد صلحاءهم إلى موضع الجراد فهاهنا أمرها فقال هذا جراد كثير فاجابته جرادة منها وقالت إن البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها فصدقه القاضي والسلطان وقال عند ذلك لا مراءاء اني برىء من الظلم ومن ظلم منكم عاقبته ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه والله حسبه وسأله ولما قال هذا الكلام وضع الفرارية عماثمهم عن رؤسهم وتبرؤوا من الظلم

﴿حكاية﴾

وحضرت الجمعة يوما فقام أحد التجار من طلبية مسوفة ويسمى بابي حقص فقال يا اهل المسجد أشهدكم أن منسى سليمان في دعوتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك خرج إليه جماعة رجال من مقصورة السلطان فقالوا له من ظلمك من أخذك شيئا فقال من شاؤوا باللاتين يعني مشرفها أخذ مني ما قيمته ستمائة مثقال واراد ان يعطيني في مقابلك مائة مثقال خاصة فبعث السلطان عنه للحين فحضر بعد أيام وصرقهما للقاضي فثبت للتاجر حقه فأخذه وبعد ذلك عزل المشرف عن عمله

* (حكاية) *

واتفق في أيام اقامتي بمالي أن السلطان غضب على زوجته الكبرى بنت عمه المدعوة بقاسا ومعنى قاسا عندهم الملكة وهي شريكته في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمها على المنبر وسجنها عند بعض الفرارية وولي في مكانها زوجته الاخرى بنجو ولم تكن من بنات الملوك فكثر الناس الكلام في ذلك وانكر واقع له ودخل بنات عمه على بنجو يهنئنها بالله لملكة فجعلن الرماد على اذرعهن ولم يتبربن رؤوسهن ثم إن السلطان سرح قاسا من ثقافها

فدخل

فدخل عليها بنات عمه يمتحنها بالسراح وترين على العادة فشكت بنحو أنى السلطان بذلك فغضب على بنات عمه فخفن منه واستجبرن بالجامع فغفعا عنهن واستدعاهن وعادتهن إذا دخلن على السلطان أن يتجردن عن ثيابهن ويدخلن عزاء ففعلن ذلك ورضى عنهن وصرن يأتين باب السلطان غدوا وعشيا مدة سبعة أيام وكذلك يفعل كل من عفاه السلطان وصارت قاسا تركب كل يوم في جواربها وعبيدها وعلى رؤسهم التراب وتقف عند المشور مرتبة لا يرى وجهها وأكثر الامراء الكلام في شأنها فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانه انكم قد أكثرتم الكلام في أمر قاسا وانها أذنبت ذنبا كبيرا ثم اتى بجارية من جواربها مقيدة مغולה فقيل لها تكلمي بما عندك فاخبرت ان قاسا بعثته الى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنه الى كنبرنى واستدعته ليخلع السلطان عن مله وقات له انا وجميع العساكر طوع أمرك فلما سمع الامراء ذلك قالوا ان هذا ذنب كبير وهى تستحق القتل عليه فخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب وعادتهن ان يستجبرن واهنالك بالمسجد وان لم يمكن فبدار الخطيب وكان السودان يكرهون منسى سليمان لخله وكان قبله منسى مغا وقبل منسى مغا منسى موسى وكان كريما فاضلا يحب البيضان ويحسن اليهم وهو الذى اعطى لابي اسحاق الساحلى في يوم واحد أربعة آلاف مثقال وأخبرنى بعض الثقة انه أعطى لمدر ك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد وكان جده سارق جاطة أسلم على يدي جدمدر ك هذا

﴿حكاية﴾

وأخبرنى الفقيه مدر ك هذا ان رجلا من أهل تلمسان يعرف بابن شيخ اللبن كان قد أحسن الى السلطان منسى موسى في صغره بسبعة مثاقيل وثلاث وعويوم ثم ذهبى غير معتبر ثم اتفق ان جاء اليه في خصومة وهو سلطان فعرفه وادعاه وأدناه منه حتى جلس معه على النبي ثم قرره على فعله معه وقال للامراء ما جزاء من فعل ما فعله من الخير فقالوا له الحسنه بعشر أمثالها فاعطه سبعين مثقالا فاعطاه عند ذلك سبع مائة مثقال وكسوة وعبيدا وخداما وأمره ان لا ينقطع عنه وأخبرنى بهذه الحكاية أيضا ولد ابن شيخ الابن المذكور وهو من الطلبة يعلم القرآن بحالى

مذكر ما استحسنته من أفعال السودان وما استعجبته منها

فن أفعالهم الحسنه قلة الظلم فهم ابعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شئ منه ومنها شمول الامن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقتطرة انما يتركوبه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات

وضربهم أولادهم عليها وإذا كان يوم الجمعة ولم يبيكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي
لكثرة الزحام ومن عادتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجادة فيبسطها له بموضع يستحقه بها
حتى يذهب إلى المسجد وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له ومنها لباسهم الثياب
البيض الحسن يوم الجمعة ولولم يكن لأحد منهم الا قيص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة ومنها
عنيتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم انقيودا إذا ظهر في حقهم التقصير في
حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت
له ألا تسرحهم فقال لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ومررت يوما بشاب منهم حسن الصورة عليه
ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل فقلت لمن كان معي ما فعل هذا أقتل ففهم عني الشاب وضحك
وقيل لي إنما قيد حتى يحفظ القرآن ومن مساوي أفعالهم كون الخدم والجواري والبنات
الصغار يظهرون للناس عرايا باديات العورات ولقد كنت أرى في رمضان كثيرا منهم على تلك
الصورة فإن عادة الفرارية أن يفطروا بدار السلطان ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله
العشرون قافوقهن من جواريه وهن عرايا ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير
مستترات وتعري بناته ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن
بالطعام من قصره عرايا ومعهن بنتان لهما هذان ليس عليهما ستر ومنها جعلهم التراب والرماد
على رؤوسهم تأدبا ومنها ما ذكرته من الاضحوكه في انشاد الشعراء ومنها ان كثيرا منهم يأكلون
الجيف والكلاب والحجير

﴿ذكر سفرى عن مالى﴾

وكان دخولي اليها في الرابع عشر لجمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين وخروجى عنها في الثانى
والعشرين لمحرم سنة أربع وخمسين ورافقتى تاجر يعرف بابى بكر بن يعقوب وقصدنا طريق
مينة وكان لى جبل أركبه لان الخيل غالية الاثمان يساوى أحدها مائة مثقال فوصلنا إلى خليج
كبير يخرج من النيل لا يجازى الا فى المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمر أحد به الا بالليل
ووصلنا الخليج ثلث الليل والليل مقمر

﴿ذكر الخيل التى تكون بالنيل﴾

ولما وصلنا الخليج رأيت على صفته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة فحببت منها وطلنتها فيلة
لكثرتها هذه الكثرانى رأيتها دخلت فى النهر فقلت لابی بكر بن يعقوب ما هذه الدواب فقال هى
خيل البحر خرجت ترعى فى البر وهى أغلظ من الخيل ولها اعراف وأذنان ورؤوسها كرؤس
الخيول وأرجلها كأرجل الفيلة ورأيت هذه الخيل مرة أخرى لما ركبنا النيل من تنبكتوالى
كوكو وهى تعوم فى الماء وترفع رؤوسها وتنفع وخاف منها أهل المركب فقرروا من البر لثلا

تفرقهم

نغر قهم ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك ان لهم رماحاً مثقوبة قد جعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فان صادفت الضربة رجلاه أو عنقه انقضته وجذبه بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونه وبأكلون لحمه ومن عظامها بالساحل كثير وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حكم من السودان حاج فاضل يسمى فر بامغا (بفتح الميم والغين المعجم) وهو من حج مع السلطان منسى موسى لما حج

﴿حكاية﴾

أخبرني فر بامغا أن منسى موسى لما وصل الى هذا الخليج كان معه قاض من البيضان يكنى بابي العباس ويعرف بالدكالي فاحسن اليه باربعة آلاف مثقال لنفقة فلما وصلوا الى مية شكا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرت له من داره فاستحضر السلطان أمير مية وتوعده بالقتل ان لم يحضر من سرقة او طلب الامير السارق فلم يجد أحدا ولا سارق يكون بتلك البلد قد دخل دار القاضي واشتد على خدامه وهددهم فقالت له إحدى جواريه ماضاع له شيء وانما دفنها بيده في ذلك الموضع وأشارت له الى الموضع فخرجها الامير واتى بها السلطان وعرفه الخبر فغضب على القاضي ونفاه الى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم فاقام عندهم أربع سنين ثم رده الى بلده وانما لم يأكله الكفار لبياضه لانهم يقولون ان أكل الابيض مضر لانه لم ينضج والاسود هو النضج برعهم

﴿حكاية﴾

قدمت على السلطان منسى سامبان جماعة من هؤلاء السودان الذين يأكلون بني آدم معهم أمير لهم وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطا كبارا وتكون فتحة القرط منها نصف شبر ويلتحفون في ملاحف الحر روفي بلادهم يكون معدن الذهب فاكرمهم السلطان واعطاهم في الضيافة خادما فذبحوها وأكلوها ولطخوا وجوههم وأيديهم بدمها وأتوا السلطان شاكرين وأخبرت ان عادتهم متى ما وفدوا عليه ان يفعلوا ذلك وذكر لي عنهم انه لم يقولون ان أطيب ما في لحوم الادميات الكف والتدي ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج فوصلنا الى بلدة قري منسا وقري (بضم القاف وكسر الراء) ومات لي بها الجمل الذي كنت أركبه فاخبرني راعيها بذلك فخرجت لانظر اليه فوجدت السودان قد أكلوه كما عادتهم في اكل الجيف فبعثت غلامين كنت استأجرتهم على خدمتي ليشتريا لي جلا براغري وهي على مسيرة يومين وأقام معي بعض أصحاب ابني بكر بن يعقوب وتوجه هو لينتظرا نائمة فاقتسته أيام اضافني فيها بعض الخفاج بهذه البلدة حتى وصل الغلمان بالجل

﴿حكاية﴾

وفي أيام افامتي بهذه البلدة رأيت ليلة فيما يرى النائم كأن انسانا يقول لي يا محمد بن بطوطة لماذا لا تقرأ سورة يس في كل يوم فن يومئذ ما تركت قراءتها كل يوم في سفر ولا حضر ثم رحلت الى بلدة مية (بكسر الميم الاول وفتح الثاني) فنزلنا على ابار بخارجها ثم سافرنا منها الى مدينة تنبكتو (وضبط اسمها بضم التاء الملهوطة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الكاف وضم التاء الملهوطة الثانية وواو) وبيننا وبين النيل أربعة اميال واكثر سكانها مسوفة اهل اللثام وحاكمها يسمى فر باموسي حضرت عنده يوما وقد قدم أحد مسوفة امير اعلى جماعة فجعل عليه ثوبا وعمامة ومروا الاكلها مصبوغة وأجلسه على درقة ورفع كبراء قبيلته على رؤسهم وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق ابي اسحاق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطويجن وبه القبر سراج الدين بن الكويك أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية

﴿حكاية﴾

كان السلطان منسى موسى لما حج تنزل بروض لسراج الدين هذا ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان واحتاج الى مال فتسلفه من سراج الدين وتسلف منه امرأته أيضا وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضي المال فاقام بها الى فتوجه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابن له فلما وصل تنبكتو اضاف له أبو اسحاق الساحلي فكان من القدر موته تلك الليلة فتكلم الناس في ذلك واتهموا انه سم فقال لهم ولده الى أكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا لكنه انقضى اجله ووصل الولد الى مالي واقتضى ماله وانصرف الى ديار مصر ومن تنبكتو ركبت النيل في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة وكان ينزل كل ليلة بالقرى فاشتري ما يحتاج اليه من الطعام والسمن بالملح وبالعطريات وبحلى الزجاج ثم وصلت الى بلد أنسيت اسمها له أمير فاضل حاج يسمى فر باسليمان شهورا بالشجاعة والشدة لا يتعاطى أحد التزع في قوسه ولم أرفى السودان أطول منه ولا أضخم جسمها واحتجت بهذه البلدة الى شيء من الذرة فجئت اليه وذلك يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وسألني عن مقدمي وكان معه فقيه يكتب له فاخذت لوحا كان بين يديه وكتبت فيه يا نقيه قل لهذا الامير اننا نحتاج الى شيء من الذرة للتراد والسلام وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيه سرا ويكلم الامير في ذلك بلسانه فقرأ مجهر او فهمه الامير فاخذ بيدي وادخلني الى مشوره وبه سلاح كثير من الدرق والقسى والرماح ووجدت عنده كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيه ثم اتى بمشروب لهم يسمى الدقنو (بفتح الدال المهمل وسكون القاف وضم النون وواو) وهو ماء فيه جريش الذرة مخلوط بيسير عسل اولين وهم يشر بونه عوض الماء لانهم ان شربوا الماء خالصا

أضربهم وان لم يجدوا الذرة خلطوه بالعسل أو اللبن ثم اتى ببطيخ أخضر فاكلنا منه ودخل غلام
نحاسي فدعاه وقال لي هذا ضيافتك واحفظه لئلا يفراقه ذنته وارتد الانصراف فقال أقم
حتى يأتى الطعام وجاءت الينا جارية له دمشقية عربية فكلتني بالعربي فبينما نحن في ذلك
اذ سمعنا صراخا بداره فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت اليه فاعلمته ان بنته قد توفيت
فقال انى لأحب البكاء فتعال غشى الى البحر يعنى النيل وله على ساحله ديار فأتى بالفرس
فقال لي اركب فقلت لا اركبه وأنت ماش فمشيتنا جميعا ووصلنا الى دياره على النيل واتى
بالطعام فاكلنا ووادعته وانصرفت ولم ارفى السودان أكرم منه ولا افضل والغلام الذى
اعطانيه باق عندي الى الآن ثم سرت الى مدينة كوكوهى مدينة كبيرة على النيل من
أحسن مدن السودان وأكبرها واخصبها فيها الارز الكثير واللبن والدجاج والسمك وبها
الفقوص العذاني الذى لا نظير له وتعامل اهلها فى البيع والشراء بالودع وكذلك أهل مالى
واقت بها نحو شهر واطافنى بها محمد ابن عمر من أهل مكاسة وكان ظريفا من احافاضلا وتوفى
بها بعد خروجى عنها واطافنى بها الحاج محمد الوجدى التازى وهو من دخل اليمن والافقيه محمد
القيلالى امام مسجد البيضان ثم سافرت منها برسم تكدا فى البر مع قافلة كبيرة للغدامسين
دليلهم ومقدمهم الحاج وحين (بضم الواو) وتشديد الجيم المعقودة) ومعناه الذئب بلسان
السودان وكان لي جل لركوبى وناقة لجل الزاد فلما رحلنا أول مرحلة وقفت الناقة فاخذ الحاج
وجين ما كان عليها وقسمه على أصنائه فتوزعوا حمله وكان فى الرفقة مغربى من أهل تادلى فالى
ان يرفع من ذلك شيا كما فعل غيره وعطش غلامى يوما فطلبت منه الماء فلم يسمح به ثم وصلنا
الى بلاد بردامة وهى قبيلة من البربر (وضبطها بفتح الباء المؤحدة وسكون الراء وفتح الدال
المهمل والفاء وميم مفتوح وتاء تأنيث) ولا تسير القوافل الا فى خفارتهم والمرأة عندهم فى ذلك
أعظم شأنها من الرجل وهم رحالة لا يقيمون ويوتهم غريبة الشكل يقيمون أعوادا من الخشب
ويضعون عليها الحصر وفوق ذلك أعواد مشبكة وفوقها الجلود أو ثياب القطن ونساء وهم اثم
النساء جالا وابدعن صورامع البياض الناصع والسمن ولم أرفى البلاد من يبالغ مبلغن فى
السمن وطعامهن حليب البقر وجريش الذرة يشربنه مخلوطا بالماء غير مطبوخ عند المساء
والصباح ومن أراد التزوج منهن سكن بهن فى أقرب البلاد اليهن ولا يتجاوزهن كوكو ولا
ايولات وأصابنى المرض فى هذه البلاد لا شتدا الحار وغلبة الصفراء واجتهدنا فى السير الى ان
وصلنا الى مدينة تكدا (وضبطها بفتح التاء المعقودة والكاف المعقودة والدال المهمل مع تشديده)
ونزلت بها فى جوار شيخ المغاربة سعيد بن على الجزولى واطافنى قاضيا أبو ابراهيم اسحاق
الجاناى وهو من الافاضل واطافنى جعفر بن محمد المسوقى وديار تكدا مبنية بالحجارة الحجر
وماؤها يجرى على معادن النحاس فيتغير لونه وطعمه بذلك ولا زرع بها الا سير من القمح يأكله

التجار والغرباء ويبيع بحساب عشرين متد من امدادهم بمثلقال ذهب ومدهم ثلث المديلا دنا وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين متدا بمثلقال ذهب وهى كثيرة العقارب وعقاربها تقتل من كان صبيلا لم يبلغ وأما الرجال فقلما تقتلهم ولقد لدغت يوما وأنا بها ولد الشيخ سعيد بن على عند الصبح فمات لحينه وحضر جنازته ولا شغل لاهل تكدا غير التجارة يسافرون كل عام الى مصر ويحلبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها ولا هلهارفاهية وسعة حال ويتفخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك اهل مالى وايتولات ولا يبيعون المملكات منهم الا نادرا وبالثمن الكثير ﴿حكاية﴾

اردت لما دخلت تكدا اشراء خادما معلما فلم أجدها ثم بعث الى القاضى أبو ابراهيم بخادما لبعض أصحابه فاشترى بها خمسة وعشرين مئة الاثم ان صاحبها اندم ورغب فى الاقالة فقلت له ان دللتنى على سواها اقلت لك فدلنى على خادما لعل اغيول وهو المغربى التادلى الذى ابى ان يرفع شيئا من اسبابى حين وقعت ناقتى وابى ان يسقى غلامى الماء حين عطش فاشترى بها منه وكانت خيرا من الاولى وأقلت صاحبى الاول ثم ندم هذا المغربى على بيع الخادما ورغب فى الاقالة والى فى ذلك فابيت الا ان اجازيه بسوء فعله فكاد ان يخن أويهم لك أسفا ثم اقلته بعد

﴿ذكر معدن النحاس﴾

ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه فى الارض ويأتون به الى البلد فيسبكونه فى دورهم فيعمل ذلك عبيدهم وخدمهم فاذا سبكوه نحاسا أخر صنعوا منه قضبانا فى طول شبر ونصف بعضها رقائق وبعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب أربع مائة قضيب بمثلقال ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبع مائة بمثلقال وهى صر فهم يشترون برقاقها اللحم والخطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ويحملون النحاس منها الى مدينة كوبر من بلاد الكفار والى زغاي والى بلاد برنوا وهى على مسيرة أربعين يوما من تكدا وأهلها مسلمون لهم ملك اسمه ادريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا من وراء حجاب ومن هذه البلاد يؤتى بالجوارى الحسان والفتيان والثياب المجسدة ويحمل النحاس أيضا منها الى جوجوة وبلاد الموربيين وسواها ﴿ذكر سلطان تكدا﴾

وفى أيام اقامتى بها توجه القاضى أبو ابراهيم والخطيب محمد والمدرس أبو حفص والشيخ سعيد ابن على الى سلطان تكدا وهو برى يسمى ازار (بكسر الهمزة وزاى وألف وراء) وكان على مسيرة يوم منها وقعت بينه وبين التكر كرى وهو من سلاطين البربر أيضا منازعة فذهبوا الى الاصلاح بينهم فاردت ان القامه فكثرى دليلا وتوجهت اليه واعلمه المذ كورون بقدمى فجاء الى زابكار سادون سرج وتلك عادتهم وقد جعل عوض السر ج طنة نيسة بجرا بدعية وعليه ملحمة وسير اويل وعمامة كلاهما زرقومعه أولاد اخته وهم الذين يرثون ملكه ففهمنا اليه

وصالحناه وسأل عن حالي ومقدمي فأعلم بذلك وانزلني بيت من بيوت الينساطيين وهم
كالوصفان عندنا وبعث برأس غنم مشوى في السفود وقعب من حليب البقر وكان في جوارنا
بيت امه واخوته فجاءنا الينا وسلمت علينا وكانت امه تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت
حلبهم ويشرّبونه ذلك الوقت وبالغدو واما الطعام فلا يأكلونه ولا يعرفونه وأقمت عندهم ستة
أيام وفي كل يوم يبعث بكباشين مشويين عند الصباح والمساء وأحسن الي بناقة وعشرة مثاقيل
من الذهب وانصرفت عنه وعدت الى تكدا

﴿ ذكر وصول الامر الكريم الى ﴾

ولما عدت الى تكدا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي باحرمه ولانا أمير المؤمنين
وناصر الدين المتوكل على رب العالمين أمر الى بالوصول الى حضرته العلية فقبلته وامتنعته
على الفور واشترى ثوبين لركوبى بسبعة وثلاثين مثقالا وثلاث وقصدت السفر الى توات
ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات انما يوجد اللحم واللبن والسمن
يشترى بالاثواب وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادى عشر لشعبان سنة أربع وخمسين في
رفقة كبيرة فيهم جعفر التوائى وهو من الفضلاء ومعه الفقيه محمد بن عبد الله قاضى تكدا وفى
الرفقة نحو ستمائة خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان الكر كرى وهى أرض كثيرة
الاعشاب يشترى بها الناس من برابرها الغنم ويقعدّون لحما ويحمله أهل توات الى بلادهم ودخلنا
منها الى برية لا عمارة بها ولا ماء وهى مسيرة ثلاثة أيام ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوما فى برية
لا عمارة بها الا ان بها الماء ووصلنا الى الموضع الذى يفترق به طريق غات الاخذ الى ديار مصر
وطريق توات وهنالك احساء ماء يجرى على الحـديد فاذا غسل به الثوب الابيض اسود لونه
وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا الى بلاد هكار وهم طائفة من البربر ملتئون لا خير عندهم
ولقينا أحد كبارهم فخبس القافلة حتى غرموا له أثوابا وسواها وكان وصولنا الى بلادهم فى شهر
رمضان وهم لا يغيرون فيه ولا يعترضون القوافل واذا وجد سراقها المتاع بالطريق فى رمضان
لم يعرضوا له وكذلك جميع من بهـ هذه الطريق من البربر وسرنا فى بلاد هكار شهرا وهى قليلة
النبات كثيرة الحجارة طريقها وعرو ووصلنا يوم عيد الفطر الى بلاد برابر أهل لثام كهؤلاء
فاخبرونا باخبار بلادنا واعلمونا ان أولاد خراج وابن يغمور خالفوا وسكنوا تسابيت من توات
بخاف أهل القافلة من ذلك ثم وصلنا الى بودا (بضم الباء الموحدة) وهى من أكبر قرى توات
وارضها مال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على ثمر سجلماسه ولا زرع بها
ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب وأكل أهلها التمر والجراد وهو كثير
عندهم يختزنونه كما يختزن التمر ويقتاتون به ويخرجون الى صيده قبل طلوع الشمس فانه لا يطير
اذ ذلك لاجل البرد وانما يودا يا ما ثم سافرنا فى قافلة ووصلنا فى اوسط ذى القعدة الى مدينة

سجلماسة وخرجت منها في ثاني ذى الحجة وذلك اوان البرد الشديد ونزل بالطريق ثلج كثير ولقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير بخارى وعمرقند وخراسان وبلاد الانراك فلم أر أصعب من طريق ام جنبيه ووصلنا اليه عيـدا الاضحي الى دار الطمع فاقت هنالك يوم الاضحي ثم خرجت فوصلت الى حضرة فاس حضرة مولانا أمير المؤمنين أيده الله فقبلت يده الكريمة وتيمنت بمشاهدة وجهه المبارك وأقت في كنف احسانه بعد طول الرحلة والله تعالى يشكر ما اولانيه من جزيل احسانه وسابغ امتنانه ويدم يا مـهـمـع المسلمين بطول بقاته وههنا انتهت الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذى الحجة عام ستة وخسين وسبعمائة والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

﴿قال ابن جزى﴾

انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ ابى عبد الله محمد بن بطوطه اكرمه الله ولا يخفى على ذى عقل ان هذا الشيخ هو رجال العصر ومن قال رجال هذه الملة لم يبعد ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة واتخذ حضرة فاس قرارا ومستوطنا بعد طول جولانه الا لما تحقق ان مولانا أيده الله أعظم ملوكها شأنا واعظم فضائل وأكثرهم احسانا وأشد هم بالواردين عليه عنايه واتمهم بمن ينقى الى طلب العلم حايه فيجب على مثلى ان يحمد الله تعالى لان وفقه في اول حاله وترجاه لاستيظان هذه الحضرة التي اختارها هذا الشيخ بعد رحله خمسة وعشرين عاما انها النعمة لا يقدر قدرها ولا يوفي شكرها والله تعالى يرزقنا الاعانة على خدمة مولانا أمير المؤمنين ويبقى عليه ناطل حرمة ورجته ويجزيه عناء عشر الغرباء المنقطعين اليه أفضل جزاء المحسنين اللهم وكما فضلتهم على الملوك بفضيالى العلم والدين وخصصته بالحلم والعقل الرصين فدل ملكه أسباب التأيد والتمكين وعرفه عوارف النصر العزيز والفتح المبين واجعل الملائكة في عقبه الى يوم الدين وارزقه العيون في نفسه وبنيه وملكه ورعيته يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا ونبيهنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ من كتبها في صفر عام سبعة وخسين وسبعمائة عرف الله من كتبها

تم الجزء الثاني من رحلة ابن بطوطه وبه تم طبع هذا الكتاب الجليل بمطبعة وادى النيل

بتصحيح الفقير أبى السعود أفندى في منتصف جمادى الثانية سنة ١٢٨٨

هجرية على أصله المطبوع مع ترجمته بالفرنساوية بمدينة باريس

في سنة ١٨٥٨ ميلادية والله الشكر التام

وبه حسن المبدأ

والختام